

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة



الروابط النصية وأثرها في الاتساق والانسجام الخطابي
- دراسة بنيوية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه " ل . م . د " في اللغة و الأدب العربي
تخصص: لسانيات الخطاب

إشراف الأستاذة:

أ.د: ميس سعاد

اعداد الطالب:

خليل عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. بولخراص محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	رئيساً
أ.د. ميس سعاد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مشرفاً ومقرراً
أ.د. بن جلول مختار	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مشرفاً مساعداً
أ.د. يونس محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيسمسيلت	ممتحناً
أ.د. ارزايقية محمود	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيسمسيلت	ممتحناً
د. بلقنيشي علي	أستاذ محاضر -أ-	جامعة تيارت	ممتحناً

السنة الدراسية: 1444 هـ - 1445 هـ / 2022 م - 2023 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَدَلَّ عَلَى نِزَالِهَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَسْبِيحًا
بِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَسْبِيحًا

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ

المجاردة 11

الإهداء

وباسمك يجري بريد العزاء وتجري المراثي على كل فم
لأنك في الشمس ما لا يُرى لأنك في الورد ما لا يشم
لأنك كنت كأن لم تكن ونازع فيك الوجود العدم
أيا حارس الوحي والانتظار تأهب فمقاتك الآن تم
ستبعث من موتك المستحيل لتصعد وحدك هذا الألم
ستصعد تصعد حتى تغيب وتهبط حتى كأنك لم

أبي رحمه الله

يحكي لعينيك لو تدرين ما يحكي عاش الذي عاش في أيام عينيك
صباح عينيك يا شمسي ويا قمري يا ضحكة الشوق في عيني التي تبكي
يومان للقلب يوم العشق يتبعه يوم الحنين فوا شوقي ليوميك
أسطورة القلب أن يأتي الشتاء غدا في ماطر دافئ في صحو كفيك

أمي حفظها الله

لها اسمي خاتم سيضيء حين يحيط إصبعها
وأن أصغي إلى قلبي إذا صمتت لأسمعها
لها أن تبدأ الأحلام بي لأتمها معها
لها ما ليس مني لها الغربات والبيوت
لها ما مر ما سيجيء ما يبقى إذا غبت

زوجتي باركها الله

إلى أولادي علاء ، لينا ، رانيا وإلى كل إخواني وأخواتي وإلى الأقارب والأصحاب أهديكم
هذا العمل المتواضع .

شكر وتقدير

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونشكره على عظيم
فضله وجزيل عطائه وكريم نعمائه القائل في كتابه :

﴿ لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾ ، (إبراهيم 07)

أتقدم بجزيل الشكر وعاطر الشناء وخالص الدعاء لأستاذتي الفاضلة

الدكتورة **ميسر سعاد** التي رافقتني خلال مسيرتي العلمية ولم تدخر جهدا
في توجيهي وإرشادي وتقييمي وتقويمي، مسدية في كل حين نصائحها
القيمة التي أنارت طريقي لإنجاز هذه الرسالة ، فالله أسأله أن يجازيها خير
ما يجازى به المعلم والمرشد والأستاذ عن طلبته ، ثم أقدم شكري وامتناني
إلى فضيلة الشيخ والأستاذ الدكتور **بن جلول مختار** فعلى الرغم من
المسؤولية والأعباء المنوطة به ، لم يتوان لحظة في تكويننا والحرص على
توجيهنا ، فله منا خالص التقدير والشناء ، كما أتوجه بالشكر أيضا لجميع
أساتذتي بجامعة **ابن خلدون تيارت** .

وإلى كل من قدم لي مساعدة في إنجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة .

والشكر موصول إلى الأساتذة المناقشين لهذا العمل .

جزى الله الجميع خير الجزاء وسلك بنا طريق الهداية والصلاح والرشاد.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقة للمتقين ، ولاعدوان إلا على الظالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الموصوف بصفات الجلال ، المنعوت بنعوت الكمال ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وخليه المبعوث بين يدي الساعة رحمة للعالمين ، تركنا على المحجة البيضاء ليها كنهها لا يزيغ عنها إلا هالك ظالم لنفسه مبین .

إن اللغة هي وسيلة التعبير عند الإنسان ، والأداة الرئيسة في عملية التواصل والإبلاغ ، بواسطتها يتفاهم الإنسان مع غيره ، وبها يعبر عما يختلج في نفسه من أفكار وأحاسيس ومشاعر وعواطف ومواقف مختلفة ، وهي أداة التفكير والتصور ، وبواسطة اللغة استطاع الإنسان أن يعيش ماضيه وسالف دهره ، ويتواصل مع حاضره وراهنه ، ويتطلع إلى مستقبله وأمانيه .

ولما كانت اللغة بمثل هاته الأهمية ، فإنها حظيت بالدراسة والعناية والتحليل ، من أجل الكشف عن خصائصها من قبل المتخصصين في هذا المجال قديما وحديثا ، وقد كانت الجملة في بداية الدرس اللساني بؤرة الاهتمام ومركز الدوران ، واعتبرت الوحدة الأساسية للدراسة عند أصحاب النظريات اللسانية ، لكن توسع مجال البحث وتعددت الرؤى ، أدت إلى إحداث ففزة نوعية نُقل على إثرها محور البحث اللساني إلى مستوى أعلى مما كان عليه ، تم فيه تجاوز محورية الجملة في الدراسة ، لما شتمله هذه الأخيرة من نقائص ، فالمعنى لا يمكن دراسته منفصلا عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى (النص) ، وهذا الذي أدى إلى نشأة علم جديد يهتم بدراسة النصوص وهو ما يُعرف بلسانيات النص .

كانت اللسانيات في النصف الأول من القرن العشرين ، لا تخرج في دراسة اللغة عن نطاق الجملة الواحدة إلى أن تفتن العالم الأمريكي (زليج هاريس) ، إلى وجود علاقات بين الجمل يمكن من خلالها الانتقال في الدراسة والتحليل إلى بنية أكبر من الجملة ، وهو ما دعا إليه في مقاله الموسوم بـ (بتحليل الخطاب) الصادر سنة 1952م والذي توالى بعده الدراسات والأبحاث فيما عُرف بعد ذلك بـ : علم لغة النص أو لسانيات النص حيث نُشر العالمان (مايكل هاليداي ورقيّة حسن) كتابا بعنوان (الاتساق في الإنجليزية) ، وفي سنة 1977م ربط العالم (تون فان دايك) النص بالبيئة الخارجية التي نشأ فيها ، في كتابه (النص والسياق) ، ثم تضافرت جهود العالمين (روبيرت دي بوجراند وولفغانغ دريسلر) لينشرا كتابا بعنوان (مدخل إلى لسانيات النص) ناقشا فيه معالم النصية والمعايير التي يقوم عليها النص بطريقة مفصلة وعلى هذا الأساس كان تجاوز الجملة عند العلماء النصيين أمراً

مفروضاً ذلك أنها لم تعد - الجملة - كافية لكلِّ مسائل الوصف اللُّغوي ، الذي نأى عن حُدود البنية اللُّغوية الصُّغرى ، ليوَسِّع من مجال الوصف في إطار وحدة كُبرى هي النَّص ، وقد دفع ذلك النَّصيين إلى اعتبار علم النَّص تطويراً وتوسيعاً لعلم لُغة الجملة الذي شُغل به البنائيون في أمريكا منذ (بلومفيلد) إلى (تشومسكي) .

أمَّا النَّص فهو نسيج من العلاقات والمعطيات الألسنيَّة والبنويَّة والإيديولوجية ، تتضافر مع بعضها لتُخرج النَّص من حيز التشكيل اللُّغوي إلى حيز التأثير والفعل ، وهذا الذي يُضفي على النَّص صفة التجدُّدية بحكم مقروئته، وقائم على التعدُّدية بحكم خصوصيته تبعاً لكلِّ حالة يتعرَّض إليها في مجهر القراءة ، فهو ذو قابلية للتجدُّد والعطاء ، كلما سلَّط عليه فعل القراءة ، وهذه الصِّفة التي تميَّز بها النَّص هي التي جعلت (جوليا كرستيفا) تكشف عن أهمِّ ملاحظه حين أشارت إلى (إنتاجية النَّص) التي تنشط فيها اللُّغة ، لأنَّها أصل النَّص في كلِّ مراحلِه ومَظَاهِرِه .

في المقابل فإنَّ التَّغيير هذا لم ينحصر في إطار الجملة والنَّص ، وأنَّ القفزة من الجملة إلى النَّص لا تقتصرُ على المسافة فحسب ، بل تعدَّتْها إلى المناهج التي حاولت تصنيف النُّصوص وفهمها ، وأكثرُ هذه المناهج اهتماماً بالنَّص علم اللُّغة والنَّقد الأدبي ، على أنَّ هناك علوماً كان لها قصبُ السَّبق في الاهتمام بالنَّص ، منها البلاغة والأسلوبية ، ثمَّ الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، ثمَّ فقه اللُّغة وعلم اللِّسان ، وقد دَفَع البَحْثُ في العلاقات الدَّاخِليَّة للنَّص إلى زيادة رغبة العوَص في أغوار اللُّغة المكتوبة أو المنطوقة ، وتناولها تناوِلاً ألسنياً ، ممَّا أدَّى إلى ميلاد مصطلح جديد حُصِّصَ به عِلْمٌ يعنى بدراسة النَّص ، وهو علم اللُّغة النَّصي .

إنَّ الترابط بين أجزاء النَّص أبرزُ الخصائص التي تسمُّه بالنَّصيَّة ، فالنَّص ليس مجموعةً جُمْل فقط ، لأنَّ النَّص يمكنُ أن يكون منطوقاً أو مكتوباً ، نثراً أو شعراً حواراً أو مُنولوجياً يمكنُ أن يكون أيَّ شيء ، من مَثَل واحد حتَّى مسرحية بأكملها ، من نداء استغاثة حتَّى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة ، والنَّصيَّة تميِّز النَّص عمَّا ليس نصاً ، فالنَّصيَّة تحقِّق للنَّص وحدته الشَّاملة ، ولكي يكون لأيِّ نصِّ نصيَّة ينبغي أن يعتمدَ على مجموعة من الوسائل اللُّغوية التي تخلق النَّصيَّة ، بحيث تُسهِّم هذه الوسائل في وحدته الشَّاملة .

و الحديث عن النَّص يجعلنا نعظِّم الجهود التي بذلها علماء اللُّغة في الغرب ، من خلال دراساتهم النَّصيَّة ونظريَّاتهم اللُّغوية ، لكنَّ الموضوعية العلميَّة تُلزمنا بالاقرار أيضاً للجهود التي بذلها علماءنا العرب في دراساتهم النَّصيَّة ، فهي قديمة قدم النَّص القرآني والحديث النبوي .

وبالعودة إلى الجهود التي بذلها علماء التفسير من خلال مؤلفاتهم ، ندرك قلة تناول الشُّمولي للنص وندرة الوحدة النصية في مؤلفات المفسرين ، فقد اتَّسمت المحاولات النصية للمفسرين باستثناء (السِّيوطي) في كتابه (ترتيب القرآن) بتفسير الآية الواحدة ، ثمَّ الانتقال إلى آية أخرى ، ذون محاولة البحث عن الوشيجة الرابطة لنظم الآيات في السُّورة الواحدة ، ولكن هذا لا يعني انعدام الممارسات النصية إطلاقاً ، لأنَّ هناك دراسات إعجازية رصّدت مختلف العلاقات التماسكية بين آيات وسُور القرآن الكريم ، إذ وجدنا أثناء بحثنا مؤلفات تناولت علاقات الاتِّساق والانسجام تُضاهي ما قدّمته اللسانيات النصية المعاصرة ، ككتاب "البرهان في علوم القرآن" (للزركشي) و"الإتقان في علوم القرآن" (للسِّيوطي) ، وهذا الذي جعل المبتغى من الجهود اللغوية القديمة والحديثة في المنهج اللساني النصي ، تحديداً مختلف العلاقات القائمة في النص ، إضافة إلى ما يميّز به النص من ترتيب وتنظيم داخلي والذي تُسهّم فيه الروابط من هذه الجهة ، وتسهّل في الآن ذاته على المنتج والمتلقيّ معا إدراك التماسك الداخلي للنص من جهة أخرى .

ذلك أنّ البحث في الروابط اللغوية ، يعني الكشف عن طرق البناء النصي ، والوقوف على اتِّساق وانسجام النصوص ، ورغبة منّي في السير على النهج الذي سار عليه علماءنا العرب قديماً ، والسّمت الذي امتدَّ إلى زمن الدراسات اللغوية حديثاً ، ومحاولة الرّبط بينهما ، إضافة إلى وجاهة الموضوع من النّاحية العلميّة ، وأهمّيته من ناحية مايعودُ به من فوائد في استقصاء جهود السّلف النصية ، وتتبع آراء المحدثين اللغوية ، كان توجُّهي لاختيار هذا الموضوع الموسوم بـ : "الروابط النصية وأثرها في الاتِّساق والانسجام الخطابي" ، وقد عملتُ فيه على جمع وتصنيف الروابط عند علمائنا العرب القدامى ، ونظريّات المدارس اللسانية الغربية ، مع الحرص على بيان أثر هذه الروابط في اتِّساق وانسجام نصوص التطبيق التي وقع عليها اختياري .

والمعلوم أنّ تطبيق مبادئ علم اللغة النصي على النصوص العربية المقدّسة "القرآن الكريم" ، والحديث النبوي الشريف" موضوع احتدم فيه النقاش ، ووصل إلى حدّ المعارضة من الكثيرين ، والسبب هو ارتباط هذين النصين بأحكام التشريع الإلهي ، فضلاً على ما يميّز به شعرنا العربي من قدرة فائقة على التشكّل ، يُضاف إلى ذلك ما يميّز به النظريات اللغوية العربية في حد ذاتها والتي تشكّلت بلغتها وحملت خصائصها وبماتها ، لذلك فقد لا يصلح تعميمها على لغتنا العربيّة ، وقد شكّل هذا التجاذب في الآراء إشكالية البحث التي جعلت سؤالها الرئيس هو : إذا كان الدرس اللغوي العربي التّراثي قد اكتمل بناؤه فهل يمكن الاستفادة ممّا وصل إليه الدرس اللغوي العربي حديثاً ؟ ثم إنَّ هناك أسئلة أخرى استثارت فكري واختلجت بها نفسي وهي : هل يمكن لنا أن نعتبر ما

وصل إليه علماؤنا قديما في النحو والبلاغة جهدا مُستقلا عمّا وصل إليه علماء الغرب في مجال علم اللّغة النّصي؟ فإنّ كان الجهد العربي مُستقلا عن الجهد الغربي فما هي معايير تحديد الرّوابط في المدوّنة العربيّة ، وما معايير تصنيفها؟ وإنّ كانت هناك علاقة بين الجهد العربي والغربي ، فما هي الجوانب النّصية التي اشترك فيها في المدونتين؟ وهل الرّوابط النّصية تُؤدّي دورا أحاديا في الاتّساق أم أنّ دورها يتعدّى إلى الانسجام؟

وللإجابة على هذه التّساؤلات ، ارتأيت أن أصوغ لها مجموعة من الفرضيّات أُوردها على النحو الآتي:

- إنّ تتبّع الرّوابط النّصية ودراستها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، لا يجعلنا نقفُ بها عند

حدود الجملة دون محاولة إسقاط دورها على مستوى النّص ، لأنّ هناك روابط لها فوائد نصيّة وتواصلية تتفاوت في دورها الرّابطي عن غيرها ، على أنّ هناك روابط نصيّة ذُكرت في الدّراسات النّصية الغربية لا يصحُّ تطبيقها على القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، للكشف عن الاتّساق والانسجام النّصي ، وذلك بسبب طبيعة اللّغة العربيّة وخصوصيّة القرآن الكريم ، وتفرد كلّ سورة من سُوره بأنواع معيّنة من الرّوابط ، وهذا ما وقفنا عليه أيضا في الحديث النبوي وفي الشّعر العربي وفي فنّ المقامة.

- تعملُ الرّوابط النّصية على تحقيق دورين ، الأوّل هو السّبك (الاتّساق) ويكون داخل النّص والثّاني هو

الالتحام (الانسجام) ، ويكون خارج النّص يحدث بين المرسل والمتلقّي ، لذا يجبُ النّظر إلى هذه الرّوابط في كليّتها ، أيّ ترابط وتظافر هذه الرّوابط فيما بينها .

إنّ ما يميّز الدّرس اللّساني الحديث تعدّد المفاهيم وجدّها على مُستوى الطّرح والتّنظير ، وهذا ما كشفت عنه لسانيات النّص ونحو النّص ، وقد دَفَع ذلك الدّارسين بادئ الأمر إلى تطبيق هاته المفاهيم على الشّعر وعلى النّصوص النّثرية ثمّ على القرآن الكريم ، على أنّ السّبب في تأخير التّطبيق على القرآن الكريم هو لغته المعيارية لكنّ هذا لم يمنع الدّارسين في أن يجعلوا من سُور القرآن الكريم هدفا للدّراسات والأبحاث اللّغوية وفق المناهج الحديثة التي اعتنقوها ، أمّا التّطبيق على الحديث الشريف وفنّ المقامات فقليلٌ إذا ما قُورن بالقرآن أو الشّعر ولعلّي أحسب هذا البحث المتواضع جهدا بسيطا أخذم به هذه النّصوص (القرآن الحديث ، الشعر ، المقامة) من خلال الكشف عن مدى اتّساقها وانسجامها ، وفق نظريات اللّغويين القدامى والمحدثين ، وإبراز دور الرّوابط النّصية فيها .

وقد أدّى بي الدُخولُ أوّل الأمر إلى عالم الرّوابط النّصية والاتّساق والانسجام إلى الخلط في اختيارها لأنّني اعتدتُ على تدريسها في الطّور الثّانوي مجتمعة غير مُصنّفة ولا مرتّبة ، لذا لجأت في الجانب التّطبيقي إلى تقسيم الرّوابط من حيث علاقتها بالاتّساق أو الانسجام ، واقتصرت على الرّوابط اللفظية لأنّ لها دوراً ثنائياً في تحقيق الاتّساق والانسجام ، على أنّي حرصتُ على تقسيم آخر للرّوابط النّصية ، ذكرتُ منها الرّوابط الإحالية ثمّ الرّوابط غير الإحالية وهي كلّها تُسهّم في تماسك النّصوص وانسجامها ، من خلال المبدأ النّصي الذي يوكّد على أنّ الاتّساق يُفضي إلى الانسجام ، وأشار هنا أنّ تقسيمي ليس محض اجتهاد خاصٍ مني، بل هو وليد متابعٍ لما أورده علماء النّص في هذا المجال ويكفي الاطّلاع على ما ذكره (صُبحي إبراهيم الفقي) في كتابه "علم اللّغة النّصي" الذي قسّم الرّوابط إلى شكليّة ودلاليّة ، وما ذكره الدكتور (مُصطفى حميدة) في كتابه (نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة) ، فهو يرى أنّ الرّبط يكون في الاتّساق النّصي والارتباط يكون في انسجام الخطاب والتّقسيم الثّاني ، هو الذي ارتضيتُهُ في بحثي هذا .

والحقيقة أنّ هناك أسباباً ذاتية ، وأخرى موضوعية دفعتني لاختيار موضوع دور الرّوابط النّصية وأثرها في الاتّساق والانسجام الخطابي ، فالذاتية منها وُتوفى في القسم لأزيد من ستّة عشر سنة ، وأنا أفصل مع تلاميذي ماتعلّق بجزئية الاتّساق والانسجام في تركيب فقرات النّصوص الأدبيّة المقرّرة في كُتب الأدب للسّنوات الأولى والثّانية والثالثة من التّعليم الثّانوي ، ثمّ تلك الرّغبة الجامحة التي بتحتاخي حين أفقُ في كلّ مرّة على عتبات النّصوص قارئاً أو شارحاً أو متدوّفاً ، يتوقُّ إلى الرّبط بين المفاهيم النّظرية حول الرّوابط ومظاهر الاتّساق والانسجام ، ومحاولة التّطبيق في النّصوص المقرّرة للتّلاميذ من جهة ، وكذا إثراء هذا الجانب وتوسيع حُدوده ليستفيد منه أساتذة الطّور الثّانوي من جهة أخرى. لذا فإنّ كلّ النّصوص الشّعريّة باستثناء القرآن الكريم والحديث النبوي ، والتي شملتها فُصول التّطبيق يدرّسها التّلاميذ في مختلف أطوار المرحلة الثّانوية "الزهير بن أبي سُلمي وللمهلّ بن ربيعة ولعبدة بن الطّبيب ، ولابن خفاجة الاندلسي ، ولأبي العتاهية ، ولأحمد شوقي ، ولحمود درويش ، ولإيليا أبو ماضي ، ومليخائيل نُعيمة ، ولأمل دنقل ، ولبيديع الزمان الهمداني" في مقاماته ، وأمّا الأسباب الموضوعية فهي الرّغبة أيضاً في محاولة الرّبط بين موضوعي ، وما أظهرته المدارس اللّسانية العربيّة الحديثة والتي تجاوزت ما تعلّق بالرّوابط اللفظية ، إلى مُستوى أعلى يتمّ فيه الكشف عن الرّوابط المعنويّة ، التي تؤدّي إلى تماسك النّصوص وانسجامها .

لم يكن اختياري لمَدَوَّنَاتِ التَّطْبِيقِ عَفْوِيًّا فَقَدْ شَغَلَتْنِي فِكْرَةُ الْمَوْضُوعِ الْجَدِيدِ شُهُورًا ، وَازْدَادَتْ مَعَهَا رَغْبَتِي فِي أَنْ تَكُونَ أَطْرُوحِي بِكَرًّا عَلَى مَسْتَوَى الْمَوْضُوعِ وَالتَّنَاوُلِ وَالتَّطْبِيقِ ، وَلَطَالَمَا تَجَادَبْتَنِي نِقَاشَاتٍ مَطْوَلَةً مَعَ الْأَسْتَاذَةِ الْمَشْرِفَةِ ، زُمْتُ فِيهَا الْقُرْآنَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ دُرِّسَ ، وَرَغِبْتُ فِي الْحَدِيثِ فَوَجَدْتَهُ قَدْ طُرِقَ ، وَلَمْ يَبْقَ لِي سِوَى الشِّعْرِ فَوَجَدْتُ كَثِيرًا مِنَ الدِّرَاسَاتِ قَدْ اشْتَغَلَتْ عَلَيْهِ ، فَاعْتَرَتْنِي الدَّهْشَةُ مَرَّةً وَاكْتَفَفْتَنِي الْحَيْرَةُ مَرَاتٍ ، ثُمَّ دَبَّ فِي خَاطِرِي أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ مُحَاوَلًا تَطْبِيقَ مَبْدَأِ الْوَحْدَةِ النَّصِيَّةِ بَيْنَهَا ، عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الرَّابِطَ الَّذِي يَجْمَعُهَا هُوَ اللُّغَةُ ، هَذِهِ اللُّغَةُ الَّتِي اخْتَرْتَهَا فِي نُصُوصِ التَّطْبِيقِ عَنِ قِصْدِ التَّرَاتِيبِيَّةِ الْقِيَمِيَّةِ بَدْءًا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي "سُورَةِ الْقَصَصِ" لِأَنَّ قَائِلَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ مَسْتَوَى اللُّغَةِ ، ثُمَّ حَدِيثِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ، ثُمَّ قِصَائِدِ الشُّعْرَاءِ ، هَاتِهِ الْأَخِيرَةَ الَّتِي أَخْضَعْتَهَا لِلتَّرَاتِيبِيَّةِ الزَّمْنِيَّةِ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ ، إِلَى صَدْرِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَصُورًا إِلَى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، وَخَتَامًا بِالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ بَدِيْعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ فِي مَقَامَتِهِ (الْقَرِيضِيَّةِ) مِنْ خِلَالِ تَوْسِيْعِ دَائِرَةِ التَّطْبِيقِ عَلَى هَذَا النَّمُودَجِ الثَّرِي الَّذِي ظَهَرَ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ .

أذْكَرُ جَيِّدًا وَأَنَا أَنْسُجُ خُيُوطَ الْأَطْرُوحَةِ فِي بَدَايَتِهَا ، أَنَّنِي صَادَفْتُ كَثِيرًا مِنَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَقْتَرِبُ مِنْ مَوْضُوعِهَا أَوْ تَشْتَرِكُ مَعَهَا فِي بَعْضِ الْمَلَامِحِ ، مِنْهَا مَا كَتَبَهُ الْأَسْتَاذُ (عَادِلُ زَغَيْرٍ) فِي دِرَاسَتِهِ "الرَّابِطُ فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ" ، وَهِيَ رِسَالَةٌ مَاجِيَسْتَارٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، مِنْ جَامِعَةِ بَغْدَادِ سَنَةِ 1988م ، وَمِنْهَا أَيْضًا دِرَاسَةٌ لِلْأَسْتَاذِ (مُصْطَفَى حَمِيدَةَ) بِعِنَاوَانِ "نِظَامِ الْإِرْتِبَاطِ وَالرَّابِطِ فِي تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ" ، وَهِيَ رِسَالَةٌ دُكْتُورَاهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ جَامِعَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَقَدْ صَدَرَتْ كِتَابًا سَنَةَ 1997م ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَهُ (عَلِي مَتَيْفِي) فِي دِرَاسَتِهِ "الرَّابِطُ اللَّفْظِيُّ فِي لُغَةِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ" ، مَخْتَصِرُ الْبَخَارِيِّ لِلزُّبَيْدِيِّ أَمْوُودَجًا" وَهِيَ رِسَالَةٌ مَاجِيَسْتَارٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ جَامِعَةِ الْيَرْمُوكِ سَنَةَ 1999م ، وَدِرَاسَةٌ أُخْرَى لِلْأَسْتَاذِ (غَازِي فَتْحِي سَلِيمٍ) عِنَاوَانُهَا "الرَّوَابِطُ فِي الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ" وَهِيَ رِسَالَةٌ دُكْتُورَاهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ 2000م ، إِضَافَةً إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي يَجْمَعُهَا حَقْلُ اللِّسَانِيَّاتِ وَعِلْمُ اللُّغَةِ النَّصِيِّ وَمَا تَعَلَّقَ بِثَنَائِيَّةِ الْإِتِّسَاقِ وَالْإِنْسِجَامِ ، وَدِرَاسَاتٍ تَعَلَّقَ بِالْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ ، وَالْمَلَاخِظِ فِي حُدُودِ الْإِطْلَاعِ أَنَّ الْكَشْفَ عَنِ الرَّوَابِطِ النَّصِيَّةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى دَرُوحِهَا فِي تَحْقِيقِ الْإِتِّسَاقِ وَالْإِنْسِجَامِ ، قَدْ دُرِّسَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَفِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، وَفِي فَنِّ الْمَقَامَةِ ، لَكِنَّ تَنَاوُلَ الرَّوَابِطِ اللُّغَوِيَّةِ ، وَالْكَشْفَ عَنْهَا فِي هَذِهِ النَّمَاذِجِ كَانَ جُزْئِيًّا ، فَإِنَّ دُرْسَ فِي الْقُرْآنِ فَلَنْ يَتَعَدَّى إِلَى الْحَدِيثِ فِي الدِّرَاسَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَإِنْ دُرْسَ فِي الْحَدِيثِ فَلَنْ يَتَعَدَّى إِلَى الشِّعْرِ أَوْ فَنِّ الْمَقَامَةِ ، وَهَذَا الَّذِي يَجْعَلُنِي أَقُولُ أَنَّ دِرَاسَتِي هَاتِهِ عَلَى بَسَاطَتِهَا قَدْ وَضَعْتُ عَلَى عَاتِقِهَا الْجَمْعَ بَيْنَ هَذِهِ النَّمَاذِجِ الْمُتَوَعِّعَةِ ، تَمَّ فِيهَا الْكَشْفُ عَنِ الرَّوَابِطِ اللُّغَوِيَّةِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَى دَرُوحِهَا فِي تَحْقِيقِ الْإِتِّسَاقِ وَالْإِنْسِجَامِ النَّصِيِّ .

وبعد تمعن كبير في أهمّ الروابط الفاعلة في علم اللغة النصّي ، تمّ تقسيم الأطروحة إلى أربعة فصول يتقدّمهنّ مقدّمة و مدخل ، وتتأخّر عنهنّ خاتمة ، وقد تناولت في الفصلين الأوّل والثاني ، ماتعلّق بالمفاهيم النظرية وشمل التطبيق الفصل الثالث والرابع ، على مُدوّنات النصوص التي اخترتها من القرآن (سورة القصص) ومن أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، وفي الشّعر الجاهلي ، وصدر الإسلام والشّعر العبّاسي والحديث ، ثمّ فيّ المقامة وقد سبق ذلك مقدّمة للبحث ، طرّحت فيها الإشكالية وخطّة البحث وأهمّ المراجع المعتمّدة.

ضمّ المدخل الأطرّ النظرية لأهمّ المدارس اللّسانيّة القديمة والحديثة ، وهي النّحو العربي والمدرسة البنيويّة لديسوسير والمدرسة التّوليدية التّحويلية لتشومسكي كشفت فيها الأسس التي بُنيت عليها هذه المدارس وبيّنت دواعي التّحوّل والانتقال إلى لسانيات النّص.

يلي ذلك الفصل الأوّل وبيّنت فيه المنحى النظري في لسانيات النّص ، أشرت فيه إلى مفاهيم حول علم اللغة النصّي ، بدءاً بماهيّة لسانيات النّص ، ثمّ مفهوم النّص في إطار المعجم والاصطلاح والوظيفة ، ثمّ عرضت إسهامات علماء التّراث العربي فيه عند علماء التّفسير والبلاغة والنّحو والنّقد والفلسفة ، وأشرت إلى أهمّ المصطلحات النّصية عندهم كالسّبك والحبك والوصل والنّظم والرّصف.. وانتقلت إلى الإشارة إلى مفهوم النّص في الدّراسات الغربية الحديثة ، تتبّع فيها النّص من النّاحية النّحوية والدّلالية والاتّصالية والتّداولية ، مشيراً إلى مفهوم النّص عند (هاليداي ورقية حسن) ، ورغبة منّي في الإلمام بمفهوم النّص ، والإحاطة بكلّ جوانبه ، ذكرت مفاهيمه عند العلماء العرب المحدثين ، ثمّ انتقلت إلى جزئيّة مهمّة بيّنت فيها مفهوم الخطاب في إطار المعجم والاصطلاح والوظيفة ، ثمّ أشرت إلى تداوله في التّفافين العربيّة والغربية ، وأثناء التقصّي لمفهوم الخطاب وقفت على إشكالية التّدخل بين مُصطلحي النّص والخطاب ، فذكرت آراء من ميّزوا بين النّص والخطاب وآراء من زأوجوا بينهما .

وأما الفصل الثّاني ففصّلت فيه ما تعلّق بالمفاهيم الثّلاثة التي تشكّل ركيزة بحثي وهي الاتّساق والانسجام والروابط ، هذه الرّكائز التي تناولتها التّطريات العربيّة المتعدّدة في موضوع لسانيات النّص ، بشيء من التّفصيل كشفت فيها عن كلّ ماتعلّق بأدوات الاتّساق وآليات الانسجام ، إضافةً إلى توسّع هذه التّطريات في الإشارة إلى وسائل الرّبط خاصّة في اللغة الإنجليزيّة ، وقد دفعني الاطّلاع على هاته الروابط إلى محاولة الكشف عن أهمّ الروابط اللّغوية العربيّة ، التي لها علاقة بعلم اللغة النصّي ، وذلك لما تتميز به اللغة العربيّة من خصائص تجعلها تفرّد عن بقية اللّغات ، وهنا أتضح لي العلاقة بين الاتّساق والانسجام ، وبأنّ لي الفرق بينهما ، وأما تصنيف الروابط فقد تتبّع فيه عن قصد الإشارة إلى الروابط الإحاليّة والروابط غير الإحاليّة ، بما يناسب المنهج المتبع في

بحثي من جهة ، وما يسهل لي الكشف عن دور هذه الروابط في الاتساق والانسجام النصي في نماذج النصوص التي وقع اختياري عليها من جهة أخرى .

وجاء التطبيق للتنظير المذكور في الفصلين السابقين ، خصصت فيه الحديث عن الروابط الإحالية في الفصل الثالث ، وبيئت دورها في إحداث الاتساق والانسجام في النصوص التطبيقية المختارة ، وأهم هذه الروابط التكرار، والضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، و(أل) التعريف ، ولم أشير إلى الإحالة على أساس أنها رابط لغوي ، لأنها تنصهر مع الروابط التي مثلت لها ، كون أن هذه الروابط تؤدي أساساً دورها الإحالي في النص . وفي الفصل الرابع قمتُ بالكشف فيه عن الروابط غير الإحالية ، التي تتميز بالتنوع والتعدد ، لذا فقد حاولت حصرها في أدوات الشرط وجوابه ، وأدوات القسم ، وأدوات النفي ، وأدوات النداء ، وأدوات الاستفهام ، وأدوات العطف .

وختيم البحث بخاتمة ، وضعتُ فيها مجمل النتائج التي وصلت إليها والتي وردت إجابات عن العناصر الإشكالية التي ذكرتها في المقدمة .

لقد اقتضت مني طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الوصفي ، والمنهج الإحصائي :

- المنهج الوصفي : جاء اعتمادي على هذا المنهج لأنني أشرتُ إلى جهود الدرس اللغوي العربي

وأهم النتائج العلمية المتوصل إليها ، ثم ما جاء أيضاً في الدرس اللغوي الغربي في لسانيات النص ، إضافة إلى وصف طبيعة وأنواع الروابط التي تجعل النص متسقاً ومنسجماً ومن المناهج التي اعتمدت عليها المنهج الإحصائي وذلك أثناء رسدي للروابط الإحالية وغير الإحالية ، أحصيتُ هذه الروابط في المدونات ، فاتضح لي طبيعة أنواع هاته الروابط في نماذج التطبيق ، كما اتضح لي نسبة كثافتها في النصوص والفرق بين ورودها في القرآن ثم في الحديث ثم في الشعر ثم في المقالة ، يضاف إلى ذلك المنهج التاريخي من خلال التطبيق على المدونات التي وقع عليها اختياري بدءاً من العصر الجاهلي ثم صدر الإسلام فالعصر العباسي ثم العصر الحديث إضافة إلى المنهج المقارن من خلال مقارنتي للروابط النصية في نماذج النصوص التي اخترتها .

والحقيقة أنني لا أريد أن أقول أن هناك ما عاق طريقي أو اعترض سبيلي في البحث فقد كان لسان الحال يلهج في كل حين لأستسهل الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر ، غير أن الشائبة لا بد أن تكدر الصفو ومن ذلك:

1- لم أجد صعوبة في التطبيق على القرآن الكريم والشعر العربي لتوفر المصادر والمراجع فيهما غير أنني

وقفت على قلتها في تناول لغة الحديث النبوي ، ولغة من المقامة ، وتطبيق مناهج اللسانيات الحديثة عليهما .

2- شكّل لي مراعاة السياق في آيات سورة القصص ، وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفي

آيات القصائد المختارة وفي من المقامة مشكلة خاصة ، فكثيرا ما اضطررتي السياق إلى العودة إلى كتب التفسير وشرح الأحاديث والدواوين ثم محاولة الربط بين الجوانب الشكلية ، والجوانب الدلالية ، في كل نص والكشف عن مظاهر الاتساق والانسجام فيها.

وأما بالنسبة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي فهي كثيرة ، وسأذكر بعضها منها على سبيل التمثيل لا الحصر ، منها: الكتاب لسبويه، المقتضب للمبرد، الخصائص لابن جني، ومغني اللبيب لابن هشام، كما استفدت كثيراً من كتب البلاغة مثل دلائل الإعجاز للجرجاني ، البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ، ومن الدراسات الحديثة: اللغة العربية معناها ومبناها ، والخلاصة النحوية للدكتور تمام حسّان ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطّابي ، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لصبحي إبراهيم الفقي، نسيج النص للأزهر الزناد ، بالإضافة إلى بعض المؤلفات المترجمة ، منها: تحليل الخطاب لبراون جيليان ويول جورج ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات لتون فاندايك.

وفي مقام الحمد والشكر أقول :

لله الحمد والمنّة في الأولى والآخرة ، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، ثم جزيل الشكر وعظيم التقدير موصولان إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة **نيس سعاد** ، لما أسدتها من نصائح قيّمة ، وتوجيهات بانية عطية والشكر موصول للأستاذ الفاضل الدكتور **بن جلول مختار** ، في توجيهنا ، والحرص على تكويننا ، وإلى الأساتذة المناقشين الأفاضل ، لما سببوا من جهد في قراءة الرسالة وتقييمها وتقومها ، ولا يسعني وأنا أوشك أن أضع قلبي ، إلا أن أقول أن هذه الدراسة إن لم تبلغ المستوى المرجو منها فاعتذاري يعلمه الله وهو أعلم العالمين ، أنني لم أَلْ جهداً في أن أقدم بحثاً أزعج فيه خدمة كتاب الله عز وجلّ وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وشعرنا العربي وذاك جهد المقلّ واعتراف العاجز ، وإن أصبْتُ فالحمد لله وحده لا شريك له .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اطالب: هليل عبد القارر .

عين الذهب تيارت / البيض .

16 ديسمبر 2022 م .

مدخل

البحث اللساني من إطار الجملة إلى إطار النص
قراءة في رواعي التحول

إنَّ الغاية من دراسة النحو هي فهم تحليل بناء الجملة تحليلاً لغوياً يكشف عن أجزائها، ويوضح عناصر تركيبها وترابط هذه العناصر بعضها مع البعض الآخر، بحيث تؤدي معنى مفيداً، ويبين علائق هذا البناء ووسائل الربط بينها، والعلامات اللغوية الخاصة بكل وسيلة من هذه الوسائل¹.

يفهم من هذا أن الباحث النحوي يقف أمام الجملة فيصفها، ويشرح الطريقة التي بُنيت عليها، كما يوضح طبيعة العلاقات بين عناصر هذا البناء، وتحديد طبيعة كل عنصر، ثم يعين النموذج التركيبي الذي ينتمي إليه كل نوع من أنواع الجمل، وقد يتعدى بأن يجعل هذا النموذج التركيبي معياراً لنموذج لغوي مختلف، بحيث يصل إلى المستوى الذي يفرض فيه قواعده، وهذه الجملة التي يدرسها النحوي، ويجدد خصائصها لا يسوغها هو بنفسه ولا يفرضها في دراسته، وإنما يأخذها كما سمعها من غيره، وفي فترة زمنية محددة، ويضع القواعد مستخلصة مما سمعه، إن كان يدرس لغة معاصرة، أو مما قرأه إن كان يدرس لغة مكتوبة، وهذه الصرامة في البحث، لا تنفي اجتهاد الباحث في النحو أو تلغي اجتهاده فهو من حقه أن يبتكر من الوسائل ما يراه موعيناً له في دراسته للجملة بوصفها نسيجاً متشابكاً. ذات علاقات محكمة يحتاج إلى تحليل أجزائه من أجل فهم بنائه يقول ابن جني: "إنَّ للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس، ما لم يُلَوِّ بنص أو ينتهك حرمة شرع"² ويقول أيضاً في النحو: "وإنما هو علم مُنتزَع من استقراء هذه اللغة. فكلُّ من فُرِقَ له عن علَّةٍ صحيحةٍ وطريق تَهَجَّةٍ كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره"³.

لقد ارتبطت دراسة الجملة في النحو العربي، بمجال محدد وبفترة زمنية معينة، سُميت بعصر الاحتجاج وقد وضع النحاة العرب، وجامعوا اللغة شروطاً لهذه الفترة الزمنية، وهي تحديد القبائل التي يأخذون عنها، ومردِّ هذا التحديد الذي فرضوه على الزمان والمكان، هو الخشية على لغة القرآن الكريم، أن تبتعد اللغة المقعد لها عن لغته⁴.

1- الكلام والجملة في النظرية النحوية العربية القديمة :

أ- الكلام:

تعاقب على الدرس النحوي مجموعة من الأشكال المنهجية، والاصطلاحية، من بينها الإشكال المتعلق بمفهوم مُصطلح الجملة وازدوجه مع مُصطلح الكلام، وقد بقي هذا الإشكال معروضاً في مُدونات الدرس النحوي سواء عند القدماء أو حتى في الدراسات المعاصرة⁵.

¹ ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م، ص: 19.

² ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج 1، ص: 189.

³ المصدر نفسه، ص: 190.189.

⁴ ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1996م، ص: 59.

⁵ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص: 259.

لم يظهر مُصطلحُ الجملة على شهرته مع الدِّراسات النَّحوية التي عاصرت كتابه سيبويه، خاصّة وأنّ هذا الأثر من سيبويه يعكس جانبا من التُّضح النَّحوي في هذه الفترة. والملاحظ أنّ سيبويه لم يستعمل في كتابه مُصطلح الجملة بمعناها الاصطلاحي النَّحوي، وإنما وردت بالمعنى اللُّغوي، يقول في كتابه: " وليس شيء يضطرُّون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجهاً. وما يجوزُ في الشَّعر أكثر من أن أذكره لك ها هنا، لأنّ هذا موضع جُمْل" ¹.

فسيبويه يستخدم هنا (الكلام) حين يُريد الحديث عن (الجملة)، في مواضع كثيرة من كتابه، كحديثه عن زُكني الجملة بالمسندِ والمسندِ إليه يقول: " هذا باب المسندِ والمسندِ إليه، وهما ما لا يَغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجِد المتكلمُ منه بُدّاً. فمن ذلك الاسمُ المبتدأُ والمبنيُّ عليه، وهو قولك عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بُدَّ للفعل من الاسم " ²، وفي هذا التَّفصيل دليلٌ على أنّ سيبويه استخدم مُصطلح الكلام للدِّلالة على مفهوم الجملة، ولكنّه لم يُقصر هذا المصطلح (الكلام) في دائرة هذا المفهوم (الجملة)، بل تعدّاه نحو دلالاتٍ اصطلاحيةٍ متعدّدة، قد تشترك بمعنى جامع، وهو ما كان منه ذا فائدة ³.

إنّ استعمال سيبويه مُصطلح الكلام للدِّلالة على مفهوم الجملة، لا يعني غياب الجملة مُصطلحاً عنده ولا يعني انعدام المفهوم، أي أنّ سيبويه أشار إلى المفهوم ولم يذكر المصطلح " وعلى أيّة حالٍ لم يستعمل سيبويه مُصطلح الجملة وكان يستعمل مُصطلح الكلام إلاّ أنّه - فيما اعتقد - بذر البذرة الأولى لدخول اللفظ في الجهاز الإصطلاحي النَّحوي، وذلك عندما استعمل لفظي (جملة وجملة) استعمالاً لغويًا.. وحدث أنّ تمّ استعارة اللفظة ليُصطلح بها على وقْف معناها اللُّغوي الدّال على الإجمال المقابل للتَّفصيل، والجمع الضّام للأفراد، كما يظهر من استعمال سيبويه لها ⁴، وأمّا ما ورد عنده مُرادفاً لمصطلح الجملة، استعماله لمصطلح الكلامين، وهو مشعّر بدلالة الجُمْلتين، فقد وُصف بها الجُمْلتين (لقيت زيدا وعمرو كلمته) بقوله: " فإذا جاز أن يكون في المبتدأ بهذه المنزلة جاز أن يكون بين الكلامين " ⁵.

ينطلق سيبويه في تصنيف أضرب الكلام من الصِّحة، والصدّق، مع مُراعاة قوانين النَّحو، وتطابق البنية التَّركيبية مع البنية الدِّلالية في باب أسماء (باب الاستقامة من الكلام والإحالة)، إذ قسّم فيه الكلام إلى خمسة أضربٍ وهي: المُستقيم الحسن، المُستقيم الكذب، المُستقيم القبيح، المُحال، المُحال الكذب.

لقد شغل الاهتمام بالجملة، حيّزاً واسعاً في الدِّراسات اللُّغوية، وقد اتخذها علماء النَّحو وُحدة الدِّرس النَّحوي و درسوها تحت أبوابٍ إعرابيةٍ، ونحويةٍ، ودلاليةٍ، في حين اعتبرها اللِّسانيون البنيويون الوُصفيون، أكبر

¹ - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988م، ج1 ص: 32.

² - المصدر نفسه، ص: 23.

³ - ينظر: حسن عبد الغني جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص: 28.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 26.

⁵ - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج1، ص: 90.

وحدة لسانية قابلة للوصف اللساني، والملاحظ أنهم عدّوا لها تعريفات كثيرة، ومن أهمّها "أقل قدر من الكلام يُفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواءً تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"¹، ونقف من خلال هذا التعريف على أنّ الجملة وحدة لغوية أقل من الكلام، غرضها إفادة السامع معنى من المعاني، يوجد فيها ويميّزها عن غيرها من الجمل الأخرى، وهنا تُطرح مسألة الفرق بين الجملة (la phrase)، وبين الكلام (la parole) لأنّ التعريف السابق يكشف عن جوانب تتعلق بالجملة والكلام وهي:

- أنّ الجملة جزء من الكلام .
- أنّ الكلام أشمل من الجملة بما أنها جزء منه .
- أنّه قد استعمل في الدلالة على مفهوم (الجملة النحوية) مُصطلحان هما الكلام والجملة .
- إنّ فكرة الاهتمام بالمعنى الذي يحمله التركيب، أصيلة في التراث النحوي، بحيث نجد أنّ سيوييه قد انطلق في دراسة الكلام من الوجهة الوظيفية، والبنوية، مصنفاً أضرب الكلام من الصّحة والصدّق، مع مراعاة قوانين النحو وتطابق البنية التركيبية مع البنية الدلالية، ومتخذاً معيار الإفادة أساساً في اعتماد الكلام، أو عدم اعتماده في باب أسماء (باب الاستقامة من الكلام والإحالة)²، وهنا نجد تناولاً مهمّاً لقضية العلاقة بين صّحة التركيب نحويّاً ومدى استقامته لأداء المعنى³. وقد جعل سيوييه الكلام المستقيم ثلاثة أقسام وهو:
- المستقيم الحسن، وهو الذي يكون مُستقيماً من الناحية النحوية، وحسناً من الناحية الدلالية.
- المستقيم الكذب، وفيه تتحقّق الاستقامة في اللفظ فقط، دون المعنى، فالمحتكم إليه في تقويم التراكيب الموصوفة بالكذب، هو المعنى الدلالي، لا النحوي .
- المستقيم القبيح، وهو أنّ يوضع اللفظ في غير موضعه، وقد جعل سيوييه الكلام المحالّ قسمين هما:
- المحال، وهو ما عرفه سيوييه بقوله: أنّ تنقض أوّل كلامك بأخره.
- المحال الكذب، والمحال وهما متعلّقان بالمعنى، فالمحال له غلقة بالتناقض، والكذب يُوجب ذكر الشّيء على خلاف ما هو عليه مع الإمكان أنّ يكون تركيباً مُوافقاً على القياس⁴.
- والملاحظ أنّ سيوييه حين تقسيمه (الكلام)، (الجملة) قد راعى المستويين:
- المستوى النحوي الساكن، والمقصود به المستوى البنوي الشّكل والذي يعتمد على الارتباطات النحوية بين الكلمات، كإسناد الخبر إلى المبتدأ، وإسناد الفعل إلى الفاعل، أو نائب الفاعل.
- وأمّا المستوى الثّاني، فهو المستوى الإبلاغي، والمقصود به المستوى الوظيفي، الخطاب الإعلامي الإخباري المتغيّر القائم على ارتباط معنى الكلام، بالحالة التي تُقام فيه، أو السّياق الكلامي الفعلي الذي تدخل

¹ - إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص: 261.260.

² - سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج1، ص: 25 .

³ - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، مصر، ص: 108.

⁴ - زكرياء سليمان، نص الاستقامة من الكلام والإحالة لسيوييه وتطبيقاته لدى البلاغيين، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث

العلمي، البلدة، الجزائر. العدد 48، ص: 59. <http://jilrc.com>. بتاريخ: 2022/07/16م .

فيه الجملة "فما وافق المستويين معاً ، عدّه كلاماً (جملة) مستقيماً حسناً ، فالجملة المستقيمة الحسنة ، هي تلك التي يتمُّ التوافقُ فيها بين المعاني النفسية المرادُ التعبير عنها ، وطريقة الأداء اللغوي ، ممثلاً في مراعاة البنية النحوية السّاكنة ، وما نعدم فيه أحد المستويين المذكورين ، صنّفه إمّا ضمن دائرة الكلام (الجملة) القبيح ، وإمّا ضمن دائرة الكلام (الجملة) الخال الفاسد"¹.

ب- الجملة:

إنَّ البحث في مفهوم الجملة عند النحويين العرب ، يجعلنا نقاداً بالضرورة إلى الوقوف على مفهوم الكلام عندهم وذلك بسبب التداخل بين المصطلحين (الجملة) ، (الكلام) واللذان يكادان يردان متلازمين في كثيرٍ من كتبهم ومصنّفاتهم النحوية القديمة.

وقبل التفصيل في ورود مُصطلح الجملة عند النحويين القدامى لابدّ من الإشارة إلى ملاحظة بالغة الأهمية وهي أنّ النحاة العرب القدامى في كثيرٍ من أحاديثهم التي يعرضون فيها (الجملة) ، نجد أنّ هذا العرض ليس هو المقصود من حديثهم مباشرةً، وإنما استجلب ذكر (الجملة) موضوعاً آخر ، كأن يضطرّهم البحث مثلاً في الخبر المفرد ، إلى البحث في الجملة التي تُؤدّي وظيفة الخبر ، أو كالبحث في النعت ، أو الحال المفرد ، إلى البحث في الجملة المؤدّية وظيفتهما ، وغير ذلك بما يمكن للجملة أن تحلّ محله².

وفي هذا السياق لابدّ من الإشارة إلى قول اللسانيّ عبد الرحمن حاج صالح في معرض حديثه عن غياب مُصطلح (الجملة) في كتاب سيبويه مُستغرباً غياب هذا المصطلح المهمّ يقول: " فهذا أمر غريب آخر، فلا يُوجد أيُّ أثرٍ لكلمة (الجملة) في كتاب سيبويه ، وكذلك العبارة (جملة مفيدة) أثر لها في الكتاب ، ولا نعثر على كلمة (جملة) بعد سيبويه ، إلّا في كتاب المبرّد (المقتضب) ، ونرجّح أنّ شيخه المازني (ت249هـ) هو الذي وضع المصطلح فإنه أوّل نحوي يستعمل كلمة فائدة ، بمعنى العلم المستفاد من الكلام ، وهذا المفهوم يعبر عنه سيبويه بكلمة (علم)"³.

المقصود ممّا قاله الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح أنّ سيبويه لم يذكر في كتابه مُصطلح الجملة ولم يُشر إلى تعريفٍ خاصٍ بها ، ولكن هذا لا يعني غياب المفهوم في ذهنه ، فسبويه حينما يُريد أن يتحدّث عن (الجملة) يُسمّيها (كلاماً) على الرّغم من أنّ ذكره (للكلام) في كتابه ورد بمعانٍ مختلفة ومتعدّدة، منها الأمثلة التي ساقها في معرض حديثه عن المفعول وكذلك فيما يعملُ فيه الفعل فينتصب⁴. كما أنّ مُصطلح (الجملة) لم يخلُ من كتاب سيبويه ولكنه كان خالياً من دلالاته على المفهوم الاصطلاحي ، لأنّ سيبويه استعمل مُصطلح الجملة استعمالاً

¹ - رابح بومعزة ، تصنيف لصور الجملة والوحدة الاسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها في المرحلة الثانوية من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، 2004/2005م ص: 14.

² - مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1986م ص : 32.33.

³ - عبد الرحمن حاج صالح ، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة الميزر الجزائر العدد 2. 1993. م ، ص 8.

⁴ - ينظر: سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب، ج1، ص:43.44.

لغويا وقصد به "النشئ الجامع لأفراده الضام لهم، وكذلك استعملها في معنى الاجمال المقابل للتفصيل فكأنه ضمّ الفروع أو التفصيلات في أصول جامعة لها"¹.

وفي هذا يقول سيبويه: " فكلُّ اسم يُسمَّى بشيءٍ من الفعل ليست في أوّله زيادة وله مثال في الأسماء انصرف، فإن سمّيته باسم في أوّله زيادة وأشبه الأفعال لم يتصرّف فهذه جملة هذا كلّّه"². وقد ورد هذا المعنى للجملة في المعاجم العربيّة³، وذلك "لأنّ بعض علماء المعاجم ربطوا بين الجملة والكلام، ولكن ذلك على طريقتهم في عدم الإشارة إلى المعنى الاصطلاحي الذي انتقل إلى الكلمة وتضمّنته، فنقلوا عن الليث قوله: الجملة جماعة كلّ شيء بكماله من الحساب، وغيره يقال أجملت له الحساب والكلام، وقال الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمَلَةً وَجِدَّةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ (الفرقان الآية 32)"⁴.

لم يرد مصطلح (الجملة) بالمفهوم المتعارف عليه عند النحاة والذي شاع فيما بعد، إلا عند المبرد (ت285هـ) في كتابه (المقتضب) وفي هذا يقول: " وأما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها الشكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب"⁵ فالمبرد في حديثه عن الجملة يستخدم الفائدة أي (الجملة المفيدة) والتي ارتسم حدّها في النحو العربي بأنّها مرّكب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، سواءً حقّق هذا الاسناد فائدة كقولنا: (زيد قائم)، أو لم تحقّق ذلك كقولنا: (إن يكرمني) فإنّ الجملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابها فتكون أعمّ من الكلام مطلقاً.⁶

والملاحظ أنّ النحاة لم يفصلوا بين مصطلح (الكلام) ، و(الجملة) لأنّ هذين المصطلحين تردّداً معاً عند النحاة فهناك من سوّى بينهما على أنّهما مترادفين، وهناك من فرّق بينهما مبيناً أوجه الاختلاف بينهما، يقول محمد حماسة عبد اللطيف: " غير أنّ هذا المصطلح (الجملة) لم يتغلّب على مصطلح (الكلام) فيما بعد، وتردّد المصطلحان معاً، يُسوّى بينهما بعض النحاة، ويُفرّق بينهما آخرون"⁷. وهنا يجب أن نتساءل، هل كان ورود المصطلحين عند نحائنا بدلالة واحدة، أم أنّهما مختلفان؟.

إنّ الإجابة عن هذا التساؤل تبيّن أنّ النحاة العرب انقسموا فريقين، الأوّل اعتبر المصطلحين مترادفين والثاني فرّق بين مفهومي هذين المصطلحين.

¹ - حسن عبد الغني جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سيبويه، ط1، ص: 28.

² - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج3، ص: 208.

³ - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: محمود محمد الطناحي، راجعه عبد السلام محمد هارون، 1993م، ج28، مادة (ج.م.ل) ص: 238.

⁴ - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 22.

⁵ - المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، ط3، 1994م، ج1، ص: 146.

⁶ - محمد علي التهنواوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دروج، مكتبة لبنان، ط1، 1996م، ص: 576.577.

⁷ - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 23.

2- الفريق الأول:

أ- الَّذِينَ قَالُوا بترادفِ الْمُصْطَلِحِينَ: يذهبون إلى أن الجملة والكلام مترادفان ، وأصحاب هذا

الرأي منهم نحاة قدامى ونحاة متأخرون ، فمن القدامى :

المبرّد: (ت285هـ) عَرَضَ المبرّد للمكونين الأساسيين للجملة ، المسند والمسند إليه بقوله: "وهما ما لا يستغني كلُّ واحدٍ عن صاحبه ، فمن ذلك قام زيدٌ، والابتداء وخيره ، وما دخل عليه نحو (كان) و(إن) وأفعال الشك والعلم والمجازاة فالابتداء نحو قولك: زيد ، فإذا ذكرته فإثماً تذكره للسامع ، ليتوقّع ما تُخبره به عنه فإذا قلت: (منطلق) ، أو ما أشبهه صحَّ معنى الكلام، وكانت الفائدة للسامع في الخبر... فصحَّ الكلام، لأنَّ اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيّد شيئاً ، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام".¹

إنَّ هذا النصَّ يَسْتَوْفِنَا لِأَنَّنا نجد أنَّ المبرّد قد رَدَّدَ مُصْطَلِحَ (الكلام) ثلاثَ مرَّاتٍ قاصداً من هذا اللفظ (الجملة) والتي يُشترط فيها الاسناد ، والإفادة، ومن خلال مُرَكِّبِهَا الفِعل والفاعل ، أو المبتدأ والخبر ، هذا الأخير الذي أشار إليه المبرّد بقوله : إنَّ المبتدأ مع خبره يكونان جملة².

أبو علي الفارسي (377هـ): لقد وحّد أبو علي الفارسي بين (الكلام) ، و(الجملة) ورأى أنّهما مترادفان من خلال الأمثلة التي قدّمها في كتابه (الإيضاح العضدي) ، وفي هذا يقول: "فالاسم يأتلف مع الاسم ، فيكون كلاماً مفيداً كقولنا: عمرو أخوك، وبشر صاحبك، و يأتلف الفعل مع الاسم فيكون كذلك كقولنا: كتب عبد الله وسرّ بكرٌ ، ويدخل الحرف على كلِّ واحدٍ من الجملتين فيكون كلاماً كقولنا: إنَّ عمراً أخوك ، وما بشر صاحبك وهل كتب عبد الله".³

ابن جني (392هـ): نجد أنّ ابن جني قد سَوَّى بين المصطلحين (الكلام) و(الجملة) حيث يقول: "أمّا الكلام فكلُّ لفظٍ مُستقلٍّ بنفسه، مُفيدٌ لمعناه ، وهو الذي يسمّيه النحويون الجُمْل نحو: زيدٌ أخوك، وقام محمدٌ، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه ، ومه ، ورؤيد، وأفٍ... فكلُّ لفظٍ استقلَّ بنفسه ، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام".⁴

إنَّ ما يلفت الانتباه في هذا النص ، قول ابن جني عن الكلام "جنيت منه ثمرة" وأراد به الكلام المفيد الذي يدلُّ على معنى يحسنُّ السُّكوت عليه.⁵ وهذا يدلُّ على أنّ ابن جني قد وحّد بين المصطلحين ، ونجده قد أكّد رأيه في موضعٍ آخر في كتابه (اللمع في العربية) يقول: " وأمّا الجملة فهي كلُّ كلامٍ مفيدٍ مستقلٍّ بنفسه"⁶.

¹ المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتضب، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة، ط3، ج4، ص: 126.

² المصدر نفسه ، ص : 78.

³ أبو علي الفارسي ، الإيضاح العضدي ، تحقيق: حسن شاذلي فهدود ، ط1، 1969م ، ج1، ص: 09.

⁴ ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج1 ، ص: 17.

⁵ ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ج2، ص: 419.

⁶ ابن جني أبو الفتح عثمان ، اللمع في العربية، تحقيق: سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي للنشر، عمان ، 1988م ، ص: 30.

فالكلام عنده وُضِعَ للفائدة والفائدة لا تُجنى من الكلمة الواحدة، وإنما تُجنى من الجُمْلِ ومدارج القول¹. فالحدّان اللذان حدّدهما ابن جني (الجملة) و(الكلام) بيّتان أنه قد سوّى صراحةً بين الكلام والجملة، فهما مُتساويان عنده يقول: "ومّا يؤنسك بأنّ الكلام إنّما هو للجُمْلِ التّوام"².

ومنّ الذين ساروا على الرّأي الذي ساوى بين الجملة و الكلام، إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) والذي يقول: "اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يُسمّى كلمةً، إذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيدٌ، سمي كلاماً وسمي جملةً"³. الملاحظ أنّ الجرجاني قد اعتبر (الجملة) هي (الكلام) وانتهى إلى أنّ لا فرق بينهما وكلاهما يُطلق على التّركيب الاسنادي المفيد فائدةً تامّةً يحسن الشُّكوت عليها لأنّها بناءً مكتملٌ الدّلالة"⁴.

ونجد الرّمحشري (538هـ) منّ الذين ففوا على آثار المبرّد والفارسي وابن جني والجرجاني، فقد انتهى إلى عدم التّفريق بين الجملة و الكلام، وفي هذا يقول: "والكلام هو المركّب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتّى إلّا في اسمين كقولك: زيدٌ أخوك وبشرٌ صاحبك، أو في فعلٍ واسمٍ نحو قولك: ضرب زيدٌ وانطلق بكرٌ، وتُسمّى جملةً"⁵. ويُفهم من هذا أنّ الكلام والجملة متماثلان يؤدّيان معنى مستقل يحسن الشُّكوت عليه وبه تتحقّق الفائدة.

وعلى الطّريق نفسه نجد ابن يعيش (643هـ) أتبع النحاة الذين تبنّوا المذهب الموحّد بين الكلام والجملة فهو يقول: "اعلم أنّ الكلام عند التّحويين عبارةٌ عن كلّ لفظٍ مُستقلٍ بنفسه مُفيدٍ لمعناه، ويُسمّى الجملة، نحو زيدٌ أخوك وقام بكرٌ"⁶.

من خلال تفصيل ابن يعيش، يتّضح لنا أنّ كلّاً من الكلام والجملة تركيبٌ اسناديٌّ قائمٌ بنفسه مفيد لمعناه⁷ وهذا الكلام المفيد أو الجملة المفيدة، تأتيان في أقصى صُورها متكونتان من اسمين أو فعلٍ واسم⁸. وأمّا ابن الحاجب (646هـ) فنجده يتبنّى هو أيضاً اتجاه التّرادف بين (الجملة) و(الكلام) فيقول: "الجملة ما وُضِعَ لإفادةٍ نسبيةٍ ويُسمّى كلاماً، ولا يتأتّى إلّا في اسمين أو في فعلٍ واسم"⁹. نجد أنّ ابن الحاجب يعدّ الكلام مرادفاً للجملة وهما يحقّقان الافادة (إفادةً نسبيةً)، أيّ إفادة السّامع بمعنى يحسن الشُّكوت عليه ولا يتحقّق ذلك إلّا بالاسناد بين كلمتين بين اسم واسم أو بين فعل واسم.

¹ - ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، ص: 331.

² - المصدر نفسه، ج1، ص: 27.

³ - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، الجمل، تحقيق: علي حيدر، دمشق، 1972م، ص: 40.

⁴ - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، ص: 55.

⁵ - الرّمحشري أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص: 32.

⁶ - ابن يعيش موفق الدين بن علي، شرح المفصل، تعليق: مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية، ج1، ص: 20.

⁷ - المصدر نفسه، ج8، ص: 59.

⁸ - أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي، شرح اللمع، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ج1، ص: 168.

⁹ - ابن الحاجب جمال الدين أبو عمرو، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1985م، ص: 17.

ونخلص إلى أن أصحاب هذا الاتجاه ، الذين جعلوا من الكلام مُرادفًا للجملة، قد وضعوا شرطين للتسوية بين مدلولي المصطلحين الأول: هو الائتلاف الذي أشار إليه الجرجاني ، أو هو التركيب الذي عبّر عنه الزمخشري وهما يعنيان من الائتلاف والتركيب الاستقلال في المعنى وعدم الاحتياج إلى شيء آخر، وهو ما صرح به ابن جني.

وأما الشرط الثاني: هو تحقيق الفائدة، وهو الشرط الذي قال به ابن جني والجرجاني، ولا تتحقق هذه الفائدة إلا بالاسناد، والذي وجدناه عند الزمخشري ، أو حسن السكوت والذي ذكره المبرد.¹

3- الفريق الثاني :

ب- الذين فرّقوا بين المصطلحين:

يمتثل هذا الاتجاه الرّضى الاسترّابادي (686هـ)، وهو من الذين فرّقوا بين المصطلحين (الجملة) و(الكلام) فهو يقول: " والفرق بين الجملة والكلام ، أن الجملة ما تضمّنت الاسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها، أو لا كجملة التي هي خبر المبتدأ ، وسائر ما ذكر من الجمل فيخرج المصدر، وأسماء الفاعل والمفعول، والصيغة المشبهة والظرف مع ما اسندت إليه، والكلام ما تضمّن الاسناد الأصلي ، وكان مقصوداً لذاته ، فكلّ كلام جملة ولا ينعكس".²

والملاحظ أن الاسترّابادي قد أسّس تعريفه بين الكلام والجملة على أساس وجود القصد أو عدمه في التركيب الاسنادي ، فالجملة ما تضمّنت الاسناد الأصلي بوجود القصد أو عدمه، أمّا الكلام فهو التركيب المتضمّن إسناداً أصلياً مقصوداً لذاته ، يؤدّي معنى مفيد يحسن السكوت عليه.

ومن النّحويين الذين فرّقوا طريق الاسترّابادي في تفريقه بين المصطلحين ابن هشام (761هـ) والذي يرى أن "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ (قام زيد) والمبتدأ وخبره كـ (زيد قائم) وما كان بمنزلة أحدهما نحو: (ضرب اللص) و(أقام زيدان) وبهذا يظهر أنّهما ليسا مترادفين كما يتوهّمه كثير من النّاس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنّه بعد أن فرغ من حدّ الكلام قال: "ويُسمّى جملةً والصّواب أنّها أعمُّ منه ، إذ شرطه الإفادة ، بخلافها ولهذا تسمّعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصّلة، وكلّ ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام"³، من خلال هذا النص نجد أن ابن هشام يذهب إلى أنّ الكلام إنّما هو تركيب إسنادي مفيد، مقصود لذاته يحسن السكوت عليه، أمّا الجملة فيرى أنّها تركيب إسنادي، لا يشترط أن تكون مُستقلةً بنفسها، كما لا يشترط أن تكون مستوفاة للمعنى وهي بهذا المعنى أشمل من الكلام لأنّها تُطلق على ما يُفيد وما لا يُفيد من التراكيب الاسنادية.

¹ - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 24.

² - الاسترّابادي محمد بن الحسن ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1966م، ج1، ص: 18.

³ - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ج2، ص: 419.

وأما السبوطي (911هـ) فقد تبني الرأي الذي قال به ابن هشام في كون الجملة أعم من الكلام لكنه خالفه في جانب من الجوانب وهو أن السبوطي لا يشترط الفائدة في الكلام لأن الكلام عنده يمكن أن يكون مَهْمَلًا ويمكن أن يكون مُسْتَعْمَلًا¹. أي أن الكلام منه المفيد ومنه غير المفيد.

4- صورة الكلام والجملة عند الدارسين العرب المحدثين:

لقد أولى النحاة القدامى اهتماماً كبيراً بالجملة والكلام ، منهم من رأى الترادف بين المصطلحين، ومنهم من ماز بينهما ، وقد خُلفَ من بعدهم خُلف من الدارسين المحدثين ، الذين أبدوا اهتماماً بدراسة الجملة العربية منهم عباس حسن صاحب كتاب (النحو الوافي) ، والذي عرّف الجملة اصطلاحاً ، ورادف بينها وبين الكلام فقال: "الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مُستقل"². وهذا يعني أن عباس حسن قد ساوى بين الكلام والجملة ، و اعتبرهما بناءً متكاملًا مستقلاً له معنى مفيد يُكتفى فيه بالمسند إليه ، أو أن يُضاف إلى زكني الاسناد عناصر لغوية تُسمى المتيمّات أو الفضلات³. ويتقاطع عباس حسن في تعريفه مع الدكتور عبده الراجحي والذي يقول: " الجملة في تعريف النحاة هي الكلام الذي يتركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل"⁴ وأما مهدي المخزومي فإنه قد جعل للجملة حدًا ، واعتبرها صورة لفظية صغرى للكلام المفيد في أيّة لغة من اللغات ، وهي المركب الذي يبيّن المتكلم به أن الصورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاءها في ذهنه ، ثم هي الوسيلة التي يعبر بها المتكلم عما ينشأ في نفسه من أفكار ، وينقلها من ذهنه إلى ذهن السامع⁵.

ونجد ريمون طحان يقترب من تعريف المخزومي للجملة والكلام ، إذ يقول: " الكلام هو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات ، لها معنى مفيد، والجملة هي الصورة اللفظية، أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول، أو الكلام الموضوع للفهم والافهام، وهي تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاءها في ذهن المتكلم الذي يسعى في نقلها حسب قواعد معينة وأساليب شائعة إلى ذهن السامع"⁶.

و بالنسبة للدكتور إبراهيم أنيس فقد اعتبر الجملة أنّها "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه سواءً تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"⁷. لأنه ليس لازماً أن يحتوي لفظ على العناصر المطلوبة كلّها. هذا التعريف يجعل من الجملة متكوّنة من أدنى صور الملفوظ، الذي يؤدي معنى مستقل، ويشكّل فائدة للسامع وهذا يعني أن تكون الجملة "في أقصر صورها ، أو طولها ، تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها

¹ - السبوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر ، مع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 1998م، ج1، ص: 44.

² - حسن عباس ، النحو الوافي ، دار المعارف مصر ، ط3، ج1، ص: 15.

³ - المصدر السابق ، ج2، ص: 05.

⁴ - عبده الراجحي، في التطبيق النحوي والصرفي، دار المعارف الجامعية الاسكندرية ، 1992م، ص: 77.

⁵ - مهدي المخزومي في النحو العربي نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي ، ص: 36.37.

⁶ - ريمون طحان ، الألسنية العربية ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، 1981م ، ج2 ، ص: 44.

⁷ - إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، ص: 262.

المتكلم أو الكاتب ، أو الشاعر ، يرتب بينها ، وينظم ويستخرج لنا هذا النظام ، كلاماً مفهوماً نظماً إليه ، ولا نرى فيه خروجاً عما ألفناه في تجارب سابقة¹. وأمّا إبراهيم السامرائي ، فقد رأى أنّ صيغ الأمر والنهي المعلومة تعتبر جملاً لأنها حققت الإفادة ، وهذه الإفادة تكتسب من الظرف الذي أطلقت فيه ألفاظ الأمر ، والنهي يقول: "إنّ قولنا: اكتب ، واكتب ، واكتبي ، واكتبين ، ولا تلعب ، ولا تلعبا ، ولا تلعبوا ، ولا تلعي ، ولا تلعبن ، جملاً وذلك لأنها مفيدة" ، وشرط الإفادة متوفّر في هذه الألفاظ ، التي تكتسب ذلك من الظرف الذي تُطلق فيه².

ويقتر السامرائي أنّ هذا التركيب (الأمر النهي) ، وهو أسلوب الطلب يفتقر إلى الاسناد فهي ليست جملاً إسنادية يُسند فيها الفعل إلى الفاعل وليس فيها مُسندا إليه³. إذ هي جملاً مفيدة ولكنها غير إسنادية وهذا يعني أنّ السامرائي يؤكّد على أنّ الفائدة تتحقّق في الجمل التي تفتقر إلى الاسناد كما تتحقّق أيضاً في الجمل الاسنادية يقول: "ولن نخرج في بحثنا في مسألة الجملة عن الاسناد ، فالجملة كيف ما كانت اسمية ، أو فعلية قضية اسنادية"⁴. وهذا التّركيز على الاسناد في الجملة ، هو الذي ارتضاه الدكتور خليل عمارة فهو يرى "أنّها الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن الشكوت عليه"⁵. وقد اهتمّ النّحاة بتحديد "الحد الأدنى من الكلمات التي تشكّل شكلاً تركيبياً له معنى ، صفته أنّه يتحقّق بتركيب الكلمات لا بانفرادها"⁶.

ولا يفوتنا في هذا السياق أنّ تشير إلى رأي الدكتور عبد الرحمن حاج صالح ، والذي أشار إلى أنّ الجملة نواة لغوية تدلّ على معنى وتفيد⁷. والملاحظ أنّ عبد الرحمن حاج صالح ، قد اعتمد في اعتباره الجملة نواة لغوية تدلّ على معنى مفيد ، على قول ابن جني في الجملة ، والتي اعتبرها هذا الأخير لفظاً مستقلاً بنفسه مفيداً لمعناه يحسن الشكوت عليه⁸. وهذا يعني أنّ الحاج صالح ، لا يعتدّ بالمعنى ، وذلك لأنّ المعنى لا يحقّق الفائدة إطلاقاً فالكلمة المفردة لها معنى ولكنها تفتقر للفائدة ، بينما تختصّ الجملة بأنّها تحمل معنى ، وقد لا تشكّل فائدة للمخاطبين خاصّة فيما تعلق بالجملة المعلومة بالبديهة.

ويقتر حاج صالح أنّ النّحاة العرب استطاعوا "أنّ يدركوا الفرق بين المعنى والفائدة ، إذ لا بدّ لكلّ كلام من معنى يدلّ عليه ، ولا بدّ أنّ يكون مفيداً في الأصل فقد يكون غير حاملٍ فائدةً للسّامع ، وذلك مثل: النّار محرقة فإن قيل هذا لمن اختر خاصية النّار المحرقة ، فإنّ هذا الكلام ، وإن كان ذا معنى فإنّه لا يأتي بشيء جديد بالنسبة للمخاطب ولهذا أهمية عظيمة جداً لأنّه الأساس الذي بُنيت عليه نظرية الإفادة الحديثة"⁹.

¹ - إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص: 262.

² - إبراهيم السامرائي ، الفعل زمانه وأبنيته ، مطبعة العاني بغداد العراق ، 1966م ، ص: 210.

³ - المرجع نفسه ، ص: 211.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 201.

⁵ - أحمد عمارة خليل ، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ، مكتبة لسان العرب ، جدة ، السعودية ، ط1 ، 1984م ، ص: 178.

⁶ - حسن خميس الملقح ، التفكير العلمي في النحو العربي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط1 ، 2002م ، ص: 134.

⁷ - عبد الرحمن حاج صالح ، الجملة في كتاب سيبويه ، مجمع اللغة العربية ، بحوث الدورة الستين ، 1996م ، ج78 ، ص: 108.

⁸ - ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ج1 ، ص: 17.

⁹ - عبد الرحمن حاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث ، مجلة اللسانيات ، جامعة الجزائر ، 1971م ، المجلد2 ، العدد1 ، ص: 65.

والذي ركز عليه الحاج صالح في نظريته الافادة ، ذكره أيضا الدكتور ميشال زكريا ، الذي عرف الجملة بقوله "تُعرّف الجملة في إطار الألسنية ، كوحدة كلامية مُستقلة ، يُمكن لحظها عبر الشكوت الذي يحدّها"¹ . وأمّا الأستاذ تمام حسان ، فيرى أنّ الجملة هي وحدة الكلام "وأنّ الأصل فيها الافادة ، فإذا لم تتحقّق الفائدة فلا جملة ، وتتحقّق الإفادة بالقرائن حين يُؤمن اللبس"² .

بعد استعراض تعريفات الجملة العربيّة ، يُلاحظ أنّ علماء النحو العربي القدماء والمحدثون ، قد تباينوا في نظرهم لمصطلحي (الكلام) ، و(الجملة) مشترطين شروطاً في الجملة ، وأخرى في الكلام ، كالاسناد ، والفائدة ويمكن أنّ نخلص إلى أنّ النحاة العرب ، يُجمعون على التركيب الاسنادي في الجملة والكلام .

5- الفرق بين الكلام والجملة:

لا يعكس الاختلاف بين مفهوم الجملة والكلام عند النحاة انفراد رأيٍ على حساب آخر ، إذ لم يتغلّب مُصطلح الجملة على مُصطلح الكلام فقد تردّد المصطلحان معاً ، يسوّي بينهما بعض النحاة ، ويفرّق بينهما آخرون ، وهذا الاختلاف بينهم لا يعكس ذلك الترفّ الفكري ، ولا يكون اختلافاً من أجل الاختلاف فقط وإنما يُعتبر من ركائز المنهج الذي درس النحاة اللّغة على وفقه ، لأنّ معرفة الفارق الدقيق بين المصطلحين أدّت إلى وضع الفاصل بين لسانيات الجملة ولسانيات النص ، وقد لاحظنا حرص النحاة على شرط الإفادة الذي ميّزوا فيه بين الكلام والجملة ، هذا الشرط ثابت في المفاهيم النحوية قديماً وحديثاً ، عند العلماء والنحاة وهاهو إبراهيم أنيس يؤكّد ذلك بقوله: "إنّ الجملة هي أقلُّ قدرٍ من الكلام يُفيد السّامع معنى مستقل بنفسه ، سواءً تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"³ ويبدو من خلال القول ، أنّ الاستقلال والافادة هما ركيزة التفريق بين الجملة والكلام ، فالجملة فيها صفة الاسناد ، والإفادة ، والتبعية ، سواءً قصد المتكلم ترتيبها أم لم يقصد أمّا الكلام ففيه صفة الإسناد ، والإفادة ، وصفة الاستقلال ، وقصد المتكلم لتركيبه⁴ .

إنّ هذا التفصيل في تتبّع الفوارق بين الجملة والكلام ، أو في تبيان الترادف بينهما ، يجعلنا نقف على حقيقة أنّ النحاة لم يتجاوزوا الجملة في حديثهم عن الكلام ، وذلك لأنّ مُرتكز تحليلهم هو الجملة التي تتميز بنظام علامات قائم على أحكام تركيبية ، يعتمد فيها النحاة على السّياق في التحليل النحوي⁵ .

ونجد من الأصوات التي تريد أن تقلّص من حجم الفارق بين الكلام والجملة ، وترى أنّ هذا الاختلاف لا يعدو أنّ يكون خلافاً لفظياً منشؤه غياب المصطلح النحوي المناسب لهذا النوع من التركيب ، ولكن إذا ما

¹ - زكريا ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1986م ، ص: 24.

² - تمام حسان ، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو فقه اللغة البلاغة)، عالم الكتب، القاهرة ، مصر، 2000م ، ص: 121.

³ - إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، ص: 260.261.

⁴ - ينظر: موسى بن مصطفى العبيدان، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليينالأوائل ، للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2002م ، ص: 43.42.

⁵ - ينظر: أحمد عفيفي ، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة مصر ، ط1، 2001م ، ص: 67.

رجعنا إلى المواقف المتباينة بين النحاة ، ندرك أنّ لكلِّ مصطلحٍ مفهومه الخاص ، حدّده قيد القصد والإفادة وميّز بينهما.

6- الجملة في المدرسة البنيوية:

تشتملُ نظريّة ديسوسير على مجموعة من المبادئ والاعتبارات العامّة ، استخرجها من مشاهداته وتحليلاته لظاهرة التّخاطب اللّغوي ، وأداته التي هي اللّسان ، وقد رأى أنّه بإمكان اللّغوي أن يصف اللّغة وصفاً أنياً دقيقاً ويستندُ هذا على تحديد المادّة اللّغوية ، التي هي في مظهرها نظامٌ منغلّقٌ لا علاقة له بما هو خارج عنه وهو الأساس الذي قامت عليه البنيوية بأسرها ، فاللّغة عند دي سوسير نظامٌ من الرّموز ، بل إنّها عدّة أنظمة داخلية متشابكة يجمعها نظامٌ كليّ واحد ، يتّسم بالتماسك والوحدة المنطقية ، وهنا يجب التطرّق إلى فكرةٍ مهمّة ذكرها وهي اعتبار اللّغة شكلاً ، وليست جوهرًا ، وهذا لا يعني عنده أن يفصل الشّكل عن المعنى وإنما المقصود تأجيل دور المعنى في التّحليل اللّغوي ، وذلك لإخضاع التّنتائج للتّجريب ، ويتعلّق ذلك بالمستويات الثلاثة الصّوتية والصّرفية ، والنّحوية ، أمّا إذا كان الأمر يتعلّق بالمستوى الدّلالي ، فتختلفُ طريقة البحث باختلاف المداخل إليه. وقد اعتبر دي سوسير أنّ الوحدات اللّغوية لا تتحدّد من خلال مفاهيم قائمة على قواعد فلسفية ، أو اجتماعية أو نفسية ، أو أشياء غير لغوية ، بل ينبغي أن تُحدّد من خلال علاقتها بغيرها من الوحدات الأخرى فالوحدة اللّغوية لا تتحدّد بناءً على جوهرها ، أي أنّ تفسيرها لا يستند إلى المادّة التي يتكوّن منها ، بل من خلال الوظيفة التي تؤديها.¹ وهذا يعني أن ندرس "بنية اللّغة بمعايير موضوعية ، وتتّكئ هذه المعايير على عملية الفصل بينما هو ذو صلةٍ بالظاهرة المدروسة ، وما هو زائد عنها".²

ومن القضايا التي أثارها ، أنّه ميّز بين اللّغة (longue) والكلام (parole) فاللّغة ليست وظيفة الفرد بل هي في حقيقتها نظامٌ اجتماعي أمّا الكلام فهو فعلٌ فرديّ عقليّ مقصودٌ ، والفصل بينهما يعني الفصل بين ما هو اجتماعي ، وما هو فردي ، بين ما هو جوهري ، وما هو ثانوي "فاللّغة ليست وظيفة الفرد ، بل هي نتاج يهضمه بصورةٍ سلبية ، ولا تحتاج إلى تأمّل سابق... أمّا الكلام فعلى العكس من ذلك فعلمٌ فرديّ وهو عقليّ مقصودٌ"³.

والملاحظ أنّ دي سوسير قد عدّ الجملة جزءاً من الكلام ، وقد رأى أنّها نموذج التّركيب الأمثل ، ولكنّها تنتمي إلى الكلام ، وليست إلى اللّغة فهي تعبيرٌ عن القوانين ، والقواعد المفترضة في اللّغة.⁴ وهذا التّصنيف يجعل دي سوسير يعتبر الظواهر الكلامية من الظواهر الثّانوية الخارجة عن موضوع اللّسانيات اقضاءً لها من دائرة

¹ ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ، دار توبار للطباعة، 1997م ، ص: 23.22.

² ميلكا إيفيتش اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م ، ص: 199.

³ فردينان دي سوسور ، علم اللغة العام ، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز ، دار آفاق عربية ، بغداد العراق ، ص: 32. وينظر: شفيقة العلوي محاضرات في

المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2004م ، ص: 15.

⁴ ينظر: فردينان دي سوسور ، علم اللغة العام ، ترجمة يوثيل يوسف عزيز ، ص: 33.

البحث اللغوي، فهو "قد أقصى الكلام من دائرة اهتمام اللسانيين، وأخرجه من منهج دراسته، وركز على اللسان كوضع لا كاستعمال"¹.

ويبدو أن تشبث دي سوسير والبنويون بهذه المفاهيم والمبادئ، التي لم تقوَ على مواجهة الكثير من المسائل والمشاكل التي طرحت على المختصين والمهتمين بالقضايا اللغوية، وذلك لأن اللسان أداة تبليغ، أداة يتحدث بها الانسان، ويتصل بها بالغير، فاللغة استعمال يومي مستمر ومتواصل، بل لا تتحقق إلا ضمن هذا الاستعمال في تفاعل مستمر بين المتكلمين، ودراسة صور هذا الاستعمال يجعلنا نعيد للظواهر الكلامية اعتبارها في الدراسة ويدفعنا إلى تجاوز التقابل السوسوري، الذي أقصى من خلاله الكلام، من دائرة اهتمام اللغويين وذلك لأن طبيعة اللغة التبادلية تثبت أن للظواهر الكلامية دوراً فعالاً في تفسير آليات التبليغ والاتصال اللغوي في المجتمع.²

وأما ما تعلق بالنص فلا نجد عند دي سوسير "إشارة إلى كون النص وحدة نظامية مجردة تابعة لمجال اللغة (linguistique de la langue)، أو كون صورة من صور تجليات الاستعمال تابعة لمجال الكلام (linguistique de la parole)، لكننا نعلم أنه قد نسب إليه اعتبار الجملة تابعة للكلام دون النظام، فإذا كانت الجملة حسب هذا الرأي بعيدة عن النظام، فبديهياً أن يكون النص عنده أبعد³.

إن المفاهيم التي أقرها دي سوسير ضرورية جدا من الناحية المنهجية، لتشخيص الوحدات اللغوية، ووصفها وتحديدتها، وتصنيفها، وبيان طريقة اندراجها في نظامها، إلا أن الباحث لا يمكن أن يتعدى بها هذا المستوى من الدراسة إلى تحليل تركيباتها في مدرج الخطاب⁴.

ويبين الدكتور عبد الرحمن حاج صالح ذلك فيقول: "لم يلتفت دي سوسير، ولا البنويون الذين جاؤوا بعده إلى هذا المظهر الهام، والذي منعهم من ذلك هو اعتقادهم بأن كل ما خرج عن بنية الألفاظ المفردة ونظامها هو راجع إلى الفرد، فالجملة مثلاً بما أنها تركيب لوحدات اللغة، يقوم بها الفرد فليست عندهم لسانية، أي وصفية بل كلامية، أي من حيث الأفعال الفردية، لا من حيث المقدرات اللغوية"⁵.

ونجد أن هذا الرأي الذي قاله دي سوسير، استمر مع بلومفيلد، والذي اعتبر الجملة أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي، وعرفها بأنها شكل لغوي مستقل، لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي، في شكل لغوي أكبر منه وهذا القول يُفضي بالضرورة إلى نفي وجود وحدات لغوية أكبر من الجملة بما في ذلك النص⁶.

¹ - بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، جامعة باجي مختار عنابة، 2005 العدد 14، ص: 63.

² - ينظر: خولة طالب الإبراهيمي مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، ط2، ص: 157.

³ - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001م، ج1، ص: 27.

⁴ - ينظر: بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، جامعة باجي مختار، ص: 64.

⁵ - عبد الرحمان حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، مجلد 2، العدد 1، ص: 53.

⁶ - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، ص: 37.

وهذا يعني أنّ الجملة عند (بلومفيلد) ، هي الحد الأقصى ، الذي ينطلق منه المنشغلون باللسانيات ، فهو يرى أنّ كلّ بنية نحويّة هي قياس ، وأنّ دراسة اللّغة تتمثّل في الكشف عن مجموعة العناصر ، التي يتعاطاها أفراد المجموعة اللّسانية ، مما يؤلّف قياسات تلك اللّغة التي يستعملونها "فالتحو حسب بلومفيلد هو علمٌ تصنيفيٌّ غايته ضبط الصيغ الأساسيّة في اللّغة ، حسب درجة تواترها"¹ .

إنّ القول الذي ذكره بلومفيلد والمتمثّل في أنّ الجملة هي أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي ، يدفعنا إلى البحث عن الوحدات الأصغر من الجملة ، وهي تدخل أيضاً ضمن الوصف النحوي ، كالكلمات والحروف وفي الوقت ذاته نجد أنّ بلومفيلد " وإن نفي وجود مركّب أكبر من الجملة ، فهو ينصُّ صراحة على تكوّن القول (enonce) من جمل ، وعلى أنّ كلّ قولٍ يحلُّ إلى عددٍ صحيحٍ من الجمل"² .

وكلّ جملةٍ تشتمل على شكلٍ صوتيٍّ ، وعلى تفسيرٍ دلاليٍّ ، وقواعد اللّغة هي التي تفصل التوافق بين الصّوت والدّلالة ، في الجملة ولذلك تُسمّى بقواعد الجملة باعتبارها الوحدة الأساسيّة في التحليل اللساني³ . والتي توقّفت عندها اللّسانيات البنيوية ولم تتجاوزها إلى وحدات لغويّة أكبر منها ، ولذلك سمّيت بلسانيات الجملة لذلك فإنّ " مجموعة من اللّسانيين المنتمين إلى المدرسة التوزيعية ذاتها ، تنبّهوا إلى أنّ الاتجاه الشكليّ قاصرٌ على التّفاذ إلى محرّكات الظاهرة اللّغوية في أبعاد أغوارها فنقدوا التّيار التّوزيعي ، وتولّد معهم التّيار التّحويلي ، الذي أثمر التّحو التّوليدي على يد "زاليج.س. هاريس" وخاصة "تشومسكي"⁴ .

7- الجملة في التحو التوليدي التحويلي:

رائد هذا المذهب اللسانيّ الأمريكي تشومسكي ، والذي قاد ثورة علميّة فعليّة نجم عنها بروز نموذج جديدٍ للتّفكير في اللّغة ، وقد رأى أنّ المناهج البنيويّة السّابقة له منذ "سوسير" بالنسبة لأوروبا و"بلومفيلد" بالنسبة لأمريكا مناهجٌ وصفيّةٌ ، بُنيت على مقاييسٍ دقيقةٍ ، من أجل وصف آليات اللّسان وصفاً علمياً دقيقاً محقّقة نتائج مقبولة إذا ما قُورنت بالنحو التّقليدي ، لكنّ "تشومسكي" رأى أنّ هذه المناهج لم تُعطِ أهميّة للتّفسير والتّعليل ، فلم تُفسّر كيفية إدراك الكلام ، وإحداثه ولذلك رأى أنّها فاشلةٌ في دراستها للمستوى التّركيبي الذي اهتمّت فيه بالجزئيات ، ولذلك دعا إلى مناهجٍ جديدةٍ لتحليل المستوى التّركيبي خاصّة⁵ .

لقد أفرز تشومسكي مجموعة من الاشكالات التي يجب أن يعتني بها البنيوي ، وضمنها العناية بالجهاز الدّاخلي الدّهني للمتكلّمين ، ومع هذا التّمودج ظهر زمن التّركيب ، إذ لم يعد الاهتمام فقط بالسّلاسل اللّغويّة السّليمة بل تعدّها إلى ما يمكن أن يُولد ويوجد منها ، إذ ركّز تشومسكي على ما يمكن أن يفعله المتكلّمون باللّغة

¹ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م ، ص : 144.145.

² محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، ص: 37.

³ ينظر: زكريا ميشال ، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان ،ط1، 1992م ، ص: 51.

⁴ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص: 145.

⁵ ينظر: خولة طالب الإبراهيمي مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، ط2، ص: 104.

لا على ما يقولونه ، لأنّ اللّغة في نظره أداة خلق لا متناهٍ ، لذلك فإنّ التّحليل اللّغوي ينبغي أن يكون وصفاً لما تمّ قوله ، ويتّم ذلك عن طريق عمليّات ذهنيّة تدفع الانسان إلى التّكلم بجمليّ جديدةٍ لم تطرّق سمعه من قبل .

لقد أثري تشومسكي ساحة البحث اللساني بمصطلحاتٍ ، ومفاهيمٍ جديدةٍ كالإبداعية (**creativite**) والبنية السّطحية (**structure de surface**) ، والبنية العميقة (**structure profonde**) ، والملكة والانجاز (**competence et performant**) ، وهي مفاهيمٌ كان لها بالغ الأثر في الدّراسات اللسانية فيما بعد¹.

وتشير الدكتورة خولة طالب الابراهيمي ، إلى مفهومين هامّين في نظرية تشومسكي ، فتقول: " ويُفصي بنا هذا إلى الحديث عن مفهومين هامّين في النّظرية التشومسكيّة ، الأوّل مفهوم السّلامة التّحوية شديد الاتّصال بالبنية التّركيبية ، حيث أنّه يشترط في الجملة أن تكون سليمةً من حيث تركيبها التّحوي ، متماشيةً وقياس اللّغة وأما المفهوم الثّاني فهو الاستحسان بأن تكون الجملة مقبولةً من ناحية مناسبتها لمدلولات اللّغة المعيّنة"².

إنّ الموضوع الأساسي للدّراسة اللغويّة عند "تشومسكي" ، هو المعرفة التي يمتلكها أبناء اللّغة ، والتي تمكّنهم من إنتاج الجمل وفهمها ، وهذه المعرفة تُسمّى الفُدرة . أمّا الأداء ، فهو البراعة التي يستعمل فيها الفرد قدرته اللّغوية في الانتاج الفعلي للجمل ، والملاحظ أنّ تشومسكي قد ميّز بين القدرة ، والتي سمّاها بالكفاية اللّغوية (**competence**) ، وبين الأداء الكلامي ، ومصطلح الكفاية اللّغوية يشير إلى قدرة المتكلم المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللّغوية ، وبين المعاني في تناسقٍ وثيقٍ مع قواعد لغته... وهذا يعني أنّها تحدّد بمعرفة الانسان الضّمينة باللّغة ، وقواعدها التي تقود عملية التّكلم بها ، أمّا الأداء الكلامي (**performance**) فهو الاستعمال الآنيّ للّغة ، ضمن سياقٍ معيّنٍ يعود فيه المتكلم للّغة بصورةٍ طبيعيّةٍ إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللّغوية ، كلّما استعمل اللّغة في مختلف ظروف التّكلم³.

لقد ركّز تشومسكي على اعتماد مُستويين في دراسة اللّغة ، وهما البنية السّطحيّة ، وهي البنية الظّاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم ، وبين البنية العميقة ، والتي تعني القواعد التي أوجدت هذا التّتابع ، أو البنى الأساسيّة التي يُمكن تحويلها لتكوّن جمل اللّغة ، وهناك ترابطٌ بين البنية العميقة والبنية السّطحية من خلال بعض العمليات العقليّة ، والتي تتمّ بواسطة علاقاتٍ تحويّليّةٍ في القواعد⁴ ، تعمل على تغيير جانبٍ أو أكثر من البنية التّركيبية العميقة ، لتصل بها إلى البنية السّطحية التي تظهر فيها الجملة⁵ ، والجدير بالذكر أنّ نظرية تشومسكي مرّت بعدّة مراحل بدءاً بمرحلة البنى التّركيبية ثمّ مرحلة النّظرية التّموجية ، والنّموجية الموسّعة ووصولاً

¹ - ينظر: بشير إبرير ، من لسانيات الجملة إلى علم النص ، ص: 67.

² - خولة طالب الإبراهيمي مبادئ في اللسانيات ، ط2، ص: 105.

³ - ينظر: زكريا ميشال ، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، م 1985 ، ص: 33.32.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 163.

⁵ - أحمد حسين حيال ، السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، العراق ، كلية الأداب

قسم اللغة العربية ، 2011م ، ص: 08.

إلى أهم مرحلة ، وهي المرحلة الأخيرة ، والمعروفة بنظرية الربط والعمل أو المبادئ والوسائط¹، ووصول تشومسكي إلى المرحلة الأخيرة ، يعني أنه قد أدخل تعديلاً منهجياً على نظريته ، معلناً ذلك في كتابه (محاضرات في العمل والربط) سنة 1981م ، ثم في كتابه الثاني (معرفة اللغة طبيعتها وأصلها واستخدامها) سنة 1986م، والمقصود بعملية العمل والربط (المبادئ والوسائط) ، "أما قائمة على عدد قليل من المبادئ العامة نوعاً ما. يجب أن يكون كافياً لتحصيل نتائج أنظمة القواعد المعقدة ، والمسهبه الخاصة بكل لغة على حدة"².

ومن المقاربات الجديدة التي تمثل تحولاً جذرياً في مسار النظرية التوليدية ، والتي قدّم فيها تشومسكي برنامجاً لغوياً قائماً بذاته أسماه (برنامج الحد الأدنى للنظرية اللغوية) ، سنة 1993م ، وقد أكد تشومسكي أن هذا البرنامج وُضع لتحديد نوع معين من المقاربة البحثية القائمة على الربط بين الصوت والمعنى ، أي بين تمثيلات النطق وتمثيلات الخصائص المنطقية للكلمات والجملة ، لذلك أوجب على النحو أن يحدّد مستويين من التمثيل في بنية الجملة اللغوية:

- الأولى هي: الصورة الصوتية (phoneticform) ، وهي تربط الجملة بعالم الأصوات.

- والثانية هي: الصورة المنطقية (logicalform) ، وتمثل صلة الوصل بين الجملة وعالم المفاهيم والتصورات³.

إنّ المتتبع لأعمال "تشومسكي" ، ونظرياته في اللغة ، يجده قد سلك طريقاً مغايراً للانسائية البلومفيلديّة هذه الأخيرة التي لم تتجاوز حدود وصف الجملة ، مع إهمالها للمتكلم في البحث اللساني. في حين نجد "تشومسكي" يتخطى هذا الهدف ، ويتجه إلى التفسير وتحليل تركيب البنية اللغوية ، وتحولها من بنية إلى بنية أخرى استناداً إلى حدس المتكلم ، ومعرفته الضمنية بقواعد لغته ، أي أنّ متكلم اللغة حسب تشومسكي هو موضوع الدراسة الألسنية من حيث هو قادرٌ على إنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل.

وهذا الذي يمكننا من القول أنّ "تشومسكي" ، وإن حاول أن يتجاوز وصف الجملة الذي قال به "بلومفيلد" فإنه لم يتجاوز هو الآخر هذه الحدود أيضاً ، وظلّ أسيراً لها ، إذ أنّ اهتمامه ظلّ محصوراً في الجملة سواءً كانت في البنية العميقة ، أو البنية السطحية ، والتي شكّلت إرهاباً لنظريته ، وحجر الزاوية في مقارنته اللسانية ، أو من خلال برنامج (الحد الأدنى للنظرية اللغوية) ، والذي حدّد فيه مستوى التمثيل ، وهي في بنية الجملة اللغوية في صورتها الصوتية ، والمنطقية ، والتي وقف عندها أخيراً.

¹ - ينظر: حمدان رضوان أبو عاصي ، التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية أكتوبر، 2007 م ، المجلد 4، العدد 3، ص: 125.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص : 144.

³ - المرجع نفسه ، ص: 157.158.

8- التحوُّل من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصِّ الضرورة والمسوّغات:

لقد شكّلت المنطلقات النظرية في النظريات اللسانية المختلفة ، قواعد بحثها على الجملة ، واعتبرتها أقصى درجات التركيب ، متغاضيةً في تحليلاتها اللغوية عن النص ، ومُتغافلةً عن الطرائق الاجرائية في الكشف عن الحدود الفاصلة بين الجمل المكوّنة للنص ، والملاحظ أنّ نحاة الجملة قد تمسّكوا بمبدأين وهما "الإصرار على استقلال النحو عن رعاية المواقف العملية ، وإخضاع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة قد كوّننا عقبه كأداء أمام نظريات الصياغة اللغوية"¹.

والحديث عن المسوّغات التي دفعت علماء اللغة التّصيين على أن يتخلّوا عن الجملة في تحليلاتهم ويستبدلوها بالنص كثيرة ، وذلك لأنّ التغيير كان عاماً "في الدرس اللساني وهو أمرٌ ناتجٌ عن الإحساس الطّاعني بالوظيفة الاجتماعية للغة ، وإلى ضرورة وجود الدّور التّواصلية الذي يعده علماء اللسانيات جوهر العمليات الاجتماعية"². هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى ، فإنّ التّماذج التّحوية في اللغويات الحديثة ظلّت في جوهرها نماذج نحويةً تتابعيةً خاصّةً بالجمل ، وقد تعدّى ذلك إلى اللغويات التّفيسية والاجتماعية ، فكان هذا دافعاً إلى تجاوز حدود الجملة إلى ما يعرف (بالبنى الكبرى) يقول عالم النّفس الأمريكي وولتر كينتش: "إنّ مادة دراسة علم النّفس الإدراكي الخاص بعملية الفهم ، يجب أن لا تظلّ هي الجمل المنفصلة بل يجب أن تكون هي النصوص الكاملة"³.

وهذا يعكس لنا مسارات تكوّن لسانيات النصِّ (نحو النصِّ) ، وأنّه لم ينشأ من فراغ ، بل هو امتدادٌ لما يعرف بلسانيات الجملة (نحو الجملة) ، هذا الامتداد شمل الكمّ ، والنوع ، وذلك لأنّ موضوع لسانيات النصِّ هو النصِّ بمفاهيمه المتعدّدة ، وتداخله مع مصطلحاتٍ أخرى ، كالمتن والخطاب. أمّا الموضوع الجوهري لنحو الجملة يتمثّل في الجملة بتعريفاتها الكثيرة ، وتداخلها مع القول ، والكلام ، وهذا الذي أُشير إليه في معرض الحديث عن تداول الجملة والكلام ، في التّراث العربي والنظرية الغربيّة الحديثة .

إنّ الحديث عن لسانيات الجملة ، ولسانيات النصِّ ، يجعلنا ندرك أنّ الحدود قد تتوافق بينهما "إلا أنّه عند التّحليل لا يُتوقّف عند التّحليل التّركيبي للجملة ، فهذا غير كافٍ باتفاقهم جميعاً. وهنا يُبدأ بتجاوز إطار الجملة إذ يبدأ البحث عن عناصر تتعلّق بعناصر غير لغوية حقيقية ، تتصل بمنطقية الجمل ، وصلتها بالموقف التّواصلية أو عملية التواصل بصورةٍ عامّة"⁴ وهذا يعني أنّ التحليل التّركيبي للجملة غير كافٍ .

إذاً لا شكّ أنّ الجملة هي المقولة الأساسيّة في النظرية اللغوية ، غير أنّ الوحدة الأساسيّة للاتّصال ليست الجملة بل النصِّ⁵.

¹ - روبرت دي يوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة حسان تمام ، عالم الكتب القاهرة ، 1998م ، ط1 ، ص: 129.

² - حسام أحمد فرج ، نظرية علم النص ، رؤية منهجية في بناء النص الثري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2007م ، ص: 17.

³ - تيون فان ديك ، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي ، ترجمة: أحمد صديق الواحي ، مجلة فصول ، 2010م ، العدد: 77 ، ص: 23.

⁴ - سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ، ط1 ، 1997م ، ص : 238.

⁵ - المرجع نفسه ، ص: 285.

وهذا يعني وجود نمطين من النحو ، الأول هو نحو الجملة (**sentence grammair**) والثاني وهو نحو النص (**text grammair**) ، وفي هذا يقول سعد مصلوح: " ثُمَّتْ إذن نطان من النحو ، أمّا أولهما فنشير إليه في العنوان بمصطلح نحو الجملة ، وإليه ينتمي النحو العربي بصورته المعروفة ، ونحو الجملة هو طراز من التحليل النحوي ، يقيد معالجته بحدود الجملة ، أو القول المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ، ويرى فيها أكبر وحدة لغوية يطمح إلى تحليلها ، وتقعيدها ، على خلاف بين المدارس اللسانية ، في مفهوم التّقييد نفسه .أهو تصوّر تنظيمي يقترحه الباحث مسقطاً إياه على المادّة اللغويّة ، أمّ هو كشف واستكناه لنظام باطن ومستكنّ بالفعل وراء ظاهرات السلوك اللغوي ؟ ونحو الجملة حين يعتبر قواعدنا منتهى همّه ، ومبلغ علمه ، لا يقرّ للنص بكونه متميزة تُوجب معالجة تركيبية ، معالجة نحوية ، تستجيب لمقتضيات بنيته ، وتكون مؤهّلة لتشخيصها ووصفها ، وبهذا يقع النص خارج مجال الدرس النحوي"¹.

وهذا يعني أنّ التحليل النحوي يركز على عزل الجمل عن سياقها في النص وتتبع عددٍ لانهائي من نماذج الجملة ، والكشف عن القوانين الحاكمة للمكوّنات التركيبية للجمل ، من قبل النحوي ، وأمّا نحو النص فيقول سعد مصلوح أيضاً : "إنّ نحو النص الذي نريد وندعو إليه هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركّبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكوّنات التركيبية داخل الجملة وتشتمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابعٍ تدرجي ، يبدأ من علاقات ما بين الجمل ، ثمّ الفقرة ، ثمّ النص ، أو الخطاب بتمامه"².

لقد ارتكز علم لغة النص على فكرة اعتبار النص هو الموضوع الرئيسي في التحليل ، والوصف اللغوي وفي هذا مخالفة للنحو التحويلي ، والذي اعتبر الجملة هي المقصد في القضية التحويلية ، تتقرّر على مجموعة من الجمل التي يُنتجها النحو ، بناءً على الكفاءة النحوية للجملة ، وقبولها وهذا الذي تمّت الإشارة إليه في النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي ، والذي تجاوز الطرح البلومفيلدي ، في اعتبار الجملة أكبر مركب لغوي يمكن دراسته ووصفه ، إذ ركّز تشومسكي على المتكلم باعتباره صانعاً ومنتجاً للغة ، مُركّزاً على القدرة والأداء الكلامي ومع ذلك فإنّ تشومسكي لم يتجاوز حدود الجملة ، وبذلك بقي الوصف اللغوي ناقصاً بسبب أنّ الجملة قد تحمل معنى ناقص ، ولا يتمّ معناها إلا بإرجاعها إلى الجملة السابقة³. فقد " رأى أصحاب علم اللغة النصي ، من أمثال بتوفي (petofi) وهاريس (harris) وغيرها ، رأوا أنّ الجملة ليست كافية لكلّ مسائل الوصف اللغوي ، إذ لا بدّ من أنّ يتّجه الوصف في الحكم على وحدة الجملة من وضعها في إطار وحدة كبرى هي النص ، وقد غدّ علم لغة النص في رأيهم تطوراً وتوسيعاً لعلم لغة الجملة الذي شغل به البنائيون الأمريكيون ، منذ بلومفيلد ، كما

¹ - سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، كلية التربية الأساسية الكويت ، ص: 406.407.

² - المرجع نفسه ، ص: 407. <http://www.hamassa.com/wp-content/uploads/2016/09/> بتاريخ : 2022/08/18 م.

³ - ينظر: برنر شبلنر ، علم اللغة والدراسات الأدبية ، دراسة الأسلوب البلاغة علم اللغة النصي ، ترجمة: محمود جاد الرب ، ط1 ، 1987م ، ص: 184.

شُغلت به مدرسة تشومسكي في الكفاءة اللغوية التي تُوصف توليدياً في إطار القدرة على توليد الجمل ، وقد استطاع هاريس بمناهجه النصية المبكرة التي اعتمدها في تحليل الخطاب سنة 1952م ، تطوير المناهج البنائية المتبعة في تحليل الجملة .

لقد عُني علم اللغة النصي في دراسته لنحو النص ، بظواهر تركيبية نصية مختلفة ، منها علاقات التماسك النحوي النصي ، وأبنية التطابق ، والتقابل ، والتراكيب المحورية ، والتراكيب التابعة ، والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف والجمل المفسرة ، والتحويل إلى الضمير ، والتنويعات التركيبية ، وتوزيعاتها في نصوص فردية ، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة ، التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية¹.

لقد ارتكز التحليل النصي للغة على النص ، واعتبره الغاية المنشودة ، على الرغم من أن بدايات التحليل اللغوي ارتكزت على الجملة ، وقد تجاوز علماء اللغة النصيين حدود الجملة ، لأن لسانيات الجملة تدرس الجملة بمعزل عن مختلف السياقات التي أنتجتها (لغوية ، مقامية ، إنتاجية) ، وقد استدعى التحليل النصي الشامل ، أن يربط بين الجملة وبقية الجمل السابقة والألاحقة ، التي تشكل بنية النص ، هذا الذي يؤدي إلى الكشف عن دلالة النص المتكون من متواليات جمالية ، فالنص وحدة إجرائية استعمالية إطارها الكلام ، وتنطلق من إنجاز لغوي ، أو قدرة تواصلية ، وهو أيضا "الصيغة المنطوقة أو المكتوبة التي صدرت عن المتكلم ، أو المؤلف في موقف ما ، قاصداً دلالة ما ، وهذه الصيغة قد تكون لفظة ، أو إشارة ، أو جملة ، أو متتاليات من الجمل المترابطة"².

وقد اعتبر محمد عبد اللطيف حماسة في كتابه (النحو والدلالة) ، "أن تجربة النص من أجل دراسته ليست تجزئة يُراد بها تحنيط هذه البقايا المجزأة ، لكن يُراد بها أن نفهم عقلياً حركة الأجزاء والعلاقة فيما بينها" ، لأن النص جسم حي ، ووحدة متلاحمة ، من خلال صورته المنطوقة ، ونظامه النحوي الذي يحكمه .

9- بين نحو الجملة ونحو النص:

إهتم علماء اللغة النصيين بتوضيح أهمية نحو النص ، كونه لا يقتصر على دراسة الجمل ، بل يهدف إلى دراسة الروابط بين الجمل وتتابعها ، ومظاهر اتساقها ، وانسجامها ، وذلك لأن نحو النص ، ونحو الجملة يطرحان قضية أساسية تتعلق بنوعية وجودهما معاً ، والشعرية في هذا السياق علمية منهجية ، تستدعي تناول نحو الجملة ونحو النص ، وتحديد ما يجمع بينهما من جهة ، أو ما يفرق بينهما من جهة أخرى ، حتى يتم ضبط حدود كل من العَلَمين ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الاعتماد على "أكثر الركائز قراراً في تصنيف العلوم ، وذلك بالنظر في أسس كل علم من ناحية الموضوع ، والمنهج ، والغاية"³.

¹ محمد العبد ، اللغة والإبداع الأدبي ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 2007م ، ص: 35.

² عبد العزيز فتح الله عبد الباري ، التماسك النصي في الحديث النبوي الشريف ، جامعة عمر المختار ليبيا ، ص: 04 . من الموقع:

<https://www.alukah.net/sharia/0/8019/> / بتاريخ: 2022/09/25م .

³ الأزهر الزناد ، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 ، 1993م ، ص: 14.15.

أ- نحو الجملة ونحو النص من ناحية الموضوع:

- ترتكز لسانيات الجملة في دراستها على الجملة فما دُوها ، في حين تدرس لسانيات النص (النص) ، وقد حدّد النصيون فوارق بينهما ، وأبرزها ما ذكره ديوجراند ومنها:
- أن النص نظامٌ فعّالٌ ، في حين نجد الجُمْل عناصر من نظامٍ افتراضي.
 - الجملة كيانٌ قواعديٌّ خالصٌ ، يتحدّد على مستوى النحو فحسب . أمّا النصّ فحُقه أن يُعرف تبعاً للمعايير الكاملة النصّية وهي: السبب ، الحُبك ، القصد ، القبول ، السّياق ، التّناس ، الاعلاميّة¹.
 - تكون الجملة قواعديّة ، أو لا تكون البتّة . أمّا النصّ فلا ينطبق عليه معايير النصّية بمثل هذه الحِدّة.
 - يتأثّر النصّ بالأعراف الاجتماعية ، والعوامل النفسيّة ، وبموقف وقوع النصّ ، في حين يضعف تأثّر الجملة بهذه المؤثرات.

- يقوم نحو الجملة بدراسة الجُمْل معزولة عن سياقها ، أو الجُمْلة المصنوعة وهو يؤمن باستقلالية الجُمْلة وهذا ما لا نجد في نحو النصّ ، فهو يدرس العلاقات بين الجُمْل النصّية المستمدّة من علاقة التماسك الذي تتعلّق أجزاءه بعضها ببعض لتكوّن كتلة واحدة².

- تتخذ الجملة شكلها المعيّن وفقاً للنظام الافتراضي ، في حين تتشكّل بنية النصّ بحسب ضوابط المشاركين والمشتغلين على حدّ السواء³.

- يهتمُّ نحو الجملة بالقاعدة ومعياريّتها ، وهي أساس الصّحّة أو الخطأ . أمّا نحو النصّ فهو أبعد ما يكون عنالمعياريّة لأنّه نحو تطبيقي غير نظري ، ولا ينشأ إلّا بعد أن يكتمل النصّ.

- "إنّ النصوص تُشير إلى نصوصٍ أخرى بطريقةٍ تختلف عن اقتضاء الجُمْل لغيرها من الجُمْل الأخرى إذ يعتمد متعلّمو اللّغة في استخدامهم للجُمْل على معرفة القواعد من حيث هي نظام افتراضي عام ، أمّا من أجل استعمال النصوص ، فإنّ النّاس بحاجةٍ إلى معرفةٍ عمليّة بالأحداث الجارية بخصوصها ، وتنطبق هذه الحالة من التّناس على الملخّصات ، ومسوّدات الموضوعات ، والاستطرادات ، والإجابات ومحاكاة النصوص"⁴.

ب- من ناحية المنهج:

- من حيث المنهج ، لا بُدّ من التّمييز بين النّحوين (نحو الجملة) ، و(نحو النصّ) ، ويتعلّق ذلك بالتّصنيف فالجملة تنقسم إلى أنواعها باعتماد معاييرٍ تختلف عن معايير تصنيف النصوص ، فهي كما استقرّ في الأنحاء المختلفة اسميّة ، وفعليّة ، بسيطة ، ومركّبة . ومهما تعدّدت أنواعها ، فإنّ تلك المعايير تبقى لغويّةً صرفةً يستنبطها

¹ - ينظر: روبرت دي يوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ط1 ، ص: 90.89.

² - ينظر: أحمد عفيفي ، نحو النصّ إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ط1 ، ص: 72.

³ - ينظر: المرجع السابق ، ط1 ، ص: 89.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 94.93.

النحو الواصف لها ، من شكلها بصرف النظر عن مدلولها ، أما النص فيتم تقسيمه إلى أنواع وفقاً لمضامينه ، في الأساس وإن اعتبر الشكل في ذلك ، فهو من درجة ثانية من التقسيم ، فالنص يُصنّف إلى أدبي وقانوني ، وسياسي وفلسفي ... باعتماد موضوعه ، وهنا يمكن التمييز بين معايير التصنيف في نحو الجملة ونحو النص ، إذ إن معايير نحو الجملة أكثر قراراً وتجريداً من المعايير المعتمدة في تصنيف النصوص ، وهذا التعدد يعود إلى التداخل بين معايير علوم مختلفة ، تلتقي في موضوع واحد هو (النص) ، وكل واحد منها يرصد فيه شيئاً ، ويُعَيَّب من اهتمامه أشياء أخرى ، وهذا مدخل الضرورة في بناء علم مستقل يتميز عن كل علم آخر هو لسانيات النص¹.

ج- من ناحية الغاية:

يسعى التحويليون إلى وصف النظام الذي يقوم به موضوع درسه. والنظام جملة من العلاقات المحكومة بقواعد تُقيم أشكالاً يُنقاس عليها الكلام ، فيكون صحيحاً مقبولاً ، وصحيحاً غير مقبول ، أو غريباً ، و خاطئاً مقبولاً و خاطئاً غير مقبول ، والصحة تتعلق بالبنية الدالة من حيث مطابقتها للشكل المولد لها ، أو خروجها عنه ... وهذه الصفات تنطبق في مستوى الجملة ، وإذا ما أردنا أن نطبق هذه الصفات على النص ، فإننا سنتعثر في ذلك لأن النص (لسانيات النص) ، لا يخضع لقواعد معيارية ، مثل الجملة ، وهو من هذه الزاوية يفلت من الضبط ، لا لأنه يعسر ضبطه ، وإنما لاختلاف المعايير الضابطة له في التصور القديم عن ضوابط الجملة².

ونجد من الذين أقرّوا ببيان عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة ، فان ديك (T.A vandijk) ، وهذا الاقرار لا يعني رفض نحو الجملة ، أو التشكيك في صحته عندهم ، فقد تحتم على علماء النص إدخال عناصر دلالية ، وتداولية ، إلى الوصف والتحليل اللغويين ، وأدى هذا إلى تغيير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة ، والذي لم يعد كافياً لاستيعاب العناصر السابقة³ ، لأن نحو الجملة يتقيد بحدود جزئية أمّا نحو النص فإن له معنى خاص ، فهو ليس مجموعة من القواعد ، أو القيود الصارمة ، التي تُطبق على النص بل إنه يعني مجموعة من القوانين الاختيارية التي استخلصت من النص ذاته "ومن هنا كان اتجاه نحو النص إلى تحديد المعنى الكلي للنص ، وتحديد مجموعة القوانين الحاكمة لبنية المعنى ، تلك البنية التي تتجاوز الدلالات الجزئية فيه لأن التعامل معه يكون في صورته الكبرى أو البنية الشمولية"⁴.

لابد من الإشارة هنا إلى المفارقة المنطقية التي ميّزت الاتجاهات الإنسانية الحديثة ، حين تمسكت بنحو الجملة واتجهت في الوقت نفسه إلى تقرير دراسة الاستعمال الحي للغة ، ودورها التواصلي ، ووظيفتها الاجتماعية والفهم الحق للظاهرة اللسانية ، يوجب دراسة اللغة دراسة نصية ، وليس اجتزاء الجمل ، والبحث عن نماذجها ، وتعميش دراسة المعنى ، كما ظهر في اللسانيات البلومفيلدية أول أمرها ، ومن ثم كان التمرد على نحو

¹ - ينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، ط1 ، ص: 18.17.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 20.

³ - ينظر: سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ط1 ، ص: 218.

⁴ - أحمد عفيفي ، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ط1 ، ص: 66.

الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمراً مُتوقِعاً ، واتجاهاً أكثر اتِّساقاً مع الطَّبيعة العلميَّة للدرس اللساني الحديث¹ . وكل هذا يبين لنا "أنَّ النَّقْلَةَ من (نحو الجملة) ، إلى (نحو النص) ، ليست مجرد نقلةٍ حجميَّة ، من الجملة إلى النصِّ وإنما أيضاً نقلةٌ في المنهج ، وأدواته ، وإجراءاته ، وأهدافه"² ، وهذا قد أدَّى إلى رسوخ المنهج النصي في اللسانيات وتثبيت دعائمه لأنَّ قِبلة البحث قد تحوَّلت من نحو الجملة ، إلى نحو النصِّ ، وأصبح بالإمكان فهم النصِّ ، ووصفه والكشف عن علاقته ، التي تتحقَّق بها نصيَّة النصِّ ، بما هو حدثٌ تواصلِيٌّ مرَّكَّبٌ ذو بنيةٍ مكثفية بنفسها قادرة على الإفصاح ، والتأثير ، والفعل³ .

و يُمكن إضافة أسبابٍ أخرى دفعت اللغويين إلى توسيع مفهوم النحو ليشمل النصِّ ، بعد أن كان مقصوراً على تحديد الجملة منها:

- أهميَّة البعد عن الشواهد المتكلِّفة في أثناء المعالجة اللغوية ، والحاجة إلى شواهد عفوية مقنعة في الظاهرة اللغوية ، موضوع الدِّراسة تلك الشواهد التي لا تتوفَّر في الجملة الواحدة بل في نصِّ متكاملٍ أُنتج في موقف ما .
- عدم اكتفاء الجملة المفردة بذاتها وحاجتها إلى ما حولها من الجمل ، أي أنَّ بترها عن سياقها لا يعطيها دلالة صادقةً ، ومن ثمَّ يفقدُ التحليل صفة الموضوعيَّة ، لذلك تباينت القراءات الحديثة القائمة على أساس أنَّ النصِّ كلُّ متكاملٍ للنصوص القديمة مثل: (المعلقات) ، عن القراءات القديمة للنصوص نفسها التي نهجت في تحليلها نهج الاهتمام بأجزاء النصِّ وفصلها بعضها عن بعض .
- في الاقتصار على دراسة الجملة تجاهلٌ لنواحٍ دلالية ، وسياقية كثيرة ، ممَّا يؤدِّي إلى التركيز على الجوانب التركيبية البحتة ، ويحوِّل اللغة إلى شكلٍ فارغٍ من أيِّ مضمون ، ما عدا البنية السطحية الظاهرة لها وإذا صلح هذا في دراسة الخطاب اليومي ، فلن يصلح في دراسة اللغة الأدبيَّة .
- انفتاح الدِّراسات اللغوية على مختلف العلوم الانسانية مثل علم الاجتماع ، وعلم النفس والاعلام ممَّا أدَّى إلى الحاجة لدراسة أثر هذه الجوانب في العملية الاتِّصالية .
- عندما نعلم التحليل النصي نجد أنَّ هناك إمكانية عالية لتأويل الأوضاع المختلفة للجملة ، بناءً على السياق الواردة فيه ، على العكس من حالة فصل الجمل عن سياقاتها .
- الحكم على تركيبٍ ما بأنَّه جملةٌ من عدمه ، يكون حسب المقابلات والمقارنات بين الأنماط المعدودة المتفق عليها ، أمَّا النصِّ فيكون الحكم عليه من خلال تحقيقه لوظيفة الاتِّصال ، وإنَّ خالف بعض القواعد النحوية وشدَّ عنها أحياناً ، كما يحدث في الشِّعر ، إذ تبرز فيه ظاهرة الانحراف عمَّا تمَّ الاتِّفاق عليه من النَّاحية التَّقليدية لكنَّه على الرَّغم من ذلك يحقِّق الوظيفة الاتِّصالية بكفاءةٍ عاليةٍ ، أي أنَّ للنصِّ - كما يرى دي بوجراندي - وظيفة براغماتية ، وهدفاً يُراد تحقيقه منه وذلك بعكس الجملة .

¹ - ينظر: سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، كلية التربية الأساسية الكويت ، ص: 413.

² - عبد المجيد جميل ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، ص: 68.

³ - ينظر: سعد مصلوح ، نحو آجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية ، دار المنظومة ، مجلد 10 العدد 2، 2016م ، ص: 153.

- العوامل الاجتماعية والنفسية أوثق علاقةً بالنصوص منها بالجملة¹.

إنَّ الآراء التي تجاوزت نحو الجملة إلى نحو النص، ووصلت إلى مرحلة القطيعة والرفض، لا يمكن تقبلها علمياً وذلك لأنَّ حجَّة الرافضين لنحو الجملة حُصرت في زاوية واحدة، فقد رأوا أنَّ هذا النحو قد استنفذ أغراضه واستهلك نفسه، أو استهلكه أصحابه درساً وتدریساً بعد أن أنضجته أسلافنا حتَّى احترق، وولجنا به نحن إلى نفقٍ مظلمٍ يستحيل معه أن نُضيف إليه جديداً².

والحقيقة أنَّ الفصل بين نحو الجملة، ونحو النص، لا يتناسب مع الواقع الفعلي لكونهما متكاملين، لأنَّ النص مجموعة من الجمل، فكما الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، فالجملة وحدة النص، ويؤكد ذلك "أنَّ توسيع مجال علم اللغة يشمل النصوص، وتوظيفها في الاتصال لا يشككُ مطلقاً في أهمية الوحدات اللغوية المعزولة الفونيمات، والمورفيمات، والليكسيمات، والمركبات الاسمية، والجمل بل على العكس يجب أن تستمرَّ مثل هذه الدراسات وتقوى، إذ ينبغي أن يقوم إمكان توظيفها في أنواع معينة من النصوص وبشروط خاصة... ومن هنا لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين علم اللغة النصي (نحو النص)، وعلم اللغة الجملي (نحو الجملة)، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان، بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر... حيث يُنظر إلى دراسات علم اللغة الجملي (نحو الجملة) على أنها تمهيدٌ ضروري لأبحاث علم اللغة النصي نحو النص"³. فالعلاقة بينهما تكاملية.

وهذه العلاقة التكاملية تجعلنا نقرُّ بأنَّ نحو الجملة ضروريٌّ، كما أنَّ نحو النص أيضاً ضروريٌّ ليحقق أهدافه⁴، وها هو "فان ديك" والذي وجَّه نقده لنحو الجملة على أساس عدم كفايته لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة يعترف بقيمة نحو الجملة، ويقرُّ بصحَّته يقول: "غير أنَّ ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها، أو التشكيك في صحَّتها، بل إنَّ الأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النص، يمكن أن يتحدَّد في أنَّه قد نحتكم بعد إدخال عناصر دلالية، وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين، أن يتغيَّر الإطار الأساسي الذي يضمُّ الجملة، إذ إنَّه لم يعد كافياً لاستيعاب العناصر السابقة"⁵.

وفي إطار هذا التصور نجدُ الدكتور "سعيد بحيري"، يشير إلى التهج الاستكشافي الذي جاء به "فاينرش" والذي حاول فيه إعادته النظر إلى الجملة، وتتابع الجمل، والنص ككلِّ، ويؤكد بحيري أنَّ "فاينرش" لا يرفض مستوى الجملة "بل على العكس من ذلك يؤكد أنَّه نقطة البداية في التحليل، وهذا دليلٌ قويٌّ على أنَّ علماء النص في أغلب تحليلاتهم سواء بدأوا بوحدة كبرى وانتهوا إلى الوحدة الصُّغرى، أو عكس ذلك، فإنهم قد أخذوا

¹ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص: 33.

² ينظر: سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، كلية التربية الأساسية، الكويت، ص: 406.

³ فولفجانج هابنه و ديرفيلفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، 1999م، ص: 8.7.

⁴ ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، ص: 67.

⁵ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، ص: 218.

في الاعتبار الجملة ، ومقولاتها ، وأجزائها ، على الرغم من محاولة بعضهم عدم ذكر ذلك صراحة¹ ، إذن لا يمكن بحالٍ من الأحوال فصل نحو النص ، عن نحو الجملة "لأنَّ الثاني جزءٌ لا يُشكِّل الكلَّ إلاَّ في ظلِّه"² ، وما يؤكِّد عدم فصل نحو النصِّ ، عن نحو الجملة ، هو وجود موادٍ لغويَّةٍ مُشتركة تحمل صفات تجمعهما:

- أنَّ الكثير من الظواهر التي تُعالج في إطار نحو النصِّ كوحدةٍ كبرى كانت محور كثيرٍ من البحوث التحويلية السَّابقة التي اعتبرت الجملة أكبر وحدةٍ في التحليل.

- أنَّ العلاقات الدلالية في نصِّ ما يمكن أن تنشأ في جملةٍ واحدةٍ ، وهذا ما يجعل الجملة والنصَّ

متماثلان ، وقد أشار "دي بوجراند" إلى ذلك ، حين عبَّر عن ضرورة نحو الجملة بقوله: "قواعد بناء الجملة مثلاً لا بدَّ أن تقدِّم لنا الامكانيات الإجرائية التي يُمكن تطبيقها في زمانٍ حقيقيٍّ تحت شروطٍ طبيعيَّة"³.

وفي الأخير نختتم بتعليلٍ "لفان ديك" ، حاول فيه البحث عن وصفٍ يمكنه أن يجمع بين نحو الجملة ونحو النصِّ فيقول: " في كلِّ الأنحاء السَّابقة على نحو النصِّ ، وصفٌ للأبنية اللغويَّة ، ولكنه لم يُعنَّ بالجوانب الدلالية عنايةً كافيةً ، ممَّا جعل علماء النصِّ يرون أنَّ البحث الشكلي للأبنية اللغويَّة ، ما يزال مقتصرًا على وصف الجملة في حين يتَّضح من يومٍ إلى آخر أنَّ جوانب كثيرة لهذه الأبنية ، وبخاصَّة الجوانب الدلالية ، لا يمكن أن تُوصف إلاَّ في إطارٍ أوسع لنحو الخطاب أو نحو النص"⁴.

بعد الإشارة إلى مفهوم الجملة والكلام عند العلماء العرب القدامى والمحدثين ، وكذا عند علماء النصِّ الغربيين اتَّضحت الصُّورة كاملةً بخصوص ضرورة الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصِّ ، أي الانتقال من الوحدات اللغوية الصُّغرى إلى وحداتٍ لغويةٍ كبرى ، وأشير هنا أنَّ ضرورة البحث والالتزام بالمنهجية ، تلزمني أن أشير إلى ثنائيتين هما النصِّ والخطاب ، وذلك بالتَّطرق أولاً إلى مفهوم النصِّ لغةً واصطلاحاً ، وإلى تواتره عند العلماء العرب القدامى ، في الدِّراسات القرآنيَّة والبلاغيَّة والنحويَّة والنقدية والفلسفية ، إضافةً إلى مفهومه في الدِّراسات الغربية الحديثة والعربيَّة الحديثة ، ثم الإشارة إلى صِنوه وأقصده به الخطاب ، بتتبُّع مفهومه اللُّغوي والاصطلاحي ، وحضور هذا المصطلح عند العلماء العرب ، وفي الدِّراسات الغربية ، ثمَّ لا بدَّ من الإشارة إلى العلاقة بين النصِّ والخطاب خاصَّةً وأنَّ هناك من العلماء من يرون أنَّ النصُّ هو الخطاب ، كما أنَّ هناك من العلماء من يفرِّقون بينهما والحقيقة أنَّ الرَّاين لايلزمان حتمية التَّفريق بينهما فهناك روابطٌ تجمعهما ، وكلُّ هذا سيكشفُ عنه الفصل الأوَّل من البحث ويجليه ، لكن سنشير أولاً إلى ماهية لسانيات النصِّ .

¹ - المرجع نفسه ، ص: 193.

² - خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص: 34.

³ - ينظر: أحمد عفيفي ، نحو النصِّ إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ط 1، ص: 70.

⁴ - سعيد حسن بحيري ، علم لغة النصِّ المفاهيم والاتجاهات، ط 1، ص: 136.

الفصل الأول

مقاربات نظرية في لسانيات النص

- تمهيد
- المبحث الأول : ماهية لسانيات النص
- المبحث الثاني : مفهوم النص في إطار المعجم والاصطلاح والوظيفة
- المبحث الثالث : إسهامات التراث العربي في لسانيات النص
- المبحث الرابع : النص في النظرية اللغوية الحديثة
- المبحث الخامس : بين النص والخطاب

تُعتبرُ المصطلحات مفاتيحاً للعلوم وثمّاراً لها ، فهي مجمعُ حقائقها المعرفيّة ، وعُنوان ما يتميّز به كلُّ علمٍ عمّا سواه ، وليس هناك طريقٌ يُلتمس فيه الانسان إلى منطق العلم ، غيرَ ألفاظه الاصطلاحية ، وقد قيل إنّ فهم المصطلحات نصف العلم ، لأنّ المصطلح هو لفظٌ يعبرُ عن مفهوم ، والمعرفة مجموعةٌ من المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعضٍ في شكل منظومةٍ ، فإذا استباننا أهميّة المصطلح في كلّ فنٍّ ، توضّح أنّ السّجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيمُ للعلم سُوره الجامع ، وحصنه المانع ، يحدُّه ويحميه فهو كالسّياج العقلي الذي يُرسي حُرّماته رادعاً إيّاه أن يلبسَ غيره وحاضراً غيره أن يلبسَ به¹ ، وهذا يعكس لنا تلك الأصرة القويّة واللّحمة الرّابطة بين المصطلح والعلم ، كما يعكس التّداخل بين المصطلحات والعلوم التّراكمات التي تجعل المعرفة الاصطلاحية هي المعرفة العلميّة ، ولا يمكن لنا أن نعرف الوزن المعرفي في أيّ علمٍ إلا من خلال مصطلحاته "فالوزن المعرفي في كلّ علم رهين مصطلحاته ، لذلك نسميها أدواته الفعّالة لأنها تولّده عضويّاً وتنشئ صرحه ثم تصبح خلاياه الجينية التي تكفل التّكاثر والنّماء"².

وعلى اعتبار أنّ المصطلح يحملُ هاته الأهميّة فإنّه لا بُدّ من الإشارة إلى مفهوم لسانيات النصّ ، فما المقصود بها؟ ومن ساهم في تشكّل العلم الذي يُعنى بالنصوص ، هل همّ العرب أم الغرب ؟ وهل يهتمُّ هذا العلم بالنصّ دون الخطاب ؟ وما هو موقع مدوّنات التطبيق المختارة من هذا العلم ؟ سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة من خلال التطرّق إلى :

1- مفهوم لسانيات النصّ :

الملاحظ أنّ الدّراسات اللّسانية الحديثة قد تجاوزت حُدود الجملة إلى بنية لغويّة أكبر منها وهي النصّ وذلك بتوسيع حُدود موضوع البحث اللّساني، وقد عدّ (ز. هاريس) أوّل لساني تبني هذا التّجاوز والتّوسيع في بحثه الموسوم بـ(تحليل الخطاب) سنة 1952م ، "الذي اهتمّ فيه بتوزيع العناصر اللّغوية في النصّ ، كما اهتمّ بالرّبط بين النصّ وسياقه الاجتماعي"³، ثمّ توالى الدّراسات بعده ترا حيثُ اهتمّ اللّسانيون بما اهتمّ به (هاريس) مؤكّدين على ضرورة تجاوز الجملة إلى مستوى أكبر منها وهو النصّ ، والرّبط بين اللّغة والسّياق الاجتماعي ، ممّا شكّل معالم اتّجاه لساني جديدٍ ، بدأت ملامحه ومناهجه تتبلور منذ منتصف الستينيات ، عُرف بلسانيات النصّ .

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي ، مباحث تأسيسية في اللسانيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، 1 ط ، 2010م ، ص: 43.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 44.

³ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء ، القاهرة ، مصر ، 1 ط ، 2000م ج1 ، ص: 23.

تعتبر لسانيات النص "فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص ، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد" ¹ ، وهي تهتم "بدراسة مميزات النص من حيث تماسكه ومحتواه الإبلاغي التواصلي" ² .

ولما كانت نشأة هذا العلم في أحضان الدراسات الغربية ، فإن التسمية التي أطلقت عليه سواء في اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية واحدة (*linguistique textuelle* ، *text linguistics*) ، في حين نجد أن تسمية هذا العلم قد ترجمت بمصطلحات مختلفة في الثقافة العربية منها:

- لسانيات النص : وقد اعتمده الباحثان "محمد خطابي" و "حسان تمام" .
 - علم اللغة النصي: اعتمده الباحثان "صبحي إبراهيم الفقي" و "فالح بن شبيب العجمي" .
 - علم لغة النص: واعتمده الباحث "سعيد حسن بحيري" .
 - نظرية النص : واعتمده الباحث "إبراهيم خليل" .
 - أجرومية النص : واعتمده الباحث "سعد مصلوح" .
 - علم النص : واعتمده الباحثان "صلاح فضل" و "جميل عبد المجيد" .
- غير أن المصطلح الشائع عند معظم الدارسين هو (لسانيات النص) ، وتعد التسمية لا يعني الاختلاف حول جوهر هذا العلم ، لأن لسانيات النص تنطلق من دلالات عامة متجاوزة الجمل إلى وحدات نصية كبرى ، وهذا هو ملمح تميزها من خلال توسيع مجال الدراسة .

2- هدف لسانيات النص:

من خلال ما أشرنا إليه سابقاً ، فإن مجال لسانيات النص هو النصوص سواء كانت مكتوبة أو منطوقة فهي تسعى إلى تحليل البنى النصية، والوقوف على العلاقات التي تساهم في اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية ، فهدفها هو تحديد الوسائل التي تساهم في ربط الجمل ، والتي تجعل النص وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء ، فلسانيات النص "قد أخذت على عاتقها مهمة تحديد الملامح أو السمات المشتركة بين النصوص ووصفها وتحليلها ، استناداً إلى معايير مختلفة .. والكشف عن أوجه الاختلاف والفروق الدقيقة بينها" ³ . وقد استطاعت لسانيات النص تحديد العلاقات التي تربط الجمل وفقرات النصوص على مستويات متعددة منها المعجمي والنحوي والدلالي ، وهذا ما لم يبلغه لسانيات الجملة ، كما أنها سعت إلى تحليل البنى النصية الكبرى والوقوف على العلاقات التي تفضي إلى اتساق النصوص وانسجامها ، ومراعاة الأغراض التداولية ، وهذا ما دفع الأستاذ "صبحي إبراهيم الفقي" إلى وصف لسانيات النص بأنها "..ذلك الفرع من علم اللغة الذي يهتم بدراسة

1 - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ط 1 ، ج 1 ، ص : 35.

2 - جيليان براون و جورج يول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، الرياض السعودية ، د ط ، 1997م ، ص: 30.

3- روبرت ديوجراند ، النص والخطاب والاجراء ، ص: 576.

النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى ، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها ، والسياق النصي ودور المشاركين في النص المنطوق على حدٍ سواء¹ .

واستنباطاً مما سبق فإن من أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط ، مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة ، وهذا يؤدي إلى الاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية ، لذلك فإن الدكتور "محمد عبد اللطيف حماسة" يرى "أن النص الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية ، تعمل على تماسكه وترابط أجزائه ، وعلى من يتصدى لتفسير النصوص أن يستعين بهذه العلاقات بنوعيتها ، وقد تكون العلاقات أو الروابط اللغوية واضحة ، تتمثل في بعض الأدوات كالعطف والسببية وبيان الغاية أو الاستدراك أو التعليل أو التأكيد أمّا العلاقات الدلالية فإنها متنوّعة ومُتجدّدة مع النصوص ، بحيث يكاد كل نصٍ يبتكر وسائل تماسكه الدلالية"² .

وعلى هذا فإن النص هو موضوع اللسانيات النصية ، من خلال وصفه وتحليل وسائل تماسكه وانسجام عناصره ومكونات بنيته اللغوية ، في المستوى الشكلي والدلالي والصوتي والبلاغي والتداولي ، يُضاف إلى ذلك اهتمامها بالقارئ والتأكيد على ضرورة امتلاكه للكفاءات التي تمكنه من ممارسة آليات القراءة والتأويل ، والقدرة على استنباط المعاني ، وربط النص بسياقه ، للوقوف على مدى انسجامه ، وعلى العموم فإن لسانيات النص تركز على:

- أ- وصف النص : ويُراد به توضيح مكونات النص .
- ب- تحليل النص: ويتم فيه الكشف عن الروابط الخارجية ، والاهتمام بالسياق الذي يؤدي دوراً هاماً في جمع أجزاء النص وجعلها مُتجاذبة³ .
- ج- مراعاة دور النص في التواصل ، من خلال الوقوف على أحوال المنتج والمتلقي للنص .
- د- تحديد نمط النص وغرضه⁴ .
- هـ- الوقوف عند بنية النص المتمثلة في المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي ، إضافة إلى المستوى الاستراتيجي للنص .

3- تطوّر لسانيات النص :

سبقت الإشارة إلى أنّ لسانيات النص ظهرت بداية الستينيات ، واستوت فرعاً من فروع الدراسة اللسانية وهذا ما توكّده الأعمال المؤسّسة لهذا العلم والتي نُشرت ما بين سنة 1968م وسنة 1970م ، قبل أن يُصبح النص ميداناً تُخصّص له المؤلفات والأعمال الجماعية الضخمة في السبعينات ، إذ انصبّت جهود الدارسين على بيان ضرورة تجاوز المنوال الذي وُضع لنحو الجملة ، والاهتمام بما سمّي بنحو النص ولسانياته .

¹ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 37.

² - محمد عبد اللطيف حماسة ، الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، 2001م ، ص: 36.

³ - ينظر: صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1992م ، ص: 225.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 229.

وقد دفع هذا الاهتمام الجديد الدارسين إلى اعتماد اتجاهين مهمين في لسانيات النص ، أحدهما ينطلق من عدم كفاية نحو الجملة لوصف المظاهر التي تتجاوز حدود الجملة ، ليتناول بالدراسة النص باعتباره وحدةً للتحليل وليست الجملة، وقد كشف أصحاب هذا الاتجاه (هاليداي ورقية حسن وبرينكر) عن حاجتهم الماسة إلى نحو النص والجوانب الواجب اعتبارها في النص ، والمهام التي يمكن أن يؤديها نحو النص ، أمّا الاتجاه الثاني فيتناول النص من حيث هو ككل ، فيدرس تركيبه ومفاصل صياغته .

يقتضي منّا البحث في جزئية تطور لسانيات النص ، الإشارة إلى البحث اللساني الذي جاء على يد (دي سوسير) والذي كان له أثر كبير في تطوّر مناهج لسانية نقدية تعنى ببنية النص ، وبمعايير بنائه ، وإسهامات هذا الباحث هي الإرهاصات الأولى للسانيات النص ، لأنه ألهم معاصريه بأفكار جديدة عن اللسانيات ، حتى الذين لم يخضعوا خضوعاً مباشراً لتأثيره ، لأنهم بدأوا من الأسس النظرية نفسها التي ضمّنها آرائه ، إذ سعى من خلال تفريقه بين اللسان والكلام إلى الفصل بين الخصائص العامة التي تشكّل الوحدة والنظام ، والخصائص الفردية التي تُشكّل التميّز والتفرد¹، وهذا التفريق بين اللسان والكلام ، كان له أثر كبير في تحليل النصوص الأدبية والتركيز على بنية العمل ذاته ، كما كان للحلقة اللسانية في كونهاجن وحلقة براغ اللسانية ، أثر في توجيه النظر النقدي إلى اللسانيات والإفادة منها .

بعد ذلك ركّز البحث اللساني اهتمامه على الجملة ، واعتبرها نموذج التركيب الأمثل ، وهنا اتّضح تأثير (دي سوسير) من خلال مفهوم البنية الذي جاء به ، فقد أسقطت مفاهيمه على أجزاء الجملة لتشمل الأصوات والصرف والنحو والدلالة².

في المقابل نجد المدرسة السلوكية الأمريكية والتي ترأسها (بلومفيلد) ، قد ركّزت على الجملة مُقصيةً الدلالة في بداية الأمر ، إذ رفضت أساساً دراسة أبنية لغوية تتعدى الجملة ، فقد كان (بلومفيلد) ، من جهته يرفض أن يأخذ على عاتقه الوحدات الاستدلالية الأكثر امتداداً من الجملة³، وتحدّر الإشارة إلى مدرسة النحو التوليدي التحويلي بزعامه (تشومسكي) ، والتي اهتمت هي أيضاً بدراسة الجملة من خلال البحث في كفاءة المتكلم ومقدرته على توليد وإنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل ، انطلاقاً من عناصر لغوية محدودة ، ويعني هذا أن نطاق الاهتمام عند (تشومسكي) ، لم يتجاوز حدود الجملة ، وبالتالي لم يحظ النص بأبيّ اهتمام من قبل المدارس اللسانية التي جاءت بعد (دي سوسير) ، لكنّ تعميم هذا الحكم لا يشمل كلّ المدارس ، فبظهور حركة الشكلايين الروس ظهرت محاولة تتجاوز حدود الجملة ، فبالإضافة إلى انتمائهم اللساني البارز "فقد أعطوا أهمية خاصة للتصنيف والنمذجة وللوصف الدقيق المفصل للأعمال الأدبية ، ووضع المصطلح التقني الذي يعبر عن ذلك

¹ - ينظر: سليمان العسكري وآخرون، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ترجمة: رضوان ظاظا، الكويت ، 1997م ، ص: 211.

² - ينظر: صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 15.14 .

³ - ينظر: روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة: تمام حسان ، ص : 88.

وهو ما أعطى لعملهم صبغة علمية ن وموضوعية بارزة ، وشكل الأسس الأولى للنص الأدبي¹ ، فهم قد وضعوا العمل الأدبي في المركز الأول ، واستبعدوا من دائرة الدراسة كل عامل يقع خارج النص ، مثل السيرة الذاتية للكاتب أو البيئة الاجتماعية ، التي نشأ فيها ، أو أي نوع من أنواع التحليل النفسي أو الاجتماعي أو التأمل الفلسفي ، لكن على الرغم من جدية الطرح الذي أتوا به من خلال تناولهم للنص الأدبي ، إلا أن طبيعة أعمالهم تختلف عما يقصد به في لسانيات النص .

ومرد ذلك أن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية ، يُتبعي منها الوصول إلى الفهم الأمثل والأدق لهذه المادة التي يعبر بها المنتج عن مقاصده ، لأنه حين ينطق أو يكتب جملة أو سلاسل جمالية يحده الموقف اللغوي من خلال تواصله المتعدد مع الآخرين ، ويصطبغ تفاعله هذا مع تصادم الاستراتيجيات وتعدد المقامات وتشابك العلاقات ، في امتزاج بين الشكل والمضمون ، ليتجسد على شكل جمل مترابطة و متكاملة واضحة المفهوم والدلالة ، وهذا يعني أن فهم جملة ما مقرون بجملة أخرى ترتبط بها سابقاً أو لاحقاً في ضوء السياق اللغوي والمقامي ، ولتوضيح أهمية هذا الارتباط الجملي نسوق المثال الآتي:

- نظرتُ إلى طلاء الجدار كان أخضر اللون .

- نظرت إلى الحرباء فوق الغصن كانت خضراء اللون .

- اكتست الأرض حلة جديدة في فصل الربيع كانت خضراء اللون .

في هذه الأمثلة نلاحظ أن جملة (كانت خضراء اللون) تُفهم دلاليًا اعتماداً على الجمل التي تسبقها، وهذا يعني وجوب تعدي الجملة إلى وحدات لغوية أوسع منها .

من هنا ظهر الاحساس بأن نحو الجملة قاصر عن ضبط المعنى ، وهو ليس كافٍ لدراسة جميع الأبنية اللغوية بغض النظر عن حجم النص وحدوده ، لأنه في الغالب الأعم متواليّة من الجمل لذلك فإن "من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصية ، هو أن أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة فقط ، لم تعد كافية لتغطية مستوى النص ومنها العلاقة بين فقرة وفقرة ونص ونص ، فلا يمكن إدراك الصلة والترابط من خلال نحو الجملة بل من خلال النظرة النصية كما بمفهومها الواسع"² ، يُضاف إلى ذلك تظافر علوم مختلفة كالنحو والبلاغة والنقد والشعر ، والتي ساعدت في توسيع مجال الدراسة إلى النص .

من هنا كان لزاماً تجاوز حدود نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص ، بما يتوافق مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث ، والذي يصل بالتحليل إلى ما فوق الجملة ، وهو ما اصطُح عليه باسم علم اللغة النصي .

مثّلت سنة 1952م بداية الإرهاصات الأولى لهذا العلم ، حيث قدم العالم (ز. هاريس) ، بحثاً اكتسب أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة ، يحمل عنوان (تحليل الخطاب) ، فهو أول لساني يعدّ الخطاب موضوعاً

1 - منور أحمد ، علم النص من التأسيس إلى التأصيل ، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ، العدد12، 1997م ، ص: 21.

2 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 1 ، ص: 52.

شرعياً للدرس اللساني ، كما قدّم منهجاً لتحليل الخطاب المترابط ، واهتمّ بتوزيع العناصر اللسانية في النصوص والروابط بين النصّ وسياقه الاجتماعي¹.

والملاحظ أنّ (هاريس)، قد اعتمد على إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النصّ ، ولكي يتحقّق ذلك لا بُدّ - حسب رأيه- من تجاوز مُشكّلتين وقعت فيهما الدّراسات اللسانية الوصفية والسلوكية وهما:

- الأولى: قَصْر الدّراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة .

- الثانية: الفصل بين اللّغة والموقف الاجتماعي ، ممّا يحول دون الفهم الصّحيح ، ومن ثم فقد اعتمد

(هاريس) ، على منهج في تحليل الخطاب يقوم على ركيزتين هما:

- العلاقة التّوزيعية بين الجمل .

- الرّبط بين اللّغة والموقف الاجتماعي .

وفي ذلك يقول هاريس : " يمكن أن نتصوّر تحليل الخطاب انطلاقاً من ضربين من المسائل هما في الحقيقة أمران مرتبطان ، أمّا الأول فيتمثّل في مواصلة الدّراسة اللسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت وأمّا الثاني فيتعلّق بالعلاقة بين الثّقافة واللّغة"².

ثمّ شهدت اللّسانيات منذ مُنتصف السّتينات في أوروبا وفي مناطق أخرى من العالم توجهاً قوياً نحو الاعتراف بنحو النصّ بديلاً موثوقاً للسانيات الجملة ، وفتحت للدرس اللساني منافذ كان لها أبعث الأثر في دراسة اللّغة ووظائفها النّفسيّة والاجتماعية والفنّيّة والاعلامية ، منها على سبيل التّمثيل دراسة (هايمز 1960م) و(أوستين 1962م) و(سيرل 1969م) و(جرايس) ثم (هاليداي 1973م) ، ومن ذلك أيضاً ما جاء به (فان دايك) فهو يعتبر من الأوائل الذين دافعوا عن أنحاء النصّ حين قارن بين نحو الجملة ونحو النصّ ، إذ رأى أنّ للجملة بنيةً سطحيةً تتمظهر لبنية عميقة ، وبالتالي فإنّ للنصّ أيضاً بنية سطحيةً وبنية عميقة ، مجالها دراسة العلاقات بين الجمل .

ويشكّل هذا التّصور منعطفاً هاماً في تاريخ تحليل اللّغة ، وفق المستوى الأكبر من الجملة وقد كان هذا التّصور حافزاً لإنتاج الكثير من الأعمال التي اهتمّت بالنصّ ، وعلى إثر ذلك تبلورت الأفكار واستقرّت مُصطلحات هذا العلم تحت مسمى لسانيات النصّ أو اللّسانيات النّصية أو نحو النصّ ... ثمّ أخذت البحوث منذ السّبعينات تتزايد من جهةٍ وتدعو إلى اللّسانيات النّصية من جهةٍ أخرى ، إضافةً إلى الدّعوة التي تبنتها هاته البحوث في الانتقاد المستمرّ لنحو الجملة ، منها دعوات (بيتوفي ودريسلر وكونو وشميدت وشمبل وبرينكر وديوجراند وفان دايك) هذا الأخير الذي "ذهب أغلب العلماء إلى أنّه المؤسّس الفعلي لعلم النصّ"³ ، يتبيّن لنا إذاً من خلال جهود اللّغويين أنّ النصّ يستوعب تغييراتٍ لا يمكن أن تكون في الجملة كالحذف والفصل والإحالة

1 - ينظر : صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج1 ، ص: 23.

2 - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج1 ، ص: 38.39.

3 - ينظر: أحمد عفيفي ، نحو النصّ إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ط1، ص: 32.

لذا يجب النظر إليه بوصفه ضرباً من الجملة المضاعفة ، لأنّ العديد من الظواهر التي تمت معالجتها في إطار النص كوحدة كبرى كانت في البداية محور البحوث النحوية التي اعتبرت الجملة أكبر وحدة للتحليل ، غير أنّ نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم تُوضع في الاعتبار من قبل ، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية ، ويحاول أن يقدّم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد تربطها¹.

ويوضّح الأستاذ سعد مصلوح أهمية هذه التّقلّة من دراسة الجملة إلى دراسة النص واهتمام العلماء بالجانبين الدلالي والمقامي بقوله "إنّ الفهم الحقّ للظاهرة اللسانية يُوجب دراسة اللّغة دراسة نصيةً ، فكان الاتجاه إلى نحو النصّ أمراً متوقّعاً واتجاهاً أكثر اتساقاً مع الطّبيعة العلميّة للدّرس اللساني الحديث"²، هذا الدّرس الذي استفاد من نتائج الدّرس القديم لأنّ ماورد في الدّرس اللغوي الحديث هو امتدادٌ لجهود القدماء ، مع إضفاء جوانبٍ من الجدّة والتّعوير لذا لا يمكن أن نغفل عليه ، إذ لا بدّ من المزاجية بين القديم والحديث في دراسة الفكر اللغوي للوقوف على مدى تأثر واستفادة الدّراسات اللغوية الحديثة من الثّرات ، وهذا ما يتّضح لنا بشكلٍ أجلى في تراثنا العربي خاصّةً في النّحو والبلاغة والتّفسير والتّقّد وحتى الفلسفة ، وإثبات ذلك بالتحليل النصّي المعاصر، لأنّ ماصّح سابقاً يصلح الآن لكن هل يمكن تطبيق ذلك وفق المناهج المعاصرة ؟ لكن ينبغي علينا أولاً أن نشير إلى جهود علمائنا العرب القدامى وإسهاماتهم في علم اللّغة النصّي .

4- إسهامات العلماء العرب القدامى في علم اللّغة النصّي :

إنّ محاولة وصف مفهوم النصّ ، هي كشف للعلاقات بين النصّ ، والجانب الثقافي ، وذلك لأنّ النصّ يتشكّل بها أولاً ، ولأنّه في حدّ ذاته يُشكّلها ، وينبغي أن يكون المفهوم الأساسي للنصّ ، مُوصلاً إلى ضبط تصوّر مُستقلّ بذاته ، كي يتسنى لنا إدراك مفهوم العلم المتعلّق به ، وهو نحو النصّ ، خاصّةً وأنّ مُصطلح نحو النصّ لا يدلّ على تركيبٍ مستقلّ بحيث يكون للنحو معنى وللنصّ معنى آخر ، وإمّا هو تركيبٌ إضافيٌّ تكوّن من إضافة كلمة نصّ إلى كلمة نحو ، ممّا شكّل معنى واحد من خلال مزج الكلمتين معاً³.

ومنّ المعلوم أنّ مفهوم النّحو قد استقرّت مُصطلحاته في مدوّنة النّحو قديماً وحديثاً ، وأتّفق على مفهومه عموماً "فقد جاءت تعريفاتهم مُنسجمةً مع ما حدّده له من موضوع"⁴، ولكنّ مفهوم النصّ هو المشكّل "فقد تعدّدت تعريفاته وتنوّعت بل وتداخلت إلى حدّ العُموض أحياناً والتّعقيد أحياناً أخرى ، فبعض تعريفات النصّ تعتمد على مكوّناته الجمالية ، وتتابعها وبعضها يُضيف إلى تلك الجُمْل التّرابط ، وبعضٌ ثالثٌ يعتمد على التّواصل النصّي والسّياق ، وبعضٌ رابعٌ يعتمد على الانتاجية الأدبيّة ، أو فعل الكتابة ، وبعضٌ خامسٌ يعتمد على

1 - ينظر : سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 134.

2 - ينظر : جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997م ، ص: 67.

3 - ينظر : عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2004م ، ص: 23.

4 - مصطفى جمال الدين ، البحث النحوي عند الأصوليين ، دار الهجرة ، قم ، إيران ، 1985م ، ط2 ، ص: 25.

جملة المقاربات المختلفة ، والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصًا ، فيكون لدينا حصيلةً كبرى من التعريفات التي تُقربنا من ملاحظته¹.

إن هذا الاختلاف والتباين يجعلنا نعدُّ التحليل النصي ، الميدان الاختباري الذي يتجلى فيه الاختلاف بين المناهج اللسانية على نحو واضح ومباشر ، ويمسُّ هذا الاختلاف جانبيين جانب التنظير من قبل النصيين وهم يصوغون رؤاهم المجردة ، و جانب التصورات التي توصلهم إلى تخيل نصٍّ يُجسِّد مطالبهم ويعكس شروطهم ويُضاف إلى ذلك جانب آخر وهو ميدان التحليل ، لأنَّ تلك المطالب والشروط تتعرَّض هي أيضًا للاختبار وتكثيف وتعدُّل على نحو ما يخرج من النص نفسه ، أو ما يسمح به نظامه الخاصُّ ، والعلاقات القائمة بين مستوياته أو عناصره المكوِّنة لسيجته الكلي².

وقد تعاضمت مشكلة النص وتفرَّعت ، حتى أنَّ المناهج اللسانية القديمة والجديدة وقفت عاجزةً أمامه ، ولم يأت معها ما يجعل النص مقدوراً عليه ، من حيث التحليل الشُمولي ، وذلك لأنَّ النصَّ كُلَّ شاملاً ، ومعظم الدراسات التطبيقية لم تُصب منه إلا أجزاء لا تُعبِّر بحالٍ عن فحوى الخطاب ، وقد اقتضت الضرورة أن تُفكِّر المناهج الحديثة في ما هو مماثل للنص الإبداعي ، وانحصر التفكير أخيراً على لسانيات النص ، الجامعة لكلِّ أواصر النص ، وعناصر التَّواصل والتماسك النصي ، والموجَّدة بين المناهج النقدية الحديثة ، على اعتبار اشتراكها في العنصر اللساني وتكاملها بحيث تُصيب الخطاب في كليته³.

ولما كان النص هو الموضوع الذي تدور حوله الاشكالات والتساؤلات اللسانية النصية ، وجب علينا أن نُفصِّل مفاهيمه المتعدِّدة ، ونبيِّن التصورات حول ما هيته ، وذلك في إطار المعجم والاصطلاح والوظيفة.

أولاً - مفهوم النص

أ - في إطار اللغة:

إنَّ أصل اشتقاق مصطلح النص مأخوذ من مادة (نَصَصَ) ، والتي لها معانٍ مُتعدِّدة ، وردت في المعجم العربية ومنها قول "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 175هـ) في (معجم العين) "نَصَصْتُ الحديث إلى فلانٍ نصًّا أي رفعتُه قال الشاعر طرفة بن العبد⁴:

ونصَّ الحديث إلى أهله فإنَّ الوثيقة في نصِّه

والمنصَّة التي تقع عليها العروس ، ونصَّصت ناقتي رفعتها في السَّير ، ونصَّصت الشَّيء حرَّكته ، ونصَّصت الرَّجل استقصيْتُ مسألته عن الشَّيء ، يقال نصَّ ما عنده أي استقصاه ، ونصَّ كلَّ شيءٍ مُنتهاه وفي الحديث (إذا بلغ

¹ - أحمد عفيفي ، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ط1 ، ص: 21.

² - ينظر: حاتم الصكر ، ترويض النص ، دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، إجراءات ومنهجيات ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1998م ص: 27.

³ - ينظر: أحمد مداس ، لسانيات النص نحو منهج جديد لتحليل الخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط2 ، 2009م ، ص: 05.

⁴ - عبد الرحمان المصطاوي ، ديوان طرفة بن العبد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003م ، ص: 59.

النِّسَاء نَصَّ الحِقَاقِ فَالْغُصْبَةُ أُولَى ، أَيُّ إِذَا بَلَغَتْ غَايَةَ الصِّغَرِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ فِي الكِبَرِ فَالْعَصْبِيَّةُ أُولَى بِهَا مِنَ الأُمَّ يَرِيدُ بِذَلِكَ الإِدْرَاكَ وَالغَايَةَ ، وَأَنْصَتُهُ اسْتَمَعْتُ لَهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف الآية: 204)¹.

وفي (المعجم الوسيط) جاءت مادة (نصص) بمعنى "نصّ الشّواء صوّت على النّار ، والقدر غلت ، نصّ الشّيء رفعه وأظهره ، ويقال نصّ الحديث رفعه وأسندته إلى المحدث عنه ، ونصّ فلاناً أقعده على المنصّة ، ونصّ الشّيء حرّكه ، ونصّ الدّابة استحثّها شديداً ، ونصّ فلاناً استقصى مسألته عن شيء حتّى استخرج كلّ ما عنده"².

وأما صاحب (لسان العرب) ابن منظور (711هـ) ، فقد فصّل في تتبّع مادة (نصص) ، مبيّناً معانيها المتعدّدة ومنها:

- الرّفْع: النَّصُّ رَفْعُ الشَّيْءِ ، نَصَّ الحَدِيثَ يَنْصُهُ نَصًّا رَفَعَهُ ، وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ فَقَدْ نُصِّ ، وَنَصَّتِ الطَّيْبَةُ جِيْدَهَا رَفَعَتْهُ ، وَنَصَّ المَتَاعَ جَعَلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَنَصَّ الدَّابَّةَ يَنْصُهَا نَصًّا رَفَعَهَا فِي السَّبْرِ ، وَقَدْ نَصَّصْتُ نَاقَتِي رَفَعْتُهَا فِي السَّبْرِ ، قَالَ أَبُو عبيد: النَّصُّ التَّحْرِيكُ حَتَّى تَسْتَخْرَجَ مِنَ النَّاقَةِ أَقْصَى سَبْرِهَا³.

- الإِظْهَار: كُلُّ مَا أُظْهِرَ فَقَدْ نُصِّ ، وَوُضِعَ عَلَى المَنْصَّةِ أَيْ عَلَى غَايَةِ الفُضِيْحَةِ وَالشُّهُرَةِ وَالظُّهُورِ ، وَالمَنْصَّةُ مَا تَظْهَرُ عَلَيْهِ العُرُوسُ لِثَرَى ، وَهِيَ تَنْصُصُ عَلَيْهَا لِثَرَى بَيْنَ النَّاسِ⁴.

- الشِّدَّةُ وَبَلُوغُ الشَّيْءِ أَقْصَاهُ: وَالنَّصُّ وَالنَّصِيصُ السَّبْرُ الشَّدِيدُ ، وَالحِثُّ وَأَصْلُ النَّصِّ أَقْصَى الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ قَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: النَّصُّ الإِسْنَادُ إِلَى الرَّئِيسِ الأَكْبَرِ ، وَالنَّصُّ التَّوْقِيفُ قَالَ أَيُّوبُ بنِ عَبَّاسَةَ⁵:

وَلَا يَسْتَوِي عِنْدَ نَصِّ الأُمُورِ
بِأَدْلٍ مَعْرُوفِهِ وَالبَّخِيلِ

- الإِسْتِقْصَاءُ وَالمُنْتَهَى: وَرَدَتْ بِهَذَا المَعْنَى فِي قَوْلِهِ: وَنَصَّ الرَّجُلَ نَصًّا إِذَا سَأَلَهُ عَنِ شَيْءٍ حَتَّى يَسْتَقْصِي مَا عِنْدَهُ وَنَصُّ كُلِّ شَيْءٍ مُنْتَهَاهُ ، قَالَ الأَزْهَرِيُّ النَّصُّ أَصْلُهُ مُنْتَهَى الأَشْيَاءِ وَمَبْلُغُ أَقْصَاهَا ، وَمِنْهُ قِيلَ نَصَّصْتُ الرَّجُلَ إِذَا اسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ حَتَّى تَسْتَخْرَجَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ ، وَقَالَ المَبْرَدُ: نَصُّ الحِقَاقِ مُنْتَهَى بَلُوغِ العَقْلِ⁶.

وقد أورد الزبيدي (ت1205هـ) ، في (تاج العروس) معانٍ أخرى للنصّ نضيفها إلى المعاني التي ذكرها الخليل وابن منظور ، وهي النصّ الإسناد إلى الرّئيس الأكبر ، والنصّ التّوقيف ، والنصّ التّعيين على شيء ما

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، سلسلة المعاجم والفهارس ، ج7 ، ص: 86.87.

² - إبراهيم أبيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط4 ، 2004م ، ص926.

³ - ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، تح: عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج7 ، ص: 97.98.

⁴ - المصدر نفسه ، ج7 ، ص: 97.

⁵ - المصدر نفسه ، ج7 ، ص: 98.

⁶ - المصدر نفسه ، ج7 ، ص: 98.

وكل ذلك مجاز من النص بمعنى الرفع والظهور ، قلت ومنه أخذ نص القرآن والحديث ، وهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره . وقيل نص القرآن والسنة ، ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام ، وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز كما يظهر عند التأمل¹.

إنّ تتبّع هذه المعاني اللغوية التي دوّنها أصحاب المعاجم العربية ، تكشف لنا نقاط تقاطع مشتركة بينهم فقد اتفقوا على معنى للنص يرجع إلى أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع ، وانتهاء في الشيء². والملاحظ على هذا المعنى المشترك للنص بين أصحاب المعاجم ، أنّه معنى قاصر على الكشف عن دلالة النصّ لأنّه انحصر أي معنى النصّ ، في اشتقاقه على معنى الظهور ، وها هو الزبيدي يقول: " النصّ بمعنى الرفع والظهور قلت ومنه أخذ نصّ القرآن والحديث"³، وهذا يعني أنّ تعريفات القدماء للنصّ هي تعريفات غير مقننة وذلك بسبب افتقار العلاقة في المعاجم العربية لدلالة (نصّ) على مُدوّنه أو كتاب أو خطاب ، ومرّد ذلك شفويّة الثقافة الاسلامية ، وتأخّر التدوين للأدب⁴. ولكن هذا لا يمنع من وجود إشارات تدل على أنّ القدماء لم يتعدوا كثيراً في شرحهم لمصطلح النصّ عمّا هو مُتداول اليوم في علم النصّ ، يقول عمر أبو خرمة: "ونلاحظ أنّ مفهوم النصّ عند دارسي النصّ ، من الباحثين العرب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الوضوح والانكشاف ، ولا يسلم البحث بهذا الرأي ، إذ لو أمعنا النظر قليلاً في المعنى المعجمي الذي قدّمه اللسان ، لوجدنا أمارات تُفيد كثيراً في الوصول إلى مُراد العربية بالنصّ"⁵.

وفي هذا السياق يمكن أن نُشير إلى مقاربات الباحثين المحدثين لمعاني (نصّ) عند القدماء و بين المفهوم الاصطلاحي للنصّ في مجال اللسانيات النصّية.

وردت لفظة النصّ في معجم اللسان بمعنى "رفع الشيء ونص الحديث ينصّه نصّاً رفعه ، وكل ما أظهر فهو نصّ"⁶. وهذا المعنى يعكس لنا أنّ الدلالة المطابقة للفظ النصّ تعني الوضوح والانكشاف ، كما تعني إظفاء صفة الثابت الذي لا يمكن تغييره بزيادة أو إضافة أو نقصان⁷.

فالنصّ في هذه الحالة يتّصف بالاستمرارية التي فرضتها طبيعته المكتوبة ، وقد عكس قول عمر بن دينار الوارد في (لسان العرب) صفة الاستمرارية هذه "وقال عمرو بن دينار ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند"⁸.

1- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس ، تحقيق: عبد الكريم العزباوي ، مطبعة حكومة الكويت ، 1989م ، ج18 ، ص: 180.

2- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا ، مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ج5 ، ص: 356.

3- المصدر السابق ، ج18 ، ص: 180.

4- ينظر: أحمد حسين حيال السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام رسالة دكتوراه ، ص: 16.

5- عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، ص: 25.

6- ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب ، ج7 ، ص: 97.

7- ينظر: المرجع السابق ، ص: 25.

8- المصدر السابق ، ج7 ، ص: 97.

إنَّ ما يلفت انتباهنا في قول عمرو بن دينار لفظ أرفع ولفظ أسند ، فالزُّهري يرفع الحديث إلى صاحبه ويُسنِّده إليه دون التَّدخل فيه لا باللفظ ولا بالمعنى ، وهذا يعني أنَّ الثَّبات في النَّصِّ والتَّثبيت للمنصوص¹.
ومنَّ معاني (نصِّ) الواردة في معجم اللِّسان والتي نجد لها صدى في البحث اللِّساني النَّصي ، وهي تعكسُ خاصيَّة التَّماسك ، قولُ ابن منظور "نصَّ المتاع جعل بعضه على بعض"² فالمعنى الذي ذُكر في المعجم يُبيِّن سبباً من أسباب جعل الكلام المترابك على بعضه يُشكِّل لنا نصّاً³.

ونجد معنى آخر للنَّص ورد في لسان العرب ، وهو أنَّ النَّص "هو الإسناد إلى الرَّئيس الأكبر ، والنَّص التَّوقيف والنَّص التَّعيين على شيء ما"⁴، والمراد بالتَّوقيف الإثبات للشيء كما أَراده صاحبه دون تدخُّل فيه ولذلك أخذ المعنى الشَّرعي لكلمة التَّوقيف ، فقيِل عن القرآن أنَّه توقيفيٌّ ثابتٌ على ما قرَّره الشَّارع الحَكَم ، فلا يجوز تغييره أو التَّدخُّل فيه ، وأمَّا معنى التَّعيين على شيء ما فبدلٌ أيضاً على الثَّبات عليه والتركيز فيه .

واعتبار النَّصِّ الإسناد إلى الرَّئيس الأكبر معنى يحملُ أهميَّةً بالغةً ، لأنَّ الإسناد إلى الرَّئيس الأكبر فيه معنى الثَّبات وذلك لأنَّ الإسناد رُفِعَ الشَّيء إلى صاحبه دون تغييرٍ أو تحويرٍ ، فالمسند قد ألزم نفسه بمن هو أعلى منه رتبةً⁵. ويمكن أن يُضاف معنى آخر يعكسه القول بأنَّ النَّص هو الإسناد إلى الرَّئيس الأكبر ، وهو أنَّ النَّص مرتبٌ ببنية دلاليَّة كبرى ، وكلُّ أجزاء النَّص لا تُفهم إلاَّ بالإحالة إلى القضية الكبرى ، فهذه خاصيَّة من خصائص النَّص انتبه إليها المحدثون ، وهي ارتباط النَّص ببؤرة أو قضية كبرى ، والتي تعني الدَّلالة المركزيَّة للنَّص ، فكلُّ أجزاء النَّص إمَّا قامت لخدمة هذه القضية⁶.

وهذا يعني أنَّ النَّص يبدو لنا بادئ الأمر مكوناً من مجموعة من القضايا والموضوعات والقصاص والاستشهادات المفكَّكة والمنفصلة ، وباستحضار الدَّلالة المركزيَّة للنَّص (القضية الكبرى) يتيسَّر لنا إدراك العلاقات بين أجزاء النَّص وهذا يكشف لنا أنَّ دلالة النَّص المركزيَّة وبؤرته الرئيسيَّة عاملٌ من عوامل تحقيق التَّماسك النَّصي⁷.

ومَّا يعضدُ الرَّأي القائل بأنَّ إشارات القدماء لمفهوم النَّص متشابهة مع ما أشار إليه المحدثون في مجال الدِّراسات النَّصيَّة ، قول "الزبيدي" في (تاج العروس) "تناصَّ القوم ازدحموا ، هو مأخوذ من قولهم نصَّ المتاع ينصُّه نصّاً إذ جعل بعضه على بعض"⁸.

¹ - ينظر : عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، ص: 25.

² - ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب ، ج7 ، ص: 97.

³ - ينظر : المرجع السابق ، ص: 26.

⁴ - المصدر السابق ، ج7 ، ص: 98.

⁵ - ينظر : المرجع السابق ، ص: 27.

⁶ - ينظر: خليل بن ياسر البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير ، ط1 ، 2009م ، ص: 22.

⁷ - ينظر: المرجع السابق ، ص: 22.

⁸ - الزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس ، تحقيق: عبد الكريم العزاوي ، ج18 ، ص: 180، 182.

فالمعنى الذي ذكره "الزبيدي" أن تناصَّ القوم هو ازدحامهم ، وأنَّ نصَّ المتاع هو أن يجعل بعضه على بعضٍ يجعلنا إلى قضية الترابط والتماسك التي يميَّز بها النَّصُّ من جهةٍ ، كما يجعلُ معنى الازدحام ووضوح المتاع بعضه على بعضٍ في صورة السَّلاسل الجُمليَّة المتتالية ، والتي يُعرَّفُ بها النَّصُّ من جهةٍ أُخرى¹ ، ويتقاطع هذا المعنى مع ما ذكره "برينكر" (Brinker) حين عرَّف النَّصُّ بأنه تتابعٌ مترابطٌ من الجمل².

بعد هذه الموازنة بين المعاني اللُّغويَّة للنَّص عند اللغويين العرب القدماء وخصائص النَّص كما بيَّنها المحدثون يمكننا أن نقول، إنَّ إطلاق العرب القدماء على هذا الانتاج اللُّغوي اسم (النَّص) ، لم يكن اعتبارياً ، بل هو نتيجة الوعي بخصائصه اللُّغويَّة والمعنويَّة ، ولكنَّ على الرَّغم من ذلك لا يمكننا الجزم أنَّ القدماء كانوا يُدركون المفهوم اللِّساني الحديث للنَّص³ ، فحتَّى المنشغلين بمفهوم النَّص في الدرس اللُّغوي العربي الحديث حالياً ، وجدوا أنفسهم في مأزقٍ واضطرابٍ حول تحديد مفهوم النَّص ، والسَّبب أنَّه مفهومٌ أجنبيٌّ لمصطلحٍ غرَب خطأً ، ولم يجد ما يطابقه في اللُّغة العربيَّة ، فطائفةٌ منهم حصرت مفهوم النَّص في معنى الظُّهور التَّام ونفي التَّأويل ، وهم يقصدون بذلك نصُّ الكتاب والسُّنة ، إذ هو اللَّفظ الدَّال على معنى لا يحتمل غيره ، وهذا يعني إقصاء كلِّ النَّصوص وعدم الاعتراف بها ، ما عدا الكتاب والسُّنة ، وهنا يبدو التَّنقض جلياً في قولهم النَّصُّ الأدبي ، النَّصُّ العلمي ، ويعني هذا أنَّ مُصطلح النَّص عندهم مفهومٌ غربي .

وأما الطائفة الثانية وهم المؤرِّلون الذين يقبلون بإمكانية التَّأويل للنَّص فإنَّهم يقرُّون بندرته من جهةٍ ويحصرونه مرةً أُخرى في القرآن والسُّنة ، وقد وقعوا في التَّنقض بين مفهومهم للنَّص على هذا الشَّكل ، وبين العناوين التي وُصِّفوا بها كتبهم ، كمفهوم النَّص ، ونقد النَّص ، والنَّص والتَّأويل ، وفي هذا اعترافٌ من الطَّائفتين معاً وعدم اعتراف في نفس الوقت بوجود النَّص ، وهم في حقيقته الأمر يشغلون على النَّص الذي يعني النتيجة بمفهومه الغربي ، وهذا ما يؤكِّد أنَّه لا وجودية للنَّص في الثَّقافة العربيَّة⁴.

ب- مفهوم النَّص في إطاره الاصطلاحي:

إنَّ البحث عن الأصول اللُّغويَّة ، والاصطلاحية ، لكلمة (نص) في الثَّقافتين العربيَّة والغربيَّة ، أمرٌ لا يستوجب اختلاف النُّظم المرجعيَّة التي استمدَّت منها المفاهيم وجودها. اختلاف حقول المعرفة الحاضرة له ، والموجهة لدلالته في الثَّقافتين المذكورتين ، ولذلك يتعيَّن ضبط مجاله الَّذي يدور فيه ، والمفاهيم التي يعتمد عليها ، وتحديد موقعه من الاختصاصات المتنوِّعة والمتداخلة ، وهذه ضرورةٌ ابستمولوجية.

والحقيقة أنَّ تعريف النَّص أمرٌ صعب ، وذلك لتعدُّد معايير هذا التَّعريف ومداخله ومُنطلقاته ، إضافةً إلى تعدُّد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوافر فيما نطلق عليه اسم نصٍّ⁵ ، يقول أحمد عفيفي: "إذا كانت آراء النُّحاة

¹ - ينظر: خليل بن ياسر البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص: 22.

² - ينظر: سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ط1 ، ص: 103.

³ - ينظر : المرجع السابق ، ص: 22.

⁴ - ينظر: نحلة فيصل الأحمد ، التفاعل النصي التناسبي النظرية والمنهج ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2010م ص: 38 .

⁵ - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 20.

القدامى والمحدثين قد تعددت حول تعريف الجملة ، فإنّ النصّ لم يكن أسعدَ حظاً من الجملة في ذلك ، حيث تعددت تعريفاته ، وتنوّعت بل وتداخلت إلى حدّ الغموض أحياناً أو التّعقيد أحياناً أخرى¹. وفي الثقافة العربية عرضنا سابقاً استعمال المصطلح بدلالاته اللغوية المختلفة ، التي سجّلتها المعاجم العربية القديمة ووقفنا على انحصار دلالة مصطلح النصّ في معانٍ ثابتة ومعلومة ، وكأنّ أصحاب المعاجم على تنوّعها قد اتفقوا عليها ، ولكنّ هذا لا يعني نفي مفهومه وغيابه عن ذهنية علماء العربيّة القدامى ، بل إنّ النصّ ظلّ مفهوماً بارزاً في المنظومة اللغوية العربيّة ، لا سيّما عند علماء التفسير ، والبلاغة ، والنقاد ، وسنتبّع بالتفصيل مفهوم النصّ عند هؤلاء العلماء.

ج- مفهوم النصّ في الدّراسات القرآنية:

1- علماء التفسير: التفسير علمٌ يفهم به كتاب الله تعالى ، المنزّل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ، وقد سلك العلماء منهجين أساسيين لتحصيل معاني القرآن ، هما التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي ، فالأول هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، وأمّا الثاني فهو تفسير القرآن بالاجتهاد ، وفيه التفسير بالرأي المحمود المستمدّ من القرآن ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينبغي على صاحبه أن يكون عالماً باللّغة العربية وأساليبها وقواعدها ، وقواعد الشريعة ، وأصولها ، وقد أجازها العلماء وهناك التفسير بالرأي المذموم ، وهو تفسيرٌ بمجرد الرأي والهوى²، وهذا النوع من التفسير حرّمه العلماء ، قال ابن تيمية: " فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام"³.

أ- النص عند الطبري: لم نعرف في التراث العربي ممارسة نصيّة تامة ، إلا مع القرآن الكريم ، وأولى مظاهر هذه الممارسة تتمثّل في الوقوف على النصّ في ذاتيته النصيّة ، فذاتية النصّ تجلّيها القراءة للمكتوب والتي تجعل النصّ كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغويّ مختلف⁴.

وقد أدرك الطبري (310هـ) هذا الأمر في القرآن الكريم في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) والذي يُعتبر من أشهر التفسيرات بالمأثور، وفيه نجدّه يشير إلى قضيّة مهمّة جداً في التفسير ، وهي مسألة تأويل القرآن يقول: "فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يُدرِك علمه إلاّ ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي جعل الله إليه بيانه قائلٌ ما لا يعلم ، وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه ، لأنّ القائل فيه بغير علمٍ قائلٌ على الله ما لا علم له به"⁵.

¹ - أحمد عفيفي ، نحو النصّ إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ط1 ، ص: 21.

² - ينظر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية ط14، 2005م، ص: 165 إلى 176.

³ - ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم ، مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق: عدنان زرزور ، ط2 ، 1972م ، ص: 105.

⁴ - ينظر: منذر عياشي ، النص ممارساته وتحليلاته ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 96، 97 ، 1992م ، ص : 53.

⁵ - الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق: عبد الله بن عبد الحسن التركي ، دار هجر ، ج1 ، ص: 73.

لقد اهتمَّ الطَّبْرِي في تفسيره بقضايا متعدّدة ، فلم يخلُ تفسيره من الاستشهاد بالشِّعر والاهتمام بالقضايا النحوية والبلاغية ، وقد لفت انتباهه قضية الفصل والوصل في القرآن الكريم ، والتي ارتبطت بعلم القراءات ولتفصيل هذه القضية عند الطَّبْرِي ، لا بُدَّ مِنَ الإشارة إلى أنَّ البلاغة العربية اهتمت بتحديد الأساليب ، وما تعلق بقضية عطف الجمل ، والوقوف على العلاقة بين الجملة المعطوفة والجملة المعطوف عليها ، من حيث تمام الصِّلة أو انقطاعها أو توسُّطها في ذلك ، وما يلفت الانتباه أنَّ البلاغيين انصرفوا عن الصِّيغة الجرجانية التي اهتمت بعطف المفردات وتجاوزوها مركزين اهتمامهم على عطف الجمل¹.

والملاحظ "أنَّ البلاغيين لم يتطرقوا إلى مباحث عطف المفردات ، وكأهم اكتفوا بما رَدَّده النحويون فيها من حيث مسائل التَّشريك الاتِّباعي ، والحكمي ، ومعاني حروف العطف ، ودلالاتها على التَّرتيب والتَّأخير والتَّعقيب والاختيار وما إلى ذلك"².

لقد أدرك "الطَّبْرِي" العلاقات بين الجمل ، من خلال جعله الوصل في المفردات ، مدخل معرفة الوصل في الجمل ، وقد رأى أنَّ الوصل في الجمل على ضربين:

- وصلٌ بمجموع الجمل ، والعطف على جمل الحال .

- ثمَّ جُمْل الشَّرْط المعطوفة على جمل الجزاء ، ثم العطف على جواب الشَّرْط بالواو .

وجعل "الطَّبْرِي" أغراض الوصل في: الوصل لأمن اللبس ، أو الوصل للتمييز تشويقاً ، أو الوصل لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل ، ونجده في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة الآية 98) ، ومع ذلك قد يكون الفصل أبلغ من الوصل ، وقد يكون التناسق الدَّاخلي للجمل أقوى من وصلها برابطٍ ، وقد تحدَّث الطَّبْرِي عن أدوات الفصل مركزاً على ما يأتي:

- ضمير الفصل: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا

مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بَعْدَآبِ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال الآية 32) ، و يسميه الطَّبْرِي العماد في الكلام على قول الكوفيين .

- الجملة المعترضة: مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (الواقعة الآية 77) .

- الاستشهاد المنقطع : كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يظنونَ

﴾ (البقرة الآية 78) ، ويسمى بذلك لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد (إلا) على معنى ما قبلها ، فهو يُخرج (إلا) إلى ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفتة .

كما حدد "الطَّبْرِي" أغراض الفصل في الجمل في إيضاح المعنى ، وبيانهُ التَّفصيل بعد الاجمال ، الاستطراد الاستثناف ، إجابةً عن سؤالٍ مقدر³.

1- نوال الخلف ، الانسجام في القرآن الكريم ، سورة النور أمودجا ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2006م ، ص: 130.

2- عفت الشراوي ، بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دراسة أسلوبيية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1981م ، ص: 98.97.

3- ينظر: رباح دواب البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع هجري ، دار الفجر القاهرة ، مصر ، 1997م ، ص: 402 إلى 412. وينظر: نوال

خلف الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أمودجا . أطروحة دكتوراه ، ص: 131.

إنّ دراسة الطّبري للوصل والفصل في ثنايا تفسيره ، دراسة ذكيّة خاصّة في حديثه عن أغراضهما ، فقد عمل على تأويل الحروف الرّابطة ، ووظائفها ونجد لهذا التأويل صدق في الدّراسات الحديثة ، فالمتأمّل فيما كتبه "فان دايك" في كتابه (النص والسيّاق) تحديداً في الفصل الثالث ، في معرض حديثه عن أدوات الرّبط ولزوم نتائجها يقف على التّقارب فيما تحدّث عنه "الطّبري" ، وبين ما فصّله "فان دايك" ، في جزئية الوصل والفصل الذي ربطه بأداة العطف (أو) وقاربه من المنطق الصّوري¹.

لقد أبان "الطّبري" في ثنايا تفسيره ، عن حسّ دقيق في دراسة التّراكيب اللّغوية ، فهو لم يُغفل التّرابط بين الجمل وامتدّت دراسته إلى دراسة الفصل والوصل بين الجمل ، هذه الدراسة تعتبر من أهمّ القضايا التي تدخل في اهتمامات لسانيات النصّ.

ب- البقاعي وعلم المناسبة بين الآيات والسّور :

يعدّ تفسير الإمام برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر "البقاعي" (885هـ) ، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور) من أبرز كتب التّفسير بالرّأي ، فقد كشف فيه عن المناسبات بين الآيات والسّور ، وكان القصد منه تعرّف "علل التّرتيب ، وموضوعه أجزاء الشّيء المطلوب ، علم مناسبته من حيث التّرتيب ، وثمرته الاطّلاع على الرّتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ماله بما وراءه ، وما أمامه من الارتباط ، والتعلّق الذي هو كلحمة النّسب"².

إنّ الأهميّة التي يتميّز بها كتاب "البقاعي" ، تكمن في اهتمامه بقضايا نحو النصّ على مستوى التّطبيق في التراث العربي ، إضافةً إلى أنّ البقاعي سبق غيره في حديثه عن الرّبط بين الجمل ، في المتتالية النّصية ، سواءً على مستوى ربط السّورة الواحدة ، أو ربط السّور المتتالية ، حتى إنّه ربط سورة الناس بالفاتحة ، ولم يأل جهداً في ربط ما بينهما³. وقد أورد "البقاعي" ذلك في كتابه (نظم الدرر) ، متحدّثاً عن التّرابط بين السّورتين ، فقال في سورة النّاس "ومقصود هذه السّورة معلولٌ لمقصود الفاتحة ، الذي هو المراقبة ، وهي شاملةٌ لجميع علوم القرآن التي هي مُصادقة الله ، ومُعادية الشّيطان ، ببراعة الحتام ، وفدلكة النّظام ، كما أنّ الفاتحة شاملةٌ لذلك ، لأنّها براعة الاستهلال ، ورعاية الجلال والجمال ، فقد اتّصل الآخر بالأوّل ، اتّصل العلة بالمعلول ، والدليل بالمدلول ، والمثل بالممثل"⁴.

لقد ركز "البقاعي" في تفسيره على ربط الجمل بعضها ببعض ، أكثر من عنايته بربط الجملة ، فيما بينها من عناصر ، ومرّد ذلك إلى السّهولة الموجودة في ربط الجمل بعضها ببعض ، مقارنةً بربط الجملة فيما بينها، وهذه النّظرة التي تميّز بها "البقاعي" للقرآن الكريم ، تعكس الحسّ الشّامل والتأمّل الكليّ للنصّ القرآني ، إذ جاءت نظرة

¹ ينظر: فان دايك النص والسيّاق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة: عبد القادر فنيبي ، إفريقيا الشرق بيروت، لبنان، ص: 101.100.97.

² البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، ج 1 ص: 05.

³ ينظر : عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، ص: 48.

⁴ المصدر السابق ، ج 22 ، ص: 423.

العلماء العرب والمسلمين لسور القرآن الكريم نظرةً ترابطيةً شاملة ، وهذا الذي يكشف لنا عن سرِّ الاعجاز في كلام الله عزَّ وجل ، هذا الاعجاز الذي رآه "البقاعي" متحققاً بطريقتين ، يقول: "وهذا العلم أي علم المناسبات يكشف أنَّ للاعجاز طريقتين ، أحدهما نظم كلِّ جملةٍ على حياها بحسب التركيب ، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب ، والأوَّل أقربُ تناولاً ، وأسهلُ ذوقاً"¹ ، ويقول في توضيح الفكرة الثانية "والذي في كلِّ آيةٍ أن يبحث أوَّل كلِّ شيءٍ عن كونها تكملةً لما قبلها أو مستقلةً ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها"².

وهذا المنهج الذي اتبعه البقاعي في علم المناسبات لم يأت من فراغ ، فقد أشار البقاعي في كتابه (نظم الدرر) إلى فضل شيخه أبي الفضل المغربي البجائي المالكي ، فلقد خطَّ الشَّيخ لتلميذه معالم علم المناسبات ، وبيَّن له حدوده ورسم له خطواته ، وهي الأمر الكليُّ المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جمع القرآن ، وذلك بمراعاة:

- النَّظَر في الغرض الذي سبقت له السُّورة.
- النَّظَر إلى ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات أي النَّظَر إلى مراتب تلك المقدمات قريباً وبعداً.
- استشراف نفس السَّامع إلى الأحكام واللَّوازم التابعة له .
- فهم وجه النَّظْم مفصلاً بين كلِّ آيةٍ وآيةٍ وفي كلِّ سورةٍ وسورةٍ³.

لقد سار البقاعي على القاعدة التي سطرها له شيخه ، ووجد أنَّ اسم كلِّ سورةٍ مترجمٌ عن مقصودها فالعنوان دليل المحتوى ، وهو يظهر المناسبة بينه وبين مسمَّاه يحكمهما على علاقة تفصيلٍ بعد إجمال ، يقول البقاعي "ومقصود كلِّ سورةٍ هادٍ إلى تناسبها ، فأذكر المقصود من كلِّ سورة ، وأطبق بينه وبين اسمها وأفيسر كلَّ بسملة ، بما يوافق مقصود السُّورة ولا أخرج عن معاني كلماتها"⁴ ، وهذا الذي ميَّز نظرة البقاعي إلى النَّص القرآني فهي نظرةٌ شموليةٌ حدَّدها عن طريق العلاقات في السُّورة الواحدة ، ثم العلاقات بين السُّور المختلفة ويلاحظ أنَّ البقاعي لم يكتف بذلك بل تعدَّاه إلى تتبُّع العلاقات الصَّوتية في سور القرآن الكريم ، والتي يُراعي فيها البقاعي مخارج الأصوات وصفاتها ، ويربط ما بين السُّور عن طريق العلاقات الصَّوتية ، من ذلك ربطه بين سورة (طه) وسورة (مريم) ، يقول البقاعي : " وذلك أنه لما كان ختام سورة مريم حاملاً على الخوف من أن تهلك أمته صلى الله عليه وسلم قبل ظهور أمره الذي أمره الله به واشتهار دعوته لقلَّة من آمن منهم ، ابتدأه سبحانه بالطاء إشارةً بمخرجها الذي هو من رأس اللسان وأصول الثنيتين العليين ، إلى قوة أمره وانتشاره وعلوِّه وكثرة أتباعه"⁵.

إنَّ ما جاء به البقاعي يكشف لنا عن وعيه بقضية انسجام النَّص وتماسكه وخدمته للمعنى ، ويلاحظ وعي الاسلاف عموماً بقضايا الانسجام ، خاصَّة في النَّص القرآني ، وهذا يعني أنَّ ما قام به البقاعي قد حاوله قبله علماء العربية، لكنَّ هناك فرقٌ بين ما جاء به البقاعي وما أشار إليه العلماء حول النَّص القرآني ، فهُم كانوا

¹ البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج1 ، ص: 11.

² المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 08.

³ ينظر: البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج1 ، ص: 18.

⁴ المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 19.

⁵ المصدر نفسه ، ج12 ، ص: 255.

يتحدّثون عن المسألة كلّما عنّ لهم شيءٌ من تلك المناسبات ، وهذا منهجهم في التّفسير يستعملونه عندما تكون هناك حاجةٌ إلى مثل هذا الرّبط من وجهة نظرهم ، أو عندما يُسألون عن علّة هذا الترتيب في القرآن أمّا البقاعي فقد ألزم نفسه بمنهج ثابتٍ ، إذ حاول أن يربط كلّ سورةٍ بما قبلها وبما بعدها ، من السُّور وكلّ آية بما قبلها وبما بعدها أيضاً ، وهنا يبدو لنا الفرق واضحاً بين منهج العلماء الذين سبقوا البقاعي وبين المنهج الذي التزمه البقاعي فهم كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج في كلّ أعمالهم مُنشغلين في تفسير النصّ آيةً آيةً أو جملةً جملةً ، وفي أقصى اعتبارٍ موضوعاتٍ منفصلةً دون الولوج إلى عوالم النصّ الداخلية لإحكام أجزائه بعضها ببعضٍ إن ترابطاً كما فعل البقاعي¹.

لقد وصل البقاعي إلى كثيرٍ من تلك المبادئ التي تربط الفقرات ، فقد كان ذا قربٍ شديدٍ من موضوع ترابط الفقرات مع بعضها البعض ، كما تنبّه إلى عمل مبدأ الضديّة في تناسب الآيات ، وتنبّه أيضاً إلى الانتقال بين الكلّي والجزئي وحسن التّقسيم ، وأدرك بحسّه العميق أثر المعادل للموضوع ، حين يكون محسوساً على ملموسٍ وأشار إلى حسن التهيئة قبل الولوج إلى غاية الخطاب ، كما ذكر العطف على محذوفٍ مفهومٍ من النصّ ، وتحدّث عن أهمية السبب والنتيجة ، وكلّ هذا يومئ بوجود مجموعة من المبادئ العامّة في ذهن البقاعي تحكّم النصّ في تعلق فقراته بعضها ببعضٍ ، لتكوّن لنا وحدة النصّ الكلّيّة ، وهنا يتبيّن لنا علاقة ما جاء به البقاعي مع ما هو موجودٌ في الدّراسات النصّية اليوم².

2- النصّ وعلوم القرآن:

تجلّت لنا مظاهر علم النصّ في كتب التّفسير على وجه التّخصيص ، وسنقف عليها من خلال علوم القرآن محاولين الكشف عن جهود العلماء في بحثهم عن انسجام النصّ القرآني ، من خلال علم المناسبة بين الآيات والسُّور والبحث عن العوامل التي تُسهّم في تحقيق الانسجام ، هذا الذي يؤكّد أسبقية العرب والمسلمين في إدراك علم النصّ وتحليله على مستوى يتجاوز حدود الجملة.

أ- الزّركشي:

يعتبر كتاب (البرهان في علوم القرآن) للإمام بدر الدين الزّركشي (ت794هـ) ، من أهمّ ما أُلّف في علوم القرآن فقد تناول فيه علم المناسبة تناولاً نظرياً ، بعدما أفرد لهذا العلم فصلاً خاصاً به ، لذلك يُعتبر الزّركشي من كبار منظّري علم النصّ في الثّراث العربي والاسلامي ، وهذا يعني أنّ العلماء المفسّرين الذين اهتمّوا بعلوم القرآن ، كان لهم الدور الأبرز في المعالجة النصّية "فعلّمهم يقوم أساساً على النّظرة إلى النصّ القرآني كاملاً إلى درجة أنّهم رأوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة ، كلّهُ أخذٌ بعضُهُ بيد بعض ، فأكدوا التماسك الصّوتي والصّرفي والنّحوي

¹ - ينظر ، عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، ص: 51.

² - المرجع نفسه ، ص: 51.52.53.

والمعجمي والدلالي ، وكذلك التماسك النصي ، وأيضاً أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة ، وكلمات الجملة الواحدة ، وجمل النص الواحد ونصوص القرآن كله وهكذا¹.

لقد استفاد الزركشي من الدراسات القرآنية و كتب التفسير التي تناولت علم المناسبة تناولاً تطبيقياً وقام بوضع الأسس النظرية لهذا العلم ، فهو يرى أن ارتباط الآي بعضها ببعض ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها ، وفي هذه الحالة يُعمل المفسر عقله بالبحث عن الجهة الجامعة بينهما².

القسم الثاني: لا تكون فيه الآية معطوفة ، وفي هذه الحالة لا بُدَّ من دعامة تؤدُّن باتِّصال الكلام "وهي قرائنٌ معنوية مؤذنة بالرَّبط ، والأوَّل مزجٌ لفظي ، وهذا مزجٌ معنوي ، وتنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب"³ منها التَّنظير والمضادة والاستطراد⁴.

ومن المباحث المهمة التي أفرد لها الزركشي فصلاً في كتابه ما سماه (مناسبة فواتح السُّور وخواتمها) ، وفيه يبدو الإعجاز بين الترابط ما بين فاتحة السُّورة وما بين خاتمها ، ويورد الزركشي أمثلةً من القرآن الكريم فيقول: "وتأمل سورة القصص وابدأها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته وقوله: ﴿فَأَصْحَبُ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَأْتِيهِمْ قَالَ لَهُمْ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿٨٥﴾﴾، (القصص الآية 18) ، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكاملة وختمها بأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن لا يكون ظهيراً للكافرين ، وتسليته بخروجه من مكة والوعد بالعودة إليها ، بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾، (القصص 85)⁵.

والواقع أن الزركشي اعتمد في هذه المناسبة على نهي الله لنبيه موسى أن يكون ظهيراً ، ونهي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون ظهيراً للكافرين ، كما أن وعد الله موسى برده إلى أمه ووعد الرسول بإرجاعه إلى مكة حدثان متشابهان هذا ما جعل الزركشي يعتبر خاتمة السُّورة مناسبة لفاتحة⁶.

والتأمل لسور القرآن الكريم ، يجد بين فواتح السُّور وخواتمها مناسبة كبيرةً وعلاقةً قوية ، تجعل من السُّور حلقاتٍ متماسكةً بعضها مع بعضٍ، ويمكن اعتبار هذه العلاقة بين الفواتح والخواتم رُءً عجزٍ على صدرٍ وهي خاصية مشتركة بين النص القرآني ، والنص الشعري ، وذلك بأن تجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أوَّل الفقرة والآخر في آخرها ، وأشار الزركشي أيضاً إلى مناسبة فاتحة السُّورة للخاتمة التي

¹ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 1 ص : 50.

² - محمد خطابي ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1991م ، ص: 193.

³ - الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث القاهرة مصر ، ط 3 ، 1984م ، ج 1 ، ص: 46.

⁴ - ينظر: المرجع السابق ، ص: 194.

⁵ - المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 185.

⁶ - ينظر: المرجع السابق ، ص: 195.

قبلها ورأى أنه أسلوبٌ معتمدٌ في القرآن ، ومثّل لذلك بقوله "ومن أسراره مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها حتى إنَّ منها ما يظهر تعلُّقها به لفظاً كما قيل في ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾¹ ، (الفيل الآية 9) ، وفي قوله: ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ﴾² ، (فريش الآية 1) ، ولما ختم سورة النساء أمر بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجَلِّ ٱلصَّيْدِ وَٱنتُمْ حُرْمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾³ ، (المائدة الآية 1) ، وتكلم الزركشي أيضاً عن مناسبة السورة للحرف الذي بُنيت عليه فهو يرى أنَّ كثيراً من السور مسمّاة أو مفتتحة بحرفٍ من حروف اللُّغة وأنَّ الكثير من الكلمات التي تتألف منها السورة يتراكم فيها هذا الحرف ويتكرّر وتعكس دلالة الكلمات السّمات الصّوتية لهذا الحرف يقول الزركشي "وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنيةً على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك ﴿قَ وَالْقُرْءَانَ ٱلْمَجِيدِ﴾ بل عَجَبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾⁴ ، (ق الآية 2.1) ، فإنَّ السورة مبنيةً على الكلمات القافية من ذكر القرآن ، ومن ذكر الخلق ، وتكرار القول ومراجعته مراراً².

ومن المواضيع التي ذكرها التي ذكرها الزركشي اختصاص كلِّ سورة بما سميت وقد أكد أنه ينبغي النظر في وجه اختصاص كلِّ سورة بما سميت به ومردُّ ذلك "أنَّ العرب تراعي في الكثير من المسمّيات أخبار أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشّيء من خلقٍ أو صفةٍ تخصُّه ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقربته ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها"³.

ب- السيوطي:

يعدُّ كتاب (الاتقان في علوم القرآن) ، لشيخ الاسلام جلال الدّين السيوطي (ت911هـ) من أهم الكتب في علوم القرآن التي تناولت علم المناسبة تناولاً نظرياً ، بعدما أفرد لهذا العلم فصلاً خاصّة به ولا غرو إذا عددنا السيوطي من كبار منظرّي علم النص في التراث العربي الاسلامي.

ذكر السيوطي في كتابه أنواعاً حُصِّ بها القرآن الكريم وعددها (80 نوعاً) ، وجاء النَّوع الثاني والسِّتون في كتابه معنوناً بـ (في مناسبة الآيات والسور) ، بدأ فيه السيوطي بذكر أهم المؤلفات والآراء التي تناولت علم المناسبة ثمَّ انتقل إلى ضبط المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بهذا العلم ، ومادة البحث والمنهج المتَّبَع فيه وكلُّ هذه المراحل من أجل التنظير لهذا العلم الشّريف ، وفي هذا يقول السيوطي: "المناسبة في اللُّغة المشاكلة والمقارنة ومرجعها

¹ - الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص: 186.

² - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص: 169.

³ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص: 270.

في الآيات ونحوها إلى معنى رابطٍ بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدّين ونحوه¹.

من خلال هذا التعريف الذي ذكره السيوطي لمعنى المناسبة ، والتي جعل مرجعها في الآيات ، تتضح لنا أنواع العلاقات التي تربط بين السور والآيات وهي:

- رابطٌ عام أو خاص ، ويعني الانتقال من العام إلى الخاص أو العكس.
- رابطٌ عقلي أو حسي أو خيالي.
- التلازم الذهني ، وفيه السبب والمسبب ، العلة والمعلول . النظيرين والضدّين.

وهذه العلاقات بين الآيات والشُور قد تكون واضحةً ظاهرةً الارتباط ، وذلك لتعلُّق الكلم بعضه ببعضٍ وعدم تمامه بالأولى ، أو كان ارتباط الآيات الثانية بالأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البديل وقد تكون هذه العلاقات خفيةً غير ظاهرةً بحيث تبدو كلُّ جملةٍ مستقلةً عن الأخرى، وفي هذا النوع من العلاقات تتصافر قرائنٌ معنويةٌ للكشف عن الارتباط ، ومن بين هذه القرائن: التنظير ، المضادة ، الاستطراد ، حسن التخلّص ، ويورد السيوطي أمثلةً تطبيقيةً من الآيات والشُور يدعم بها أفكاره التنظيرية ويؤكدها ، فتجده بمثّل للنوع الأول والذي يكون فيه الارتباط ظاهراً بين الآيات بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ، (الحديد الآية 4) ، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ، (البقرة الآية 245) ، ففي الآيتين نجدُ أنّ بينهما جهةً جامعةً على ما سبق ، إذ يبدو التّضاد رابطاً فيهما بين القبض والبسط ، والولوج والخروج ، والنزول والعروج ، وشبه التّضاد بين السّماء والارض² .

وكذلك في المناسبة التي تربط بين الشُور ، يقدم السيوطي أمثلةً تطبيقيةً كثيرةً منها قوله: "كافتتاح سورة البقرة بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ، (الحديد الآية 4) ، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ، (البقرة الآية 245) ، ففي الآيتين نجدُ أنّ بينهما جهةً جامعةً على ما سبق ، إذ يبدو التّضاد رابطاً فيهما بين القبض والبسط ، والولوج والخروج ، والنزول والعروج ، وشبه التّضاد بين السّماء والارض² .

ويبدو السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) ، مقلداً ومتبعاً ، لأن تأثره بالزركشي والباقعي واضحٌ ، لكن الملفت في مصنفه حسن التّرتيب وجودة التصنيف ، ومن المواضيع التي تناولها السيوطي

¹ السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص: 631.

² السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، ط1 ، ص: 631.

³ المصدر نفسه ، ص: 636.

في علم المناسبة تناولاً تطبيقياً وقد أشار إليها سابقوه ، وهو مناسبة فواتح السور وخواتمها ، وقد أفرد لها السيوطي جزءاً سَمَّاه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع¹ ، ويشير السيوطي في مصنفه إلى ظواهر صوتية تميز القرآن الكريم، هذه الظواهر إمَّا أنها تميز السورة في حد ذاتها ، أو تبدو على شكل تناغم صوتي بين سورتين متتاليتين يقول: "وذلك أنَّ كلَّ سورةٍ بدئت بحرفٍ منها فإنَّ أكثر كلماتها وحروفها مماثلٌ له فحُق لكلِّ سورةٍ منها أن لا يناسبها غير الواردة فيها.. وسورة قاف بدئت به لما تكرَّر فيها من الكلمات بلفظ القاف"² ويمثل السيوطي للتناغم الصوتي والتوازن اللفظي بين سورتي المسد وسورة الاخلاص ، فقد اختُتِمت سورة المسد بالذال لتكون الفاصلة في السورة الموالية في سورة الاخلاص³.

إنَّ الحديث عن علم المناسبة يلزمنا أن نشير إلى مؤلف السيوطي الموسوم (بتناسق الدرر في تناسب السور) والذي اعتبره جزءاً من كتابه الشامل والمعنون (بأسرار التنزيل) ، وقد ذكر السيوطي في الجزء 13 نوعاً من علوم القرآن الكريم خصَّص ستة أنواعٍ للمناسبة سواء بين الآي أو بين السور⁴.

ذكر السيوطي مواقف العلماء من ترتيب السور في المصحف الكريم وهي عنده قسمان :

- الأول: يرى أنَّ ترتيب السور تم باجتهادٍ من الصحابة.
- والثاني: يرى أنَّ الترتيب توقيفٌ من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونجد أنَّ السيوطي يناصر الرأي الثاني ويدافع عنه ولأجل ذلك وضع قاعدةً عامةً وفقها رُتبت السور يقول في ذلك: "إنَّ القاعدة التي استقر بها القرآن أنَّ كلَّ سورةٍ تفصيلٌ لإجمال ما قبلها ، وشرحٌ له وإطنابٌ لإيجازه وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها"⁵، وهذا يعني أنَّ السيوطي يركز على الجانب العلائقي (الإجمال التفصيل) ، ويتخذ أساساً لهذا الترتيب وحجةً على أنَّه توقيفي ، ويمكن حصر هذه العلاقات في:

- علاقة (الإجمال / التفصيل) بين السور: وفي هذه العلاقة بيَّن السيوطي أنَّ السورة اللاحقة تفصيلٌ لما

أُجمل أو لبعض ما أُجمل في سورةٍ سابقة⁶.

¹ - السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، ط 1 ، ص: 635.

² - المصدر نفسه ، ط 1 ، ص: 637.

³ - المصدر نفسه ، ط 1 ، ص: 636.

⁴ - السيوطي جلال الدين ، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1986م ص: 54. وينظر: محمد خطايي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 199.

⁵ - السيوطي جلال الدين ، تناسق الدرر في تناسب السور ، ط 1 ، ص: 65.

⁶ - ينظر: محمد خطايي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 198.

- **الاتحاد والتلازم:** وقصد به **السيوطي** ذلك التناسب الذي يقوم بين سورتين ويتضح من خلال مناسبة

خاتمة السورة الكاملة لفاتحة السورة الأولى ، ثم التلازم اللفظي في ذكر الجنة والنار أي عند ذكر الجنة أو النار ومن يحل بإحدهما في سورة وذكر من يحل بالأخرى في سورة لاحقة مباشرة ، ثم الاتحاد المعنوي كأن يذكر الأصل في سورة سابقة ، ثم يذكر الفرع في السور اللاحقة ، كذكر خلق آدم في سورة البقرة وذكر مبدأ خلق أولاده في آل عمران¹.

- **ردُّ العجز على الصدر:** وقصد به **السيوطي** ذلك التلازم والاتحاد الذي يجمع بين سورتين فيجعلهما

كأنتهما سورة واحدة ، كالتلازم الذي بين سورة الواقعة وسورة الرحمن²، ويقدم **السيوطي** أمثلةً طوال من السور والآيات التي تجعل النص منسجمًا متلاحمًا ، و يقدم **السيوطي** الأمر الكلي في معرفة ذلك وهو:

- معرفة الغرض الذي سيقى له السورة.

- ربط المقدمات بذلك الغرض.

- مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب.

- استشراف الأحكام واللوازم التابعة للمطلوب .

- الوقوف عليها³.

ويعرض **السيوطي** مقارنةً بين سور القرآن والقصيدة الجاهلية ، ويقر **السيوطي** بأن القصيدة الجاهلية تميزت بغياب الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية ، فالشاعر ينوع من مواضع قصيدته كأنه في رحلةٍ وقيمُ قصيدته على وحدة البيت ، لهذا فإنَّ كلَّ بيتٍ استقل بمعناه ، وقد انعكس ذلك على طبيعة التقد فأصبح ذوقًا جزئيًا كما انعكس أيضًا على النظرة إلى القصيدة الشعرية فأصبحت النظرة إليها نظرةً تجزئيةً أما النص القرآني فهو نصٌّ منسجمٌ متكاملٌ متناغمٌ ، يكمل بعضه البعض الآخر، فرغم تعدد موضوعات السورة الواحدة إلا أنَّ الوحدة العضوية التي تسند كلَّ آيةٍ إلى أختها موجودةٌ ، وهذه الخاصية التي تميزت بها نصوص القرآن الكريم جعلتها وحدةً منسجمةً غير قابلةٍ للتجزئ ، وفرضت على القارئ الالتزام بالقراءة الكلية للنصوص الشرعية ، فإذا أراد القارئ أن يفهم آيةً قرآنيةً فإنه لا يفهمها بمعزلٍ عن الآيات التي سبقتها أو لحقتها في النزول أو الترتيب ، وإنما يجمع بين

¹ - ينظر : محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 203.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 204.

³ - ينظر: السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، ط1 ، ص: 634.633.

الآيات السابقة واللاحقة ذات الموضوع الواحد ، ليخرج بنظرة عامة شمولية ، فطبيعة النص القرآني فرضت هاته النظرة ، وقدمت وعياً مبكراً في البحث في انسجام النص وتماثله .

3- النص والنظرة البلاغية :

أ- ابن قتيبة :

تميز عصر ابن قتيبة (ت276هـ) ، بأنه عصر نزاع بين أهل السنة ومخالفهم وقد نشطت فيه المبتدعة وتجلت فيه نزعات الشك الفلسفي التي تولت كبرها المعتزلة والجهمية ، وكثر في عصره الطعن في كتاب الله على يد الزنادقة الذين رموه بالتناقض والاختلاف واللحن ، فلما رأى ابن قتيبة كثرة الشكوك التي تنار حول القرآن الكريم والمطاعن التي تُسدّد نحوه انبرى لدرء تلك المطاعن والشكوك ، وكشف عوجها وزيفها ، فألف لذلك كتابه (تأويل مشكل القرآن) ، في القرن الثالث الهجري ، وقد أبان الامام ابن قتيبة في مقدمة كتابه سبب التأليف فقال: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ﴿... مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ...﴾" (آل عمران الآية 7) ، فأحبت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة وأكشفت للناس ما يلبسون ، فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن"¹.

بدأ ابن قتيبة كتابه بالحكاية عن الطاعنين ، فسرد مطاعنهم على اختلاف أنواعها دون ردٍّ ثم بدأ في الردّ على تلك المطاعن وتفنيدها حسب ترتيب إيرادها ، فعقد باباً للردّ عليهم في وجوه القراءات ، وآخر فيما ادعوه على القرآن من اللحن ، ثم باباً في ما يخلو من التناقض والاختلاف بين آيه² ، ثم عقد باباً للمتشابه أوضح فيه معنى المتشابه والحكمة منه ، وأجاب فيه عن قولهم ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن ، من أراد لعباده الهدى والبيان؟ ثم ذكر بعد ذلك أبواب المجاز ، لأن أكثر أغلاط المتأولين كان بسببه ، وبدأه بباب الاستعارة والمقلوب والحذف والاختصار ، وتكرار الكلام ، والزيادة فيه والكناية والتعريض ، وفي ظاهر اللفظ لمعناه³ ، والملاحظ أنّ ابن قتيبة حينما يعرض حجج المشككين والطاعنين يقوم بالرد عليها من الحديث النبوي ومن الشعر، ثم يعرض حججه بوضوح وموضوعية تقرُّ له في دراسته للنص القرآني بأنه قد اقترب في كثير من الأحيان ممّا يعرفه الدرس اللساني الحديث ، من خلال نظريته الشاملة للنص القرآني كلّ ، إذ يعرض آيات القرآن ، ويبيّن المجل من منها ثم يذكر تفصيلها بآيات أخرى ، وهو ما سمّاه جمع الآيات في الموضوع الواحد⁴.

¹ - ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، ص: 23.22.

² - المصدر نفسه ، ص: 65 إلى 75.

³ - المصدر نفسه ، ص: 103.

⁴ - سعد بن مبارك بن سعد الدوسري ، جهود الإمام ابن قتيبة ومنهجه في علوم القرآن ، أطروحة دكتوراه ، إشراف بدر بنناصر البدر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض السعودية ، 2010م ، ص: 290.

ويشير ابن قتيبة إلى مظاهر الانسجام في القرآن الكريم ، ليدحض حُجج مَنْ قالوا بوجود التناقض والاختلاف فيه ويؤكد ابن قتيبة أيضا على مظاهر الاتساق حينما يتكلم عن التكرار والزيادة في تراكيب الآيات ويعرض الروابط وتداولها في مختلف السياقات كحديثه عن حرف (الواو) ، الذي قد يكون أداة ربط في السياق وقد لا يربط في سياق آخر ، مما يؤكد أهمية هذه الروابط في اتساق النص¹ .

فالقضايا التي اثارها ابن قتيبة ثلاثة أصناف:

- قضايا تتعلق بضبط النص وانسجامه.
- قضية انسجام النص ، ما ادعى من التناقض والاختلاف ، والتي تنظر إلى السور والآيات المتباعدة نظرة موحدة متألفة ، وهذه القضية هي قضية خطابية نصية.
- قضية المتشابه الذي تفرعت عنه فصول تتعلق بالتركيب أو النظم بصفة عامة ، المجاز ، والاستعارة والحذف والتكرار ، وكثيراً ما كان ابن قتيبة يمنح ذلك بعداً تداولياً².

وبهذا يمكن القول بأن البعد الكلامي في كتاب ابن قتيبة يتجلى في الغرض الذي وُظفت له القضايا النظامية في القرآن ، وهي قضايا اختلاف الإعراب والدلالات المرجعية للسور المختلفة بالإضافة إلى الحكمة من هذا النظم³ وهنا يبدو ابن قتيبة متأثراً بالجاحظ ، من خلال طبيعة القضايا التي تطرق لها في كتابه ، كما يبدو ابن قتيبة أيضاً مؤثراً في البلاغيين الذين جاءوا بعده ، كالحطايي والباقلاني والرماني ، والذين تناولوا النص القرآني وبيّنوا فيه مواطن الاتساق والانسجام ومكامن الجمال والإبداع .

ب- الباقلاني:

كرّس الباقلاني(ت403 هـ) جلَّ جهده في كتابه (إعجاز القرآن) ، للدفاع عن القرآن الكريم أمام كيد الكائدين ومزاعم المغرضين ، فكان من أبرز مُتكلمي أهل السنة ، واهتم بالرد على المعتزلة وإبطال حججهم من خلال الكشف عن سرِّ إعجاز القرآن ، إذ قال فيه: "إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب

¹ - ينظر: نوال خلف الانسجام في القرآن الكريم ، سورة النور أمودجا ، أطروحة دكتوراه ، ص:106.

² - محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 1999م ، ص: 145.

³ - المرجع نفسه ، ص: 145.

خطابهم أنه خارج عن العادة ، وأنه معجزٌ ، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميُّز حاصلٌ في جميعه¹، وأكد هذه الخاصية في غير موضعٍ منها قوله: "قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه التي قدّمنا ذكرها على حدٍّ واحدٍ في حسن التّظّم وبديع التّأليف والرّصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفاف فيه إلى المرتبة الدُّنيا ، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة ، فأرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍّ واحدٍ لا يختلف"²، ويشير الباقلاني إلى التناسب الذي يميز آيات الذكر الحكيم من حيث البلاغة والابداع والتّماسك في السّلاسة والإغراب ، ويرى أنّ هذه خاصيةٌ ينفرد بها أسلوب القرآن الكريم وهذا لا يختلف عن ما ورد في الدّراسات الأسلوبية واللّسانية الحديثة ، ولا يتوقّف الباقلاني عن تبيان الفوارق البيّنة بين القرآن وغيره من الكلام خاصّة الشعر فيقول: "وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاربه ويختلّ تصرفه في معانيه ، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه... ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه ، وفي فصله ووصله وافتتاحه واختتامه وفي كلّ نَهجٍ يسلكه وطريقٍ يأخذ فيه"³.

وقد تميّزت نظرة الباقلاني إلى القرآن الكريم بالشّمولية ، من خلال حديثه عن فواتح السُّور وخواتيمها وحديثه عن التناسب بين الآيات والسُّور ، وكثيراً ما يذكر مفردات النّظّم والتّأليف والرّصف ، يقول في معرض حديثه عن سورة الشورى: "في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيْمَنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾، (الشورى الآية 52) ، فانظر - إن شئت - إلى شريف هذا النظام ، وبديع هذا التّأليف ، وعظيم هذا الرّصف ، كلّ كلمةٍ من هذه الآية وكلّ لفظٍ بديعٍ واقع"⁴.

وفي حديثه عن سورة التّمل يقول: "ثم انظر في آية آيةٍ وكلّمةٍ وكلّمةٍ ، هل تجدها كما وصفنا من عجب النّظّم وبديع الرّصف؟ فكلّ كلمةٍ لو أفردت كانت في الجمال غايةً وفي الدّلالة آيةً ، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامّتها ذواتها ممّا تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها؟ ثمّ من قصّةٍ إلى قصّةٍ ومن بابٍ إلى بابٍ من غير خللٍ يقع في نظم الفصل إلى الفصل ، وحتى يُصوّر لك الفصل وصلًا وبديع التّأليف وبلغ التنزيل"⁵.

¹ - الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، تحقيق: أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ص: 35.

² - المصدر نفسه ، ص: 37.

³ - المصدر نفسه ، ص: 206.205.

⁴ - المصدر نفسه ، ص: 187.

⁵ - المصدر نفسه ، ص: 190.

ويكشف الباقلافي عن انسجام القرآن الكريم وتَعادل نظمه في الإعجاز في كلِّ مواقع الآيات القصيرة والطويلة والمتوسّطة ، لذلك يَحُثُّ الباقلافي عن التدبُّر في سور القرآن سورةً سورةً وآيةً آيةً وفاصلةً فاصلةً ، وتدبر الخواتم والفواتح والبوادي والمقاطع ، ومواضع الفصل والوصل ، ومواضع التَّنُّثُل والتحوُّل¹ ، ومقصود الباقلافي من ذلك أننا نجد آياتٍ كثيرة في القرآن الكريم ، متباعدة المقاصد والمواقع نائية المطارح ، ولكنَّ النَّظْم البديع جعلها متألِّفة منسجمةً أشدَّ تألُّفاً من الشَّيء المؤلَّف في الأصل ، وأحسن توافُقاً من المتطابق في أوَّل الوضع² ، وهذا الانسجام يشملُ كلَّ آيات الدِّكر الحكيم يقول: "ثم اتل ما بعدها من الآي ، واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء من احتجاجٍ إلى وعيدٍ ، ومن إعدارٍ إلى إنذار ، ومن فنون من الأمر شتى مختلفة تَأْتَلِف بشريف النَّظْم ومتباعدة تتقارب بعليِّ الضمِّ"³.

إنَّ المصطلحات التي كَرَّرها الباقلافي في كتابه ، كالضمِّ والرصفِ والتأليفِ والنَّظْم من خلال حديثه عن انسجام آيات القرآن الكريم ، قد وردت منه عفويةً دون تبريرٍ ، وهذا ما يفسِّر نظريته الشُّمولية للقرآن الكريم من جهة ثم إنَّ حديثه عن نظم القرآن وانسجامه كان ذوقياً بعيداً عن التبرير النَّحوي والدَّلالي ، وهذا لا يُقَلِّل من قيمه الجهد الذي بذله الباقلافي في كتابه ، بقدر ما يعكس طبيعة البحث في الرِّحلة التي عاشها الباقلافي ، والتي فرضت عليه هذا الابداع الذي يلائمها ، خاصَّة وأنَّ الجهد البلاغي القديم استطاع أن ينظر إلى النَّص من حيث اثتلافه وتلاحمه دون أن يتعمَّق أكثر في ذلك ، وكان المأمول أن تستمرَّ الجهود لتطوير الدرس البلاغي القديم والوصول به إلى مرحلة النَّظَر الكلي ، لكنَّ مرحلة الجمود التي مرَّ بها الفكر العربي والثقافة العربية ، كانت ذات تأثيرٍ بالغٍ على الدَّرس البلاغي⁴.

4- النَّص والنَّظَر النَّحويَّة

أ- الجُرْجاني :

لم يغب مفهوم النَّص بدلالته المتعارف عليها في اللِّسانيات اليوم عن ذهن علمائنا (نقاداً ولغويين وبلاغيين ومفسرين وفلاسفة) ، لا سيما عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، الذي قدم إسهاماً علمياً ناضجاً في مجال التنظير والتطبيق النصي في نظرية النظم ، التي قدمها في كتابه (دلائل الإعجاز) ، الذي جمع فيه بين النَّحو

¹ ينظر: الباقلافي أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، ص: 193.

² ينظر: المصدر نفسه ، ص: 194.

³ المصدر نفسه ، ص: 197.

⁴ محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحدائث التكويني البديعي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1995م ، ص: 06.

وعلم المعاني وعلم البيان والتفسير ودلالة الألفاظ... وكل ذلك لتحقيق هدفٍ منشودٍ وهو خدمة النص القرآني وبيان إعجازه. فقد كانت فكرة الانسجام النصي واضحة المعالم في ذهن الجرجاني ، فالنص عنده ما ارتبطت أجزاءه بعضها مع بعضها الآخر ، وأمثلة صورته عنده لهذا الارتباط هو النص القرآني، يقول فيه: "أعجزتهم مزايًا ظهرت لهم في نظمهم ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كلِّ مثلٍ ، ومساق كلِّ خبرٍ ، وصورة كلِّ عضةٍ ، وتنبيه وإعلامٍ وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ومع كلِّ حجةٍ وبرهانٍ ، وصفة وتبيانٍ ، وبهرهم أنهم تأملوه سورةً سورةً وعشرًا عشرًا وآيةً آيةً فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينبو بها مكانها ولفظةً ينكر شأنها ، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبهه أو أخرى وأخلق ، بل وجدوا اتساقًا بمر العقول وأعجز الجمهور ونظامًا والتئامًا وإتقانًا وإحكامًا"¹.

وفي حديثه عن بنية النص يصور ذلك كقطع الذهب والفضة ، التي تُصهر وتُمزج مع بعضها لتشكّل قطعةً واحدةً وفي ذلك يقول: "وأعلم أن مثل واضع الكلام ، مثل من يأخذ قطعة من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعةً واحدةً"²، وهذا يعني أن الجرجاني يرفع من تصوّره لبنية النص إلى مرتبة الانصهار والاندماج وهو أعلى درجات التشكيل.

ثم يُجرد الجرجاني من فهمه فكرة النظم والاتلاف ، ويجعل منها أساسًا نحويًا ، بالرغم من أن هذا الأساس النحوي هو المسؤول عن تظافر وحداتٍ وتلاؤمها ، وهو الذي يتجسّد ماثلاً في نظرية النظم عنده³ ، ولكن ذلك لا يعني أنه هو مبتكر هذه النظرية ، فقد سبقه إليها غيره من أعلام العربية خاصّة المعتزلة كالجاحظ والرماني ، لكن يعود إليه الفضل في بلورتها وصياغتها وحسن تشكيلها⁴ ، ولم يقصر الجرجاني جهوده اللغوية على قضايا البلاغة المرتبطة بجودة النص ، والأثر الذي يتركه في المتلقي كالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية ، وإنما كان له الفضل في دراسة موضوعاتٍ تتعلّق بنحو النص وآليات اتّساقه وانسجامه ، وكان لهذه الدراسة أثرٌ فاعلٌ في تحديد مفهوم النص ذاته وكيفية بنائه وقوانين إنشائه.

لقد جمع الجرجاني بين النحو والبلاغة والدلالة ، مبيّنًا أهمية هذا الربط بينهما ، وأنه لا يمكن أن يفصل بينهما أيٌّ بين المكونات التركيبية والمكونات الدلالية ، لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل المقصود من النص يقول حسام البهنساوي: "لقد حسم عبد القاهر قضية ربط النحو بالدلالة ، وبين أهمية هذا الربط وضرورة اعتماد المكوّن التركيبي على المكوّن الدلالي ، تلك العلاقة التي تأخّرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها ومعرفة أهميتها إلى

¹ - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاکر ، مكتبة الخانجي ، ص: 39.

² - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، قرأه وعلق عليه : السيد محمد رشيد رضا ، دار المنار ، مصر ، ص: 316. (طبعة مختلفة).

³ - ينظر: نوال الخلف ، الانسجام في القرآن الكريم ، سورة النور نموذجًا ، أطروحة دكتوراه ، ص: 109.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 109.

ظهور كتاب تشومسكي الثَّاني (مظاهر النظرية النحوية) ، والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات¹ ، وهذا يعني أنَّ الجرجاني ربط بين النظم القرآني ومضمونه عن طريق الرِّبط بين المكوّن التركيبي والمكوّن الدَّلالي ، والنَّظْم عند الجرجاني نظير النَّسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك ، مما يُوجب اعتبار الأجزاء بعضها ببعض².

ما يميّز هذا التعريف أنَّ فيه ستة عناصر متضافرة يتم من خلالها بيان مدى اكتمال النَّظْم ، ومدى تحقيقه للتماسك والتناسق سواءً على مستوى البناء السطحي أو العميق للنَّص ، وإذا ما تمَّ مراعاتها في تأليف الكلام تحقَّق ما يسمى في الدِّراسات اللِّسانية المعاصرة الحبك و الأسبك ، باعتبارهما نتائج لمراعاة نظم الكلمات وفق معانيها ، وما يقصده المتكلِّم منها "فليس الغرض بضمِّ الكلام أنَّ توالى ألفاظها في النَّطق بل أنَّ تناسقت دلالاتها وتلاققت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"³ ، فليس النَّظْم إلا أنَّ تقتفي في نظم الكلمات آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النَّسق .

ويسترسل الجرجاني في شرح المقصود من النَّظْم في صفحات كتابه فيقول: "هذا هو السَّبيل فليست بواجبٍ شيئاً يرجع صوابه إنَّ كان صواباً وخطؤه إنَّ كان خطأً ، إلى النَّظْم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النَّحو قد أصيب موضعه ووضع في حقِّه أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فأزِيل عن موضعه واستعمل في غير ماينبغي له ، فلا نرى كلاماً قد وُصف بصحةٍ نظمٍ أو فساده ، أو وُصف بمزِيَّةٍ وفضلٍ فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصِّحة وذلك الفساد وتلك المزيَّة وذلك الفضل إلى معاني النَّحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتَّصل ببابٍ من أبوابه"⁴ ، وهذا يعني أنَّ الجرجاني يؤكِّد أنَّ الكلام لا يوصف بصحةٍ نظمٍ أو فساده إلا برجوعه إلى معاني النَّحو وأحكامه ، ويدخل في أصلٍ من أصوله وبابٍ من أبوابه ، وفي هذا يتلاقى الجرجاني مع هاليداي ورقبه حسن ، واللذان جعلوا الاتِّساق محور الفصل بين النَّص واللَّانص⁵.

يظهر جلياً أنَّ الجرجاني يرى أنَّ النَّص لا يتكون إلا بحسب قوانين النَّحو ومناهجه ، وهو هنا يدرك تماماً أنَّ علم النَّحو ليس هو نحو الجملة فقط ، إذ يرى أنَّ نحو الجملة جزءٌ يسيرٌ من علم النَّحو ، ويؤكِّد هذا الفهم تلك الأجزاء التي فصلها الجرجاني وجعلها مُشكِّلةً لعلم النَّحو منها⁶:

1- حسام البهنساوي ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر 1994م ، ص: 37.

2- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، ص: 53.

3- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الإعجاز ، طبعة دار المنار ، ص: 41.40.

4- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق: علي محمد زينو ، مؤسسة الرسالة ، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 ، 2005م ، ص: 78. (طبعة أخرى).

5- ينظر، نعيمة سعدية ، الاتِّساق النصي في التراث العربي ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر العدد5 جوان 2009م ، ص: 14.

6- ينظر ، عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، ص: 46.45.44.

الجزء الأول: وسَمَّاهُ الجرجاني نحو الجملة ، وهو جزءٌ من علم النَّحو يقول الجرجاني: "واعلم أن ليس النَّظم إلا أن تضع كلامك الموضوع الذي يقتضيه علم النَّحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيءٍ منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يتبعه الناظم نظمه غير أن ينظر في وجوه كلِّ بابٍ وفروقه ، فينظر في الخبر وفي الشرط والجزاء وفي الحال ، فيعرف لكلِّ من ذلك موضعه ويحيى به حيث ينبغي له"¹.

الجزء الثاني: ويُسمى نحو ما فوق الجملة ، وهو نحو المتعلقات ، يرتبط بالجزء الأول ولكنه يعدُّ توسعةً له يوضح ما يرتبط بالجملة ارتباطاً أصلياً بعد تمام أركانها الأساسية المسند والمسند إليه ، كالمفاعيل والتَّمييز والتَّوابع وفي هذا يقول الجرجاني: "وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ، ثمَّ ينفرد كلُّ واحدٍ منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلاً من ذلك في خاصِّ معناه"².

الجزء الثالث: يقدِّم الجرجاني جزءاً ثالثاً من أجزاء علم النَّحو، وفيه يقول: "وينظر في الجمل التي تُسرد فيعرف مواضع الفصل فيها من مواضع الوصل"³، وهذا الجزء أساسي في نحو النَّص ، وهو المميِّز الحقيقي لنحو الجملة عن نحو النَّص ، ففيه يتجلى ربط المتتاليات الجمالية التي تشكِّل النَّص الكلي ، ومن خلالها يتضح التماسك داخل النَّص وهذا يعني أن ما تشكَّل في أذهان القدماء من نحو النَّص هو موضوع الفصل والوصل ، ففي كلِّ مرة يلتفت فيها القدماء إلى الربط بين المتتاليات الجمالية ، إلا ونجدهم ينظرون في الوصل والفصل.

الجزء الرابع: وهو الذي يقاس به تمايز النَّصوص بعضها من بعضٍ يقول الجرجاني: "وينظر في التَّعريف والتَّكثير والتَّقديم والتَّأخير في الكلام كِلِه ، وفي الحذف والتَّكرار والإضمار والإظهار ، فيضع كلاً من ذلك مكانه ويستعمله على الصَّححة وعلى ما ينبغي له"⁴.

وهذا الجزء الأخير من أجزاء النَّحو هو المظهر لوعي النَّاص أو النَّاظم في ترتيب كلامه ، حيث توالي المعاني في النفس من جهةٍ وتأثيره في المتلقي من جهةٍ ثانية، وهذا هو الذي أكَّده عليه الجرجاني ، لأنَّه مدخلُ الاعجاز القرآني وهنا يبدو "فضل الجرجاني كبيراً في دراسة موضوعات تتعلَّق بنحو النَّص ، وبيان آليات انسجامه لذلك رأى كثيرٌ من الدارسين أن تلك القضايا التي درسها الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز ، وعياً من الجرجاني بنحو النَّص"⁵، وفي نصٍّ آخر يقول: "واعلم أن من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكرٍ ورويةٍ حتى انتظم بل ترى سبيله في ضمِّ بعضه إلى بعضٍ سبيل من عمداً إلى لآلٍ وخرطها في سلكٍ لا ينبغي أكثر من أن يمنعها التفرُّق"⁶.

1- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، طبعة المنار ، ص: 64.

2- المصدر نفسه ، ص: 64.

3- المصدر نفسه ، طبعة المنار ، ص: 64.

4- المصدر نفسه ، طبعة المنار ، ص: 65.

5- عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، ص: 43.

6- عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاکر ، ص: 96.

إنَّ الجرجاني يشير في هذا النَّص إلى معنى الاتِّساق في صورة تكاد تكون أقرب إلى مفهومه عند علماء لسانيات النَّص ، بل تكاد تكون أوضح من شرحها في العصر الحديث.

وهكذا يحفظ الاتِّساق للنَّص نصيته ، كما أنَّ النظم يُعد النص عن ضعف التأليف والتَّسج الذي تقع فيه النُّصوص بمخالفتها القانون النَّحوي المستمدِّ ممَّا ألفه العرب في لغتهم ، وداولته ألسنتهم ، في الكثير الغالب وهذه القوانين والمعاني هي التي تخلق حُسن نسق النَّص¹.

ولا يتأتَّى ذلك إلا بأن تكون الكلمات متتالياتٍ متلاحمة تلاحماً سليماً منسجماً لا معيياً مستهجنًا، لأنَّه عندما تتشابك الأجزاء ويفتقر كلُّ واحدٍ إلى الآخر تتأسَّس علاقة الاتِّساق ، وفي ذلك يقول الجرجاني: "لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك"² ، وبهذا تتعالق الوحدات البنائية لتشكِّل نصًّا ، وكلُّ الوحدات النَّحوية من جملٍ وأقوالٍ وتركيبات منسقة داخليا ، أي أنَّ هناك علاقاتٍ معينة بتوفرها يتحقَّق للنَّص نصيته فيصبحُ كلامًا موحد الأجزاء متَّسقًا³.

والملاحظ أنَّ الجرجاني ركز على فكرة تعليق الكلم بعضه ببعض ، أكثر من النَّظم في حد ذاته وفي ذلك يشير الدكتور تمام حسان "وأما أخطر شيءٍ تكلم فيه على الاطلاق ، فلم يكون النَّظم ولا البناء ولا التركيب وإنما كان التَّعليق ، وقد قصد به إنشاء العلاقات بين المعاني النَّحوية بواسطة ما يُسمى بالقرائن اللَّفظية والمعنوية والحالية"⁴ ومن ثمَّ راح الجرجاني يتأمَّل العلاقة بين أجزاء التعبير ، ويحاول التعرف على تفصيلات التَّرابط بين الكلمات التي أهلها النَّحاة قبله ولم يتطرقوا إليها بالتفصيل ، أو الاحتمالات المختلفة التي يتعرَّض لها التَّرابط بين عنصرين أو الاسناد⁵ .

وعليه فإدراك حقيقة جُزئيات التَّركيب ، لا يكون ممكنًا إلا إذا تعلقنا بغيرها ، أي من خلال دورها في خلق النَّظم ، فلا يفيد الوقوف عند الجزئيات كثيراً ، لأننا لا نتكلم ليفهم كلُّ من يسمعنا جزئيةً واحدةً أو كلُّ جزئيةً على حدة ، بل إننا نفعل ذلك لننقل إليه دلالة مفيدة ذات جزئيات متَّسقة ومنسجمة تتأخذ وتتشابك حتى يتعلَّق بعضها ببعض⁶ يقول الجرجاني: "إنَّ من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن، كالأجزاء من الصَّيغ تتلاحق وينضمُّ بعضها إلى بعض ، حتى تكثر في العين ، فأنت بذلك لا تكبرُ شأن صاحبه ولا تقضي له بالحذق والأستاذية وسعة الدَّرع وشدة المنة حتى تستوفي القطعة"⁷، ففي حديثه عن المزيَّة في اللَّفظ والمزية في النَّظم يذكر بيتاً لابن المعتز ، وهو قوله:

¹ - ينظر: نعيمة سعدية ، الاتساق النصي في التراث العربي ، ص: 19.

² - عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر ، ص: 55.

³ - ينظر: المرجع السابق ، ص: 19.

⁴ - تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، طبعة 1994م ، ص: 188.

⁵ - ينظر: تامر سلوم ، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا ، ط1، 1983م ، ص: 121.

⁶ - ينظر: نعيمة سعدية ، الاتساق النصي في التراث العربي ، ص: 18.

⁷ - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، ص: 88.

وإني على إشفاق عيني من العدى لتجمع مئي نظرة ثم أطرف

يقول الجرجاني: "فترى أن هذه الطلاوة ، وهذا الظرف إنما هو لأن جعل النظر (يجمع) ، وليس هو لذلك بل لأن قال في أول البيت (وإني) ، حتى دخل اللام في قوله (لتجمع) ثم قوله (مئي) ثم لأن قال (نظرة) ، ولم يقل النَّظْر مثلاً ثم لمكان (ثم) في قوله (ثم أطرف) ، وللطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف ، وهي اعتراضه بين اسم (إن) وخبرها بقوله (على إشفاق عيني من العدى)"¹.

وأكثر من ذلك كان للجرجاني وعيي بدور المتلقي في صناعة النَّص ، يقول: "فإنما أرادوا بقولهم ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك ، أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ وتهذيبه وصيانتته من كل ما أخلَّ بالدلالة وعاق دُون الابانة"².

يتبين ممَّا سبق أن الجرجاني قد أرسى اللبانات الأساسية الأولى لمفاهيم نظرية لم تتجسد إلا في العصر الحديث ويبدو أثر الجرجاني واضحاً في من أتى بعده وألَّف في علم البلاغة كالسكاكي والقزويني ، "وقد حاول كثير من المفسرين منذ عهد عبد القاهر الافادة من هذه النظرية في بيان إعجاز القرآن ، ولعل الزمخشري الذي عاش في القرن السادس كان خير من توسَّع في تطبيق هذه النظرية في تفسيره"³.

بعد كل هذا يمكننا أن نقول "إنَّ النظم يمثل مكوناً في نظرية لغوية لا تقلُّ سماتها وضوحاً عن سمات أيِّ نظرية لغوية حديثة ، والواقع أن مفهوم النظم يمثِّل العمود الفقري لنظرية لغوية عربية لا تقلُّ تكاملاً من ناحية اتِّساقها -على الأقل- عن أيِّ نظرية لغوية حديثة بما في ذلك نظرية فيرديناند دي سوسير"⁴.

5- النَّصُّ والنَّظَرَةُ النَّقْدِيَّةُ :

أ- الجاحظ:

قدَّم الجاحظ (ت255هـ) في كتابه (البيان والتبيين) ، رأياً نقدياً مهمَّةً ، منها تعريفه للشعر بقوله: "إنَّ الشعر صناعةٌ وضرب من النَّسج أو جنس من التصوير"⁵، فلا بد أن يكون الشعر حسن الصياغة جيّد السبك مقام الوزن متألّف الأجزاء ، وفي ذلك يقول: "وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"⁶.

¹ الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ص:99.98.

² الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، أسرار البلاغة ، علق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، السعودية ، ص: 144.

³ عفت الشرقاوي بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ، ص: 35.34.

⁴ عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، مطابع الوطن ، الكويت ، 2001م. ص: 220.

⁵ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1965م ، ج3 ص:132.

⁶ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط7 ، 1998م ، ج1 ص: 67.

ونجدُ الإبداع عند **الجاحظ** في إشارته إلى تماثل الأجزاء ، وتماثل الحروف ، فالحروف تُشكّل الكلمات والكلمات تُشكّل الجملة ، والجملة تُشكّل العبارة ، وفي ذلك يقول: "وكذلك حروف الكلام و أجزاء البيت من الشّعر تراها متّفقةٌ مُلّساً وليّنةً المعاطف سهلةً ، وتراها مختلفةً متباينةً ، ومتنافرةً مستكرهةً، تشقُّ على اللسان وتُكّده والأخرى تراها سهلةً ليّنةً ورطبةً متواتيةً سلسة النّظام ، خفيفةً على اللّسان ، حتى كأنّ البيت بأسره كلمةً واحدةً ، وحتى كأنّ الكلمة بأسرها حرفٌ واحدٌ"¹.

إنّ هذا التآلف والتّلاحم والسّهولة التي يدعو إليها **الجاحظ** ، هي التي تجعل من الشّعر مقبولاً على ألسنة القراء والمستقبلين ، وهذه الشّروط التي يجب أن تتوفّر في البيت الشعري تُكوّن لدينا حسّاً شعرياً ، يجعلنا نتلمس جمال صورهِ ، وإبداعات أخيلته ، وتناغم مُوسيقاه الدّاخلية ، وبالتالي تمُدُّ جسراً من التّواصل بين المبدع والمستقبل². ومن المباحث التي اهتم بها **الجاحظ** قضية التّنافر بين الألفاظ ، فقد تُجمع مجموعةٌ من الألفاظ في بيتٍ شعري ولكنّ تبدو كلّ لفظةٍ لا علاقة لها بما قبلها وما بعدها ، يقول **الجاحظ**: "ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر وإنّ كانت مجموعةً في بيتٍ شعرٍ لم يستطيع المنشدُ إنشادها إلا ببعض الاستكراه فيمن ذلك قول الشّاعر:

وقبرٍ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربٍ قبرٍ حربٍ قفرٍ

ولما رأى من لا علم له أنّ أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاث مرّاتٍ في نسقٍ واحدٍ فلا يتعتّع ولا يتلجّج وقيل لهم إنّ ذلك إنّما اعتراه ، إذ كان من أشعار الجربِ ، صدّقوا بذلك"³.

والجاحظ بقوله هذا أخرج هذا الاستكراه من باب عدم التآلف واقتران الحروف بعضها ببعض ، وهذا له علاقةٌ بالجانب الصّوتي في الألفاظ والحروف ، والتآلف مرتبّ بتباعدٍ مخارج الأصوات سواءً في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة ، والتّنافر مرتبّ بتقارب المخارج أو تماثلها⁴، يقول **الجاحظ**: فأما في اقتران الحروف فإنّ الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقدّم ولا بتأخّر ، والرّاي لا تقارن الظاء ولا السّين ولا الضّاد ولا الذال ، بتقدّم ولا بتأخّر ، وهذا بابٌ كبيرٌ ، وقد يُكتفي بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يجري⁵ ومن خلال شرح **الجاحظ** لفكرة تلاحم الأجزاء ، يمكنُ رُدّها إلى الأبيات المشكّلة للقصيدة الأجزاء المشكّلة للبيت ، الأجزاء المشكّلة للسّطر (الألفاظ) ، الأجزاء المشكّلة للألفاظ (الحروف) ، وفي هذا يؤكّد **الجاحظ** على أنّ التّرابط والتآلف بين أجزاء البيت ، يجعل من البيت كأنّه كلمةً واحدةً ، فبدايته تنبئك عن نهايته يقول **الجاحظ** : "خير أبيات الشّعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته"⁶.

¹ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص: 67.

² - ينظر: مطير بن سعيد بن عطية الزهراني ، استقبال النص عند الجاحظ ، إشراف محمد بن علي فرغلي الشافعي ، جامعة أم القرى ، السعودية 2004م ، ص: 48.

³ - المصدر السابق ، ج1 ، ص: 65.

⁴ - ينظر: المرجع السابق ، ص: 50.

⁵ - المصدر السابق ، ج1 ، ص: 69.

⁶ - المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 116.

إن هذا الترابط له أثر جمالي في نفوس جمهور المستقبلين من ناحية قيام القصيدة على كتلة مترابطة تتجه بالمستقبل إلى الانسجام مع مُعطيَّاتها ، دون تشتيت ذهنه وفكره في ربط الأبيات المتنافرة¹ ، وقد دَلَّ الجاحظ على هذا بقوله: "وقال: بعضُ الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك قال: ولم؟ قال: لأني أقولُ البيت وأخاه وأنت تقولُ البيت وابن عمِّه"².

يتَّضح لنا أنَّ الجاحظ من خلال آرائه النَّقدية ، حرص على إيجاد وسائل تماسك النص وتلاحم الأجزاء وجودة السبك ، غير أنَّ ذلك لم ينته به إلى صوغ نظرية متكاملة مثل نظرية النحو المتصلة بالجملة ، لكن هذا لا يمنعنا من القول أنَّ آراء الجاحظ أصبحت مرجعاً لأشهر البلاغيين الذين جاؤوا بعده ، والذين جعلوا من البلاغة السابقة التاريخية لإرساء قواعد لسانيات النص.

ب- حازم القرطاجني:

تميز العصر الذي عاش فيه حازم القرطاجني (684هـ—) ، بتطور النقد ونضوج الرؤية فقد تجاوز النقد حدود الجملة إلى مستوى النص ومن خلال كتاب القرطاجني (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) ، والذي ضمَّه نظراً شمولية عكست منهجه النقدي ، إذ انطلق من آراء سابقه ليكون آراءه الخاصة ، التي ميزته وتمت عن شخصيته الفذة³ والمتأمل في ضروب كلام (منهاج البلغاء) ، يحسُّ بميل القرطاجني نحو المعاني ، وليس في ميله إغفال في الحديث عن توجُّي معاني النحو ومراعاة شكل الكلام ، يقول في ذلك: "ويقتدر على هذا بمعرفة كيفية تصاريف العبارات وهيآت ترتيبها ، وترتيب ما دلَّت عليه والبصيرة بضروب تركيباتها وشئى ما أخذها"⁴. ومدار الحديث هنا ، حول براعة المتكلم وحسن تصرفه في العبارات وكيفية ترتيبها ، لأنَّ ذلك لا يحدث عبثاً وإنما يجب على المتكلم النظر في الكيفيات والطرائف نحوية كانت أو دلالية ، لأنَّ الكلام المنسق يقوم على "وضع اللفظ إزاء اللفظ الذي بين معنييهما تقارباً و تناظراً ، من جهة ما لأحدهما إلى الآخر انتساباً وله به علقه وحمله عليه في الترتيب ، فإنَّ هذا الوضع في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بياناً وحسن ديباجة ، واستدلالاً بأوله على آخره"⁵.

هذا القول يعكس لنا أنَّ هناك مراحل تسبق التركيب والانسجام ، وهي: اختيار الألفاظ النَّظم والبناء مراعاة العَرَض والهدف ، ويدلُّنا هذا على أنَّ حازم القرطاجني قد اهتمَّ باللفظ وبالنَّظم والأسلوب معاً ، وفي هذا

¹ - ينظر: مطير بن سعيد بن عطية الزهراني ، استقبال النص عند الجاحظ ، ص: 51.50.

² - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص : 228.

³ - رشيدة كلاع ، النقد المغربي القديم في ضوء نظرية النص من خلال كتابي العمدة ومنهاج البلغاء ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قسنطينة 1 ، إشراف العلمي لراوي ، 2013م ، ص: 162.

⁴ - حازم القرطاجني أبو الحسن ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق: محمد الحبيب بن الخرجة ، دار الغرب الاسلامي ، ص: 17.16.

⁵ - المصدر نفسه ، ص: 224.

يقول "واعلم أنّ منزلة حسن اللفظ المحاكى به وإحكام تأليفه من القول المحاكى به ، ومن المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ وحسن تأليف بعضها إلى بعض وتناسب أوضاعها من الصور التي يمثّلها الصانع"¹.

وقد انفرد **حازم قرطاجي** عن البلاغيين بنظرة أكثر شمولاً للنص ، تميزه عن غيره من أهل النظر في علوم البيان والبديع ، فهو أوّل من قسم القصيدة العربية إلى فصولٍ وأوّل من أدرك الصّلة الرابطة بين مطلع القصيدة وما سماه بالمقطع ، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنّهائي عن القصيدة².

وفي نظره إلى القصيدة اتضح تأثيره بالفيلسوف **أرسطو** ، الذي اعتنى بالشعر بحسب المذاهب اليونانية وتبّه على عظم منفعة ، وتكلّم في قوانينه ، ولكن بالرغم من ذلك فإنّ الأشعار اليونانية بحسب رأي **حازم** إنما كانت أغراضاً محدودةً وأوزاناً مخصوصة³، ويبدو تأثيره أيضاً بالفلاسفة المسلمين **كالفارابي** و**ابن سينا** ، فقد استوعب تصوراتهم وصياغاتهم ولكنّه انتدب نفسه لتدارك النقص الذي أشارا إليه⁴ في محاولة منه لانجاز مهمة وهي زيادة أو إضافة قوانين تستوعب الخصوصية العربية التي نوّه بها " ، هذه المهمة التي اشتق منها **الفارابي** تواضعاً في ظاهر اللفظ وجعلها **ابن سينا** مشروعاً للمستقبل ، هي المهمة التي انتدب **حازم** نفسه لانجازها⁵.

لم يتوقّف **حازم** عند حدود البيت الواحد ، بل نظر إلى القصيدة كلّها وقسمها إلى فصولٍ ووقف مفصلاً العلاقة بين مطلع القصيدة ونهايتها، وأشار إلى الشروط التي ينبغي أن تُراعى عند كلّ مطلعٍ وكلّ نهايةٍ فكأنّه أدرك بديهته صلة ما بين خاتمة النص والتدرج الداخلي للمعاني فلا يجوز - في رأيه - أن تأتي هذه الخاتمة بانطباع لم يتولّد عن مجمل الانطباعات الخاصّة بفحوى القصيدة⁶ ، وفي هذا يقول: "إنّما وجب الاعتناء بهذا الموضوع لأنّه منقطع الكلام وخاتمته ، فالإساءة فيه مغفية عن كثيرٍ من تأثير الإحسان المتقدّم عليه في النفس ، ولا شيء أقبح من كدر بعد صفوٍ و ترميدٍ بعد إنضاج"⁷ ، هذا الذي جعله ينظر إلى النص في تماسكه نظرة الثوب الذي أتقنت صنعته ونسجه.

لقد ركّز **حازم** في حديثه عن بناء القصيدة على الجانب النفسي للعمل الابداعي ، أي على الأثر الذي يتركه النص في المتلقي بشكلٍ يجعل النصّ ينجح في تحريك مشاعر المتلقي ، ودفعه للتفاعل مع مضامينه أو بالنسبة للمتلقي الذي يعتبره شريكاً فاعلاً وفعالاً في عملية إبداع النص⁸.

1- حازم القرطاجي أبو الحسن ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص: 129.

2- ينظر: إبراهيم خليل ، الأسلوبية ونظرية النص ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1997م ، ص: 56.

3- ينظر: المصدر السابق ، ص: 68.

4- محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ، ص: 498.

5- المرجع نفسه ، ص: 499.

6- إبراهيم خليل ، الأسلوبية ونظرية النص ، ص: 57.

7- حازم القرطاجي أبو الحسن ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص: 285.

8- ينظر: المرجع السابق ، ص: 57. وينظر: رشيدة كلاع ، النقد المغربي القديم في ضوء نظرية النص من خلال كتابي العمدة ومنهاج البلغاء ، ص:

ظلت وحدة النص وتماسكه هاجسًا يراود حازما ، فألح عليه عبر مختلف عناصر النص التي مافتى يدعو إلى تجويدها من جهة وإلى اتساقها وترابطها ، سواءً على مستوى الفصول/النصوص أو على مستوى الوحدة الكلية والشاملة للنص من جهة أخرى ، لذلك حرص أن لا يكون الفصل من القصيدة مُنبثًا عن الفصل الذي يليه فهو وإن تمّ تأليفه من جملٍ وعباراتٍ مترابطةٍ متواشجةٍ ، إلا أنه بحاجةٍ إلى ما يصله بالذي يليه ، وهذا ما سمّاه الاطراد في تسويم رؤوس الفصول¹، هذه النظرة التي ميّزت فكرة حازم تتطابق حرفيًا مع ذهب إليه اللساني الهولندي (فاندايك) ، في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة لكل نصّ وهذا يعني أسبقية في تحديد بعض المفاهيم التقديمية كمفهوم البنية الكبرى للنص عند (فان دايك) ، في مقابل الفصل عند حازم واستعماله لكلمة الاقتران القريبة جدًا من مفهوم الاتساق².

لابد من الإشارة أيضًا إلى اهتمام حازم بتألف وتلازم الكلام ، فقد تحدّث عن تلاؤم حروف الكلمة الواحدة وكذا كلمات الجملة الواحدة، وتلاؤم الجمل بعضها مع بعض ، إلى أن تشكّل لنا وحدةً منسجمةً فقد تجاوز الحديث عن بناء النص في منهاج البلاغ ، نظم الجملة وكيفية صياغتها بشكلٍ أمثل يشمل البنية الأفقية للنص ليمتدّ فيشمل النص ككلٍ ، بوصفه بنية كبرى متماسكةً ومنسجمةً فوقف عند المطالع والمقاطع وبناء الفصول وتناسقها سعيًا منه لبناء نصّ يشكّل نسيجًا واحدًا متراصّ الأطراف³.

ومن المباحث التي ركّز عليها اهتمامه بالانسجام الصوتي وذلك لأهميته في الرّبط بين المعاني يقول في ذلك "ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه ، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاءٍ منها أن تكون حروف الكلام بالتّظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها ، وائتلاف جملة كلمةٍ مع جملة كلمةٍ تالاصقها ، منتظمةً في حروف مختارة متباعدة المخارج مرتّبة الترتيب الذي يقع فيه خفةٌ وتشاكلٌ ما"⁴.

لم يقتصر اهتمام حازم بالانسجام على المستوى الصوتي والمعجمي والدلالي ، بل تعدّاه إلى المستوى التداولي مبيّنًا العناصر التي تدخل في صناعة الشّعر وهما: التّخيل والمحاكاة يقول في ذلك: "الشّعر كلامٌ موزونٌ مقفى من شأنه أن يجيب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكره إليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمّن من حسن تخييل له ومحاكاةٍ مستقلةٍ بنفسها ، أو متصورةٍ بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوّة شهرته أو بمجموع ذلك ، وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن به من إغرابٍ فإنّ الاستغراب والتّعجب حركةٌ للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثيرها"⁵.

في هذا النص لا يقف عند الحدّ التقليدي للشّعر ، بل يتجاوز ذلك بحديثه عن الوظيفة التي من أجلها حُطّ هذا الشّعر ، وهي التأثير في المتلقّي ، بحيث يكون بمقدوره أن يجيب إليه أشياءً ويكره إليه أخرى ، هذا

¹ ينظر : إبراهيم خليل ، الأسلوبية ونظرية النص ، ص: 60.

² المرجع نفسه ، ص: 60.61.

³ ينظر: رشيدة كلاع ، النقد المغربي القديم في ضوء نظرية النص من خلال كتابي العمدة ومنهاج البلاغ ، ص: 162.

⁴ حازم القرطاجني أبو الحسن ، منهاج البلاغ وسراج الأدباء ، ص: 222.

⁵ المصدر نفسه ، ص: 71.

الموقف الذي يتخذه المتلقي اتجاه النص الشعري ، يحرّضه عليه ما فيه من حُسن تخييلٍ ومحاكاةٍ فتحرك النفوس للأقوال المخيلة ، إنما يكون بحسب الاستعداد ، وبحسب ما تكون عليه المحاكاة في نفسها.. والاستعداد نوعان استعداداً بأن تكون للنفس حالٌ وهوى قد تهيأت بهما ، لأن يحركها قولٌ ما بحسب شدة موافقته لتلك الحال والهوى والاستعداد الثاني ، هو أن تكون النفوس معتقدةً في الشعر أنه حكم وأنه غريمٌ ، يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما أسلبها من هزة الارتياح لحسن المحاكاة¹.

فالبعد تداوليٌّ عند حازم مرتبطٌ بالسياق النفسي أكثر ، وهو ما يجعله يقترب في الكثير من آرائه وأفكاره ممّا توصل إليه (فان ديك) ، في أبحاثه بل يمكن القول ذون غلوٍ أو مبالغةٍ أو تحجّرٍ أنّ حازم القرطاجني سبق الغرب -من خلال جهوده - بعدة قرون .

6- النص والنظرة الفلسفية:

من خلال عرضنا لجهود العلماء النصية ، يلاحظ أنّ تجاوز عتبة الجملة في التراث العربي ، بدأ مضمناً في ثنايا دراسة نحو الجملة ، يقول محمد الشاوش عن عمل نحاة العرب : "والمرء لا يشعر وهو يطّلع على ماوضعوا بأنّه اتجاه نظريتين بُنيت الواحدة منهما للجملة ، والأخرى للنص ، بل هي النظرية الواحدة بما فيها من قواعد خاصّة بكلّ مجالٍ ، وقواعد عامّة مشتركة بين الجانبين ، فلا فرق إلّا بحسب ما يقتضيه الفرق بين الوحدات التي تجري فيها تلك القواعد والأحكام"².

أخذ الاهتمام بالنص بعداً بينياً في العلوم الاسلامية المختلفة منذ نشأتها ، ومن هنا تجدر الإشارة إلى الاجتهادات الفلسفية للعلماء المسلمين في دفاعهم عن انسجام النص القرآني، والتي اعتمدت في أغلبها على مبدأ التأويل فجاءت قضية الانسجام مرتبطةً أشدّ الارتباط بهذا المبدأ.

أ- الغزالي:

كان أبو حامد محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ) ، فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً عاش في طوس ، ثم انتقل إلى نيسابور وبعدها إلى بغداد لازم أبا المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين ، تميّز عصره بالانتعاش الثقافي وقد ألف كتابه (المستصفى من علم الأصول) ، للتعريف بعلم أصول الفقه ، قام الغزالي فيه بإيراد مجمل المباحث الأصولية فقد تكلم في الحكم والمقاصد والأدلة الشرعية القرآن والسنة والإجماع والقياس والاجتهاد وغيرها من المباحث التي تُعلّق بهذا العلم .

إنّ كتب أصول الفقه تمثّل المرجع الأول في التراث العربي لمقاربة مفهوم النص/الخطاب ، وينبغي لكلّ باحثٍ في نظرية النص أن يهدف التّأصيل أو يهدف البحث عنده إلى إيلاء هذا المرجع مكانه اللائق به فنظريات أصول الفقه هي التي استعمل المفسّرون والفقهاء قواعدها في تفسير النصوص والتعامل الدلالي معها .

¹ - حازم القرطاجني أبو الحسن ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص: 122.121.

² - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ج2 ، 2001م ص:1267.

وجميع المهتمين بهذا العلم يجمعون "أن أصول الفقه عبارة عن أدلة هذه الأحكام ، وعن معرفة وجود دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل"¹.

"فقد كان للأصوليين باع في توضيح طرق الاستنباط خصوصاً ما تعلق بالقواعد اللغوية.. كما تناولوا البحث في الألفاظ ودلالاتها مُراعين في ذلك مقاصد التشريع"².

والمتتبع لآراء العلماء في هذا الباب يرى أن العلماء اعتمدوا فيه على طريقتين : طريقة نظرية تقوم على تحقيق القواعد تحقيماً منطقياً ، بإقرار ما يؤيده البرهان العقلي والتقلي منيها دون تأثير بفروع مذهب من المذاهب أو التقيد برأي إمام معين ، فالمقصود في هذا الاتجاه تحرير القاعدة وتنقيحها من غير تطبيقها على أي مذهب تأييداً أو نقضاً ، وقد ظهرت هذه الطريقة عند الشافعية والمالكية والحنابلة والشيعة الامامية والزيدية والإباضية ، ولقد كان فريق كبير من هؤلاء من علماء الكلام ، فسُميت الطريقة طريقة المتكلمين .

أما الطريقة الثانية فهي تقوم على محاولة ضبط فروع أئمة الحنفية بقواعد جديدة تعتبر هي الأصول ، ثم رد تلك الفروع إليها³.

وينتمي الإمام الغزالي إلى الطريقة الأولى ، فهو من الذين صنعوا الدلالات الخالصة للنصوص ويسميها الأصوليون الإفادة المستقلة أو غير المستقلة للفظ المركب المقيد ، أو أقسام اللفظ باعتبار الوضوح وعدمه ، وفي هذا يوضح الغزالي أن المقيد من الكلام ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف ، كما في علم النحو ، وتحدث أيضاً عن أقسام الإفادة التي يفيدها تركيب هذه الأقسام الثلاثة ، فيقول: " واعلم أن المركب من الاسم والفعل والحرف تركيباً مقيداً ينقسم إلى ما يستقل بالإفادة من كل وجه وإلى ما لا يستقل بالإفادة أصلاً إلا بقربنة وإلى ما يستقل بالإفادة من وجه دون وجه"⁴، وأطلق الغزالي على القسم الأول اسم (النص) لظهوره وحدد له نوعين: نوع هو نص بلفظه ومنظومه ، ونوع هو نص بفحواه ومفهومه ، وأما القسم الثاني فهو كل لفظ مشترك ومبهم ، وأما القسم الثالث فسماه ظاهراً⁵.

وفي حديثه عن طرق فهم المراد من الخطاب حتى لا يتطرق إليه الاحتمال ، يشير الغزالي إلى ضرورة وجود قربنة تُضاف إلى اللفظ ، ويبين الغزالي أنواع القرائن ، فهي إما لفظ مكشوف ، وإما إحالة على دليل العقل ، وإما أن تكون قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق ، لاتدخل تحت الحصر والتخمين يختص بإدراكها المشاهد لها⁶.

¹ - الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفي من علم الأصول ، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ ، شركة المدينة المنورة للطباعة ، ج 1 ، ص: 09.

² - أحمد عبد الغفار ، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، 1996م ، ص: 36.

³ - محمد أديب صالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، ط 3 ، 1993م ، ص: 99.98.

⁴ - الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفي من علم الأصول ، ج 2 ، ص: 17.

⁵ - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص: 18.

⁶ - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص: 19.

وفي حديثه عن القرائن إشارة واضحة لأهمية السياق الخارجي في فهم النصوص ، وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الأصوليين تنبهوا بفطنة ودراية إلى ما نطلق عليه اليوم (التداولية)¹ "لأنَّ الأصوليين والفُقهَاء هم دارسون لنصوصٍ شرعيةٍ ، وهذه النصوص هي نصوصٌ عربيةٌ ، فكان من اللائق أن تكون الاعتبارات اللغوية هي المدخلُ المناسب لتلك الدراسات ، وكان ذلك داعياً لهم إلى انتحاء منحى دراسيٍّ متجهٍ إلى المعنى والغرض ، حتى يحققوا غاياتهم الدراسية نسميه بلغة عصرنا المنحى التداولي"¹.

ويتحدث الغزالي عن الخطاب ، ويشترط فيه أن يكون مفهوماً ، أي أن يفهمه المخاطب وهو يُسمى خطاباً إذا فهمه المخاطب² ، ويتطرق الغزالي كذلك إلى العام والخاص ، ويجعل العموم والخصوص من عوارض الألفاظ لا من عوارض المعاني ، ويذكر صيغ العموم ويفصل في الاستثناء من الجمل المتعاقبة ، كما يفصل في الشرط وفي الأدلة التي يُخصَّص بها العموم ، ومنها المفهوم بالفحوى ، كما يخصَّص باباً "فيما يُقتبس من الألفاظ لا من حيث صيغتها من حيث فحواها وإشارتها" ، ويجعل من الاقتضاء وهو الذي لا يدلُّ عليه اللفظ ولا يكون منطوقاً به ولكن من ضرورة اللفظ ، ويجعل منها إشارة اللفظ لا من اللفظ ، ويقصد به ما يتبع اللفظ من غير تجريدٍ قصد إليه ، ويجعل منها أيضاً فهم غير المنطوق به من المنطوق به ، بدلالة سياق الكلام ومقصوده ، وهذا له علاقة بالسياق الداخلي للنص ، ويجعل منها المفهوم ، ودليل الخطاب³.

وهذه كلها مباحث مهمة لها علاقة بالنص ، في روابطه وعلاقاته الدلالية وسياقه وفهمه.

ب- ابن رشد:

لم يختلف أبو الوليد محمد بن رشد (595هـ) عن الغزالي ، في تأثره بالفلسفة اليونانية ، على الرغم من المشادَّة الفكرية بينهما في كتابي (تهافت الفلاسفة) و(تهافت التهافت) ، فقد انجذب كثيراً للمفكر والفيلسوف اليوناني أرسطو ، وقد نشأت بينهما العديد من نقاط التلاقي ، مما خلق بينهما توافقاً وانسجاماً وتقارباً ، إلا أن ذلك التوافق والتقارب ، لم يمنع ابن رشد من التفرد بفكرٍ أصيلٍ نابعٍ من ثقافته وإرثه الإسلامي.

يعتبر ابن رشد مصححاً لمسائل الفكر والتفكير الإسلامي ، حيث انبرى أبو الوليد وهو الفيلسوف الرائد في مضمار الدفاع عن الفكر الإسلامي الحرِّ ، مستنداً في ذلك على ما وجدته في القرآن العظيم ، وما فيه من خطاب للعقل البشري واستطاع أن يدعّم حججه وبراهينه التي تثبت وجود الخالق جلّ وعلا رافضاً الحجج والأدلة غير العقلية ، والتي عدّها جدليّة وخطابية ، لا ترقى إلى أن تصل إلى درجة ومرتبة البرهان العقليّ ، وهو الشرط اللازم والضّروري لفكرة البرهان والدليل المنطقي لدى ابن رشد "وبناءً على ذلك يكون للعقل الأوّل الذي هو مصدر كلّ هذه الحركات علمٌ بكلِّ ما يحدث في العالم"⁴.

¹ مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ص: 171.

² ينظر: الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفي من علم الأصول ، ج2 ، ص: 34.

³ المرجع السابق (الفصل الرابع) ص: 129 وما بعدها .

⁴ فرح أنطون ، فلسفة ابن رشد ، الهيئة المصرية للكتاب ، الاسكندرية ، مصر ، 1993م ، ص: 06.

وكثيراً ما كان يتوجّه في شرحه وتلخيصه إلى القارئ العربي المسلم ، فيقومُ بحذف الشواهد اليونانية وغيرها بالشواهد العربية تمييزاً لأثره ورغبةً في إضفاء البصمة الحضارية العربية الإسلامية على فلسفته ، وفي عرض آرائه الفلسفية لا يقف عند مستوى الشرح أو التلخيص ، بل ينتقل إلى مستوى أعمق هو الاستدلال وتأكيد أفكاره بالدليل العلمي والتجربة الحسية ، وهذا الذي يؤكد أن منهج ابن رشد جمع فيه بين العقل والتجربة.

لقد أثرت فلسفة ابن رشد في الأوروبيين إلى حدّ أن الكثير منهم أعلن التمرّد والخروج عن تعاليم الكنيسة في القرون الوسطى ، إذ يمكن القول أن ابن رشد بدفاعة عن الفلسفة ، ودعوته إلى الاعتماد على العقل والتجربة ، قد مهّد السبيل بصورة غير مباشرة إلى الثورة العلمية الأوروبية ، في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

وفي الوقوف على قوانين التأويل الشرعية ميّز ابن رشد بين الظاهر والباطن ، وعلى غرار ذلك ميّز بين العامة والخاصة ، والعامة ليس من حقها التأويل ، فهي تقف على المعنى الظاهري فقط من الآية الكريمة ، أمّا الخاصة فلها الحق في التأويل والنفوذ إلى باطن الآية الكريمة ، واكتشاف المعنى الحقيقي للآية ، وقبل أن يفتح ابن رشد باب التأويل استقرأ الآيات الكريمة ، منها ما يقبل التأويل ومنها ما لا يقبل التأويل ، وإنما يجب الحفاظ على معناه الظاهر والأخذ به ، أي أن هناك ظاهراً من الشرح يجوز تأويله ، فإن كان تأويله في المبادئ فهو كفر وإن كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة¹.

من خلال المؤلفات الكثيرة التي ألفها ابن رشد ، من كتب ورسائل إسلامية وفلسفية وعلمية ، أبانت عن سعته الثقافية والأدبية واللغوية ، كل ذلك منحها قدرة على المقارنة بين الأدب اليوناني والأدب العربي ، في تلخيص كتاب (فن الشعر) لأرسطو.

قام ابن رشد بترجمة بعض المصطلحات اليونانية إلى العربية ، فترجم التراجيديا إلى المديح ، وترجم الكوميديا إلى الهجاء ، في محاولة منه إضفاء الصبغة والخصوصية العربية ، ولم يكتف ابن رشد بذلك ، فقد وظّف مفهوم المحاكاة والتخييل وذكر أنواع المحاكاة (الشبهات) ، ومنها المحاكاة التي تقع بالتذكر ولما كان الاستدلال هو الانتقال من الجهل إلى المعرفة ، فإن التعرف الذي يتم بالذاكرة يعدّ استدلالاً ، وهو في الشعر العربي كثير ، وقد استطاع ابن رشد أن يوظّف الاستدلال من أجل الانتقال من حدود الجملة والبيت إلى النص ككله واقفاً على العلاقات التي تربط مكونات النص معتمداً في ذلك على التأويل ، ومتكناً في آرائه على الشعر الجاهلي ، والذي يكثر فيه تداعي الأفكار ، وقد حرص ابن رشد على الاهتمام بالعلاقات المنطقية داخل القصيدة ، لأنّ الشعر عنده ضرب من المنطق ، هذا الذي دفع أهل النقد والبلاغة العربية لأن ينهلوا من أفكار ابن رشد "ويمكن أن نستشهد لذلك على مستوى الأفكار الكلية التي وردت عند ابن رشد ، ولم تطوّر في حينها بقصّة وحدة الخطاب

¹ - ينظر: ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد ، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1997م ص: 111.

الأدبيّ ، وتقييد الابداع الأدبي لإبداع الطّبيعة في اللّجوء إلى هذه الوحدة ، هي نفس الفكرة التي أبرزها جورج بوفان الذي توفي بعد ابن رشد ، بنحو ستة قرونٍ في عمله المشهور (مقال في الأسلوب)¹.

تلك هي أبرز سمات وملامح شخصيّة ابن رشد ، التي جعلته الأشهر والأبرز من بين فلاسفة الاسلام بلا منازعٍ إذ لم تنحصر شهرته ومكانته في بلاد المسلمين ، وإنما ذاع صيته وعمت شهرته الآفاق باعتباره الفيلسوف الأكثر حضوراً وتأثيراً في الفكر الانساني يقول (كارليل) "إنّ الرّجل العظيم كالشّهاب من السّماء ، وسائر النّاس في انتظاره كالخطب فما هو إلّا أن يسقط حتى يتأجّجوا ويلتهبوا"².

يمكننا أن نستخلص نقاطاً مهمّة تكشف لنا اهتمام وإسهام التّراث العربيّ في علم اللّغة النّصي وهي:

- الدّراسات القرآنيّة ميدانٌ خصبٌ اعتُبر نماذج تطبيقية للسانيات النص ، لأنّ هذه الدّراسات لم تتعامل مع جزئية منفردة في النّص ، وإنما شملت ذلك النّص باعتباره نصّاً متكاملًا ، وقد عملت على تحليله والوقوف على جوانبه ومكوّناته الشّكلية ورصد العلاقات المعنويّة بين أجزائه ، والوقوف على أهميّة السّياق في فهمه.
- تركّ البلاغيون الأثر الأوضح في التّراث العربي ، ومثّلوا الاتجاه الأبرز في تعاملهم مع النّصوص سواء كانت هذه النّصوص دينية أم أدبيّة ، وذلك لأنهم اعتبروا النّص كياناً لغويّاً واحداً ، وجعل النّص ضامناً لأجزائه.
- لا يمكن أن نغفل دور الفلاسفة في إشاراتهم النّصية ، من خلال المصطلحات التي وظّفوها والتي لها علاقة بالنّص كالعلاقات المنطقيّة والتّأويل.

7- مفهوم النّص عند اللّسانيين المحدثين

أ- الدّراسات الغربية (النّظرة الغربية) :

لم يكن حظُّ مصطلح النّص أسعد حالاً من مصطلح الجملة ، فتمتّ اختلافٌ شديدٌ بين الاتجاهات اللّسانية الحديثة في تعريف النّص ، تصلّ إلى حدِّ التناقض أحياناً والإبهام أحياناً أخرى ، فلا تعريف معترف به من قبل عددٍ مقبولٍ من الباحثين في اتجاهات علم لغة النّص بشكلٍ مطلق ، لذا صار وجود تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للنّص مسألة غير منطقية من جهة التّصوّر اللّغوي ، مع هذا تظلّ محاولة الوصول إلى تعريفٍ يضمُّ أكبر عددٍ من الملامح الفارقة للنّص محاولة طموحة ، فالوصف اللّغوي للنّص وصفٌ معقّدٌ يتجاوز حدود ما هو قائمٌ في اللّغة والواقع اللّغوي إلى ما هو غير قائمٍ في اللّغة والواقع الخارجيّ أي أنّ المادة الفعلية التي تقدّمها تراكيب اللّغة ليست كافيةً لتقديم تفسيراتٍ دقيقةٍ للنّصوص³.

وهذه الصّعوبة في تحديد تفسيرٍ دقيقٍ للنّص سببها ذاتية النّص "فهو دائم الانتاج لأنّه مستحدثٌ بشدّة ودائم التخلق لأنّه دائماً في شأن ظهورٍ وبيانٍ ، ومستمرٌّ في الصّيرورة لأنّه متحركٌ وقابلٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ، لأنّ فاعليته

¹ - ينظر: محاولات ابن رشد لتعريب الأفكار النقدية والبلاغية لأرسطو ، الجمع الثقافي ، (عن مؤتمر ابن رشد) ، ط 1 ، تونس ، 1999م ، المجلد 2 ص: 196.

² - توماس كارليل ، محمد المثل الأعلى ، ترجمة: محمد السباعي ، مكتبة الناظمة ، ط 1 ، 2008م ، ص : 130.

³ - ينظر: سعيد بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 106.101.

متولدة من ذاتيته النصية ، وهو إذا كان كذلك فإن وضع تعريف له يعتبر تحديداً يلغي الصيرورة فيه ويعطل في النهاية فاعليته النصية¹.

وقد تولد عن الاتجاهات اللسانية المتباينة ، كم هائل من التعريفات لمصطلح النص ، دفعت الباحثين يتباينون في تصنيفها وفق معايير مختلفة ، فمنهم من صنّفها بحسب الاتجاهات التقديرية² ، وهناك من صنّفها بحسب صلتها بالبنى النصية والسياقات النصية³ ، ومنهم من صنّفها بحسب صلتها بالجملة⁴ ، وهناك من صنّفها بحسب اتجاهات أصحابها ومُنطقاتهم⁵ ، ولإحاطة بتعريف شامل للنص من خلال تصنيفاته المتعددة ، ينبغي تصنيفه وفق التركيب والدلالة لأن هذا التصنيف يمنع إغفال أي اتجاه ، تناول النص في دراسته سواءً النبيوي أم التوليدي التحويلي أم النصي أم السيميائي إضافة إلى أنه يكشف رؤية معرف النص.

ومن الذين خاضوا في المفهوم الاصطلاحي للنص (رولان بارت R. barthes) ، فقد أشار إلى أنه جسمٌ مدركٌ بحواسنا البصرية ، يرتبط بالكتابة ورسم الحروف ، ولو أنه تخطيطٌ فهو إحاءٌ بالكلام وتشابكٌ كالنسيج وقد بين بارت أن السمة الأساسية للنص هي الكتابة ، إذ هي ضمانةٌ للشئ المكتوب وصيانةٌ له ، وذلك باكتسابه صفة الاستمرارية فالنص سلاحٌ يقف بوجه الزمان والتسيان⁶ ، يقول بارت معرفاً النص "تعني كلمه نص (texte) النسيج (tissu) ، ولكن بينما صُنّف هذا النسيج دائماً وإلى الآن بوصفه إنتاجاً وحجاباً جاهزاً يقف المعنى داخل هذا النسيج على الفكرة التوليدية التي يتخذها النص لنفسه وينشغل بها ، من خلال تشبيكٍ دائمٍ وإنّ الذات إذ تكون ضائعةً في هذا النسيج تنحلُّ فيه ، كما لو أنّها عنكبوتٌ تذوب هي نفسها في الإفرازات البانية لنسيجها وإذا كنّا نحُبُّ الألفاظ المستحدثة ، فإننا نستطيع أن نعرف نظرية النص بأنّها علمٌ صناعة نسيج العنكبوت"⁷.

لقد رأى بارت بأن النص نسيجٌ ، وهو مكونٌ من مواد تشبه أدوات النسيج ، فالحيط في تمثّلنا يقابل مادة الخبز والحلال يقابل أداة القلم ، والكتاب يقابل هيئة المنسج و منتجات المنسج تشابه منتجات المطبعة ، والنسج الصناع يدعُ فيما ينسج وهو يركب الخيوط بعضها فوق بعض ، كما يدعُ في تنسيق بين الألوان وفي الدقة والحبك

¹ - منذر عياشي ، النص ممارساته وتجلياته ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 97/96 . 1992 م ، ص : 55.

² - ينظر : محمد عزام ، النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2001 م ، ص : 13.

³ - ينظر : عثمان حسين مسلم أبو زيد ، نحو النص دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصايا ورسائله ، إشراف نهاد الموسى ، عالم الكتب الحديث ، جامعة الأردن ، 2010 م ، ص : 12.

⁴ - ينظر : محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 1 ، ص : 82.

⁵ - ينظر : كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، ترجمة : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط 2 ، 2010 م ، ص : 29.

⁶ - ينظر : عدنان بن ذريل ، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2000 م ، ص : 17.

⁷ - رولان بارت ، لذة النص ، ترجمة : منذر عياشي ، دار لوسوي . باريس ، فرنسا ، ط 1 ، 1992 م ، ص : 109.108.

مثله مثل الذي يكتبُ كلامًا وهو يبدعُ في ما يكتب حين يركب الحروف بعضها فوق بعض ، وينسج لغة الكلام بعضها من حول بعض¹.

لقد ارتكز تعريف النص عند رولان بارت على عملية القراءة ، فالنص نموذج يعطي للكلام طاقته الانتاجية بعد أن كان نظامًا محتزنًا لا قيمة له ، ثم إنَّ ديناميكية الاتصال لا تتوقف عند حدودها التقليدية المرسل الرسالة المتلقي ، لأنَّ النص هو عملية إنتاج مستمرة.

لقد ارتكز بارت في نظريته على مفهوم تفكيكي ، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- يطرح بارت النص بديلاً للعمل الأدبي ، فالنص عبارة عن نموذج أو منهج وليس إنتاجًا محددًا.
- يقول فيه بتعدد القراءات ، وأنه لا يمكن أن يكون مغلقًا أو مطلقًا أو نهائيًا فهو شيء متجدد باستمرار.
- تكتمل خريطة التعدد الدلالي من خلال عالم النص الداخلي ، الذي تتقاطع فيه الثقافات واللغات المختلفة والنصوص الأخرى ، فالنص نتاج لعملية التقاطع والتداخل .
- ليس للمؤلف سلطة على النص ، فدوره مقصور على الانتاج ، ممَّا يلغي مفهوم الانتماء وهو ما يعرف بموت المؤلف.

لا يقتصر القارئ على الاستهلاك ، بل يتعداه إلى عملية المشاركة في إنتاج النص ، فممارسة القراءة إسهام في التأليف وهذا يعني تفعيل دور القارئ في المشاركة².

في المقابل نجد (ميشيل أريفيه) (Michel Arrivé) ، قد قدم مفهومًا للنص من وجهة سيميائية بقوله "إذا حاولنا تعريف النص سيميائيًا ، فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى التمييز بين خطابين يدوان متوافقين ، فبالنسبة للسيميائيين البنيويين يبدو رغم بعض الاختلافات المصطلحية ، أن الاتفاق قد تمَّ حول تحديد النص بوصفه مجموعة يؤلفها الخطاب الحكاية ، والعلاقات القائمة بين هذين الموضوعين المحددين لتطبيقات دلالية مستقلة نسبيًا وقابلة بدورها إلى أن تنتضد في أصعدة متعددة ، وفي السيميائية التحليلية يحدد النص كعملية لسانية تجاوزية تتشكل في اللغة وتكون غير قابلة للاختزال إلى المقولات المعروفة الخاصة بكلام التبليغ موضوع اللسانيات"³.

أما السيميولوجي (يوري لوتمان) (I. Lotman) ، فقد وجد أن النص يتركز على عدة مكونات منها:

- التعبير: فالنص يتمثل في علاقات محددة ، تختلف عن الأبنية القائمة خارج النص ، فإذا كان هذا النص أدبيًا ، فإنَّ التعبير يتم فيه أولاً من خلال علامات اللغة الطبيعية ، والتعبير في مقابل اللاتعبير يجبرنا على أن نعتبر أن النص تحقيق وتجسيد مادي له .

- التحديد: إنَّ النص يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة ، مثل أن يكون قصة أو أن يكون وثيقة أو أن

1- عبد الملك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، دار هومة ، الجزائر ، ط2 ، 2010 م ، ص: 47.46.

2- خليل بن ياسر البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص: 28.

3- ميشال أريفيه وآخرون ، السيميائية الأدبية ، ترجمة: رشيد بن مالك ، ضمن كتاب السيميائية أصولها وقواعدها ، منشورات الاختلاف ، الجزائر

2002م ، ص: 96.

يكون قصيدةً ، مما يعني أنه يحقق وظيفة ثقافية محدّدة ، وينقل دلالتها الكاملة ، والقارئ يعرف كل واحدٍ من هذه النصوص بمجموعة من السمات ، ولهذا السبب فإنّ نقل سمةٍ ما إلى نصٍّ آخر ، إنما هو وسيلةٌ جوهريةٌ لتكوين دلالاتٍ جديدةٍ ، ويؤدّي تراتب النص وانقسام نظامه إلى نظمٍ فرعيةٍ مركّبةٍ ، إلى قيام مجموعة من العناصر التي تنتمي إلى بنيته الداخليّة بالبروز كحدودٍ واضحةٍ ، من أنماطٍ مختلفةٍ وذلك مثل حدود الفصول والمقاطع والأشطار والأبيات والفقرات.

- الخاصية البنيوية: إنّ النص لا يمثل مجرد متوالية (séquence) ، من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين ، فالتنظيم الداخلي الذي يُحيله إلى مستوى متراكبٍ أفقيًا في كلِّ بنيويٍّ موحّدٍ لازمٍ للنص ، فبروز البنية شرطٌ أساسيٌّ لتكوين النص¹.

وأما (تودوروف) (Todorov) ، فقد قدّم مفهومه للنص في مؤلفه (القاموس الموسوعي لعلوم اللغة) فهو يرى أنّ اللسانيات يبدأ بحثها بدراسة الجملة ، ولكن مفهوم النص لا يقف على نفس المستوى الذي يقف عليه مفهوم الجملة أو التركيب ، وكذلك النص متميّز عن الفقرة التي هي وحدة منتظمة من عدّة جمل ، ويرى تودوروف أنّ النص يمكن أن يكون جملةً ، كما يمكن أن يكون كتابًا بكامله ، وعليه يحدّد النص أساس استقلاله وانغلاقه فهو يؤلّف نظامًا خاصًا به ، لا يجوز تسويته مع النظام الذي ينمُّ على أساسه تركيب الجمل ، فالنص عند تودوروف كلامٌ مستقلٌّ تامٌّ من حيث دلالاته ، غير محدودٍ بطولٍ معينٍ ، وهو مكوّن من عناصر صوتيّة ونحويّة ودلاليّة بينهما علاقات تماسك .

وقد حدّد تودوروف مستويات تحليل النص وهي:

- المستوى اللفظي: وهو مؤلّف من العناصر الصوتية التي تُؤلّف جمل النص.
- المستوى التركيبي: ويرتكز على العلاقات بين الوحدات النصية الصغيرة ، أيّ الجمل ومجموعات الجمل.
- المستوى الدلالي: وهو نتاج معقّدٌ توحى به المستويات جميعها منفردةً ومتشابهةً².

ومن هذه الزاوية فإنّ مفهوم النص يقترّب من مصطلح التناص في كتابات ما بعد البنيوية ، والمقصود بالتناص هو تداخل النصوص ، إذ لا يوجد نصٌّ نقّيٌّ وخالصٌ ، فهو في كنهه مجموعة من النصوص المتداخلة لذلك يمكن لتكليمٍ مثلاً أن ينتج نصًّا ليلبغ سامعًا معلوماتٍ معينة ، أو ليحصل منه على بعض المعلومات ، أو ليحفّز سامعًا إلى عملٍ فعلي ، أو يشجعه على إنجاز نشاط ، أو ليقنع سامعًا أو ليصنع لديه أحاسيس جمالية معينة ، أو ليطلب منه إظهار ردِّ فعلٍ محدّد ، أو ليترك شيئًا ، فتتاج النص نشاطٌ وواعٍ وخلاقٌ ، يحتوي على التطوير المباشر لأصناف الحدث واختبار الوسائل المناسبة لتحقيقها ، والجدير بالذكر أنّ هذه الوسائل متعدّدة تتجاوز جميع

¹ - ينظر: سعيد بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 116.117.

² - ينظر: عثمانى الميلود ، شعرية تودوروف ، عيون المقالات ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1990م ، ص: 56.57. وينظر: الموقع

https://www.uobabylon.edu.iq/eprints/paper_3_1551_210.pdf بتاريخ : 2022/05/13

الأجناس والمراتب المتعارف عليها أثناء عملية إنتاج النص ، الذي يتجاوز حدود المنتج في حد ذاته ، ليكوّن من نقولٍ متضمنة وإشاراتٍ وأصداء لغاتٍ أخرى ، وثقافاتٍ عديدةٍ تكتملُ في خريطة التعدد الدلالي.

وفي ضوء هذا التصور تعرّف (كريستيفا) النص ، بأنه "جهازٌ عبر لساني ، يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الرّبط بين كلامٍ تواصلِي ، يهدفُ إلى الإخبار المباشر ، وبين أتماطٍ عديدةٍ من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه"¹ وتقول جوليا أيضًا "إنّ النص ليس مجموعةً من الملفوظات النّحوية أو اللّاحوية ، إنّهُ كلُّ ما ينصاع للقراءة عبر خاصيّة الجمع بين مختلف طبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان ، والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية وهذا يعني أنّه ممارسةٌ مركّبةٌ يلزم الامسكُ بحروفها عبر نظرية للفعل الدال للخصوصيّ ، الذي يمارس لعبه داخلها بواسطة اللسان، وبهذا المقدار فقط يكون لعلم النص علاقةٌ ما مع الوصف اللساني"².

فهي تذهب إلى أنّ النص عبارةٌ عن موضوعٍ لعديد من الممارسات السيميولوجية ، التي تعتبر ظاهرةً عبر لغويّة (الابداع باللسان وفي اللسان) ، ومعنى ذلك إعتبار النص إنتاجية ، وأنّ علاقته باللسان الذي يقع فيه علاقة إعادة (توزيع ، هدم ، بناء) ، وتتمّ معالجته من خلال مقولاتٍ منطقيّة لا تقتصر على المقولات اللسانية المحضة هذا من جهةٍ ومن جهةٍ أخرى يُعتبر النص تبادل نصوصٍ ، أي تناسًا إذ نجد في فضاء النص عدّة ملفوظاتٍ مأخوذةٍ من عدّة نصوصٍ تتقاطع وتتحايد³.

إنّ ما يميز عمل كريستيفا ليس فقط تأطير مفهوم التناص ، وإنما أيضًا في تأطير مفهوم جديد للنص بوصفه إنتاجية ، وهذا الذي يؤكّد فكرة النصية ، التي عارضت بشدّة ثبات العلاقة بين الدال والمدلول ، وثبات المعنى والاستخدام الاتصالي أو التمثيلي للغة .

إنّ نظرة كريستيفا للنص بوصفه إنتاجية تعني أمرين:

- أولهما : أنّ علاقته باللغة التي يكون متموقعًا فيها هي علاقة إعادة تدميرية تشييدية ، ومن ثمّ يمكن أن

ينتمّ مقاربتها بطريقةٍ أفضل ، من خلال المقولات المنطقية ، وليس بالأخرى المقولات اللغوية.

- وثانيهما : أنّ أ النص يكون إبدالًا للنصوص ، أي تناسًا في فضاء نصّ معينٍ تتقاطع وتتعدّل

منطوقاتٍ متعدّدةٍ مأخوذةٍ من نصوصٍ أخرى ، وعلى هذا الأساس فإنّ مصطلح التناص يشير إلى ذلك التحويل أو النقل لنظام (أنظمة) علامة (علامات)، إلى نظامٍ آخر أو أنظمةٍ أخرى⁴.

إذا كانت كريستيفا قد قدّمت نظريتها بجهازها المفاهيمي (التناص النص الانتاجية) ، في سبيل نقد ومواجهة الطابع المغلق للبنوية ، مقدمةً عليها الأنظمة المفتوحة (ما بعد البنوية) ، فإنّ رولان بارت يُعدّ من أكثر النقاد والمنظرين قبولًا لهذه الفكرة والدفاع عنها ، وهذا ما يشغل بالنا في الفقرة اللاحقة .

¹ - جوليا كريستيفا ، علم النص ، ترجمة: فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1991م ، ص: 21.

² - المرجع نفسه ، ص : 14.

³ - سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ، 2001م ، ص: 20.

⁴ - بيومي عبد السلام ، التناص مقارنة نظرية شارحة ، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة، مج40 ، ع01، ص، 77. ينظر موقع

alrakaba.net/1868271/75 بتاريخ : 2022/08/23 م.

ب- مفهوم النص من الناحية النحوية:

اختلفت مفاهيم النص تبعاً لمشارب أصحابها الفكرية، إلا أن هناك محاولات جادة سعت إلى محاولة الجمع والتوفيق بين عامة هذه المفاهيم¹، فقد احتلَّ تعريف النص مساحةً كبيرةً عند المهتمين بلسانيات النص منهم (برينكر، ايزنبرج، شتاينتر)، حيث يذكر (هوريسست ايزنبرج) (horst isenberg)، أن النص متوالية من الملفوظات وفي هذا السياق يقول: "نشير بكلمة نص إلى متواليّة منسجمة من الملفوظات، التي تُستعمل في التّواصل اللُّغوي"².

وعلى هذا الأساس فإنّ تصورات نحو النص تنطلق من فرضية أن النص يمكن تحديده، لأنه مركب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق، تساهم في سبك الجمل داخل النص، وتؤدي وظيفة الربط، وهذه الخصائص تتعلق بنحو النص وهي:

- تعاقب أفقي للجمل .
- تحديد الجهة اليسرى أو اليمنى .
- الاستقلال النسبي .
- التناسق داخل تتابع الجمل .
- العلاقات الدلالية بين المكونات السطحية³.

وفي سبيل التقنين لأشكال الترابط والتماسك بين الجمل، ميز إيزنبرج بين اثنتي عشرة علامة سماها أنماط الارتباط الدلالي وهي: الإسناد على متقدم، الارتباط السببي، الارتباط لوجود دافع، التفسير التشخيصي التخصيص، نظام ما وراء اللغة، الارتباط الزمني، الارتباط الافتراضي، التقابل العكسي، التطابق بين الإجابة والسؤال المقارنة، الاضراب عن قول سابق⁴.

إنّ هذه الأنماط التي ذكرها ايزنبرج، تبين كيف تتعدد صور التماسك، كما تبين ضرورة بحث السياقات الدلالية النصية .

وأما (برينكر) (brinker)، يذهب في تحديده للنص إلى أنه تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبياً⁵.

¹ - ينظر: كيوان عبد العاطي، التناص القرآني في شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص:17.

² - فرانسوا راسيتي، فنون النص وعلومه، ترجمة: إدريس الخطاب، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م، ص: 49.

³ - فولفجانج هاينه من و ديترفيهنجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود الرياض، السعودية، 1991م، ص: 25.

⁴ - محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط2، 2007م، ص: 41 وما بعدها .

⁵ - ينظر: سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 103.

وعلى هذا الأساس فإنّ النص تتابع متماسك من علامات لغوية ، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أي وحدة لغوية أخرى¹ ، (فبرينكر) يوضح النص بالجملة من خلال النص في حد ذاته ، وهذا غير منهجي بحسب (شبلنر) ، من الناحية العلمية وذلك بسبب غموض الرمز والعلاقات التي يتضمنها ، واتساع الوصف ، ومن ثم ينتهي إلى نتيجة وهي أنه لا يمكن تطبيقه لعدم وضوح الفاصل بين الجملة والنص من ناحية وإمكانية وصف الجمل على أنها وحدات مستقلة من ناحية ثانية ، مما يؤكد أنّ هذا التعريف يجعل النص وحدة أكبر من الجمل ويوسع نطاق دراسة الجملة لتصبح نصاً².

وأما (هارفج) فيعرف النص بأنه تتابعٌ مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية ، فهو يؤسس مفهومه للنص على مبدأ الإعادة ، من خلال حديثة عن استبدال نحوي (سينتجماتي) ذاكرا فيه تصانيف معقدة من أنماط الاستبدال النحوي ، كاستبدال المطابقة ويقصد به تكرير الوحدة المعجمية ، واستبدال المشابهة ويقصد به الإعادة من خلال المترادفات ، واستبدال التلاصق ويقصد به تحقيقات مختلفة للإعادة الضمنية³ ، وعلى هذا الاساسي فإنّ النص يتشكل من ترابط مستمر للاستبدالات ، التي تظهر الترابط النحوي في النص **فهارفج** يحدد بذلك خاصية "الامتداد الأفقي للنص ، من خلال ترابط تُقدِّمه وسائل لغوية معينة"⁴.

وأما (فاينرش) فقد حرص على أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النص ، ذلك النهج الذي يراعى فيه أوجه ترابط نحوي عدة (**syntaktische verbindungen**) ، في النص ولا ينشأ ذلك الترابط في حقيقة الأمر إلا على مستوى الجملة أولا ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مستوى النص ، حيث يمكن أن يتوازي المستويان ويسهمان معا في تحديد البنية الكلية المتماسكة ، فلا ينظر إلى الجملة باعتبارها جزءا مستقلا مفيدا يمكن عزله عن بقية الأجزاء المكونة لكلية النص ، بل هي جزء مكمل في حقيقة الأمر ، غير أنّ الأجزاء الأخرى تشترك في فهمه على نحو أكثر مفعولية ، إنها لا تقدم إلا معلومة محددة تسهم مع المعلومات الأخرى في تشكيل كَمِّ من المعلومات التي تتضام بقوة في بنية واحدة ، قد تكون موضوع النص أو المعنى الكلي أو المغزى.

لقد عرف فاينرش النص بأنه تكوين حتمي ، أجزاؤه ثابتة بمعنى أنّه وحدة كلية مترابطة تتتابع الجمل فيها وفق نظام وتسهم كل جملة في فهم ما تليها ، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة ، بحيث لا يتحقق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب ، بل من خلال معاني الأجزاء وتأزرها في بنية كلية كبرى ، وعليه فإنّ فاينرش اعتمد في تحديد وحدة النص على مجموعة من السياقات الدلالية التي تتطافر معها لتكوين التماسك الكلي ، وقد حاول أن يتجاوز بذلك حدّ الجملة في التحليل⁵.

¹ - ينظر: سعيد بحري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص ، ص : 109.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص : 103.

³ - ينظر: زنيسلاف اورزنيك ، مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2003 ، ص : 55.

⁴ - ينظر: المرجع السابق ، ص : 108.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه ، ص : 191.192.

ج- مفهوم النص من الناحية الدلالية:

بينما تشتق وحدة النصوص في النماذج القواعدية دائما من إشارات معينة في البناء السطحي ، يضع لغويون آخرون أبنية القاعدة الدلالية في مركز دراساتهم ، ويوردون حججهم في مثل هذه الأجراء بأنه في البناء السطحي يتم الاقتصار على الأدوات التركيبية فقط ، وهي لا تمثل إلا جانبا ثانويا لتفريعات النص ، لأن الرؤية النحوية الخالصة للنص تعكس أجزاء قليلة من معنى النص، وليس كل المعلومات الدلالية" ما يعني أن وحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكل كاف ، إلا بمراعاة بناء القاعدة الدلالية أيضا ، أما وسائل الربط التركيبية فتصلح بعكس ذلك وسائل إضافية فقط ، أو اشارات اختيارية تسهل على السامع التعرف على بناء القاعدة الدلالية في النصوص وفهم ذلك البناء"¹.

لقد مثل هذا الاتجاه في الوصف النصي (فان ديك vandijk) و(بيتوفي j.s.petofi) ، وقد جاءت أوصافهم للنص ممثلة لاتجاهات التحليل النصي بدءًا بالتجزئة النحوية ، والتي وقفنا عليها عند فاينرش ثم اتجاه نحوية النص أو أجرومية النص عند فان ديك ، وأخيرًا اتجاه التحليل التوليدي للنص أو النحو الدلالي للنص². أكد فان ديك على المستوى الدلالي للنص مركزا على تقديم مفاهيم دلالية ، كالبنية العميقة والبنية السطحية والبنية الكبرى ، وقد جاء تصويره للنص مخالفا لتصور (إزنج) و(هارفج) ، اللذين يؤكدان على التماسك النحوي للنص بأنه قائم على أساس دلالي للنص³ ، فقد بدأ(فان ديك) ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدودها ، فالأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النص يمكن أن يتحدد في أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية على الوصف والتحليل اللغويين أن يتغير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة ، إذ لم يعد كافيًا استيعاب العناصر السابقة وبخاصه أنه لم يعد النظر إليها كوحدة أساسية للوصف النحوي، بل عد النص بأكمله على الرغم من الاختلاف الشديد حول مفهومه كوحدة أساسية لا تستوجب تحولا كميًا كما يظن ذلك من أول وهلة ، بل يرى أن هذا الإطار الموسع يدفع إلى تغيير كيني في إطار حرص (فان ديك) على تكوينه ، وقد ميزه وخصه بمصطلح نحو النص ، أو نحو الخطاب ، أو أجرومية النص⁴ ، يقول (فان ديك) "يبدو في الواقع أن الخصائص الأكثر تميزا للنصوص ، توجد أساسا في المستوى الدلالي وكذا المستوى التداولي"⁵.

اعتمد (فان ديك) في وضعه للنصوص على قواعد ارجاعية ، أو هياكل تخطيطات قاعدية بوصفها متوالية من الجمل، وبعض المتواليات مقبول ، وبعضها الآخر غير مقبول ، بحيث يكون وصفها غير قابل للفهم⁶.

¹ - فولفجانج هاينه من و ديترفيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 37.

² - ينظر: سعيد بحري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 191 وما بعدها .

³ - ينظر: زنسيسلاف واورزنيك ، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ص: 57.

⁴ - ينظر : المرجع السابق ، ص: 218.

⁵ - فان دايك ، النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص ، ترجمة: محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، 1996م ، ص: 55.

⁶ - المرجع نفسه ، ص: 51.

وأما بخصوص المعايير التي استخدمها في التحليل، فهي ترجع إلى النحو التحويلي التوليدي بشكل خاص إذ نجد في معالجة الأشكال الدلالية الاستدلال أو الإحلال ، بالإضافة إلى المجاورة والازدواج والتوازي والمشابهة وغير ذلك ولا يقتصر هنا على عناصر دلالية ونحوية فقط ، بل إنه يدخل عملية التواصل والسياق وعناصر تداولية أخرى كثيرة يرى أنه لا يمكن الاستغناء عنها لفهم النص وتفسيره¹.

لقد وُصفت محاولات (فان ديك) عموماً ، بأنها محاولات متقدمة إلى حد بعيد في شرح عمليات الترابط النحوي بين المتواليات النصية والتماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى ، ودور القراءة والتأويل . ونجده قد حدد هذا العلم من الناحية الوظيفية مصرحاً "بأنه علم يُعنى بشرح كيفية قيام النص بوظائفه ، أي بتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية المعقدة في مرحلة الأداء وإعادة إنتاجها بالفهم في مرحلة التلقي"².

لقد ركز (فاندايك) على فكرة تجاوز النموذج النحوي الصارم للنصوص ، على الرغم من إصراره على أن منهجه يدخل تحت ما يسمى بنحوية النص ، وفي ذلك محاولة منه للتوسيع من إطار النحو ليضم مفاهيم أخرى تتيح له تجاوز الأطر الضيقة التي تعجز عن تفسير دقيق للنصوص ، خاصة وأن هذه الأطر اقتصرت على السلامة النحوية واعتبرها الهدف النهائي لتفسير النصوص ، وهذا ما مكن (فان ديك) من أن تكون له نظرة موسعة أحاطت بجوانب كثيرة يظنها النص .

ويتضح ذلك من خلال بحثه عن بنية كلية دلالية مجردة تمكنه من اختزال عدد غير محدود من المعلومات التي تقدمها المتواليات الجمالية ، ويشكل الحدس المعيار في مثل هذه العملية ، ويحاول أن يقدم نموذجاً يضم مجموعة من الإجراءات التي يسلكها القارئ لبناء هذه البنية ، ويؤكد في أكثر من موضع أن مجموعة المتواليات التي لا تضم بنية كلية أو لا يمكن للقارئ أن يتوصل إليها في أثناء عملية التلقي ، فإنها تعد غير مقبولة في السياقات التواصلية³ وهذا يعني أن (فان ديك) يعتبر النص بنية مقطعية قضوية ، وهو ممارسة نصية تشكل من مركبات ووحدات لسانية تدرج فوق بعضها قد نسجت عن طريق تظافر حزم من العلاقات كالسببية والشرطية ، والتعاقبية ، والاعتراضية ، والاستدراكية ، فهو عبارة "عن منطوقات لغوية مكتوبة ومطبوعة تستند إلى وصف نحوي أكثر ثراءً لأبنيتها ، تفترض وجود أبنية نصية خاصة ذات طبيعة عامة ، أي أبنية كبرى وأن هذه الأبنية الكبرى وفق طبيعتها دلالية"⁴ ، وهذا يعني أن النص من هذه الزاوية عبارة عن بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية دلالية عميقة ، وهي التي تكشف عن البنية المنطقية المجردة للنص ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن البنية العميقة الدلالية للنص

¹ - ينظر: سعيد بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 220.

² - المرجع نفسه ، ص: 220، 221.

³ - المرجع نفسه ، ص : 248.

⁴ - فان دايك ، النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص ، ص: 74، 75.

تعد عند (فان ديك) نوعاً من إعادة صياغة مجردة ، تتحدد في نواة النص الموضوع والذي يحدد خطة النص هي البنية العميقة ، والتي تركز على الجوانب الآتية:

- التماسك الدلالي للنصوص يعد حسب رأيه ظاهرة تركيبية عميقة .
- إمكانية اختصار نص في ملخص ، في عنوان .
- إمكانية تذكر مضمون نص طويل ، دون استعمال الوحدات المعجمية للنص ذاته .
- إمكانية كتابة نصوص مختلفة ذات بنية عميقة دلالية مطابقة ، تبعاً في أشكال المحاكاة تقريباً وفي المعالجة الدرامية أو السينمائية لرواية¹ .

فإذا كان النص هو ما يتجاوز الجملة ، أو هو مجموع البيانات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه فإنَّ (فان ديك) ، ينطلق من اعتبار اللسانيين الجملة أعلى وحدة قابلة للوصف اللساني ، لذا فهو يتناول كل جملة على حدة ، أو يأخذ متواليات من الجمل على اعتبار أنها مركب جمالي ، والنص ما هو إلا بنية كلية ذات موضوع ، بمعنى أنه يدور في بؤرة محددة هي موضوعه².

يرى (فان دايك) أنَّ النص أنموذج القضية ، وهو تابع منظم من قضايا يرتبط بعضها ببعض عن طريق تداخلها حيث لا تقتصر على القضايا المتجاورة فحسب ، بل يتم التواصل إلى إيجاد روابط بين وحدات كبرى تتشكل من وحدات نصية صغيرة تربط بينها علامات نحوية على المستوى الأفقي وعلاقات دلالية منطقية على المستوى الرأسي ، وقد ركز (فان دايك) على مصطلحي الوحدات الصغيرة والكبرى للنص ، لأنَّ النص في نظره مظهر دلالي لذلك يتعين علينا حسب رأيه أن نأخذ في الاعتبار الوقائع الآتية:

- للتمكن من إقامة الروابط بين القضايا المعبرة عنها بجمل النص المتتالية ، على مستعمل اللغة أن يستعين بمعرفته للعالم وهذا يعني أن ينطلق من مكتسباته المعرفية المخزونة في ذاكرته ، وأن يختار قضية أو أكثر ، وأن يربط بالتالي بين قضايا النص .
- أنَّ الفهم الفعال لعناصر النص يكمن في ذاكرة عملية حسب مصطلح علم نفس المعرفة ، وهذه الذاكرة لا تملك سوى طاقة محدودة.

- ولكي نستطيع فهم نص معين ، علينا أن نقيم بين الجمل الطويلة الروابط الضرورية في الذاكرة العملية ، ثم نحرر هذه الأخيرة جزئياً من حملتها ، وندخل فيها مجدداً معلومات جديدة ، وعليه فإنَّ المبدأ العام الذي يلعب دوراً هاماً في تخزين المعلومات النصية واستذكارها واسترجاعها ، هو العملية البنوية لهذه المعلومات ، فإذا كانت هناك قضية ما مرتبطة بقضايا أخرى كثيرة في الذاكرة من النص ذاته أو مستمدة من معارف وتجارب سابقة ، فإنَّ قيمتها البنوية ستكون أكبر ويصبح استرجاعها حينئذٍ أسهل منالاً³.

¹ - ينظر: زنيسلاف وأورزنيك ، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ص: 56.

² - محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 89.88/29.28.

³ - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، 1992م ، ص: 228.227.

د- الوصفُ النَّصي عند بيتوفي :

جاءت محاولة (بيتوفي j.s.petofi) محاولة قدم فيها عدة أشكال للوصف والتحليل النصيين ، وقد حرص فيها على أن تضم أهم المكونات التي تتعامل مع النص تعاملًا مباشرًا ، غير أنه رأى ضرورة انطلاق أية نظرية تتعامل مع النص من رؤية جوهرية واضحة تعدد النص وحدة كلية ، وليس دون ذلك ، ورأى أن تكون النظرية نحوية الأساس ويتضح هنا تأثيره بتشومسكي ، وهو لا يفعل دور المكون الدلالي والتفسير الدلالي ، لأنَّ لهما وظائف مميزة فقد حاول نقل مفهوم البنية العميقة للجملة في النحو التوليدي التحويلي إلى مستوى النص ممهدًا لعلم دلالة توليدي نصي "انطلاقًا من فرضية أن المرء يستطيع من قاعدة دلالية (مجموعة من أبنية الخبر/ الحجة المدروسة بوسائل المنطق الصوري) ، قياسًا على الجمل ، أن يطور نموذجًا صالحًا للنص ، وأن يشتق قواعد تكوينها بشكل نسقي"¹.

هذا التصور الذي قال به (بيتوفي) يشبه تصور أصحاب نظريات الدلالة التوليدية ، غير أنَّ أمودجه لا بد أن يوضح كفاءات المتحدثين والمستمعين في الوقت ذاته ، أي كيف يبدأ المتحدث من المعنى ويسوغ المتتابعات الجميلية المتضمنة له في وحدة مترابطة ثم كيف تمضي هذه التتابعات لترتد إلى المعنى تارة أخرى.

فأمودج (بيتوفي) لا يكتفي بأن يضم عناصر دلالية فحسب ، بل يضم إليها عناصر تداولية أيضًا²، ويجاوب (بيتوفي) أن يحقق توازنًا معقدًا بين عالم واقعي فعلي يطلق عليه بنية العالم ، وعالم إبداعى يتحقق في بنية النص ويرى في إطار ذلك التصور أنه لا يكفي في تحديد هذا العمل الإبداعى (النص) الكشف عن العلاقات الداخلية التي تمتد داخل النص وتظهر في معاني النص الأساسية ومعاني أبنيته فحسب ، بل يجب أن يتسع ذلك التحليل ليضم تلك المعاني الخارجية للنص ، تلك المعاني التي يحيل إليها النص ، وهي ما يطلق عليها المعاني الإضافية أو الإشارية أو الإحالية أو التداولية³.

يرى (بيتوفي) أن التصورات التي خرجت عن تصورات الأساس لتشومسكي ، تتفق في عدد الملامح المشتركة غير أن أكثرها رصوخًا ولفناً للأنظار يمكن أن يتمثل في عزو أهمية أولى للتمثيل الدلالي في مقابل عملية التفسير ، التي اسندت إلى المكون الدلالي في النظرية التحويلية الكلاسيكية ، فقد بنيت على ذلك الأساس النظري حيث يمكن التغلب على الاختلاف بين مكونات الأمودج من الناحية الاتصالية ، ولم يستبعد ذلك التصور أيضًا إمكانية التوليد بمفهوم رياضي ، ويذهب (بيتوفي) إلى أن المقام ليس مقام مفاضلة بين نحو الجملة ونحو النص فلكل منهما حدود وأهداف ووسائل ، فلا مبرر أن نسأل أيَّ نموذج من النموذجين (نموذج تشومسكي ونموذج التوليديين) أكثر ملائمة لوصف الجملة ، فالاختلاف بينهما يعكس الحقيقة القائلة بأنه يمكن أن تتولد الأبنية

¹ - فولفجانج هاينه من و ديترفيهنجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 37.

² - ينظر: سعيد بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 256.

³ - المرجع نفسه ، ص: 257.

النحوية على نحو اتصالي غير متغاير¹، وذلك أنّ موضوع علم النص هو الدلالة الكلية للنص، وهي تنجم بوصفه بنية كبرى شاملة² فالنص ممارسة دلالية منحها علم العلامات أو السيميولوجيا امتيازاً³.

لقد سعى (بيتوفي) إلى البحث عن أنموذج يتحقق من عناصر الاتصال، بحيث يمكن أن تلاحظ عملية التفاعل بين النص والمتحدث من جهة، ثم بين النص والمستمع من جهة أخرى، ولا ينبغي هنا أن نربط بين التآلف وإنتاج النص وبين التحليل وتلقي النص، إذ إن كلتا العمليتين تتحققان لدى المتحدث في مرحلة ثم لدى المستمع في مرحلة أخرى، ولذلك نراه يوجه نقداً إلى أنموذج التحويليين الذين راعوا المتحدث في المقام الأول³.

والملاحظ أنّ (بيتوفي) لم يقدم جديداً فيما يتعلق بأوجه النقد التي وجهت إلى النظرية التحويلية، إذ إن محدودية الوصف الجملي قد اتضحت إلى حد كبير من خلال كثير من تساؤلات علماء النص، ومن قبلهم علماء اللغة غير أنه يسعى إلى طرح عدة أشكال وصفية تتجاوز الطرق التقليدية، ولكن في إطار الوصف النحوي بوجه خاص، وهذا الذي يجعل اتجاه (بيتوفي) اتجاه نحوي، ولكن هذا لا يعني أنه قد التزم بهذا الاتجاه، لأننا نجده في مراحل تالية يعرض عن ذلك النهج ويسلك دروباً متباينة، مما يؤكد أن الوصف والتحليل النصيين لم يستقرا بعد لدى أكثر علماء النص، فقد نتج عن اتساع إطار الوصف عدد كبير من المشكلات التي حاول علماء النص التغلب عليها، ولكنها استعصت عليهم إذ ما يزال أكثرها مطروحاً للنقاش والجدل⁴.

هـ- مفهوم النص من الناحية الاتصالية:

أغلب نماذج الدراسة النصية التي ظهرت منذ السبعينات، ركزت في تعريفها على توظيف النصوص في سياقات الحياة العملية، ومن بين ما تمت مناقشته من نماذج النص وجود صياغات تعود إلى عوامل غير لغوية. إلا أن ما هو تداولي حقيقة لم يحظ بمساحة مناسبة، وظل هامشياً ومع ظهور نماذج النص الاتصالية أصبح البعد البراجماتي هو المركز والمنطلق في الوصف النصي، لأن ما يمكن دراسته منها لغوياً لا يصلح إلا وسيلة فقط، مثل الممارسات العملية، والحركات، وتعايير الوجه، لتحقيق أهداف معينة لدى شريك الاتصال⁵.

ويعد (هارتمان) (p.hartmann) من العلماء الذين قدموا فرضيات مهمة تتعلق بعلم النص، فقد كان منطلقه لتحديد النص من النظام اللغوي، وهو مفهوم تجريدي للواقع اللغوي، فاللغة المستخدمة في الواقع عنده هي الموضوع الفعلي، وهي العلامة اللغوية التي تمثل النص بعينه، لذلك عرّف النص بأنه "قطعة ما ذات

¹ - سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 260.261.

² - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 212.

³ - ينظر: المرجع السابق، ص: 261.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 266.

⁵ - ينظر: فولفجانج هاينه من و ديترفيهجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص: 55.56.

دلالة وذات وظيفة ، وبالتالي هي قطعة مثمرة من الكلام¹، وأنه أي النص " علامة لغوية أصلية ، تبرز الجانب الاتصالي والسميائي"².

وقد عبَّ الدكتور سعيد بحيري على هذا التعريف قائلاً "ورغم ما يتسم به هذا التعريف من عمومية واقتضاب إلا أنه قد فصل كيفية التعامل مع النصوص في إطار هذا العلم ، إذ إنه يذهب إلى أن علم الدلالة له دور جوهري فيه له وظيفة محورية ، وتظهر هنا تصورات علم الدلالة ونظرياته توجيهها محددًا وصريحًا إلى السياق"³. ثم بيَّن أن هذا التعريف له خاصية ، وهي ارتباط النص بموقف اتصال من جهة ، وإمكان تعدد تفسير العلامة النصية من جهة أخرى.

وأثناء معالجة النصوص ينبغي حسب رأيه تحليل العمليات داخل النص ، ثم الانتقال إلى مضامين خارج النص وهي مضامين غير نصية ، ويعني بها قضايا الموقف والسياق "وهكذا فإنه يمكن أن يؤدي ما سبق إلى أن النص هو الموضوع الرئيسي في التحليل والوصف اللغوي ، وأنَّ تحليل النصوص تحليل يتجاوز النظام إلى كيفية الاستخدام وأنَّ تفسير النصوص يقوم على عناصر داخلية داخل النص ، وعناصر خارجية خارج النص ، وأنَّ النصوص تضم تراكيب خاصة ، وأن طرق الوصف ما تزال في مرحلة التجريب"⁴.

وفي نفس التصور قدم شميث (s.shmidt) نظرتَه في عمل مستقل عن نظرية النص ، وقد عني بإدخال عوامل توليدية تداولية إلى جانب العوامل اللغوية ، والربط بين مفهومي النص والحدث الاتصالي ، إضافة إلى الربط بين أجزاء نظرية الاتصال ، ونظرية النص ، فكانت نظرية النص عنده مفسرة للاتصال اللغوي ، تعني ببحث إنتاج النصوص وتلقيها (نصوص موظفة توظيفًا اتصاليًا) ، لذا نجد أنه يعرف النص بقوله "هوكل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي في إطار عملية اتصالية ، محدد من جهة المضمون ، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها ، أي يحقق إمكانية قدرة إنجازية جلية ، ومن خلال وظيفة إنجازية يقصدها المتحدث ويدركها شركاؤه في الاتصال وتتحقق في موقف اتصالي ما ، حيث يتحول من المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك ، يؤدي وظيفة اجتماعية اتصالية وينتظم وفق قواعد تأسيسية ثابتة"⁵ ، وهذا يعني أن شميث اقتصر على اقتراح نظرية نصية من خلال عمليات محددة تداوليًا للحدث الاتصالي ، بوصفها إطارًا مرجعيًا إحصاليًا لنصوص أدبية"⁶.

ونجد (سوينسكي) قد ناقش فروض بناء نظرية النص وإمكاناتها على أسس تداولية ودلالية منطقية وسعى إلى تطوير نموذج لعلم لغة النص ، لا يلحق فيه مستوى النص بمستويات لغوية أخرى بصورة تكميلية ، وقد بحث نظامه بحثًا لغويًا يفسره في إطار نظرية النص تفسيرا اصطلاحيا ، بحيث تصبح علاقاتها محددة بعضها ببعض

¹ - سعيد بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 102.101.

² - المرجع نفسه ، ص: 108.

³ - المرجع نفسه ، ص: 102.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 103.102.

⁵ - المرجع نفسه ، ص: 81.

⁶ - المرجع نفسه ، ص: 65.

ومفسرة للعمليات التي تنشأ عن الاتصال اللغوي¹ لذلك فإنه يقر بأن علينا "أن نُنظر إلى إنتاج نص (مكتوبا أو منطوقا) ، وإلى التبليغ النصي وإلى الاستقبال النصي ، باعتبارهما جميعا أحداثا أو عمليات اتصالية"².

و- مفهوم النص عند هاليداي ورقية حسن:

يرى هاليداي ورقية حسن (halliday.r.hassan) ، أن كلمة نص تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أيّ فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت وامتدت ، والنص هو وحدة اللغة المستعملة وليس محددًا بحجمه والنص يرتبط بالجملة ، بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة والنص ، لا شك أنه يختلف عن الجملة في النوع³. وأفضل نظرة إلى النص أنه وحدة دلالية ، وهذه الوحدة ليست شكلا لكنها معنى لذا فإن النص يتصل بالعبارة أو الجملة ، بالإدراك لا بالحجم ، غير أنهما أضافا حيثيات أخرى في تعريف النص يقولان في ذلك "نحن نستطيع تحديد النص بطريقة مبسطة بالقول ، إنه اللغة الوظيفية ، ونعني بالوظيفية اللغة التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات ، لذا فأبغى مثال من لغة الحياة يؤدي دورا أو بعض الأدوار في سياق الحال سوف نطلق عليه نصا ، وهنا ينبغي أن يكون منطوقا أو مكتوبا أو بالفعل بأيّ وسيلة أخرى للتعبير أو التفكير بها ، والنص أساسا وحدة دلالية ، والنص إنتاج وعمليات ، والنص تبادل المعنى بين المشاركين في الحديث والحوار"⁴.

والملاحظ في التعريف الثاني أنهما ربطا النص بالسياق ، لأن له دورا مهما في تفسير النص ، كما أن النص عندهما لا ينبغي أن يكون بالضرورة مكتوبا أو منطوقا فقط ، بل يكون بأيّ وسيلة من وسائل التعبير وهذا يثير في النفس تساؤلا حول الإشارة بأي عضو من أعضاء الجسم هل تعد نصا؟

إن هاليداي ورقية حسن يريان " أن النص وحدة لغوية في طور الاستعمال ، وهو لا يتعلق بالجملة ، وإنما يتحقق بواسطتها ، وهما يركزان على الوحدة والانسجام في النص من خلال الإشارة إلى كونه وحدة دلالية لها ثلاث وظائف هي: الوظيفة التجريبية التي تبرز في مضمون الاستعمال ، والوظيفة التواصلية التي تتصل بالبعد الاجتماعي بين الأشخاص لوظائف اللغة التعبيرية ، وفيها يتم تحديد زاوية المتكلم ووضع وأحكامه وتشفيره والوظيفة النصية التي تتضمن الأصول التي تتركب منها اللغة لإبداع وحدة دلالية"⁵، وهكذا فإن كل مقطع لغوي له وحداته الدلالية وانسجامه في سياق مقام معين يشكل نصا.

ز- النص من الناحية التداولية :

يمثل النص من هذا المنظور بنية مقطعية لأفعال إنجازية تحقق الإقناع ، ومن هذا المنطلق يرى (أوستين) أننا عندما نتكلم فإننا ننتج فعلا كلاميا ، ونحقق في الوقت ذاته أفعالا مترابطة هي:

1- **فعل لغوي قولي:** وهو ما يقوله ويتلفظ به المتكلم ، ويتكون من الفعل الصوتي والفعل التبليغي حيث

¹ - ينظر: سعيد مجبري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 80.

² - محمد العبد ، العبارة والإشارة ، دراسة في نظرية الاتصال ، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2007م ، ص: 89.

³ - halliday.mak and rouquoyahassan . cohesion in english. Lingman.london.p 12-

⁴ - halliday.mak and rouquoyahassan . cohesion in english. Lingman.london.p10.11-

⁵ - محمد عزام ، النص الغائب ، تجليات الناص في الشعر العربي ، ص: 16.

تخضع الأصوات لبنية منتظمة وفق قواعد النحو لتشكيل كلمات وجمل ، والفعل الخطابي حيث تحمل هذه الكلمات والجمل دلالات ومعاني .

2- **الفعل الإنجازي:** وهو الذي يراد منه إثارة رد فعل ، وتغيير سلوك كلامي أو حركي ، ويشتمل الفعل الإنجازي على فعل القول ، ويعبر عن مقاصد المتكلم ، كالإخبار ، والتوكيد ، الأمر ، النهي ، الاستفهام ، التمني الاعتذار ، التهديد ، الوعد ، الحجاج .

3- **الفعل العلائقي أو التائيري:** يتمثل في رد فعل المخاطب بعد الأثر الذي يحدثه في الفعل الإنجازي¹. إن النص من المنظور التداولي يتحدد في إطار نظرية أفعال الكلام ، والحديث عنها هو حديث عن صميم النظرية التداولية ، باعتبار أن النشأة الأولى لها كانت مرتبطة ارتباطا كبيرا بنظرية الأفعال الكلامية² ، وينظر إليها وفق التفصيل الآتي:

1- **المنظور التداولي الأعم:** وفيه يكون النص بنية مقطعية لأفعال الكلام ، أي أنه مكون من سلسلة من المقاطع الكلامية بحيث أن كل مقطع كلامي مكون بدوره من بني كلامية كبرى ، كل بنية كلامية كبرى مكونة بدورها من بيني كلامية صغرى ، وكل بنية كلامية صغرى مكونة بدورها من عدد من أفعال الكلام ، وفعل الكلام مكون بدوره من ثلاثة أفعال فعل القول ، وفعل الإنجاز ، وفعل التأثير.

2- **المنظور التداولي العام:** ويكون فيه النص بنية مقطعية للأفعال الإنجازية ، أي أنه مكون من مقاطع لأفعال إنجازية ثانوية ، تدعم مقاطع الأفعال الإنجازية الثانوية فعلا إنجازيا مهيمنا.

3- **المنظور التداولي الخاص:** وفيه يكون النص بنية مقطعية ، تحقق فعل إنجاز الحجاج (الاقناع) ، أي أنه متكون من مقاطع لأفعال إنجازية ثانوية غير متجانسة ، تدعم فعل إنجاز الحجاج ، وهو أهم الأفعال الإنجازية إذ يهيمن على لغته الأفعال الإنجازية الثانوية التي قد ترد معه في نص معين³.

من خلال عرض التعاريف السابقة يتضح لنا أن حقيقة النص تبدو غامضة ، إذا ما اقتصرنا في ربطها ووصفها في زاوية أحادية ، ولإزالة هذا الغموض لابد من الجمع بين زوايا النظر في سبيل مقارنة ناجعة لمستويات النص المختلفة وقد وجدنا تعريفا ذكره كل من (دي بوجراند) و(دريسلر) ، والذي يمتاز بالدقة من خلال تحديده للمعايير كما يمتاز بالشمول ، لأنهما أكدا فيه على الزوايا المتعددة للنص ، خاصة وأن الكثير من الباحثين واللغويين العرب قد أقروا بالعمق الذي يحمله هذا التعريف منهم سعيد بحيري ، أحمد عفيفي ، وصبحي إبراهيم الفقي ، وسعد مصلوح ، إذ يقول هذا الأخير "وقد آثرنا هنا أن نعتمد تعريف روبرت آلان دي بوجراند وولفجانج أولرخ دريسلار لمفهوم النص ، من حيث أنه حدث تواصل ، يلزم لكونه نصا أن يتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تحلّف واحد من هذه المعايير وهي:

¹ خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ص:162.

² علي محمود حجي الصراف ، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2010م ، ص:10.

³ ينظر: علي محمود حجي الصراف ، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، ص : 24 وما بعدها .

- السبك: وهو الترابط الرصفي النحوي كالأحالات الحذف التكرار.
 - الحبك: وهو الترابط المفهومي العميق كالتعميم والتخصيص والسببية.
 - القصد: تحقيق هدف ما عند دخول المرسل في فعل تواصلية وتفاعل لغوي مع المخاطب.
 - القبول: قبول واستحسان المتلقي للقول الحامل للرسالة.
 - الاعلامية: أن يكون للنص موضوع ومضمون إخباري أدنى يبلوره المرسل ويستطيع المتلقي أن يحدده.
 - المقامية: تلازم النص مع الظروف التي تحيط به ، وهو ما يسمح بتحقيق مبدأ الاستمرارية حيث تسمح العلاقات الشكلية للنص بعبور المعنى المعبر عنه خارج حدود الجملة.
 - التناص: تقاطع ما تحيل إليه جمل الخطاب مع نصوص أخرى.
- وعندما تتوفر هذه المعايير في النص ، يصبح النص كلا ووحدة مستقلة عن البنى المكونة له فمعيار السبك والحبك يتصلان بالنص في ذاته ، ومعيار القصد والقبول يتصلان بمتلقي النص ، سواء أكان مستعمل منتجا أو متلقيا، وأما معيار الإعلامية والمقامية والتناص فتتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص ، وهي التي تجعل النص قابلا للدراسة في ضوء اللسانيات النصية ، وتوفر هذه الجوانب مجتمعة يعكس القدرة التي يملكها المتكلم على إنتاج النص ، والقدرة التي يملكها المتلقي على التفريق بين النص واللانص ، وبالتالي القبول أو الرفض¹.

ح- مفهوم النَّص عند العلماء العرب المحدثين :

تفرعت تعريفات النص في اصطلاحات المحدثين العرب ، بتنوع التخصصات العلمية ، وبتنوع الاتجاهات والمدارس المختلفة ، وقبل استعراض بعض من تلك التعريفات ، تجدر الإشارة إلى أنَّ الانتقاد الذي وجهته الباحثة نهلة الأحمد للمهتمين بمفهوم النص في الدراسات العربية المعاصرة ، حيث تقول "إنَّ مفهوم النص الذي تشتغل عليه الدراسات العربية الحالية ، مفهوم أجنبي لمصطلح عرب خطأ ، ولم يجد ما يطابقه في اللغة العربية.. فالذين يقولون بالنص يحصرون معناه بالظهور ، وهو عندهم الكتاب والسنة تحديدا ، والنص يعني الظهور التام للمعنى ونفي التأويل ، وهم بذلك ينفون وجود نص غير الكتاب والسنة ، فلماذا نقول النص الأدبي ، والنص العلمي والنص القانوني؟ إذا المصطلح الذي نستخدمه يحيل إلى مفهوم غربي.

والذين يؤولون لا يقولون بوجود النص ، وفي أحسن الحالات يقولون بندرته ، فكيف يعنونون كتبهم بعنوانات مثل مفهوم النص ، نقد النص ، النص والحقيقة ، النص والتأويل ، ويقصدون الكتابة والسنة؟ أم أنهم يقيمونها على الندرة النادرة؟ فهل هو اعتراف ، وعدم اعتراف بوجود النص؟ وإلا فما يشتغلون عليه نص ، ولكنه نص بالمفهوم الغربي ، أي نسيح وهو ما يفهمه الناس اليوم ، ويحيلون إليه إذ لا وجود للنص في الثقافة العربية².

¹ ينظر: سعد عبد العزيز مصلوح ، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ، مجلس النشر العلمي ، الكويت ، ط1، 2003

ص: 225.226 / يتظر أيضا : robert alain de beaugrand and wolfgangdreslar.introduction to text

linguistics.longman.london.1981.p3.

² نحلة فيصل الأحمد ، التفاعل النصي التناصية ، النظرية والمنهج ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 2010م ، ط1 ، ص37.38.

وتعليقا على ما قالته الدكتورة نهلة الأحمد حول تحبظ الباحثين المعاصرين في علوم القرآن ، وفي الخطاب العربي وفلسفته ، في تحديد القصد من استعمالهم لكلمة نص ، أو كلمة خطاب ، من هذه الزاوية يرد الأستاذ جمعان بن عبد الكريم عليها مبينا أن تقريرها بأن الناس يفهمون النص بالمفهوم الغربي ، فليس صحيحا ، لأن الغالبية من الناس ترى أن النص هو الكلام الحرفي المنسوب إلى منشته ، بغض النظر عن معناه ، ويمكن هنا التمييز بين الكلام المرتفع عن الكلام العادي ، أو المحادثة خصوصا الكلام الديني ، أو الأدبي ، أو العلمي¹ ، إضافة إلى ذلك فإن كلمة نص في حد ذاتها عرفت تطورا دلاليا في نطاق العربية ، بربطها بالكتاب والسنة ، بغض النظر عن وضوح المعنى أو قطيعته ، ثم تطورت أيضا باطلاقها على كلام الفقهاء ، ثم شاع إطلاق كلمة نص في أوائل القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، على نص الشاعر أو نصوص أخرى ، ثم دخلت مفاهيم مختلفة للنص مرتبطة باتجاهات متعددة ومتفرعة.

نجد في المدونة العربية المعاصرة تعريفات متعددة للنص ، منها تعريف طه عبد الرحمن ، فهو يتصور النصية بأنها "كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة ، مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات"² ، والنص بهذا المفهوم هو صوغ منطقي يتكون من زوج تتحقق فيه الشروط الآتية: متواليه متناهية من الجمل السليمة ، رمزها (جو) ومتواليه متناهية من العلاقات ، ورمزها (عو) ويكون مجال تعريف المتواليه (عو) هو مجموعة الجمل التي تتألف منها المتواليه (جو) ، وقد يتم الترابط بين الجملتين ربطا ثنائيا ، أو أن يكون الربط بين جملتين فهو ربط جمعي وقد يتعدى الربط بين الجمل إلى ربط مباشر قريب ، أو أن تتوسطه علاقات أخرى تصل بين جمل أخرى ، (الربط البعيد).

وعلى الجانب الآخر نجد الباحث محمد مفتاح ، قد انطلق من صوغ مفهوم النص ، من منطلقات ثلاثة تجاوز في الأولى ثنائية الحقيقة والاهتمام ، ومن خلال ذلك ينبغي تجنب الرؤية التقليدية للنص باعتباره أحادية معناه وشفافيته وحقيقته وصدقه ، فيكون النص كل ما دل على الحقيقة وعلى الاحتمال وعلى الممكن ، وأما المنطلق الثاني يركز على تدرج المفهوم ، حيث النص يطلق على الحقيقة ، على المكتوب المتحقق في كتابته في علاقات متواشجة بين المكونات المعجمية ، والنحوية ، والدلالية ، والتداولية في زمان ومكان معينين ، والمكتوب الذي لا تتحقق فيه تلك العلاقات ليس نصا ، ويسمى اللانص ، فإذا كان المكتوب مزيجا مما تحققت فيه تلك العلاقات مع بياض وعلامات سيميائية أخرى كالرسوم والأشكال سمي نصا ، ويعتمد المنطلق الثالث على تدرج المعنى وينبغي أن يؤخذ لذلك في الحسبان حجم النص ونوعه ، واختلاف درجة دلالة النص باختلاف نوعه وباختلاف درجة دلالة الجمل في النص نفسه ، ومحمد مفتاح بهذا يعتمد على تقسيمات القدماء في درجة الدلالة من المحكم حتى المتشابه³.

¹ - ينظر: جمعان بن عبد الكريم ، إشكالات النص الأدبي دراسة لسانية نصية ، النادي الأدبي بالرياض ، ط1 ، 2009م ، ص:27.

² - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ، 2000م ، ص:35.

³ - ينظر: محمد مفتاح ، مسألة مفهوم النص ، منشورات كلية الآداب والعلوم ، جامعة محمد الخامس ، وجدة ، المغرب 1997م ، ص: 28.23.

وأما إبراهيم الفقي فقد أشار إلى النص من زاوية درجة التماسك النصي ، ورأى أن النص حدث تواصلية يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير إذا تحلف واحد منها تنتزع منه صفة النصية ، وهذه المعايير هي التي ذكرها كل من آلان دي بوجراند وولفجانج دريسلار¹.

وعلى الخط نفسه يعرض الأستاذ أحمد المتوكل تعريف النص مركزاً على بيان أهمية التماسك بين الجملة في كتابه (قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية من الجملة الى النص) ، مثبناً في كتابه ما أقره فان ديك من أن الخطاب وحدة تواصلية يمكن أن تكون جملة بسيطة أو جملة معقدة أو نصاً كاملاً ، يقول أحمد المتوكل "إلا أن النص لا يمكن حسب التصور الذي نقترحه هنا أن يكون إلا مجموعه جمل ، وقد تكون الجمل المكونة للنص جملاً بسيطة أو جملاً معقدة أو جملاً من الفئتين معا ، وهو الأغلب وليس كل مجموعة من الجمل نصاً فلا يقوم النص إلا إذا ربطت بين وحداته علاقات اتساق ، بعبارة أخرى لا تشكل مجموعة من الجمل نصاً ، إلا إذا كانت تكون خطاباً ، أي وحدة تواصلية ذات موضوع وغرض معين"².

والملاحظ أن هذه التعريفات تزامنت مع بداية اهتمام الباحثين العرب بمجال لسانيات النص، فمنهم من قدم تعريفاً للنص تطرق فيه إلى زاوية من زواياه ، ومع التوسع في الدراسات النصية أضاف إلى تعريفه ميزة ومفهوماً أكثر شمولية ، منهم الأستاذ سعد مصلوح والذي نقله عن دي بوجراند وولفجانج دريسلار والمتعلق بالمعايير النصية ، التي إن توفرت في النص فإنها تحقق نصيته.

وأما الأستاذ منذر عياشي في كتابه (الأسلوبية وتحليل الخطاب) ، يقدم تعريفاً مبدئياً للنص فيقول "النص شكل من أشكال الانجاز اللغوي ، يقيمه نظامه الخاص ، وهو لأنه كذلك فإنه يستغني بلغته عن غيره أي عن المرسل والمرسل إليه ، ولعله من أجل هذا قد نظر إليه المنظرون خلقاً مستقلاً وقائماً بذاته"³. نجد في هذا التعريف حصراً لمفهوم النص وجعله مقتصرًا على شكل من أشكال الانجاز اللغوي ، مقام على نظام خاص ولم تذكر فيه المعايير المشككة للنص ، كالرسالة ، والمرسل إليه ، والمقام ، والتناسق ، وهذا ما يجعل النص فاقداً لمعامله⁴.

وفي هذا الإطار تندرج محاولة الأستاذ الأزهر الزناد في بحثه (نحو النصوص) ، فقد انطلق فيه من مفهوم النص على أنه نسيج من الكلام، وذهب إلى أن معنى النص يتوفر في المصطلح الأعجمي المقابل لمصطلح نص (texte) يقول "فالنص نسيج من الكلمات ، يترابط بعضها ببعض ، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد ، هو ما نطلق عليه مصطلح نص"⁵ ، ويعلق الدكتور أحمد عفيفي على هذا التعريف بقوله

¹ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2000م ، ج1 ، ص: 33.34.

² - أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، المغرب ، 2001م ، ص: 82.

³ - منذر عياشي ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضاري ، ط1 ، 2002م ، ص: 121.

⁴ - ينظر: عادل مناع ، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، 2011م ، ص: 18.

⁵ - الأزهر الزناد ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 1993م ، ص: 12.

"وهكذا يهتم التعريف بالربط اهتماما كبيرا ، دون إشارة صريحة إلى الكتابة ، أو النطق ، وإن كان فيه ميل إلى الملفوظ"¹ .

وأما الدكتور صلاح فضل فيشير إلى أن هناك تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص بصفة عامة ، وتعريفات أخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه خاصة الأدبية ، وهذا لا يصل بنا إلى تحديد واضح للنص ، بل علينا أن نبي مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة ، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة ، لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب ، هو السطح اللغوي بكيونته الدلالية ، ويبدو صلاح فضل في تعريفه هذا متأثرا بأ نموذج (جوليا كريستيفا) ، الشمولي ونظرتها للنص فيقول "من هنا فإن تعريف جوليا كريستيفا على تشابكه ، قد ظفر باهتمام خاص ، لأنه يطعن في كفاية النظر إلى هذا السطح ، ويبرز ما في النص من شبكاتٍ متعاقبة"².

وفي الشأن ذاته يشير الأستاذ سعيد حسن بحيري بقوله "فالنص أذن وحدة كبرى شاملة، لا تضمها وحدة أكبر منها ، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة ، تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي و من الناحية الدلالية على مستوى رأسي ، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية ، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية"³.

وهذا المفهوم الذي ذكره سعيد حسن بحيري للنص ، قال به (برينكر) و(فان ديك) ، حين حددا النص بأنه تتابع مترابط من الجمل ، وبأنه بنية كبرى ذات طابع دلالي ، وهذا يعني أنهما قد ركزا على الناحية النحوية والدلالية ، ولم يتطرقوا إلى الجانب التداولي والتواصلية ، لذلك فإن هذا التعريف الذي يوضح النص بالجملة من خلال النص ، غير منهجي من الناحية العلمية ، لغموض الرمز والعلاقات التي يتضمنها ، واتساع الوصف ، ومن ثم ينتهي الأستاذ سعيد بحيري إلى نتيجة أنه لا يمكن تطبيقه⁴.

ولا نغفل عن المفهوم الذي أشار إليه الدكتور محمد عبد اللطيف حماسة في كتابه (اللغة وبناء الشعر) حيث يقول "إن النص لا يمكن أن يتنصص إلا بفشل جديدة من البنية النحوية ، والمفردات ، وهذه الجديدة هي التي تخلق سياقاً لغوياً خاصاً بالنص نفسه ، وعند محاولة فهم أي نص وتحليله ، لا بد من فهم بنائه النحوي على مستوى الجملة أولاً وعلى مستوى النص كله ثانياً"⁵.

لقد انطلق الدكتور عبد اللطيف حماسة في تعريفه للنص من فرضية أساسية ، وهي ضرورة الاعتماد على المستوى النحوي ، والارتكاز عليه في تفسير النصوص الأدبية ، إضافة إلى مراعاة جانب المفردات ، وهنا تتضح لنا معالم المفهوم الذي قدمه كل من (هاليداي ورقية حسن) للنص حينما قالاً "نحن نستطيع تحديد النص بطريقة

¹ - أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2001م ، ص: 27.

² - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 211.

³ - سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 119.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه ، ص : 136.

⁵ - محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر ، مكتبة الزهراء القاهرة مصر ، ط1 ، 1992م ، ص: 07.

مبسطة بالقول أنه اللغة الوظيفية ، ونعني بالوظيفية اللغة التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات لذا فإنَّ أيَّ مثال للغة الحياة ، يؤدي دورا أو بعض الأدوار في سياق الحال ، سوف نطلق عليه نصا ، وهذا يعني أن يكون منطوقا أو مكتوبا ، أو بالفعل بأي وسيلة أخرى للتعبير أو التفكير بها ، والنص أساسا وحدة دلالية والنص إنتاج وعمليات ، والنص تبادل المعنى بين المشاركين في الحديث والحوار¹. وهنا يبدو تأثر عبد اللطيف حماسة بما قال به هاليداي ورقية حسن واضحا.

ومن جملة المعاصرين الذين تناولوا مفهوم النص نجد عبد المالك مرتاض ، فهو لا يحدد مفهومه من خلال الإبداع أو الكتابة المركبة ، فهو يرى أن النص "لا ينبغي أن يحدّد بمفهوم الجملة ، ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل ، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصا قائما بذاته مستقلا بنفسه ، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية ، كالأمثال الشعبية ، والألغاز والحكم السائرة ، والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الكلام ، وهلم جرا"².

أمّا من حيث الدلالة ، فإنَّ الأستاذ مرتاض يرى أن النص شبكة من المعطيات الألسنية والبنوية والايديولوجية كلها تسهم في إخراجها إلى حيز الفعل والتأثير ، وهنا يبدو استناد الأستاذ مرتاض على نظرية القراءة في تحديده لمفهوم النص "فالنص قائم على التجددية بحكم مقروئته ، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائته تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة ، فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة"³، وفي هذا إشارة إلى ما ذكرته جوليا كريستيفا حول إنتاجية النص ، حيث إنه يتخذ من اللغة مجالا للنشاط فتراه يتردد إلى ما سبق هذه اللغة محدثا بعدا بين لغة الاستعمال اليومية ، وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس ، والحجم الشاعر للفعاليات الدالية فتنشط اللغة التي هي الأصل الأدبي في كل مرحلة من مراحله ومظاهره.

ويطالعنا الأستاذ نور الدين السد بمفهومه للنص ، من وجهة نظر لسانية لا تعتمد تقسيم الخطاب إلى خطاب نفعي وآخر فني ، بل تصنف النص تصنيفا نوعيا ، وبذلك أصبح النص الأدبي لا يمثل إلا أحد الأنواع النصية العديدة ، والتي منها النص الديني ، والنص القضائي ، والنص السياسي ، والنص الاشعاري⁴.

إنَّ الترابط بين أجزاء النص هي أبرز الخصائص التي تسم النص بالنصية (**texture**) ، فالنص ليس "مجموعة جمل فقط لأنَّ النص ممكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا ، نثرا أو شعرا أو حوارا أو مونولوجا ، يمكن أن يكون أيّ شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها ، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة والنصية تميز النص عما ليس نصا ، فالنصية تحقق للنص وحدته الشاملة ، ولكي تكون لأيّ نصّ

1 - halliday.mak and rouquoyahassan . cohesion in english. Lpid.p10.11

2 - عبد المالك مرتاض ، في نظرية النص ، جريدة المجاهد ، الجزائر ، عدد 1424 ، ص: 57.

3 - عبد المالك مرتاض ، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر دط ، ص : 55.

4 - ينظر: نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1997م ، ص: 68.

نصيته ، ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية ، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة ولتوضيح نضرب المثال الآتي: (اقطف قليلا من الزهور ضعها في مزهرية قاعة الاستقبال) ، غني عن البيان أنّ الضمير الهاء في الجملة الثانية يحيل قبلها إلى الزهور في الجملة الأولى ، وما جعل الجملتين متسقيتين هو وظيفة الإحالة القبلية للضمير (ها) ، وبناء على ذلك فإن الجملتين تشكلان نصاً¹.

ولنصل إلى تعريف عام للنص يستوفي جوانبه ، لا بد من تقديم المفهوم الذي ذكره الأستاذ (محمد وهابي) يقول في ذلك "على الرغم من كل الاختلافات حول مفهوم النص ، لا بد لنا من أن نخرج بتصوير يحدده كمفهوم إجرائي قابل للتحديد والملاحظة والقياس ، وبهذا سنتبنى من الآراء ما يؤكد فيه الخصائص التالية:

- كيان لغوي ، فلا يمكن تصور نص خارج اللغة ، وهذه اللغة تحكمها مجموعه من القواعد النحوية والتركيبية ، ويتم إقصاء جميع أشكال التواصل الاصطناعية ، كلغة الرياضيات أو المنطق من النصية .
- النص متوالية من الكلمات والجمل ، وهو لا ينحصر في الكلمة وحدها أو الجملة وحدها.
- النص نسيج ، والمقصود أن يكون بين مجموع الكلمات والجمل علاقة ترابط وانسجام ، وهذه الخاصية هي جوهر البناء النصي.

- النص مكتوب ، وتخرج كل مظاهر التواصل الشفوية والاشارة.
- النص يتضمن رسالة ، وبهذا لا يكون مجرد كلام يبيث في الفراغ ، وإنما يكون خطابا موجها من مرسل إلى متلق معين ، أي أنّ يكون هناك قصدية ، هذه القصدية يستدعيها سياق يساعد على تمثين التواصل بين طرفي الرسالة².

من خلال ما سبق نلاحظ أن مفاهيم النص قد اختلفت باختلاف التوجهات المعرفية ، والنظرية والمنهجية واختلاف تصورات ومنطلقات كل باحث ، فلا نجد للنص تعريفا يعرف به عدد من الباحثين في اتجاه لسانيات النص بشكل مطلق ، لأنها اعتبرت فرعا علميا متداخل الاختصاصات من جهة ، كما اعتبرت علما يركز على النصوص في ذاتها ، وعلى أشكالها وقواعدها ووظائفها وتأثيراتها المتباينة من جهة أخرى ، إنها تعريفات تميل كلها إلى خلق حالة منسجمة من النظام والتشاكل والتماثل بين مختلف المستويات الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية للنص.

ثانيا- الخطاب في إطار المعجم والاصطلاح والوظيفة

تعريف الخطاب:

إذا كان من اليسير تحديد مفهوم الجملة بشيء من الدقة نظرا لما تراكم من أدبيات وكتابات في نحو الجملة قديما وفي لسانيات الجملة والتركيب حديثا ، فإنّ مفهوم الخطاب لم يحض على كثرة التداول بتعريف قار ، ويزداد

¹ - نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص: 70.69.

² - ينظر: محمد وهابي ، مفهوم النص ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الاعلى للثقافة ، الكويت ، مج41، العدد02 ، أكتوبر/ديسمبر، 2012م ، ص: 223.222.

الأمر غموضا عندما يتعاقب في الاستعمال مصطلحان اثنان هما الخطاب (**discours**) والنص (**texte**)، وكأتهما مصطلحان مترادفان ، لذا فإننا سنبين في هذا الإطار أهم تعريفات الخطاب ، على مستوى اللغة ، والاصطلاح .

أ- **الخطاب لغة**: "خطب الخطب الشأن أو الأمر صغر أو عظم ، وقيل هو سبب الأمر ، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك ، وخطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة بالكسر ، والخطب الذي يخطب المرأة ، والجمع أخطاب ، والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، ورجل خطيب حسن الخطبة وجمع الخطيب خطباء"¹.

وفي المعجم الوسيط جاءت مادة (خطب) ، "بمعنى خطب الناس فيهم وعليهم خطابة وخطبة ، أي ألقى عليهم خطبة ، وخطب فلانة خطبا وخطبة طلبها للزواج ، ويقال خطبها إلى أهلها طلبها منهم للزواج ، وأخطب فلانا أجابه إلى خطبته وخاطبه كالمه وحادثه"².

والملاحظ أن لفظ الخطاب والذي يعني الكلام ، ورد في التنزيل العزيز في مواضع مختلفة منها قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخُطَابَ﴾ (ص الآية 20) ، والمقصود هو الرسالة ، وهو الحكم بالبينه أو اليمين أو الفقه في القضاء ، وفي قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبا الآية 37) ، بمعنى لا يملكون حديثا أو كلاما مهما ، وفي قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ (الفرقان الآية 63) ، أي إذا واجهوهم بالكلام ، وفي قوله تعالى:

﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (هود الآية 37) ، بمعنى لا تحدثني.

ب- الخطاب في إطاره الاصطلاحي:

ارتأينا أن نفصل في تحديد المفهوم الاصطلاحي للخطاب في الثقافتين العربية والغربية ، وذلك من أجل محاولة الربط بين المفهومين .

ج- الخطاب في الثقافة العربية :

على الرغم من تداول مفهوم الخطاب ، إلا أنه لم يحظ بتعريف قار ، خاصة عندما يتعاقب استعمال مصطلحين هما الخطاب والنص ، على أساس أنهما مفهوم واحد ، وكثيرا ما يقتزن الخطاب بوصف آخر مثل : الخطاب الثقافي السياسي ، الصوفي... ولذلك تعددت تعريفاته بتعدد ميادينه ، وبوصفه فعلا يجمع بين القول والفعل ، وهذا من سماته الأصلية ، و على الرغم من ذلك فإن هذا التعدد الذي يميز الخطاب لا يؤدي إلى تشتت معناه بقدر ما يعكس ثراءه وغناه .

¹ - ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج1، ص : 361.

² - ينظر: إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصواحي ، محمد خلف الله أحمد ، المعجم الوسيط ، ص: 243.242.

وقد ورد لفظ الخطاب عند العلماء العرب القدماء ، كما ورد أيضا عند علماء الغرب ، مع التفاوت أو التقارب في معناه ¹.

د- مفهوم الخطاب عند العلماء العرب:

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية في عدة مواضع ، إضافة إلى المواضع التي ورد فيها في القرآن الكريم والتي أشرنا إليها سابقا ، نجد أنه ورد في الآيات بصيغ متنوعة منها صيغة الماضي (خاطبهم) ومنها صيغة المصدر (الخطاب) ومنها صيغة المضارع (تخاطبني).

ونجد النحاة قد تداولوا هذا اللفظ مستعملين فيه صيغة اسم المفعول (المخاطَب) ، للدلالة على طرف الخطاب الآخر ، الذي يوجه المرسل كلامه إليه ²، وهذا ما نقف عليه - مثلا- في حديث ابن يعيش عن المضمرات إذ يشير إلى طرفي الخطاب (المتكلم والمخاطَب) ، يقول في شرحه: " والمضمرات لا لبس فيها ، فاستغنت عن الصفات ، لأن الأحوال المقترنة بها حضور المتكلم والمخاطَب والمشاهدة لهما ، وتقدم ذكر الغائب الذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم ، فأعرَفُ المضمرات المتكلم ، لأنه لا يوهك غيره ، ثم المخاطَب والمخاطَب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة" ³.

وأما الأصوليون فقد شكل الخطاب لهم الأرضية التي ارتكزت عليها أعمالهم ، وقد ترددت كثيرا اشتقاقات مادة (خطب) في مواضعهم وأبحاثهم .

ونجد من الأصوليين من تغاضى عن الإشارة إلى تعريف الخطاب ، ليس لغموضه أو تعدد معانيه ، وإنما نجد أن مفهوم الخطاب قد شكل عندهم مفهوما بديهيا ، في حين نجد أن من العلماء الأصوليين من حرص على تقديم مفهوم للخطاب منهم (الأمدي) ، الذي عرّف الخطاب تعريفا بيّنا ، على اعتبار أن التعريف هو المنطلق لمعرفة الأحكام الشرعية ، إذ يرى أنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه" ⁴ ، في حين يعرفه الجويني بقوله: "الكلام والخطاب ، والتكلم والتخاطب والنطق ، واحد في حقيقة اللغة وهو ما به يصير الحي متكلمًا" ⁵.

بعد أن عرضنا مفهوم الخطاب في الثقافة العربية باختصار ، سنشير إلى مفهومه في الثقافة الأجنبية .

¹ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004م ص:34

² ينظر: المرجع نفسه ، ص: 35.

³ ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج 3 ، ص: 85.84.

⁴ الأمدي علي بن محمد ، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1986م ، ج 1 ص: 136.

⁵ الجويني ، الكافية في الجدل ، تحقيق فوقية حسين محمود ، مطبعة عيسى البايي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، 1979م ، ص: 32.

هـ - الخطاب في الثقافة الغربية:

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات اللسانية والنقدية التي أخذت تتداول في العقود الأخيرة منذ القرن العشرين نظرا لاستخدامه في مجالات معرفية مختلفة ، لا سيما بعد دخوله مجال الدراسات الألسنية الحديثة التي تأثرت بها نظرية الأدب والنقد الأدبي ، ومع ظهور تيار البنيوية في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي وظهور التصورات والرؤى التداولية ، ونظرا لهذا التعدد تباينت مفاهيمه ، واختلفت حدوده لدى الباحثين مما أضفى عليه نوعا من الغموض والخلط في تحديد إطاره المفاهيمي ، فقد غدت مشكلة الخطاب وتحليل الخطاب إحدى الاشكالات المركزية التي يدلي فيها كل باحث بوجهة نظره ، ويقدم اقتراحاته واجراءاته للإسهام في بلورة تصور مناسب لمفهوم مانع ومتعدد الدلالات¹.

وإذا ما تقصينا مصطلح الخطاب ، فإننا نجد له جذورا في اللسانيات ، لكونه يستمد وجوده من ثنائية اللغة والكلام التي نادى بها **ديسوسير** خاصة وأن هذين المفهومين قد عرفا تطورا عند الدارسين اللغويين الذين جاءوا بعد **دي سوسير** ، إذ تعددت دلالات المصطلحين "فهما عند (**هيمسلاف**) الجهاز النص ، وعند (**تشومسكي**) الطاقة الانجاز ، وعند **ياكسون** الدليل والرسالة ، وعند **غيوم** اللغة الخطاب ، وعند **بارت** اللغة والأسلوب"²، فلا شك أن للخطاب جذور في الأسلوبيات ، سواء تعلقت بالبلاغة وقواعد اللغة أو تعلقت بمراعاة المستويات اللغوية الملحوظة التي يعتبرها اللسانيون نصا ويعتبرها النقاد عموما خطابا.

لقد ورد مصطلح الخطاب في المعاجم الأجنبية بأنه مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسية (**discours**) وفي الإنجليزية (**discourse**) ، ويعني حديث محاضرة ، خطاب ، خاطب حادث ، حاضر ألقى محاضرة وتحدث إلى³ ، وأما في معجم **أكسفورد** الموجز للغة الإنجليزية ، فإنه يعرف الخطاب بأنه "عملية الفهم التي تمر بنا من المقدمة حتى النتيجة اللاحقة ، وهو الاتصال عبر الكلام أو المحادثة والقدرة على المناقشة .

- تناول أو معالجة مكتوبة ، أو منطوقة لموضوع طويل مثل البحث أو أطروحة أو موعظة أو ما أشبه ذلك.

- الاتصال المؤلف المحادثة .

- أن يقوم الخطاب نعي أن يتحدث ويناقش مسألة ما.

- أن يتكلم ، أو يكتب بشكل مطول عن موضوع ما.

- أن يدخل في نقاش منطوق ، أو مكتوب أن يخبر أنه ينطق.

- أن يتحدث مع ، أن يناقش مسألة مع ، أن يخاطب شخصا ما.

- المخاطب هو الذي يخاطب ، المخاطب هو الذي يفكر.

¹ - سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 1997 م ، ص: 21.

² - رابح بوحوش ، الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية على ضوء اللسانيات وعلم النص ، جامعة عنابة ، الجزائر ، 1999 م ، ص: 161.

³ - ينظر: إلياس أنطوان إلياس وإدوار إلياس ، قاموس إلياس العصري ، عربي إنجليزي ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، 1972 م ، ص: 191.

- عملية أو قدرة أو مقدرة التفكير على التوالي منطقيا ، عملية الانتقال من حكم لآخر ، تتابع منطقي ملكة التفكير¹.

ويمكن أن نستشف من هذا التعريف بأن الخطاب يشمل المنطوق والمكتوب ، وهذا يعكس لنا التلاقي الكبير من حيث المعنى بين النص والخطاب.

وفي المعاجم الفرنسية ورد الخطاب بلفظ (discours) ففي معجم (petit larousse) هو "ملفوظ أكبر من الجملة ، موجه لتوضيح وجهة نظر متعلقة به ، ويعرف الخطاب في الفلسفة بأنه مجموعة الملفوظات التي تبرهن على موضوع واحد ، تأسيسا على مجموعة من المعطيات" وهو بهذا المفهوم ينطوي على تراكمات تشتمل على مكونات تركيبية تتجاوز الجملة الواحدة ، وهذه المكونات تصب في إطار عام مفاده توضيح فكرة أو مجموعة من الأفكار التي تنضوي تحت لواء وجهة نظر ، أو تصور حول موضوع ما .

ففي الأدبيات الحديثة ورد مصطلح الخطاب ولأول مره عند (هايمز) ، بيد أن مفهومه قد ناله التعدد والتنوع بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون حسب اتجاهي الدراسات اللغوية الشكلية والتواصلية ، ولهذا فهو يطلق على أحد المفهومين:

- الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير بإفهامه قصدا معينا .

- الثاني: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة.

والمفهوم الأول هو الذي تناوله باحثون كثر إذ نجد (غيوم) ينطلق من الثنائية المعهودة عند (ديسوسير) أي اللغة والكلام ، التي تكون اللسان وبفضل (غيوم) استعمال كلمة (discourse) عوض كلام (parol)، ليؤكد على ما يكتسبه الانجاز اللغوي من أوجه ربما لا يحتويها لفظ الكلام مباشرة ، مثل الوجه الكتابي الحركات الجسدية السياق "و يرتكز (غيوم) في تصنيفه على نظرتة إلى اللغة بوصفها النظام السابق على الخطاب فهي موجودة بالقوة ، في حين أن الخطاب هو ما يوجد بالفعل ، وبالتالي فهو يفرق في وضع العلامة اللسانية بين مستوى اللغة ومستوى الخطاب ، إذ تكون العلامة اللسانية في اللغة دالا ذا مدلول واحد ، في حين تتعدد مدلولاتها في مستوى الخطاب لأنه ميدان استعمالها².

ونجد (جيرلاند برنس) يفرق بين مستوى التعبير في السرد ومستوى المضمون ، أي العملية السردية في مقابل المسرود ، والخطاب عنده يحتوي على مادة وسيط للاظهار شفاه ، أو لغة مكتوبة ، صور ثابتة و متحركة وإيماءات شكل ، يتألف من مجموعة من التقريرات السردية التي تقدم القصة ، وبشكل أدق تتحكم في تقديم تتابع المواقف والوقائع ، ووجهة النظر التي تحكم هذا تقديم³.

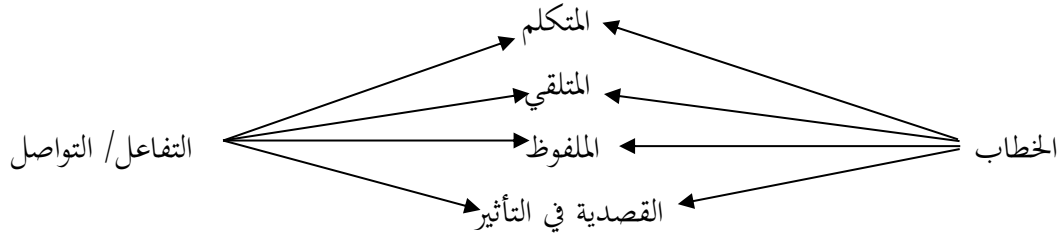
¹ ينظر : the shorter oxford english dictionary on historical principles . p 563.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص: 37.

³ ينظر : جيرالد برنس ، المصطلح السرد ، ترجمة عابد خزندار ، المشروع القومي للترجمة ، ط1 ، 2003م ، ص: 62.

وأما (بنفنست) فإنه يرى أن الخطاب يشكل مع القصة واحدة من أجزاء النظام اللغوي المتكامل ، ولكنه يفرق بين الخطاب والقصة ، ففي الخطاب هناك صلة بين الحالة أو الواقعة ، وبين الموقف الذي يستحضرها لغويا بالإضافة إلى تضمن الخطاب نوعا من الإشارة إلى عملية التلفظ ، ووجود مرسل ومتلقي ، أمّا القصة فلا تقتضي ذلك¹.

وهذا يعني أنّ (بنفنست) يحدد الخطاب بمعناه الأكثر اتساعاً "وأنه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"²، وعلى هذا يصبح مفهوم التلفظ (enonciation) عنده بمثابة الفعل الذاتي في استعمال اللغة ، وبالتالي فإن الكلام يدرس ضمن نظرية التواصل ووظائف اللغة ، وهذا يعني أن الملفوظ عنده لا يعتبر خطابا حتى يستوفي شروط (ذات الصيغة التفاعلية interactionnal) والتواصلية ويوضح (بنفنست) تصوره بهذه الخطاطة :



تشكل الحلقة التواصلية من باث ، ومتلق ، وملفوظ ، وقصدية في التأثير في المتلقي ، والتي ينتج عنها تغيير القناعات عنده ، وتحتزن هذه الحلقة التواصلية ضمنيا الرسالة المشحونة بالبلاغ ، والشفرة المتعارف عليها لفك الرموز غير الواضحة ، فهذا النوع من نظام التلفظ يبين لنا أن اللغة :

- تتمثل في القول الذي يحيل إلى موقف ما ، فنحن نتكلم دائما عن شيء ما .
- تتكون شكلا من وحدات مستقلة تمثل علامات .
- نتج ونستقبل في قيم إحصائية مشتركة بين أعضاء مجتمع واحد .
- تمثل التحقق الوحيد للتواصل البيندائي (intersubjective)³.

وأما (هاريس) الذي أجمع كل المتحدثين عن الخطاب وتحليل الخطاب بأنه أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني يجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب ، إذ نجده عرف الخطاب "بأنه ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة متعلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية

¹ ينظر : جيرالد برنس ، المصطلح السردي ، ص: 63 .

² ينظر: emilebenvenisteproblemes de linguistique generale. t1edceres.1995.tunis.p241. وينظر: عبد

الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص: 37.

³ ينظر: . T1.p59. emilebenveniste .problemes de linguistique generale .

التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض¹، وبمقتضى هذا التعريف يسعى (هاريس) إلى تطبيق تصوره التوزيعي على الخطاب، والذي من خلاله تصبح كل العناصر أو متتاليات العناصر لا يلتقي بعضها ببعض بشكل اعتباطي وفي مختلف مواطن النص.

وعلى هذا فإنّ مصطلح الخطاب متعدد المعاني، فهو وحدة تواصلية إبلاغية ناتجة عن مخاطب معين موجهة إلى مخاطب معين في سياق معين، يدرس ضمن ما يسمى بلسانيات الخطاب، و الخطاب على رأي (ليتش) وزميله (شورت) "تواصل لساني ينظر إليه كإجراء بين المتكلم والمخاطب، أي فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية"²، والخطاب يتنوع بتنوع الطرق التي يتخذها المتكلمون أو الكتاب، وذلك بحسب مواقف اجتماعية وثقافية محددة، فتنجج بذلك أنواع كثيرة من الخطابات، مثل الخطاب الديني، والخطاب العلمي، والخطاب السياسي، كما يشير (رولان بارت) في كتابه (نظرية النص)، أنّ الخطاب إنجاز فردي يتشكل من مجموعة من الوحدات الخطابية تربطها ببعضها علاقات تحقق للخطاب انسجامه³.

و- بين النص والخطاب :

تمثل مسألة تحديد الشكل الذي يعالجه علم النص، أو يختص بمعالجته علم لغة النص بوجه خاص، قضية خلافية بين علماء النص، إذ إنّ على الرغم من تلك المحاولات المتعددة التي بُذلت لإيضاح الشكل النصي من وجهة نظر لغوية نصية، فإنها أسفرت عن آراء متباينة، بل زادت الخلافات عمقا، وبرزت أوجه التباعد بوضوح شديد⁴.

وقد شغلت هذه المسألة الباحثين اللسانيين، واحتلت عندهم الحيز الأكبر، من خلال محاولاتهم تحديد طبيعة العلاقة بين النص والخطاب، هل هما مفهوم واحد، أي أنّهما مُصطلحان مترادفان؟ أم أنّهما مفهومان ومصطلحان مختلفان؟ وفي هذه الحالة ماوجه الاختلاف بينهما؟

إنّ أول ما يطالعنا من خلال تتبع المقاربات المتعلقة بتحديد العلاقة بين النص والخطاب، يجعلنا نقف على تصورات كثيرة تصل إلى حد اعتبار هذين المصطلحين متجاذبين يجمعهما مفهوم واحد، وفي نفس الوقت نجد أنّ هناك طائفة أخرى ترى أنّ المصطلحين متنافرين ومتناقضين، وأنّ هناك فوارق كثيرة بينهما، فمن الذين تبناوا التصور الأول ورأوا أنّ النص هو الخطاب (روجر فاوولر **rogerfowler**)، إذ رأى أنّ كل نص خطاب

¹ ينظر: سعيد بقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ص: 17.

² نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2012م. ص: 20.

³ رولان بارت، نظرية النص، ترجمة: محمد خير البقاعي، العرب والتفكير العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، ع 05، 1998م، ص: 93.

⁴ ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 60.

يمثلان فعل لغة صادران من مؤلف ضمني ، له تصميم محدد لقارئ ضمني محدد الهوية¹، وقد ارتكز هذا المؤلف في تعبيره على أداة لسانية معينة ، وسواء كان هذا التعبير نصاً أو خطاباً فإن ما يجمعهما هو العملية التعبيرية التي تتضح لنا في شكلها النص والخطاب ، يقول في ذلك: "والعرض بشكل محتوم عملية تعبيرية، والتعبير في اللغة له شكلان أطلقنا عليهما: النص (شكل الرسالة) والخطاب ، (المشاركات الكلامية وتلويين المواقف الذي يمنحه المؤلف)"².

والموقف ذاته تبنته اللسانية جوليا كرسستيفا ، التي رأت أن هناك تحولاً عرفه النص على مستوى المجال وتحويلاً على المستوى الإستمولوجي ، والاجتماعي ، والسياسي ، هذا الذي دفعها إلى اعتبار أن النص الأدبي هو خطاب "فالنص الأدبي خطاب يخترق حالياً وجه التعميم والإيديولوجيا والسياسة ، ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها"³.

إنَّ العلاقة بين النص والخطاب قوية جداً "فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة ، أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي ، يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق. وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص ، فإنَّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما"⁴، ولهذا نجد (مايكل ستابز) يتعامل مع النص والخطاب باعتبارهما مترادفين ، وينوه إلى أن هناك اختلافات ضئيلة لاتصل إلى وضع فوارق نظرية صارمة بينهما ، فهو يعتبر النص مكتوباً غير تفاعلي ، يتميز بالطول وبالقصير ، كما يتسم بالتماسك السطحي في حين أن الخطاب شفاهي تفاعلي يدل على طول مؤكد يتميز بتماسك أعمق⁵، وأما (ديفيد كريستال) فقد حصر مصطلح الخطاب في مجال الألسنية عندما قارنه بمصطلح النص ، إذ ميز بين تحليل الخطاب وتحليل النص ، ورأى أنَّ التحليل الأول يرتكز على بنى اللغة المحكية المستعملة في ظروف طبيعية ، بينما يرتكز التحليل الثاني على بنى

¹ ينظر: محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، الأكتديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، 2014م ، ص: 08.

² روجر فاوولر ، اللسانيات والرواية ، ترجمة: أحمد صبرة ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، مصر ، 2009م ، ص: 115.116.

³ جوليا كرسستيفا ، علم النص ، ص: 13.

⁴ روبرت دي يوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 06.

⁵ ينظر : سارة ميلز ، الخطاب ، ترجمة: عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، 1 ط ، 2016م ، ص: 16. وينظر: محمد العبد

النص والخطاب والاتصال ، ص: 08.

اللغة المكتوبة ، لكن هذا التمييز ليس تمييزا واضحا وجليا ، لأن المصطلحين قد يستعملان بمعنى أوسع ليشملا جميع الوحدات اللغوية ، التي لها وظيفة اتصالية محددة، سواء أكانت تلك الوحدات محكية أو مكتوبة¹.

ومن الذين ساروا على نفس النهج نجد **بول ريكور** الذي وحد بين مفهومي النص و الخطاب على مستوى المظهر اللساني ، فقد رأى أنّ النص هو كل خطاب ثبتته الكتابة ، وهنا يتضح لنا اهتمامه بالكتابة وهو الذي اندفع إلى تأسيس نظرية للحدث الكتابي تميزه من الحدث الكلامي وتؤثر فيه في الوقت نفسه ، وتجعله مستقلا بذاته وفاعلا بغيره أيضا ، وتعريفه للنص يكشف لنا ذلك يقول : " لنسم نصا كل خطاب ثبتته الكتابة"².

وفي العديد من الأحيان يعرف الخطاب من خلال مقارنته بمجموعة من المفاهيم التي يختلف عنها، وبالتالي ترسم حدوده بواسطة التفريق بينه وبين بعض المصطلحات كالنص والجملة والإيديولوجيا ، ويمكن أن يفهم من هذه المصطلحات معنى الخطاب ، وهذا الذي أشار إليه كل من (جيوفريليتش) و (مايكل شورت) فقد اعتبرا "أنّ الخطاب تواصل لغوي ، وهو عملية قصدية تحدث بين متكلم ومستمع يميزه التفاعل بينهما ، ويحدد شكله بأغراض اجتماعية ، وأما ما يميز النص فهو التواصل اللغوي سواء كان شفاهيا أو مكتوبا ، وأدواته الرسالية مشفرة سمعية كانت أو بصرية"³.

أشرنا سابقا إلى أنّ (مايكل ستابز) قد تعامل مع النص والخطاب على أساس أنهما مترادفان، وأنّ الفوارق بينهما لاتعدو أنّ تكون فوارق عرضية بسيطة ، لكن هناك من رأى أنّ هذه الفوارق مهمة تجعل من المفهومين متباينين لتصل إلى وضع فواصل نظرية بينهما ، فحتى **مايكل ستابز** يستدرك موقفه وينوه - في محاولة التمييز بينهما- إلى تقديم ملاحظات متميزة ، علق عليها (هوثرن) بقوله:

- النص غالبا مايكون مكتوبا ، في المقابل يكون الخطاب شفاهيا منطوقا .
- النص غالبا ما يكون منولوجيا غير تفاعلي ، في المقابل يكون الخطاب تفاعليا .
- يكون النص طويلا أو قصيرا ، في المقابل يدل الخطاب على طول مؤكد .

¹ ينظر : فيصل الأحمر، معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010م ، ص: 159.

² بول ريكور ، من النص إلى الفعل ، أبحاث التأويل ، ترجمة: محمد برادة وحسان بوقرية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر ط 1 2001م ، ص: 105. وينظر: منذر عياشي ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص: 116.117.

³ سارة ميلز، الخطاب ، ص: 16. وينظر : فيصل الأحمر، معجم السيميائيات ، ص: 160.

يتميز النص بالتماسك السطحي ، في المقابل لا بد للخطاب أن يتميز بتماسك أعمق¹، ومن جانب آخر يرى كل من ديوجراندي ودريسلر أنّ النص هو الناتج الفعلي المحقق عن العمليات الاتصالية ، وهو تشكيلة لغوية من وحدات وأنماط بنائية مستعملة ذات معنى ، تستهدف الاتصال يضاف إلى ذلك ضرورة صدوره عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة ، والنص عندهما ليس محض هيئة أو تركيب من الوحدات الصرفية والجمل .

والأحرى عندهما أنّ الوحدات الصّرفية والجمل تُوظّف من حيث هي وحدات وأنماط إجرائية تشير إلى المعاني والأغراض أثناء الاتصال ، ومن الصعب عندهما أن نحصر دراسة النصوص في صناعة الكلام أو الكتابة وذلك أن هذه الصناعات ناقصة بطبيعتها ، إذا عزلت عن العمليات الإجرائية التي تؤدّيها².

يتضح لنا من خلال هذا المفهوم أنه ليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها ، فقد يكون النص جملاً أو كلمات مفردة ، أو مجموعات لغوية والمهم أن تحقق هذه الأشكال أهداف التواصل .

وفي المقابل نجد أنّ الخطاب عندهما عبارة عن موقف أو سلسلة من الوقفات (Events) التي يتبادل فيها المشاركون نصوصاً بوصفها أفعالاً خطابية (discourse actions) ، ومن خلال الخطاب يجعل كل منهما الاتصال حالة من حالات التخطيط التفاعلي (interactive planning).

وأما (ميشال فوكو) فنجدته قد تناول مصطلح الخطاب وأضفى عليه البعد الإيديولوجي ، وقد تعددت استعمالاته عنده بقدر ماتعددت المواضيع التي تناولها كالسلطة، والمعرفة، والحقيقة إذ إنّ هذه المفاهيم من أهم العناصر التي يتكون منها مفهوم الخطاب عنده ، يقول : " بدلا من اختزال المعنى المتذبذب للفظ الخطاب أظن أنني أضفت لمعانيه معاملته أحيانا باعتباره النطاق العام لكل الجمل، أحيانا باعتباره مجموعة متفردة من الجمل ،وفي أحيان أخرى باعتباره عملية منضبطة تفسر عددا من الجمل³، ونستشف من تناوله هذا أن كل كلام أو نصوص ذات معنى وتأثير في عالم الواقع تعد خطاباً "فالخطاب مصطلح لساني يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها بشكله لكل إنتاج ذهني ، سواء كان نثراً أو شعراً، منظوقاً أو مكتوباً، فردياً أو جماعياً ، ذاتياً أو مؤسسياً ، في حين أنّ المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد. وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية ، فهو ليس ناتجاً

¹ ينظر : سارة ميلز، الخطاب ، ص:16. وينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات ، ص: 160. وينظر: محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ص: 08.

² ينظر: روبرت ديوجراندي وولفغانغ دريسلر، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلى خليل حمد ، مركز نابلس للكمبيوتر، ط1، 1992م، ص:09. وينظر: محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص: 10.09.

³ ينظر : سارة ميلز، الخطاب ، ص: 18.

بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها ، أو يحمل معناها ، أو يحيل إليها ، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرّبي ما¹، يمكن وصف نظرة ميشال فوكو للخطاب بالاتساع ، فهو يرى أن الخطاب أعم من النص وله أشكال متعددة ، منها النثر ومنها الشعر ، وصيغ كثيرة منها المنطوق ومنها المكتوب ، كما أنّ إنجازها يكون فرديا ويكون جماعيا ويصطبغ بالإيديولوجيا والعقائد والأفكار والفلسفات ، لذلك يمكن لنا أن نعدده فنقول خطاب للأوثثة ، وخطاب للترعة الاستعمارية ، وهكذا².

إنّ اقتصار التمييز بين النص والخطاب على اعتبار أن النص في الغالب يكون مكتوبا وأن الخطاب يكون منطوقا لا يكفي ، لأنه يمثل جانبا من جوانب التفريق بينهما ، ولإحاطة بجوانب التمييز بينهما ينبغي مساءلة كل السياقات التي تحيط بالملفوظ ، هذا الذي جعل (جون ميشال آدم) ، يرى أن الخطاب أشمل من النص ، فالخطاب عنده يحتوي النص وظروف إنتاجه ، فهو بنية اجتماعية محسوسة ، بينما يعتبر النص عنده هيكلًا شكليًا وكيانا لسانيا لجسد الملفوظ ، مكون من عناصر عملية التواصل ، وحتى تتم هاته العملية على المتكلم إدخال تغيير هذه البنية التي تخضع بدورها إلى ظروف المقام ، وهذا يستلزم دمج بنية النص ، في بنية المقام لتشكيل بنية الخطاب .

أشار كلٌّ من (كريماس وكورتيس)، قد عرفا الخطاب من خلال مقارنته بالنص ، واستخلصا سبعة معاني تعكس سبعة جوانب سيميو لسانية مختلفة للخطاب وهي :

أنّه مرادف للنص ، مرادف للفظ ، متوالية من الجمل الملفوظة ، موضوع نحو الخطاب ، مقدرة خطابية نتيجة لتفعيل الخطاب ، إجراء يفرض نسقا يركز على الطابع المكتوب أو المنطوق ، ومن ثمة يصبح النص مادة خاما ، إنه مضمون ، أو ملفوظ قابل لأن يتجسد في خطاب .

الملاحظ أن تعريفات الخطاب متعددة ، وذلك لتعدد التوجهات النظرية وأهداف التحليل ، وقد حصرتها شفرن في ثلاثة أصناف :

1- النموذج الصوري: تركز هذه المقاربة على صورة الخطاب وبنيته التي تتوارد فيها مقاطع الخطاب في

¹ - ميشال فوكو ، نظام الخطاب ، ترجمة محمد سيلا ، التنوير ، إحالة ص: 04.

² - ينظر : المرجع نفسه ، ص: 19.

علاقتها ببعضها البعض ، وأول من اهتم بالخطاب في إطار النموذج السوري هو (هاريس) ، وهو أول من استخدم مفهوم الخطاب في مقال علمي ، حيث اعتبره توليفا من الجمل ، فهو في تصوره متتالية خطية تضم أكثر من جملة أولية .

2- النموذج الوظيفي: يربط النموذج الوظيفي الخطاب بسياق استعماله ، ويتجاوز الأساس البنوي

للإطارات الصورية ليهتم بالأخص بكيفية توظيف نماذج التكلم لتحقيق أغراض محددة في سياقات محددة ، وهو يولي أهمية خاصة للطريقة التي توظف بها الوحدات في السياق أكثر من اهتمامه بالخصائص النحوية لهذه الوحدات¹ ، فالخطاب وفق هذا النموذج "ينسحب على أي إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف"².

3- النموذج التلفظي: يربط هذا النموذج الخطاب بالتلفظ ، وذلك لكون التلفظ هي وحدات

الإنتاج اللغوي سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة ، وكان من نتائج هذا الربط تحقيق أهداف متعددة منها مايتعلق بالبعد التركيبي ، ومنها مايتعلق بالبعد الدلالي والتداولي ، وقد جمع هذا التصور بين الإلحاح الوظيفي على الاستعمال اللغوي ، والإلحاح الصوري على النماذج الموسعة ، وقد أشارت شفرن إلى أن دراسة التلفظ تتضمن الأخذ بعين الاعتبار جملة من العوامل المرتبطة بالمقام التواصلية ، كالمشاركين وزمن ومكان التلفظ ، وعموما كل عنصر يمكن عده ملائما في إجراء التلفظ³ .

ولايمكن أن نغفل عن تعريف (ديفيد نونان) للخطاب وذلك لأن هذا التعريف يتقاطع مع تعريف النص إلى درجة المفهوم الواحد ، (فنونان) يرى أن الخطاب "قطعة من اللغة تتألف من جمل تبدو مترابطة ترابطا ما " هذا الترابط قد يكون مصدره الأفكار التي يحتويها الخطاب ، أو الوظائف التي يؤديها في حين يستعمل النص للخطاب المكتوب ، ويتشابه هذا التعريف للخطاب مع تعريف (كوك cook) الذي يرى أن الخطاب قطعة من اللغة يعتقد بأنها مفيدة وموحدة وذات غاية ، وأما النص فإن كوك يطلقه على كل مايفهم منه أنه نحو صوري

¹ - ينظر: ربعة العربي ، الحد بين النص والخطاب ، مجلة علامات ، مجلة ثقافية محكمة تعنى بالسميات ، والدراسات الأدبية الحديثة ، والترجمة المغرب ، العدد: 33 ، 2010م ، ص: 38.

² - أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص: 17.

³ - ينظر: المرجع السابق ، ص: 35.

بمعزل عن السياق¹ ، وهكذا فإنَّ الحيرة بين المصطلحين أو المراوحة بينهما في دراسات نظرية وتطبيقية لا تحصى تقول إلى حصر بعض المنظرين النص في البناء المجرد ، في الوقت الذي يربط فيه آخرون ذلك البناء بمقاصدة ووظائفه (فوليام جراب w.grabe) مثلا يرى أنَّ النص هو المعادل البنائي للغة في استعمال حقيقي ، أمَّا (هـ.ج. ودوسون h.g.widdowson) ، فإنه يدرس الأدب بوصفه نصا وبوصفه خطابا² .

رأينا التمييزات السابقة بين النص والخطاب في الثقافة الغربية ، وقد أثارت هذه التمييزات جدالا واسعا في علوم اللغة إلى الحد الذي جعلها إشكالية امتد أثرها إلى الوسط الثقافي النقدي العربي ، والدليل على ذلك ما نراه في الساحة النقدية الثقافية العربية من الخلط بين المفهومين ، وغياب الرؤية الواضحة والدقة في الاستعمال ، فهذا الأستاذ عبد المالك مرتاض يرى أنَّ النص أعم من الخطاب ، وي طرح قبل ذلك سؤالا فيقول: " لم لا يكون النص خطابا ، والخطاب نصا ؟ ذلك شيء قيل به ، ولكننا نحن نأبي القول به ، فالنص ، لدينا أشمل وأرحب ، أما الخطاب فتصنيف داخلي ، تفصيل مجمل ، وفرع من أصل كبير . النص هو كل كتابة على وجه الإطلاق ، في حين أنَّ الخطاب تصنيف لنوع الكتابة ، وتخصص فني داخلي في تجنيسها.."³ . هذا المفهوم يجعل النص شاملا للخطاب لأنه يمثل جانبيين ، جانب الشكل وتحدده الكتابة ، وجانب المضمون وتعكسه الأفكار والمعاني ، في حين أنَّ الخطاب تصنيف لنوع الكتابة يعكس جانب الأفكار لا غير .

وأما الأستاذ طه عبد الرحمان فقد اعتبر الخطاب أصلا في كل تعامل مهما كان نوعه أو طبيعته ولا تقتصر ماهيته في إقامة علاقة تخاطبية بين جانبيين أو أكثر ، لأنَّ مقاصده متعددة ومتنوعة ، يقول: " لكنَّ ماهية الخطاب ليست مجرد إقامة علاقة تخاطبية بين جانبيين فأكثر ، لأنَّ هذه العلاقة ، على قدرها وفائدتها ، قد توجد حيث لا يوجد طلب إقناع الغير بما دار عليه الخطاب ، فقد يُحصِّل أحد الجانبين القصدتين المطلوبين في قيام هذه العلاقة وهما قصد التوجه إلى الآخر وقصد إفهامه مرادا مخصوصا ، من غير أنَّ يسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد ولا أنَّ يزيد في يقين أو ينقص من شك ، وإنما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدتين التخاطبيتين المذكورين قصدتين معرفيتين هما (قصد الإدعاء) و(قصد الاعتراض)⁴ .

¹ - ينظر :محمد محمد يونس علي ، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع .عمان .الأردن، ط1 1437هـ، 2016م ، ص:17.16.

² - ينظر: محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص: 09.

³ - عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، ص: 12.

⁴ - ينظر: طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط، 1998م ، ص:225.

إنّ هذه المقاربة تجعل الخطاب ينأى عن تلك المفاهيم الشكلية التي حُصِرَ فيها ، ويجعل ماهيته أوسع وأشمل ، تقوم على أبعاد حجاجية بالدرجة الأولى ، تؤدي بالتفاعلات التواصلية إلى إقامة حدود تفصل بين قبول الإدعاء والآراء وبين تمحيص الاعتراض والإدعاءات .

ويقدّم الأستاذ بشير إبرير ملاحظات مميزة ، يسميها فروقا محسوسة بين النص والخطاب فيقول:

- يفترض الخطاب وجود المتلقي لحظة إحداث الخطاب ، بينما يتوجه النص إلى متلق مؤجل يتلقاه عن طريق عيّنة قراءة ، أي أنّ الخطاب نشاط تواصلية ، يتأسس أولا على اللغة المنطوقة بينما النص مدونة مكتوبة.
- الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره ، أي أنه مرتبط بلحظة إحداثه ، بينما النص له ديمومة الكتابة يقرأ في كل زمان ومكان .

- الخطاب نَحْدِثُه اللغة الشفوية بينما النص تنتجه الكتابة ، أو كما قال (روباراسكاربيت R.escarpit)

"اللغة الشفوية تنتج خطابات بينما الكتابة تنتج نصوصا ، وكل منهما محدد بمرجعية القنوات التي يستعملها الخطاب محدود بالقناة النطقية ، أي المشافهة بين المتكلم والمخاطب ، وعليه فديمومته مرتبطة بما لا تتجاوزها ، أما النص فإنه يستعمل نظاما خطيا ، فديمومته رئيسية في الزمان والمكان"¹ ، يُفهم من هذه المقاربة أن هناك فوارق واضحة بين النص والخطاب ، وأن ما يميز النص هو تظهره المادي الصوري الكتابي ، وهذا الذي يمنح له صفة الديمومة بينما يرتبط الخطاب بسامعه يتأسس على اللغة المنطوقة عن طريق المشافهة .

ويلخص الأستاذ محمد العبد هذه الفروقات بين النص والخطاب ، فيقول: "ومهما يكن من أمر ، فإنّ هناك فروقا أولية يعقد عليها الإجماع نظريا، من أهمها :

- ينظر إلى النص في الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكون وحدة دلالية . وينظر إلى الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للغة فيه أن تعمل على مطابقته .

- يحصل من ذلك القول ، أنّ الخطاب أوسع منالنص ، فالخطاب بنية بالضرورة ، ولكنه يتسع لعرض

¹ - بشير إبرير ، من لسانيات الجملة إلى علم النص ، ص: 93.

ملابسات إنتاجها وتلقيها وتأويلها ، ويدخل في تلك الملابس ما ليس بلغة ، كالسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابيا للاتصال .

- النص في الأصل هو النص المكتوب ، والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق ، ولكنه يتلبس بصورة

الآخر على التوسع ، إذ يطلق النص على المنطوق ، كما يطلق الخطاب على المكتوب كالخطاب الروائي .

- يتميز الخطاب عادة بالطول ، وذلك أنه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية . أما النص فيقصر حتى يكون

كلمة مفردة مثل: (سكوت) ، ويطول حتى يصبح مدونة كاملة مثل : (رسالة الغفران) .

هذا الطرح يفترض خاصية الطول التي تلازم الخطاب ، كونه قائم على التبادل الكلامي أثناء التواصل بين المتكلمين في حين يمتلك النص خاصية ثنائية تجعله يقصر ليتمثل في كلمة واحدة دالة على معنى محدد وثابت ، وقد يتمدد ليشمل مدونة طويلة .

وإجمالاً للقول فإننا نلاحظ أن مفهوم النص ينصهر مع مفهوم الخطاب في التصورات التي توضع بعد السياق التواصلي ، هذا الذي يجعل من المفهومين تداولين ، مما يؤدي إلى صعوبة التفريق أو فض الشراكة بينهما خاصة وأنا قد أشرنا في التصورات السابقة إلى أن الخطاب أحيانا يكون أعم من النص ، وهو التصور الذي ذكره محمد مفتاح حينما عرف النص بأنه: "مدونة كلامية ، و أنه حدث يقع في زمان و مكان معينين ، يهدف إلى توصيل معلومات و معارف و نقل التجارب إلى المتلقي ، وأنه تفاعلي ومنغلق على مستوى سمته الكتابية الأيقونية كما أنه توالدي تتناسل منه أحداث لغوية لاحقة له..."¹ ، كما يكون النص أعم من الخطاب في حالات أخرى وهو الرأي الذي عبر عنه سعيد يقطين بقوله: "إنَّ الخطاب هو في آن واحد فعل الإنتاج اللفظي ، ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية، بينما النص هو مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه ، وتعبير آخر إنَّ الخطاب هو الموضوع الأمبريقي والمجسد أمامنا كفعل، أمَّا النص فهو الموضوع المجرد والمفترض ، إنه نتاج لغتنا العلمية"².

¹ محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط3 ، 1992م ، ص:120. وينظر: ليندة قياس ، لسانيات النص النظرية والتطبيق ، مقامات الهمداني أنموذجا ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2009م ، ص:24.

² سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ط2 ، 2001م ، ص: 16.

وما يُستشفُّ من هذه المفارقات بين النَّص والخطاب ، أنَّ التمييز بينهما لا يعكسه مفهومهما وإنما الذي يعكسه هو مجال استخدامهما الذي يحصر استخدام النص في مجال الأدب ، ويجعل استخدام الخطاب في مجال اللسانيات .

وختلاصة القول فإنَّ مفهوم الخطاب والنَّص قد أثارا جدالا محتدما في الساحة اللغوية ، والسبب الذي أذكى جذوة هذا الجدل هو تجاوز الاهتمام بالجملة إلى الاهتمام (بالنص/بالخطاب) ، خاصة مع تصاعد التيارات التداولية التي اهتمت بالأداء التواصلية ، وقد أدَّى ذلك إلى ظهور تلك التجاذبات المتضاربة في تحديد مفهوم النَّص والخطاب وفق مناح تناولت المفهومين مُستقلَّين عن بعضهما ، أو ركَّزت على مقارنتهما ، أو اعتبرتهما مفهومين مُتجاذبين مُتعالقين .

ومن هذا كله يتوجَّب الإشارة في **الفصل الثاني** إلى ماتعلَّق بالنَّص في حدِّ ذاته ، وإلى ما يحقق للنَّص نصيَّته من خلال التَّطرق إلى أدوات الاتِّساق النَّصي ، ووسائل الترابط ، إضافة إلى الانسجام وآلياته ، ونظرياته وماتعلَّق بتصنيف الرِّوابط عند العلماء العرب القدامى ، وفي الدِّراسات اللُّغوية الحديثة .

الفصل الثاني

الاتساق والانسجام ودور الروابط فيهما

- تمهيد
- المبحث الأول: الاتساق وأدواته
- المبحث الثاني: الانسجام وآلياته
- المبحث الثالث: كيفية التعامل النصي
- المبحث الرابع: الفرق بين الاتساق والانسجام
- المبحث الخامس: أهم نظريات الاتساق والانسجام
- المبحث السادس: الروابط وتصنيفها
- المبحث السابع: دور الروابط في الاتساق والانسجام
- خلاصة

تهتم لسانيات النَّص بدراسة نسيج النَّص انتظاما واتساقا وانسجاما ، وتهتم بكيفية بناء النص وتركيبه ، بمعنى أنَّ لسانيات النص تتعامل مع النص في كليته، وتبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في انبثائه وتأويله وترتكز منهجيتها في التحليل اللغوي على تجاوز الجملة (لسانيات الجملة) ، إلى دراسة النص والخطاب ، بمعرفة البنى التي تساعد على انتقال الملفوظ من الجملة إلى النص أو الخطاب ، أو يالانتقال من الشفوي إلى المكتوب النصي وتجاوز الجملة الذي ذكرناه ليعني إلغائها في التحليل اللغوي ، وإنما يعني المنطلق الذي ارتكزت عليه لسانيات النص وقامت بتوسيع حدودها وآفاقها ، وقد احتل اتساق النص وانسجامه موقعا مركزيا في الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب ، ولسانيات الخطاب / النص ، ونحو النص ، وعلم النص ، حتى إننا لا نكاد نجد مؤلفا ينتمي إلى هذه المجالات ، خاليا من هذين المظهرين أو من ذكر أحدهما أو ماتعلق بهما من مفاهيم كالترباط والتعلق والتماسك والسبك والحبك .

أصبحت لسانيات النص تهتم بكيفية فهم النص وتأويله ، وكيفية اختزان المعلومات النصية في الذاكرة وكيف يربط المتلقي بين قضايا النص وتأثير الوضعية الاجتماعية والتاريخية والثقافية في النص وغيرها¹.

ولما كان اهتمام لسانيات النص بمدى انسجام النصوص واتساقها وترباطها ، سواء على مستوى التركيب أم الدلالة أم الوظيفة التداولية ، كان لزامًا علينا الإشارة إلى مفهوم الاتساق النصي والانسجام النصي فما المقصود بهما؟ وما هي أدواتهما؟ وهل تكتفي الروابط اللغوية بإحداث الربط الداخلي ، أم يتعدى دورها إلى الاتساق والانسجام؟

اشتمل علم اللغة النصي على مصطلحات عديدة مثل كل منها جانبا من جوانب هذا العلم ، ولأهمية هذا المصطلح فإننا نجده قد " نال اهتمامًا كبيرًا من علماء النص ، بداية بتوضيح مفهومه ، ومرورا ببيان أدواته أو وسائله ، وعوامله، وشروطه والسياق المحيط بالنص ، وعلاقته بالنصوانتهاءً بوضع نماذج تحليلية توضّح هذه الأمور كلها"².

¹ - نوال خلف الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أمودجا ، ص: 31.

² - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 1 ، ص: 93.

أولاً- مفهوم الاتساق النصي:

1- لغة:

ذكر ابن منظور (ت711هـ) في لسان العرب " استوسق لك الأمر إذا أمكنك ، واتسقت الإبل واستوسقت اجتمعت.. والوسوق مادخل فيه الليل وماضم ، وقد وسق الليل واتسق ، وكل ما انضم فقد اتسق والطريق يأتسق وينسق أي ينضم، واتسق القمر إذا استوى واكمل وفي القرآن قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝۱۶ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝۱۷ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝۱۸﴾، (الانشقاق الآيات 18/17/16) قال الفراء: وما وسق أي وما جمع وضم واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه ، واستواؤه.. والاتساق الانتظام"¹.

وذكر الفيروزآبادي (ت817هـ) في القاموس المحيط " وسقه يسقه: جمعه وحمله، وطرده ، ومنه الوسيقة، وهي من الإبل كالرفقة من الناس... واستوسقت الإبل اجتمعت ، واتسق انتظم .."².

وحيث نتبع مفهوم الاتساق في المعاجم الأجنبية ، نجد يقترب من المفاهيم التي وردت في المعاجم العربية القديمة منها والحديثة ، ومن ذلك ماورد في معجم (oxford) ، فقد ورد فيه معنى الاتساق بأنه "إصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكّلان وحدة مثل : اتساق العائلة الموحدة ، وتثبيت الذرات بعضها ببعض ، لتعطي كلا واحدا .."³ وهنا يبدو معنى الاتساق دالا على الالتصاق والالتحام ، وتثبيت أجزاء الشيء الواحد بعضها ببعض.

نلاحظ مما تقدم أن المعنى الذي يعكسه الجذر اللغوي (و/س/ق) هو الجمع والانضمام والانتظام .

2- اصطلاحاً:

من أهم المفاهيم التي أقرتها اللسانيات النصية ، تلك الصفة التي ربطتها بالنص وهي صفة الاطراد والاستمرارية وقد اعتبر النصيون أنّ هذه الصفة ثابتة وقارة في كل نص ، ويقصد بها التواصل والتتابع والترابط بين أجزاء ومكونات النص ، ففي كلّ مرحلة من مراحل النص/الخطاب ، هناك نقاط اتصال بين أجزاء النص " وهذه الاستمرارية تتجسد في سطح أو ظاهر النص ، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي نطق بها أو نسمعها في

¹ - ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، ج10 ، ص: 381.380.379.

² - الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، راجعه أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر 2008 م ص:1753.

³ - oxford. Advanced learners encyclopedia.oxford. oxford university press.1989. p133.

تعاقبها الزمني ، التي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق "1 ، ثم إنَّ انتظام هذه الأحداث والتراكيب اللغوية مرتبط بالمباني النحوية ، إذ لا يمكن أن يتشكل النص إلا إذا توفر على وسائل السبك التي تجعل منه نصا مترابطا ومنتظما وتجعله محافظا على كينونته واستمراريته . ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي ، ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع وهي:

- الاعتماد في الجملة .
- الاعتماد فيما بين الجمل .
- الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة .
- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.
- الاعتماد في جملة النص² .

لقد حظي (COHESION) مصطلح الاتساق بالعناية الكبيرة من اللسانيين النصيين ، إذ تطرقوا إلى مفهومه وتناولوا أدواته وأشاروا إلى شروطه ، ولكننا نجد أنَّ هذا المصطلح -الاتساق- قد اختلف عليه في مقابله العربي وذلك أنَّ اللسانيين العرب قد اختلفوا في ترجمته ، فاستعملوا مصطلحات متعددة ، وذلك بسبب تعدد الدراسات النصية العربية ، وسنحاول التمثيل لأهم المصطلحات العربية التي اعتمدها اللسانيون العربية وجعلوها مقابلا للمصطلح الانجليزي من خلال الجدول الآتي:

المصطلح العربي المقابل	الباحث	المرجع (الموضع)
الاتساق	الدكتور محمد خطابي	لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب
الترايط	الدكتورة خولة الإبراهيمي الدكتور محمد الشاوش	مبادئ في اللسانيات أصول تحليل الخطاب
الترايط القواعدي	الدكتور محمد موفق جواد	أسس لسانيات النص
التضام	الدكتور إلهام أبو غزالة	مدخل إلى علم لغة النصّ
الانسجام	الدكتور أحمد مداس	لسانيات النصّ نحو منهج لتحليل الخطاب
التماسك	الدكتور الأزهر الزناد الدكتور صبحي إبراهيم الفقي	نسيج النص علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق

¹ جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، ص:76.

² ينظر : سعد مصلوح ، نحو آجرومية للنص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول ، رئيس التحرير عز الدين إسماعيل ، المجلد 10 العدد 1 و2 ، يناير 1991م ، ص: 154.

الدكتور فالح بن شبيب	مدخل إلى علم اللغة النصي
الدكتورة نوال لخلف	الانسجام في القرآن الكريم
الدكتور عزة شبل محمد	علم لغة النص بين النظرية والتطبيق
الدكتور سعيد حسن بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات
الدكتور بشير إبرير	من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص
الدكتور أحمد عفيفي	نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي
الدكتور تمام حسان	النص والخطاب والإجراء
الدكتور جميل عبد المجيد	البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية
الدكتور سعد مصلوح	نحو آجرومية للنص الشعري

لقد شكل مصطلح الاتساق إشكالا ، بسبب تعدد المفردات المقابلة له عند اللسانيين العرب فترجمه محمد خطايي إلى الاتساق ، في حين ترجمه تمام حسان إلى السبك ، وترجمه الأزهر الزناد إلى التماسك .

ومن خلال تتبع المفهوم اللغوي ومقارنته بالمفهوم الإصطلاحي ، نجد أنّ هذا الأخير قريب جدا من المفهوم اللغوي وقد ظهر هذا المصطلح في الدراسات الغربية باسم (Cohésion) ، واعتبر أحد أهم المفاهيم الأساسية في لسانيات النص المتعلقة بدراسة التماسك النصي على مستوى الشكل ، ويقصد به " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته..."¹ ، وحتى يوصف النص بالاتساق لابد من تتبع طريقة خطية ومتدرجة ومتسلسلة فالواصف للغة لا بد أن يكون أثناء تحليله " متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته راصدا الضمائر والإشارات المحيلة ، إحالة قبيلة أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف ، والمقارنة ، والاستدراك ، كل ذلك من أجل البرهنة على أنّ النص/الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذا"² ، فكل جملة في النص تتيح نوعا من الترابط مع الجملة التي تسبقها بما تتوفر عليه من إحالة واحدة أو إحالات تربطها بالجملة السابقة ، ويمكن أن تحتوي الجمل على إحالات لاحقة تربطها بالجملة التي تليها وما يميز هذه النظرة إلى الاتساق أنّها ركزت على الجانب النحوي .

¹ - محمد خطايي . لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 05.

² - المرجع نفسه ، ص: 05.

في المقابل نجد كلاً من هاليداي ورقية حسن (Halliday & Hassan) 1976 يريان " أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص ، والتي تحدده كنص "1، فهما يعتبران النص وحدة دلالية وليس وحدة نحوية مشككة من مجموعة من الجمل التي تلي إحداها الأخرى ، وحجتهما في اعتبار النص وحدة دلالية هو أن " الوحدة التي تميز النص هي وحدة معنى في سياق يرتبط النص في كليته بالمحيط الذي وضع فيه "2.

ثم إنَّ الجمل ليست إلا وسيلة يتحقق بها النص ، إنَّ هذه الرؤية للنص وهذا المفهوم للاتساق يثيران أسئلة ملحة وهي هل يكتفي النص بوحده الدلالية؟ وهل يقتصر الاتساق على المستوى الدلالي فقط أم أن هناك مستويات أخرى ؟

إنَّ الإجابة على هذه الأسئلة تجعلنا نقر بأن النص وحدة دلالية ، ولكن لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال جمل مشككة ومجسدة ، ضف إلى ذلك أنَّ الوحدة الدلالية للنص لا تتحقق إلا من خلال الترابط الموجود بين الجمل التي تشكل النص ، وهذا يعني أنَّ الفصل غير ممكن في الاتساق بين الوحدة الدلالية وبقيّة المستويات. وفق هذا المنطلق يطالعنا محمد خطابي بقوله : " إنَّ الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب ، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم ، ويعني هذا التصور أنَّ المعاني تتحقق كأشكال ، والأشكال تتحقق كتعبير وتعبير أبسط تنتقل المعاني إلى كلمات ، والكلمات إلى أصوات أو كتابة "3 .

وتأكيدا لهذا الرأي تشير الباحثة ربما سعد إلى مفهوم الاتساق من وجهة نظر كل من هاريس وهودجز 1983 (Harris & Hodges) فهما يعتبران "الترابط في النص بأنه خواص تربط أجزاء النص بعضها ببعض ، مثل الإحالة الخلفية (back)(reference) ، أو درجة ارتباط أجزاء النص بعضها ببعض . وهناك روابط تربط أجزاء النص وتجعله وحدة واحدة وتزيده وضوحاً ، من هذه الروابط ما يكون بين الجمل أو داخل الجملة الواحدة في النص وتعطي القارئ انطباعاً بأنَّ النص مترابط "4 ، وهذا ما يفرض علينا أن نتعامل مع النص على أنه كل واحد ، وبنية فنية لغوية متكاملة ، لا يعني جزء منها عن جزء آخر ، لأنَّ كل جزء يتفاعل مع الآخر

1- ينظر : (R):Cohesion in English, Haliday (M.A.K) and Hassan, P4 .

2- ربما سعد سعادة الحرف ، مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية، المتوسطة والثانوية للبنات - دراسة تفويجية، مجلة رسالة الخليج مكتب التربية العربي لدول الخليج، 87 ، ص: 100.

3- محمد خطابي . لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 15.

4- المرجع السابق ، ص: 100.

أخذنا وعطاء في تشكيل دلالاته وذلك لأنّ الاتساق " يشير إلى الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جمالية ، أو بين الجمل "1 ، وتوصف هذه العلاقات بأنها لغوية ، ودلالية ، تجتمع في النص وتحكمه ، وهي التي تؤدي إلى ترابطه " فالنص تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه ، وترابط أجزائه. وهذه العلاقات تكون شبه نصية تعين على تفسير النص ، وهي ماتسمى بالاتساق "2 .

لقد حظي هذا المصطلح باهتمام اللسانيين النصيين واحتل مساحة واسعة في دراساتهم النصية ، من خلال رصد مفهومه وتحديد أدواته التي تعمل على إنشاء علاقات متنوعة داخل النص ، هذه العلاقات تتشابك فيما بينها مؤدية ومجسدة مظاهر اتساقه . هذا الذي جعل **هاليداي ورقية حسن** يصفان العلاقة الموجودة في النص بأنها علاقة (تبعية) ، لأنّ العناصر في النص تحكمها علاقات إحالية وقد تبنى **محمد خطابي** الوصف ذاته واعتبر أنّ الاتساق محكوم بعلاقة تبعية " خاصة عندما يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه "3 وتظهر هنا أهمية هذه العلاقات التبعية والإحالية ، لأنّ الاتساق يتجسد من خلالهما ، إذ أنّ الاتساق " يبرز في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر . ويفترض كل منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول ، وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق "4 .

وعلى هذا الأساس ، فإنّ الاتساق يؤدي إلى تحقيق الترابط اللفظي والتماسك الدلالي في بنية النص، من خلال الأدوات والوسائل اللفظية (التكرار، وأدوات الربط، والاستبدال ، والحذف ، والإحالة...)، ومن خلال انسجام شبكة العلاقات الدلالية بين أجزاء النص.

كما أنّ الاتساق بنية تظهر فوق سطح النص ، تتمثل في مجموعة من الروابط والوسائل الشكلية : النحوية والمعجمية تقوم بربط وتقوية جمل ومتتاليات النص ، حتى يصبح بناءً نصياً مترابطاً لا نصاً مفككاً ومهلهلاً. ولكن هل يمكن الحكم على أنّ نصاً ما ، متسق في حالة ما إذا لم يتم توظيف الروابط والوسائل الشكلية ؟ الإجابة على هذا التساؤل ذكرها الأستاذ **محمد خطابي** بقوله: " كثيرا ما يجد المتلقي نفسه أمام نص/خطاب لا توظف فيه الوسائل .. وإنما توضع الجمل بعضها إلى جوار بعض دونما أدنى اهتمام من الكاتب بالروابط التي تجسد الاتساق ، على أنّ هذا النوع من الكتابة تمليه حيننا ضرورات تواصلية (التلغراف، الإعلانات الحائطية) أو تجارية (إعلانات البيع والكراء، الخدمات.... في الجرائد) ، وقد تكون خلفه ، أحيانا أخرى ، مقصدية إبداعية

1- منذر عياشي، العلامة وعلم النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2004م ، ص: 132.

2- محمد حساسة عبد اللطيف ، الإبداع الموازي ، التحليل النصي للشعر ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، 2001م ، ص: 45.

3- محمد خطابي . لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 15.

4- المرجع نفسه ، ص: 15. وينظر: Haliday (M.A.K) and Hassan(R):Cohesion in English, P4

ابتكارية (الشعر الحديث مثلا) . حين يحدث هذا ، فإنَّ الاهتمام يتغير من اتساق النص/الخطاب إلى انسجامه أيُّ أنَّ على المتلقي، في هذه الحالة ، أن يعيد بناءً انسجام النص المفككة أوصاله ¹ ، لذلك يفرض على المتلقي التأويل والاتجاه إلى انسجام النص في حالة ما إذا فُقدت الروابط والوسائل النصية ، ولكن هذا الدور الذي يقوم به المتلقي يعكس جانبا واحدا فقط ، لأنَّ المتلقي قد يصادف نصوصا تبدو متماسكة من ناحية الشكل إلا أنها مفككة من ناحية الدلالة ، وذلك لافتقارها لوحدة الموضوع أو البنية الكبرى ² ، وبالتالي ماهي فائدة هذه النصوص التي تفتقر لوحدة الموضوع ؟

إنَّ مثل هذه النصوص تفتقد الانسجام لأنها "مجموعة من الجمل لاتدور حول موضوع معين يصعب أن يتعلق بعضها ببعض" ³ ، هذا الذي يجعل من الروابط مجرد مظاهر شكلية ، لأنَّ الأفكار والمعاني غير ملتزمة وغير ملتزمة حول موضوع محدد "والذي لاشك فيه ، ولا ريب ، أنَّ النص كلما طال ، زاد عدد الجمل فيه ، وكل جملة تضاف ينبغي أن تعمق صلة الشيء اللاحق بالشيء السابق سواء من حيث الموضوع ، أو من حيث توقع المستقبل الذي يستعمل النص" ⁴ ، لذلك لابدَّ من تعاضد وتعالق الجوانب الشكلية والدلالية لنحكم على نص ما أنه متسق " ففي علم اللغة المعاصر جُعِلَ الشرط الجوهري للنص أن يكون كلا موحدا منتظما في وحدة دلالية لا تجميعيا محضا بين جمل يعزوها الترابط الدلالي ، سواء في ذلك أن يكون نصا منطوقا أم مكتوبا قصيرا أم طويلا من أجل ذلك نظر إلى النص بوصفه تصميميا للمعاني على مستوى أعلى" ⁵ .

فالترابط الدلالي والترابط النحوي هما اللذان يحققان اتساق النص ويمنحانه نصيته ، لأنَّ هناك فرقا بين النص واللائص و"المتكلم اللغوي يعرفالنص إذا توفر على وحدة كلية، وترابطت أجزائه واتسقت وحداته ، وتوفرت فيه مظاهر الوحدة والترابط . أما اللانص ، فهو الذي يتسم بتفكك أو اصره ، وتهلل روابطه البنوية ، وتمزق نسيجه النصي . ويعني هذا أنَّ المتكلم يمتلك كفاءة نصية يستطيع بها أن يميز النص من اللانص . فالنص عبارة عن مقطع أو مقاطع لغوية يتوفر على روابط الاتساق اللغوية ، كما يتميز بوحدة نصية كلية . أما اللانص ، فهو عبارة عن مقطع لغوي ، أو مقاطع لغوية ؛ حيث الجمل والمتواليات غير مترابطة . ومن ثم تتسم بالتفكك والتصدع البنيوي" ⁶ .

يترتب عن ذلك أنَّ البحث في الاتساق يستدعي الحديث عن مصطلح آخر هو الانسجام ، والمقصود به الترابط المفهومي ، وهو أعم من الاتساق ، والبحث في الانسجام يلزم الواصف بعدم الاكتفاء بما هو ظاهر على

¹ - محمد خطاي . لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 05.

² - ينظر: تيون فان ديك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، ط 1 ، 2001م، ص: 74.

³ - إبراهيم خليل ، الأسلوبية ونظرية النص ، ص: 145.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 145.

⁵ - محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص: 71.70.

⁶ - جميل حمداوي ، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق ، ط 1 ، 2019 م ، ص: 272.

سطح النص " بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي ، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا أي (الاتساق) إلى الكامن (الانسجام) "1 .

إنَّ هذا التجاوز الذي يعمد إليه الباحث يجعله يبحث عن الانسجام من خلال فاعلية التأويل ، التي تمكنه من تجاوز سطح النص ، ليغوص في باطنه وفق آليات وأدوات ، وبالتالي الانتقال من فضاء مقيد إلى فضاء أوسع وأرحب "فالانسجام تجاوز يدل على عقلية تتحرك في فضاء واسع ، بينما يغدو البحث عن الاتساق في لغة الابداع الأكثر حداثة، نوعا من الاحتواء الذي يقيد من حرية التفكير ، ويلزم بالبحث عن معطيات مفروضة سلفاً"2.

إنَّ حديثي عن الانسجام استدعاه الحديث عن الاتساق كونهما مفهومين متلازمان يستدعي أحدهما الآخر بالرغم من أنَّ الانسجام أعمُّ من الاتساق ، وأنَّ الاتساق جزء من الانسجام الذي عُدَّ نظرية لسانية لها أسسها وقواعدها والذي سأفصل فيه في مبحث لاحق .

أ- أدوات الاتساق النصي :

تعتبر اللسانيات النصية حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي للسانيات المعاصرة ، وهي فرع من فروع اللسانيات تدرس النصوص المنطوقة و المكتوبة وتؤكد على الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد ، هذا الذي جعل الدرس اللغوي يخضع لنقلة على مستوى الطرح ، والتناول وشمل هذا الانتقال التحول من المجال الجملي إلى المجال النصي الواسع ، الذي اتخذ لنفسه مفاهيم مركزية تطوره ، منها ماهو شكلي لغوي ، ومنها ماهو غير لغوي ، أي تداولي سياقي ، لأنَّ نحو الجملة لم يعد كافيا لإشباع حاجة المحلل اللغوي³ .

فعلم لغة النص سلك مسلكا واختص بتصوير مهمة جديدة جعلته يتجاوز مهمته التقليدية ، فلم يعد يعنى بالمستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية من خلال وصف ظواهرها وتحليلها في حدود مناهج معلومة وموضوعية ، بل أصبح شغله الشاغل الإهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده وخواصه وآثاره وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية في المتلقي ، إضافة إلى أنواع المتلقين وانفتاح النص وتعدد قراءته وتأويلاته .

"إنَّ وصف نص/خطاب ما بالاتساق ، يلزم الواصف المحلل أن يسلك طريقة خطية راصداً الضمائر والإشارات المحيلة إحوالة قبلية أو بعدية ، مهتما أيضاً بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك .. كذلك من أجل البرهنة على أنَّ النص /الخطاب (المعطى للغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخداً"⁴ ، وقد اقتضت أهمية الاتساق وجود نماذج متعددة أطرت مفهومه وفصلت أدواته ، وإيماننا منا بأهمية هذه

1- محمد خطايي . لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 6.5.

2- بسام موسى قطوس ، سيمياء العنوان ، وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2001م ، ص: 66.

3- ينظر: فاتح بوزري، الاتساق اللغوي مفهومه وآلياته مجلة الممارسات اللغوية ، جامعة بجاية ، المجلد3 ، العدد2 ، ص: 37.

4- محمد خطايي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 05.

النماذج للقارئ سنحاول عرضها- قبل التطرق إلى أدوات الاتساق- بشكل مختصر عسى أن تعم الفائدة ويحسن الاستغلال .

1- نظام هاليداي ورقية حسن في تصنيف أدوات الربط:

من خلال البحث في مصادر الاتساق ، قدم كل من هاليداي ورقية حسن في كتابهما **cohesion english (in)** (1976)، محاولات لتحديد السمات التي تميز النص من اللانص " معتبرين النص وحدة دلالية تربط أجزاءه معا بواسطة أدوات ربط صريحة (مباشرة) ، تختلف من نص إلى آخر تبعا لنوعه (genre) واختلاف المؤلفين ، سواء من حيث عددها، أو من حيث نوعها، لأنها تلعب دورا وظيفيا، ليس باعتبارها وحدات نحوية تربط بين الجمل لعمل سلسلة تشكل نصا ، بل باعتبارها وحدات وظيفية تلعب دورا في تكوين النص كوحدة دلالية"¹ ، وهنا يتضح لنا جليا أن علاقات الترابط النصي عندهما علاقات دلالية ، يدرك نظامها من خلال النظام النحوي والمعجمي ، لذلك فإن الاتساق عندهما نوعان : اتساق نحوي واتساق معجمي .

وفي معرض حديثهما عن أدوات الاتساق ، نجدهما قد عرضا خمسة أنواع لأدوات الربط التي تعمل على نسج وتكوين شبكة من العلاقات الدلالية الرابطة بين الجمل أو الفقرات أو الوحدات الخطابية ، التي تسهم في منح النص صفة النصية ، وهذه الأدوات هي:

- الإحالة، **reference** وتتضمن ضمائر الإحالة الشخصية، والإشارية، والمقارنة.
- الاستبدال، **substitution** ويتضمن الاستبدال الاسمي ، والفعلية، والعبارية.
- الحذف، **ellipsis** ويشمل الحذف الاسمي، والفعلية، والعبارية.
- الوصل، **conjunction** ويضم الوصل الإضافي، والاستدراكي، والسببي والزمني.
- الربط المعجمي، **lexical cohesion** ويشمل أشكال التكرار والتضام .

والجدير بالذكر أنهما لم يكتفيا بهذه الأنواع ، بل أضافا إليها مجموعة من الوسائل الشكلية التي تؤدي إلى ترابط النص منها التوازي التركيبي ، والوزن/البحر، والإيقاع/القافية².

2- المعايير النصية السبعة عند روبرت ألان دي بوجراند وولفجانج دريسلر:

في محاولة بحثهما عن نصية النصوص قدم دي بوجراند ودريسلر نموذج المعايير النصية السبعة في كتابهما (مقدمة في علم لغة النص) سنة 1981م ، وقد انطلق الباحثان من سؤال حول دور النصوص في التفاعلات البشرية وجاء جوابهما على شكل اشتراطات ، يجب أن تتوفر في النص حتى يتميز بصفة النصية فالنص عندهما

¹ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 2009م ، ص: 101.

² - المرجع نفسه ، ص: 101.

"حدث تواصل يُلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ، ويزول عنه هذا الوصف ، إذا تخلف واحد من هذه المعايير"¹ ، وهي:

- السبك ، (cohesion).
- الالتحام ، (coherence).
- القصد ، (intentionality).
- القبول ، (acceptability).
- رعاية الموقف ، (situationality).
- التناسق ، (intertextuality).
- الإعلامية (informativity)"².

تعتمد هذه المعايير على عوامل لغوية ونفسية واجتماعية وذهنية ، وقد اجتهد الأستاذ سعد مصلوح فقام بتصنيفها إلى مجموعة من المعايير وهي:

- ما يتصل بالنص في ذاته وهما معيارا السبك والالتحام.
- ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا وهما معيارا القصد والقبول.
- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص ، وهي معايير الإعلام والمقامية والتناسق .

3- وسائل الاتساق عند دي بوجراند و دريسلر:

يرى الباحثان أن هناك نوعان من الربط الأول يتميز بالوضوح ، لأنه يعتمد على القواعد التركيبية المتعارف عليها ومجاله الكلمات التي ترتبط مع بعضها البعض في أشكال هي في الإنجليزية عبارة (جمل أو عبارات أو بنود) ، وما يميز هذه الأشكال أن أحجامها محددة ، وأما الربط الثاني فيتميز بالتعقيد لأن الربط فيه يكون لنماذج مختلفة في الحجم ومجاله الوحدات الصغرى داخل النص ، وتتجسد وسائل الربط اللفظي فيه من خلال:

- أ- التكرار، **reccurence** ويقصد به الإعادة المباشرة للكلمات .
- ب- التكرار الجزئي ، **reccurencepartial**: ويعني استعمال المكونات الأساسية للكلمة مع نقلها إلى فئة كلمة أخرى.
- ت- التوازي ، **parallelism**: ويعني تكرار نفس البنية التركيبية ، ولكنها تملأ بعناصر جديدة.
- ث- إعادة الصياغة ، **paraphrase**: وتعني تكرار المحتوى ، ولكن بنقله بواسطة تعبيرات مختلفة.
- ج- الصيغ الكنائية ، **pro-forms**: وتعني استبدال عناصر تحمل مضمونا بعناصر أخرى لا تحمل

¹ - سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري ، ص: 154.

² - روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 103.

مضمونا مستقلا ، مثل الضمائر ، أسماء الإشارة.

ح- الحذف، **ellipsis**: ويعني حذف بعض العناصر في البنية السطحية مثل الفعل أو الفاعل أو الموصوف أو المفعول....

خ- الربط **junction** : بالنسبة الربط فقد توسع فيه الباحثان واقترحا له أربعة أنماط هي:

- 1- الوصل conjunction -2 الفصل disjunction
- 3- التعارض contrajunction -4 التبعية subordination

4- أشكال التكرار عند مايكل أوي:

ركز (hoey) (1991م) ، في كتابه (نماذج المعجم في النص) على أشكال التكرار في النص لبيان

عناصر الربط التي تؤدي إلى الاتساق ، وقد أشار إلى أنواع التكرار على النحو الآتي:

- 1- التكرار المعجمي البسيط simple lexical repetition
- 2- التكرار المعجمي المركب complex lexical repetition
- 3- إعادة الصياغة البسيطة simple paraphrase
- 4- إعادة الصياغة المركبة complex paraphrase
- 5- الاستبدال substitution
- 6- المرجعية المشتركة co- reference
- 7- الحذف ellipsis

مايلاحظ على نموذج أوي في الاتساق أنه يركز على معيارين ، الأول كمي والمتمثل في كثافة الروابط بين أجزاء النص "فكلما زادت الروابط بين أجزاء النص كانت متصلة بالفكرة الأساسية ، وكلما ندرت أو انعدمت الروابط كانت هذه الأجزاء تقدم معلومات ثانوية ، يمكن الاستغناء عنها عند كتابة ملخص لمحتوى النص"¹، أما المعيار الثاني فهو معيار مسافي توزيعي تحدد فيه المسافة بين الروابط ، أو توزيع الكثافة بين الروابط "حيث إنَّ علاقة الربط تكون أوضح كلما قلت المسافة بين الروابط"².

5- وظيفة الربط في التفاعل الاجتماعي عند جوناثان فاين:

يقدم (فاين) (1994م) في كتابه (كيف تعمل اللغة) ، تصورا وظيفيا للربط فهو لايعتبر الاتساق مجرد أدوات تؤدي وظيفة الربط في النص فحسب ، بل هو جزء من نظام اللغة ، يخضع للإنتقاء أثناء بناء

¹ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 103.

² - المرجع نفسه ، ص: 103.

النص وما يميز هذا الانتقاء أنه لغوي داخل النص هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فهو انتقاء مرتبط بوظائف النص الناتجة عن وقوعه في سياق معين ، فالمتكلم يختار من وسائل الربط ، ويتحكم في عملية الاختيار عمليات ذهنية وعوامل اجتماعية ، وعلى هذا الأساس "تبني الوظيفة التي يحققها النص بالنظر إلى سياق الموقف الذي أنتج فيه"¹ ، وعليه يمكن اعتبار وسائل الربط عند فاين اختيارات على المستوى الكمي والنوعي تساهم في بناء النص على نحو فعال "لأنّ هذه الروابط تلعب دوراً وظيفياً ، ليس باعتبارها وحدات نحوية تربط بين الجمل بعضها ببعض ، بل باعتبارها وحدات وظيفية تلعب دوراً في تكوين النص كوحدة دلالية"² وهي:

- 1- الصيغ الكنائية phoricity³ وتعني العناصر التي توجه السامع لتفسير عناصر أخرى وهو مصطلح أعم من مصطلح الإحالة الذي ذكره هاليداي ورقية .
- 2- الوصل conjunction وقسمه فاين إلى:
 - أ- الإضائي additive ب- الاستدراكي adversative
 - ج- السببي causal د- الزمني temporal
- 3- الربط المعجمي lexical cohesion ووسائله هي:
 - أ- التكرار المباشر direct repetition ب- المترادفات synonyms
 - ج- الكلمات الشاملة superordinates د- الكلمات العامة generals
 - هـ- الاستبدال substitution و- الحذف ellipsis

من خلال هذا الطرح الوظيفي والكمي ، يحاول فاين بحث الفروق في استخدام أدوات الربط من جهة اختلاف المتكلمين ممثلة في نماذج مختلفة (لغة الأطفال ولغة المرضى في مجال الطب النفسي) ثم إجراء مقارنة في استخدام أدوات الربط بين نصوص كتبت باللغة الأم ، وأخرى كتبت بلغة ثانية ، ونصوص مترجمة من لغة إلى أخرى إضافة إلى "بحث العلاقة بين أدوات الربط واستخدام النصوص في مواقف سياقية مختلفة من منظور وظيفي لأدوات الربط"⁴ .

إنّ ما يمكن لنا أن نرصده من هذه النماذج التي أشرنا إليها أنّ هناك وسائل اتساق مشتركة بينها تكشف عن العلاقات بين الوحدات المكونة للنص/الخطاب "وهذا الاشتراك ليس إلا إبرازاً لأهمية تلك الأدوات التي اشتركوا في ذكرها ، وهي تمثل الأدوات الرئيسية للتماسك النصي"⁵ ، لذلك سنعرض تفصيلها إضافة إلى ذكر بقية الوسائل وسنبداً الحديث عن:

¹ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 103 .

² - حسام أحمد فرج ، نظرية علم النص ، رؤية منهجية في بناء النص النثري ، ص: 82 .

³ - المرجع السابق ، ص : 102 .

⁴ - المرجع السابق ، ص: 104 .

⁵ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج1 ، ص: 115 .

1- الإحالة:

هناك ثلاثة أشكال لعناصر الاتساق أشار إليها اللغويون ، وهي عناصر نحوية ، ومعجمية ، وصوتية وتشمل عناصر الاتساق النحوي (**grammatical cohesion**) ، الإحالة (**reference**)، والحذف (**ellipsis**) والاستبدال (**substitution**) ، والعطف (**junction**) ، والموازاة (**parallelism**) .

أما عناصر الاتساق المعجمي (**lexical cohesion recurrence**) فتشمل التكرار والترادف (**synonyms**) والمصاحبة اللغوية (**collocation**) ، (التضاد، والتلازم الذكري...) وأما العناصر الصوتية للاتساق (**phonetically cohesion**) فيمكن حصرها في السجع والجناس والوزن والقافية .

تطرق اللسانيون النصيون إلى الإحالة ، واعتبروها وسيلة من وسائل الاتساق النصي ، على الرغم من اختلاف مسمياتها عندهم فهي عند هاليداي ورقية (**reference**) الإحالة ، وهي عند ديوجراندي ودريسلر (**pro- forms**) الصيغ الكنائية ، وهي عند براون ويول (**co- reference**) الإحالة المتبادلة ، فهل كان الاختلاف في المسميات فقط أم أنّ هناك اختلافا أيضا في المفهوم؟

سنحاول التطرق إلى مفهوم الإحالة انطلاقا من الإجابة على هذا السؤال ، فقد تناول اللسانيون النصيون مفهوم الإحالة واعتبروا وجود مفهومين مختلفين لهذا المصطلح :

الأول: وقد عبروا فيه عن الإحالة بمصطلح المرجعية ، وظهر هذا في الدراسات اللسانية التقليدية ، واعتبروها مجالا ينبغي إبعاده من الدراسة اللغوية ، بالرغم من الأهمية التي تكتسبها في فهم الخطاب البشري ، "فقد كانت حجتها -اللسانيات التقليدية- في ذلك استحالة الجمع بين علامات من طبيعة متنوعة ، وكون المرجعية من طبيعة غير لغوية (**extra linguistique**) ، فلا مجال للرجوع إلى الأشياء لتفسير العلامات اللغوية"¹.

الثاني: مفهومها عند اللسانيين النصيين ، إذ تعني عندهم "العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يُدُلُّ عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما ، إذ تشير إلى شيء ينتمي إليه نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة"² ، وهي إحالة عنصر على عنصر متقدّم أو متأخر وعن طريق هذا التعلق بين أجزاء النصّ يحصل سبك النصّ؛ إذ يدرك "تحت التضافر الاسمي مجموع الإحالات بين الأسماء في نصّ ما . والإحالات بين الأسماء بكل ما في الكلمة من معنى هي ظواهر نصية داخلية ، ومن ثم هي انعكاسات نصية لأفعال الإحالة النصية الخارجية ، أي لأفعال التعلق الداخلي بما هو خارجي"³ ، فوظيفتها اتساقية تجعل من النص كلا واحدا وهي "لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ، إذ لا بد من العودة إلى ماتشير إليه

¹ - هو الحاج ذهبية، لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر ، تبزي وزو ، الجزائر ، ط2 ، 2012م ، ص:102.

² - روبرت دي يوجراندي ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 320.

³ - زتسيسلاف وأورزنيك ، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ص: 137.136.

من أجل تأويلها وتسمى تلك العناصر عناصر محيلة¹، وقد مثلها الدكتور أحمد حسام وهي: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وتتميز هذه العناصر بعودتها إلى عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النص والتماسك عن طريق الإحالة يقع عند استرجاع المعنى، أو إدخال الشيء في الخطاب مرة ثانية²، وقد أطلق ديوجراندي على العناصر الإحالية مُسَمَّى (الكنايات)، ورأى أن الإحالة تتحد بواسطتها يقول في ذلك: "الألفاظ الكنائية من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة، من خلال الألفاظ الكنائية (pro-forms) فقط"³. وما يميز هذه العناصر الإحالية، أنها لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص⁴.

إذاً فالإحالة عملية تربط بين الجمل والعبارات والنصوص، وبمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها أو متأخرة، وعلى هذا الأساس توصف الإحالة بأنها علاقة قائمة بين مفهومين، ويمكن أن تحلل هذه المفاهيم لتوضع على شكل قضايا، ولكن "الإحالة لا تتم بواسطة القضايا فقط، بل لابد من النظر إليها انطلاقاً من نموذج عالم النص، فالإحالة تقتضي ربط القضايا داخل الفقرة الواحدة ليبدو انسجام النص، وتتحقق أهداف الاتصال في الأخير"⁵، كما يحقق استرجاع المعنى عن طريق الإحالة الإقتصاد في اللغة، من ناحيتين فمن الناحية الأولى تعمل الوحدات الإحالية على اختصار العناصر المحال إليها، وبالتالي تجنب مستعملها إعادتها، ومن الناحية الثانية فإنها تحفظ المحتوى مستمرا في المخزون الفعال، كما تعمل على تنشيط الذاكرة للمحال عليه، دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى، وعلى هذا تقوم شبكة من العلاقات الإحالية من العناصر المتباعدة في فضاء النص. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة... وتخضع الإحالة لقيود دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية للعنصر المحيل والعنصر المحال إليه⁶، "ويلاحظ أن هذا التطابق يتم بصرف النظر عن موقع المحال إليه، بالقياس إلى المحيل سواء كان سابقاً عليه أو لاحقاً له"⁷.

وقد أشار (جون ليونز johnlyons) إلى المفهوم الدلالي للإحالة، إذ رأى أن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالية، فالأسماء تحيل على مسميات وتخضع هذه العلاقة لقيود أساسي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل، والعنصر المحال إليه⁸.

1- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص: 83.

2- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص: 83.

3- روبرت دي يوجراندي، النص والخطاب والإجراء، ص: 320.

4- ينظر: الأزهر الزناد نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص: 118.

5- نوال خلف الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أمودجا، ص: 63.

6- محمد خطايي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 17.

7- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص: 83.

8- ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 116.

وأما (فان دايك) فقد اعتبر الإحالة من وسائل ربط النص بالسياق ، مسميا العناصر الإحالية (التعبيرات الإشارية) ، يقول في ذلك: "توجد في المقام الأول سلسلة من أوجه الربط بين الجملة (النص) والسياق، التي تندرج ضمن مجال الدلالة، الدلالة السياقية، وهي التعبيرات الإشارية ، ويقصد بذلك تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي (يُستقى تفسيرها منه) ، وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه... وهذا يعني أنَّ هذه التعبيرات غير مستقلة عن السياق (المتغير) ، ولها دائما محيالات أخرى . أمَّا التعبيرات الإشارية فهي: أنا أنت، هنا هناك.. وكذلك الآن واليوم وأمس وغدا ، وكذلك أدوات (التعريف والتكثير) ، وضمائر الإشارة (ال، هذا هذه، ذلك، تلك، أولئك..)"¹.

بعد عرضنا لمفهوم الإحالة يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: هل يجب أن تتوفر في الإحالة شروط ، أم أن توظيفها غير مقيد بشرط؟

2- شرط الإحالة:

وضع اللغويون النصيون شروطا في الإحالة وهي " أن يكون لكل مضمرة وجوبا ، مفسر مناسب يحكمه ، أو عنصر مفترض يكون قابلا للتطابق معه بطريقة ما، ويلاحظ أن هذا التحكم يتم بصرف النظر عن موقع المفسر بالقياس إلى المضمرة ، سواء كان سابقا عليه أو لاحقا له ، وينقسم المضمرة على ضوء مبدأ التحكم من حيث الوجود أو الغياب إلى نوعين :

- مضمرة مقيد ، وهو المضمرة الذي ينوفر له مفسر يحكمه في النص.
- مضمرة حر ، وهو ما كان على خلاف الأول، ومنه في العربية ما يحيل عليه الاسم الموصول في قولنا: (من ضاعت قبلته فليصل ولا يطلب شرقا ولا غربا)².

3- أهمية ووظيفة الإحالة:

إن ذكر شروط الإحالة يفرض بنا إلى لزوم التطرق إلى أهمية الإحالة ودورها في اتساق النص ، الذي يتكون من عناصر تربط بينها علاقات ، هذه العلاقات تُؤدّي بأدوات الربط "فالنص ذو بداية ، ومجال ووسط قد يطول وقد يقصر ، ونهاية، وهي نقاط يمكن التوقف عند أي واحدة منها ، وفصلها عن غيرها ، ولكنها لا يمكن أن تفهم معرولة عنها. فكل مكون من مكوناته يمثل معلما ، تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثا ، وتتعدد بها الدوات إن كانت ذاتا، وهي يمكن العودة إليها عن طريق الإحالة، وبالقياس عليها يجري ترتيب عالم الخطاب وبناء النص بالاستتباع"³ ، ويعني هذا أن الإحالة تعمل على تفعيل عنصر الاستمرارية في المحتوى المفهومي للالفاظ وزيادة الترابط بين أجزاء النص ، هذا الدور المهم للإحالة يدفعنا إلى أن نشير لقول الأزهري الزناد في تبيان أهميتها

¹ - تون فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة: سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، ط1 ، 2001م ، ص:135.136.

² - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص:120.119.

³ - الأزهري الزناد . نسيج النص ، ص: 43.

يقول في ذلك: " فالنص جملة من العناصر ، تترابط بتوفر الروابط التركيبية والروابط الزمانية ، وكذلك الروابط الإحالية فلا يكاد يخلو نص من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول أو غيرها من المعوضات ، وهذا أمر يسرته وظيفة الذاكرة البشرية ، التي يمكنها أن تحتزن آثار الألفاظ السابقة ، وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها ، فتحللها بنجاح دون ضير بالتواصل وعلى هذا الأساس ، تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص ، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة ، وهذا مدخل الاقتصاد في المعوضات في اللغة ، إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية ، وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها"¹ .

يذهب هاليداي ورقية حسن إلى أنه يمكن الإتيان بعدد تراكمي كثير من الإحالات على الكلام السابق ، فقد يتبع استعمال كلمة ما في بداية النص عدد كبير من الضمائر ، وكلها تفهم بالعودة على هذه الكلمة ويسهم هذا بشكل كبير في الترابط الداخلي للنص ، بمعنى أنها تخلق شبكة من خيوط الإحالة ، بحيث يرتبط كل استعمال بالاستعمالات السابقة التي تصل الإحالة الأولى ، وبناءً على ذلك فقد قدم الباحثان عرضاً مفصلاً لأنواع الإحالة واقترحا لها قسمين وهما:

أ- الإحالة النصية (داخل النص أو داخل اللغة) (endophora):

وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ ، سابقة كانت أو لاحقة ، فهي إحالة نصية ، وهي تنقسم بدورها إلى قسمين :

ب- إحالة قبلية (إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة) (anaphora):

وهي تعود على (مفسّر) سبق التلفظ به ، وفيها يجري تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمّر . وتشتمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة ، يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد ، وهي الإحالة التكرارية ، وتمثل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام . ولتوضيح هذا المفهوم نقدم المثال الآتي: محمد شارك في المقابلة لكن خالد لم يشارك فيها الضمير (ها) يرتبط بالمقابلة رجوعاً وعودة ، وتم في الجملة إبدال الاسم بالضمير ، وبهذا تتضح لنا وظيفة الإحالة القبلية وهي الإشارة إلى السابق والتعويض عنه في المثال بضمير ، هذا الضمير الذي أدى ذكره إلى تحقيق الاتساق.

ج- إحالة بعدية (إحالة على اللاحق) (cataphora):

هي عكس الإحالة القبلية ، تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها ، من ذلك ضمير الشأن في العربية ، ولتوضيح نقدم المثال الآتي:

- من تونس، نقدم إليكم نشرة الظهيرة للأبناء، وهذا موجزها .
- صرح ناطق باسم مجلس قيادة الثورة فقال مايلي .

يحمل المركبان المسطران على نص لاحق عليهما².

¹ - الأزهر الزناد . نسيج النص ، ص: 121.

² - ينظر : المرجع نفسه ، ص: 119.118 . وينظر : عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 123.

د- الإحالة المقامية (إحالة على ما هو خارج اللغة) (exophora):

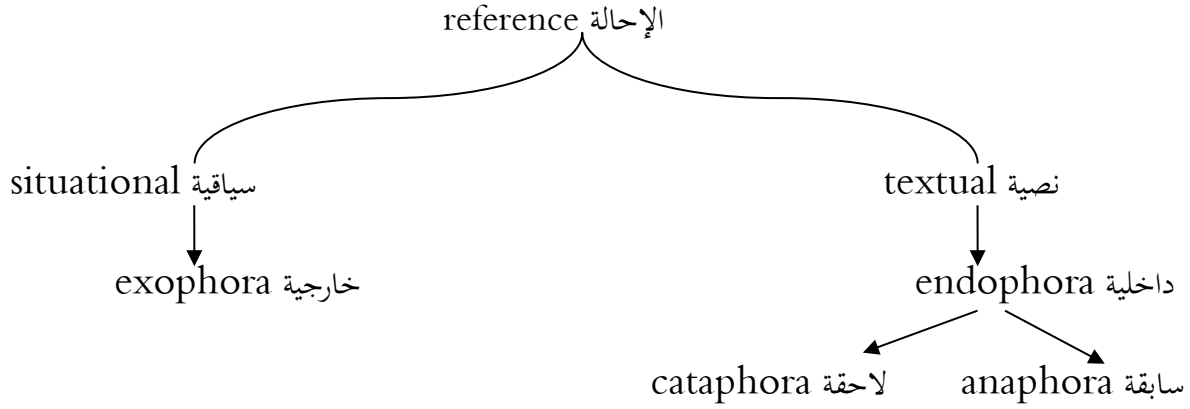
وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم ، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته ، في تفاصيله أو مجملا ، إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم ، ومهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري ، والعنصر الإحالي في المرجع .

ويعني هذا أنّ المقام الذي يقال فيه النص يسهم في اتساق النص ، عن طريق فهم ما يحيط بالنص من أمور تساعد في فهمه ، وتُمكنُ (المستمع/القارئ) من فك رموز النص المغلقة ، بالاستعانة بما يعطيه المقام من عون "وتساهم الإحالة الخارجية في إنتاج النص ، لأنها تربط اللغة بسياق المقام ، إلا أنها لاتساهم في اندماج مقطع واحد مع مقطع آخر ليشكلا جزءًا من النص نفسه ، فهي إذن لاتساهم بشكل مباشر في الاتساق كما عرفناه"¹. يبدو لنا أن القيد الذي يفرضه السياق على هذا النوع من الإحالة مقلدا من قيمتها ودورها ، من حيث إنها تعمل على تحقيق اتساق النص بطريقة غير مباشرة ، ومهما يكن فإن للإحالة المقامية دورا مهما في ربط النص بالخارج وهذا ما أشار إليه الأستاذ جمعان بن عبد الكريم ، يقول في ذلك: "ألا ترى بأنه من الممكن الإنطلاق من مفهوم الإحالة المقامية لوضع أساس العلاقة بين النص والخارج ، أو الموقف بعناصره المختلفة..اعتمادا على أن وظيفة اللغة هي التعبير عن المواقف المختلفة بإمكاناتها القادرة على ذلك ، على الوجه الذي جعلنا فيه علاقة النص بالموقف علاقة بناء وتفسير...وبعبارة أخرى يمكن القول إن النص بكامله عنصر إحالي إلى الخارج ، أو الموقف على الرغم من تسليمنا بكافة العمليات الذهنية في الإنتاج والتحليل التي يخضع لها النص"².

من خلال عرضنا لأنواع الإحالة يمكن أن نجملها وفق المخطط الآتي:

¹ - شريفة بلحوت ، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (الاتساق في الإنجليزية) لهاليداي ورقية حسن ، رسالة ماجستير جامعة الجزائر ، 2005م .ص: 128.

² - جمعان بن عبد الكريم ، إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، النادي الأدبي بالرياض ، ط1 ، 2009م ، ص: 349.



هناك نوع آخر من الإحالة التي تتعلق بكمية العناصر الإشارية وقد تطرق إليها الأستاذ الأزهر الزناد وهي :

4- الإحالة النصية : تعني إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ أو النص ، وتؤديها ألفاظ من

قبيل: (قصة) ، (خبر) ، (رأي) ، (فعل). وأشار الأستاذ الأزهر الزناد ، أن هذه الإحالات يمكن جمعها في قسمين حسب نوع المفسر وهما:

أ- إحالة معجمية (lexophora): وهي تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر دال على ذات

أو مفهوم مفرد ، وهي متوفرة في كل النصوص لكن توفرها لا يعني أنها ضرورية .

ب- إحالة مقطعية أو نصية (texophora): وهي تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر هو

مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي) ، وتتوفر في نصوص دون أخرى "بحيث تتميز العناصر الإشارية النصية عن العناصر الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشاراً"¹ .

تطرق علماء اللغة النصيين إلى كل ما يتعلق بالإحالة ، ومن جملة ماذكروه أيضاً المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره ، وعلى أساس هذا المدى قسموا الإحالة إلى إحالة ذات مدى قريب ، وإحالة ذات مدى بعيد .

ج- إحالة ذات مدى قريب: وتجري في مستوى الجملة الواحدة ، حيث لا توجد فواصل تركيبية جمالية

وفيهما يرتبط العنصر الإحالي الجملي بمفسره على مستوى الجملة نفسها .

¹ سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2005م ، ص: 102. وينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 119.

د- إحالة ذات مدى بعيد: وهي تجري بين الجمل المتصلة ، أو المتباعدة في فضاء النص ، وهي تتجاوز

الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل¹.

إنَّ هذه العلاقات التي تؤديها الإحالة سواء على مستوى الجملة الواحدة ، أو على مستوى الجمل المتباعدة في النص تؤدي إلى الربط بين مجموعتين الأولى هي مجموعة العناصر الإشارية ، والثانية هي مجموعة العناصر الإحالية "وبين المجموعتين ترابط وثيق ، ومن هنا يأتي دور الإحالة في الإسهام الفعال في صناعة الاتساق بين مكونات النص"².

مما لا بدَّ له في بحثنا هذا ، أن نتطرق إلى وسائل الاتساق الإحالية وهي ثلاث: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة ، وسنشير إليها وهي:

أ- **الضمائر:** للضمائر دور مهم ، إذ تساهم مع عناصر الإحالة الأخرى ، في اتساق النص كما تنوب

عن الأسماء والعبارات والجمل المتتالية ، وذلك لأن "التعيين الإسمي البديل هو إعادة نصية لاسم ما، من خلال الضمير...وعادة ما تتعاون في النص الضمائر مع الأسماء المذكورة ، وتشكل معا شبكة اسمية إحالية أو ضفيرة اسمية إحالية ، وحين يضم نص ما عدة شبكات اسمية ، فإن واحدة منها في الغالب هي موضوع النص"³.

وتخضع الضمائر لتقسيمات منها **ضمائر وجودية** ، مثل: أن ، أنت، نحن، هو،هم، هن.... وإلى **ضمائر ملكية** مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا...⁴ ، وإذا نظرنا إلى الضمائر، من زاوية الاتساق ، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم ، والمخاطب ، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي ، ولا تصبح إحالة داخل النص أي اتساقية ، إلا في الكلام المستشهد به ، والملاحظ أن النص لا يخلو من إحالة سياقية (إلى خارج النص) تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا،نحن) أو إلى القارئ (القراء) بالضمائر (أنت، أتم...)" هذا بالنسبة لأدوار الكلام"⁵ ، وهناك ضمائر أخرى تؤدي أدوارا مهمة في اتساق النص وهي التي أطلق عليها **هاليداي ورقية حسن اسم (أدورا أخرى)**، وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة ، الأفراد والثنية والجمع (هو، هي، هما،هم،هن) ، وهذه الضمائر عكس الضمائر الأولى لأن ضمائر الأدوار الأخرى تحيل قبلها بشكل نمطي ، إذ تقوم بربط أجزاء النص ، وتصل بين أقسامه .

و التمييز بين هذه الضمائر قائم في الأساس على الدور الذي تؤديه في النص "لذلك نعتبر أنَّ إحالة ضمائر التخاطب إحالة مقامية (خارج النص) ، ولا يمكن أن تكون مقالية (داخل النص) ، وبالتالي فإنها لا تساهم في تحقيق تناسق النص ، أي أنها لا تربط لاحقا بسابق أو بعبارة أخرى لا يكون مفسرها مقاليا ، وأن إحالة ضمائر

¹ ينظر : الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص:123.124.

² فريد عوض حيدر ، اتساق النص في سورة الكهف ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2004 ، ص:34.

³ زنيسلاف وأورزنيك ، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ص: 125.126.

⁴ ينظر : محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 18.

⁵ المرجع نفسه ، ص: 18.

الغائب إحالة مقالية ، ولا يمكن أن تكون مقامية ، وبالتالي فهي تساهم دوماً في تحقيق تناسق النص. أو بعبارة أخرى يكون مفسرها مقالياً دائماً ، لأنها تربط دائماً لاحقاً بسابق¹.

إذا فإنَّ تشكيل المعنى أو إبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص ، إذ إن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي ، ومن ثم أكد علماء النص أن للضمير أهمية في كونه يحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النص . فمثلاً الضمير (هو) "له ميزتان ، الأولى : الغياب عن الدائرة الخطابية، والثانية : القدرة على إسناد أشياء معينة ، وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير موضوعاً على قدر كبير من الأهمية في دراسة تماسك النصوص"²، يفهم من النص أن الضمير لا يقتصر على الجانب الشكلي فقط بل له وظيفة دلالية من خلال الكشف عن المعنى الذي قد يعتريه الغموض أحياناً ، هذا من جهة الدلالة ومن خلال الربط بين الجمل المتناثرة التي قد يعتريها التفكك ، وهذا من جهة الشكل فيأتي الضمير ليشكل مع غيره من الوسائل وشيجة "ونسجاً نصياً عالياً..."³.

ب- أسماء الإشارة: وهي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الداخلة في نوع الإحالة ، من خلال هذه الوسيلة يرى هاليداي ورقية حسن ، إمكانية تصنيفها إما حسب الظرفية : الزمان (الآن، غداً..) ، والمكان (هنا هناك..) ، أو حسب الحياد (the) (أل) ، أو الإلتقاء (هذا، هؤلاء..) ، أو حسب البعد (ذاك، تلك..) ، والقرب (هذه، هذا..) ⁴ ، وقد عرف هاليداي ورقية هذا الضرب من الإحالة بكونها إشارة لفظية⁵. وتؤدي أسماء الإشارة دوراً مهماً في عملية الربط القبلي والبعدى ، وهي بشتى أصنافها تحيل إحالة قبلية ، أي أنها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتساق النص ، ولكن هناك اسم إشارة يتميز بخاصية مختلفة عن بقية أسماء الإشارة إذ يحيل (إحالة موسعة) وهي التسمية التي قرنها هاليداي ورقية حسن باسم الإشارة المفرد الذي يتميز بخاصية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل⁶.

ج- المقارنة: وهي من وسائل الإحالة التي تساهم في الاتساق ، وتنقسم إلى عامة يتفرع منها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل : (same نفسه) ، والتشابه وفيه تستعمل عناصر مثل: (similar متشابه) والاختلاف باستعمال عناصر مثل: (otherwise أخرى، آخر) . أما المقارنة الخاصة فهي تتفرع إلى كمية وتم بعناصر مثل: (more أكثر) ، وكيفية (أجمل من، جميل مثل..) وقد ذكر هاليداي ورقية "أن نفس المبادئ التي تعمل في أنواع الإحالة الأخرى تعمل في المقارنة أيضاً ، فتكون ذات إحالة مقالية قبلية ، وتكون ذات

¹ - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج1 ، ص: 127.

² - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج1 ، ص: 161.

³ - المرجع نفسه ، ج1 ، ص: 162.

⁴ - ينظر : محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 19.

⁵ - ينظر : محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج1 ، ص: 128.

⁶ - ينظر : المرجع السابق ، ص: 19.

إحالة مقالية بعدية¹، "فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم، مثل الأنواع المتقدمة، للاحالة بوظيفة اتساقية"².

5- الاستبدال:

هو صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية (anaphora)، أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، فهو "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"³ هذا التعويض عن طريق الاستبدال يعمل على تحقيق الاستمرارية الدلالية بواسطة العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة "ويعتبر الاستبدال، من جهة أخرى، وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص، يستخلص من كونه عملية داخل النص أنه نصي"⁴ وله دور أساسي في اتساق النصوص، ولكن الحديث عن مفهوم الاستبدال لا يكفي إذ إن هناك أسئلة ملحة لا بد من طرحها ولا بد من الإجابة عليها، وتتمثل في طبيعة العلاقة بين الاستبدال وبين وسيلتي الحذف والإحالة، ثم التساؤل عن الكيفية التي يساهم فيها الاستبدال في اتساق النص، فما هي طبيعة العلاقة بين وسيلة الاستبدال ووسيلتي الحذف والإحالة؟ وكيف يساهم الاستبدال في اتساق النصوص؟

يشير هاليداي ورقية حسن إلى أن العلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة التضمن، فالاستبدال يتضمن الحذف، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الاستبدال، كما يشير إلى أن هناك فرقا بين الاستبدال والإحالة، فالاستبدال علاقة بين العناصر اللغوية أو الشكل اللغوي، أي بين الكلمات والعبارات بينما الإحالة علاقة بين المعاني، فالإحالة علاقة على المستوى الدلالي، في حين أن الاستبدال علاقة على المستوى المعجمي، لذلك فإن هناك قاعدة عامة في علاقة الاستبدال، وهي أن الكلمة البديلة يكون لها نفس الوظيفة التركيبية⁵، أما بالنسبة لكيفية مساهمة الاستبدال في اتساق النص، "فيكمن الجواب في العلاقة بين العنصرين المستبدل والمستبدل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق فيه، ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية، أي وجود العنصر المستبدل، بشكل ما في الجملة اللاحقة"⁶.

وهنا يعمل الاستبدال على مد وتوسيع السيطرة الدلالية لجملة ما، بالنسبة إلى الجملة التالية "كما أنه وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الكاتب لتجنب تكرار نفس التعبير، أو هو وسيلة من وسائل الاقتصاد في

¹ - المرجع السابق، ج 1، ص: 129.

² - المرجع السابق، ص: 19.

³ - أحمد عفيفي، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 122.123.

⁴ - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 19.

⁵ - عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص: 113.

⁶ - المرجع السابق، ص: 20.

الاستخدام حيث تسمح لمستخدمي اللغة بحفظ المعنى مستمرا في الذاكرة النشطة دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى¹.

6- أنواع الاستبدال:

يذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن الاستبدال علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني وعلى هذا يقسمان أنواع الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية لعنصر الاستبدال وهي: الاسم، الفعل الجملة ووفقا لهذا فالأنواع الثلاثة للاستبدال هي: الاستبدال الاسمي، والاستبدال الفعلي، والاستبدال الجملي القولي.

أ- الاستبدال الاسمي (nominal substitution):

تعبّر عنه الكلمات (آخر، آخرون، نفس، ذات..)، ويمكن لنا أن نستشهد له بآية من الذكر الحكيم، وهي: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَبَدَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾** (آل عمران الآية 13) فقد تم استبدال كلمة أخرى بكلمة ففة أي ففة.

ب- الاستبدال الفعلي:

وهو حلول الفعل مكان الآخر مع تأديته وظيفته التركيبية، ويمثل استخدام الفعل يفعل ومثاله من القرآن الكريم **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾** (المتحنة الآية 1)، فقد استبدل الفعل (يفعل) مكان الفعل (تتخذوا).

ج- الاستبدال الجملي القولي:

وهو استبدال قول مكان آخر مع تأدية وظيفته، فهو يأتي على كل الجملة، أي كل عناصر الجملة بما في ذلك الفاعل يقول هاليداي ورقية حسن "يوجد نوع آخر من الاستبدال حيث لا يكون المفترض من العناصر هو عنصر من الجملة ولكن الجملة كلها"²، ويستعمل فيه أدوات مثل: كذلك، أيضا، لا، نعم، أجل. حيث تعوض تلك المفردات عن جملة أو جمل كاملة، ويبين هاليداي ورقية حسن إلى أن هذا النوع من الاستبدال يتم في ثلاثة أنواع من الجمل: الخطاب المنقول، الجمل الشرطية، والجمل الموجهة ويمكن أن تمثل له، بقوله تعالى:

¹ عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص: 114.

² ينظر: HALLIDAY .M.A.K Cohesion in English. P 130 نقلا عن: مفتاح بن عروس الاتساق والانسجام في القرآن دار نور حوران، دمشق، سوريا، ط1، 2018م، ص: 241.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّي إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ، (الشعراء الآية 42.41) فقد استبدل بالقول السابق (نعم).

تتضمن عملية الاستبدال - كما أشرنا سابقا- استمرارية للعنصر المستبدل ، فلا يمكن لنا أن نفهم المبدل دون العودة إلى ماهو متعلق به قبلا في النص ، من هنا فالاستبدال يعمل على ترابط النص نتيجة لاحتياج اللاحق للسابق .

إنَّ العلاقة بين عنصري الاستبدال المستبدل والمبدل علاقة تقابل ، تقتضي إعادة التجديد والاستبعاد ولا بد لنا من التوضيح بالمثال الآتي: (فأسي جد مثلومة، يجب أن أقتني فأسا أخرى حادة) . فالتقابل هنا قام بين المثلومة والحادة وتم تحديد في الفأس ، ومن ثم جاءت عملية الاستبعاد للفأس المثلومة لصالح الفأس الحادة، ومع الاستبعاد تم الاحتفاظ بأثر مشترك وهو الفأس لتبقى عملية الاتصال في الجملة قائمة¹ .

7- الحذف:

يحدده هاليداي ورقية حسن بأنه علاقة داخل النص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في العنصر السابق ، وهذا يدل على أن علاقة الحذف علاقة قبلية ، والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال ، لأن العلاقة بينهما علاقة تضمين -مثلا أشرنا إلى ذلك سابقا- ويعني هذا أننا نستطيع تفسير الحذف على أساس اعتباره شكلا من أشكال الاستبدال ، ولكن يجب التفريق بين أثر الحذف وأثر الاستبدال وذلك لأنَّ الحذف "استبدال بالصفـر (العنصر المبدل به هو الصفـر)"² ، ويمكن تمثيل أثر الحذف وأثر الاستبدال بحسب الجدول الآتي:

المبدل	المبدل به	//////////
عنصر أو مجموعة عناصر	عنصر لغوي	الاستبدال
عنصر أو مجموعة عناصر	0	الحذف

من خلال الجدول نفهم أن علاقة الاستبدال تترك أثرا ، وأثرها واضح ومجسد يتمثل في وجود أحد عناصر الاستبدال ، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرا ، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض ، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال ، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف إذ لا يحل محل المحذوف أي شئ ومن ثم نجد في الجملة فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ماورد في الجملة الأولى ، أو النص السابق ، ولا يتأتى فهم القارئ إلا إذا كان المتبقي في النص بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيًا في أداء المعنى لوجود قرائن معنوية ، أو مقالية ، تومئ إليه وتدلل عليه ، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في

¹ - ينظر : محمد خطاي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 20.

² - محمد خطاي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 21.

ذكره ، مما يجعل الجمل المحذوفة أساسا للربط بين المتتاليات النصية من خلال المحتوى الدلالي "فالحذف أبلغ من الذكر وإن المتكلم يكون أكثر بيانا إذا لم يبين بعض الألفاظ"¹ ، وما يلاحظ عن علاقة الحذف أن المعنى المقصود هو الذي يحكم طبيعة الحذف ، لذلك فقد اعتبر **دي بوجراندي** الحذف معتمدا على ضوابط المعنى وهي السياق والمقام لذلك قال عنه: "هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"² ، فيعطي للقارئ مهلة يستطيع من خلالها أن يكتشف العنصر المقصود لأن هذه الجمل المحذوفة تصنع ربطا وتماسكا بين أجزاء النص ، لأنها مرتبطة بالسابقة عليها وما بعدها يعد إجابة أو استكمالا أو تفسيراً مما يؤدي إلى الربط. ولكن حديثنا عن الحذف ودوره في اتساق النص يدفعنا إلى التساؤل عن تظهر هذا الاتساق هل يتم على مستوى الجملة الواحدة ، أم على مستوى الجمل المتلاحقة؟

إن الحذف على مستوى الجملة الواحدة لا يحقق الاتساق "وذلك لأن العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنيوية لا يقوم فيها الحذف بأي دور اتساق ، وبناء عليه فإن أهمية ودور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة"³.

يعتمد الحذف في آدائه للتماسك على عنصرين مهمين من عناصر التماسك النصي ، وهما التكرار والإحالة ويبرز هذان العنصران عندما يُكشَف عن النص كاملا ، لأن إعادة المحذوف يفرض تكرارا للعنصر الذي لم يحذف وللعنصر الذي تم إعادة ذكره ، لذلك يعتمد المتكلم إلى العدول عن ذكر عنصر أو أكثر من الكلام ويمكن فهم هذه العناصر من السياق ، والملاحظ أن هذه المحذوفات تتنوع بين حذف للأسماء ، وحذف للأفعال وحذف للجمل ، وأن أنواع الحذف تتشابه مع أنواع الاستبدال ومادم أننا قد أشرنا إلى أنواع الاستبدال وقدمنا أمثلة عنها لا بد لنا أن نشير أيضا لأنواع الحذف مع تقديم أمثلة حتى يتسنى للقارئ أن يقف على هذه الأنواع ويدرك أهميتها في اتساق النص ، خاصة وأن الحذف باب واسع ومهم عند علماء البلاغة العربية .

قسم **هاليداي ورقية** حسن الحذف إلى ثلاثة أنواع وهي⁴:

أ- الحذف الاسمي (**nomina ellipsis**): ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل:

أي سيارة ستركب؟ هذه هي الأفضل ، أي هذه السيارة.

ب- الحذف الفعلي (**verbal ellipsis**): يكون المحذوف عنصرا فعليا ، مثل: هل كنت تسبح؟ نعم

فعلت .

ج- الحذف داخل ما يشبه الجملة: في هذا النوع لا بد من الإشارة إلى نظرة **هاليداي ورقية** حسن

¹ - ينظر: الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الإعجاز ، ص: 146.

² - روبرت دي بوجراندي ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 301.

³ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 22.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه . ص: 49.

لأقسام الجملة "الجملة في الإنجليزية منظور إليها من ناحية التعبير عن أنواع الوظائف التبليغية المختلفة، إذ يمكن أن تكون سؤالاً أو جواباً أو غير ذلك"¹ ، ويمكن أن تمثل لهذا النوع من الحذف بالمثل الآتي: كم ثمن هذا القميص؟ خمسة جنيهات .

يتضح لنا من خلال عرض الأمثلة "أن الحذف يقوم بدور معين في اتساق النص ، وإن كان هذا الدور مختلفاً من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال أو الإحالة. ونظن أن المظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفاً عنهما هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص"² .

8- الوصل:

ينجز النص عند التلفظ به ، ويتخذ حيناً يكون به كائناً مستقلاً بنفسه ، فيحل بذلك في الزمان وفي المكان، وهو من حيث هو علامات دالة كائن مركب وحدائهُ جمل ، لا يدركه الفكر إلا منظماً أو مرتباً (structure) والترتيب الأول هو خطية النص ، إذ ترد جملة في تتابع قسري لامهرب منه³ ، هذا التتابع يتصف بسمة التسلسل الخطي ويؤدي إلى الترابط بين الجمل ، ولا يتأتى ذلك إلا بأدوات الربط لأن " النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تُدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص"⁴ .

يشير هاليداي ورقية حسن إلى أن الوصل "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"⁵، من حيث إنه علاقة شكلية (relation formelle) ، تحصر عادة في العطف ويقابل غياب هذه العلاقة الشكلية علاقة دلالية تعوض هذا الغياب ، وهي التي يجسدها مفهوم الفصل.

يختلف الوصل باعتباره علاقة اتساقية عن باقي الظواهر التي وقفنا عليها سابقاً ، من حيث إن هذه الأخيرة تتحقق فيها جميعاً العلاقة الاتساقية من داخل الجملة إلى داخل الجملة ، أما الوصل فإن العلاقة فيه تتم في الحدود بين الجمل "فهو يختلف عن الإحالة والاستبدال والحذف من حيث إن أدوات الوصل لا تحيل إلى الورا ولا إلى الأمام في النص، ولكنها تحتوي هي ذاتها على معنى ، وهذا المعنى هو الذي يحدد طبيعة العلاقة التي يقيمها ما يأتي بعدها بما يأتي قبلها"⁶ ، ويمكن تمثيل هذا الاختلاف كما يلي:

¹ - مفتاح بن عروس الاتساق والانسجام في القرآن ، دار نور حوران ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2018م ، ص: 251 .

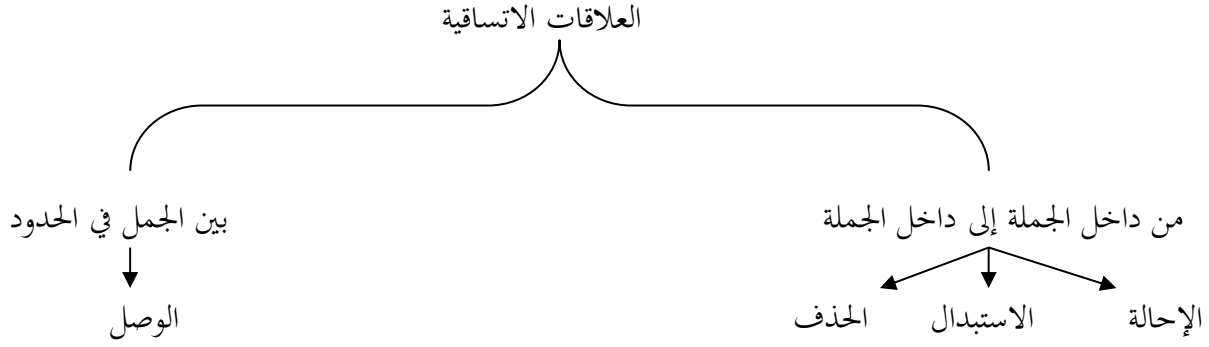
² - المرجع السابق ، ص: 22.

³ - ينظر : الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 42.

⁴ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 23

⁵ - المرجع نفسه ، ص: 23.

⁶ - مفتاح بن عروس الاتساق والانسجام في القرآن ، ص: 253.



يقدم علماء النص تصورا دقيقا لصور الربط النصي ، فيذكرون أن التماسك خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى ، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص ، ما يتمثل في مؤشرات لغوية ، مثل علامات العطف والوصل والفصل والترقيم وكذلك أسماء الإشارة ، وأدوات التعريف ، والأسماء الموصولة ، وأبنية الحال ، والزمان والمكان وغير ذلك من العناصر الرابطة التي تقوم بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الخطي¹.

ويعني هذا أنّ الربط النصي يرتكز على ركيزتين أساسيتين هما:

- كون النص في الأساس يمكن تحديده ، بأنه مركب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق².
- يقوم الوصل بجمع الجمل على مستوى سطح النص، مما يؤدي إلى توليد دلالات أخرى تنتج عن هذا الجمع . وهذا الذي أقره **ديوجراندي** حين ذكر "أن الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ، والصور التي تترايط بواسطة مطلق الجمع يحسن أن تعد ذات نظام سطحي متشابه"³ .
- إذن يعتمد الترابط على المستوى السطحي على وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة ، أما التماسك الذي يعني الوحدة والاستمرار والتشابه ، فيقوم على قواعد وأبنية تصويرية وتجريدية، وقد أدت هذه الخاصية إلى الاختلاف بين علماء النص في محاولاتهم المتكررة والمتباينة لاكتشافها ، معتبرين فقرات النص مجموعة من القضايا المرتبطة بواسطة وسائل اتساقية متنوعة ومتداخلة في فضاء النص ، وهذا ما أشارت إليه الباحثة **نوال خلف**⁴ .
- إنّ العلاقات بين القضايا والأحداث ، إنما يعبر عنها على نحو خاص بواسطة مجموعة من العبارات من مختلف أنواع التراكيب التي يطلق عليها اسم الروابط ، هذه الروابط تشكل مجموعة أصلها راجع إلى تركيب أنواع الوصل التشريكي ، وهو العطف سواء منها المنسوقة ، أو الدالة على الفرعي من الجمل كحرف (الواو) وحرف (أو) وأداة التعليل (لأن) وكذلك (من أجل أن...) ووظيفتها هو تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة ، وعلى ذلك فعمل هذه

¹ - ينظر : سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ص: 123.

² - ينظر : فولفجانج هاينه و ديفرفيهجر مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 25.

³ - روبرت دي يوجراندي ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 346.

⁴ - نوال خلف الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أمودجا ، ص: 63.

الروابط هو حصول الإجراء الثنائي. وهناك فئة ثانية من الروابط تؤخذ من أبواب الظروف الاسمية والحرفية وماتركب منها من شبه الجمل من مثل (مع أن) وكذلك (بالرغم من أن)، و(نتيجة لذلك) وتدلل هذه الروابط أيضا على عوامل الإجراء، لأنها قد تخرج جملا من أخرى وتميزها عنها¹.

ويُعد العطف علاقة اتساع واقتصاد، فهو علاقة اتساع من جهة تكوينه علاقاتٍ نصيةً جديدة، إذ يرتبط العنصر اللغوي بغيره فيكون علاقة اتساع، كذلك ترتبط الجملة بغيرها فتكون علاقة اتساع، وكذلك يُعد علاقة اقتصاد؛ إذ إن بنيتها تتكون من اشتراك التركيب الثاني مع سابقه في الحكم فيعوض حرف العطف عن تكرار الحكم المسند للعنصر اللغوي².

فالعطف مشاركة بين متعاطفين أو أكثر يحيل الثاني على الأول ويرتبط به، فهو أحد مظاهر التماسك لكن العطف يتجاوز هذا المستوى الذي يؤكد ماهو قائم إلى مستوى جمالي تتكثف فيه وبه رؤية النص، حيث يكسب العطف النص حركية دلالية، تلتقي بها عوامله وترتد إلى مركز نصي يتأكد به تناغم هذه العوامل وترابطها رغم تباعدها³. ولما كانت وسائل الربط في إطار الوصل متنوعة، فقد فرغ الباحثان -هاليداي ورقية حسن- هذا المظهر إلى إضافي وعكسي وسببي وزمني⁴.

أ- الوصل الإضافي (additive relation): يربط الأشياء التي لها نفس الحالة، فكل منهم صحيح في عالم النص، وغالبا ما يشار إليه بواسطة الأدوات (و، أو، أيضا، كذلك، أم) " والاختيار من بين هذه الأدوات في النص هو اختيار بلاغي (فالواو) تفيد معنى الاشتراك (co-ordination)، و (أو) تعطي معنى البديل (alternative) وعادة ماتستخدم مع السؤال والطلب والوعد والخبر⁵، ويندرج تحت الوصل الإضافي علاقات تدل عليها عبارات تحمل معنى التماثل والتشابه الدلالي، مثل (على نحو مشابه، مثل هذا، بنفس الطريقة) حيث يستخدمها المتكلم للتأكيد على أن النقطة الجديدة لها نفس الأثر، أو لها نفس الأهمية، وفي هذا النوع من العبارات يمكن استخدام المقارنة المنفية عندما يكون المعنى غير متشابه وهو ما يعبر عنه من خلال العبارة (ومن ناحية أخرى، وعلى العكس، وبالمقابل)، ومن العلاقات التي تندرج تحت الوصل الإضافي أيضا علاقة الشرح والتفسير، وتدلل عليها عبارات (أعني، بكلمات أخرى، ما أقوله هو) وهناك أيضا علاقة التمثيل وعباراتها (على سبيل المثال، مثلا، نحو)، ونجد الأستاذة عزة شبل قد أشارت إلى علاقة أخرى تتعلق بالوصل الإضافي، وهي "علاقة التخصيص وتدلل عليها العبارات مثل (خاصة، على نحو خاص)، إضافة إلى ذكرها لمجموعة صغيرة من الكلمات مثل (بالمصادفة، بالمناسبة)، التي تربط معنى الإضافة من خلال تقديم فكرة تالية، أي فكرة تخطر في

¹ ينظر: فان دايك النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص: 82، 83.

² ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى، ص: 184.

³ ينظر: محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص: 197.

⁴ ينظر: محمد خطاي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 23.

⁵ عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص: 111.

البال فيما بعد"¹. وليستفيد القارئ يمكن أن نمثل له عموماً* من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَأْمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ (يوسف الآية 64).

ب- الوصل العكسي (adversative relation): الذي يعني "على عكس ما هو متوقع"² ، وقد

وضع له دي بوجراند ودريسلر مصطلح وصل النقيض ، حيث تكون العلاقة بين الأشياء متنافرة أو متعارضة في عالم النص ، وعادة ما يشار إليها بالأداة (لكن، مع ذلك ، على الرغم من ، على أية حال ، من ناحية أخرى ، في نفس الوقت) ، حيث يكون هناك جمع غير محتمل بين الأحداث والسياقات. والمثال الآتي يوضح المعنى: كل الأرقام صحيحة ، تمت مراجعتها ، ومع ذلك فالجموع به خطأ. الملاحظ أن استعمال الأداة (مع ذلك) أدى إلى ربط عكسي بين تركيب الجملة الأولى ، وتركيب الجملة الثانية ، وقد تم ذلك بعكس المتوقع فالأرقام كانت صحيحة والمفترض أن المجموع صحيح ولكن حدث عكس ما تم توقعه .

ج- الوصل السببي: (causale relation) : يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر

ويعبر عنه بعناصر مثل (لهذا، بهذا، لذلك، لأن) وعدد من التعبيرات مثل (نتيجة ل، سبب ل) " ويقع تحت العلاقة السببية الرئيسية علاقات خاصة مثل: الشرط، السبب ، الغرض ، النتيجة"³ و"هي كما نرى علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة في السبب والنتيجة"⁴ ، وما يلاحظ حول هذا النوع من الوصل أن دي بوجراند ودريسلر قد استخدموا له مصطلحا آخر هو مصطلح (التبعية) ، "حيث يعتمد عنصر على وجود عنصر آخر، ويندرج تحتها علاقة السبب والنتيجة ، والعلاقة الزمنية والعلاقة الشرطية ، وتعتبر عنها الأداة (إذا) حيث تكون الأحداث والسياقات في عالم النص ممكنة أو محتملة أو ضرورية"⁵، وللتوضيح نورد له المثال الآتي: أنت لم تغادر أنت هنا؟ لأن لدي شيئاً أقوله لك .

د- الوصل الزمني (temporal relation): هو من العلاقات التي تؤدي إلى تماسك النص ومثاله

قولنا: (أضواء النور ثم أدخل المفتاح في القفل). وترتبط العلاقة الزمنية بين الأحداث من خلال علاقة التتابع الزمني ، أي التتابع في محتوى ما قيل ، ويعبر عن هذه العلاقة من خلال الأداة (ثم ، بعد) وعدد من التعبيرات مثل: (وبعد ذلك على نحو تال) ، وقد تشير العلاقة الزمنية إلى ما يحدث في ذلك الوقت مثل: (في ذات الوقت حالا في هذه اللحظة) ، أو تشير إلى السابق مثل: (مبكراً قبل هذا سابقاً) ، كما يمكن أن تتحدد الجملة مع مجموعة من الجمل ، لأنها تعد نهاية لمجموعة من العمليات أو سلاسل من العمليات، فيطلق عليها جملاً إستنتاجية ويسبقها

¹ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 111.

*اقتصرنا على ذكر هذا المثال لنوع من العلاقات التي تدخل تحت الوصل الإضافي وهي علاقة التماثل الدلالي والمعنى في الآية: أي تأمين يعقوب على بنيامين مع إخوته مثل تأمينهم على يوسف باستخدام أداة التشبيه ومفهوم المقارنة الواسع يدخل التماثل الدلالي إلى باب المقارنة.

² - محمد خطايي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 23

³ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 112.

⁴ - محمد خطايي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 23.

⁵ - المرجع السابق ، ص: 113.

التعبيرات (أخيرا ، في النهاية) أو العناصر المعجمية التي تستخدم بمعنى بلوغ الذروة ، مثل: (باختصار، على نحو مختصر) كما يدخل في الربط الزمني الأدوات التي تربط مايقال بالماضي مثل: (حتى الآن، وحتى هذه اللحظة) أو بالحاضر مثل: (هنا، في هذه اللحظة) أو بالمستقبل مثل: (من الآن فصاعدا) فتشكل هذه الكلمات البعد الزمني الموجود في عملية الاتصال¹.

بيّن الأستاذ محمد خطابي أن وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل متماثلة ، قاصدا بالوظيفة الربط بين المتواليات الجمالية المشكّلة للنص ، لكنه أشار إلى أن معاني هذه الأنواع داخل النص مختلفة فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة ، أو معلومة مغايرة للسابقة ، أو معلومة (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب) ولأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل ، وجعل المتواليات مترابطة متماسكة ، فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص².

9- التّوازي التركيبي:

أشار دي بوجراند ودريسler في معرض حديثهما عن وسائل الاتساق ، إلى وجود نوعين من الربط الأول يتميز بالوضوح لأنه يعتمد على القواعد التركيبية المتعارف عليها ، أما الثاني فيتميز بالتعقيد لأن الربط فيه يكون لنماذج مختلفة في الحجم ، وقد أشرنا إلى ذلك- سابقا- في ثنايا هذه الأطروحة ، ومادام حديثنا يتعلق بوسائل الاتساق فلزام علينا أن نشير إلى وسيلة أخرى من وسائل الربط اللفظي ، وهي التوازي .

"يقصد بالتوازي التركيبي أو الموازاة ، تكرار البنية التركيبية مع ملئها بمحتوى مختلف ، فيعاد استخدام سلاسل مختلفة تُقدّم من خلالها أحداث متنوعة"³ ، يُفهم من هذا أن التوازي عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من نفس السلسلة اللغوية ، وأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما نفس البنية، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم إما على أساس المشابهة ، أو على أساس التضاد⁴ . ويرجع الأثر الكبير في تحديد هذا المفهوم ، إلى التقاطع الحاصل في الدرس النقدي الحديث بين اللسانيات والشعرية ، ويتضح لنا من خلال هذه العلاقة أن التوازي عنصر شعري بالمقام الأول ، وذلك لأن "بنية الشعر تتميز بتواز مستمر"⁵.

¹ - المرجع نفسه، ص: 112.

² - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 24.

³ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 131

⁴ - ينظر: à l'analyse de la poésie, Introduction Molino-Joëlle, Tamine, Jean presses universitaires de France Paris 1982, p. 211/213

⁵ - ر. ياكسون، قضايا الشعرية، تحقيق: محمد الولي ومبارك حنون سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال، الدار البيضاء 1981، ص 47 .

ويبحث التوازي في النصوص الشعرية المعاصرة-خاصة- التي تبدو للوهلة الأولى مفككة ومبعثرة وبعيدة عن النظام و هذا ما أشار إليه الأستاذ محمد مفتاح ، بقوله: "قد يكون من الغريب الحديث عن التوازي في النصوص الشعرية المعاصرة التي تظهر مشتتة مبعثرة أو متراكمة بعضها فوق ، وخصوصا إذا ما أخذنا في الاعتبار التعريف الشائع للتوازي ، أي تشابه البنيان واختلاف المعاني ، ولكن علينا ألا ننخدع بالظاهر ، وأن نبحت عن النظام والانتظام في الفوضى والتشتت ، وتجلياتها في التوازي وفي اللاتوازي"¹.

يبدو من خلال قول محمد مفتاح ، أن التوازي خاصية بنيوية ونصية تحقق سمة الارتباط والتناسق بين أجزاء الخطاب. وأما يوري لوتمان (V.Lotman) فإنه يرى أن معالجة التوازي تتم أثناء تحليل دور التكرار في الشعر ، وهو يعرف التوازي بأنه: "مركب ثنائي التكوين ، أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر ، وهذا الآخر -بدوره- يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه...، ومن ثم فإن هذا الطرف الآخر ، يحظى من الملامح العامة بما يميزه الإدراك من الطرف الأول ، ولأنهما في نهاية الأمر طرفا معادلة وليسا متطابقين تماما ، فإننا نعود ونكافئ بينهما على نحو ما ، بل ونحاكم أولهما بمنطق وخصائص سلوك ثانيهما"²، ويمكن تحديد هذه الأطراف المترابطة بعلاقات مختلفة في إطار التوازي بالمستوى الصرفي والمستوى النحوي بالدرجة الأولى ، ثم المستوى المعجمي والدلالي بالدرجة الثانية ، فهو "بمثابة متواليين متعاقبين أو أكثر لنفس النظام الصرفي-النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية-دلالية"³ ، من هذين التعريفين ، يتضح لنا أن التوازي يتضمن خاصيتين متلازمتين:

- أ- إنه عبارة عن علاقة تماثل -تتم على مستوى أو مستويات لسانية- بين طرفين أو أكثر.
ب- إنَّ العلاقة القائمة بين هذين الطرفين تنبني على مبدئين هما التشابه والتضاد ، ما دام كل طرف

يحتفظ رغم التشابه بما يميز به عن الآخر .

إنَّ الأساس الذي يُبنى عليه التوازي قائم على المستوى التركيبي ، لأن العلاقة القائمة بين النحو والشعر (النحو الشعري) تجعل النحو الشعري يمارس فعله في مساحة أوسع من الجملة ، حيث تصبح مؤشرات التعلق النحوي من أهم الأسس المساهمة في بناء وحدة النص. ولعل هذا ما يعبر عنه مفهوم "الازدواج" عند (س. ر. ليفين) (S.R.Levin) الذي سعى إلى تأسيس نحو خاص بالشعر يتجاوز حدود الجملة ليمتد على طول العديد من الجمل ، وقد يتخطى ذلك ليشمل النص بأكمله⁴، وفي ضوء هذا المفهوم يتم بناء نمطين من التماثل

¹ - محمد مفتاح ، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 1 ، 2010م ، ص: 161.

² - يوري لوتمان ، تحليل النص الشعري ، بنية القصيدة ، ترجمة محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص: 129.

³ - ينظر: Introduction Molino-Joëlle, Tamine, Jean, p 209.à l'analyse de la poésie,

⁴ - ر. ليفين سموبل، البنيات اللسانية في الشعر، ترجمة: محمد الولي والتوازني خالد. منشورات الحوار الأكاديمي. دار الخطاب، مطبعة فضالة 1989،

الموقعي "التمائل بين مواقع متوازنة ، والتمائل بين مواقع متقابلة" ، يمكن تفسير الكثير من القضايا التي تتعلق بالتوازي النحوي. ويتخذ التوازي تمثلات نصية مختلفة ويتشكل في أنواع متعددة^{1*} ، وما يهنا هنا النوع الذي يحقق الارتباط والاتساق النصي ويتمثل في²:

ج- التوازي المتماثل: وهو ما تماثلت بنيته واختلف بعض معناه ، ويكون بالتطابق على المستوى النحوي أفقياً وعمودياً.

د- التوازي المتشابه: وهو ما اختلفت بعض بنيته وبعض معناه ، ويكون قائماً في النص أفقياً وعمودياً كذلك ، ويحدث هذا النوع نتيجة عمليات التحويل النحوي بالزيادة أو النقصان.

10- الاتساق المعجمي :

أشرنا في النقاط السابقة إلى أنواع الاتساق النحوي ، وهي الإحالة والحذف والاستبدال والوصل والتوازي وتمثل هذه الأنواع ظواهر اتساقية نحوية ، وذلك لأنها تركز في استعمالها على أقسام منتهية^{3*} ، لذلك يسهل الكشف عنها لوجود عناصر مماثلة تدل عليها ، كما هو الحال في الإحالة أو الاستبدال أو الوصل لكن الأمر مختلف إذا تعلق بالاتساق المعجمي ، فهو من جهة مظهر من مظاهر الاتساق ، ومن جهة أخرى "مختلف عنها جميعاً ، إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترض والعنصر المفترض كما هو الأمر سابقاً ، ولا عن وسيلة شكلية نحوية للربط بين عناصر النص"⁴.

إنما يميز الاتساق المعجمي أن حدود تعامله لا تقتصر على مجموعة محدودة من العناصر ، لأن كل المعجم يكون قابلاً للاستعمال ، مما يجعله متنوعاً ومتسعاً ، ويصبح العنصر المتحكم فيه خاضعاً لاختيار المتكلم "ويتحقق الربط المعجمي من خلال اختيار المفردات عن إطار إحالة عنصر إلى عنصر آخر ، أي هو الربط الإحالي **phoriccohesion** الذي يقوم على مستوى المعجم **lexis** ، فيحدث الربط بواسطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية، حيث تتحرك العناصر المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص **topic** وتكوينه. كما تقدم على نحو متكرر معلومات تتصل بتفسير العناصر المعجمية الأخرى المرتبطة بها، مما يسهم في الفهم المتواصل للنص عند سماعه أو قراءته"⁵.

^{1*} - منها الظاهر والتوازي المتطابق ، والمتشابه والمتشاكل والمتضاهي والخفي ، ينظر: محمد مفتاح ، المفاهيم معام نحو تأويل واقعي، ص: 161 إلى 164.

² - ينظر : محمد مفتاح ، المفاهيم معام نحو تأويل واقعي ، ص: 161.

^{3*} - هناك نوعان من الوحدات اللغوية الأولى تتميز وحدانه بالانتهاء وتشكل قوائم منتهية كالضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وأسماء الاستفهام وحروف الربط والثاني تتميز وحدانه بالانفتاح والقابلية للزيادة ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن ص 256.257.

⁴ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 24.

⁵ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 105.

ويتحقق الربط المعجمي داخل النص من خلال وسيلتين هما: التكرار (**Réitération**) والتضام (**Collocation**) ، ويتميز الربط المعجمي بأن الوحدات المعجمية تتصف في ذاتها بالربط ، حيث إن بعضها يفسر البعض الآخر، وليست في حاجة ضرورية لأداة ربط تربط بينها .

أ- التكرار (Réitération) ودوره في النص:

عرفه محمد خطابي بقوله: " التكرير هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي ، يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف ، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما "1، وقد أطلق عليه **دي بوجراند** مصطلح (**recurrence**) ، والتعبير المتكرر يبقى على نفس المرجع (**reference**) ويعني هذا أن التكرار "يستمر بالإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النص ، وعندئذ يتدعم ثبات النص بواسطة هذا الاستمرار الواضح"2 فيوجد تعدد التكرار جسرا وأساسا مشتركا بين الجمل ، مما يسهم في وحدة النص وتماسكه . إذ "من شأن إعادة اللفظ من الناحية النفسية أن تركز الانتباه ، فإن العناصر المكررة ينبغي أن تنطبع في الذاكرة ، ومن ثم ينبغي للعملية الإجرائية أن تكون سهلة ، إذ أن نقطة الاتصال في نموذج العالم ذي الاستمرار النصي أن تكون واضحة"3. وللتوضيح أكثر يمكن أن نستشهد بما قاله (**1991 Hoey**) ، حول وظيفة التكرار في النص ودوره في الاتساق فقد أشار إلى أن عناقيد الكلمات المتكررة بين الجمل ، تسهم في الربط بين المحتوى القضوي للجمل في أجزاء مختلفة من النص⁴ ، وهذا الذي يجعل القضية الأساسية للنص واضحة ومحددة ، من خلال الإلحاح والتأكيد على محتوى معين ، أو بتكرار الكلمات المفتاحية مما يسهم في بناء النص دلاليا وذلك بإقامة توازن بين المعلومات الجديدة والقديمة في النص. كما يعد التكرار أحد العوامل التي ترتبط بالقدرة على الفهم ، وذلك لأن الفهم يكون أسرع في حالة استخدام التكرار بنفس الألفاظ . وتتنوع صور الروابط التكرارية في أشكال متنوعة نذكرها باختصار وهي⁵ :

ب- أنواع التكرار:

القاعدة العامة التي تتضمنها كل أنواع روابط التكرار عامة ، هي أنها تسمح للمتكلم أو الكاتب أن يذكر شيئا جديدا عن هذا الشيء المتكرر ، وقد قدم **هاليداي ورقية حسن** أربعة أنواع للتكرار هي:

- تكرار نفس الكلمة.
- الترادف وشبه الترادف .
- الكلمة الشاملة.
- الكلمة العامة.

1- محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص:24.

2- المرجع السابق ، ص:105.

3- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص:304.

4- ينظر: michaelhoey patterns of lexis in text p 440

5- ينظر: عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 106. وينظر : أحمد عفيفي اتجاه جديد في الدرس النحوي : 106.107.108.

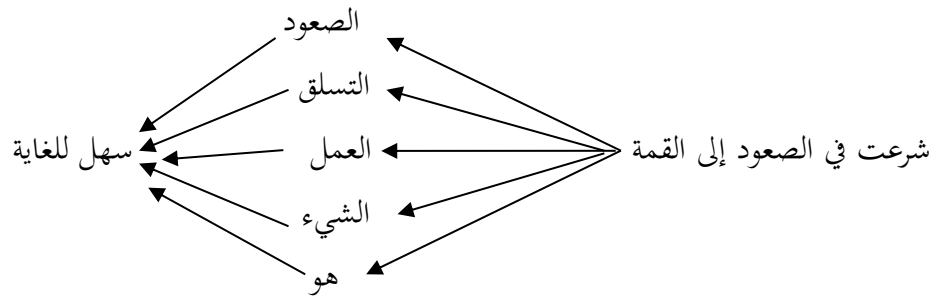
لابد لنا أن نفصل في أنواع التكرار وسنتطرق إلى النوع الأول :

تكرار نفس الكلمة: يندرج تحته ثلاثة أنواع وهي :

- التكرار المباشر ويسمى (التام أو التكرار المعجمي البسيط).
- التكرار الجزئي ويسمى (التكرار المعجمي المركب)
- الاشتراك اللفظي .

التكرار المباشر للعنصر المعجمي: يشير إلى أن المتكلم يواصل الحديث عن نفس الشيء ، بما يعني

استمراره عبر النص ، أي تكرار العنصر المعجمي دون تغيير . ومثاله ما أورده الأستاذ محمد خطاي¹ :



كلمة (الصعود) تعتبر إعادة لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى ، و(التسلق) مرادف (لالصعود) ، و(العمل) اسم مطلق أو اسم عام ، يمكن أن يدرج فيه الصعود ، أو مسألة الصعود ، و(الشيء) كلمة عامة تندرج ضمنها أيضا (الصعود)² .

التكرار الجزئي: ويعني استخدام المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصريفي) مع نقلها إلى فئة أخرى ، مثل : (ينفصل ، انفصال) ، (يحكم ، حكم ، حكومة) حيث يشترك عنصران معجميان في مورفيم معجمي واحد.

الاشتراك اللفظي: هو تكرار معجمي لكنه يختلف عن التكرار بمفهومه المعروف ، ففي الاشتراك اللفظي يتكرر استعمال كلمتين بمعنيين مختلفين ، مثل (ولى ، ولى) بمعنى ذهب وبمعنى حكم ، وهنا نلاحظ اتفاق اللفظين شكلا واختلافهما في المعنى³ .

ج- الترادف أو شبه الترادف:

يعد الترادف وسيلة أخرى من وسائل تماسك النص ، عن طريق استخدام كلمات لها معنى مشترك ويرجع استخدام الترادف بدلا من التكرار المباشر للكلمة إلى نفي الشعور بالملل والضجر ، حيث إن المرادف

¹ - ينظر: محمد خطاي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 24.

² - ينظر: محمد خطاي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 24، 25.

³ - وذلك في المثال: الآتي: قدم آخر على صاحب له من فارس فقال له : قد كنت عند الأمير ، فأبى شيء ولاك؟ قال: ولاني قفاه . ينظر : روبرت دي بوجراند وولفغانغ دريسلر ، مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد ، ص: 85 .

المستخدم يضيف على المحتوى تنوعاً¹، وقد أطلق عليه دي بوجراند ودريسلير مصطلح (إعادة الصياغة) قاصدين به تكرار المحتوى ، ولكن بنقله بواسطة تعبيرات مختلفة مثل (يكتشف، يبتعث) ، وفي معرض الحديث عن هذه الوسيلة أشار الأستاذ حلمي خليل إلى أن الترادف ينقسم إلى قسمين:

- **شبه الترادف:** يكون فيه التشابه الدلالي واضحاً ، بين كلمتين أو أكثر ، ولكن يوجد اختلاف بينهما حيث تستعمل كلمة في سياق معين ، ولا تصلح الأخرى في نفس السياق ، بالرغم من أن لهما نفس المعنى مثل كلمة (بيت ومنزل) ، فنحن نستطيع أن نقول : الجامعة العربية بيت العرب ، ولا يمكن أن نقول الجامعة العربية منزل العرب .

- **الترادف المطلق:** يقع في حالة التطابق التام والمطلق ، بين كلمتين أو أكثر ، فيما تشير إليه في الواقع الخارجي والدلالات التي توحىها أيضاً ، وهذا النوع نادر في اللغات ويمكن التمثيل له بالمزاوجة بين الكلمات الأجنبية ومرادفاتهما العربية مثل: (هاتف، تلفون) (راديو، مذياع) ..

د- الكلمة الشاملة:

يقصد بالكلمة الشاملة أن إحدى الكلمات تشير إلى فئة ، والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة مثل الربط بين الكلمتين (دولة ، الجزائر) ، حيث إن الجزائر مثال محدد للكلمة الأكثر تعميماً وهي كلمة (دولة) فهذه الكلمة يطلق عليها كلمة شاملة ، والكلمة الأكثر تحديداً وهي هنا (الجزائر) ، يطلق عليها كلمة منضوية أو كلمة مشمولة ، وقد تشتمل الكلمة المنضوية على كلمات تنضوي تحتها فلو قلنا مثلاً : الكائنات الحية (فهي البكتيريا الحيوان، النبات ..) ، فالكلمة الشاملة هي الكائنات الحية ، والكلمة المنضوية مثلاً الحيوان وتنضوي تحت كلمة الحيوان كلمات أخرى منها الزواحف والثدييات .. والثدييات تشتمل على كلمات منضوية منها ثدييات البحر والإنسان... فهذه طريقة أخرى للربط بين الكلمات في النص تعمل على خلق التماسك² .

هـ - الكلمة العامّة:

هي مجموعة صغيرة من الكلمات لها إحالة عامة وتستخدم كوسيلة للربط بين الكلمات في النص مثل كلمات (مشكلة ، سؤال ، فكرة ، أمر ما ، مكان) أو كلمات (قصة ، خطاب ، ورقة ، كتاب) ويقسم هاليداي ورقية حسن الكلمات العامة إلى:

- أ- الاسم الدال على الانسان مثل: (الناس الشخص الرجل المرأة الطفل) .
- ب- الاسم الدال على المكان مثل: (مكان موضع ناحية اتجاه) .
- ج - الاسم الدال على حقيقة مثل: (سؤال فكرة شيء أمر موضوع) .

¹ - raphaelsalkie text and discourse analysis p9

² - ينظر: حلمي خليل ، الكلمة دراسة لغوية معجمية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، 1998م ، ص: 124.125.

هذه الكلمات محدودة في العدد وتلعب دورا في الإحالة باعتبارها نوعا من الترادف ، فهذه الأسماء لها معنى عام ولهذا يمكن تفسيرها من خلال الإحالة إلى عنصر آخر ، وهنا يتضح لنا دورها الهام في جعل النص يترابط مع بعضه البعض .

بعد أن أشرنا إلى وسيلة التكرار وبيننا أنواعها وذكرنا أهميتها في إحداث التماسك النصي على المستوى المعجمي ننتقل إلى الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق المعجمي وهي :

و- التَّضَام:

يسمى أيضا بالتلازم (**Collocation**)، وتعني هذه الكلمة حرفيا وجود توجه بعض الكلمات نحو التجاوز مع كلمات أخرى في النصوص ، إذ يستدعي ذكر أحدهما ذكر الآخر لوجود علاقة بين اللفظين ، ومن ثم لا يأتیان إلا معا "ويختلف التضام عن التكرار من حيث إنه لا يتأسس على الاتساق المعجمي ، ولكن على انتماء الوحدات المعجمية إلى حقول دلالية أو فضاءات دلالية مشتركة ، فهو بهذا ذو طابع تألفي" ¹ ، ويتم ترابط هذه الوحدات بواسطة علاقات دلالية مختلفة ، ولا يرتبط التضام بالطبيعة الدقيقة للعلاقة بين الوحدات ، وإنما يرتبط بمسألة انتماء الوحدات المعجمية إلى الفضاء الخطابي نفسه ، ويمكن أن يتحقق التلازم والتضام بين فعل واسم أو بين فعلين أو بين اسمين ، لأن تعاليق هذه الوحدات متأت من انتمائها إلى الفضاء الخطابي نفسه ، وهذه العلاقات الحاكمة للتضام متنوعة ² ، فقد تتخذ أشكالا متعددة كالتضاد أو التنافر أو علاقة الجزء بالكل أو علاقة الجزء بالجزء أو الارتباط بموضوع معين أو الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة .

يعد التضام من أكثر الأنواع صعوبة في التحليل حيث يعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات في سياقات متشابهة ، بالإضافة إلى فهم تلك الكلمات في سياق النص المترابط ³ . وقد أشار كل من هاليداي ورقية حسن إلى أشكاله ، نورد بعضا منها تحقيقا للفائدة:

- الارتباط بموضوع معين: حيث يتم الربط بين العناصر المعجمية ، نتيجة الظهور في سياقات متشابهة

(المرض ، الطيب) (النكتة، الضحك) .

- التقابل أو التضاد: حيث تترايط الكلمات مع بعضها البعض ، من خلال أشكال التقابل بأنواعها

المختلفة ، المكملات مثل : (ولد ، بنت) والمتعارضات (يحب ، يكره) والمقلوبات (أمر ، يطيع) ، ويتم الربط بها من خلال توقع القارئ للكلمة المقابلة ، فالكاتب يساعد القراء على الإبحار داخل النص ، من خلال سلاسل الكلمات المترابطة التي تخلق التماسك في النص.

- علاقة الجزء بالكل: مثل : (صندوق، غطاء الصندوق) ، (الحجرة ، المنزل) .

- علاقة الجزء بالجزء: مثل: (فم ، ذقن) ، (أنف ، عين).

¹- ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن ، ص: 264.

²-أحمد عفيفي ، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 112.

³- ينظر: عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 109.

- الاشتمال المشترك: مثل (كرسي ، منضدة) ، (بمشي، يقود) حيث إن كلا العنصرين يُشتملان في مجال مشترك فالكلمتان (كرسي ، منضدة) ، كلمتان تشتمل عليهما وتجمعهما كلمة (أثاث).
- الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة: وتشمل أزواج من الكلمات لها ترتيب معين مثل الكلمات الدالة على أيام الأسبوع (الجمعة، السبت، الأحد...) .
- الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة: مثل مجموعة الكلمات الدالة على الألوان (أحمر، أخضر) .

بعد أن استعرضنا مفهوم التضام- في الثقافة الغربية- وأشكاله ودوره في تحقيق اتساق النص ، سنورد تداول المصطلح ومفهومه في الثقافة العربية مقتصرين على مقاله الباحث محمد مفتاح ، فقد استعمل الباحث مصطلحا آخر عبر فيه عن مفهوم التضام إذ أسماه (التشاكل) وهو يقوم عنده على "تحديد المفاهيم كتضام لمقومات أو خصائص ، وقد وظف هذا التحليل في الأنثروبولوجيا وفي اللسانيات ، وفي علم النفس للحصول على معلومات حول الخصائص العميقة لحقل مفهومي معين في استعمال لغوي ، ولإثبات الاختلاف والتماثل بين الثقافات ، وللبحث عن البنيات المعرفية الكامنة خلف الأنساق المعجمية لمجتمع ما ، ولإثبات انسجام رسالة النص"¹ ، كما أن التوارد الاضطراري للوحدات المعجمية، ينتج عنه المحور الأفقي للخطاب ، مما يؤدي إلى مسار تصويري ويقصد بالتصوير كل علاقة تدرك إحدى الحواس الخمس ، وتكون منتمية إلى العالم الخارجي، كما ينتج عن التوارد الاضطراري والاختباري ، في آن واحد موضوعات متسببة من خطاب ، هذه الموضوعات تكون مفاهيم مجردة خالصة مثل المحبة أو الكراهية"² ، ومن خلال توضيح محمد مفتاح لمفهوم التشاكل يتضح لنا وللقارئ أنه جعل هذا المصطلح مرادفا لمصطلح التضام .

نستخلص مما سبق أن العلاقات المعجمية بين الكلمات مصدر للربط ، حيث يوجد ربط لفظي بين أزواج من العناصر المعجمية التي تظهر مع بعضها البعض في علاقة معجمية دلالية يمكن إدراكها "ويكون للقارئ دور بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي"³ ، وعلى معرفته بمعاني تلك الكلمات ومدى ارتباط هذه الكلمة بهذه المجموعة أو تلك.

ثانيا: الانسجام النصي وأدواته:

إنّ البحث في كيفية تماسك النص لا يقتصر فقط على دراسة وسائل الربط اللفظي، بل يتعداها إلى دراسة وسائل أخرى للتماسك ، تتجاوز الوسائل الصوتية والمعجمية والنحوية ، إلى مستويات أعلى من التحليل كالمستوى الدلالي والبراهماتي أو ما يطلق عليه دي بوجراند ودريسلر (coherence) وهو أحد المعايير السبعة

¹ - محمد مفتاح ، التشابه والاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1996م ، ص: 132.133.

² - المرجع نفسه ، ص: 133.

³ - ينظر: محمد خطايي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 25. وينظر: أحمد عفيفي ، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي

ص: 113.114.

للنصية ، ومن هنا فإن هذا المعيار يهتم بدراسة المعنى ووصفه، والمعلوم أن الاتساق خطوة أساسية لتحقيق الانسجام ، وهذه أهم خاصية يتميز بها الانسجام تجعله "أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي ، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده"¹ ، لذلك فقد وجهت الدراسات اللسانية النصية اهتمامها بالأدوات التي تسهم في انسجام النصوص ، كمبدأ الاشتراك ، والعلاقات وموضوع الخطاب والبنية الكلية، والتأويل، والتغريض...

وقد دفعنا الحديث عن الانسجام إلى طرح إشكاليات تتعلق به ، التي يروم بحثنا هذا أن يجيب عنها فما المقصود بالانسجام؟ وماهي الوسائل التي على أساسها يكون النص منسجما؟ وهل المدونات التي اخترناها للتطبيق تتوفر على أدوات الانسجام؟ وهل هناك فرق بين الاتساق والانسجام؟ وللإجابة على هذه الأسئلة سنحاول التطرق إلى آراء العلماء حول الانسجام ، ومحاولة تطبيق أدواته في المدونات التي وقع اختيارنا عليها.

أ- الانسجام لغة:

أورد ابن منظور في لسان العرب (مادة سجم) : "سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه سجما وسجوما وسجمانا ، وهو قطران الدمع وسجمانه قليلا كان او كثيرا... والعرب تقول دمع ساجم ، ودمع مسجوم سجمته العين سجمًا... وكذا عين سجوم ، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم أي انصب ، وسجّمت السحابة مطرها تسجيما وتسجاما إذا صبته... وسجم العين والدمع يسجم سجوما إذا سال وانسجم ، وأسجمت السحابة دام مطرها"².

دلت مادة سجم على معنى الانصباب والسيلان ودوام المطر ، والمتعمّن في هذه المعاني اللغوية يمكن له أن يربط بينها وبين المعنى الاصطلاحي ، ذلك أن أفكار النص تتدفق بانسجام وفي حالة استمرار حيث تستدعي الأفكار بعضها البعض ، في حالة تشابه لانصباب الماء بانتظام وتناغم .

ب- اصطلاحا:

إنّ دراسة اتساق وانسجام النص تشكل موضوع اللسانيات النصية التي تدرس الكيفية التي بمقتضاها تشكل سلسلة من الجمل وحدة ونصا ، هذا التشكل يعكسه الاتساق من جهة كما يعكسه الانسجام من جهة أخرى حيث يعتمد أحدهما على الآخر ، وفي هذا يقول مانغونو " إن الاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطية النص

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 6.5.

² - ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد 12 ، ص: 280.

(**Linéarité**) ، في حين الانسجام يعتمد على الاتساق ، غير أنه يقحم قيودا عامة غير خطية ، مرتبطة خاصة بالسياق ، ونوع الخطاب "1 ، وهذا ما يعني استحالة الفصل بينهما.

ظهر مصطلح الانسجام في الدراسات الغربية بلفظ (**coherence**) ويعني الالتحام "وهو يتطلب من الاجراءات ماتتنشط به عناصر المعرفة لايجاد الترابط المفهومي واسترجاعه ، وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف ، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الانسانية ، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم "2 فهو يدرس ماتتصف به مكونات عالم النص أي تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يستند إليها ظاهر النص من وثاقه صلة وسهولة تواصل فيما بينها"3 وهو أيضا "معياري يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"4 .

ولكي يكون النص منسجما ، يرى مانغونو أنه يجب ربطه بقصد شامل ، أي إلى غاية (إنشائية) محايثة لنوع خطابها ، فانسجام النص يتم من خلال طرق مختلفة ، وهذا وفق طبيعة الملفوظ (إشهار ، وصفة أكلة ، قصيدة...) وهذا يعني أن الحكم يقضي بأن النص منسجم ، أو غير ذلك قد يتغير وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق"5 .

وأما جون ماري سشايفر فإنه يرى أن الانسجام " لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني ، ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية ، يضمن الانسجام التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام ، وهذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناء عقليا "6 ، هذا البناء العقلي يتشكل على صورة جسر بين النص وبين المتلقي ، وعلى أساس قدرة المتلقي على فهم النص وتفسيره والكشف عن غوامضه ، اعتمادا على معارفه وخبراته وتطبيقه لاستراتيجيات متباينة يأخذها من النص ، على أساسها يتحقق الانسجام"7 ، "ذلك أن بعض الأحكام التي تصدرها حول الانسجام ترتبط بالمعارف التي يملكها المساهمون في فعل التواصل عن العالم ، وهذه المعارف هي التي تسمح للمتلقي بإصدار أحكام عن انسجام أو عدم انسجام خطاب ما . ولا يكفي أن يكون الخطاب مؤسسا لغويا أي مبنيا بناء سليما حتى نحكم عليه بأنه منسجم ، بل إن هذا البناء السليم يحتاج إلى معطيات خارجية حتى يحظى بالقبول عند المتلقي"8 .

1- دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب ، ترجمة: محمد بيجاتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2008م ، ص: 18.

2- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 103.

3- روبرت دي بوجراند وولفغانغ دريسلر ، مدخل إلى علم لغة النص ، ص: 27.

4- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1198م ، ص: 141.

5- ينظر: دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب ، ص: 20.

6- منذر عياشي ، العلاماتية وعلم النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2004م ، ص: 133.

7- ينظر: فولفغانغ هاينه من وديتر فيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 154.

8- مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن ، ص: 36.

تشير هذه المفاهيم إلى جملة الأفكار والمعلومات والمعاني التي ينتجها صاحب النص ، ويقوم مفسر النص (القارئ) اعتماداً على آليات التأويل والقياس بإيجاد حلقات وصل تربط هذه الأفكار ، اعتماداً على معارفه القبلية لذا "يفحص العلاقات الاجتماعية والعاطفية التي توجد مع منتج النص"¹ ، هذا من جهة ومن جهة أخرى يبحث عن الانسجام في النص متخذاً حالة التفاعل بينهما دليلاً على ذلك لأنه محلل و "محلل الخطاب لا يقرأ نظريات وإن كان واعياً بما يفعل ، ثم يلصقها إصاقاً بما يقرأ ، وإنما عليه أن يستضيف النص ، ويعقد معه صلات حميمية ليتعاونوا معاً على إنجاز مهمة الفهم والتأويل"² ، ولكي يحدث الارتباط الوثيق بين النص والمتلقي يعتمد هذا الأخير على خبراته المعرفية لأنه "لا يذهب إلى النص ، وهو عبارة عن صفحة بيضاء ، وإنما تكون له معلومات مختزنة في ذاكرته تسمح له بالتعميم اعتماداً على مبدأ النظير ، كما تسمح له بإعادة الرأي في قياسه ، وتصحيح بعض أجزائه"³ ، مما يتيح للقارئ القدرة على قراءة النص كوحدة متكاملة، ويمنحه حرية الانتقال بيسر بين جمل النص .

وعلى هذا الأساس فإن النص ينسجم "عندما يمكن للقارئ أن يتحرك بسهولة من جملة إلى أخرى ويقرأ النص كوحدة واحدة وليس مجموعة من الجمل المنفصلة ، فالانسجام هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص"⁴ ، و"النص ليس إنتاجاً فقط، بل عملية تفاعل بين القارئ والنص أو أنه عملية إثارة وتحقيق للميول ، فلدى القارئ شهوة نحو صنع الانسجام ، هذه الشهوة نتيجة المقبولية ، حيث تتولد خلال قراءة النص رغبات متوالية تدفع لاستكمال القراءة ، فيكون النص مفجراً للرغبات. ومن ثم تعد القراءة عملية تفسير وتفاعل في ذات الوقت سواء كانت من أسفل إلى أعلى من خلال الحروف والكلمات والعبارات أو من أعلى إلى أسفل من خلال المعرفة المسبقة والتوقعات"⁵ .

إنَّ الحديث عن الانسجام يلزمنا ذكر مفهومه عند **هاليداي ورقية حسن** فقد صرحا بأن "الانسجام مفهوم دلالي يشير إلى العلاقات الدلالية التي توجد ضمن النص وتعرفه بأنه نص"⁶ ، وقد مس حديثهما عن أدوات الانسجام الجانب الشكلي فقط، الذي له علاقة بالجانب الدلالي ، ولكن وصفهما لم يتعلق ببنية النص الدلالية ولا الروابط الدلالية بين قضايا النص بل اقتصر وصفهما على العلاقة الشكلية الدلالية التي لا تتعدى سطح النص⁷.

¹ - فولفجانج هاينه من وديتر فيفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 154.

² - محمد مفتاح ، دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 1990م ، ص: 42.

³ - محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص: 42.

⁴ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 184.

⁵ - المرجع نفسه ، ص: 184.

⁶ - ينظر: Cohesion in English-p04Halliday Ruqaiya Hasan.

⁷ - ينظر : جمعان بن عبد الكريم ، إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، ص: 179.

وقد دفع ذلك فان دايك إلى توجيه انتقاد لوصف هاليداي ورقية حسن للانسجام ، فقد وصف طريقة تعاملهما مع الانسجام بأنها محدودة ومقتصرة على سطح النص ، ولاتتجاوز البنى الشكلية المنظمة لظاهر النص فقد قدم فان دايك مفهوما موسعا للانسجام، ركز فيه على المفهوم والدلالة ، فالانسجام عنده نوع مخصوص جدا إنه "مجموعة الشروط التي تحدد العلاقات أزواجا ، أي ضروب التعلق والتبعية بين الأحداث ، كما تعبر عنه الجمل المؤلف وما تركب منها ، ولها صلة بعالم ممكن وموضوع تحاور ممكن"¹، ولكي يُحاط بالانسجام من جميع جوانبه لابد من الالتزام أثناء تحليل النصوص بالأبنية الصغرى والأبنية الكبرى ، وهي موزعة عنده على الترتيب بين البنية السطحية والبنية العميقة ، فهو قد "استخدم في تحليله للنص مفهوم الأبنية النحوية الصغرى ، وهي أبنية تظهر على سطح النص، والأبنية الدلالية المحورية الكبرى ، وهي أبنية عميقة تجريدية"² .

وعلى هذا الأساس يُوصف النص بالانسجام ويُحكم عليه بذلك ، أي عندما تتجسد الأبنية النحوية الصغرى شكليا على سطح النص ويُجمَع بينها وبين الأبنية الدلالية الكبرى العميقة و المجردة . والرأي ذاته تبناه دريسلر ، وأضاف عليه جزئية التفريق بين الاتساق النصي الذي يتمثل في أوجه الترابط النحوي على سطح النص وبين الانسجام النصي في البنية الدلالية المحورية للنص ، وبين المفاهيم والتصورات والعلاقات الأساسية في عالم النص ، بمعنى البنيات المعرفية لهذه المفاهيم وأوجه الربط بينها وكل أوجه فاعليتها في النص أيضا³.

إنَّ الانسجام لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني ، وإنما يتعلق بتصوير المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية ، وقد بيّن جون ميشال آدم ذلك عندما اعتبر أن الانسجام "يضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام ، وهذا يفترض قبولاً متبادلاً للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناء عقليا . ويمكن للروابط بين المتصورات أن تكون طبيعية مختلفة ، كالسببية والغائية والقياسية"⁴ . يعكس هذا التعريف صورة الانسجام الذي يتحقق عن طريق تتابع وتدرج المعاني حول موضوع ما شرط أن تحقق هذه المعاني التي تشكل عالم النص قبولاً عند القارئ ، لأن النص "بنية موسعة من الوحدات التركيبية وهي موسومة بالانسجام بين عناصرها"⁵ ، وهذا ما يفسر النظرة إلى النص على أنه تتابع منسجم من الجمل .

إضافة إلى كل ما قيل فإن استعمال كلمة (انسجام) تعكس مفهوميين متقابلين ، الأول يتعلق بمجموع الخصائص التي تجعل نصا ما ملائما للنصية وينظر إليه على أنه كلٌّ يؤدي إلى فعل تواصلية ناجح ، والثاني أكثر تقنية وهو يلامس كثيرا حدود الاتساق ، فهو ينظر إلى النص على أنه تتابع جمل ، ويتجاوز حدود التعامل مع

¹ - فان دايك النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص: 179.

² - ينظر : سعيد حسن بحري ، علم لغة النص ، ص: 152.

³ - ينظر : سعيد حسن بحري ، علم لغة النص ، ص: 152.

⁴ - ينظر: أوزوالد ديكور، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ترجمة: منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، ص: 541. وينظر:

منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، ص: 133.

⁵ - ينظر :مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 99.

الروابط الشكلية بين الجمل ، إلى روابط غير شكلية تتأسس على نظرة لهذه الجمل على أنها وقائع أو أحداث تتعاقب فيما بينها كالعلاقات السببية ، وعلاقات التتابع الزمني.

نستخلص مما سبق أنّ معيار الاتساق يرصد تحقق الاستمرارية على سطح النص ، بينما معيار الانسجام يرصدها على صعيد أعلى هو عالم النص ، هذه الاستمرارية الدلالية يشكل معالمها تفاعل القارئ مع النص ويظهر ذلك من خلال منظومة الأفكار الموجودة في النص ، والعلاقات الرابطة بينها . ثم إن مفهوم الانسجام في حد ذاته لا يعدو أنّ يكون مقارنة لمفهومه ، وقد وقفنا على الآراء المختلفة التي حاولت تحديد مفهومه ، وقد مثل كل منها منحى مستقل على الرغم من اشتراكها في الخطوط العريضة لمظاهره ، ولكن يبقى تعميم مظاهره وآلياته على دراسات متعددة صعبا .

اعتبر (palek) (1979م) وجوب الاهتمام بصورة ائتلاف الجمل في النص ، وماهي الصور التي نعتبرها توليفات طبيعية ، والبحث عن الأسباب التي تجعل الجمل لا تقبل أي ضرب من ضروب التوزيع في النص . وفي السياق ذاته فقد أشار (conte) (1977م) إلى أن انسجام النص ليس مجاله التتالي الخطي الأحادي البعدي للأقوال إنما مجاله تنظيم تراتبي متعدد الأبعاد ، وأنت متى تناولت العلاقات بين الأقوال لاحظت أنها قائمة على أبنية وأشكال ، وأنت واجد إلى هذا حديثا عن الأبنية النصية ، وأما فان دايك (van dijk) فقد أشار إلى أن فهم الأقوال يقتضي اعتماد أوليات قائمة على ضروب مختلفة من الأبنية النصية ، فالمخاطب في إقامته لمختلف علاقات الانسجام بين الجمل يعتمد على أطره الإحالية **cadres** ، ومعرفته بالعالم على نحو يمكنه من إكمال العلاقات الناقصة¹.

ج- بين الاتساق والانسجام:

ذكر دي بوجراند أنه من المفيد أن نميز بين الاتساق باعتباره نصية قائمة على الصياغة ، والانسجام باعتباره نصية قائمة على نقل المعلومات **information** ، واستقامة الفصل بينهما تمكنا من اعتبار الاتساق من مظاهر النحوية ، والانسجام من مظاهر المقبولية . ودراسة الاتساق هي بالأساس دراسة علامات تحقق الانسجام وقرائنه المتحققة باللفظ ، ويمكن ألا يعتمد الانسجام إلا على عدد قليل من القرائن اللفظية ، بل إنه قد يتحقق دون توفر أي قرينة من القرائن ، كالضمائر والتسمية الإشارية والمطابقة بين الأفعال في الزمان والجهة ، وهذا يعني أن ظهور أدوات الربط ليس ضروريا لانسجام النص . وقد تأسس هذا الطرح على اعتبار مظاهر الترابط اللفظي عاملة في مستوى الجملة ، أو بين الجمل ، ومظاهر الانسجام التي ليس لها عماد لفظي عاملة على مستوى تكوين النص² .

¹ - ينظر: محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج1 ، ص: 105.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ج1 ، ص: 109.

للانسجام دور في تمييز النص مما ليس نصا ، إذ يعتبر قيودا من قيود حد النص بحسب رأي (ازنبرغ isenberg) فهو متتالية منسجمة من الجمل ، وبالوقوف على معالم الاتساق داخل نص ما ، تبرز لنا النصية من عدمها، كما يظهر مدى التماسك الدلالي في ترابط المتتاليات الجملة بعضها مع بعضها الآخر ، لكن هذا المفهوم غير كاف للوقوف على الخطاب، وهذا مايعزز الضرورة الملحة لوجود آلية تحدد المعطيات السابقة الذكر للدخول إلى عالم النص وتقديمه على شكل خطاب فعال في إطار من التفاعل الواعي بين المبدع ومتلقيه لذلك اضطلع جانب الانسجام بمثل هذا الدور ليسهم في رتق ما يحدث من اختلال في الجانب الاتساق في النص على الرغم من أن الاتساق لا يكون من داخل النص ذاته ، وإنما هو تصور يمكن أن يكونه المتلقي على اعتبار أنه لا يوجد "نص منسجم في ذاته ، ونص غير منسجم في ذاته ، باستقلال عن المتلقي ، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم"¹ ، وعلى هذا فإن النص لا يملك مقومات انسجامه في ذاته ، ولكي تتحقق انسجاميته لا بد أن يكون مقبولا للفهم والتأويل، لذلك فقد حثت نظريات تحليل الخطاب على ربط النص بسياقه وربطه بعملية الانسجام.

وهنا لا بد من الإشارة إلى جهود كل من براون ويول ، فقد التزاما بوضع مجموعة من المبادئ التي تسهم في تحليل الخطاب وخلق الانسجام ، فهما يجعلان المتكلم/الكاتب والمستمع/القارئ ، في قلب عملية التواصل . و "لا يعتبران انسجام الخطاب شيئا معطى ، شيئا موجودا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه، وإنما هو في نظرهما، شيء يبنى"² ، والذي يبنى هذا الانسجام هو المتلقي لأن له القدرة على أن يحكم على نص ما بانسجامه أو بعدم انسجامه ، وهما بذلك يفعلان دور المتلقي ويعززان عمله في الكشف عن انسجام النص على مستوى التأويل المقترن بالقارئ وليس على مستوى انسجام النص في حد ذاته. لذلك فقد حرصا على كشف هذه المبادئ وعلى ضرورة توفرها ، لأنها تساعد المتلقي على الفهم والتأويل المناسبين بحسب مقتضيات الاستعمال والمقام، ومن المبادئ الأولى التي ذكرها مبدأ الفهم (التأويل) المحلي "ووفقا لهذا المبدأ فإن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما"³ ، فالمستمع يعتبر ماتقدم من الخطاب لتقييد التأويل المناسب .

وقد أشار براون ويول إلى أن التأويل المحلي يقوم أيضا على ما يقيمه المستمع من التشابه بين ماتقدم ذكره وما حصل لديه من تجارب سابقة⁴ ، "وقد وجد المؤلفان في هذه النقطة الأخيرة مطية للتخلص إلى الحديث عن مكون آخر من محققات الانسجام في نص الخطاب أطلقا عليه اسم التشابه"⁵ ، وهما يربطان بين هذا المبدأ بمبدأ

¹ - محمد خطاي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 51.

² - المرجع نفسه ، ص: 51.

³ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ، منير التريكي ، النشر العلمي ، جامعة الملك سعود، ص: 71.

⁴ - عرض المؤلفان مثلا لتوضيح مبدأ التأويل المحلي بنظر: محمد خطاي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 56. وينظر: محمد

الشاوش أصول تحليل الخطاب ، ج 1 ، ص: 168.

⁵ - محمد الشاوش أصول تحليل الخطاب ، ج 1 ، ص: 169.

التأويل ، وذلك باعتبار أن الانسجام يتشكل عن طريق تجاربنا الحياتية ، ومن ثم في تجربتنا مع الخطاب ، ولا يمكن لخطاب ما أن يتميز عن الآخر مطلقا بل قد تتشابه الخطابات وإن اختلفت صور الكتابة وأساليب التعبير " ، ومن هذا المنطلق يعد مبدأ التشابه أحد الاستكشافات الأساسية التي يتبناها المستمعون والمحللون في تحديد التأويلات في السياق"¹ .

يضاف إلى هذين المبدأين مبدأ **التغريض** الذي يسهم في ترابط الخطاب ، ومساعدة القارئ على التأويل كما أن هناك أيضا عمليات تساعد في تحقيق الانسجام ذكرها **براون ويول** وهي المعرفة الخلفية ، والأطر والمدونات والسيناريوهات والخطاطات والاستدلال².

فالذي يحكم على انسجام نص من عدمه هو المتلقي ، لأنّ "المتكلمين/الكتّاب هم الذين يطرحون موضوعات وفرضيات ويضعون المعلومات التي لديهم بنية معينة... وأنّ السّامع/ القارئ هو الذي يقوم بعملية التأويل والانسجام"³ ، ولتحديد المبادئ والعمليات التي يشغلها المتلقي بهدف اكتشاف انسجام أو عدم انسجام خطاب ما انطلق **محمد خطابي** من افتراضين⁴ :

الأول: أنّ الخطاب لا يملك مقومات انسجامه في ذاته ، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات .

الثاني: أنّ كل نص قابل للفهم والتأويل هو نص منسجم والعكس صحيح .

وبالنسبة **لفان دايك** فقد أولى ترتيب الخطاب أهمية كبيرة واعتبره جزءا أساسيا في بناء الانسجام ، محددًا العلاقات التي تسهم في ترتيب الخطاب ، منها الإدراك والاهتمام ، وقد ربط بين هذه العلاقات وبين أنواع الخطاب مشيرًا إلى القالب أو النموذج الخطابي الذي يتميز بالانتظام والتسلسل والتناسب "فالجمل لا تؤول حسب نماذج معزولة بل متناسبة ، لكون تأويل الجمل المترابطة مندرجة في نماذج متصلة، وإنما تتحد العلاقة الموجودة بين الجمل باعتبار هذه التأويلات"⁵ ، ومما يحقق الانسجام عند **فان دايك** إضافة إلى ما أشار إليه التوازي بين الخطابات ، فالتام يقابله الصريح ، والناقص يقابله الضمني⁶ ، وهذا الذي يؤدي إلى التماسك المعنوي وافتراض الترابط بين الجمل من قبل القارئ ، وهذا الطرح أشار إليه **براون ويول** أيضا حينما قالوا "ونحن نعتمد كذلك على مبدأ ما يقول بأن تجاوز مقاطع لغوية يؤدي بنا إلى فهمها على أنها مترابطة حتى في غياب أدوات رابطة بينها"⁷.

¹ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 58.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 61.

³ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومينر التريكي ، جامعة الملك سعود ، 1997م ، ص: مقدمة الكتاب (ك) .

⁴ - ينظر: ينظر المرجع نفسه ، ص: 52.

⁵ - فان دايك النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص: 140.

⁶ - ينظر: فتحي رزق الخوادة ، تحليل الخطاب الشعري ، ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا لمحمود درويش ، جامعة مؤتة الأردن

2005م ، ص: 19

⁷ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 268.

من هنا يمكننا أن نشير إلى أن ما جاء به براون ويول يقوم على اعتبار "أن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه"¹.

ثالثاً- آليات الانسجام:

أ- موضوع الخطاب :

يسهم موضوع الخطاب في الكشف عن مضمونه ، وله دلالة فعالة في ذلك ، لأن انسجام الخطاب يكون وفقاً للوظيفة التي يؤديها فهو "بنية دلالية بواسطتها يُوصف انسجام الخطاب ، وبالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بما تقارب البنية الكلية للخطاب"²، وما يميز هذه البنية أنها كلية تتوفر في كل خطاب، كما أنها تعمل على أن ترتبط أجزاء الخطاب مع بعضها البعض بواسطة المعنى الدلالي الذي يجتمع في بنية الخطاب بأكمله ويعطي ملمحاً على القضية التي يطرحها "أي أن بنية كلية ما لمتتالية من الجمل هي تمثيل دلالي من نوع ما ، بمعنى أن كلا من موضوع الخطاب والبنية الكلية تمثيل دلالي إما لقضية ما ، أو لمجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله"³ ، وبحسب براون ويول فإن موضوع الخطاب هو مفهوم "للتعبير عما هو متحدث أو مكتوب عنه . ويتمثل إغراء هذا المفهوم في أنه يبدو وكأنه المبدأ المركزي المنظم لقدر كبير من الخطاب"⁴ ، وانطلاقاً من هذا الطرح فإن موضوع الخطاب يوصف بأنه نواة النص الذي يجدد مسار الأفكار القائم على موضوع واحد أو عدة موضوعات في نص ما ويتحقق إما في جزء معين من النص ، أو عن طريق العبارة المفسرة الموجزة و المختصرة لمضمون النص⁵ .

أشرنا سابقاً إلى أن موضوع الخطاب بنية دلالية بواسطتها نستدل على انسجام الخطاب ، ويُعزى هذا الاستدلال إلى القارئ مما يؤكد لنا على العلاقة بين القارئ والخطاب ، ويؤدي إلى الكشف عن التمثيل الدلالي الذي يخضع لمهارات المتلقي في التأويل ، إضافة إلى امتلاكه لمجموعة من العمليات والمبادئ التي تضمن له استضافة النص وتفعيل الحوار بينه وبين النص للوقوف على موضوعه ، أو بنيته الكلية ، اعتماداً على المعطيات المتعددة التي يشير إليها موضوع الخطاب التي تُرد إلى عناصر داخل الخطاب في حد ذاته ، وهي تحفز القارئ وتلح عليه للكشف عن علاقاتها ، والوقوف على مقاصدها ، والإلمام بجزئياتها قصد الوصول إلى الكل الموحد ، الذي يشيده المتلقي مع التكاتف مع نصه ومعرفته السابقة وعالمه الخارجي "على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطى .. وإنما هي مفهوم مجرد حدسي ، به تتجلى كلية الخطاب ووحدته"⁶.

¹ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 56.

² - المرجع نفسه ، ص: 42.

³ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 44.

⁴ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 90.

⁵ - ينظر: كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، ترجمة: سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط 2 ، 2010م ، ص: 84.

⁶ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 46.

إنّ موضوع الخطاب يعد مركزاً أساسياً تدور حوله الأقوال التخاطبية التي تستمد منه عملية الامتداد عبر كامل النص ، وهذا ما يجعلنا نعتبر أنّ الموضوع "طريقة يستسيغها حدسنا اللغوي ، وتمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثاً عن شيء ما"¹ ، وليس من الغريب أن تكون مدخلات الانسجام مختلفة عن غيرها من المدخلات الخاصة بدراسة الروابط النصية ، ذلك أنّها تستمد أدواتها من الخارج ، "لأنّ انسجام النص مبدأ كلي إنّ لم يبين نفسه فإنه علينا أن نبنيه"² ، ومهمة البناء منوطة بالمتلقي لأن له القدرة على الوقوف على بنيات النص المختلفة ، ورصد نقاط الالتقاء حول الهدف الأساسي الموحد لبنية النص الكبرى التي بدورها تتكون من بني صغرى تتعاضد داخل البنية النصية لتشكيل البنية الكلية المؤطرة للمشروع الخطابي للموضوع وذلك لأنّ "البنية الكبرى للنص هي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص"³ ، وهذا ما يجعل من موضوع الخطاب قاعدة لبرمجية النصوص بمعنى توسيع موضوع الخطاب، وتشكيله في نظر المتلقي نتيجة عملية الفهم، لأنّ السامع لا يشكل فهما حقيقياً للخطاب إلا بعد تشكيله لرؤيا كاملة حول موضوع هذا النص⁴.

إنّ مفهوم الخطاب مفهوم جذاب إذ يبدو أنه المبدأ المركزي المنظم لقسم كبير من الخطاب ، لذلك نجدّه يقوم بدور أساسي في تنظيم الإخبار الدلالي في الخطاب، وبالتالي فهو قابل للاستعمال ، ولكي يتم ذلك لا بدّ أن يطعم بمفهومين آخرين اقترحهما براون ويول وهما:

1- موضوع المتكلم.

2- التكلم بشكل وجيه .

يعني مفهوم موضوع المتكلم "أن لكل مشارك في التخاطب موضوعه الخاص ، ولكن موضوعه هذا يصب في الموضوع العام للتخاطب أو إطار الموضوع باعتباره سيرورة يعبر فيها كل مشارك عن موضوع شخصي داخل إطار الموضوع العام للتخاطب ككل"⁵ ، وذلك من خلال الملامح السياقية التي تنعكس على النص بوصفه بناء شكلياً يعكس القول ، وتؤخذ هذه الملامح من الخطاب ذاته أو من السياق المادي كتبديل الشفرة والعلاقات القائمة على توزيع الأدوار في العملية التواصلية ، والأدوات الإشارية كضمير المتكلم (أنا) وضمير المخاطب (أنت) واسم الإشارة (هنا) وظرف الزمان (الآن) ، لأن هذه الأدوات تقع خارج النص ، أما بالنسبة لمفهوم التكلم بشكل وجيه فيقولان عنه "نستطيع القول إن مشاركا ما في خطاب يتحدث بوجهة حين يجعل مساهمته توافق بشدة معظم العناصر الفعلية المدججة في إطار الموضوع"⁶ ، يُفهم من هذا المفهوم لغويا ، أنّ هناك مقابلة وجه لوجه آخر يمثلان العناصر المشاركة في الخطاب ، كما يعتبر هذا المفهوم مبدأ تداولي به ينضبط الخطاب ، ذلك أن

¹ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 85.

² - محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص: 70.

³ - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص: 237.

⁴ - ينظر: فولفجانج هاينه من و ديترفيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 50.

⁵ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 278.

⁶ - المرجع نفسه ، ص: 278.

المتخاطبين يعتمدان على مبادئ كثيرة كالتعاون والتعفف ، وهو أمر مقصود لتخفيف حدة الخطاب التهديدي حتى تسهل علمية التواصل الخطابي¹ ، ولهذين المفهومين دور مهم في تقييد موضوع الخطاب وجعله أكثر ارتباطاً بإطاره العام .

لم يكتف براون ويول بهذين المفهومين فقد أضاف الباحثان إليهما مفهوماً جامعاً لهما ، وهو (التخاطب) الذي يفترض وجود متفاعلين اثنين مشاركين على الأقل في العملية التخاطبية ، ويظهر هذا التفاعل - حسب رأيهما- في الخطاب الشعري الذي يتميز بتعدد الحوارات ، وفي حالة ما إذا انعدم هذا الحوار فإن الشاعر يلجأ إلى تقسيم نضه إلى مقاطع ، بحيث يسهم كل مقطع من خلال علاقته بسائر المقاطع في بناء وتشديد وحدة الموضوع فنحن "إذ نستعمل التخاطب هنا ، فنحن نعني به التخاطب في النص الشعري باعتبار اشتراك الاثنين في أنهما ديناميان وأن معطياتهما تشكل سيرورة، وليس خطابين ثابتين"² .

إنّ تركيزنا على مفهوم التخاطب والوقوف على أهميته في بناء وحدة الموضوع ورصد تمظهراته في الخطاب الشعري مقصود ، من جهة أن هذا النوع من الخطاب يمثل التربة الخصبة التي تمكننا من رصد هذا المفهوم ، إما بشكل جلي وواضح بوجود مشاركين اثنين ، أو أكثر أو بشكل افتراضي من منتج النص (الشاعر) في حد ذاته ومن جهة أخرى وهو أنه سيكون لنا في هذا البحث نصيب لمكونات شعرية يتضح لنا فيها مفهوم التخاطب بشكل أوضح وأجلى .

هناك مصطلح آخر له علاقة بمصطلح التخاطب هذا المصطلح هو (الحوارية) ، وله دور في بناء وحدة الموضوع لأنه يميلنا "على البعد التفاعلي الجم للغة أكان شفويًا أم مكتوبًا ..ومن ثم فإن موضوع الخطاب يصبح لاحتمال الموطن الذي تلتقي فيه آراء المتخاطبين المباشرين"³ ، ومن خلال التقاء هذه الآراء يتضح لنا التفاعل الحواري بين المشاركين ذلك لأن "الحوارية التفاعلية تحيل على التجليات المتنوعة للتبادل الكلامي"⁴ ، ويُعبّر عن المشاركين بذكر أسمائهم أو بالضمائر والأحوال والصفات والأمكنة والأزمنة .

إنّ التحديد الدقيق لموضوع الخطاب ، يفرض علينا الوقوف على آليات بينة وواضحة تكفل التحديد الذي يدل عليه ، إضافة إلى استجلاء إطاره العام ، ثم ذكر التفاصيل الداعمة له باعتبار مبدأ تكاملية الأجزاء ، وهذا ما سنناقشه من خلال تتبع بنية مقارنة لموضوع الخطاب ، وهي البنية الكلية .

ب- البنية الكلية:

يعتمد تفكيك النص على الوحدات المكونة له عن طريق الإدراك السليم لبنيته الكلية ، مما يجعل هذا الإدراك شرطاً ضرورياً لتحليل علاقاته وضبط خواصه ، والنص يتكون من كلمات وجمل ، ولكن أجزاءه الطبيعية ليست مؤلفة من تلك الكلمات أو مركبة من مجموعة من الجمل ، لأن الوقوف عند هذه الوحدات المؤلفة للنص

¹ - ينظر: طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1998م ، ص: 243.

² - المرجع السابق ، ص: 278.

³ - دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب ، ص: 36.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 37.

على المستوى اللغوي الخالص لن يسهم في الكشف عن الخواص النوعية البنيوية المميزة للنص . " فالتحليل النصي إذن يبدأ من البنية الكبرى (الكلية) ، المتحققة بالفعل . وهي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام والتماسك ، ذي الطبيعة الدلالية ¹ ما يجعلها كامنة في البنية الموضوعية للنص ، ومقاربة لها "فمفهوم البنية الكلية يعد بنية مجردة تقارب موضوع الخطاب الذي يعتبره **فان دايك** مفهوما عمليا² ، أي أنّ البنية الكبرى للنص هي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص ، وفي الوقت الذي تحقق فيه السلاسل الجمالية شروط التماسك الخطي ، فإنّ النصوص لاكتفي بتحقيق هذه الشروط لكونها تتابعا جمليا بل لا بد لها من تماسك بنيوي شامل "أمّا كيفية تحديد البنية الكبرى للنص فإنه من الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم وآرائهم . وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر ³ ، ويرتبط هذا الاختلاف بالمرجعيات الثقافية والنقدية والمنهجية ، وهو اختلاف جزئي وطفيف ذلك أن التفسير الإجمالي لنص ما يعكس في الغالب التوافق الكبير بين القراء ومستعملي اللغة ، وبالنسبة للأمر الثابت والمتفق عليه في البنى الكبرى ، فإنه يتعلق بمبادئ تكونها التي "لا تكاد تتغير في حد ذاتها ⁴ ، أما قواعد الوصول للبنية الكبرى فإنها "ترتبط بالقضايا المعبر عنه بجمل النص بواسطة ما يسمى بالقواعد الكبرى ، فهذه القواعد تحدد ماهو الأكثر جوهرية في مضمون نص متناول ككل ⁵ وهي كما حددها **فان دايك** ⁶ ، الحذف، الاختيار التعميم ، التركيب أو الإدماج .

بالنسبة للقاعدتين الحذف والاختيار يتم فيهما حذف كل معلومة غير مهمة وغير جوهرية ، كما أن هذه المعلومة ليست شرطا لتفسير القضايا اللاحقة في النص .

1- **قاعدة التعميم:** يتم فيها حذف معلومات أساسية لتصور ما ، وتحل من خلال ذلك قضية جديدة

محل قضية قديمة .

2- **قاعدة التركيب أو الإدماج:** لهذه القاعدة دور مهم ، وهي تشبه القاعدة الثانية في الوظيفة ، بحيث

تحل معلومة جديدة محل معلومة قديمة ، ولا تحذف ولا تختار ، ويوجد فيها ربط لزومي بين المفاهيم التي تحيل إلى قضايا المتتالية برمتها ⁷.

وأما بالنسبة للوظيفة الدلالية للأبنية الكبرى والقواعد الكبرى ، فإنها تكمن " في بناء وحدات من سلاسل القضايا يمكن أن تفسر بوصفها تابعة بعضها لبعض من خلال القضية الأعم ، وتمكننا كذلك من إقامة علاقة بين سلسلة من القضايا بوصفها كلا بسلسلة قضايا أخرى. كذلك فهذه الرؤية تتضمن اختصار المعلومة الدلالية

1- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 236.235.

2- محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 283.

3- المرجع السابق ، ص: 237.

4- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 237.

5- المرجع نفسه ، ص: 238.237.

6- ينظر: تون فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ص: 81.

7- ينظر : فان دايك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص: 202.

بحيث يمكننا - على المستوى الإدراكي - أن نعد القواعد الكبرى عمليات لاختصاصات خاصة بالمعلومة الدلالية . فهي تقلل وتنظم المعلومات في البنية الصغرى للنص من وجهة نظر أكثر كلية¹ .

وما يميز هذه القواعد أنها عمليات تعتمد في الأساس على معرفتنا للعالم ، لأن العلاقة بين إدراكنا للنص والخلفية الثقافية والمعرفية التي نملكها وطيدة جدا، فالبنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي إذ تتجلى في ضوئها تلك الكفاءة الجوهرية لمتكلم ما ، والتي تسمح له بأن يجيب عن سؤال مثل : عم كان الكلام ؟ أو : ما الهدف من هذا الحوار؟ والذي يحدد إطار البنية الكلية هو المتلقي ، لأن مجال التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ ، ولا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص ، بل يقتضي أيضا إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي ، وعلى هذا الأساس تكون مهمتنا بصفتنا قراء للنص " هي بناء تمثيل معرفي مشابه لما يهدف إليه الكاتب ، وعندئذ تستلزم عملية الفهم اكتشاف العلاقات المنطقية في النص والمعلومات المقدمة من خلال تلك العلاقات² ، بعد عرضنا لموضوع الخطاب والبيئة الكلية ورصد العلاقة بينهما وتبيان دورهما في الانسجام النصي ، ومن المبدأ الذي انطلقنا منه في تفصيلنا لمبادئ الانسجام وهو مبدأ تكاملية الأجزاء سنقوم بتتبع مظهر آخر يسهم في الانسجام النصي كما أن له علاقة وطيدة بموضوع الخطاب ، ونقصد به مبدأ التغيريض والعنوان .

ج - التَّغْرِيبُ والعُنْوَانُ:

إنَّ مفهوم التغيريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ، ومع عنوان النص تتجلى العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون الأول تعبيرا ممكنا عن الموضوع ، لكن الطريقة المثلى للنظر إلى العنوان في رأي الباحثين هي اعتباره وسيلة قوية للتغيريض³ لأننا حين نجد اسم شخص مغرضا في عنوان النص نتوقع أن يكون ذلك الشخص هو الموضوع . إن هذا التوقع الخالق لمظهر التغيريض ، وتحديدًا على شكل عنوان، يعني أن العناصر المغرصة تهيئ ليس فقط نقطة بداية يتبين حولها اللاحق في الخطاب ، بل إنها تهيئ أيضا نقطة بداية تقيّد تأويلنا لما سيلحق³ .

عرف براون ويول التغيريض بأنه "نقطة بداية قول ما"⁴، هذا القول يفترض مجموعة من المتتاليات الجمالية التي يتشكل منها الخطاب التي لها بداية ونهاية ، وهذه البداية التي يتكلم بها المتكلم أو الكاتب سيكون لها تأثير بالغ في تأويل المتتاليات الجمالية البعدية " وهكذا فإن عنواننا ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه، كما أن الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تقيّد في تأويل الفقرة، وإنما بقية النص أيضا"⁵ ، من هنا يتضح لنا البعد التأويلي الذي

¹ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 196.

² - المرجع نفسه ، ص: 195.

³ - محمد خطايي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 293.

⁴ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 163.

⁵ - المرجع السابق ، ص: 59.

ينهض به العنوان ، إذ يمثل مدخلا من مدخلات الخطاب ، إذ يتحكم في تحديد الرؤيا كما يؤسس لعلاقة التغيريض من خلال الكشف عن العلاقة بين موضوع الخطاب وعنوانه ، وكل خطاب يحتوي على مركز جذب - مثلا في العنوان- يؤسس منطلقه وتحوم حوله أجزاءه . "فالتغيريض كإجراء خطابي يطور وينم به عنصر معين في الخطاب وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية أو حادثة ، أما الطرق التي يتم بها التغيريض فمتعددة نذكر منها : تكرير اسم الشخص ، واستعمال ضمير محيل إليه ، تكرير جزء من اسمه ، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية"¹ ، وعلى هذا الأساس فالتغيريض يربط بين العنوان وموضوع الخطاب.

إذا فإن قراءة النصوص في ظل عنواناتها تشكل الانطلاقة الأولى ، لصنع الخطاب "وكثيرا ما كانت دلالية العمل هي ناتج تأويل عنوانه"² ، إضافة إلى ذلك فإن العنوان نص أصغر ، يؤدي ثلاثة وظائف أشار إليها شارل جريفال وهي : التحديد والإيماء ومنح النص الأكبر قيمته ، وفي السياق ذاته يضيف رولان بارت وظيفة أخرى للعنوان فهو يرى أن العنوان يفتح شهية القراءة³ . هذه الوظائف تخلق نوعا من العلاقة والاتصال بين الكاتب والمتلقي من جهة ، وبين العنوان والموضوع من جهة أخرى "وتأسيسا على هذا البعد العلائقي يبسط العنوان ظلاله على النص ويحدد هويته فيوجه عملية التلقي ويقدم لنا جوازا نعبر به إلى عالم النص"⁴ .

وبهذا فإن العنوان يشكل بؤرة مهمة لتمكين المتلقي من النفوذ داخل النص ، إذ يمدد "بزاد ثمين ، لتفكيك النص ودراسته ، إضافة إلى تقديمه المعونة الكبرى ، لضبط انسجام النص وفهم ماغضض منه بل إنه المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه مشكلا هوية النص"⁵ .

وإذا كان الحديث عن التغيريض قد ألزمتنا تبيان العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب ، إضافة إلى الكشف عن الدور الذي يؤديه العنوان في تعرف ملامح النص ، واعتباره نقطة الانطلاق التي ندخل بها عالمه ، كونه يحدد لنا اتجاه القراءة ويرسم احتمالات المعنى ، إضافة إلى اعتباره مدخلا لبناء انسجام الخطاب ، فإن هناك وظيفة أخرى للعنوان يكشف عنها التغيريض ، وتبدو لنا هذه الوظيفة بشكل واضح حينما نقرأ عنوانا لنص ما فنفهم موضوعه ونقف على معانيه ، خاصة وأن النصوص تُقرأ -غالبا- من عناوينها ، لذلك فإن الدور الذي يؤديه العنوان في هذه الحالة هو الاختزال ، أي اختزال موضوع النص " إذ يمكن اعتباره نصا منجزا ، يختزل الخطاب مشحونا بالإيحاء المشكل لبنيته الكلية ، بل يمكن اعتباره خطابا مجسدا لوحدة النص ، ومؤطرا للرؤيا، وراسما

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 59.

² - محمد فكري الجزار ، العنوان وسيمبوتيقا الاتصال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، ص: 19.

³ - رضا بن حميد ، الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد 15 العدد 02 ، 1996م ، ص: 100.

⁴ - المرجع نفسه ، ص: 100.

⁵ - محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص: 72.

لمشروع فكري مقصود¹ ، من خلال تتبع العلاقة بين العنوان الكلي للخطاب ، وعلاقته بالعناوين الفرعية لنصوص البنيات الصغرى ومستوى وحدة الموضوع .

ومما يكشف عنه التفرغ أيضاً من خلال رصد العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب وتبيان الدور الذي يؤديه العنوان ، ماتعلق بمستوى الذاكرة والإدراك إذ "يقدم العنوان وظيفة إدراكية هامة تهيئ القارئ أو السامع لبناء تفسير للنص أو ما يتحدث عنه النص، ومن هنا فعناوين النص جزء من البنية الكبرى . يسمح العنوان للقارئ بتذكر المعرفة المتصلة بالنص ، كما أن أفكار الخطاب تدمج بواسطة معرفة الفكرة الأساسية المشار إليها من خلال العنوان² ، وقد أكدت النتائج المعملية أن معرفة العنوان تساعد في عمية الإدراك والتذكر ، كما أن عملية التذكر تكون أفضل ، إذا قُدِّم العنوان قبل النص للقراء و"لذلك فوجود العنوان المناسب يسهل الفهم وتذكر موضوع الخطاب"³.

د- مبدأ الإشراف والربط الدلالي بين القضايا:

على الرغم من وجود إسهامات غربية حديثة ومتعددة حاولت البحث في مبادئ الانسجام عامة ، وعملت على تقديم وسائل الربط بين الجمل خاصة ما لهذه الإسهامات والجهود من قيمة كبرى ، إلا أننا يجب أن نشير -قبل التطرق للإسهامات الغربية- إلى الإشارات الأولى التي تعرضت لمفهوم الإشراف ، وإلى أهمية الوصل والفصل في الخطاب ، ونقصد بها جهود العلماء العرب فقد ورد في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ أنه "قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل والوصل"⁴ ، ولم يقتصر الأمر على معرفة أهمية الوصل والفصل في الكلام عند العلماء العرب بل تعداها إلى تحديد مواضع الوصل والفصل ، مما يكشف لنا -للمحالة- عن جهد عربي مبكر ومميز ، هذا الإسهام ظهر مع عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) محددًا أدوات الوصل ، ومنها الواو والفاء وثم وأو..⁵ ، وكما يجري العطف بين المفردات ، يجري كذلك بين الجمل فالدور الذي تؤديه (الواو) العاطفة مثلاً هو إشراف " الثاني مع الأول في الحكم الإعرابي ، ومن جهة ثانية حرف نسق يقتضي أن يكون بين سابقه ولاحقه مناسبة"⁶ ، وهنا لابد أن تتوافر في عطف الجمل شروط ، وهي أن يكون للجمله محل من الإعراب ثم إرادة التشريك في الإعراب ، أي أن يجمع الجمله الأولى والجمله المعطوفة حكم إعرابي واحد ثم الشرط الأخير ، وهو ملمح بلاغي سماه البلاغيون بالجهة الجامعة ، وهو أن تتوافر في الجملتين المعطوفتين مناسبة يحددها الإشراف في

¹ - فتحي رزق الخوالدة ، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام ، في ديوان أحد عشر كوكبا لمحمود درويش ، ص: 89.

² - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 193.

³ - المرجع نفسه ، ص: 193.

⁴ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص: 88.

⁵ - ينظر : الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، ص: 224.

⁶ - أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ص: 175.

المعنى . وقد أشار العلامة الجرجاني لهذه الشروط ، ووضع مبدأ عاما حول مفهوم الإشراك ، صاغه على شكل قاعدة قال فيه " لا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه "1.

كما أشار الجرجاني إلى علة العطف بين جملتين فيما يسميه معنى الجمع "وذلك أننا لانقول : زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد ، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عنه أن يعرف حال الثاني ...واعلم أنه كما يجب أن يكون المحدث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الأخرى ، فإنه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا ، كقولنا : هو يقول ويفعل ويضر وينفع وأشبه ذلك ازداد الجمع في الواو قوة وظهورا وكان الأمر حينئذ صريحا"2 ، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر الأول "فلو قلت : زيد طويل القامة ، وعمرو شاعر كان خلفا لأنه لامشكلة ولا تعلق بين طول القامة والشعر ، وإنما الواجب أن يقال : زيد كاتب وعمرو شاعر ، وزيد طويل القامة وعمرو قصير القامة"3 .

وبذلك يكون الجرجاني قد أسهم بإضافة مفهوم مهم فيما تعلق بالربط بين جملتين ، فهو يرى أن الربط لا يقتصر فقط على العلاقة بين الخبرين ، بل يتجاوزه إلى توضيح الربط بين المحدث عنه (المخبر عنه) في الجملتين وهو ما يسمى في تحليل الخطاب (موضوع الجملة) ، مبينا أنه إذا كان المخبر عنه واحدا في الجملتين يزداد المعنى ظهورا ووضوحا ، وهو بذلك يشير إلى أحد أسباب سهولة القراءة متقاطعا مع ما ذكرناه سابقا تحت مسمى وحدة الموضوع.

يتضمن البحث في وسائل الانسجام المعنوي التطرق إلى محاور أساسية هي الربط الدلالي بين القضايا ومعرفة الفكرة الأساسية ، ثم كيفية تنظيم المعلومات في النص . وكما يتم الربط بين الكلمات يتم الربط أيضا بين الجمل أو بين القضايا ، ومعلوم أن مفهوم (القضية) أُخذ من مجال الفلسفة والمنطق ، واستخدم بالمعنى العام في دراسات الخطاب للإشارة إلى الوحدة الأدنى للمعنى ، وتتكون القضية من خبر يُعدُّ النواة ، ثم موضوع يرتبط بتلك النواة ويقتضي التحليل القضوي للنص البحث في العلاقات التي تربط بين القضايا "وإذا كانت القضايا هي لبنات الخطاب ، فإن البحث في علاقات الخطاب يتعلق بتلك الروابط بين هذه اللبنات . حيث يكشف الربط بين الجمل عن الطريقة التي تدرك بها العلاقات الدلالية التحتية في الخطاب"4 ، وما يميز روابط الخطاب أنها قد تكون ضمنية أو قد تكون ظاهرة ومدركة حسيا على مستوى سطح النص ، تربط بين جمل متجاورة ، أو جمل غير متجاورة في النص على نحو متتال أو متداخل ، بما يمكن معه تمييز نوعين من العلاقات5 .

1- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، ص: 224.

2- المصدر نفسه ، ص: 224.225.226.

3- المصدر نفسه ، ص: 225.

4- عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 187.

5- ينظر: المرجع نفسه ، ص: 188.

1- علاقة الإضافة: التي تعبر عنها أدوات العطف (الواو عاطف إضافي ، لكن عاطف مقابل ، أو عاطف فصل) .

2- علاقة السببية التي ترتبط بالتبعية وتشمل سبعة أنماط وهي : (السبب، المبرر(التفسير) ،الوسيلة التابع ، الغرض ، الشرط ، المسلمة .

ما يميز العلاقات بين الجمل أنها ذات طبيعة دلالية تستند إلى معنى الجمل ، وأدوات الربط التي تخلقها العلاقات الدلالية تساهم في بناء خطة معقولة يمكن إدراكها عن طريق إدراك الدور الذي تؤديه هذه الروابط على مستوى المعنى .

يقتضي البحث في مبدأ الإشراف-إضافة إلى ما ذكرناه سابقا من علاقات- الإشارة إلى أن الجمع يتم بين عنصرين متعاطفين أو أكثر ، أو بين جملتين متعاطفتين ، وتبعاً لهذا التفصيل سنشير إليهما :

1- الإشراف بين العناصر:

نجد في النصوص أنه قد تم عطف عنصرين على بعضهما ، ولكن المسافة المعنوية بينهما بعيدة فيؤخّل لنا للوهلة الأولى أن هذه العناصر غير متعاطفة ، ولكن الإمعان في تتبع العلاقة بين هذه العناصر يجعلنا ندرك أن هناك ما يجمع بين الاثنين ، وهذه "طريقة تفاجئ القارئ بما لا ينتظره حرفياً ، أي تستبعد المتوقع وتحل محله غير المتوقع"¹ ويؤدي ذلك إلى الغموض ، فالتعابير تكاد تكون لغزاً ، وهنا يعتمد القارئ إلى بذل جهد إضافي للإمساك بما يقصد التعبير إيصاله من خلال البحث عن العلاقة التي تبرر الجمع بين العنصرين في تعبير واحد .

2- الإشراف بين الجملتين :

المحمولات في النحو الوظيفي تدل على واقعة ، وتنقسم الوقائع إلى أربعة أصناف : أعمال وأحداث وأوضاع وحالات² ، وعطف الجمل يخضع للقيود نفسها التي تحكم المحمولات وهي³:

- قيد تناظر الوقائع: يجب أن تكون الجمل المتعاطفة دالة على الصنف نفسه من الوقائع.
- قيد تناظر الوظائف التداولية: يجب أن تكون الجملة المعطوفة تحمل الوظيفة التداولية نفسها.
- وحدة الحقل الدلالي: يجب أن تكون الجمل المتعاطفة دالة على وقائع منتمة للحقل الدلالي ذاته شريطة ألا تكون متناقضة أو مترادفة ..

مما تقدم فإن مبدأ الإشراف بكل أشكاله الإفرادية والجمالية يؤدي دوراً تماسكياً بإشارته إلى إمكانية اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص.

1- محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 56.

2- ينظر: عبد الفتاح الحموز ، نحو اللغة العربية الوظيفية في مقاربة أحمد المتوكل ، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2012م ، ص: 198.

3- ينظر: المرجع السابق ، ص: 266.

هـ - العلاقات:

يُنظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته الجمالية كلها أو بعضها دون وسائل وروابط شكلية على أنها علاقات دلالية¹، وما يميز هذه العلاقات أنها كثيرة، وأنها تتوفر في أي نص يحقق شرطي الإخبارية والثقافية ويعتمد الربط القوي بين أجزائه، ذلك أن بعض النصوص - الشعري - مثلا قد يوحي لنا بعدم الخضوع لهذه العلاقات "ولكن مادام نصا تحكمه شروط الإنتاج والتلقي فإنه لا يتخلى عن هذه العلاقات"². وما يحصل في هذه الحالة هو ظهور علاقة دون أخرى، ومن بين العلاقات التي تربط النص علاقة العموم الخصوص، السبب/المسبب، المحمل/المفصل ...

و - السِّيَاق:

يحتل السياق دورا مهما في ضبط المعنى وفهم النص، هذا الذي يفسر سر الاهتمام الكبير به من قبل اللغويين على رأسهم (فيرث) الذي يرى أن "كل كلمة عندما تستخدم في سياق جديد تعد كلمة جديدة"³. والنصوص في اللغات المنطوقة حسب رأيه تحمل في طياتها كل مقومات القول، لأنها تحيل بالضرورة على مشاركين نموذجيين في سياق عام وقد خالف فيرث آراء المناطقة الذين نزعوا إلى القول بأن الكلمات والأطروحات يمكن تحديد معناها بمعزل عن المشاركين في الخطاب، وما يعتري ذلك من ظروف وملابسات ومناسبات وقع فيها الحدث الكلامي ويقدم فيرث رأيه فيقول "أما أنا فأقترح أنه لا يمكن الفصل فصلا تاما بين الأصوات (الكلمات) وبين السياق الاجتماعي الذي تلعب فيه دورها، وبالتالي فإنه يجب النظر إلى كل النصوص في اللغات المنطوقة على أنها تحمل في طياتها مقومات القول، بحيث تحيل إلى مشاركين نموذجيين في سياق معمم"⁴، يبين هذا القول تركيز (فيرث) على دراسة المكون الاجتماعي لمختلف اللغات الانسانية، فاللغة ينبغي أن تدرس "بوضعها جزءا من المسار الاجتماعي، أي شكلا من أشكال الحياة الانسانية، وليس بوضعها مجموعة من العلامات الاعتبائية أو الإشارات"⁵.

وبفترض السياق وجود معرفة مشتركة يتقاسمها الذين يقومون بعملية التبادل، غير أن هذه المعرفة المشتركة لا تأخذ طابعا مطلقا بحيث تنطمس كل معالم الخصوصية الفردية "فالسِّيَاق هو بناء سيكولوجي، هو مجموعة من الفرضيات التي يملكها المتلقي حول العالم"⁶، فكل رسالة لها مرجع تحيل إليه، ولها سياق محدد ومضبوط قيلت فيه ولا يمكن لنا أن نفهم مكوناتها الجزئية أو نفكك رموزها إلا بردها وربطها بالملابسات والظروف التي أنجزت فيها

¹ - ينظر: محمد خطايي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 268.

² - المرجع نفسه، ص: 269.

³ - جون إي جوزاف، نايجل لف، توليت جي تيبيلر: أعلام الفكر اللغوي، ترجمة: أحمد شاکر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان

ط1، 2006م، ص: 110

⁴ - براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 46.

⁵ - فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، عالم الكتب الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1999م، ص: 103.

⁶ - مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 184.

هذه الرسالة للوقوف على قيمتها الإخبارية في الخطاب ، وهكذا فإن فيرث " قد انصب اهتمامه على إحلال القول محله ، ضمن السياق الاجتماعي ، ومن ثم الخروج بتعميمات حول أنماط المعاني التي تفرزها سياقات اجتماعية محددة "1 .

لذلك نجد أن (براون ويول) يؤكدان على محلل الخطاب أنه ينبغي عليه أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما في الخطاب² ، والسياق لديهما يتشكل من المتكلم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزمان والمكان وهو يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب ، لأن كثيرا من الأقول تأول بتأويلات مختلفة إذا اختلف سياق كل قول عن الآخر ، حتى لو تطابقت هذه الأقوال في اللفظ.

وقد يستعين القارئ بمبادئ مرتبطة بالسياق وهي عند براون ويول تقوم على مبدئين :

1- مبدأ الفهم المحلي :

وهو أن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما ، بحيث يجعل طاقته التأويلية مقيدة باعتماده على خصائص السياق . كما أن المبدأ التأويلي متعلق بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤثر زمني مثل (الآن) ، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم كاسم (محمد) مثلا³.

2- مبدأ التشابه:

يتجلى في أهمية التجربة السابقة في المساهمة في إدراك المتلقي للإطرادات عن طريق التعميم ، وهذا لن يحصل إلا بعد التعامل مع خطابات عديدة ومتنوعة ، ينتهي فيها المتلقي إلى اكتشاف خصائص كل نوع من أنواع الخطابات التي مرت على محك تجربته التحليلية⁴ .

وأما (هايمس) (1964م) فيرى أن للسياق دورا مزدوجا في تحقيق الانسجام ، فهو يحصر مجالات التأويلات الممكنة من جهة ، ويدعم التأويل المقصود من جهة أخرى ، ثم إن خصائص السياق حسب رأيه قابلة للتصنيف وتمثل في⁵:

- المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول .
- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي .
- المقام: وهو مكان وزمان الحدث التواصلي ، والإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه .

¹ براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 46.

² ينظر: محمد خطاي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 52.

³ ينظر : براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 71.

⁴ ينظر: محمد خطاي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 57.

⁵ ينظر: المرجع السابق ، ص: 48.

- القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي : كلام، كتابة، إشارة ...
- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- شكل الرسالة: ماهو الشكل المقصود: دردشة جدال عظة خرافة رسالة غرامية ...
- المفتاح: ويتضمن التقويم لقيمة الرسالة هل كانت موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف.
- الغرض: هو ما يقصده المشاركون وينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلية .

ويؤكد هاجميس أن هذه الخصائص لا يُشترط فيها أن تتوفر في جميع الأحداث التواصلية ، أو أن تجتمع في خطاب واحد¹ . إذ يمكن أن تتوفر الحدث التواصلية على عنصر أو عنصرين غالبين في إنتاج خطاب وتأويله في حين تغيب بقية العناصر ، يقول هاجميس : " بقدر ما يعرف المحلل أكثر من خصائص السياق، بقدر ما يحتمل أن يكون قادرا على التنبؤ بما يحتمل أن يقال"² .

نستخلص مما سبق أن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه ، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط من حيث لغته ، ولكنه قد يتضمن قرائن (ظمائر ظروف) تجعله خطابا غامضا وغير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه ، ومن ثم فإنَّ للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس "وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإمام بسياقه"³ .

ز- المعرفة الخلفية:

يُقرأ النص في ضوء معرفتنا الخلفية لعالمه ، كآلية من آليات انسجام الخطاب ، إذ تشكل أرضية هامة للدخول من خلالها إلى عالم النص ، لتشكيله وإنتاجه ، وذلك بالاعتماد على ثقافة المتلقي وأدواته المعرفية وما لديه من قدرة على التصور الذهني للأشياء ، فالقارئ حين يواجه خطابا ما لا يواجهه وهو خالي الوفاض والذهن، وإنما يعتمد على تجاربه السابقة "المعروف أن معالجته للنص المعين ، تعتمد من ضمن ماتعمده على ماتراكم لديه من معارف سابقة ، تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص والتجارب السابق له قراءتها ومعالجتها"⁴ ، وعلى سبيل المثال فالقارئ الذي يواجه نصا من الشعر الحر ، عليه أن يكون مطلعاً على التيارات الأدبية والنقدية الحديثة ، إضافة إلى إطلاعه على بداية الشعر الحر ، وإرهاصاته الأولى وأهم رواده وتأثير الأدب الغربي ومدارسه على شعراء قصيدة الشعر الحر ، إضافة إلى إلمامه بجملة التغيرات التي طرأت على القصيدة شكلا ومضمونا ، وكل هذا يعتبر تجارب سابقة ، تشكل الإطار الذهني والمعرفي ، يستند عليها القارئ في مواجهة نصه .

¹- ينظر: محمد خطايي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص:53.52.

²- ينظر: محمد خطايي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 53.

³- المرجع نفسه ، ص: 56.

⁴- المرجع نفسه ، ص: 61.

وقد تتشكل أبعاد أخرى للنص ، بسبب معرفتنا لعالمه ونخلق له بذلك إنتاجية متجددة وفق آليات محددة وأسس علمية متزنة وموضوعية ، لأنَّ "أساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم ، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضا ، وبرهنة على صحة هذه المسلمة"¹ ، ولا مناص من توظيف المعرفة الخلفية لفتح مغاليق النص ، وفك شفراته والوقوف على الظرفية المحيطة بالنص ، لأن "النص يخلق سياقه الخاص به"² ، والمتلقي دائم الاتصال بالتراث والتاريخ ، وكثيرا مايعتمد عليهما وعلى تجاربه المعرفية السابقة فيعيد تشكيل كل ذلك وفق النص الذي يواجهه ، ويربط بينه وبين عوامله ليزيل الحاجز بينه وبين النص ، ويوطد العلاقة به " فالمعرفة الخلفية تسهم بشكل فعال في تكسير العلاقة المتوترة بين القارئ وبين النص ، وبالتالي تجعله يشعر بإمكان الفهم والتأويل"³. وعلى هذا يمكن الاستفادة من معرفتنا الخلفية واعتبارها مدخلا للولوج إلى عالم الخطاب ، كالرمز والأسطورة مثلا إذ كثيرا ما نفهم النصوص بالاعتماد على معرفتنا التاريخية السابقة ، على الرغم من تعدد الصور التي ينقلها لنا النص ، و هذا التعدد في الصور يكشف لنا جانبين ، أحدهما مهارة المبدع وقدرته على على تجسيدها في خطابه لتقديم رؤياه ، والثاني دور المتلقي المهم والفعال في قراءة ووضع وتفسير هذه الصور ، ضمن سياقها واعتمادا على التأليف بين معرفته وخبرته الثقافية "لأن البنية الدلالية شيء ينجزه القارئ بعملية فرز ، من خلال دلالات الإيحاء الواردة في كلمات النص ، وعباراته بحثا عن النماذج"⁴ .

وقد تم وضع مجموعة من النظريات التي تشكل مدخلا مهما لفهم النصوص وتشكل آليات مهمة تتحكم في إنتاج الخطاب وفهمه على النحو المقصود من قبل مؤول الخطاب ، ونذكر منها:

1- نظرية الإطار:

وضعها (مينسكي) ويذهب فيها إلى أن معرفتنا مختزنة في الذاكرة في شكل بنيات معطاة مخصصة للبيانات حيث نعيد من خلالها تصوراتنا للأشياء، فهي تمثل إطارات معرفية يمكن استثمارها في مواقف متشابهة ويمتاز الإطار المعرفي بكونه تصويرا ثابتا لمعلوماتنا عن العالم⁵ ، لذلك فإنه يتنوع بتنوع المقول وتعددده "فإن البداية ومآثيره من انتظار ناتج عن التجارب السابقة ، تعطي لكل نوع مجاله الخاص به ، فلغرض الغزل مثلا إطاره وهو وصف الحبيبة"⁶.

¹ - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1985م ، ص: 123.

² - المرجع نفسه ، ص: 68.

³ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 326.

⁴ - روبرت شولز ، السيمياء والتأويل ، ترجمة: سعيد الغانمي ، دار الفارس للنشر ، الأردن ، ط 1 ، 1994م ، ص: 92.

⁵ - ينظر: براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 285.286.

⁶ - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس ، ص: 123.

2- نظرية المدونات:

وقد وضعت للتعامل مع متواليات الأحداث ، وطبقت بعد ذلك على النصوص ، حيث تتمثل بوجود علاقة تبعية بين المفاهيم يشكلها المتلقي ، ولذلك تضاف بعض المفاهيم لتوضيح الخطاب وإزالة إبهامه بناء على مبدأ الانتظار وقد أغنى (رايسبيك وشانك) هذا التحليل المفهومي بإضافة عنصر آخر إليه وهو "الفهم المؤسس على التوقع"¹ ويعني به أن الناس يقومون بتحليل النصوص بناء على توقعاتهم "فالتداعي يقوم بدور كبير في عملية فهم الخطاب وإنتاجه، فقد يكمل المتلقي ما لم يصرح به الخطاب ، وقد يكفيه المرسل مؤونة أعمال الذهن ، وكل منهما محكوم في تأويله وإنتاجه بمعرفته السابقة"² .

3- المخططات الذهنية (السيناريوهات) :

استخدم (سانفورد وجارود) مصطلح المخطط الذهني في وصف المجال الممتد للمرجع المستعمل في تأويل نص ما وذلك لأن المرء يمكن أن يفكر في المقامات والوضعيات ، كعناصر مشكلة للسيناريو ، والتأويل الكامن خلف نص ما ، وتعتمد عملية الفهم القائمة على المخطط الذهني على درجة النجاعة التي يحققها صاحب النص في تنشيط المخططات الذهنية المناسبة، "ونستطيع أن ننظر إلى معرفتنا بالظروف المحيطة ، والمواقف على أنها تمثل المخطط الذهني الذي يكمن وراء تأويلنا للنص"³ .

إن هذه النظريات جميعها تشترك في أنها تعبر أقصى الاهتمام للخلفية المعرفية في عمليتي إنتاج الخطاب أو تلقيه ومعنى هذا أن الذاكرة تقوم بدور كبير في العمليتين معا ، ولكنها لا تستدعي الأحداث والتجارب السابقة كلها في تراكم وتتابع ، وإنما تعيد بناءها وتنظيمها، وإبراز بعض العناصر منها وإخفاء أخرى تبعا لمقصدية المنتج والمتلقي⁴ .

ح- دور المتلقي:

ذكرنا سابقا أن براون ويول يجعلان المتكلم/ الكاتب والمستمع/القارئ في قلب العملية التواصلية ، وفي تفصيلهما لمبادئ الانسجام لايعتبران أن انسجام الخطاب شيئا معطى وموجود في الخطاب ، بل ينبغي البحث عنه فهو شيء يُبنى " أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم ، وعلى آخر بأنه غير منسجم"⁵ ، والقارئ حينما يعثر على الانسجام في النص يجد نفسه ينتقل بسهولة من جملة إلى أخرى ، ويقرأ النص كوحدة واحدة وليس مجموعة من الجمل المنفصلة "فالانسجام هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص ، ومعها

¹ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 65.

² - المرجع السابق ، ص: 124.

³ - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 293. وينظر: محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 66.

⁴ - ينظر: محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، ص: 124.

⁵ - محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 51.

يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة¹، إذًا فالانسجام يتولد من خلال تفاعل القارئ مع النص ، والكُتَّابُ غالباً ما يقدمون إشارات وإيحاءات يجعلونها منارات يهتدي القارئ بها وتساعده على الفهم والتفسير ، والقراء هم الذين يملأون الثغرات بين المعلومات المقدمة في النص ، من خلال العلاقات التي تصل بينها ، إضافة إلى ما يمتلكه القارئ من أدوات تساعده في فهم النص من جهة ، كما تساعده على الإقرار بانسجام النص من جهة أخرى كالمعرفة الخلفية والإحاطة بالهيكل المختار وتوقعاته وتفسيراته المستمرة والمتواصلة أثناء القراءة " فالانسجام لا يحفر في النص ولكن يظهر في جهود القراء لبناء المعنى ، وتوحيد التفاصيل في النص داخل كلِّ متماسك"².

و القارئ أثناء بحثه عن انسجام النص ، يصطدم بتعدد المعاني المتحققة التي يصبغها المؤلف بالمجاز لذلك يصبح تأويل النص في حد ذاته تقصيرا في حقه من قبل القارئ ، وحتى يعيد القارئ للنص حقه عليه بتشبيته وتفجيده "ذلك أن تعددية النص لاتعود لالتباس محتوياته ، وإنما لما يمكن أن نطلق عليه التعدد المتناغم للدلائل التي يتكون منها : إن قارئ النص شبيه بذات مرتبكة (تعطل فيها عمل المخيلة) ، هذه الذات الفارغة تتجول قرب واد ينحدر في أسفله نهر ، ما يدركه متعدد يصدر عن مواد ومستويات متنوعة من أضواء وألوان وخضرة وحرارة وهواء وضجيج وزقيق وأصوات أطفال وحركات وملابس ، كل هذه الحوادث تكاد تدرك كل على حدة إنها تخضع لقواعد معروفة ، بيد أن المزج بينها متفرد ، وهو ما يحدد النزهة في اختلافها ، الذي لا يمكن أن يتكرر إلا كاختلاف"³.

ومعنى هذا أنَّ قراءة النص تستثير القارئ فتتعاطم شهوته لاستكمال القراءة ، فيجد نفسه يهندس معالم ويبني مبادئ الانسجام فيه ، فالنص بالنسبة إليه مفجر لرغباته ، وموطن لمنجزاته ، وهنا تتحول القراءة إلى عملية تفسير وتفاعل في الوقت ذاته . ولتأكيد الرأي الذي ذكره براون ويول حول دور المتلقي في بناء الانسجام سنقدم المثال الآتي : (محاضرة ، 2022/04/14 م، 09.00سا، لسانيات النص ، د. سعد مصلوح، القاعة الكبرى للمحاضرات) هذا الإعلان معلق بلوح الإعلانات بذات الجامعة ، اطلع عليه طالب من جامعة تيارت بتاريخ 2022/04/11 م. ما يلاحظ حول هذا الإعلان ، افتقاده للروابط الشكلية ، يتميز بالاختصار وهو إعلان إخباري، ورغم ذلك فإن الطالب سيفهم هذا الإعلان ويقوم بعملية تأويله ، وإن بدا للوهلة الأولى تفككه ظاهريا فإنَّ القارئ يبدو له نصا منسجما ، لأنه يفترض ذلك ، فهو بالنسبة له خطاب منسجم كيفما قُدِّم له. ليبحث عن العلاقات المتطلبة لبناء انسجامه ، معتمدا على كون السلاسل اللغوية متجاوزة فيؤولها كما لو كانت مترابطة كما يعتمد أيضا على معرفته الخلفية ، وتجاربه السابقة ، وذاكرته في قراءة هذا الإعلان ، ليصل إلى المقصود من الرسالة التي ينقلها هذا الخطاب ، ليتقرر المعنى وينسجم في ذهنه أن محاضرةً يوم الخميس 14 أبريل 2022م على

¹ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص:184.

² - المرجع نفسه ، ص: 184.

³ - رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، ترجمة: بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص: 62، 63.

الساعة التاسعة صباحا ، بعنوان لسانيات النص ، ستلقى من طرف الدكتور سعد مصلوح بالقاعة الكبرى للمحاضرات بجامعة تيارت ¹.

ط- المستوى التداولي:

التداولية فرع جديد من فروع اللسانيات ، تدرس مختلف المحددات التي تتعلق بالتداول اللغوي بالنسبة إلى السياق والمقام باعتبارهما شرطين أساسيين في الكيفية التي يحصل بها التواصل ، وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في علاقاتهم التخاطبية تدليلاً وتوجيهاً، حيث إن التواصل اللغوي لا يتم فقط بالاستناد إلى الكفاءة اللغوية، وإنما هناك جملة من الشروط غير اللغوية التي تتدخل في تحديد الأداء اللغوي. فالتداوليات هي المجال الذي يهتم بدراسة أفعال الكلام ، والاقتضاء والاستلزام التخاطبي، وذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة ومنطق الحجاج وتحليل الخطاب. فهي تختص "بوصفها علماً بتحليل الأفعال الكلامية ، ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام .. فهي تعالج صلاحية أفعال كلامية وقواعدها بالنسبة لسياق معين، وبعبارة أكثر إيجازاً تدرس التداولية العلاقة بين النص والسياق" ².

ي- نظرية الأفعال الكلامية وانسجام النص :

إنّ النص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحداث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع المتلقي ، وتغيير نظام معتقداته ، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية الفعل ولا تفعل. ويعني هذا أن الخطاب أو النص الأدبي ، وذلك في مفهوم التداوليات التحليلية التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع (أوستين) ، كما في كتابه: "نظرية أفعال الكلام" (1962م) ، (وسورل) في كتابه: "أفعال اللغة" (1969م) ، عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات ، إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز ³.

انبثقت نظرية الأفعال الكلامية من نقد (جون أوستين) لطرح فلسفي يدعي بأن قول شيء ما، هو دوماً إثبات شيء ما، فدور اللغة من هذا المنظور ينحصر في الإخبار عن العالم الخارجي، والقضايا المعول عليها هي تلك القضايا التي تقبل الصدق والكذب ، وقد كان المنطلق في دراسة أوستين للقضايا من خلال تعامله مع اللغة من حيث هي وسيلة لتحقيق غاية ووظيفة أساسية ، هي وصف العالم المتجسد خارج كيان المؤسسة اللغوية "فهي تصف حالة الأشياء ، وهي في وصفها قابلة لحكمين لثالث لهما ، إما أن تأخذ قيمة الصدق ، وإما أن تأخذ

¹ - ينظر : محمد خطابي لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 52.51.

² - تون فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ص: 116.115.114.

³ - ينظر: جميل حمداوي، المقاربة التداولية في الأدب والنقد ، المنظمة العربية للترجمة ، المجلد 4 ، العدد 09 ، 2012م ، موقع:

<https://www.diwanalarab.com>/بتاريخ : 2022/08/14 م .

قيمة الكذب ، ويتبع هذا الموقف شيئان أن يكون الموصوف خارجا عنها تابعا لحالة الأشياء ، وأن تكون وسيلة الوصف جملة خبرة قابلة للتصديق والتكذيب ، خالية مما يشوب الخبرية فيها¹ .

ويعني هذا أن أوستين قد بيّن أن كثيرا من الأفعال التي تنتبه إليها الممارسات اللسانية السابقة ، لاتعبر بالضرورة عن واقع فتوصف بالصدق أو الكذب ، مثل الأفعال التي تأمر بشيء أو تدعو إليه ، أو تسميه ، وغيرها من أفعال الكلام التي لايقوم بها الفرد إلا متكلمًا .

و العلاقة بين تحليل الخطاب ونظرية الأفعال الكلامية وطيدة ، وذلك لأنّ الباحثين في مجال تحليل الخطاب يستعينون بكل ماله علاقة بالتحليل اللغوي ، ولاشك أنّ نظرية الأفعال الكلامية من المرتكزات التي استعان بها محللوا الخطاب. ولا بدّ من تبيان العلاقة بين التداولية ونظرية الأفعال الكلامية "لأنّ التداولية جاءت من إشكالية أفعال الكلام التي من خلالها استطاع الفيلسوف الإنجليزي (ج. أوستين) ، أن يبين أن فكرة معنى القول لاتكون إلا حالة تمثيلية للعالم بمعزل عن تلفظه ، ودراسة المعنى يجب أن تتعد عن التراكيب الجوفاء ، كقولنا: البحر شاسع الثلج أبيض بمعزل عن سياقها"² .

خاصة وأنّ استعمال اللغة متعددة ، ووظائفها كثيرة حسب السياق ، ونحن نستخدم كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي ، هذه المفاهيم جسدها أوستين في كتابه (how to do things with words) كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟

ترتكز نظرية أوستين بالدرجة الأولى على فكرة الإنجاز ، وفحواها أنّ بعض الملفوظات لاتصف شيئا في العالم ولايمكن أن نخضعها لمعيار الصدق أو الكذب ، وهي في هذه الحالة تحمل طاقة إنجازية ، ويُرَاد منها تأدية أفعال (وعيد تهديد تحذير تشويق...) و يحكم عليها بمعيار النجاح أو الفشل في الإنجاز .

كما قام أوستين بالتمييز بين العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازية (الوصفية) ، معتبرا أنّ قول شيء على وجه مخصوص هو إنجاز ، من مثل العبارات الوصفية التي تصف الأحاسيس (أعتذر ، إني متأسف ، أنا سعيد...) ثم العبارات الإنجازية ، وقد اشترط في هذه الأخيرة ملاءمتها للواقع من مثل (أدعم ، أتوقع ، أتنبأ)³ ، يعني هذا أنّ الجمل الوصفية لايراد منها الإخبار عن أمر ما ، وهي ليست مقيدة دائما بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب "وأنّ القصد من الكلام هو تبادل المعلومات ، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي ، وتأثير في مواقعه"⁴ .

بناء على ما ذكرناه نخلص إلى أنّ التداولية لاتربط العلامات اللغوية بمستعملها فحسب ، بل تربطها بالمؤسسة اللغوية من حيث اعتبارها مجالا من مجالات التعامل الاجتماعي ، ومايؤكد الفعالية الاجتماعية للغة

¹ - صلاح الدين الشريف ، عام للاتجاه البراجماتي ، ضمن كتاب: أهم المدارس اللسانية ، المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ، ط2 ، 1990م ص: 102.

² - حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص: 137.

³ - ينظر: أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ترجمة: عبد القادر قينيني ، إفريقيا الشرق ، 1991م ، ص: 94 وما بعدها.

⁴ - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1 ، 2009م ، ص: 90.

التقسيم الذي ذكره أوستين لأفعال الكلام فهو "يرجع أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع فعل الكلام ، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام . وإنما كان التقسيم مناسباً لأنه سيتغلب به على مسألة العلاقة بين إدراكنا لشيء ما كما هو في الواقع وكمعطى هناك ، وبين ظروف الوصف التي نقوم بها إزاء ذلك الشيء ، بين قولنا كلاماً حول شيء ما وبين حركتنا وفعلنا إزاءه... إذن يجب إعادة هذه العلاقة وذلك عن طريق قوة فعل الكلام ، ولازم فعل الكلام أي نخرج عن التلفظ والنطق إلى الفعل الخطابي ، وما يحتف بالسياق من دلالات ومعان ، على معنى أن هناك محيطاً إنسانياً هو نسيج متصل من العلاقات ، تتحدد داخل مواقف كلية تصبح فيها اللغة أفعال التواصل لا أقوال مترابطة خالية من الدلالات والإحالات المرجعية ، وإذا رجعت إلى اللغة هذه الحياة الجديدة ، ألا تحجب الأشياء ، أمكن حينئذ إدراك علاقات جديدة في الأشياء ، وتطورت عملية التواصل ، التي ينتج عنها بالضرورة عادات ، وأعراف وتقاليد¹ . إذاً فإن جوهر التداولية يُبنى على التحليل السليم للأفعال التي ننجزها باللغة في إطار اجتماعي .

وقد لاحظ أوستين أن تصنيفه للأفعال الكلامية يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف :

1- **فعل الكلام (القول) (التلفظ) (act locutoire):** هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض

الكلمات التي لها نفس المعنى والمرجع ، وينقسم إلى ثلاثة أفعال فرعية: الصوتي ، اللفظي ، الدلالي² .

2- **الفعل الكلامي (الفعل الإنشائي، الإنجازي ، قوة فعل الكلام، الفعل المتضمن في القول):** وهو

"فعل اتفاقي مبني على التواطؤ والمواضعة ، إنه فعل مؤدى ومنجز طبقاً للتواضع"³ ، وهو الفعل الذي ننجزه بالقول كالاستفهام والأمر والنهي والوعد ، وتختص فيه كل عبارة بقيمة داخلية في القول يتم من خلالها تحقيق قصد المتكلم و"لا يمكن أن يكون الفعل الإنشائي الإنجازي ناجحاً تاماً ، دون أن يحدث تأثيراً على المخاطب"⁴ . ويقدم أوستين ثلاثة مقاييس للتعرف على الفعل الكلامي وهي⁵ :

- إنه فعل ينجز في الكلام ذاته وليس نتيجة تنتظر من الكلام.

- إنه فعل قابل للتفسير بواسطة صيغة إنجازية.

- إن الفعل الخطابي دائماً ذو طبيعة اصطلاحية تواضعية .

¹ - أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ص: 08.

² - ينظر: هشام عبد الله الخليفة ، نظرية الفعل الكلامي ، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الاسلامي ، مكتبة لبنان ، ط1 2007م ، ص: 81.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص: 155.

⁴ - حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص: 138.

⁵ - علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2000م ، ص: 71.

3- **الفعل بالقول أو التأثير الكلامي أو الفعل التأثيري** : وهو يمثل النتائج ، أو التبعات والعواقب التي يولدها الفعل الكلامي ، والتي تؤثر على أفعال أو مشاعر المخاطب أو المستمع أو المتكلم نفسه أي الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي ، وذلك بالدفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه فعندما "نقول شيئاً ما قد يترتب عليه أحياناً ، أو في العادة ، حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته"¹ ، كأن أجعل مستمعي يقتنع بعمل ما ، أو يخاف منه أو يمتنع عن القيام به ، وقد يكون ذلك عن قصد ونية أو عن غير قصد ونية ، ولا بد أن يجمع الفعل الإنجازي والفعل التأثيري الاتفاق² .

مادامت كل إرسالية موجهة إلى مخاطب معين ، فإنها تسعى إلى إقناعه بفعل ما، وكتيجة لذلك استجابته لهذا الفعل وتسمى هذه الاستجابة فعلاً استجابياً أو فعل التأثير في الخطاب، إلا أن هذا الخطاب لن يستجيب إلا إذا تمركز في ذهنه فعل الإقناع الذي يختص بالمخاطب وحده... وفعل التأثير في الخطاب يحتاج إلى مجموعة من الأفعال ، وهذا النوع من الأفعال يُفترض في كل الاستجابات³ ، هذا الذي يفسر سعي أوستن إلى تجسيد فكرته (القول يعني الفعل) ، من خلال اهتمامه بالأفعال الإنجازية أو الإنشائية من مثل أقسم عمّد.. أفعال تمثل الصيغة الإفرادية لتحقيق ما يقوله المخاطب لإقامة حقيقة جديدة انطلاقاً من تلفظها (تأدية الفعل)⁴، ويكشف تعريف أوستن للفعل الكلامي عن الأغراض الإنجازية والتأثيرية ، التي تؤديها هذه الأفعال فهي عنده "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، وفضلاً عن ذلك يُعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية ، كالطلب ، والأمر ، والوعد ، والوعيد، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي ، كالرفض والقبول"⁵.

وما يمكن أن نخلص إليه من هذا القول أننا عندما نتلفظ بفعل فإن مقصديتنا التأثير في المخاطب وهذا يعني أن ملفوظنا صار فعلاً تأثيرياً له طابع اجتماعي ، وقد اقترح أوستن خمسة أقسام للأفعال الكلامية وهي⁶:

1- **الحكميات**: تتمثل في الحكم ، نحو التبرئة ، الإدانة ، الفهم ، إصدار أمر ، الإحصاء ، التوقع ، التقييم والتصنيف ، التشخيص ، الوصف ، التحليل... أي هي "الأفعال التي تقوم على إطلاق حكم مبني على شهادة أو تعليل"⁷.

¹ - أوستن ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ص: 121. وينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص: 156.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 121. وينظر: هشام عبد الله الخليفة ، نظرية الفعل الكلامي ، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الاسلامي ، ص: 91.

³ - ينظر: علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، ص: 72.71.

⁴ - ينظر: جمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص: 138.

⁵ - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ص: 40.

⁶ - ينظر: فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ترجمة: صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2007م ، ص: 62.

⁷ - جيل بلان ، عندما يكون الكلام هو الفعل، ترجمة: جورج كنورة، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، لبنان، العدد 5، 1989م، ص: 49.

2- **التنفيذيات:** وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد ، العزل ، التسمية ، الاتهام ، التوصية ، الاستقالة التوسل ، الفتح ، أو الغلق... ويبدو هذا القسم فسيحا جدا. ويتأسس التمييز بين الأعمال المدرجة فيه وبين الأعمال المدرجة ضمن الصنف الأول ، على كون التنفيذيات هي أعمال تنفيذ أحكام ، ولكنها ليست في حد ذاتها حكيمات .

3- **الوعديات:** إن الوعديات تلزم المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة ما، مثل: الوعد ، الموافقة ، والتعاقد والعزم ، والنية ، والقسم ، والإذن ، والتفضيل... "فكل فعل إلزامي هو تعمد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري ، وتتوفر نماذج الوعديات في المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات"¹ ، وإذا وجدت فروقاً في الدرجة بين التعاقد والنية ، فالأمر يتعلق بأعمال من طبيعة واحدة ، التي تُحمل على القول الإنشائي الأولي (سأفعل) .

4- **السلوكيات :** وهي أعمال تتفاعل مع أعمال الغير ، نحو: الاعتذار ، والشكر ، والتهنئة ، والرأفة والنقد ، والتصفيق ، والترحيب ، والكراهة ، والتحريض....

5- **العرضيات:** وهي أعمال تختص بالعرض مثل: التأكيد ، والنفي ، والوصف ، والإصلاح ، والذكر والمحاجة ، والقول ، والتأويل ، والشهادة ، والنقل ، والتوضيح ، والتفسير ، والتدليل ، والإحالة... ويمكن إجمال تصنيف أوستين كما يلي: إن الفعل المتعلق بممارسته توكيداً لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة ، والفعل الإلزامي هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد ، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف ، والفعل التفسيري هو توضيح مبررات وحجج ومعلومات ، وعلى هذا الأساس فإن الأفعال الكلامية تؤدي إلى المشاركة في بناء البنية الكلية للخطاب ، لأنها تشكل تماسكا بأغراضها التخاطبية ، وبالتالي فإنها تساهم في تحقيق الانسجام النصي.

ك- التناص:

يعتبر التناص من بين أهم الآليات التي تساهم في تماسك النص وترابطه بشكل كبير، حيث يتضمن نصاً ما نصوصاً أخرى تربط فيما بينها علاقات وروابط دلالية وتركيبية ، مما يجعل النص ذا وحدة كلية متكونة من أفكار وعلاقات داخلية في النص.

وقد اهتمَّ العلماء والنقاد بخاصية التناص ودراستها وتبيان دورها في الانسجام النصي ، وارتبط التناص في الفكر الغربي باللسانية البلغارية (جوليا كرسستيفا) فهي ترى أنه "ترحال للنصوص وتداخل نصي ، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتناهي ملفوظات مقتطعة من نصوص أخرى"² ومفاد هذا أنّ التناص يعني اقتناص نصوص معينة وإدخالها في نص آخر ليتولد فضاء نصياً متكوناً من الألفاظ والتراكيب المأخوذة من نصوص مختلفة. ومن بين مافرته جوليا كرسستيفا حول التناص قولها : إننا نعرف النص على أنه جهاز عبر- لساني ، قادر على إعادة توزيع

¹- جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، ترجمة: سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2006م ، ص: 218.

²- جوليا كرسستيفا ، علم النص ، ص: 21.

نظام اللغة جاعلا للكلمة المبلغة التي تسعى إلى بث المعلومة في علاقة حميمية ، مع اختلاف أنماط الكلام ماسبق منها وما تأين . وإذا فليس النص إلا إنتاجية ، وهو يعني:

- أن علاقته باللغة التي يتموقع فيها ، هي علاقة تقوم على إعادة توزيع اللغة ، توزيعا تقويضا عن طريق التفكيك وإعادة البناء.

- أن النص عبارة عن استبدال للنصوص ، أي التناس ، ذلك لأن في حيز النص مجموعة من العبارات مأخوذة من نصوص أخرى¹ .

وحول التناس يضيف (ليتش) فيقول : "إن النص ليس ذاتا مستقلة ، أو مادة موحدة، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى ونظامه اللغوي مع قواعده ومعجمه تسحب إليها كما من الآثار والمقتطفات من التاريخ"² ومعنى هذا أن النص لا ينتج من فراغ ، وهو غير مستقل بذاته عن نصوص أخرى سبقتة ، إذ تجمعها بها روابط وعلائق تمثل شبكة غير تامة من المقتطفات المستعارة شعوريا أو لاشعوريا³ . وأما (دي بوجراند) فإنه يرى أن التناس يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به ، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة⁴ ، يدل هذا أن التناس هو تلك العلاقات القائمة بين نص ما ونصوص أخرى ، تتضمنه وتسبقه وما يميز هذا التعالق أنه قد يكون مباشرا أو غير مباشر .

ل- كَيْفِيَّةُ التَّعَالُقِ النَّصِيِّ:

يتم التعالق النصي وفق كيفيتين مختلفتين وهما:

1- العفوية وعدم القصد.

2- القصد والوعي بالصياغة فالعفوية وعدم القصد تكون ناتجة عن انعدام القصدية ، حيث يتم التسرب من النص الغائب إلى النص الحاضر في غيبة الوعي. وأما القصد والوعي فتكون الصياغة في النص الحاضر تشير إلى نص آخر وتحدد إلى درجة التنصيص ، حيث يظهر إلى السطح ماسمي قديما بالسرقات الأدبية والتضمين⁵ ويوضح الدكتور محمد مفتاح ذلك فيقول : "فالتناس إما أن يكون اعتباريا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي وإما أن يكون المتلقي نحو مظانه، كما أنه قد يكون معارضة مقتدية أو ساخرة أو مزيجا بينهما"⁶ ، ويتضح لنا الدور الفعال الذي يؤديه التناس في بناء النصوص وانسجامها وبذلك يكون التناس عنصرا مهما من عناصر النص

¹ - عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، ص: 277.278. وينظر: صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص: 211.212.

² - عبد الله الغدّامي ، الخطيئة والتكفير من البنية إلى التشريحية نظرية وتطبيق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 6 ، 2006 ، ص: 289.

³ - ينظر : المرجع نفسه ، ص: 289.

⁴ - روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 104.

⁵ - ينظر: محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، مطابع المكتب المصري الحديث ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1995م ، ص: 153.

⁶ - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس ، ص: 131.

حيث يؤدي دوراً أساسياً في الربط بين أجزائه، فحينما يتضمن النص الواحد عبارة غامضة ثم يذكر ما يوضحها أو يتضمن أمراً مجملاً، ثم يذكر ما يفصله، أو يتضمن تركيباً يحتمل أكثر من احتمال دلالي، ثم يذكر ما يعين هذه الاحتمالات، أو يتضمن سؤالاً، ثم يذكر جوابه، فإن ذلك كله يحدد المعنى ويؤكد¹.

يدل هذا على أن التناص يثري النص بقيم ومعايير دلالية وشكلية، كما يساعد المبدع على التحرر من كل القيود والضغوطات المحيطة به، والدخول في عالم واسع وفسيح.

نستنتج مما سبق أن التناص هو آلية من آليات الترابط النصي إذ يقصد به استحضار نص سابق وتضمينه في نص لاحق، حيث تربطهما علاقات لغوية مختلفة تصل بين أجزاء النص الواحد، وقد تكون هذه العلاقات بواسطة

قرائن أو بدونها، كما يقوم التناص بإثراء النص بقيم دلالية وشكلية تساهم في تشكيل نص واحدٍ حيث يترابط فيما بينه بواسطة عناصر مختلفة ومتنوعة، كما يعمل على تحرير منتج النص من كل القيود المحيطة به.

م- البنية الموضوعاتية:

إذا كانت الإحالة والربط والترابط الدلالي تلعب دوراً هاماً في تحقيق الانسجام النصي، فإنها مع ذلك لا تكفي في تحليل ووصف الانسجام النصي، والنص المنسجم لا يكتفي بهذه العناصر لأنه يملك أو يحتوي على بني تتدرج ضمنها العناصر الاتساقية، ومنها البنية الموضوعاتية والتي تتأسس على مبدأين هما التدرج النصي والتتابع الخطي والنص يحتوي على نواة تبدأ في التوسع والتمدد، وتسمى هذه النواة بالموضوع الذي يتكون من محدث عنه ومن حديث (المحمول، الموضوع)، اللذان يقابلان في التركيب المسند والمسند إليه، ويتولد النص عن طريق النمو والتوسع الموضوعاتي، من خلال إدراج معلومات جديدة بين المحمولات والموضوعات، وبشكل مستمر مما يؤدي إلى تجدد النص دلالياً.

إنَّ التجدد الدلالي والنمو الموضوعاتي الذي يفرضه تعاقب متواليات المحمول والموضوع، شكل إحدى منطلقات مدرسة براغ في تحليل الديناميكية التواصلية وفق المنظور الوظيفي للجملة، وقد ولد هذا المنظور مصطلح الموضوع والمحمول وتعلق المسألة بترتيب العناصر في الجملة، ويعتبر الموضوع هو نقطة الانطلاق في الجملة والمحمول هو ما تقدمه من معلومات عن هذا الموضوع²، ويمس هذا التصور الجملة وينقله إلى النص، فإن النص يحقق نموه الموضوعاتي عن طريق الاستمرار والتوسع، ذلك لأن أي نص يحتوي على نقطة انطلاق ممثلة في الموضوع، وهذا الموضوع يتشكل من تركيبين أساسيين هما المسند والمسند إليه، أو الموضوع والمحمول، ثم يبدأ هذا الموضوع يتوسع في بنية خطية، فكل جملة في النص يفترض أن تحتوي على عناصر متكررة ويفترض أن تكون معروفة، وهذه

¹ - أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 1، 2011م، ص: 181.

² - ينظر: مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص: 125.

العناصر المعروفة هي التي تحقق الانسجام ، وعناصر موضوعة جديدة تضمن للنص توسعه وديناميكيته¹ ، وعلى هذا الأساس فإن النمو الموضوعاتي يأخذ أشكالا متعددة أهمها:

- **التدرج الخطّي**: يصبح العنصر الجديد عنصرا قديما ، ويحتل مكان الموضوع (الذي كان محمولا يصبح موضوعا) .

- **التدرج الثابت** : يحافظ النص على موضوعه ، ويخبر عنه مع كل جملة بمحمول جديد.

- **التدرج بمواضيع مشتقة من موضوع أكبر** : يحتوي النص على موضوع كبير ، ويتفرع هذا الموضوع إلى موضوعات جزئية (محمول كبير يتفرع إلى محمولات جزئية)² .

ن- عدم التناقض والتعارض:

إنّ حديثنا عن البنية الموضوعاتية والنمو الموضوعاتي ، يسوقنا إلى الحديث عن مبدأ آخر من مبادئ الانسجام وهو مبدأ عدم التناقض أو عدم التعارض ، ذلك أن من شروط انسجام النص خلوه من التناقض، خاصة إذا كان هذا التناقض يؤثر في انسجام النص ، ذلك أن النص يحمل أحيانا نوعا من التناقض الذي يكون ذا توجيه بلاغي في سياق الحجاج ، وهو لا يؤثر بذلك في انسجام النص ، لأنه مراقب ويسمى هذا النوع بالتناقض الطبيعي أما النوع الذي يؤثر في انسجام النص فقد ذكره الأستاذ **مفتاح بن عروس** وسماه بالتناقض غير المراقب وهو يقسمه إلى:

1- **التناقض التلّفي**: يتأسس من خلال اعتبار أن كل نص يحدد إطاره التلّفي من خلال تحديد

نظامه الزمني ، وتحديد كيفية عمل خطابية محددة . وفي هذه الجزئية فإن النص يفقد انسجامه وتكشف مقاطعه عن التعارض والتناقض فيه ، من خلال اتجاه مجموعة من مقاطعه إلى زمن -الماضي مثلا- يخالف زمن مقاطع أخرى تلي المقاطع الأولى ، وأما النقطة الثانية التي تؤثر في انسجام النص ، فهي تتمثل في غياب المتكلم في بعض المقاطع النصية ، وحضوره في مقاطع أخرى مما يؤدي إلى فقدان تحديد كيفية عمل الخطاب .

2- **التناقض الاستنتاجي والافتراضي**: يتعلق هذا النوع بالتناقض الذي يحدث على المحتوى الدلالي

للموضوع المعطى أو المفترض ، ونكشف عنه من خلال استنتاجنا أن النص يحتوي على قضيتين متناقضتين دلاليا.

3- **التناقض على مستوى العوالم ومثلها** : في هذا النوع لا بد من التفريق بين التناقض على مستوى

العالم ، والتناقض على مستوى تمثل العالم ، لأن الأول يتأسس على مفهوم العالم المدرج في المفاهيم اللسانية الداخلة في الواقع والملتزمة بالمنطق ، وأما الثاني فيعتمد على التصور والخيال الشعري ، ولا بد أن يخلو المقام الذي نتج فيه النص من التعارض على مستوى العالم الواقعي المحسوس والتعارض على مستوى العالم الممثل المجرد للمفاهيم والأفكار، ويتحقق ذلك بالترابط الحسي ، والمنطقي لعناصر العالم الواقعي³ .

¹ ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 126

² ينظر إحالة : مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 127.126.

³ ينظر: المرجع نفسه ، ص: 47.46.

حاولنا فيما سبق أن نحدد أدوات الاتساق النص ، والتي بفضلها تتحقق نصية النص، فأبرزنا كيف تعمل هذه الأدوات في تشكيل البنى النصية وعلاقتها التركيبية والدلالية على مستوى الجمل المتتالية، وتطرقنا إلى الأدوات النحوية والمعجمية ودورها في عملية الاتساق، كما تناولنا آليات الانسجام في النص فركزنا على المفاهيم الدلالية والتداولية كالعلاقات والتغريض والتناص والسياق ومعرفة العالم والأفعال الكلامية، ودور المتلقي وشرط النمو الموضوعاتي وعدم التعارض ، وهنا يخرج النص من الدراسة الداخلية إلى ماهو سياقي تداولي يتطلب التأويل والتفسير من قبل القارئ.

من خلال عرضنا لأدوات الاتساق النصي وتبيان دورها في تحقيق نصية النص وتشكيل بنية النص الدلالية والتركيبية على مستوى المتواليات الجمالية.

س- طبيعة العلاقة بين الاتساق والانسجام:

ذهب محمد خطابي إلى أن الانسجام أعم من الاتساق ، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده ، أي تجاوز المتحقق فعلا أو غير المتحقق أي الاتساق إلى الكامن وهو الانسجام .

وذهب صبحي إبراهيم الفقي إلى التوحيد بين مصطلحي (**cohesion** و **coherence**) حيث يرى أن كليهما يعينان مع التماسك النصي، فوجب بذلك التوحيد بينهما واقترح مصطلح (**cohesion**) ثم قسمه بعد ذلك إلى التماسك ، بما يحقق التماسك الشكلي للنص ، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية ، وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى ، وهذا الأخير هو الذي اطلق عليه بعض الباحثين مصطلح الانسجام واعتمدها في الدراسة .

ومن خلال تتبعنا لأهم المفاهيم المتعلقة بالانسجام والتي أوردها الباحثون فهناك من حصر أهم خصائصه في نقاط معينة وهي:

- 1- يعد الانسجام شرطا وقواما لتوفر خاصية النصية .
- 2- إنَّ النص هو وحدة التبليغ والتبادل ، ويكتسب انسجامه من خلال هذا التبادل والتفاعل ولذلك ينبغي تجاوز إطار الجملة للاهتمام بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارساتهم الكلامية .
- 3- لا تستقيم نصية قطعة نصية إلا بانسجامها ، وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السياق ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص وبعده التداولي .
- 4- للانسجام علاقات خاصة متميزة تحدد النص في بعده الجزئي وفي بعده الكلي ، أما البعد الجزئي أو الميكرونصي ، فالانسجام المحلي فيه علامات أفعال الكلام التي يحتويها النص ، وتحدده كذا علامات الخطاب المختلفة . وأما البعد الكلي أو الماكرونصي فالتوجه التداولي العام للنص يحدد انسجام النص العام .
- 5- يرتبط معيار الانسجام بمجموعة من العلوم الأخرى مثل الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس الإدراكي وغيرها من العلوم .

إنَّ أهم ما يجب التأكيد عليه في مجال الانسجام النصي هو علاقته بالاتساق ، وهي نقطة مهمة يجب على متلقي الخطاب أن يكون عالما بها وواقفا على جزئياتها ، لذلك فقد اعتبر كل من هاليداي ورقية حسن أن الاتساق مكون من مكونات الانسجام " لكي يكون نص ما منسجما ، يجب أن يكون متسقا ، لكنَّ يجب أن يكون أكثر من ذلك ، يجب أن يستعمل وسائل الاتساق بالطرق التي تبررها القائمة التي يعد حالة منها ، يجب أن يكون مناسباً دلالياً ، وذلك بتحقيقات معجمية نحوية منسجمة ، مثلاً أن يكون له معنى ، ويجب أن تكون له بنية"¹ .

ولا شك أن هذا المنطلق يؤطر لقضية هامة تتمثل في الجانب الدلالي من الترابط ، حتى في غياب الروابط النصية ومن هنا عدم تحديد النص بالجانب الاتساقى فقط ، مع الأخذ بالاعتبار أن تأويلات الجمل والقضايا لا يكون بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليها ، فالعلاقة بين الجمل محددة باعتبار التأويلات النسبية ، وهو ما يعزز من العلائقية داخل بنية الخطاب أو التطابق الذاتي ، وعلاقات التضمن والعضوية ، كالجزء والكل والملكية مما يساهم في تحقيق الجاهزية وبناء الانسجام ، مع افتراض وجود معرفة حول بيئة العوالم والحالات الخاصة للأمور ومجريات الأحداث² . ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي:

- أصيبت هند بالزكام ، البرد شديد .

فلكي نفهم حقيقة كيف تساهم علامات الاتساق هذه في فهم الخطاب لابد أن ينصب تفكيرنا على انسجام الخطاب أو حصافته... يمكننا من هذه المقولة الأخيرة أن نكتشف تصورا للخطاب يعكس ترابطا بين خاصيتين أساسيتين هما الاتساق والانسجام .

إذا كان مصطلحا الانسجام والاتساق يسيران معاً في الدراسات اللسانية المعاصرة ، فإنَّ الجانب التاريخي فيهما يضعنا أمام حقيقة مفادها أن الكلام عن الانسجام سابق ، فمع نهاية الستينات وبداية السبعينات لم يكن مصطلح الاتساق موجوداً لا كمفهوم ولا كمجال للدراسة³ ، إذ انصب اهتمام الأعمال الأولى بمسألة الانسجام ومن خلال اهتمام العلماء به فرقوا بين نوعين أساسيين من دعائم الاستمرارية الدلالية في النص ، أحدهما يمس الجانب اللغوي ، والثاني يمس الجانب التداولي ، ولتأكيد طرحهم هذا نعرض المثالين الآتيين:

1- أحمد يحب الشعر وهو مولع بتصفح كل ديوان شعري .

2- أصيبت هند بالزكام

- البرد شديد

يشكل المثالان وحدتين خطابيتين يتقبلهما المتلقي مع الحكم عليهما بأنهما منسجمتان ، وإذا نظرنا إلى مكونات كل مثال فإننا سنجد أن المثال الأول تحقق فيه عنصر الاستمرارية عن طريق عنصر لغوي هو الضمير (هو) بينما

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 256.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 34.

³ - ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 17.

لا توجد علاقة شكلية كما هو الحال في المثال الأول بين جزئي المثال الثاني ، فالظاهر ينبئ عن علاقة انفصال، غير أن المتلقي لا يجد أدنى عائق في ربط القول الأول أصيبت هند بالركام ، بالقول الثاني البرد شديد ، مع غياب الرابط الشكلي بينهما ، ويشكل القولان بذلك مقطعا منسجما ، ويسند هذا المثال إلى الأمثلة التي تغيب فيها العناصر المحققة للاتساق ، ومع ذلك لا يجد المتلقي صعوبة في تقبلها على أنها مقاطع منسجمة ، والقارئ هنا لا يوظف معرفته اللغوية بل يوظف معرفته الموسوعية أو ما يسمى بمعرفة العالم¹، ويسمح هذا بتحديد العوامل التي تدخل في الحكم على انسجام مقطع أو خطاب ما ، ولهذا فإن علاقة الاتساق بالانسجام تقتضي :

1- تحديد العناصر المحققة لعلاقة اتساقية إن وجدت .

2- القيام بعمليات استنتاجية ، وخاصة الاستنتاجات العلائقية التي تمس منحوى المعطى الخطابى والمقام

الذي وجد فيه الخطاب ومعارف الأشخاص² .

بقيت مسألة التداخل بين مفهومي الاتساق والانسجام مستمرة ، وعادة ما كان يعبر عن الأول بالثاني ولئن تم تحديد هاتين الظاهرتين المحققتين للاستمرارية الدلالية في النص على المستوى اللغوي وعلى المستوى التداولي فالذي يلفت الانتباه إليه أنهما كانتا تدرسان تحت تسمية واحدة هي الانسجام ، ومع مرور الزمن وتطور البحث في المجال النصي ، أدى إلى تخصص تدريجي لدراسة هذين النوعين من العلاقات .

وفي هذا النوع من الدراسات لا بد من الإشارة إلى أن مؤلف (هاليداي ورقية حسن) والموسوم (بالاتساق في الإنجليزية 1976م)، يعتبر نقطة فصل بين الظاهرتين أي الانسجام والاتساق ، فقد وضعت هذه المساهمة الأسس النظرية والمنهجية لما يعرف اليوم بتحليل الأنساق³ .

يحدث التداخل بين مفهومي الاتساق والانسجام حين يتم ربط دور الروابط المنطقية بالانسجام ، وبذلك يتم التحول من مستوى تحليل يتعلق بنظام القواعد اللسانية الشكلية ، إلى مستوى آخر يتعلق بظروف إنتاج الخطاب والتشكيلات الخطابية ، أي الانتقال من مستوى الدالية إلى مستوى المدلولية ، بهذا لا يمكن أن نأخذ الاتساق مرادفاً للانسجام .

إن هذه المقابلة والتفريق بين الاتساق والانسجام ، تجعلنا نقف على مقابلة أخرى تتأسس بين النص والخطاب وتتفرع عنها مقابلات أخرى تشكل محورين متدرجين من الأعلى إلى الأسفل ، ومن الأسفل إلى الأعلى هكذا⁴:

¹ - ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 18.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 60.59.

³ - ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 19.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 19.

نص	خطاب
جملة	قول
مورفيم	كلمة
مستوى الدالية	مستوى المدلولية
الاتساق	الانسجام
نظام القواعد اللسانية الشكلية	مجموع المعايير الاجتماعية الملموسة

إنَّ تعلق الجمل بعضها ببعض يعني أن كل جملة تستند على سابقتها ، والاهتمام بهذا التعلق يظهر بوضوح مع "فاندايك" يرى أنه من غير المؤكد بل من غير المحتمل أن يكون النص مجموعة من الجمل،...مثلما أنَّ الجملة ليست تتابعا للكلمات فقط فهناك إذن ما يجعل من هذه الجمل نصا أي وحدة، وإذا كان النحو يسعى إلى تحديد مجموعة القواعد التي تحكم الوحدات المكونة للجملة ، وإبراز أنواع العلاقات التي تقيمها هذه الوحدات مع بعضها لتشكيل من هذه العناصر هذه الوحدة التي نسميها الجملة ، فليس من الصعب إذا نحن أثبتنا أنَّ النص يتميز بالوحدة وأنه في التكوين ليس مجرد رصف لجمل ، أن نتكلم عن نحو للنص.

وهذا الذي يؤكد أنَّ مسألة البحث في الانسجام يعتبرها التوسع والتشعب ، وذلك تبعا لنظرتنا إليها من ناحية النص في حد ذاته ، أو من ناحية العلاقة التي تربط بين النص والمتلقي ، خاصة وأن هذا الأخير له دور مهم في إنشاء الانسجام وبنائه ، وهذه النظرة التي تجمع بين النص والمتلقي ، هي التي أشار إليها الأستاذ مفتاح بن عروس باسم النظرة الموسعة للانسجام والتي مثلتها الباحثة ليتا لاندكيسست ، ويأتي مسوغ التوسيع فيها من منطلق نظرية أفعال الكلام¹، فكما أنَّ الجملة فعل يتكون من مجموعة من الأفعال(فعل الإسناد وفعل الإحالة وفعل الإنجاز) فكذلك يمكن توسيع هذا التحليل إلى النص ، باعتباره فعلا ومن ثم فهو يقول شيئا ليحقق شيئا، وهذا يعكس وجود ترابط في النص من حيث التكوين ، وترابط بين النص والمتلقي.

إنَّ مسألة التفريق بين الانسجام والاتساق غير ممكنة ، لأتھما مفهومان متداخلان يجمعهما النص ولأتھما على مستوى الدور يعملان على بناء النص وإحكامه ، لذلك فقد رأى الباحثون أنَّ محاولة التفريق ووضع الحواجز بينهما غير مجدية " ففي الوضع الحالي للبحث من غير الممكن تقنيا أن نقوم بتقسيم صارم بين القواعد ذات البعد النصي والقواعد ذات البعد الخطابي ، فأثناء النص ستفجر الحدود التي تحظى بقبول واسع بين علم الدلالة والتداولية ، بين الحايث والمقامي ، ومنه وحسب رأينا لا يكون أي معنى للتفريق بين الاتساق والانسجام² .

¹ - ينظر: مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم ، ص: 20.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 43.

رابعاً - الروابط وتصنيفها:

بداية لا بد من الاستفادة من الروح العلمية التي قدمتها البنيوية في تحليل اللسان والخطاب ، وكلما نجحنا في وصف اللغة وصفا علميا وفي قراءة الخطاب كشكل وتقنيات ، يمكننا في أي لحظة التقدم إلى ما يتجاوز الخطاب إلى الدلالة والتأويل¹ .

إن اقتحام النص المترابط يفرض علينا تجاوز الطريقة التي تعاملنا بها مع البنيوية ، ونحن مدعوون أكثر إلى انتهاز الروح العلمية التي نجدها في الكتابات النظرية للنص المترابط وللوسائط المتفاعلة² .

إن النظام اللغوي العام في العربية يقوم على مجموعة من الأنظمة الفرعية والظواهر اللغوية ، التي تحتاج إلى الدراسة والبحث ومنها نظام الربط ، ففي اللغة تترابط المفردات والجمل بعضها ببعض ترابطا وثيقا لتشكل نصا سليما والربط عنصر مهم من عناصر النظرية النحوية العربية ، وعامل أساسي في فهم المعنى وانتظام المفردات والجمل³ .

تحدث تمام حسان عن الربط فقال " : إن الربط قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر"⁴ ، إنها علاقة تقوم بين سابق ولاحق في السياق اللغوي ، بواسطة إحدى وسائل الربط التي تتحكم بها العلاقة ، وهي ظاهرة في التراكيب اللغوية، تساهم في إدراك علاقات مفردات الجملة ، وعلاقات الجمل ببعضها البعض وقد لخص الراميني أهمية الروابط في :

- 1- أنها شكل من أشكال الإشارة الواضحة ، أي التعبير بصورة واضحة سواء كانت الروابط كلمات أو جمل أو أشباه جمل.
- 2- لها تأثير كبير في تحديد وجهة العلاقة ليس فقط بين الجمل بل بين عناصر الجملة .
- 3- لها تأثيرات إيجابية متعددة على صعيد اللغة ، منها أنها تمنح لغة النص قوة في التراكيب وجمالا في التعبير وتوازنا في الأداء .
- 4- هي مثرية للنص في اللغة العربية وتكسبه وضوحا أكثر .
- 5- سوء استخدامها أو إهمالها يلحق ضررا بالمعنى والتركيب ، وعلى هذا الأساس يجب استخدام أدوات الربط بالشكل الصحيح والمنطقي ، إذا أراد الكاتب تحقيق وحدة النص⁵ .

¹ - ينظر : سعيد يقطين ، من النص إلى النص المترابط ، مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 2005م ، ص: 186.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 187.

³ - ينظر: جمعة عوض عبد الله الخباص ، نظام الربط في النص العربي، أطروحة دكتوراه ، جامعة الأردن ، 2000م ، ص: 01.

⁴ - تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، المغرب ، طبعة 1994م ، ص: 213.

⁵ - ينظر: حسين الراميني ، الكتابة العلمية مهارات أساسية في البناء واللغة ، مطبعة كنعان ، إربد، الأردن ، ط1، 2000م ، ص: 163.162.

أ- تعريف الربط :

1- لغة: ورد في لسان العرب ، في مادة ربط "ربط الشيء يربطه ، ويربطه ربطا ، فهو مربوط ، وربط شده والرباط ماربط به والجمع ربط ..ودابة يربط مربوطة ..والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو"¹، وورد في القاموس المحيط "ربط ربطه ويربطه ويربطه شده ، فهو مربوط وربط والرباط ماربط به وجمعه ربط ... والمرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره ، وكل معد لصاحبه فسماي المقام في الثغر رباطا"² ، من خلال تتبع المعنى اللغوي للفعل (ربط) واشتقاقاته المختلفة نجد أن المعنى الغالب عليه هو الوصل والعلاقة بين أمرين .

2- اصطلاحا: ظاهرة تركيبية تنشأ بين مجموعة من الكلمات بوسائل معينة ، إما ملفوظة ، أو ملحوظة تتطافر مع قرائن لفظية أخرى لأداء المعنى الوظيفي للتركيب ، ولتحقيق الغاية من اللغة وهي فهم المعنى وإفهامه كما يمكن القول بأنه قرينة تقوم على الاتصال المتبادل بين المترابطين ، ويمكن القول بأن الربط هو إحكام توظيف اللفظ لخدمة المعنى .

إذن فإن مصطلح الربط يوحي بنشوء علاقة نحوية سياقية بين معنيين ، باستعمال أداة ربط كالواو مثلا وهو قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر ، وعن طريق هذه الوساطة اللفظية يدخل أحد المترابطين في عموم الآخر³.

إن مصطلح الربط يحيل بالضرورة إلى مصطلح آخر وهو الترابط ، لأن ما يجمعهما واحد وهو النص ويؤدي تقاربهما من ناحية المفهوم إلى الالتباس الذي يجعلنا نتصور أنهما مصطلحان لمفهوم واحد ، وقد أشار علماء النص إلى الفرق بينهما ، وهو أن الترابط نتيجة عن عملية الربط التي تجمع بين التماسك الشكلي والتماسك الدلالي للوصول إلى التماسك الكلي ، نتيجة تطافر عوامل داخل النص وأخرى خارجه ، فالترابط محصلة ونتيجة لعملية الربط وتؤدي عملية الترابط بما يتضافر منها من ربط بروابط متعددة إلى التماسك الكلي أو العام في النص . ومما يؤكد أن هناك فرقا بين الربط والترابط ما أشار إليه الدكتور مصطفى حميدة من خلال قوله : "...فأما الارتباط فهو نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين ، دون اللجوء إلى واسطة لفظية تعلق أحدهما بالآخر، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه، وأم الربط فهو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة ، أو ضمير بارز عائد، ويكون الربط إما لأمن لبس الانفصال أو لأمن لبس الارتباط ، وأما الانفصال فهو انعدام العلاقة الدلالية والنحوية بين معنيين..."⁴ ، وتحدد طبيعة العلاقة التي يحدثها الارتباط على اعتبار أنها علاقة معنوية تشبه علاقة الشيء بنفسه .

1- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، ج7 ، ص: 302.

2- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ص: 610

3- ينظر: تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 213.

4- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مكتبة لبنان ، ط1 ، 1997م ، ص: 203.

تتخذ أشكال الترابط صوراً مختلفة يمكن رصدها ظاهرياً على المستوى السطحي للنص ، وأخرى ضمنية تصويرية تخضع لكفاءة القارئ وقدرته على استنباطها. فأشكال الترابط سواء كانت بأدوات معينة ، أو دون أدوات تستلزم النظر إلى النص بوصفه وحدة كاملة ، لأنها استعمالات لغوية غير عادية تتركز على عناصر تماسك لا يصرح بها النص ، يتضح من هذا التعريف أن هناك أدوات ترابط شكلية تبدو لنا ، وأخرى ضمنية لا يصرح بها النص ، فعلى القارئ استخلاصها من خلال الغوص في ثنايا النص "إذن يعتمد الترابط على المستوى السطحي على وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة ، أما التماسك الآخر الذي يعني الوحدة والاستمرار والتشابك ، فيقوم على قواعد وأبنية تصويرية تجريدية"¹ .

لا بد أيضاً من الإشارة إلى طبيعة الربط في حد ذاته ووسائله التي تؤدي إلى عملية الترابط ، لذلك ينبغي "أن نفرق هنا بين الربط الذي يمكن أن يتحقق من خلال أدوات الربط النحوية (الروابط) ، والتماسك الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول ، ويمكن تتبع إمكانات الأول على المستوى السطحي للنص إلا أن الثاني يتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص ، تقدم إيضاحاً لطرق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة أو مفككة على السطح"² .

ويقدم العلماء تصوراً دقيقاً لصور الربط النصي ، وهم يقصدون الربط النحوي كونه خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى ، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص ، ما يتمثل في مؤشرات لغوية³ ، وهي التي سنشير إليها بالتمثيل في ثنايا هذا البحث .

ب- تعريف الروابط:

عرفت الروابط بأنها ألفاظ دالة على معنى الاجتماع بين الموضوع والمحمول ، وبتعبير آخر هي وسائل لغوية تصل بين العناصر المكونة لجزء من السياق ، أو سياق كامل هذا السياق يسمى بنية داخلية ، والرابطة هي الوصلة بين الشئيين.

فالعربية تلجأ إلى الربط بواسطة لفظية حين نخشى اللبس في فهم الارتباط بين معنيين ، والواسطة اللفظية إما أن تكون ضميراً بارزاً منفصلاً أو متصلاً ، وما يجري مجراه من العناصر الإشارية كالاسم الموصول ، واسم الإشارة وإما أن تكون أداة من أدوات الربط⁴ .

¹ - سعيد مجري ، علم لغة النص ، ص: 123.

² - المرجع نفسه ، ص: 122.

³ - سعيد مجري ، علم لغة النص ، ص: 123.

⁴ - ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 196.195.

"إنَّ ما يجعل السياق سياقاً مترابطاً إنما هي ظواهر في طريقة تركيبه ورففه ، لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها ببعض ، في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق" فالتماسك السياقي يقتضي توافقاً بين أجزاء السياق¹ .

ويذكر تمام حسان قيمة الربط وأهميته ، حيث إن الجملة العربية قد تطول أحياناً ، وقد يعطف عليها مثلها أو أمثالها فيكون بين أول الكلام وآخره شقة بعيدة ، لاتعي الذاكرة معها ما الذي ينتمي إلى هذا وما الذي ينتمي إلى ذاك وهكذا تتفكك أواصر الكلام ، ويدخل المعنى في غيابات الغموض ، أو في متاهات اللبس ، وكلا من اللبس والغموض آفة من آفات الاتصال والتفاهم ، ومن ثم يأتي الربط بوسائله اللفظية المتعددة ليقوم "بانعاش الذاكرة ، لاستيعاب مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية"² . وقد ذكرنا سابقاً أن هذه الوسائل (الروابط) قد تكون تكون محسوسة وظاهرة كالحروف والأفعال والأسماء والضمائر وقد تكون ضمنية مجردة كالربط السياقي ، والحركات والإيماءات للدلالة على التنبيه أو الأمر أو النهي أو الاحتفاء وغير ذلك..

ج- تصنيف الروابط في النظرية العربية:

إنَّ ظاهرة الاعراب التي اتخذها النحاة منهجاً لهم ، حرمتهم من دراسة بناء الجملة تركيبياً ومعنوياً يقوم على الارتباط والربط بين المعاني الجزئية ، ولهذا فإننا نلاحظ أن النحاة المتقدمين لم يشيروا إلى الربط إلا إشارات عابرة وفي مواضع متفرقة ، أما المتأخرون فقد تنبهوا إلى أهمية هذه الظاهرة التركيبية فحاولوا حصر مواضعها في مباحث خاصة³ .

د- مفهوم الربط عند العلماء العرب القدامى:

لقد تناول علماءنا القدامى الربط تناولاً عاماً في دراساتهم ووضعهم للقواعد، ولم يخصوه بنظرة مستقلة، ولا كونوا له نظرية مستقلة كغيره من الظواهر المصاحبة للقواعد؛ إذ كانت عنايتهم منصبه على تعويد القواعد للسان العربي ووضع أصوله حفظاً له من الضياع ، إذ "يمكننا القول بأن العلماء العرب الأوائل أمثال الخليل وسيبويه والكسائي والفراء .. وغيرهم لم يشيروا في مؤلفاتهم ودراساتهم إلى الربط ومفهومه إشارة تؤكد إدراكهم لدوره وقيمته باعتباره قيمة لفظية ، أو بوصفه ظاهرة تركيبية مؤثرة على توثيق عناصر التراكيب العربية وتماسكها"⁴ ، فالقدماء "لم يدرسوا ظاهرة الربط في مؤلف مستقل ، وإنما جاء الحديث عن الروابط في معرض أبواب نحوية مختلفة وفي كتب خصصت لحروف المعاني"⁵ .

¹ - ينظر: تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990م ، ص: 203.

² - تتمم حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة، مصر ، ط 1 ، 1993م ص: 109.

³ - ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 190.

⁴ - حسام البهنساوي ، أنظمة الربط في العربية ، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة مصر ، ط 1 ، ص: 07.

⁵ - جمعة عوض عبد الله الخباص ، نظام الربط في النص العربي ، ص: 03.

ومع ذلك فإن من يقرأ في كتبهم وتراثهم يرى الاستقصاء التام لتلك الروابط في اللغة العربية ، ومعرفة أثرها والفروق الدقيقة بينها.

إن العلماء القدامى لم يذكروا مصطلح الربط صراحة ، وإنما أشاروا إليه كمفهوم فقد وردت الإشارات إلى ما يتعلق بالربط من وسائل تؤدي وظيفة الربط عند سيبويه (ت 180هـ) والمبرد (ت 285هـ) دون التصريح بمصطلح الربط¹.

ظهر مصطلح الربط عند ابن السراج (ت 316هـ) ، وهو من العلماء الأوائل الذين تناولوا الروابط وفصلوا فيها إذ أشار إلى مسألة الربط بالحرف ، وقد قال في ذلك : " اعلم أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع : إما أن يدخل على الاسم وحده مثل :الرجل ، أو الفعل وحده مثل :سوف ، أوليربط اسماً باسم ، أو فعلاً بفعل أو فعلاً باسم أو على كلام تام ، أوليربط جملة بجملة ، أو يكون زائداً ... أما دخوله على الاسم وحده فنحو لام التعريف إذا قلت :الرجل ، والغلام ، فاللام أحدث معنى التعريف ، وقد كان رجل وغلام نكرتين . أما دخوله على الفعل فنحو سوف والسين ، إذا قلت سيفعل أو سوف يفعل ، فالسين وسوف صار بهما الفعل لما يستقبل دون الحاضر .وأما ربطه الاسم بالاسم فنحو قولك :جاء زيد وعمرو ، فالواو ربطت عمرًا بزيد ، وأما ربطه الفعل بالفعل فنحو قولك :قام وقعد ، وأكل وشرب ، وأما ربطه الاسم بالفعل فنحو قولك :مررت بزيد ، ومضيت إلى عمرو ، وأما دخوله على الكلام التام والجمل فنحو قولك :أعمرو أخوك ، وما قام زيد ، ألا ترى أن الألف دخلت على قولك : عمرو أخوك وكان خبراً فصيرته استخباراً ، و(ما) دخلت على :قام زيد وهو كلام تام موجب فصار بدخولها نفيًا . وأما ربطه جملة بجملة فنحو قولك :إن يقيم زيد يقعد عمرو ، وكان أصل الكلام :يقوم زيد يقعد عمرو فيقوم زيد ليس متصلًا يقعد عمرو ولا منه في شيء ، فلما دخلت إن جعلت إحدى الجملتين شرطاً والأخرى جواباً².

فابن السراج في هذا النص تحدث عن الربط بالحرف ، مثل حرف الجر وحروف العطف ، وحروف الاستقبال وأدوات الشرط.

وأما الزجاجي (ت 340 هـ) فإنه لم يذكر مصطلح الربط ، ولكنه أشار إلى المفهوم في معرض حديثه عن

الضمير العائد على ما سبقه ، حين تحدث عن الربط الذي يحدته الاسم الموصول مع صلته قال في ذلك : " واعلم أن الاسم الموصول لا ينعت ولا يؤكد ولا يعطف عليه ولا يستثنى منه ، إلا بعد تمام صلته ، لأنه مع صلته بمنزلة اسم واحد ولا يصح معناه إلا بالعائد عليه من صلته "³.

¹ - جمعة عوض عبد الله الخباص ، نظام الربط في النص العربي ، ص : 11.

² - ينظر: ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل ، الأصول في النحو ، تحقيق: عبد الحسين الفتيلي ، مؤسسة الرسالة ، ج 1 ، ص : 43.42.

³ - الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ، الجمل في النحو ، تحقيق: علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل ، 1984م ، ط 1 ، ج 1 ص : 362.

ونجد أبا علي الفارسي (ت 377هـ) يطلق مسمى الذكر للرباط الضميري ، ويمثل له في معرض حديثه عن المبتدأ والخبر يقول : " فالأول كقولنا: زيد قام وزيد قام أبوه ، فزيد يرتفع بالابتداء وقام في موضع خبره وفيه ذكر مرتفع بأنه فاعل ، وهذا الذكر يعود إلى المبتدأ الذي هو زيد ، ولولا هذا الذكر لم يصح أن تكون الجملة خبرا عن هذا المبتدأ الذي هو زيد"¹.

وورد مصطلح الربط عند ابن جني (ت 392هـ) ، وأطلق لفظ الرباط على (الفاء) الواقعة في جواب الشرط،و(إذا) الفجائية النائية عنها. كما أطلق مُسَمَّى الاتباع على الربط بالحرف قال في ذلك: " إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر ،أو الكلام الذي يجوز أن يُبتدأ به فالجملة في نحو قولك : إن تحسن إلي فالله يكافئك ، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره"² ويؤكد ابن جني على أن الفاء رابطة إذا وقعت في جواب الشرط " لأن الفاء حكمها أن تأتي رابطة ما بعدها بما قبلها"³ ، ويتسع مفهوم الاتباع عند ابن جني ليشمل إذا الفجائية الواقعة في التركيب الشرطي ، وهي بذلك تتشابه مع الفاء الرابطة لجواب الشرط في الربط والاتباع "وذلك أن (إذا) هذه التي للمفاجأة ، قد تقدم من قولنا فيها أنها للإتباع ، بدلالة قول الله عز وجل :

﴿... وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَبْتَهُ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ، (الروم الآية 36) ، فوقوعها جوابا للشرط يدل على أن فيها معنى الاتباع ، كما أن الفاء في قولك: إن تحسن إلي فأنا أشكرك ، إنما جاز الجواب بما لما فيها من معنى الاتباع⁴.

ومن العلماء الذين فصلوا في الربط وأشاروا إليه بشكل واضح الزمخشري (ت 538هـ) وذلك من خلال حديثه عن الربط الذي تؤديه اللام الواقعة في جواب شرط (لو ولولا) يقول: " ولام جواب لو ولولا نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا... ﴿٣٣﴾﴾ ،(الأنبياء الآية 22) وقوله تعالى: ﴿...وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ ،(النساء الآية 83) ودخولها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى"⁵.

وأما ابن يعيش (ت 643 هـ) فقد توسع في حديثه الروابط ، إذ أشار إلى لفظ الربط في الجملة الشرطية واعتبر حرف الشرط هو الذي يؤدي إلى ربط جملتين وسبكتهما ، فيجعلهما جملة واحدة "فحرف الشرط ربط كل جملة من الشرط والجزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة"⁶ ، كما أشار ابن يعيش أيضا إلى الربط من خلال

¹ - أبو علي الفارسي ، الإيضاح العضدي ، تحقيق: حسن شاذلي فهدود ، ط1 ، 1969م . ج 1 ، ص: 43.

² - ابن جني أبو الفتح عثمان ، سر صناعة الاعراب ، تحقيق: حسن هندراوي ، ج 1 ، ص: 253.

³ - المصدر نفسه ، ص: 254.

⁴ - ابن جني أبو الفتح عثمان ، سر صناعة الاعراب ، ص: 261.

⁵ - الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر ، المفصل في علم العربية ، تحقيق: فخر صالح قدارة ، دار عمار ، الأردن ، ط1 ، 2004م ، ص: 334.

⁶ - ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، ج 1 ، ص: 89.

تطرقه إلى مبحث البدل ، ففي بدل البعض من الكل وبدل الاشتمال اشترط وجود عائد يربطه بالأول¹، ومن الحروف التي عدّها ابن يعيش من الروابط أيضا (واو الحال)، واعتبر أن وجودها في الجملة يغني عن وجود الضمير "من قبل أنّ الواو أغنت عن ذلك يربطها ما بعدها بما قبلها ، فلم تحتج إلى ضمير مع وجودها"² ، فورود الواو في الجملة الحالية أدى الربط ، والجملة تكتفي بها ولكن هذا لا يمنع من وجود رابط آخر في الجملة الحالية وهو الضمير المقترن بالواو الحالية ، وبالتالي فإن الجملة تتوفر على رابطين مما يؤدي إلى زيادة الترابط والتماسك "فإننا إن جننا بالضمير معها فجميل ، لأن في ذلك تأكيد ربط الجملة بما قبلها"³ ، وتحدث ابن الحاجب (ت 646هـ) عن الضمائر الواقعة للربط "وهو أن تربط الثاني بالأول على ثلاثة أضرب في باب الصلة ، والصفة ، والمبتدأ.

ففي باب الصلة أنت في الضمير المنصوب بالخيار ، إن شئت أثبتته وإن شئت حذفته ، وفي خبر المبتدأ الأكثر إثباته .. والضمير في الصفة ليس كالاستواء في الصلة ، ولا كالقلة في خبر المبتدأ وسر ذلك هو أن الصلة مع الموصول جزء واحد ، فاستغني بالربط اللفظي عن التزام الضمير ، وخبر المبتدأ مع المبتدأ مستقل في الجزئية فلذلك التزم الإتيان بالضمير في الغالب ليحصل الربط بينه وبين الجزء الآخر"⁴.

وسار ابن عصفور الإشبيلي (669هـ) على نهج ابن الحاجب في حديثه عن جزئية رابط الجملة الواقعة خبرا وفصل ذلك في باب الابتداء ، ذكر فيه أن جملة الخبر لا بد فيها من رابط يربطها بالمبتدأ ، وهو إما ضمير وإما اسم إشارة وإما تكرير المبتدأ بلفظه ، وفصل الحديث في الضمير العائد إلى المبتدأ⁵ . وأشار الرضي (ت 686هـ) إلى أهمية الضمير في الربط بين الجمل قائلا: "الجملة في الأصل كلام مستقل ، فإذا قصد جعلها جزء الكلام ، فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض"⁶ .

ما يلاحظ حول إشارات علماء النحو للروابط ، أنّ ذكرهم لها جاء متفرقا في ثنايا كتبهم وتصانيفهم فهم لم يخصصوا لهذه الروابط مباحث أو تصانيف مستقلة لكننا نجد أن ابن هشام الانصاري (ت 761هـ) قد فصل الحديث في الربط ، إذ درس الروابط في مبحثين مستقلين من كتابه ، فذكر في المبحث الأول روابط الجملة بما هي خبر عنه وجمعها في عشرة روابط الضمير، الإشارة، إعادة المبتدأ بلفظه، إعادة المبتدأ معناه، عموم يشمل المبتدأ العطف بفاء السببية جملة ذات ضمير خالية منه أو بالعكس، العطف بالواو، شرط يشتمل على ضمير مدلول

¹ ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج 3 ، ص : 64.63.

² المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 65.

³ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص : 65.

⁴ ابن الحاجب عثمان أبو عمرو ، أمالي ابن الحاجب ، تحقيق: فخر الدين سليمان قدارة ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ج 1 ، ص : 683.

⁵ ابن عصفور الإشبيلي أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ، شرح جمل الزجاجي ، قدم له فواز الشعار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1998م ، ج 1 ، ص : 333.334.335.

⁶ الإستراباذي محمد بن الحسن ، السمائي النجفي الرضي ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، تحقيق: يحي بشير مصري ، ط 1 ، 1996م ، المجلد 1 ص : 268.

على جوابه بالخبر، أل النائبة عن الضمير، كون الجملة نفس المبتدأ في المعنى، ثم ذكر في المبحث الثاني أحد عشر موضعاً يحتاج إلى رابط، وهي: الجملة المخبر بها، الجملة الموصوف بها، الجملة الموصول بها الأسماء، الجملة الواقعة حالاً، الجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه، وبدل البعض والاشتمال، ومعمول الصفة المشبهة و جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء ، و العاملان المتنازعان في باب الاشتغال ، وألفاظ التوكيد الأول¹، كما خص العطف بتحليل مستقل قبل الحديث عن تلك الروابط ذاكراً أقسام العطف، وعطف الخبر على الإنشاء والعكس، وكذلك عطف الجملة الفعلية على الاسمية والعكس². كما عقدا الإمام السيوطي (ت 911هـ) باباً أسماه (الرابط) ، تحدث فيه عن المواضع التي يحتاج فيها إلى الربط، وعدها أحد عشر موضعاً، متفقاً فيها مع ابن هشام³. وقد تناولت كتب إعراب القرآن، وبعض كتب علوم القرآن تلك الأدوات بالدرس التطبيقي في القرآن الكريم⁴.

ولم يقتصر الاهتمام بالربط والروابط على كتب النحويين والمعربين، بل تناولها لفلاسفة والبلاغيون؛ ففي البلاغة جاء الحديث عن الربط في مبحث الفصل والوصل، وأسهبوا في الحديث عن تتابع الجملتين المتعاطفتين بحرف العطف (الواو) ؛ لعدم وضوح الغاية من العطف بالواو كبقية أدوات العطف.

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) من أبرز العلماء الذين تناولوا مصطلح الربط ، وبينوا وظيفة الروابط إذ خص هذا المبحث المهم بنظريته الشهيرة وهي **نظرية التعليق أو النظم**، التي يرد إعجاز القرآن الكريم إليها ويربط المعنى بها يقول الجرجاني موضحاً المقصود من نظم الكلم : "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"⁵ ، والجرجاني يقيم نظريته على النحو ويجعله عماداً لها إذ "ليس النظم إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تُخلُ بشيء منها"⁶.

إنَّ ظاهرة الربط من الظواهر الهامة التي تعين على إحكام صياغة الجملة، وهي تؤدي ماعبر عنه الجرجاني بقوله: "أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه ، والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض

¹- ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، ص: 551 إلى 564.

²- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 541.525.

³- ينظر: السيوطي جلال الدين ، الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق: غازي مختار طليمات ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سوريا ، ج2 ، ص: 117 إلى 119.

⁴- ينظر على سبيل المثال : بدرالدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج4، ص: 20، و محمد عبد الخالق عظمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج8، ص: 246 ، وج10، ص: 148، والعكبري ، إملاء مامن به الرحمان ، ج2، ص: 131، وعبد العزيز عبد المعطي عرفة ، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، ص: 591، 635، 638.

⁵- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الإعجاز ، ص: 49.

⁶- المصدر نفسه ، ص: 81.

حتى تكثر في العين فأنت لذلك لا تُكبر شأن صاحبه ، ولا تقضي له بالحدق والأستاذية وسعة الدرع وشدة المنة حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة أبيات¹ ، يفهم من هذا القول تأكيد الجرجاني على مسألة مهمة وهي ترابط الكلام ، فهو يرى أنه لا ينظم ولا ترتب في الكلم حتى يلق بعضه ببعض ويبنى بعضه على بعض .

لقد بني عبد القاهر الجرجاني قاعدته في النظم على إحكام الربط ، فقال : "واعلم أنّ مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا ، وأن يكون حالك فيها حل الباني يضع يمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم، وفي حال ما يُبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين.."².

وقد تناول عبد القاهر بعض أدوات الربط كالواو، والفاء، وثم، وأو، ولكن، وبل، كما تناول بعض الأدوات النحوية مثل : لا، ما، إن، إذا، كما تطرق إلى مسألة التقديم والتأخير³ ، ومن الأمثلة التي تحدث فيها الجرجاني عن الربط حديثه عن الفروق في الحال قال في ذلك: "وإذا قلت جاءني وغلّامه يسعي بين يديه ورأيت زيدا وسيفه على كتفه كان المعنى أنك بدأت فأثبت المجيء والرؤية . ثم استأنفت خيرا وابتدأت إثباتا ثانيا لسعي الغلام بين يديه . ولكون السيف على كتفه ، ولما كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجيء بالواو كما جيء بها في قولك زيد منطلق وعمرو ذاهب ، والعلم حسن والجهل قبيح وتسميتنا لها واو الحال لا يخرجها عن أن تكون مُجْتَلَبَةً لضم جملة إلى جملة"⁴ .

وتحدث عن الفاء في جواب الشرط ورأها نظيرة بواو الحال فقال : "ونظيرها في هذا الفاء في جواب الشرط نحو: إن تأتي فأنت مكرم ، فإنها وإن لم تكن عاطفة فإن ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها"⁵ .

من خلال هذا العرض يتضح لنا أنّ نظرية الجرجاني في النظم ترتكز على الجمع بين الدلالة والنحو والأسلوب والذي يميزها أنها تهتم بالمعنى وباللفظ على حدّ سواء ، ولا تهتم بناحية واحدة فقط، هذا إضافة إلى اهتمامها بمسألة التواصل والسياق⁶.

إنّ المفاهيم النصية التي أرسى قواعدها الجرجاني على مستوى الربط والترابط ، تزخر بكثير من دلائل الدراسة النصية باعتبارها تتناول العناصر المحققة للتماسك النصي ، وهي تقترب بل وتكاد تتطابق مع المفاهيم التي استقر عليها الدرس اللساني المعاصر ، كما تتناول الفروق في استعمال الروابط المختلفة ليتحقق بها الاتساق

¹ - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، ص: 88.

² - المصدر نفسه ، ص: 93.

³ - المصدر نفسه ، ص: 83.82.

⁴ - المصدر نفسه ، ص: 214.

⁵ - المصدر نفسه ، ص: 214.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه ، ص: 81.

والانسجام على مستوى البنيتين السطحية والعميقة للنص، كما تتضمن مفاهيم الجرجاني من خلال حديثه عن هذه الوسائل التي تربط بين الجمل بتحديد مكان وكيفية توظيفها دعوة لتجاوز حدود الجملة وصولاً إلى النص لكن على الرغم من أهمية هذه المفاهيم، إلا أنها لم تصل إلى الحد الذي يمكننا أن نقول فيه أنها قد كونت نظرة كاملة وخاصة بالنص، لأنَّ "ما يلاحظ أن البحوث البلاغية القديمة في علم المعاني كانت تقتصر في جملتها على هذا المستوى من الترابط القائم بين وحدتين من القول فحسب، وذلك عند تحليل مشكلات الفصل والوصل"¹ وخلاف ذلك من طرائق التحليل يمكن "أن نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو **حازم القرطاجني**، في تحليله لأجزاء القصيدة وتسميته لكل قسم منها فصلاً وتمييزه بين المطلع - وهو البيت الأول منها- والمقطع ولا يهمل الإشارة إلى طريقة وصل الفصول بعضها ببعض... إذ يشترط أن يكون معنى كل فصل تابعاً لمعنى سابقه ومنتسباً إليه في الغرض"² وما يميز جهد **حازم القرطاجني** دقة المصطلحات التي أدرجها في المنهاج للتعبير عن مظاهر التماسك النصي كالاقتزان، والالتام التي يمكن لها أن تفتح لنا مفاهيم متعددة حول بناء النص، لأنها تشكل "مع طائفة من الأفكار المتفرقة إضاءات معرفية مهمة في فهم منظورات **حازم** إلى بنية النص من جهة الحبك"³.

حاولنا التركيز و التوسع في الإشارة إلى جهد **حازم القرطاجني**، لأنه يعتبر من النقاد القدامى الذين احتوت مدوناتهم مفاهيم وتبصُّرات حول معايير اللسانيات النصية، فإذا كان **عبد القاهر الجرجاني** قد أغنى درس العربي بنظريته في النظم فإن **حازم** قد أغناه بفكرة التماسك النصي، إذ إنَّ نظريته للنتاج الأدبي أكثر شمولية وقد أقر كثير من الباحثين واللغويين المعاصرين بذلك "فالبحث في الوسائل والعلاقات والكيفية (كيفية التماسك) لم تظهر إلا في إنتاج **حازم** النقدي - في حدود علمنا- وربما وقفت وراء هذا الاهتمام إفادة **حازم** من أعمال الفلاسفة أمثال **الكندي** و**الفارابي** و**ابن سينا** و**ابن رشد**"⁴.

إنَّ الجمل في اللغة العربية تتوالى أحياناً منتورة، تستأنف واحدة في إثر الأخرى، دون حاجة إلى رابط. وتأتي في أحيان أخرى متناسقة، موصولاً بعضها ببعض، تارة بالواو، وتارة بالفاء، وأخرى بضم وغيرها من حروف النسق وقد شغل هذا الأمر البلاغيين، فحاولوا أن يتبينوا مواطن الفصل والوصل بين الجمل، ويحدد وامواقعها. وبعد أن تم لهم ذلك جعلوا هذا الموضوع قسماً مهماً من علم المعاني. وقد ارتبط الوصل والفصل في البلاغة العربية القديمة بالدلالة ثم ارتبط بالنحو ولكن المحدد في تلك النظرية هو وجود أداة ربط أو عدم وجودها، أي أنه انطلاقاً من الشكل إلى الدلالة، أو من الخارج إلى الداخل، وعلى الرغم من اقتصرها في العموم على الرابط(و)، فقد تناول البلاغيون القيم الربطية لأدوات ربط أخرى، إضافة إلى أنهم درسوا خلو الجمل في تتابعها من الرابط، ويمكن

¹ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص: 244.

² - المرجع نفسه، ص: 244.

³ - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2014م، ص: 103.

⁴ - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 150.149.

اختصار نظرة القدماء من علماء العربية في مسألة الربط بين الجمل، وما يقترح أن يضاف إليها من رابط بياني يعتمد على الإعراب فيما يلي:

1- **الوصل**: ركز البلاغيون في الوصل على الجمل، ولم يهتموا بالعطف في المفردات، لأن العطف في المفردات واضح فالفائدة منه إشراك الثاني في إعراب الأول¹، و يكون الوصل بأداة الربط الأولى وهي (الواو) أو بحروف العطف غير (الواو)، وحصر البلاغيون العطف بين الجمل على ضربين الاشتراك في الحكم الإعرابي (الجملة ذات المحل الإعرابي) و (الجملة التي لا محل لها من الإعراب)²، إضافة إلى قصد الارتباط، الاشتراك في معنى من المعاني، كمال الانقطاع عند الإيهام، كمال الاتصال عند الإيهام، التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال مع وجود جهة جامعة³.

2- **الفصل (الربط البياني)**: اهتم البلاغيون بالفصل بين الجمل، اهتماما كبيرا وحددوا مواقعها بين الجمل وأوردوا له أمثلة مستفيضة ومنه: القطع، يقول **الرجحاني**: "وما هو أصل في هذا الباب أنك ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حالما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عرض فيها فصارت به أجنبية مما قبلها"⁴، ومن الحالات المقتضية للفصل أيضا كمال الانقطاع بلا إيهام⁵، وحدده البلاغيون في قسمين: أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط، أو أن لا يكون بينهما جامع أو مناسبة.

ومن الحالات التي تقتضي الفصل بين الجمل، هي ماسماه الشيخ **عبد القاهر الجرجاني** الاتصال أو الانفصال إلى الغاية يقول الشيخ **الرجحاني**: "فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين الحالين، فاعرفه"⁶، وذلك أن الجمل فيه تتصل من ذات نفسها في حين نجد البلاغيين قد سموه كمال الاتصال⁷، ومن الحالات التي تقتضي الفصل أيضا، شبه كمال الانقطاع وشبه كمال

1- ينظر: ابن الزمكاني، التبيان في علم البيان المطلق على إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط1، 1964م، ص: 129.128.

2- ينظر: القرزوبي الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي ط1، 1904م، ص: 175.

3- ينظر: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م ص: 253 إلى 261.

4- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، دلائل الاعجاز، ص: 231. وينظر: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ص: 253.252. وينظر: القرزوبي الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، التلخيص في علوم البلاغة، ط1، 1904م ص: 179.

5 ينظر: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ص: 253. وينظر: القرزوبي الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، التلخيص في علوم البلاغة، ص: 179.

6- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، دلائل الاعجاز، ص: 243.

7- ينظر: القرزوبي الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، التلخيص في علوم البلاغة، ص: 180. وينظر: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ص: 252.

الاتصال ، وقد سمي البلاغيون هذا الأخير بالاستئناف¹ ، ومن مقتضيات الفصل أيضا التوسط ، وهو الحالة التي تتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع وجود جهة جامعة بينهما² ، وهناك أيضا الروابط البيانية الإعرابية، والجمل المركبة أو الجمل المترابطة مع إضافة مقترح الربط البياني الإعرابي.

فأما الوصل بحرف العطف سواء بالواو أم بغيره، فلا بد فيه من جهة جامعة بين الجملتين المتعاطفتين، "فإذا أتت جملة بعد جملة فالأولى إما أن يكون لها محل من الاعراب ، أو لا وعلى الأول ، إن قُصِدَ تشريك الثانية لها في حكمه عَطُفَتْ عليها كالمفرد فشرط كونه مقبولا بالواو ونحوه ، أن يكون بينهما جهة جامعة"³ ، ويفهم من هذا النص أن الجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليه في هذه ، والمسند إليه في هذه ، وباعتبار المسند في هذه والمسند في هذه جميعا - أي في الجملتين المعطوفتين - "كقولنا: يشعر زيد ويكتب ويعطي ويمنع وقولك: زيد شاعر وعمرو كاتب ، وزيد طويل وعمرو قصير ، إذا كان عمرو بسبب من زيد وكانا كالنظيرين والشريكين وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني بخلاف قولنا : زيد شاعر وعمرو طويل"⁴ .

والملاحظ أن هذه المفاهيم التي استقينها من كتاب التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني يمكن تأصيلها وردها إلى ما ذكره الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، على أن هناك جوامع بين الأطراف (الجمل) تختلف تقاسيمها ، تتعلق بسياق الحديث وبأنواع من الاتحاد ذكرها وفصل فيها السكاكي والقرظيني بعد الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، ولا بد لنا من الاستشهاد بقول الشيخ الذي يمثل البذرة الأولى لهذه المفاهيم يقول الشيخ في ذلك : " واعلم أنه كما يجب أن يكون المحدث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الأخرى ، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول . فلو قلت: زيد طويل القامة وعمرو شاعر ، كان خلفا ، لأنه لامشاكله ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر ، وإنما الواجب أن يقال زيد كاتب وعمرو شاعر ، وزيد طويل القامة وعمرو قصير"⁵ .

يحمل هذا النص الذي ذكره الشيخ الجرجاني مفاهيم مهمة ودلالات عميقة يمكن رصدتها والإشارة إليها وهي:

- وجوب أن يكون للمُخَبَّر عنه في إحدى الجملتين تعلق سببي للمُخَبِّر عنه في الجملة الأخرى.
- أن يكون الخبر عن الثاني وتعلقه بالخبر عن الأول مما يتوافق شبيها أو يجري نظيرا أو نقيضا بينهما.
- أن يكون بينهما مشاكلة وتعلق .

إن ما ذكره الجرجاني في قضية الفصل والوصل ، قد دفع من جاء بعده إلى التفصيل وقد ذكرنا أن السكاكي والقرظيني ذكروا الجوامع التي تربط بين الجمل ، وربطوها بسياق الحديث كما أشاروا إلى أنواع الاتحاد

¹ - ينظر: القرظيني الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان ، التلخيص في علوم البلاغة ، ص: 186.178.

² - ينظر: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم ، ص: 258.

³ - المصدر السابق ، ص: 175.

⁴ - ينظر: القرظيني الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان ، التلخيص في علوم البلاغة ، ص: 191.

⁵ - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، ص: 225.

والجمع بين الجمل فهي عندهم تنقسم إلى ثلاثة أقسام : جامع عقلي ، وجامع وهمي ، وجامع خيالي . فأما الجامع العقلي "هو أن يكون بينهما اتحاد في التصور، مثل الاتحاد في المخبر عنه ، أو في الخبر، أو في قيد من قيودهما ، أو تماثل هناك ، فإنَّ العقل بتجريده المثلين عن التشخيص في الخارج ، يرفع التعدد عن البين ، أو تضاييف كالذي بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، أو السفلى والعلو، والأقل والأكثر ، فالعقل يأبى أن لايجتمعا في الذهن...والوهمي هو أن يكون بين تصوراتهما شبه تماثل ، نحو أن يكون المخبر عنه في أحدهما لون بياض ، وفي الثانية لون صفرة أو أن يكون تضاد بينهما كالسواد والبياض ، والهمس والجهارة..أو شبه تضاد كالذي بين نحو: السماء والأرض والسهل والجبل...وأما الجامع الخيالي هو ، أن يكون بين تصوراتهما تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك "1 ، والجامع الأخير واسع لا حد له ، وفيه تتراءى كل صور الجمع والوصل "فكم من صور تتعاقب في الخيال "2 ، والرباط بين تصورات الجمل التي تسبح في الخيال هو اتحاد المعاني . وأما على مستوى الجمل المركبة فإن الربط بينها يتشكل على ضربين ، الأول وهو وجود الروابط ظاهرة بين الجمل والثاني وهو الاتصال إلى الغاية ويعني الاشتراك في المحل الاعرابي ، وهو الذي سماه البلاغيون كمال الاتصال ، ولا تحتاج فيه الجمل إلى ما يصلها أي عندما تكون الجملة الثانية من التوابع كأن تكون تأكيداً ، أو بدلاً ، أو عطف بيان أو صفة ، قال الشيخ **عبد القاهر الجرجاني**: " واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورباط يربطه ، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف ، إلى شيء يصلها به وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد ، كذلك يكون في الجمل ما اتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها ، وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبيّنة لها وكانت إذا حَصَلَتْ لم تكن شيئاً سواها"3 ، وقد أورد الشيخ **عبد القاهر** جملة من النماذج بين من خلالها غرضه منها قوله: " ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ الْكَبِيرِ﴾ (البقرة الآية 2.1) قوله: (لاريب فيه) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: (ذلك الكتاب) وزيادة تثبيت له "4، والملاحظ أن **الجرجاني** في هذا الباب ذكر مصطلحات التوكيد والبيان والتحقيق ، ووردت عنده بنفس المعنى من خلال عرضه لجملة من النماذج والأمثلة لذلك فقد دفعت هذه المفاهيم المشتغلين في الحقل البلاغي إلى شرحها وزيادة التفصيل فيها فتلقفوها من الشيخ **عبد القاهر الجرجاني** وراحوا يتوسعون فيها ويفصلونها ، معتمدين على شواهد وأمثلة الشيخ **الجرجاني** تارة ومطعمين شروحاتهم وتفصيلاتهم من شواهد القرآن والشعر ، ووصلوا إلى أن الجمل التي تدخل ضمن الاتصال إلى الغاية (الاشتراك في المحل الاعرابي) أو ماسمونه كمال الاتصال ، تكون على ثلاثة أقسام منها ما يكون

1- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم ، ص:253.254. وينظر: القرزويني الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان ، التلخيص في علوم البلاغة ، ص:192.193.

2- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم ، ص: 254.

3- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الاعجاز ، ص:227.

4- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 227.

بيانا وإيضاحا ومنها ما يكون توكيدا وتقريراً ، وقد اتفقوا مع الشيخ عبد القاهر الجرجاني في هذين القسمين وأضافوا قسماً لم يذكره الشيخ وهو الذي تكون فيه الجملة بدلاً¹ .

ومن مقتضيات الفصل بين الجمل كمال الانقطاع ، وهو ما ذكرناه سابقاً وهو يرجع إلى أمر يخص الاسناد كاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً ، أو انعدام المناسبة والجامع بين الجملتين من جهة العقل أو الوهم أو الخيال² ، ومن ذلك أن تكون في " حديث ويقع في خاطرك بغتة حديث آخر ، لاجماع بينه وبين ما أنت فيه بوجه أو بينهما جامع غير ملتفت إليه؛ لبعده مقامك عنه ، ويدعوك إلى ذكره داع فتورده في الذكر مفصلاً³ " ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، (البقرة الآية 6) فقد قطعت هذه العبارة عما قبلها لعدم وجود مناسبة بينهما ، لأن الكلام قبلها " مسبق لذكر الكتاب ، وأنه (هدى للمتقين) وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت ، فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب ، وهما على حد لاجمال فيه للعاطف⁴ ، وهذا الذي جعل البلاغيين يلحون على ضرورة وجود مناسبة أو جامع بين خصوصاً إذا لم يكن للأولى حكم فتشركها الثانية فيه ، وذلك لانعدام العاطف بين الجمل المتصلة غاية الاتصال ، وانعدام العطف بين الجمل المنفصلة غاية الانفصال⁵ .

إنَّ ما يثير الانتباه تشعب تقسيمات القدماء -نحويين كانوا أو بلاغيين- في تناولهم لدرس الفصل والوصل إضافة إلى الدقة البالغة التي تميزت بها تفصيلاتهم وشروحاتهم ، على أنهم قد اهتموا بجزئية الفصل ، أكثر من جزئية الوصل لأنَّ الفصل قد يوحي بانفصال الكلام وانفصام أجزائه ، لانعدام الروابط اللغوية فيه ظاهرياً ، وهذا غير صحيح لأنَّ الجمل التي تستغني عن الروابط تكون في حالة العطف متصلة بربط بياني ، يؤدي إلى تماسك الكلام وانسجامه كما أن استعمال أداة العطف في موطن غير مناسب يؤدي إلى اختلال المعنى وانعكاسه.

ومن ذلك ما رواه أبو هلال العسكري أن المخبل هجا الزبرقان بن بدر فقال⁶:

وأبوك بدرٌ كان يَنْتَهِسُ الحَصَى وأبي الجوادُ ربيعٌ بنُ قُبَالِ

فقال الزبرقان: لا بأس ، شيخان اشتراكا في صنعه فمجيء الواو لعاطفة في أول الشطر الثاني عكس المعنى الذي كان المخبل يقصده، فلم يهجم والد الزبرقان وحده ، كما كان يريد ، وإنما هجا والده هو أيضاً ؛ ولذلك استحسّن الزبرقان هجاءه.

¹ ينظر: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم ، ص: 250.

² ينظر : المصدر نفسه ، ص: 253.

³ ينظر: المصدر نفسه ، ص: 270.

⁴ محمد حسين أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية ، دار الفكر العربي ، ص: 365.

⁵ ينظر: محمد حسين أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية ، ص: 366.

⁶ أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق: علي محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار عيسى البابي الحلبي ، 1952م ص: 189.

إذا فإنَّ معرفة الفصل والوقوف على مواضعه من مقتضيات البلاغة ، فليس كل وصل بلاغة يصلح بها المعنى ولا يعني أيضاً أن كل فصل يوصل المعنى ويبيِّغ المقصود ، خاصة إذا وقفنا على حالات أخرى للفصل يشملها السياق ، ففي حالات كثيرة أثناء التخاطب يفرض سياق الحديث والمقام الفصل بين العبارات والجمل فيتداخل هذا السياق مع تعابير غير لغوية ، تُستعمل فيها الإشارات والإيماءات وحركات الجسم ، بحيث تكون مصاحبة للنص أو قد يعتري سياق الحديث علة طارئة خارجة عن إرادة المتكلم تلجؤه للفصل ، كالسعال أو الالتفات أو مقاطعة الحديث من طرف ثان ، خاصة إذا كان النص شفاهياً ، أو مثلما نراه أسلوباً يعتمد إليه الشعراء في نماذج من القصائد الحديثة المعاصرة.

ويحتل الربط موقعاً متميزاً في تشكيل النص ، ولكنه يتحقق على مستويات مختلفة، ولعل الأساس الأول في الربط في اللغة العربية هو أدوات الربط الشكلية ؛ لاعتماد كثير من صور الربط الأخرى عليها ، وهي عبارة عن روابط جمالية جاءت في كتب النحاة العرب من الرعيل المتقدم لعلماننا في الكتاب لسيبويه (ت 180هـ) وفي المقتضب للمبرد (ت 285هـ) ، وفي الإيضاح العضدي للفارسي (ت 377هـ) وفي المفصل للزمخشري (ت 538هـ) وفي مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) ، ويكفي أن نشير إلى أن سيبويه كان من المتيقظين للدور الرباطي الذي تؤديه الحروف ، وبعض هذا القول ماجاء في كتابه في معرض حديثه عن الحروف وما تحمله من معان حيث يقول : "اعلم أن الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء ، وأما قد تشرك بين الأول والآخر ، كما تشرك الفاء"¹ . ففي هذا القول يعبر سيبويه عن خاصية الربط التي يقوم بها حرفا الواو والفاء بالتشريك لأنَّ العطف بحرف الواو مثلاً، ماهو إلا تشريك بين أجزاء الكلام .

هـ - تصنيف المحدثين للروابط :

الملاحظ أنَّ هناك اختلاف في مسميات الربط عند القدماء ، والأمر ذاته نجده عند المحدثين ، حيث اتخذت مادة ربط مشتقات ومسميات عدة مثل: الربط الارتباط ، الأدوات الوسائل ، وسنحاول أن نعرض لهذه المسميات وورودها في تصانيف المحدثين بإيجاز . ذلك أن محاولات المحدثين فيها من التعديل والتطوير والاضافة في درس الربط ما يلزمننا الوقوف عليه والإشارة إليه .

وفي هذا الجانب نجد أنَّ المعالجة التي قدمها الدكتور تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) تعد المعالجة العربية الرائدة التي وظفت قرينة الربط باعتبارها قرينة لفظية على اتصال المترابطين أحدهما بالآخر وأما تتظافر مع بقية القرائن اللفظية الأخرى ، وكذا القرائن المعنوية فيما سماه **تضافر القرائن** فالربط عنده أحد القرائن اللفظية الثمانية التي تتكون منها الجملة العربية ، يقول: " يعتبر الربط قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر ، والمعروف أنَّ الربط ينبغي أن يتم بين الموصول وصلته ، وبين المبتدأ وخبره ، وبين الحال وصاحبه وبين المنعوت ونعته ، وبين القسم وجوابه، وبين الشرط وجوابه . ويتم الربط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة كما يفهم منه الربط أو بالحرف ، أو باعادة اللفظ ، أو إعادة المعنى ، أو باسم الإشارة ، أو (أل) ، أو دخول

¹ - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب ، ج3 ، ص: 41.

أحد المترابطين في عموم الآخر "1 ، ومن خلال تظافر القرائن يتمكن الباحثون من الاستفادة منها في تحليل التراكيب العربية تحليلًا علميًا ومنهجيًا دقيقًا ، يقدم وصفًا لغويًا شاملاً ، لا يتوقف على قرينة واحدة هي قرينة الإعراب التي اقتصرت عليها الدراسات النحوية عند العلماء العرب القدامى ، مما جعلهم يلجأون إلى التأويلات والافتراضات التي أبعدهم عن وصف الواقع اللغوي ، والاستعمال الحقيقي لتراكيب اللغة العربية² .

وفي الحديث عن الربط نجد أنّ الدكتور **مصطفى حميدة** قد سار على طريق الدكتور **تمام حسان** ، متناولاً في حديثه عن درس الوصل ظاهرتين هما الربط والارتباط ، وقد فرق الدكتور **مصطفى حميدة** بينهما ، فالربط عنده يتمثل في استعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة أو ضمير بارز عائد ، وأما الارتباط فهو علاقة نحوية سياقية بين معنيين تغيب فيها الواسطة اللفظية ، كعلاقة الاسناد ، وعلاقة التعديّة ، وعلاقة الاضافة ، وفي هذا يقول : "إنّ الربط هو اصطناع علاقة سياقية نحوية بين طرفين باستعمال أداة تدل على تلك العلاقة"³ ، ويقول في الارتباط "فأما الارتباط فهو نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين ، دون واسطة لفظية تُعلّق أحدهما بالآخر ، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه"⁴ .

وبالمقارنة بين مآذره الدكتور **تمام حسان** ومآذره الدكتور **مصطفى حميدة** ، نجد أن **تمام حسان** قد تحدث عن الربط بشكل عمومي وإجمالي ، معتبراً قرينة الربط من القرائن اللفظية أو علاقة نحوية تتم بواسطة أداة في حين نجد أنّ **مصطفى حميدة** قد فرق بين الربط بالضمير و الربط بالأدوات ، لأن وظيفة الربط بالضمير ناشئة مما في الضمير من إعادة الذكر ، وفي هذا تعليق وائتلاف وربط ، وأما وظيفة الأدوات في الربط فناشئة من تلخيصها لمعنى نحوي كالعطف والشرط والاستثناء وغيرها من المعاني⁵ .

وذكر النحاة في هذا الدرس مصطلح الأدوات ، ليدلوا به على الحروف باعتبارها قسم من أقسام الكلمة (أدوات الربط) ، فالكلمة تدل على ذات كالاسم ، أو تدل على معنى مجرد كالفعل ، أو تربط بين الذات والمعنى الجرد كالحرف وهو الرابط⁶ ، ومن اللغويين المحدثين نجد الدكتور **حسن يعقوب** قد وظف أدوات الربط بين الجمل قصد بناء تركيب لغوي يفهم معناه من السامع أو المخاطب ، وتعمل الروابط على ربط جملة بأخرى على أن يكتمل المعنى في الفقرة ، وما يميّز هذه الأدوات التي تربط بين الجمل أنّها متعددة منها حروف العطف وحروف الجر والظروف والأسماء الموصولة والضمائر...⁷ .

1- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 213.

2- ينظر: حسام البهنساوي ، أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية ، ص: 45.

3- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 143.

4- المرجع نفسه ، ص: 203.

5- ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 196.

6- ينظر: عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص: 66.

7- ينظر: يعقوب، حسن ، استخدام أدوات الربط بين الجمل في اللغة العربية ، المعلم - الطالب، معهد التربية. التابع للأنروا/البونيسكو ، دائرة التربية و التعليم ، الأردن، 1998 م، ص39 .

ومن اللغويين المحدثين من خصص مباحث مستقلة فصل فيها الحديث أنواع الروابط ، منهم الباحث عادل زغير ففي دراسته المتخصصة (الربط في الجملة العربية) ، فصلّ الحديث فيها عن أنواع الربط ، فذكر الربط بالاسناد وبالاسم الظاهر، وباسم الإشارة ، وبإذا الفجائية النابتة عن فاء الجواب، وبعض الأدوات مثل الفاء والواو وحرف الشرط، والأدوات الواقعة في جواب القسم¹.

وأما شرف الدين الراجحي فقد تناول في دراسته (الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم) الفاءات الرابطة منها: الفاء العاطفة ، والفاء الاستثنائية، والفاء حرف جواب².

وتحدث الباحث "حامد علي منيفي" في دراسته (الربط اللفظي في لغة الحديث الشريف، مختصر البخاري للزبيدي أمودجا) ، عن الربط بالضمير العائد، والربط ببعض الأدوات، مثل فاء جواب الشرط والفاء الواقعة في جواب أما والواقعة في خبر المبتدأ ، وواو الحال واللام الرابطة لجواب القسم وجواب لو ولولا ، ودرس الباحث هذه الروابط في الاستعمال في لغة الحديث الشريف³.

ومن الجهود التي تناولت آلية الربط في تركيب اللغة العربية ما قام به الدكتور "جمعة عوض الخباص" في مؤلفه (نظام الربط في النص العربي) إذ عمل على توضيح أنماط الروابط وأدواتها لدى النحاة العرب من خلال عينة من كتب التراث النحوي، وحصرها في الضمير العائد، وواو الحال، اسم الإشارة، الاسم الموصول، أدوات العطف أدوات الاستئناف، أدوات الشرط الجازمة ، والأدوات الواقعة في جوابها ، أدوات الشرط غير الجازمة ، والأدوات الواقعة في جوابها أدوات جواب القسم، أدوات التفسير، وعرض هذه الأنماط ممثلاً لها في عينة من نصوص الاستعمال الجاري من قصص القرآن الكريم والقصص العربية القديمة والحديثة ، ثم المقارنة بين الصورة النظرية لأنماط الروابط وأدواتها في كتب التراث النحوي والصورة التطبيقية في الاستعمال اللغوي⁴.

ومن الباحثين المحدثين من أفرد في كتابه فصلاً ومبحثاً تطرق فيه إلى موضوع الروابط ، منها دراسة أعدها الدكتور إسماعيل عمارة عنونها (جهود النحاة بين النظرية والتطبيق من خلال باب الشرط) قدم فيها صورة وصفية لباب الشرط لدى عينة من كتب النحو ، منها الكتاب لسبيويه والمقتضب للمبرد والجمال للزجاجي والايضاح العضدي للفارسي والمفصل للزمخشري ، كما قام برصد أنماط الجملة الشرطية وتحليلها في القرآن الكريم وفي صحيح البخاري ، وفي كتاب السيرة النبوية ، لابن إسحاق ، والرسالة للشافعي ، إضافة إلى تتبع أسلوب الشرط في النصوص الشعرية في ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، والمفضليات ، وفي ديوان الأخطل⁵ .

¹ - ينظر: عادل زغير، الربط في الجملة العربية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، 1988 ، ص: 76 .

² - ينظر: شرف الدين علي الراجحي، الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم ، دارالمعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د.ط، 1995 ، ص: 46.

³ - ينظر: حامد علي منيفي، الربط اللفظي في لغة الحديث الشريف، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1999 ، ص: 42.

⁴ - ينظر: جمعة عوض عبد الله الخباص ، نظام الربط في النص العربي ، ص: 8.7.

⁵ - هي دراسة أعدها إسماعيل عمارة بالألمانية نال بها درجة الدكتوراه في اللغة العربية من ألمانيا سنة 1983م.

وسار على المنهج ذاته في أفراد مبحث يتناول الروابط الدكتور محمد عبد الله جبر في كتابه (الضمائر في اللغة العربية) ، خصص فيه فصلا تناول فيه الضمير الرابط في جملة الخبر ، والحال ، والصفة ، والصلة ، وضمير الفصل وضمير الشأن ، والضمير في الاشتغال ، وأورد بعضا من آراء النحاة معتمدا على أمثلة من القرآن والشعر¹ . ونذكر من اللغويين المحدثين الأستاذ عبد الفتاح الحموز في كتابه (المبتدأ والخبر في القرآن الكريم) فقد عقد فصلا بعنوان (رابط الجملة التي في موضع الخبر) ، تعرض فيه للضمير الرابط ، وما يغني عنه في الربط كاسم الإشارة والاسم الظاهر ، وإعادة المبتدأ بلفظه ، مشيرا إلى آراء النحاة وممثلا لمواطن الربط من القرآن الكريم² .

ومن المؤلفات التي تناولت مبحث الربط في اللغة العربية ، والتي يجب الإشارة إليها كتاب (أنظمة الربط في اللغة العربية) للدكتور حسام البهناوي تناول في مؤلفه دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية ، وقد تأثر الأستاذ حسام البهناوي بما جاءت به المدرسة التحويلية التوليدية فالربط "لم يظهر كمنظورية لغوية هامة في تحليل التراكيب والجمل ، ولم يتبوأ مكانته الهامة إلا مع الدراسات القيمة التي نُهضت بها المدرسة التوليدية التحويلية ، وبخاصة في مراحل أطوارها الأخيرة"³ ، وقد فصل الأستاذ حسام البهناوي في مؤلفه هذا ما تعلق بوضع الأنظمة والقوانين والأسس العامة لمبادئ الربط الملائمة للتراكيب العربية ، كالضمائر الحرة والمقيدة والتعابير الإحالية الحرة ، وخصص مبحثاً للربط على مسافة بعيدة والشروط اللازمة لهذا الربط⁴ .

ومن الباحثين الذين تأثروا أيضا بالنظرية التوليدية التحويلية نجد الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه (اللسانيات واللغة العربية) فقد أشار إلى نظرية الربط العاملي التي ظهرت مع تشومسكي (1979م) ، وتتيح هذه النظرية تحليلا موحدا للظواهر مركزة على الربط في إطار نحو الجملة⁵ .

ويبدو تأثر كثير من الباحثين اللغويين العرب المحدثين بالنظريات الغربية واضحة ، فقد ركزت النظريات اللغوية الغربية على مبحث الروابط التي تعتبر من أهم أسس علم اللغة النصي ، وقد كان هذا الأساس مدعاة لتأثر اللغويين العرب في هذا المجال . ويكفي تصفح مؤلف الأستاذ محمد خطاي والموسوم ب (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب) للوقوف على كل مظاهر الانسجام في الخطاب ، فهذا المؤلف من الكتب الرائدة التي تميزت بالدراسة المتكاملة بكل ما تعلق بالنص .

ومن البحوث المؤسسة في علم النص أيضا ، والتي تناول فيها المؤلف ما تعلق بالربط كتاب (نسيج النص) للدكتور الأزهر الزناد فقد ركز اهتمامه على الروابط الشكلية ، وعدها العنصر الأول في تشكيل النص .

1- ينظر: محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية ، دار المعارف، مصر، ط1، 1983م ص:123.149.

2- ينظر: عبد الفتاح الحموز، المبتدأ والخبر في القرآن الكريم، دارعمار، عمان، الأردن، ط1، 1986م، ص: 265.300.

3- حسام البهناوي، أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية ، ص:03.

4- ينظر : المرجع نفسه ، ص: 04.

5- ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1985م ص:

والاهتمام بالروابط التي تحقق الاتساق والانسجام في النص ، دفع التصنيفين إلى تتبعها والتوسع فيها وتبيان دورها ووظيفتها على مستوى النص ، من خلال الربط بين الجمل ويتشكل هذا الربط على طريقتين:

- ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل الواو في العربية.

- وربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يُدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى والأخرى مثل: (الفاء) و(ثم) و(أو) وغيرها في العربية، إذ تربط وتعبّر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين وتجمع هذه الأدوات في قسم الأدوات المنطقية (**particules logiques**) ، لأنها علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص¹ .

وبعد أن عرضنا طرق الربط لا بد من الإشارة بروابط الجمل فهي أيضاً تخضع للتصنيف ، فمنها ما يعتمد على الفهم والإدراك الخفي للمتربطات ، ومنها ما يعتمد على الروابط أو الوسائل اللغوية المحسوسة والمدركة ، وطرق الربط المعنوية واللفظية هي التي تنظم العلاقات بين المعاني على الطريقة التي يقبلها النظام النحوي .

1- الرّابطة اللفظية :

ذكرنا سابقاً أنّ اللغويين المحدثين ذكروا مصطلحين لهما علاقة بالربط اللفظي والمعنوي وهما: الربط والارتباط² إذ نجد أنّ الدكتور تمام حسان قد عد الربط من القرائن اللفظية يدل على اتصال أحد المتربطين بالآخر ، وهي العلاقة التي تؤديها بعض العناصر اللفظية ، فتعين على فهم الجملة بربطها بين أجزائها³، وأما الدكتور مصطفى حميدة فقد اعتبر أن الربط يقوم على علاقات لفظية تصطنعها اللغة بطريق الأدوات ، أو الضمائر تدل على تلك العلاقة ، ويكون لأمن اللبس في فهم الانفصال بين معنيين، و إما لأمن اللبس في فهم الارتباط بين المعنيين فالربط هو الحلقة الوسطى بين الارتباط والانفصال⁴، فهو بذلك علاقة نحوية سياقية بين أجزاء الكلام باستعمال أداة لفظية (كالواو) مثلاً أو ضمير بارز⁵.

ويعني هذا أنّ الروابط اللفظية تمثل الجانب الظاهر من أدوات الربط بين أجزاء الجملة، والنحاة يطلقون على الضمير ، أو ماينوب عنه من الألفاظ الرابطة تسمية (الرابطة) " فالعربية تلجأ إلى الربط بوساطة لفظية حين تخشى اللبس في فهم الانفصال بين معنيين، أو اللبس في فهم الارتباط بين معنيين . والرابطة اللفظية قديكون ضميراً بارزاً منفصلاً، أو متصلاً، ومايجري مجراه من العناصر الإشارية كاسم الإشارة، والاسم الموصول، وقديكون أداة من أدوات

¹ - ينظر: الأزهر الزناد ، نسيح النص ، ص: 37.

² - ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية ، ص: 204.154.

³ - ينظر: تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 262.211.

⁴ - ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 01.

⁵ - ينظر: الإستراذدي ، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح رضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق: يوسف حسن عمر جامعة قار يونس، بنغازي، ط2 1998م ، ج4 ، ص: 238.

الربط الأخرى . كما أن الربط بالضمير لا يكون كالربط بالأداة ، قال سيبويه: " وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضر اسماً بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني ، وماتعني ، وأنتك تريد شيئاً يعلمه"¹ .

ومن هنا يقتضي من البحث تقسيم مواضع الربط في التراكيب العربية إلى قسمين أساسيين هما: الربط بالضمير وما يجري مجراه ، والربط بالأدوات ولكن قبل التفصيل لا بد من الإشارة أن النحاة قد حرصوا على أن يكون الضمير بارزاً باعتباره قرينة لفظية ، حتى تنشأ بواسطته علاقة الربط ، وقد أكدوا على ضرورة ظهوره في تركيب الجملة لأن الضمير المستتر عندهم قرينة معنوية تنشأ بواسطتها علاقة ارتباط يقول **مصطفى حميدة**: "والذي أرتضيه وأطمئن إليه أن تقدير الضمير المستتر إنما هو قرينة معنوية على نشوء ارتباط ، وأن وجود الضمير البارز إنما هو قرينة لفظية على نشوء ربط"² ، فالربط بالضمير المستتر يمثل أداة ربط بياني ، لأنه غير ملفوظ .

2- **الرَّبط بالضمير البارز** : وله عدة مواضع سنكتفي بذكرها اختصاراً منها: الخبر الجملة ، النعت الجملة الحال الجملة ، جملة الصلة ، ضمير الفصل ، الاشتغال ، التأكيد المعنوي ، الربط باسم الإشارة ، (أل) النائبة عن الضمير .

3- **الرَّبط بالأدوات**: ومنها أدوات العطف وهي الحروف العشرة (الواو ، الفاء ، ثم ، حتى ، أو ، أم ، إما بل ، لكن ، لا) ، ومن الروابط واو الحال ، واو المفعول معه ، أدوات نصب المضارع ، الحروف المصدرية أدوات الشرط ، الفاء في جواب الشرط ، أدوات الاستثناء ، حروف الجر .

نخلص إلى أن الروابط اللفظية هي أدوات الربط الملفوظة المتمثلة في مجموعة من المفردات والأدوات ، التي تتوزع على أبواب النحو العربي . ذلك أن معقد الربط اللفظي واضح ظاهر للرأي ومعلم وقرينة مادية ، فلا يعد ارتباطاً ولا يعد انفصلاً ، وإنما هو المرتبة الوسطى بين الارتباط والانفصال³ .

ومن قواعد الربط المتعلقة بالأدوات التي تعمل على الربط بين جمل ضرورة حضور أداة الربط ، وحضورها مشروط بالخلاف بين الجملتين أو المقطعين المتصلين أو المتباعدين . ومصطلح الخلاف يجمع عدداً من الوجوه ذكرها الدكتور **الأزهر الزناد** وهي:

1- **تعاقب في الذكر**: تدخل تحت هذا الصنف بعض أحرف العطف (الفاء) (ثم) ، واللذان تفيدان أن الثاني يعقب الأول ويرتبط به ارتباطاً ترتيبياً تعاقبياً . مع اختلاف في الزمن الفاصل بين التعقيب والتراخي .

2- **تعاقب على أساس السببية**: تدخل تحت هذا الصنف أدوات الشرط ، وفيه تعقب النتيجة السبب مثال قولنا: إن تسافر أسافر .

3- **تعاقب على أساس إضافة عنصر إخباري جديد** ، ويأتي هذا العنصر الإخباري الجديد بعد أحرف الجر مثلاً ، كقولنا: سافر محمد إلى تيارت ، فإضافة الحرف (إلى) كان مفترضا إضافة عنصر إخباري جديد .

¹ - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج2 ، ص: 06 .

² - مصطفى حميدة ، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية ، ص: 155 .

³ - ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 146 .

4- تعاقب على أساس التردد أو التذكّر ، وهو ما يجري بين أمرين متباعدين ويجسده الحرف العاطف (أو)¹ وتعمل أدوات الربط على اتساق النص وتماسكه ، والربط بين مفرداته وتراكيبه ، والمعلوم أن بعضاً منها لا يدخل إلا على نوع محدد من العناصر اللغوية " إذ نجد لكل نوع منها اتجاهه الخاص في الربط بين مدخوله وعناصر الجملة الأخرى"² فأحرف الجر تختص بالأسماء ، وأحرف النصب أو الجزم تختص بالأفعال ، لذلك سميت هذه الأحرف بالمختصة .

وهناك من الأدوات ما تنتفي منه صفة الاختصاص ليصح دخولها على عموم الكلمات ، لكن ارتباطها بالدخول على الكلمات محدد من ناحية النوع كأداة التعريف (أل) التي لاتتصل إلا بالاسم ، ومنها حرف السين وسوف ونونا التوكيد الخفيفة والثقيلة التي تتصل بالفعل المضارع ، وما يميز هذه الأدوات غير المختصة أنها غير عاملة لأنها تمثل جزءاً من كل ، فهي ليست خارجة عما اتصلت به بخلاف الأحرف المختصة فهي خارجة عما لزمته "فكل ما لزم شيئاً وهو خارج عن حقيقته ، أثر فيه وغيره غالباً"³ . ومن القواعد التي تختص بها الحروف أن لها مواقع ورتبة يجب التزامها بحسب وظائفها ، وهذا الموقع الذي تختص به الحروف يدل عليه التركيب اللغوي ، والرتبة هو الذي يؤدي إلى اتساق التراكيب ، وانسجام المعنى ، ولو افترضنا أن رتبة الحروف مسها التأخير عما دخلت عليه ، لوجدنا اختلالاً في التركيب وفساداً في المعنى "فالأدوات أشد تأصلاً في حقل الرتبة من الضمائر ومن ثم تعتبر مجالاً خصباً لدراسة ظاهرة الرتبة في اللغة العربية الفصحى"⁴.

ومن الأدوات التي لها حق الصدارة حروف الجر، ونواصب وجوازم الفعل المضارع ، وأدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة ، ولام الابتداء ، وألف الاستفهام وأحرف التنبيه ، ولا النافية للجنس ، وكم الخبرية والاستفهامية، وإن ومعمولها ، وما النافية ، ورب وإن المؤكدة⁵ وهذه الحروف التي تكون صدور الكلام "عاملة كانت أو غير عاملة فلا يجوز أن يقدم ما بعدها على ما قبلها"⁶ فحروف الجر مثلاً "لا يجوز أن يقدم عليها ما عملت ولا يجوز أن يفرق بينها وبين ما تعمل فيه"⁷ ، "ورتبة حرف العطف هي التقدم على المعطوف ، ويتقدم حرف الاستثناء على المستثنى ، وواو المعية على المفعول معه وواو الحال على جملة الحال ، فكل أداة في اللغة الفصحى تحتفظ برتبة خاصة ، وتعتبر الرتبة هنا قرينة لفظية تعين على تحديد المعنى المقصود بالأداة"⁸ .

1- ينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 56.

2- تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1993م ، ص: 139.

3- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، ص: 242.

4- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 125.

5- ينظر: الهروي علي بن محمد النحوي ، الأزهية في علم الحروف ، تحقيق: عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سوريا ، 1993م ص: 259.

6- ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل ، الأصول في النحو ، تحقيق: عبد الحسين الفتيلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1996م ، ج 2 ص: 234.

7- ينظر : المصدر نفسه ، ج 2 ، ص: 230.

8- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 126.

وبالإجمال يمكن تقسيم الروابط إلى قسمين:

- 1- روابط إحصائية: مهمتها الإحالة في النص مثل: الضمير، اسم الإشارة، الاسم الموصول، (أل) المشبهة للضمير، وأل العهدية، أدوات المقارنة، اللفظ المكرر، بعض الظروف الزمانية والمكانية.. الخ.
 - 2- روابط لا إحصائية: مهمتها وصل أجزاء النص ونسج تراكيبه، وهي كثيرة لا يمكن حصرها بسهولة إنها تتجه نحو الزيادة كمظهر من مظاهر التطور اللغوي، ويدخل فيها مايلي: أدوات الشرط وجوابه، أدوات التوكيد ومنها أدوات القسم، أدوات النفي، أدوات النداء، أدوات الاستفهام، أدوات العطف، أدوات الجر، نواصب وجوازم المضارع، حروف التسوية، التوابع (التوكيد، البدل، النعت)، النواسخ.. الخ
- و- الروابط البيانية:

تقوم الروابط البيانية على صور من العلاقات غير المصرح بها، وهي تخضع للإدراك العقلي لا الحسي ويكشف عنها المنطق العقلي، وقد قيدها اللغويون المحدثون باسم الربط البياني مقترحين لها مصطلح الارتباط القائم على إنشاء علاقة نحوية بين معنيين دون الحاجة إلى وساطة لفظية، ويعني هذا أن النص وإن افتقر إلى أدوات الاتساق اللغوية لا يعني عدم انسجامه، فتجاور المقاطع اللغوية المؤدية إلى الفهم والاتصال يدل على أنها مترابطة رغم غياب أدوات الاتساق اللغوية اللفظية¹، وقد قيد الباحثون قاعدة الربط البياني بين جمل النص معتبرين أن "كل جملتين متتاليتين في النص ثابتهما بيان للأولى، ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة"².

وهذا يعني أن غياب الروابط بين أزواج الجمل يدل على أن الجملة الثانية ترد مفسرة للأولى، لأنها واقعة موقع الاستئناف البياني القائم على التوضيح بالتفصيل بعد الاجمال، لذلك فقد ربط النحاة والبلاغيون العرب غياب الرابط بافتراض ذهني تقتضيه عملية التواصل وجدليته، وجرى عندهم تحليل الانقطاع الظاهر بين الجمل في مواطن الاستئناف البياني وغياب الرابط كان لقوة الارتباط بين الجملتين، وهذا الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حينما بيّن أن حال الجملة الثانية "حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبهه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه"³، "فالتطابق بين الجملتين أغنى عن توسط الرابط"⁴ والتطابق بين الجملتين يعني وجود التماسك المعنوي بينهما، بواسطة وسائل دلالية تُدرك بالعقل بين أجزاء التراكيب اللغوية ويدل على التماسك المعنوي قرائن معنوية داخل الجملة، وتقوم به الوظائف البيانية في الجملة العربية عن طريق مجموعة من العلاقات ومنها:

¹ الخوالدة، فتحي رزق، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكبا"، أزمة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1 2006م، ص: 167.

² الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 28.

³ الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد، دلائل الاعجاز، ص: 243.

⁴ المرجع السابق، ص: 39.

علاقة الإسناد ، علاقة التعدية، علاقة الإضافة ، علاقة الملايسة ، علاقة الظرفية ، علاقة التحديد ، علاقة السببية علاقة التمييز ، علاقة الوصفية ، علاقة الإبدال ، علاقة التأكيد¹ ، وأما النوع الثاني من الروابط البيانية فيكون بين الجمل في النصوص ، ولها علاقة بملايسات المقام والتفاعل (**interaction**) بين أطراف الحوار ومن أشكاله².

- 1- أن يتوسط حرف التفسير(أي)بين الجملتين.
- 2- أو يستعمل المتكلم عناصر معجمية تدل على التفسير كالتى تتصل بمادة (عنى، أراد، أفاد..).
- 3- ويكون البيان بتفصيل الجمل.
- 4- ويكون بإسناد الفعل إلى المعلوم بعد وروده مسندا إلى المفعول(المجهول).
- 5- بيان بذكر الدليل للإقناع كما يكثر في نصوص المناظرات والجدل.
- 6- ويكون البيان بإيراد مضمون الرسالة بعد التنبيه بالنداء.
- 7- ويكون البيان كذلك بإيراد الجواب بعد الاستفهام من المتكلم عندما لا يقصد إلى الاستخبار.

والحديث عن الربط البياني يستدعي الإشارة إلى أنواع العلاقات الدلالية بين أجزاء النص ، والتي ذكرها فوفلفجانج وهي :

التوضيح ، التأكيد، التصحيح، روابط السؤال، الجواب . ومايميز هذه العلاقات أنها علاقات قضوية متداخلة في النص³.

ز- دورُ الرَّوَابِطِ فِي اتِّسَاقِ النَّصِّ وَانْسِجَامِهِ:

تعد قضية الاتساق النصي ووسائله من القضايا المهمة التي شغلت علم اللغة النصي ونحو النص، لأنَّ الاتساق النصي يتأزر مع مجموعة من الأنظمة النصية الأخرى ، للوصول إلى ما يطلق عليه كلية النص، أي أنَّ النص كل لا يتجزأ، ومن هنا يحكم للنص بنصيته، فيخضع في هذه الحالة فقط للدراسة ، فالروابط إذا وسيلة مهمة من وسائل الحكم بالنصية ، يتمثل في السبك والحبك الذين يمثلان العصب الأساسي لنحو النص ، مع مجموعة المعايير النصية الأخرى ، لهذا ركز عليه علم اللغة النصي تمحيصا وتفصيلاً وتأملاً ، حيث ظهر التماسك النصي بأشكاله وملامحه موزعا متنوعاً في أطر كثيرة ، استمدت تلك الأطر قوتها لا من علم اللغة النصي ولا من نحو النص فقط بل من علوم كثيرة ، ومن هنا تنوعت تلك الوسائل وضربت بجذورها في علوم مثل: البلاغة، والنحو والتاريخ والمنطق ، بل والثقافة العامة.

¹ ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية ، ص:163. وينظر: تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 194.

² ينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص : 40.

³ ينظر: فولفجانج هاينه من و ديتير فيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص:46.

فالروابط عناصر لغوية لا تخلو منها أية لغة من لغات العالم ، ويمكن عدها الوسيلة الأهم للتماسك في النص ، أو بين متواليات الجمل ، فعلى سبيل المثال حينما يستقبل متلق هذا النص: ذهب الطالب إلى المكتبة، جاء القسم سوف يشعر المتلقي أن العلاقة الدلالية في هذا النص غير واضحة ، أي أن فيها شيئاً من اللبس لا يمكن أن يرتفع إلا بقول: ذهب الطالب إلى المكتبة ثم جاء إلى القسم ، أي بإضافة الرابط ثم بين الجملتين المشكلتين لهذا النص ولكن الروابط لا تحقق دورها على الصعيد النحوي- الدلالي فحسب ، وإنما تحققه أيضاً بين مجموعة متواليات قضايا النص¹ ، فعلى سبيل المثال حينما يستقبل متلق هذا النص:

1- نام أحمد ، وغيرت الحبراء لون جلدها.

فإنّ هذا النص يتضمن قضيتين معبر عنهما بجملتين يربطهما الرابط(الواو) ، غير أنّ الروابط المتوفرة في هذا النص (الواو) والضمير المتصل(ها) حققت الربط النحوي إلا أن الربط الدلالي في النص مازال ملبساً ، لذا يجب وجود روابط أخرى تضمن الربط بين القضيتين الواردتين في النص ، وتوضح العلاقة بينهما في إطار دلالي خاص يختلف عن الإطار النحوي-الدلالي السابق ، أو في إطار سياقي تداولي يسهم في إيضاح تلك العلاقة ، ويتم ذلك بإحدى الطرق الآتية:

1(أ) - نام أحمد ، وغيرت الحبراء لون جلدها، بعد أن كُسر فرع الشجرة التي نام عليها أحمد، ففزع أحمد لما استيقظ وأبصر تلك الحبراء.

فقد اتضح الترابط بواسطة الربط بين القضيتين الواردتين في (1) بقضيتين آخرين لهما مفهوم دلالي يرتبط في صحته أو بطلانه بالقضايا الواردة في(1أ) ، وقد يتم الربط بالآتي:

2(ب) - كما تشاهدون في هذا الفيلم السينمائي: نام أحمد ، وغيرت الحبراء لون جلدها ، فالسياق يسهم في

الربط ، وإن لم يتضح الربط بين القضايا بشكل جلي ، وهو سياق داخل النص ، ولكن قد يكون السياق خارجياً كما في:

3(ج) - قال ضاحكا: نام أحمد وغيرت الحبراء لون جلدها.

فبداية العبارة السابقة تستدعي إيضاحاً بسياق خارجي ما ، وربما يسأل سائل عن ذلك السياق، فيكون الجواب أن أحمد طفل ذهب إلى زيارة معرض للزواحف ، ونام وهو يمشي في الوقت الذي غيرت الحبراء لونها ، وقد يكون الربط عن طريق المجاز أو التداخي أو الأسطورة مثلما نجده في القصائد الشعرية ، والقصص الرمزية، فيصير لنوع النص ومقتضيات ذلك النوع أثر في كيفية الربط².

¹ - ينظر: بن الدين بخولة ، الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط ، دار التنوير ، الجزائر ، ط 1 ، 2014م ص: 84.

² - ينظر : المرجع نفسه ، ص: 85..

ينبغي أن نشير هنا إلى إمكانية وجود أداة رابطة بين سطح النص ، مع الإحساس بالتفكك الدلالي لعدم وجود الربط المعنوي ، والمثال التالي يميلنا إلى عدم الترابط مع وجود الأداة كما بيناه في المثال (أ): "شَبَّ حريق في المبنى التجاري بالأمس، وانتصر المصريون في السادس من أكتوبر عام 1973م"¹.

مع وجود الواو الرابطة بين الجملتين إلا أنهما منفصلتان دلاليًا ، لأن الانتقال من فكرة إلى فكرة لا يوجد بينهما علاقة منطقية واضحة تجمع بينهما ، كذلك لو تم الربط بين كلمتين في الجملة الواحدة مثل:

الفتاة جميلة وماشية . مع وجود الواو بين الكلمتين لكننا نشعر بالتفكك والتنافر ، فماهي العلاقة بين الجمال والمشى في المثال؟

والجواب على هذا السؤال أنّ التركيب في المثال يحتوي على جزئين الأول معنوي والثاني حسي ، ولا يجمع بينهما حقل دلالي واحد ، حيث يحتاج الأمر إلى جمع دلالي² ، وهذا الجمع الدلالي هو الذي يحقق الربط لأن "كل ربط يستلزم وحدة إلى حد ما وحدة في المعنى بين الأجزاء التي يربط بينها"³ مما يؤدي إلى الاتساق الدلالي الذي يبدأ من استخدام الكلمات .

ذكرنا سابقاً أنّ الروابط تعمل على تحقيق الربط النحوي والربط الدلالي ، ويؤدي ذلك إلى تحقق العلاقة المعنوية وفهم المقصود من التركيب ، ولكن هناك سؤال يفرض نفسه حول طبيعة الربط هل وجد مكتملاً ومستقراً على ما هو عليه الآن في اللغات ؟ أم أنه مر بمراحل ؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال تحيلنا إلى تأمل ومراقبة لغة الطفل ، ففي هذه المرحلة لا تكون اللغة مكتملة عنده إذ تغيب في لغته الروابط و العلاقات التركيبية ، ويمكننا هذا من استنتاج أن الروابط قد مرت بمراحل لها علاقة بتطور اللغات الانسانية على مر التاريخ " فالربط في اللغات الانسانية قد مر قبل أن تستقر حاله على ماهي عليه في هذه اللغات بمراحل ثلاثة من التطور اللغوي التاريخي"⁴ ، ويساعدنا الوقوف على هذه المراحل في إلقاء الضوء على سبب وجود غير نوع من الربط في اللغات .

وقد أشار الدكتور **عمر يوسف عكاشة** في كتابه (النحو الغائب) إلى أن الناطق اللغوي قد مر بثلاثة مراحل :

¹ - أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 101 .

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 102 .

³ - جون كوين ، بناء لغة الشعر ، ترجمة: أحمد درويش ، 1990م ، ص: 102 .

⁴ - يوسف عمر عكاشة ، النحو الغائب ، دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها ، دار كنوز المعرفة العلمية

2003م ، ص : 231

1- في المرحلة الأولى وهي الأقدم كان الناطق اللغوي يكتفي برصف الجمل إلى جنب بعضها في سلسلة من الكلام دون أن يعمد إلى آلية لغوية للربط بينها ، وقد غاب عن هذا الناطق إدراك العلاقات الدلالية المتطورة و المركبة ، واقتصر الناطق اللغوي في هذه المرحلة على إدراك نوع من العلاقة "يمكن للمتلقي إدراكه بسهولة بمجرد رصف الجمل وصفها الواحدة تلو الأخرى"¹.

2- في المرحلة الثانية مال الناطق اللغوي إلى اصطناع علاقة نحوية سياقية بين الجملتين ، عن طريق الربط بينهما "ولكن الربط انحصر في هذه المرحلة حسب تصوري في الربط الذي يعمل على التوفيق بين الجمل وتجميعها والتسوية بينها ، دون أن تكون جملة ما جزءا من جملة أخرى ، بمعنى أن الجمل في هذه المرحلة الثانية مربوطة ربطا يُبقي على شيء من الاستقلال الكلي ، وهو استقلال نسبي نعني به عد إحدى الجملتين المربوطتين مكونا من مكونات الجملة الأخرى"².

3- في المرحلة الثالثة طرأ على العقل البشري تطور فظهر نوع جديد من الربط وفيه "نجد أن الناطق

اللغوي يقوم بإدماج إسناد في آخر بحيث يغدو الإسناد المدمج مكونا من مكونات الإسناد المدمج"³، وبحضور الروابط في المرحلة الثانية والثالثة يمكننا ذلك من رصدها وإحصائها وتحديد طبيعتها ، ففي المرحلة الثانية يعمل الربط على التوفيق بين الجمل وتسمى روابط هذا النوع بالروابط الموقفة (**co - ordinating**) ومن بين الروابط الموقفة على سبيل التمثيل (الواو)⁴.

أمّا في المرحلة الثالثة يعمل الربط على إخضاع إسنادٍ لآخر ، فتصبح الجملة المركبة المشتملة على جملتين مربوطتين ربطا إدماجيا ، مكونة من جملة رئيسية مدمجة ، وأخرى ثانوية مُدمجة والجملة الثانوية المدمجة ، تمثل عنصرا من عناصر الجملة الرئيسية المدمجة ، وتسمى روابط هذا النوع (الروابط المدمجة) (**subordinating conjunctions**). وما يميز الإسناد المدمج أن أداة الربط المدمجة تنصدر التركيب ويكون هذا الإسناد المدمج حاملا لوظيفة دلالية ما مثل: الزمان، والحال والسبب ، والشروط⁵.

وبعد تتبع المراحل التي مر بها الناطق اللغوي أثناء ممارسته اللغوية ، لا بد من الوقوف على جزئية مهمة تتمثل في خصوصية اللغات الإنسانية وتميز بعضها عن بعض ، ذلك أن هذه المراحل التي مر بها الناطق اللغوي في

¹ - يوسف عمر عكاشة ، النحو الغائب ، دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها ، ص: 231.

² - يوسف عمر عكاشة ، النحو الغائب ، دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها ، ص: 232.

³ - المرجع نفسه ، ص: 233.

⁴ - ينظر: يوسف عمر عكاشة ، النحو الغائب ، دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها ، ص: 231.

⁵ - ينظر : المرجع نفسه ، ص: 234.

توظيفه للروابط - خاصة المرحلة الثانية والثالثة- يجعلنا ندرك طبيعة التداخل بينهما من جهة ، ومن جهة أخرى يحيلنا إلى الوقوف على هذه الروابط في اللغات الأخرى غير العربية ، كالإنجليزية مثلا بكل يسر وسهولة ، وهذا يعني أنه لا يمكن الجزم أن اللغة العربية قد مرت بهذه المراحل نظرا لخصوصيتها التي تجعل اعتمادها على الروابط في حالات ضروريا ، وتجعل توظيف الروابط في بعض التراكيب اللغوية محلا للتركيب ومفسدا للمعنى ، ومثال ذلك التركيب الشرطي الذي يرفض وجود رابط الواو في قولنا إن أحسن إليك وأعطه درهما ، ومنها ماورد أيضا في كتب البلاغة وما تعلق بمبحث (الفصل) في البلاغة.

لذلك فإنَّ الحديث عن الروابط مهم جدا ، ذلك أنَّ النص يفقد نصيبه إذا أُسيء توظيف الروابط ، أو إذا ما تم تغيير هذه الروابط منه ، لأنها تعمل على إحداث علاقات نحوية ، وعلاقات دلالية بين جمل النص ويحدث أن تكون هذه العلاقات بين جملتين (ربط مثنوي) ، أو بين أكثر من جملة (ربط جمعي) ، كما يمكن أن يكون هذا الربط بين الجمل ربطا قريبا ، أو أن تتوسط الجملتين علاقات كثيرة فيسمى ربطا بعيدا .

وللروابط دور مزدوج إذ تعمل على تحقيق الربط من ناحيتين ، الأولى تتم على مستوى الجملة الواحدة والثانية تتم على مستوى الجمل ، ولا يمكن أن نغفل بقية العناصر والآليات التي تحقق الاتساق والانسجام كظاهرة التقديم والتأخير والإحالة ، وهذه الآليات لاتعد من الروابط لأن عملها يتحدد عن طريق إقامة علاقات في النص وقد تحدد عملنا في هذا البحث على دراسة الروابط النصية ودورها في تحقيق الاتساق والانسجام الخطابي ، وليس الكشف عن هذه العلاقات وتبيان طبيعتها .

و من وظائف الروابط أيضاً تحقيق الأفعال الإنجازية ، وهي المرحلة الثانية من أفعال الكلام وتتضمن أفعال الإخبار، الأمر، النهي، التوكيد ، التهديد، الترحيب ، الشكر ، الاستفهام، التمني،..وهي كلها مقاصد المتكلم من فعل القول ، ومن هذه الروابط :أدوات القسم ، والنفي ، والنداء ، والاستفهام ، والشرط، مما يبين أن دورها يتجاوز الدور الواسلي المحقق اتساق النص إلى دور تدعيم انسجام النص ، من خلال تحقيق الأفعال الكلامية وسيتم تناول هذا النوع من الأدوات بشيء من التفصيل في الفصل التطبيقي الأخير من البحث.

فالروابط بدايةً تقوم بدور الربط بين أجزاء النص وتركيب مقاطعه ونسج خيوطه ثم الوصل بين قضاياه إلى أن يبدو النص للقارئ أنه في أتم درجات التماسك والاتساق، وفي نفس الوقت تحقق مبادئ نصية أخرى كمبدأ التغريض واستشارة المعرفة الخلفية للمتلقي، وتهيئة الوسط المناسب لمشاركة المقام ، وتحقيق الأفعال الإنجازية ، والتأثير في عواطف المتلقي حتى يتواصل مع النص ، وتلك هي المبادئ التي يبني عليها انسجام النص.

خُلاصة :

الاتساق والانسجام يشكلا معاً الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها التحليل النصي لما لهما من دور فعال في وحدة النص وتماسكه، ولا نكاد نجد بحثاً في مجال لسانيات النص ، أو تحليل الخطاب إلا عولجنا فيه، لما لهما من مصطلحات مكتملة لأجزائهما ؛ كالترايط والتماسك، والسبك والحبك وغيرها.

لا يمكن الإلمام بجميع الأدوات النصية وتصنيفها من خلال بحث أو اثنين ، لذا حاولنا قدر الإمكان التعرض لأبرزها مع إعطاء بعض الأمثلة الموضحة لها ، وبالتالي فالبحث في هذا المجال يحتاج إلى كم هائل من الكتابات والدراسات التي توضح هذه الوسائل المهمة في إنتاج النصوص على اختلاف نماذجها ، والربط بين مفرداتها وتعاييرها بطرق سليمة، حيث تحدث وقعا في نفس القارئ.

من هنا يكون الترايط النصي أو التماسك النصي: هو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جملة أو فقراته لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دوراً تفسيريّاً. لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص ، فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصر في النص ، وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية ، والأکید أن الربط بالأدوات ظاهر في نحو الجملة ظهوراً ملحوظاً كأدوات العطف والشرط والقسم... الخ. بين الكلمات داخل الجملة أو الجملتين المتوالتين ، أما نحو النص فينبغي أن يبحث عن تلك الوسائل الضمنية في بنية النص الكلية ، إذ الربط يمكن أن يكون دلاليّاً دون أداة بين فقرتين أو جزأين متباعدين في نص ما.

إنّ المتأمل للغة يراها صورة من نظام متشابك، تتوقف صلاحية هذا النظام على تكافل أركانه للوصول إلى كيفية تفيد المتلقي ، حيث تتكافل الأنظمة الداخلية مع الأنظمة الخارجية للوصول إلى صورة ترتبط فيها المفاهيم، وتتعالق الأجزاء، وتتواصل الدلالة في تفاعل ومنطقية.

وعلى هذا فإنّ تشابك النظام اللغوي يتم بواسطة الروابط اللغوية ، التي تسهم في تماسك النص وترايط أجزائه ومقاطعها ، ليلبغ درجة عالية من الاتساق ، وفي الوقت ذاته تعمل هاته الروابط الوصل ضمناً بين قضايا النص مما يؤدي إلى انسجامه ، فيتحقق بذلك التواصل بين المرسل والمتلقي ، وما يميز هذه الروابط أنها كثيرة ومتعددة ، وحرصاً منا على توضيح الدور الذي تؤديه هذه الروابط في تحقيق الاتساق والانسجام الخطابي اقتصرنا على تفصيل ما تعلق بالروابط الإحالية كالتكرار والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة و (أل) التعريف .

والروابط غير الإحالية كأدوات الشرط ، والتوكيد، وأدوات القسم ، والنفي ، والنداء ، والاستفهام وأدوات العطف .

لذا فإننا سنتتبع دور هذه الروابط النصية في تحقيق الاتساق والانسجام - تطبيقا - في نصوص المدونات التي وقع اختيارنا عليها في الفصل الثالث والرابع من البحث .

الفصل الثالث

دور الروابط الإحالية في اتساق وأنسجام نصوص المدونات

- تمهيد؛
- المبحث الأول: التكرار
- المبحث الثاني: الضمائر
- المبحث الثالث: (أل) التعريف
- المبحث الرابع: الأسماء الموصولة
- المبحث الخامس: أسماء الإشارة
- خلاصة

عرضت في الفصلين السابقين مفاهيم نظرية حول لسانيات النص ، وبيّنت في الفصل الثاني ماتعلق بأدوات الاتساق والانسجام ، وتبيان دورها في إحداث التماسك النصي ، إضافة إلى التّطرق إلى الرّوابط وتصنيفها ووظيفتها ، وسأسعى في الفصل الثالث (التطبيقي) إلى الإجابة على جملة من الأسئلة وهي : ما المقصود بالرّوابط الإحالية ؟ وما هو الدور الذي تؤديه في نماذج النّصوص المختارة؟ وللإجابة على هذه الأسئلة سأحاول التركيز على أهمّ الرّوابط الإحالية التي تؤدي وظيفة الرّبط على مستوى النصّ عن طريق إحالتها للعناصر اللّغوية الموجودة في النصّ ، إلى العناصر اللّغوية الموجودة داخل النصّ ، وهو الذي أشرنا إليه سابقاً تحت مُسمّى الإحالة الدّاخلية . أو أنّ تحيّل هذه الروابط الإحالية إلى عنصرٍ لغويٍّ خارج النصّ ، وهو المسمّى بالإحالة الخارجيّة ، لذلك فإنّ البحث في هذه الجزئية سينحصر على أهمّ الرّوابط الإحالية في نماذج النّصوص المختارة: التكرار الضمائر، (أل) التعريف ، الأسماء الموصولة، أسماء الإشارة.

أولاً: التكرار: إعادة اللفظ

أشرنا سابقاً أنّ من بين وسائل الاتساق هناك الوسائل المعجمية ، وهي تؤدي وظيفة الاتساق النصي وتقسّم على قسمين :

من بينها التكرير وهو شكلٌ من أشكال الاتساق المعجمي ، يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادفٍ له أو شبه مرادف ، أو عنصراً مُطلقاً ، أو اسماً عاماً وهو ما أطلق عليه دي بوجراند مصطلح (recurrence) وقد بيّنا أنّ التكرار يقسم إلى أربعة أنواع وهي :

تكرار نفس الكلمة. الترادف وشبه الترادف . الكلمة الشاملة. الكلمة العامة .

ومن الوسائل المعجمية التي تؤدي وظيفة الاتساق النصي التضام أو التلازم أو المصاحبات المعجمية ، وقد أشرنا إليها سابقاً في ثنايا هذا البحث ، ونشير هنا أنّ هاليداي ورقية حسن فصلاً ماتعلق بأشكاله ، والدور الذي يؤديه في إحداث التماسك النصي ، ولاضير من إعادة الإشارة إلى بعض أشكاله باختصار ومنها :

الارتباط بموضوع معين ، التقابل أو التضاد ، علاقة الجزء بالكل ، علاقة الجزء بالجزء ، الاشتغال المشترك الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة ، والكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة . وسنتطرق إلى مفهوم التكرار في إطار المعجم والاصطلاح والوظيفة على مستوى التطبيق في النماذج المختارة .

1- مفهوم التكرار:

أ- لغة: ذكر ابن منظور في لسان العرب أنّ التكرار في اللغة مأخوذ من " الكَرَّ الرجوع...وكرر عنه

رجع ، وكرر الشيء كركره أعاده مرة بعد أخرى ، وكَرَّرت عليه الحديث وكررتّه إذا رَدَّدتّه عليه ..والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار ..والكَرَّة البعث وتجديد الخلق بعد الفناء ..والكركرة صوت يردده الإنسان في جوفه ، والكر الحبل الذي يُصعد به على النخل .. والكر الحبل الغليظ...والكر ماضم ظلّفتي الرجل وجمع بينهما ، وهو الأديم الذي تدخل فيه الظلفات من الرجل .."1 .

و التكرار في اللغة أصله من الكَرَّ بمعنى الرجوع ، قال ابن فارس : " الكاف والراء أصل صحيح يدلُّ على جمع وترديد. من ذلك كَرَّرت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى"2 .

بعد استعراض المعنى اللغوي لمصطلح النكرار يتبين لنا أنّ معاني مادة كَرَّ تدور حول معانٍ متعددة³ :

- الرجوع يلاحظ أن علاقة التكرار تشمل الإحالة القبليّة أو السابقة بالرجوع لما سبق ذكره في النص

بتكراره مرة أخرى .

- البعث وتجديد الخلق بعد الفناء ، وكأني به يريد القول بأن المتكلم يذكر عدة جمل متتالية ، وبعد فترة من

الحديث يكاد المستمع أن يصل إلى نسيان ما قيل في أول الكلام ، فنجد المتكلم يعود ليكرر بعض ما قاله أولاً ليذكر المستمع ويبعث الجملة ويجدها بعد أن كادت تنسى .

- ضم ظلّفتي الرّجل وفي هذا تحقيق للتماسك بين هاتين الظلّفتين ، ومن ثم يبدو فيه معنى التماسك .

نستخلص من هذا العرض أنّ التكرار وسيلة من وسائل الاتساق الشكلي والدلالي على مستوى النصوص عموماً كما أنه يساهم في إحداث الربط الإحالي فيها ، وهذا ما يدفعنا إلى دراسته على أساس اعتباره أداةً من الأدوات التي تساهم في الاتساق والانسجام معاً .

1- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، ج5، ص: 136.135.

2- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ، مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ج5 ، ص: 126.

3- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكّية ، دار قباء ، القاهرة ، مصر ، ط1

2000م ، ج2 ، ص: 18.

ب- اصطلاحاً:

التكرار مصدر كرر إذا ردد وأعاد ، هو (تفعال) بفتح التاء ، ولا قياس فيه بخلاف (تفعيل) وهذا الرأي قال به سيبويه ، أمّا الكوفيون فيرون أنه مصدر (فعل) ، والألف عوض من الياء في التفعيل¹ ، ويرى أبو البقاء الكفوي أنّ التكرار "مصدر ثلاثي يفيد المبالغة كـ (الترداد) مصدر (رد) عند سيبويه أو مصدر مزيد أصله (التكرير) قلب الياء ألفاً عند الكوفية ويجوز كسر التاء فإنه اسم من (التكرر)"².

يتضح لنا من خلال عرضنا للأصل الاشتقاعي لمادة كسر وجود مصطلحين اختلفت بنيتهما ودلالتهما واختلف أصلهما الاشتقاعي فقد جاء المصطلح الأول على وزن (تفعال) بفتح التاء أو (تفعال) بكسر التاء ليدل على المبالغة ، وهناك المصطلح الثاني وهو (تكرير) والذي جاء على وزن (تفعيل) ، ومهما يكن فإنّ الاختلاف بين المصطلحين في البنية أو الأصل الاشتقاعي لا ينفي اتحادهما في الدلالة ، لأنّ المعنى يدل على التكرار وفيه تتضح دلالة اللفظ على المعنى وذلك "كقولك : أسرع ، أسرع ، فإن المعنى مردد واللفظ واحد"³.

وعلى هذا الأساس فإنّ التكرار يتشكل لفظياً على صور وحدات لسانية مختلفة على مستوى الحجم كما يتخذ أيضاً أشكالاً دلاليةً تتعدد فيها صور المعاني ، إذ يمتد التكرار على مستوى الحجم ليشمل تكرار الحرف ثم الكلمة ، ثم الجملة ، ويؤدي تكرارها إلى تغيير المواضيع التي ذكرت فيها ، وذلك بالاتفاق بين الألفاظ المكررة ومعانيها أو اتفاق الألفاظ المكررة فيما بينها واختلاف معانيها ، ويعني هذا " أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده ، وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني ، فإن كان مُتَّحداً الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس ، وكذلك إذا كان المعنى متحدًا وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين"⁴.

والممتنع لما ذكره علماء العربية وهم يتناولون ظاهرة التكرار يدرك أنهم لم يغفلوا عن الدور الذي يؤديه التكرار في إحداث التماسك النصي فالزمخشري يرى أنّ " جدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وماعلق به في نفس السامع ومكنته في قلبه ، وأمطت شبهةً ربما خالجت أو توهمت غفلةً أو ذهاباً عمّا أنت بصدده فأزلته"⁵ ، على هذا يتضح لنا الفرق بين التكرار والتأكيد ، وأنّ التكرار أبلغ من التأكيد ، فهو يقرب مستعمله من مراتب الفصاحة يقول بدر الدين الزركشي: " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظناً أنه لافائدة

¹ - الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص: 9.8.

² - الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998م ص: 297.

³ - ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر ، تعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، نخضة مصر ، القاهرة ، مصر ، ج3 ، ص: 03.

⁴ - ينظر: أحمد مطلوب ، معجم لنقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ج1 ، 1989م ، ص: 370.

⁵ - الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر ، المفصل في علم العربية ، تحقيق: فخر صالح قدارة ، دار عمار ، ط1 ، 2004م ، ص: 115.

له ، وليس كذلك بل هو من محاسنها ، لاسيما إذا تعلقَ بعضه ببعض¹ ، ومن الأوصاف البديعة التي وُصِفَ بها التكرار قول ابن الأثير : "اعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان ، وهو دقيق المأخذ ، وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مرّدا"² .

وقد عَدَّ السجلماسي(ت704هـ) التكرار الجنس العاشر من أجناس أساليب علم البيان وصنعة البلاغة والبديع وعَرَفَه بقوله:"إعادة اللفظ الواحد بالعدد ، أو بالنوع ، أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعداً . والتكرير اسمٌ لمحمول يشابه به شيءٌ شيئاً في جوهره المشترك لهما ، فلذلك هو جنس عالٍ تحته نوعا: أحدهما : التَّكْرِير اللفظي ، ولتَسَمُّه مُشَاكَلَةٌ . والثاني: التكرير المعنوي ، ولتَسَمُّه مناسبةً ، وذلك لأنه إمّا أن يعيد اللفظ وإمّا أن يعيد المعنى ، فإعادة اللفظ هو التكرير اللفظي وهو المشاكلة ، وإعادة المعنى هو التكرير المعنوي وهو المناسبة"³ .

وقد عُني علماء العربية بتبيان فائدة التكرار والوقوف على أهميته ، فالزركشي يرى أن له فوائد " أحدها التأكيد واعلم أن التكرير أبلغ من التوكيد ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران الآية 42) .. الثاني: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُوْمُ أَتَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيْلَ الرِّشَادِ ﴾ (يَقُوْمُ 38) إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِلَى الْآخِرَةِ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (غافر الآية 38.39) . فإنه كرر النداء لذلك . الثالث: إذا طال الكلام وحُشي تناسي الأول أعيد ثانياً تطريةً له وتجديداً لعهد كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴾ (النحل الآية 110). الرابع: في مقام التعظيم والتهويل ومنه قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ ﴾ ، (الحاقة الآية 2.1). الخامس: في مقام الوعيد والتهديد كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ نَعْمُوْنَ ۝٢ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ نَعْمُوْنَ ۝٤ ﴾ ، (التكاثر الآية 3.4). السادس: التعجب كقوله تعالى : ﴿ فَقَتِلْ كَيْفَ قَدَرٌ ۝١١ ثُمَّ قَتِلْ كَيْفَ قَدَرٌ ۝١٢ ﴾ ، (المدثر الآية 19.20). السابع: لتعدد المتعلق كما في قوله تعالى: ﴿ فَيَأْتِي ءَالِئًا رِبْكَمَا تَكْذِبَانِ ﴾ ، (الرحمان الآية 13) فإنها وإن تعددت ؛ فكلُّ واحدٍ منها متعلق بما قبله وأنَّ الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن، وعدَّد عليهم نعمه التي خلقها لهم فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه، وهي أنواعٌ مختلفةٌ ، وصورٌ شتى"⁴ .

الملاحظ أنَّ التكرار في القرآن الكريم يرد بأشكالٍ وصورٍ متعددة ليتوافق مع سياق آي القرآن الكريم ويعكس لنا أعلى درجات الفصاحة . مما يجعل التكرار ظاهرة بلاغية لا يقف عليها إلا المتبصرون والممعنون في

¹ - الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص: 09.

² - ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر ، ج3 ، ص: 03.

³ - السجلماسي أبو محمد القاسم ، المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق: علال الغازي ، مكتبة العارف ، الرباط ، المغرب ، ط1، 1980م ص: 477.476.

⁴ - الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص: 16.11.

الكلام العربي عمومًا ، خاصة وأنّ التكرار يعمل على تحفيز وزيادة الفاعلية الإبداعية والتداولية أثناء العملية التواصلية بين المتخاطبين ، ويؤدي ذلك إلى تعدد فوائده وأغراضه والتي أشرنا - سابقا - أنها تتحدد وتعدد بحسب مقتضيات سياقية وموقفية ، وقد ذكرنا منها أمثلة ساقها الزركشي في كتابه البرهان .

وما يلاحظ أيضا أنّ صور التكرار تعمل على زيادة الترابط بين العناصر المتكررة ، وذلك بإقامة جسر معنوي بينها إذ يبدأ بذكر عنصر لغوي أو معنوي يتم التركيز عليه عن طريق إعادته باستمرار في كل بنية نصية أو سلسلة كلامية متتابعة عن طريق الإحالة إلى العنصر الإشاري المذكور في أول النص ، مما يؤدي إلى زيادة الاتساق الشكلي والانسجام الدلالي في النص ، فالتكرار "يهدف إلى تدعيم التماسك النصي ، وكذلك يوظف التكرار من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص... وزيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة ، فإنّه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي ، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره ، هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة ، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك الأخرى"¹ ، مما يؤدي إلى ضمان وظيفة التكرار النصية بإعادة العناصر اللغوية (لفظًا أو عبارة أو جملة أو فقرة) بواسطة اللفظ نفسه أو مرادفه ، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة .

2- إعادة أو تكرار اللفظ بذاته:

حين تحدث تمام حسان عن الربط اعتبره قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر ، وقد أشار الأستاذ تمام حسان إلى أنّ الربط يتشكل على صور متعددة منها: الضمير العائد ، أو بالحرف ، أو بإعادة اللفظ أو إعادة المعنى ، أو باسم الإشارة ، أو (أل) أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر. والملاحظ أنّ الدكتور تمام حسان يعتبر أنّ إعادة اللفظ ذاته رابطة أقوى من إعادة ضميره يقول في ذلك : "والربط يكون أيضا بإعادة اللفظ نحو قول القائل (الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان) ..إعادة المرجع بلفظه رابط أقوى من إعادة ضميره عليه لأنّ لفظه أقوى من الكناية عنه"² ، هذا الذي يجعل إعادة أو تكرار اللفظ بذاته أصلا في الربط بصور الإحالة وذلك أنّ "الأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ ، لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضمناً للوصول إليه"³ ، ويجعل هذا صورة الربط بإعادة اللفظ بذاته أصلاً في الربط لكن قد تعدل العربية عن هذا الأصل في الربط لأنّ "عدول العربية عن الربط بما هو أصل في الربط إلى الربط بغيره من صور الإحالة ، جاء نتيجة تطبيق مبدأ الاختصار الذي هو فرغ على مبدأ طلب الخفة ، كما أنّ الربط بإعادة اللفظ بذاته شأنه شأن ظواهر العربية الأخرى رهنّ بأمن اللبس فإذا لم يؤمن اللبس حال الربط بإعادة اللفظ بذاته ، فإنّ العربية تعتمد إلى الربط بغير إعادة اللفظ بذاته"⁴ ، وقد

¹ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج2 ، ص: 22.21.

² - تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 216.

³ - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص: 109.

⁴ - حسين رفعت حسين ، الموقعية في النحو العربي ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2005م ، ص: 205.

تفطن علماءنا قديماً إلى أنّ الحاجة إلى الربط بغير إعادة اللفظ كانت لعلتي الإيجاز وأمن اللبس ، ومن ذلك الاعتماد على الضمائر في الربط يقول ابن يعيش: " وإنما أتى بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز ، واحتراراً من الالباس ، فأما الإيجاز فظاهر ، لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بالكامل ، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم ، وأما الالباس فلأنّ الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك ، فإذا قلت زيدٌ فعل زيد جاز أن يُتوهم في زيد الثاني أنه غير الأول ، وليس للأسماء الظاهرة أحوالٌ تفترق بها إذا التبست ، إنما يزيل الالتباس منها في كثير من أحوالها الصفات كقولك: مررت بزيد الطويل والرجل البزاز ، والمضمرات لا لبس فيها ، فاستغنت عن الصفات ، لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات ، والأحوال المقترنة بها حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما وتقدم ذكر الغائب الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم¹ .

يفهم من هذا النص أنّ ابن يعيش قد مثل وشرح ما تعلق بالربط الممثل في إعادة اللفظ بذاته ، وبين أنّ الربط بغيره (أي بالضمير) ليس فيه من الإطالة واحتمال وقوع اللبس ما في الربط بإعادة اللفظ "وأفهم من هذا أنّ الأصل كان تكرار اللفظ بذاته ، لكنه لضرب من الإيجاز واحتراراً من الإلباس يعدل عن هذا الأصل إلى الإتيان بالمضمرات"².

ومادام أنّ الأصل في الربط يكون بإعادة اللفظ بذاته ، فإنّ الإتيان بالضمير في مكان اللفظ المكرر قد يضعف الربط ، ويؤدي إلى اللبس والغموض ، ويتضح لنا ذلك من خلال تكرار عبارة (المؤمنون والمؤمنات) بدلاً من العنصر الإشاري المذكور في صدر الآية الكريمة ، والتعويض عنه بالضمير باستبداله بعبارة (وعدهم) في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ، (التوبة الآية 71،72). فالعبارة المكررة المؤمنون والمؤمنات تحيل إحالةً قلبيةً إلى العنصر الإشاري الأول بحيث تسهر على استمراره ، وربط الكلام بأوله و " لاحظ أيضاً أنّ تكرار (المؤمنون والمؤمنات) بعد طول الشققة بدلاً من وعدهم ثم تكرار لفظ الجلالة لتأكيد الربط"³ ، كما نجد أنّ هذا الربط "قد أفاد نوعاً من التردد الذي يراد منه التأكيد على صلابة الموقف الأول وتذكير المتلقي به"⁴ ، وقد ورد هذا النوع من التكرار إضافة إلى نماذج أخرى في نماذج التطبيق التي وقع اختيارنا عليها ، وسنمثل للتكرار بدايةً في سورة (القصص)، والتي وقع الاختيار عليها عن قصدٍ لدلالة اسمها (العنوان) عليها ، ولأنها تكشف عن ثلاث قصص (قصة موسى وقصة

¹ - ابن يعيش موفق الدين بن علي ، شرح المفصل ، ج3 ، ص: 84.

² - حسين رفعت حسين ،الموقعية في النحو العربي ، ص: 206.

³ - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص : 109.

⁴ - الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 50.

الرسول صلى الله عليه وسلم وقصة قارون) والذي يفضي الاتساق فيها إلى انسجامٍ مذهلٍ بين هذه القصص وقد توزعت بنية التكرار فيها كما هو ممثل في الجدول الآتي :

النموذجُ الأوَّلُ : سورة القصص :

نوع التكرار	اللفظ أو العبارة أو القصة	الآية
التكرار التام (تكرار الكلمة)	الله	(2)71/70/68/60/56/(2)50/49/30/28/27/13 (2)72 / (2)82/81/80/78/(3)77/76/75/ .88/87
رب	رب	59/53/47/46/37/33/32/30/24/22/21/17/16 .87/86/85/69/68/63
إله	إله	. (2)88/72/71/(2)38
موسى	موسى	44/43/38/37/36/31/29/20/19/18/15/10/7/3 .76/(2) 48
فرعون	فرعون	.38/32/9/(2)8/6/4/3
هامان	هامان	. 38/8/6
قارون	قارون	.79/76
أم موسى	أم موسى	.13/10/7
الظالمين	الظالمين	.59/50/40/37/25/21/16
المؤمنين	المؤمنين	47/10
الكافرون	الكافرون	86/82/48
المدينة	المدينة	20/18/15
مدین	مدین	45/23/22
أبي	أبي	26/25/23
النار	النار	41/(3) 29
إله	إله	(2)88/72/71/70/ (2)38
الأرض	الأرض	83/81/77/56/39/19/6
قوم	قوم	79/(2)76/46/21
الدنيا	الدنيا	79/77/42
حياة الدنيا	حياة الدنيا	61/60

83/77	الدار الآخرة	
19/15	عدو	
47/45/36/35	آيات	
35/34	أخ	
40/7	اليوم	
72/71/61/42/41	يوم القيامة	
45/43	قرون	
46/29	جانب الطور	
80/67	عمل صالحا	
58 (2) 59 القرية	القرى	
73/72/71	الليل	
71 الضياء 73/72	النهار	
10	فؤاد ، قلب	
18/15	مضل مبین ، غوي	
	مبین	
(2)82	ويكأن	
(2)15	من شيعته	تكرار تام (تكرار
(2)15	من عدوه	عبارة)
.83/4	العلو في الأرض	
.25/21	نجوت من القوم	
	الظالمين	
.59/45	تلوا عليهم آياتنا	
88/70	له الحكم وإليه	
	ترجعون	
.72/71	قل أرأيتم إن جعل.	
24/(2)23/22/21/20/19/18/17/16/15/12/11/9	مادة (قول)	التكرار الاشتقائي
(3)48/47/38/37/36/35/33/29/28/27/26/(2)25		
74/72/71/65/64/(2)63/62/57/55/53/51/49		
.85/82/80/79/78/76/75		

(2)5	مادة (جعل)
20/12	مادة (نصح)
(2)16	مادة (غفر)
(2)33/20/(2) 19	مادة (قتل)
(2) 29	مادة (آنس)
.80/67/27/19	مادة (صلح)
25/24/23	مادة (سقى)
(2) 25/11	مادة (قص)
.27/ (2)26	مادة (أجر)
12/7	مادة (رضع)
.46/45/(2)44	مادة (كان)
(2)46	مادة (نذر)
(2)47	مادة (صاب)
.65/59/(2)47/45/34/7	مادة (رسل)
(2)48	مادة (كفر)
(2)50	مادة (هوى)
.86/52/49/43/2	مادة (كتب)
80/67/53/52	مادة (آمن)
58/5	مادة (ورث)
(3)63	مادة (غوى)
(2)64	مادة (دعا)
38/34	مادة (كذب)
11/9	مادة (شعر)
(2)48	مادة (أتى)
46/43	مادة (رحم)
85/64/57/56/50/(3)49/37/22	مادة (هدى)
(2) 84	مادة (ساء)
(2)81	مادة (نصر)
82/81	مادة (خسف)

80/78/14	مادة (علم)	
83/(2)77/4	مادة (فسد)	
(2)77	مادة (حسن)	
(2)77	مادة (فرح)	
(2)68	مادة (خار)	
غفور 16 / رحيم 16 / الوكيل 28 / الوارث 58.	تكرار صفات الله	التكرار شبه المعنوي
	عز وجل	المترادف
88/85/78/(2)70/61/56/49/39/34/19/16	هو	تكرار الاسم العام
5/4	قضية استعلاء	تكرار القضية أو
	فرعون	القصة
6/5	قضية الوعد	
	بالتمكن	
77/76	قضية العلو والتكبر	
	والفساد في الأرض	
	في قصة قارون	
42/41/40	قضية عاقبة فرعون	
81	قضية عاقبة قارون	
.83/5	قضية تحقق إرادة	
	الله	

يتضح لنا من خلال الجدول أنَّ الألفاظ والمعاني والموضوعات ، توزعت على فضاء السورة بشكل يجعلها

تدور حول محاور ومفاهيم محددة يمكن تقسيمها إلى:

- 1- المقدمة : من الآية 01 إلى الآية 03.
- 2- قصة فرعون: من الآية 04 إلى الآية 46
- 3- التعقيب عليها: من الآية 47 إلى الآية 75
- 4- قصة قارون: من الآية 76 إلى الآية 82
- 5- التعقيب عليها: من الآية 83 إلى الآية 88

الملاحظ أيضًا سيطرة لفظ الجلالة (الله) على فضاء السورة ، فقد تميز حضوره بكثافة واضحة ، كون الله عز وجل هو المرسل ، وهذا الذي يؤكد على ارتباط السورة الوثيق بالله عز وجل ، فقد ذكر بواسطة الضمير الذي يحيل إليه في الآية 03 ، وسنفصل فيما تعلق بالضمائر التي تحيل إلى الله عز وجل في حينها- وذكر لفظ الجلالة مصرحاً به في الآية 13 في قوله تعالى: ﴿ فَذَرْنَهُ إِلَىٰ أَمْرِهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ، في سورة القصص ووروده بكثافة له أسبابه ، ذلك أنه مرتبط بالفترة الزمنية التي أنزلت فيها السورة ، وهي تمثل الحقة المكية لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما ميزها من الرفض الشديد الذي أبداه أهل قريش لها ، فالله لم يكن حاضرًا باعتباره الإله الواحد في عقولهم ، والناس لم يؤمنوا به ولم تعود أسماعهم على اسمه عز وجل ، ولا على القرآن وكلام الرسول فيه فقد كانوا منشغلين بتزديد أسماء أصنامهم ومعبوداتهم وتمجيدها وتقديسها ، لذا تم الاعتماد على التكرار لترسيخ المفاهيم والمصطلحات والتعاليم في أذهان المتلقين ، وهذا الأثر "يزيد الشيء المكرر تميزًا من غيره... فالأقوال أو الأحكام التي تتوافر في سمعي تكون أكثر ورودًا على لساني أو خلال تفكيري من الأقوال والأحكام العابرة ، ولهذا كان التكرار والإلحاح في التكرار هو الركن الأساسي الذي يقوم عليه فنُّ الدعاية ¹ .

إنَّ تكرار لفظ الجلالة في السورة قد أدى وظيفةً دلاليةً ، زيادة على دوره في إحداث التماسك النصي وورود لفظ الجلالة بهاته الكثافة هو تجسيدٌ لمعنى الألوهية والقيومية ، وسيطرة الله وقدرته على كل شيء "فهو سبحانه الذي بيده عاقبة الأمور وإهلاك الظالمين ونصر المؤمنين ، وإليه تصير مقادير كلِّ شيءٍ فهو سبحانه المسند إليه تصريف ما في السورة من أحداثٍ ² ، لذلك كانت معاني السورة تدور حول لفظ الجلالة (الله) إضافةً إلى الضمائر التي تحيل إليه ، فالمعنى يتجدد باستمرارٍ بذكر لفظ الجلالة لأنَّ "من أصول الكلام تجدد المعنى بتجدد اللفظ ، أو قل التقدم في المعنى بالتقدم في اللفظ ، فإذا تحقق لفظ ما تم به معنى مناسب له ، فإذا زدت إلى ذلك اللفظ لفظًا آخر زدت إلى المعنى معنىً جديدًا ³ .

ولم يقف التكرار في السورة على ذكر لفظ الجلالة (الله) ، بل تعداه إلى ذكر صفاته عز وجل كالغفور والرحيم والوكيل والوارث ، وفي ذكرها بياناً لمعاني إلهية مناسبة وموافقة لسياق السورة ، فهو الغفور لذنب موسى والغفور للذين تمنوا أن يكونوا مثل قارون ، وهو الوكيل على المستضعفين والمدافع عنهم ، وهو الذي ورثهم الأرض بعد إغراق فرعون وجنوده وهو الوارث فوقهم .

مايلاحظ أيضًا أنَّ لفظ الجلالة (الله) ورد صريحًا في السورة في سبعة وعشرين موضعًا ، ويُضاف إليه لفظ آخر يدل عليه سبحانه وتعالى وهو لفظ (رب) ، والذي ورد في تسعة عشر موضعًا ، والمعلوم أنَّ لفظ (رب) يعني أنه تولى تربية الخلق إلى غاية ومهمة ، وهذه التربية تستند إلى مقوماتٍ ماديةٍ ومعنويةٍ وروحيةٍ ومنهجيةٍ ، والرَّب هو

¹ عز الدين علي السيد ، التكرير بين المثير والتأثير ، عالم الكتب . القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1978م ، ص: 136.

² صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 2 ، ص: 53.

³ محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 2 ، ص: 753.

المالك والمربي والداعي إلى الصلاح والإصلاح ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القصص الآية 17). وقد ساهم هذا اللفظ -رب- في الربط بين المحتوى القضوي للجمل ، كما ساهم في تأكيد القضية الأساسية في السورة "ولا يكون التكرار تأكيدًا ، إلا إذا توفر أصل التوكيد ، وهو جعل الشيء ثابتًا في ذهن المخاطب" ¹.

مثل عنوان السورة (القصص) اتساقًا نصيًا من جانبين : الأول ما يؤديه من اتساقٍ بين جمل النص والثاني ما يمثله من ربطٍ بين السورة بكونها جزءًا من النص الأكبر ، وهو القرآن الكريم وقد تكرر العنوان عن طريق مادته الاشتقاقية (قص) فورد على صيغة الأمر (قصيه) في الآية 11 ، وورد على صيغة الماضي (قص) في الآية 25 وورد اسما متوافقا مع العنوان (القصص) في الآية 25 ، والعنوان في الدراسات النصية بنية أساسية دالة من بني النص وهو العتبة الأولى من عتبات النص ، وهو "رسالة لغوية تُعرِّف بتلك الهوية ، وتحدّد مضمونها ، وتجذب القارئ إليها ، وتغريه بقراءتها ، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه" ²، ويمثل العنوان البنية الصغرى التي تفتقر للبنية الكبرى (النص) ³ ، فالدخول إلى عالم النصّ ينطلق من العنوان ، فهو العنصر الأساسي في التشكيل اللفظي إذ يقود إلى خيوطٍ أساسية في بناء النصّ ، فهو أول ما يُعامل معه للحوار مع النص ⁴.

ويتطابق الاسم (العنوان) مع موضوع المسّمى ومضمونه في معظم أسماء سور القرآن ، والمتمعن فيها يدرك سر التناسب بين أسماء السور ومضامينها ، فعناوين السور قد اختيرت بعناية إلهية تكشف عن الترابط بينها وبين مضامين السور ، وقد سميت بالقصص لما فيها من عرض مفصل لقصة موسى منذ ولادته إلى لحظة انتصاره على فرعون وجنوده ⁵.

وقاريء النص (السورة) يدرك مباشرة دلالة العنوان على فحوى ومضمون النص ، وقد ذكرنا سابقًا أنّ تقسيم السورة تشكل من قصتين هما (قصة فرعون وقارون) إضافة إلى التعقيب عليهما "والهدف من القصتين والتعقيبين واحدٌ ، بيان عاقبة الاستعلاء في الأرض ، والتكبر فيها ، وكذلك بيان استخلاف الفئة المؤمنة المستضعفة وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين" ⁶ ، وبناءً على ذكر القصتين في سورة واحدةٍ ، فقد شكل ورودهما على الرغم من اختلافهما دلالة متماسكة واتساقا نصيا .

ويمكن رصد هذا الاتساق النصي في السورة من خلال وحدة الهدف:

1- تكرر دلالي ، من خلال ما وضحته الآية 04 والآية 05 حول استعلاء فرعون في الأرض ، وقهره

¹ - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 2 ، ص: 757.

² - أحمد مداس ، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 2 ، 2009م ، ص: 41.

³ - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 43.

⁴ - ينظر: نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، عالم الكتب الحديث ، ط 1 ، 2009م ، ص: 58.

⁵ - ينظر: السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، ص: 126.

⁶ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 2 ، ص: 50.

للضعفاء وحول رغبة الله عز وجل في تخلص الضعفاء من بطش فرعون وتمكينه لهم عليه .
 2- تكرار دلالة العلو في الأرض والفساد والتكبر من قارون وقد وضحته الآية 76 .
 ومن مظاهر اتساق النص أيضا التلازم بين دلالة العلو لكل من فرعون وقارون ، ثم تبيان عاقبة ذلك وفيه تكررت عاقبة كل منهما من خلال:

3- ذكر عاقبة فرعون بإغراقه هو وجنوده وقد وضحته الآيات 40 و41 و42.

4- ذكر عاقبة قارون بحسفه وقد وضحته الآية 81.

5- الاشتراك في الهدف بين القصتين (فرعون وقارون) ، وقد ذُكر الهدف أول مرة تعقيبا على علو فرعون

في الآية 05، ﴿وَرُبِّدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ آيَمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ، وذُكر
 مكررا بالجمع بين مآل فرعون ومآل قارون في الآية 83 ﴿تِلْكَ الْأَرْضُ الَّتِي بَعَثْنَا فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فَسَادًا وَالْعِزَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، وفي ذلك تحقيق لإرادة الله التي ذُكرت أول مرة .

وفي معرض حديث الله عز وجل عن العلو نجد أن الله قد ربطه بالفساد المهلك من ناحيتين :

6- علوُ صائرٍ من فرعون وهو علوُ فاسدٌ ، وقد وضحته الآية 04.

7- علوُ صائرٍ من قارون وهو علوُ فاسدٌ ، وقد وضحته الآية 77.

وقد أدى تكرار دلالة العلو في السورة ، وتبيان أنه علوُ فاسدٌ إلى إحداث التماسك أولاً في الكشف عن طبيعة
 فرعون وقارون ، وثانيا في تبيان عاقبة أمرهما .

هناك أيضاً اتساق أحدثه ذكر دلالات أخرى تمثلت في مصير أتباع موسى وأتباع فرعون ، فأتباع موسى
 أنجاهم الله من بطش عدوهم ونصرهم عليه وأغرق الله فرعون وجنوده ، وبيان ذلك ماورد في الآية : 67 وأما
 المشركون الذين ناصروا فرعون فعاقبتهم وردت في الآية 64 . ويتحقق التماسك الدلالي من خلال ذكر انتصار
 الفئة التي كانت مع قارون ، والتي أعلنت عن توبتها بعد أن كادت تزيغ ، وهذا ماوضحته الآية 82 .

وكما ذُكرت وحدة الهدف بالنسبة للذين من الله عليهم من الفريقين (الفئة المنتصرة في قصة فرعون وقصة
 قارون) ذُكرت أيضا وحدة الهدف بالنسبة للذين غضب الله عليهم من الفريقين ، وقد بين الله عاقبتهم في الآية
 84. وقد أضفى ذكر عاقبتهم اتساقاً وتماسكاً ميز مضمون النص (السورة). مما يجعل من محاولة الفصل بين
 القصتين دلاليًا أمرًا مستحيلًا .

وحين ننتبع قصة فرعون في النص (السورة) ، نجد ورود ألفاظٍ مكررةٍ ميزت القصة ، فقد تكرر اسم
 فرعون مصرحًا به ثمانية مرات ، إضافة إلى الضمائر التي تحيل إليه (المواضع المصرح بها هي

3/4/6/8(2)/9/38/32(38) وتكرر اسم موسى في سبعة عشر موضعًا ، إضافةً إلى الضمائر التي تحيل إليه ، وهو ضعفُ ذكر فرعون (المواضع 3/7/10/15/18/19/20/29/31/36/37/38/43/44/48(مرتان)/76).

ويمثّل ذكر موسى عنصرًا محرّكًا لأحداث القصة وموضوعها الأساسي ، فبسببه قُتل فرعون الأبناء وبسببه كانت نهاية فرعون الإغراق ، وما يثير الانتباه أنّ الافتتاح في ذكر قصة فرعون وموسى في هذه السورة مخالفتُ لبقية السور التي ذكرت فيها قصة موسى مع فرعون فالله "يبدأ في عرضها منذ أول حلقةٍ في القصة حلقة ميلاده ولا تبدأ مثل هذا البدء في أية سورةٍ أخرى من السور الكثيرة التي وردت فيها ، ذلك أنّ الحلقة الأولى من قصة موسى والظروف القاسية التي ولد فيها، وتجرده في طفولته من كلّ قوّةٍ ومن كلّ حيلة، وضعف قومه واستذلّاهم في يد فرعون . . ذلك كله هو الذي يؤدّي هدف السورة الرئيسي، ويبرز يد القدرة سافرةً متحديةً تعمل وحدها بدون ستارٍ من البشر، وتضرب الظلم والطغيان والبغي ضربةً مباشرةً عندما يعجز عن ضربها البشر، وتنصر المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوّة"¹، ومن مظاهر التكرار أيضًا ذكر أم موسى عليه السلام ، وقد تكرر ذكرها ثلاث مراتٍ (المواضع 13/10/07) وفي المقابل نجد أنّ اسم قارون ذُكر مصرحًا به في أول القصة في الآية 76 ثم ذكر مرة أخرى في الآية 79 إضافةً إلى الضمائر التي تحيل إليه .

وما يميز سورة القصص أيضًا تكرر بعض العبارات بكلماتها المتعددة ، والذي أطلق عليه سيد قطب مصطلح(التناسق التعبيري) "الذي يقتضيه التقرير الموضوعي ، والذي يتمثل في تكرر عبارات بعينها للدلالة على أنها تعبير عن حقيقة واحدة في صور متعددة"² . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿نَجُوتٍ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فقد تكررت في آيتين هما 21 و25. وسياق التكرار في الآيتين مختلف ففي الآية 21 يكشف لنا عن حالة موسى وهو خائفٌ يترقب بعد أن أبلغه الناصح أنّ الملائم يأتمرون به ليقتلوه ، فوجه دعاءه إلى الله عز وجل لينقذه من القوم الظالمين ، وفي الآية 25 تكررًا للعبارة أفاد استجابة الله عز وجل لدعاء موسى عليه السلام وقد ورد على لسان الشيخ الكبير ، و أفاد هذا التكرار سبب النص إذ ربط بين الدعاء والاستجابة. ومن العبارات المكررة أيضا قوله تعالى: ﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾ فقد تكررت في آيتين هما الآية 45 والآية 59. وسر تكررهما أنّ الخطاب موجّه في الآية 45 إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والضمير في (عليهم) ، يعود على مشركي مكة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلوا عليهم آيات الله التي تقصّ ماجرى على موسى عليه السلام ، في مدين زمن كونه فيه . "والمعنى وما كنت مقيمًا في في أهل مدين - وهو شعيب وقومه- مشاهدًا لما جرى على موسى هناك تتلو على المشركين آياتنا القاصة لخبره هناك ، ولكننا كنا مرسلين لك إلى قومك موحين بهذه الآيات إليك لتتلوها عليهم"³. ومن المعاني المستفادة من الآية أنّ الله عز وجل لم ينزل العقاب على فرعون وجنوده إلا بعد إتمام الحجّة بإرسال موسى يتلو عليهم آيات الله ، ويظهر لنا التماسك والربط بين الآيتين 45 و59 ففي الآية 59 تذكيرٌ بأنّ الله لا

¹ - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مكتبة نور ، تاريخ الإنشاء ، 18 مارس 2018م ، ص: 3107.

² - المرجع نفسه ، ص: 1218.

³ - محمد حسين الطبطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم . إيران ، المجلد 16 ، ص: 50.

يهلك القرى حتى يقيم الحجة على أهلها" وفي تعقيب الآية السابقة بهذه الآية الشارحة لسنته تعالى في إهلاك القرى تخويفاً لأهل مكة المشركين بالإيماء ، إلى أنهم لو أصروا على كفرهم كانوا في معرض نزول العذاب ، لأن الله قد بعث في أم قراهم وهي مكة رسولاً يتلو عليهم آياته وهم مع ذلك ظالمون بتكذيب رسولهم¹ .

ونجد أيضاً عباراتٍ تكررت بصفة عامة كعبارة (في الأرض) ، فقد تكررت سبع مرات (المواضع 83/81/77/56/39/19/6) ، وقد كشف تكرارها أن مجرى الأحداث في القصتين في الأرض والعلو والفساد فيها مؤقت ولا ينبغي أن يكون فيها علوً وفساداً ، وقد ناسب تكرار الأرض بين الأحداث والألفاظ المعبرة عنها.

ومن العبارات المكررة أيضاً (يوم القيامة) ، وقد تكررت في السورة خمس مرات (المواضع 72/71/61/42/41) وفي ذلك بيان لمآل الظالمين ومصيرهم ، وفيه أيضاً بيان قدرة الله عز وجل . والملاحظ أيضاً تكرار آيات كاملة مع المغايرة في بعض الألفاظ كما في الآيتين 71 و 72 وفي الآيتين تأكيداً على قدرة الله عز وجل وتصرفه في خلقه. وهناك أيضاً جمل مكررة في الآيتين 70 و 88.

ومن شواهد التكرار التي وردت في السورة قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٣٦﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مِوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ، (القصص الآية 3.2) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴿٨٧﴾ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ، (القصص الآية 86.87) فالآية التي وردت في أول السورة هي الصدر والآية التي وردت في آخرها هي العجز ، والملاحظ ورود عبارة (آيات الكتاب) في الصدر وورود (آيات الله) في العجز هذا الذي أدى إلى ترابط وثيق من خلال رد العجز على الصدر بين أول السورة وختامتها ، وكذلك ذكر لفظة (الكتاب) في العجز وهي تعود على الكتاب في الصدر ، إضافةً إلى وحدة دلالة العجز والصدر في الحديث عن الكتاب.

تحتلُّ الجذور اللغوية مساحةً واسعةً في السورة إذ تمتد على فضاء السورة ، وقد احتل فيها الجذر (قول) المساحة الأكبر في السورة وذلك لأن "الطبيعة القصصية لهذه السورة يجعل الحوار أساساً من أسسها ، ولفظ القول من أهم أساليب الحوار"² ، وقد تكرر لفظ القول 49 مرة ، و توزع عبر شخصيات السورة خاصة في التعليق على قصة فرعون ، وأما الدور الذي يؤديه لفظ القول في تحقيق التماسك فهو على محورين :

- 1- كون لفظ القول أساساً من أسس الحوار، والحوار نفسه نمط من الأنماط المحققة لتماسك النص .
- 2- تكرار لفظ القول نفسه باللفظ والمعنى .

¹ - محمد حسين الطبطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، المجلد 16 ، ص : 62.

² - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 2 ، ص : 54.

وما يلفت الانتباه أن هناك لفظة تنتمي إلى الجذر (قول) ، وردت في السورة وهي لاتحيل إلى أي شخصية من شخصيات السورة في القصتين ، والتي تنتمي إلى نفس الزمن - زمن موسى وفرعون - واللفظة هي (قل) التي تحيل على (المتلقي) الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وتمثل هذه الكلمة الأمر الإلهي بتبليغ منازل من الله - سبحانه وتعالى - وقد تكررت في السورة 04 مرات (المواضع 85/72/71/49) كذلك يلحظ في تكرار الفعل (قل) فائدة في جعل القارئ على علم "بأنَّ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - لا دخل له في الوحي فلا يصوغه بلفظه ، ولا يلقيه بكلامه ، وإنما يلقى إليه الخطاب إلقاءً ، فهو مخاطبٌ ، لا متكلّمٌ ، حاكٍ ما يسمعه لا معبرٌ عن شيءٍ يجول في نفسه"¹ .

ومن المعاني التي يحملها لفظ (قل) أن له بعداً حجاجياً عن طريق أقوال يقولها الرسول - صلى الله عليه وسلم - لقومه يحاججهم بها "فالآيات بما تشتمل عليه من تلقين الحجة والهداية إلى دين الفطرة كالتبصر لما تقدمها من الحجج التي لفتها الله سبحانه لنبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه السورة بقوله : قل كذا وقل كذا... فكأنه قيل : واذكر فيما تقوله لقومك وتحاججهم به من أدلة التوحيد ونفي الشريك بتلقيننا إياك"². وتختلف دلالة الفعل قال باختلاف السياق ، فموسى عليه السلام "قد كرر قال ثلاثاً ، حيث قيل: ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ ﴿قال رب إني ظلمت نفسي﴾ ، ﴿قال رب بما أنعمت علي﴾ وذلك لاختلاف السياق في الجمل الثلاث ، فالجملة الأولى قضاء منه وحكم ، والجملة الثانية استغفار ودعاء ، والجملة الثالثة عهد والتزام"³. وأما اللفظ العام (هو) فقد تكرر عبر فضاء السورة ، وقد تعددت إحالاته فهو يحيل أحياناً على لفظ الله المتقدم كقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ ، (القصص الآية 16) وأحياناً يحيل على عنصر لغوي آخر ، كما في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَمْتَلِكَنِي كَمَا فَتَلَّتْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ ، (القصص الآية 19) فقد أحال على عنصر متقدم وهو العدو ، ويظهر من هذا أن اللفظ العام يستبطن قدرة إحالية أوسع من الألفاظ الأخرى، فإنه يحيل على عناصر لغوية مختلفة مما يتيح للمتكلم استعماله وتوجيهه وتوظيفه داخل النص بطريقة تفيد سبب النص وتقوم على ترابط أجزائه فيما بينها.

ذكرنا سابقاً ، أن للضمائر دور في إحداث التماسك النصي في السورة ، من خلال ما تحيل إليه ، وقد تكررت -على اختلافها- في السورة في مواضع مختلفة لتناسب موضوعها ، وما دام أن السورة قد عكست قدرة الله عز وجل في إنقاذ موسى وإهلاك فرعون وقارون نجد "أن أكثر الضمائر دوراناً في السورة ضمير المتكلم ، الذي يعود إلى الله تعالى"⁴ ، ومن أمثلة ذلك : (نتلوا ، نريد ، نحن ، نجعلهم ، نمكن ، نري ، أوحينا ، ربطنا ، حرمتنا

¹ - صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 10 ، 1977م ، ص: 30.

² - محمد حسين الطبطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، المجلد 07 ، ص: 155.

³ - المرجع نفسه ، المجلد 16 ، ص: 20.

⁴ - صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، ج 2 ، ص: 53.

،رددناه نجزي، سنشد، نجعل....) كما نجد أيضًا الضمائر التي تحيل إلى موسى وفرعون وقارون ، وقد ساهمت هي أيضًا في تحقيق تماسك القصتين كلٌّ على حدة .

هناك أنماط أخرى للتكرار وجدت في السورة تتمثل في ورود الجمل التفسيرية ، لأن ذلك مناسب لطبيعة السورة التي احتوت على قصتين لا بد فيهما من عرض الأحداث وتفسيرها ، فالآيات من 04 إلى الآية 75 تفسر ماورد الآية 03 ، وهي قوله تعالى: ﴿ نَتَلَوُا عَلَيْنِكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، والخطاب في في الآية موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيه إبلاغ من الله عز وجل بأنه سيخبر ويقص عليه خبر موسى وفرعون وهذا ما فسرتة الآيات من 04 إلى 75.

ومن أنماط التكرير بالجمل التفسيرية أن الله عز وجل ذكر في بداية السورة لفظ (آيات الكتاب) ، ثم ذكر في (آخر السورة لفظ (آيات الله) ، وبينهما عُرضت قصة فرعون وقصة قارون ، ويُفهم من ذلك أن السورة كاملة جاءت مفسرة للآية الثانية ، لأن ما حدث لموسى مع فرعون وما حدث لقارون يدخل في جملة آيات الكتاب وآيات الله في خلقه .

وأما ما تعلق بتكرار القضايا في السورة ، نجد أن القضية الأكثر حضورا التي توزعت على مساحة كبيرة في السورة هي قضية فرعون مع موسى ، وتبدأ من الآية 04 إلى الآية 21 وفيها تم عرض ظروف ميلاد موسى وخوف أمه عليه ورميه في التابوت والتقاط فرعون له وتربيته في بيت فرعون ، ثم قتله للقبطي وندمه على فعله هذا ثم إبلاغه من الناصح بأن يخرج لأن الملائم يأتمرون به .

ومن الآية 22 إلى الآية 28 يحدث فاصل قصصي آخر يُدخل الأحداث في نسق مغاير، ويبدأ من لحظة خروج موسى هاربًا متوجهًا إلى مدين ، ولقائه بالمرأتين وسقيه لهما، ثم دعوته للحضور عند والدهما ، ويحدث التكرار عندما يعيد موسى سرد قصته وما حدث له ، على الشيخ الكبير، وقد اختزلها الله عز وجل بقوله: ﴿...فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ... ﴾ (الفصل الآية 25) .

بعد ذلك تنتقل الأحداث إلى منحى جديد يتم فيه إعادة ذكر فرعون ، ويُهدد له من الآية 29 وينتهي إلى الآية 42 وفيها عرض لعودة موسى إلى مصر وتكليم الله له في الصحراء ، وتأنيده بالبراهين ودعوته إلى إنذار فرعون ثم تكذيب فرعون له وانتقام الله منه بإغراقه وجنوده في الدنيا ، وبعذابهم في الآخرة .

ومن لطائف التكرار الخفية في السورة الجمع بين ما حدث لموسى عليه السلام ، وبين الآيات التي وجه الله فيها الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، عمومًا والآية 85 خصوصًا ، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، وذلك على النحو الآتي:

- 1- ما ميز لحظة ميلاد موسى من خوفٍ وتنكيلٍ وعذابٍ سلطه فرعون على بني إسرائيل .
- 2- تكرار هذه الظروف والملابسات مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الفترة المكية التي اضطر فيها الرسول وأتباعه من قبل الكفار .

- 3- لحظة خروج موسى عليه السلام من مصر - مرغما- وتوجهه إلى مدين فارًا من بطش فرعون وجنوده.
 - 4- تكرار الخروج من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم - مرغما - متوجهًا إلى المدينة فارًا من بطش المشركين في مكة .
 - 5- لحظة رجوع موسى عليه السلام إلى مصر ولقائه بفرعون ثم انتصاره عليه .
 - 6- لحظة عودة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة وانتصاره على الكفار .
- إن ما يميز قصة موسى مع فرعون أنها أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم ، وقد تكررت بالمعنى وألفاظها تختلف في كل سورة وردت فيها ، ويُفسر هذا الاختلاف والتغيير تفسيراً نفسياً على رأي نازك الملائكة ، وهو يضفي مسحةً جمالية على التعبير " لأنَّ القارئ وقد مر به هذا المقطع يتذكره ، حين يعود إليه في مكان آخر من النص وهو بطبيعة الحال يتوقع توقعاً غير واعي أن يجده كما مر به تماماً، ولذلك يُحسُّ برعشة من السرور حين يُلاحظ فجأة أنَّ الطريق قد اختلف"¹ .

في الأخير نجد أن أنماط التكرار المختلفة في السورة ساهمت في تحقيق الاتساق النصي ، من خلال تكرار اللفظ والمعنى للكلمة وتكرار العبارة والجمل والآية ، إضافةً إلى التكرار الدلالي من خلال اتحاد القصتين (فرعون وقارون) في الهدف ، وما أضفته الجمل التفسيرية المكررة من خلال تفسيرها للآية الثانية من السورة وهذا يعني أن:

1- التكرار وسيلة من وسائل الاتساق من خلال ما يؤديه من ربط أجزاء النص عن طريق امتداد الألفاظ والعبارات والجذور والقضايا بألفاظها ومعناها في فضاء النص .

2- ساهم التكرار بأنواعه في السورة في الكشف عن وحدة الموضوع الأساسي فيها ، فهو قد بيّن لنا عن القدرة الإلهية في التصرف في الخلق كما كشف لنا عن الضعف و الهوان للمشركين .

3- إعادة ذكر صدر الكلام:

حاولنا الإشارة - فيما سبق - إلى ماتعلق بمظاهر التكرار الواردة في سورة القصص ، من خلال رصد التكرار التام المتعلق بتكرار الكلمة ، وماتعلق بتكرار العبارة والتكرار الاشتقائي ، والتطرق أيضا إلى التكرار شبه المترادف والمتعلق بالمعنى إضافة إلى الإشارة ما تعلق بتكرار الاسم العام وتكرار القضية .

وبعد التأمل في تركيب السورة استوقفنا نوعٌ آخر من أنواع التكرار يتمثل في إعادة ذكر صدر الكلام أو الجمل بنية الربط ، وفيه يقول تمام حسان: " وثمة نوعٌ من إعادة الذكر لانعاش الذاكرة أيضا ، وهو ما يعرف بالتكرار أو إعادة ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل من الكلام ، جعله مظنة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب ، فإذا أعيد صدر الكلام إلى الذاكرة اتضحت العلاقة بما يمليه وينتمي إليه"² ، وهنا يتضح لنا أنَّ هذه الصورة الثانية من التكرار تشبه الصورة الأولى منه - إعادة اللفظ بذاته- لأنَّ وسيلة الربط في الصورتين تعتمد على الإعادة اللفظية على أنَّ الغرض من إعادة ذكر صدر الكلام

¹ نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، ط 1 ، 1962م ، ص: 236.

² تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1993م ، ص: 113.

هو إظهار وبيان أنّ ما بعد هذا الجزء المعاد أو ما يقع في حيزه هذا الجزء المعاد ، يرتبط ويتصل بصدر الكلام بعلاقة تجمع بينهما بعد طول فاصل بين صدر الكلام وما يرتبط به ويتصل¹ ، ومن شواهد هذا التكرار في السورة قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ، (القصص الآية 15.16.17).

ذكرنا سابقاً أنّ الفعل (قال) تكرر ثلاث مراتٍ في هذه الآيات ، وذلك لاختلاف السياق في الجمل الثلاث من جهة ، ومن جهة أخرى نجد أنّ الفعل (قال) قد ساهم في التمييز بين هذه السياقات وجاء تكراره لسببين:

أ- اختلاف مناجاته لنفسه وخطابه لربه جعل (قال) الثانية ضرورية ، لأنّ الانتقال من هذا إلى ذلك لا يصلح لأن يفسر بالالتفات ولا بغيره ، وإذا لم يكن بدّ من نداء ربه قبل خطابه فلو لم تأت (قال) الثانية لجعل ما قبلها من كلام كأنه خطابٌ لله وليس نجوى للنفس .

ب- فصلت جملتان معترضتان بين ندائه لربه أولاً ، وندائه له ثانياً وهما ﴿ نغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾

فأصبح تكرر (قال) الثالثة أمراً ضرورياً ، لاستقامة الكلام² .

مما تقدم نستخلص من هذا التحليل النصي للسورة أنّها متماسكة على مستوى الشكل والمضمون ، وينقلنا التحليل النصي إلى نصٍ آخر وهو - حديث الرسول صلى الله عليه وسلم- نحاول أنّ نقف فيه على مظاهر الاتساق من خلال آية التكرار .

النموذج الثاني: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

حدثنا يحيى بن يحيى التميمي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء الهمداني - واللفظ ليحيى - قال يحيى : أخبرنا وقال الآخرون ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه ﴾³ .

¹ - حسين رفعت حسين ،الموقعية في النحو ، ص: 218.

² - المرجع السابق ، ص: 115.

³ - صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر رقم الحديث 2699 ص: 2034.

توزعت بنية التكرار في هذا الحديث على النحو الآتي :

نوع التكرار	اللفظة أو العبارة أو القصة	عدد مرات التكرار	
التكرار التام (تكرار الكلمة)	الله	08 مرات	
	الدنيا	03 مرات	
	العبد	02	
	طريق	02	
	الآخرة	02	
	كربة من كرب	02	
	في الدنيا والآخرة	02	
	مادة (نفس)	02	
	مادة (كرب)	04 مرات	
	مادة (يسر)	02	
التكرار الاشتقاقي	مادة (ستر)	02	
	مادة (عان)	02	
	مادة (بات)	02	
	تكرار صفات الإعانة	نفس /يسر/ستر/أعان	
	تكرار صفات فراءة القرآن	يتلون/يتدارسون	
	تكرار صفات الرحمة	نزول السكينة/غشيان الرحمة/حف الملائكة/ذكر الله .	
	تكرار الاسم العام	من	
	تكرار القضية	قضية الحث الإعانة	04 مرات .
		قضية الحث على طلب العلم	02

من خلال الجدول نجد أن ألفاظ وعبارات ومعاني الحديث ، تدور حول معانٍ ومفاهيم محددة وهي :

1. فضل قضاء حاجات المسلمين ، ونفعهم بما تيسر من علم أو جاه أو مال أو إشارة أو نصح أو دلالة على خير أو إعانة بنفسه أو بوساطته أو الدعاء بظهور الغيب.
2. الترغيب في التيسير على المعسر.
3. الحث على عون العبد المسلم وأن الله -تعالى- يعين المعين حسب إعانته لأخيه.

4. الحث على طلب العلم.
5. الحث على الاجتماع على كتاب الله - عز وجل - وقراءته ومذاكرته.
6. أنَّ الجزء إنما رتبته الله على الأعمال لا على الأنساب.
7. أنَّ شرف النسب مع صلاح العمل قد يوجب اختصاصاً في بعض أحكام الشرع لا في زيادة الثواب

كالإمامة العظمى ، فالأولى بها قريش ، ومثل ما خصَّ به بنو هاشم من الأحكام كتحریم الصدقة عليهم.

في هذا الحديث الشريف نجد أنَّ لفظ الجلالة (الله) قد أخذ الحيز الأكبر من الحديث ، فقد تكرر 08 مرات وسبب تكراره هو ارتباط الجزء به عز وجل ، فكل أعمال بني آدم في الدنيا تخضع لرقابته يجازي بها عباده في الدنيا وفي الآخرة ، وقد ساهم لفظ الجلالة في الربط ما بين جمل الحديث ، فالذي ينقُص عن المكروب هو الله والذي ييسر للعبد هو الله ، والذي يستر هو الله ، والذي يكون في عون العبد هو الله ، ومن يسهل لطالب العلم هو الله ومن يجعل رحمته تعم من يتدارسون كتابه هو الله ، فلفظ الجلالة يمثل نواة ومركز الحديث منه تنطلق المعاني وإليه تعود ، وهذه المعاني بتكرار لفظ الجلالة قد علق في السمع وثبتت في القلب ، والمعلوم أنَّ غاية "وجدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجت أو توهمت غفلة وذهابا عما أنت بصدده فأزلته"¹ .

والملاحظ عن لفظ الجلالة (الله) في الحديث وروده في الجمل التي تكشف عن جزاء الله لعباده ، وهو مشروطٌ بفعل العباد في الدنيا ، لأنَّ شرط تنفيس الله لكربة العبد في يوم القيامة وشرط تيسير الله للعبد في الدنيا والآخرة وشرط ستر الله للعبد في الدنيا والآخرة ، مقرون ومعلق بتنفيس المؤمن لكربة أخيه وتيسيره عليه وستره له كما أنَّ شرط عون الله للعبد معلق أيضا بشرط إعانة العبد لأخيه، وفي كل مرة يحمل لفظ الجلالة (الله) الوظيفة النحوية نفسها ألا وهي (الفاعل) ، وهذا التكرير من الرسول صلى الله عليه وسلم جاء لغرض التأكيد والتعظيم لجزاء الله للعبد الذي يكون في عون أخيه ، لذلك فقد تكررت الألفاظ (نفس ، يسر ، ستر ، أعان) والتي ساهمت زيادة على دورها في التأكيد في سبك النص ، وزيادة اتساقه.

إضافةً إلى الدور الذي لعبته أداة الشرط (من) في الربط بين أجزاء الجملة بواسطة التعليق الشرطي ، لأنَّ التَّركيب اللُّغوي للجمل قد يفرض توقف معنى جملة على أخرى واحتياجها إليها ، ممَّا يؤدي إلى تعليق حكم مفهوم جملة على حكم أخرى ، ويكون ذلك بمجموعة من الأدوات التي تربط بين الجملتين، جاعلةً الأولى شرطاً في حدوث الثانية وهذا الذي تم بواسطة الأداة (من) والتي تكررت في النص 05 مرات .

¹ - الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر ، المفصل في علم العربية ، ص: 115.

نجد في نص الحديث تكرارا لألفاظ أخرى أدت وظيفة الاتساق في النص ، وهي لفظ (الدنيا والآخرة) فقد تكرر لفظ (الدنيا) في نص الحديث 03 مرات وتكرر لفظ (الآخرة) ذاته مرتين ، ومرة واحدة بالترادف (الآخرة) والعلاقة بينهما (الدنيا والآخرة) وطيدة جدا ، وذلك أن أعمال العباد تكون في الدنيا ولا تتعداها ، أمّا المجازة عنها فتكون من الله عز وجل في الدنيا وفي الآخرة ، وفي الربط بين أعمال العباد الصالحة في الدنيا ومجازة الله عنها في الدنيا والآخرة ، نجد الجذور اللغوية (كرب، نفس، يسر، ستر، عان، سهل، ...) ساهمت في اتساق النص والربط بين جملة ، إضافة إلى التأكيد على المعنى الأساسي فيه ، وهو أن الأعمال منوطة بالعباد والحكم عليها من الله عز وجل . ويضاف إلى هذا اشتراك هذه الجذور في الدلالة ، فالمعنى نفسه في الأفعال (نفس ويسر وستر و عان) فهي ألفاظ تشترك في العون الذي يسديه العبد إلى أخيه ، وهذا جانب آخر من التكرار . ومنها أيضاً التلاؤم ما بين الجذور وبقية الألفاظ الواردة في نص الحديث فالعسر يقابله اليسر ، و نفس يقابلها الكربة وهي "على زون فُعلة من كُرب ، أي اقترب ، لأنَّ الكربة توشك أن تزهق الروح ، وتعطل مجرى النفس ، لشدها فكان استخدام نفس أنسب"¹ .

إنَّ التأمل في نص الحديث يجعلنا نقف على الدور الذي تؤديه العناصر الإحالية المكررة في النص، فتتفيس المؤمن لكربة أخيه يفسر لنا تنفيس الله عن كربه ، وتيسير المؤمن لعسر أخيه يفسر لنا تيسير الله عليه ، وستر المؤمن لأخيه يفسر لنا ستر الله له ، وإعانة العبد لأخيه يفسر لنا إعانة الله له، وعن طريق التعليق الشرطي زاد اتساق النص وتماسكه .

وهكذا فإنَّ العناصر المكررة في نص الحديث لاتستثير اهتمامنا على مستوى المثول الشكلي فحسب بل تُحكِّم في المعنى المحدد في إطار السياق النصي ، إلى جانب المعاني الأخرى التي تتقاطع مع المعنى المحدد مما يجعل منها عنصرا إشاريا واحدا "فالتكرار أو التريديد يمثل تعددا في البنية التركيبية ، ولكنه لا يغير شيئا في البنية الإحالية في النص لأنه بنية عابرة للتركيب (trans-syntaxique) تقوم في الأساس على المدلول ، فهي توافق البنية التركيبية في الغالب ويمكن أن تخرج عنها عند توفر شروط التريديد القائم على الترادف"² ، وبالعودة إلى الحديث نجد أن تنفيس العبد لكربة أخيه وتنفيس الله لكربه معنى واحد ، وتيسير العبد لعسر أخيه وتيسير الله عليه معنى واحد وستر المؤمن لأخيه وستر الله له معنى واحد ، وإعانة المؤمن لأخيه وإعانة الله له معنى واحد... وتكرار الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المعاني فيه تأكيد ، كأنه يقول: كما يكون تفريجك لهم أخيك في الدنيا سيكون تفريج الله لهمك في الآخرة ، مع مراعاة الفرق بين عمل العبد ومكافأة الله عز وجل له .

¹ - حسني عبد الجليل يوسف ، إعراب الأربعين حديثا النووية ، مؤسسة المختار ، ط1 ، 2003م ، ص: 240.

² - الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص : 137.

أمّا على مستوى القضايا المطروقة في نص الحديث ، نجد أنّ قضية إعانة العبد لأخيه توزعت على فضاء الحديث لتشكّل نصفه ، فهي تمتد من قوله صلى الله عليه وسلم (من نفس إلى قوله عون أخيه) وفي تكرار الرسول صلى الله عليه وسلم لها تأكيداً على أهميتها ، وفي تسليطه للضوء عليها تبياناً لأثرها في حياة العباد في الدنيا وفي الآخرة.

النموذج الثالث :

قصيدة (إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً) للمهلهل بن ربيعة¹ .

توزعت بنية التكرار في القصيدة على النحو التالي:

عدد مرات التكرار	اللفظ أو العبارة أو القصة	نوع التكرار
06 مرات	كليب	التكرار التام تكرار الكلمة
02	ذهل	
02	شيبان	
02	الشرار	
05	ذهب الصلح أو تردوا كلياً	تكرار تام تكرار العبارة
02	إنّ تحت الأحجار	
05 مرات	مادة (قتل)	التكرار الاشتقائي
05 مرات	مادة (عاد)	
02	مادة (مال)	
02	مادة (حل)	
02	مادة (علا)	
02	مادة (ذاق)	
05 مرات (حزماً، عزماً، كهلاً علا ، جلاً) .	تكرار صفات الممدوح	التكرار شبه المترادف (المعنوي)
04 مرات (هونا وذلاً/تذوقوا الوبال/تميلوا عن الحلال) .	تكرار صفات الذل والهوان	
02 (السفاهة ، الجهل)	تكرار صفات الجهل والطيش	

¹ - ديوان المهلهل ، شرح وتحقيق أنطوان محسن القوال ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1995م ، ص: 63.64.

تكرار الحروف	تكرار (أو) خرف غاية ونصب (بمعنى إلى أن) تكرار (إن) للتوكيد	13 مرة . 02
--------------	--	----------------

من خلال تتبع ظاهرة التكرار في قصيدة (إن تحت الأحجار حزما وعزما) للمهلل ، نجد أنّ الألفاظ والعبارات والمعاني تكشف عن مفاهيم محددةٍ أحدها شغل الحيز الأكبر في القصيدة ، بينما احتل الثاني جزءاً أقل فيها وسنعمد إلى ذكر المفهوم المسيطر على القصيدة ، لا كما هو وراذ بحسب الترتيب في نصها و هي:

- 1- رثاء الشاعر لأخيه (كليب) ، وبكاؤه عليه وحسرتة لفقده وتعدد مناقبه ومآثره .
- 2- تمديد ووعيد الشاعر لقبيلة (بكر) ورفضه للصلح .

إنّ أشكال التكرار على اختلاف أنماطها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموسيقى ، سواء أكانت هذه الأنماط تكرار حرف أم تكرار كلمة أم تكرار البداية أم تكرار اللازمة ، وسنحاول أنّ نكتنه بعد التكرار- في هذه القصيدة وفي غيرها- من خلال زاوية تنظر إلى التكرار على أنه نوع من أنواع الأداء اللغوي الذي له علاقة بالبعد النفسي كما سنحاول أنّ نربط ظاهرة التكرار بالموقف الذي يصدر عنه الشاعر وجانبه التأثيري . إضافةً إلى تبيان مظاهر الاتساق النصي التي يحدثها التكرار عموماً

إنّ أنماط التكرار التي ترد في الشعر الجاهلي تندرج تحت الأشكال البلاغية ، لأنّ الهدف من دراسة النص الشعري تكون في تبيان الصور البلاغية الواردة فيه. والتكرار عندما يدخل في سياق النص الشعري يكتسب طاقات إيجابية من تلك الطاقات التي تحملها اللغة الشعرية نفسها ، ولاشك أنّ أساليب التكرار المختلفة التي وردت في الشعر الجاهلي تكون جزءاً من اللغة الشعرية ، وهذه الأساليب هي مصدر من المصادر الأساسية الدالة على تفجر المواقف الانفعالية والتأثيرية "فاللغة الشعرية التي هي لغة انفعالية ، تتوجه إلى القلب وتعتمد بشكل رئيسي على اللغة الموسيقية التي يمكنها هي الأخرى أنّ تثير انفعالات وإحساسات لا تحصى" ¹ ، وقد عكست قصيدة المهلهل ما اختلج في صدره من أحاسيس وانفعالاتٍ ، دفعته إلى الاتكاء على مفرداتٍ وعباراتٍ ومعانٍ كرها شعورياً ولا شعورياً في الآن ذاته ، ومعلوم أنّ شعراء الجاهلية شاع في شعرهم تكرار العبارة فجعلوه في بداية الأبيات أو الفقرات ² ، " وقد مثل الشعر الجاهلي هذا اللون من التكرار أكثر من تمثيله لتكرار اللازمة ويبدو أنّ تكرار البداية وثيق الصلة بالطريقة التي كان يلقي بها الشعر ، وبخاصة إذا ما أخذ المرء بالحسبان أنّ الشعر الجاهلي

¹ - صبحي البستاني ، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، الأصول والفروع ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1986م ، ص: 49.

² - ينظر: نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص: 233.

اعتمد على الإنشاد بالدرجة الأولى أكثر من اعتماده على الكتابة¹ ، وعلى الرغم من أن تحليل القصيدة والوقوف على مظاهر التكرار فيها يفرض علينا البدء بتكرار العبارة ، خاصةً وأننا نجد هذا النوع من التكرار قد طغى في قصيدة المهلهل هاته من خلال تكريره لعبارة (ذهب الصلح أو تعيدوا كلييا) ، إلا أننا سنبدأ في التحليل بالوقوف على تكرار الكلمة لأنَّ هناك ألفاظاً في هذا النص تفرض نفسها وهي أكثر تألُّفاً من غيرها .

1- تكرارُ الكلمة

أ- الأفعال:

إنَّ أول ما يثيرنا في القصيدة هو تكرار الشاعر لكلمة (ذهب) خمس مرات ، وقد شكل تكرار هذه الكلمة في حد ذاتها إثارةً لحس السامع ، من خلال وقعها الإيقاعي الموسيقي المتناسق الذي يشكّل الإنفعال الإنساني للشاعر ويجسده ، هذا الانفعال الذي بدأ من نقطة صغيرة ثم أخذ ينمو ويكبر مع هذا التكرار . يقول الشاعر:

ذَهَبَ الصُّلْحُ أو تَرَدُّوا كَلِيًّا أو تَحُلُّوا على الحُكُومة حَلًّا

وبتكرير الشاعر للفعل (ذهب) نجد أنه قد حافظ على بنيته ، فجعله متَّفقا في شكله وعدد حروفه مما شكل توافقا صوتيا، هذا التوافق الصوتي أحدث موسيقى داخلية ميزت القصيدة ، إضافةً إلى نغمات الكلمات المكررة التي تبرز إيقاع النفس المنفعلة والمندهشة ، وتتبع دلالات التكرار في النص يفرض علينا أن نتساءل لم اختار الشاعر هذه الكلمة دون غيرها ؟ وما هو سبب تكراره لها؟

والإجابة على هذه الأسئلة تجعلنا نقف على المعنى العام للقصيدة ، لأنَّ "القاعدة الأولية في التكرار أنَّ اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام"² ، ومعلوم أنَّ المهلهل قد فقد أخاه كلييا ولم يكن موته حتف الأنف أو مناخزة حربٍ ، إنما أخذُ غدرا وغيلة ، كما أنه لم يُقتل على يد عدو، إنما قتل على يد ابن العم كل ذلك أثار في قلب المهلهل الثورة والتمرد ، وفجر في نفسه الأسى والحزن ، فاختر عن قصد تكرير الفعل (ذهب) الدال على الماضي، هذا الماضي الذي تصور فيه الشاعر مرابع حياته و ذكريات الطفولة بينه وبين كليب ثم هذا الماضي الذي ذهب فيه كليب إلى غير رجعة وأوبة ، ولو أنَّ الشاعر غيَّر من شكل الفعل (ذهب) أو أتى بكلمة أخرى ، فإنَّ إحساسنا بالمعنى سيتغير لا محالة ، فالسياق لا يجعل من تكرير هذا الفعل يضيفي على

¹ - جيمس مونرو ، النظم الشفوي في شعر ما قبل الإسلام مشكلة الموثوقية ، ترجمة: إبراهيم السنجلاوي ويوسف الطراونة ، مكتبة الكتاني ، إربد الأردن 1987م ، ص: 13 .

² - نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص: 231 .

القصيدة جوا من الرتبة كما لا يجعل الشاعر متصنعا أو متكلفا في اختياره لهذا الفعل "فالتعبيرات إذا اختلفت شكلا فإنها تختلف معنى أيضا"¹.

لقد سيطر على إحساس المهلهل شعور طاغٍ ، دفعه إلى تكرار أفعال أخرى لها من الحضور العددي ما للفعل (ذهب) من الحضور ، ومنها الفعل (تردوا) فقد كرهه الشاعر خمس مرات أيضاً ، ويحمل الفعل دلالات قوية منها رغبة الشاعر في عودة أخيه ، ومنها إقرار الشاعر أن البكرين - أبناء عمومته - هم الذين أخذوا كليبا وتسببوا في غيبته الأبديّة ، والآن يجب عليهم رده وكأنه شيء معار ، والغريب أن المهلهل يعلم يقينا أنهم لن يستطيعوا رد أخيه لذلك جعل من عرضه في رد كليب تعجيزاً لهم في صدور الأبيات (9/8/7/6/5) ، فلا صلح إلى أن يعود كليب وأما الحل فهو بيد المهلهل يمكن تحقيقه على أرض الواقع ، وقد أورده الشاعر في أعجاز الأبيات فلا صلح إلى أن يوجد حل عادلاً ، ولا صلح إلى أن يُثكّل البكريون ، ولا صلح إلى أن يناههم الذل والهوان...

لقد استطاع الشاعر من خلال ترديده لألفاظٍ وعباراتٍ ومعانٍ ارتبطت بأحاسيسه ، أن ينقل لنا تجربته العميقة التي تثير إحساساً لدى المتلقي "فالشاعر بشر يتحدث إلى بشر ، ويعمل جاهداً ليعثر على أجود الألفاظ في أجود نسق لكي يجعل تجربته تعيش مرة أخرى لدى الآخرين"².

ومن الألفاظ التي كررها الشاعر في نصه ما يُدرج تحت مادة (قتل) ، فقد وظفها الشاعر بصيغة الفعل وبصيغة الاسم فجاء اللفظ في البيت الأول اسماً وُصِف به كليب ، وجاء في البيت الثاني فعلاً منسوباً إلى البكرين وقد أدى ذكر اللفظ بصيغته الاسمية في البيت الأول إلى التساؤل عن المتسببين في قتل هذا الرجل ، وعلى الرغم من أن المهلهل لم يذكر اسم هذا القتيل ، ولكنه منح من الصفات الجليلة ما أغنى عن ذكر اسمه ، ثم كان الجواب في البيت الثاني عندما قال المهلهل (قتلته ذهل) وبين الاسم والفعل ترابط واتساق ، على اعتبار وجود سؤال مفترض ثم ورود جوابه في البيت الثاني . يقول الشاعر:

إنَّ تحت الأحجار حَزْماً وعزْماً وقتيلاً من الأرقام كهلاً

قتلته ذهلٌ فلسّت براضٍ أو نبئد الحيين قيساً وذهلاً

¹ - غراهم هاف الأسلوب والأسلوبية ترجمة: كاظم سعد الدين دار آفاق عربية، العراق ، بغداد ، العدد الأول ، 1985م ص21

² - إليزابيت درو ، الشعر كيف نفهمه وتنذوقه . ترجمة: محمد إبراهيم الشوش ، مكتبة منيمنة ، بيروت ، لبنان ، ص: 29.

ويسترسل الشاعر في تكريره لهذه الصيغة فيجعل منها فعلا في صدر البيت الرابع (قتلنا به) ، وهذا القتل صادراً من قبيلة المهلهل ضد المعتدين ، وهو ليس قتلاً يطفئ لهيب صدر الشاعر وليس ثأراً يُكافئُ به فقدان أخيه ، إذ لا يوجد نظير ولا ندُّ له ، لذلك جعل من القتل حالا في عجز البيت الرابع ينبغي أنْ تعم كل البكرين ، يقول:

قَدْ قَتَلْنَا بِهِ وَلَا ثَأْرَ فِيهِهِ أَوْ تَعَمَّ السُّيُوفُ شَيْبَانَ قَتَلًا

كما جعل اللفظ (القتل) حلاً في البيت العاشر ، يقول :

أَوْ أَرَى الْقَتْلَ قَدْ تَفَاضَى رَجَالًا لَمْ يَمِيلُوا عَنِ السَّفَاهَةِ جَهْلًا

يدل توظيف الشاعر لهذا اللفظ بصيغ متعددة على براعته الأسلوبية ، كما يدل أيضاً على قدرته الكبيرة في نسج علاقات متماسكة ومتسقة بين هذا اللفظ ودلالاته المتعددة ، فعلى الرغم من أن الشاعر له من الإمكانيات ما يجعله يعبر عن رأيه بطرق مختلفة ، لكن أن يُصر على أداء هذه الرؤية وبأسلوب عمد فيه إلى تكرار ألفاظ وعبارات دون غيرها ، هذا هو المهمُّ لأنه متيقنٌ بأن هذا الأسلوب هو الأقدر على إثراء تجربته ومنحها أبعاداً تنمي التفاعل بين المبدع والمتلقي .

إنَّ إصرار المهلهل على انتقاء ألفاظ وتكريرها مثل (مال ، حل ، علا، ذاق) ، دون غيرها يجعلنا ندرك أن وقع هذه الكلمات كان بالنسبة له أقوى من كل الكلمات الأخرى المرادفة لها ، بل إنَّ تكرار هذه الكلمات هو بمثابة الماء الذي أطفأ اللهب المتأجج في صدره .

ب- تكرار الأسماء :

ومن تكرار الأفعال في هذا النص نتقل إلى تكرار الأسماء ، والشاعر في تكريره للأسماء يهدف إلى إيصال فكرة وتقرير معنى ، لأنَّ هذا النوع من التكرار-تكرار الأسماء- يخدم لا محالة غرضاً أساسياً في النص الشعري والشاعر عندما يلح على تكرار اسم معين فإنه يريد أن يجعل منه النقطة المحورية التي تدور معاني القصيدة حولها وقد عرف الشعر الجاهلي أنماطاً ثلاثة من تكرار الاسم ، فإما أن يكرر اسم المحبوبة ، أو يكرر اسم ممدوح ، أو يكرر اسم شخص يتم رثاؤه . وعندما نقف على الأسماء المكررة في القصيدة ، فإننا نجد أنَّ المهلهل قد كرر اسم أخيه (كليب) ست مرات ، وفي كل مرة يترأى له وجه أخيه في صورة ترتبط بالماضي الذي لن يعود ، وهذا الذي جعل من ترديده لهذا الاسم ممزوجاً ومشحوناً بنغمة أسمى ونبرة حزن ، واستدعاءً الزمن الماضي في الوقت الحاضر دليل على أنَّ ذكر اسم كليب لم يكن ذكراً سطحياً ولا طيفاً عابراً ، فقد ذكره الشاعر في كل أبيات القصيدة

تقريباً إمّا ذكرنا صريحاً أو ذكر صفة أو ذكر إحالة بالضمير إليه ، والداعي إلى كل هذا التكرار لحظة الإشتياق إليه إذ "لا يجب على الشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب"¹ ، ويستوقفنا السبب الذي دفع المهلهل إلى تكرار اسم أخيه ، إلى الوقوف على المزج الذي اعتمده الشاعر في قصيدته وهو يردد اسم كليب في ثناياها ، فهو يمدح ويرثي في الآن ذاته ، يمدح فيقول عن كليب (إن تحت حزماً وعزماً وكهلاً) ويرثي فيقول : (لدفينا علا علاءً وجلاً) ، وبين مدحه وراثته تتردد النغمة الحزينة التي تدفعه إلى أن يكرر اسم كليب ، وهذا يعود إلى الحالة الشعورية التي يريد الشاعر أن يصدر عنها ، بالإضافة إلى ذلك فإن تكرار اسم كليب عمل على إيجاد رابط وثيق بين الأبيات التي تكرر فيها اسمه ، من خلال تشكيل نقطة محورية تصب فيها كل العناصر التي تتشكل منها الأبيات جميعاً ، ثم إننا نلمس تدفقاً شعورياً مغايراً انطلق فيه الشاعر من البيت الخامس ، بعد أن كرر اسم القبيلة وبطونها ممن تسببوا في قتل أخيه ، فكرر اسم (ذهل) مرتين وكرر اسم (شيبان) مرتين وفي تكريره تعتريه موجة الغضب العارم الذي يريد أن يبدهم ، هذا الشعور هو تكرار التحدي الذي "يرجع إلى حب الانتصار ووضع الآخرين في مكان العجز .. وهو استجابة لثورة النفس تحقيقاً للذات وإباء للإهانة"².

إذا فإن تكرار الأسماء لا يرد دون فائدة ، فبالإضافة إلى أنه يحدث استجابة ما لدى السامع الذي يجد نفسه في موقف يجعله يتساءل عن سر هذا التكرار ، فإن هذا التكرار يخلق رابطاً بين الأبيات يجعلها من خلاله تشكل بناء متكاملًا .

ج- تكرار البداية: (anaphora)

ذكرنا سابقاً أن هذا اللون من التكرار شائع بصورة كبيرة في الشعر الجاهلي ، وهو أكثر ارتباطاً ببناء القصيدة أو الأبيات التي يرد فيها ، إذ أنه يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بناءً متلاحماً ، فكل نوع من هذا التكرار يبرز التسلسل والتتابع الشكلي الذي يعين في إثارة التوقع لدى السامع ، وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزاً لسماع الشاعر والانتباه إليه ، وتكرار البداية متنوع فقد يأتي بتكرار كلمة أو كلمتين أو قد يمتد ليشمل شطراً من البيت الشعري ، وهذا ما اعتمده المهلهل في قصيدته فقد كرر عبارة (ذهب الصلح أو تعيدوا كليباً) خمس مرات ، من البيت الخامس إلى البيت التاسع ، ويكشف هذا التكرار عن الحالة النفسية للشاعر التي استهل بها قصيدته ، وما ميزها من حزن بدء يتعاضم ويكبر إلى حد المطالبة بإرجاع الميت حياً

¹ - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ص : 256.

² - عز الدين على السيد ، التكرير بين المثير والتأثير ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1978م ، ص : 131.

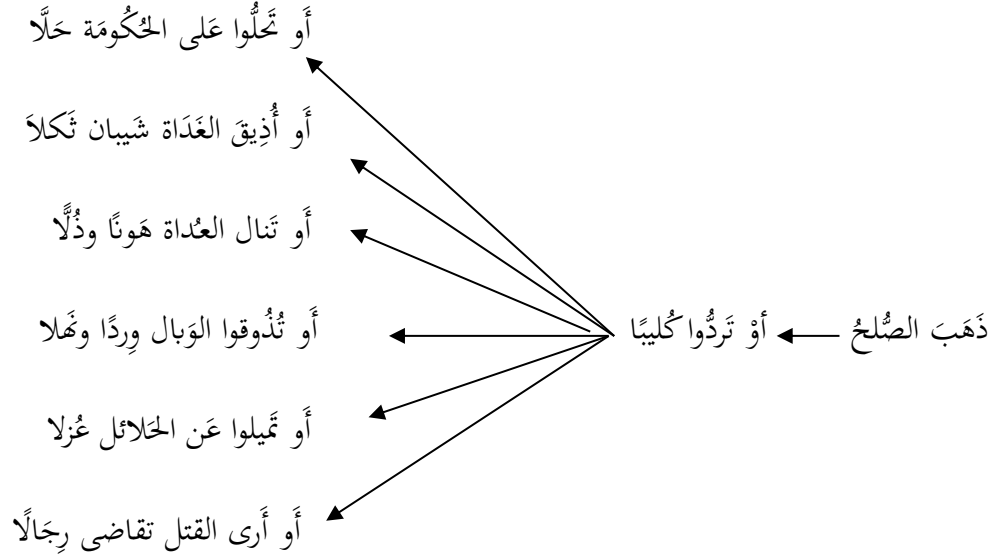
فالشاعر جعل من خلال هذا التكرار نقطة جوهرية تدور حولها الأبيات جميعاً ، كما جعل منه وسيلة عكست نغمة موسيقية أظهرت لنا انفعالاته ، وقد تم ذلك بإعادة صدور الأبيات ، وكأن النواح والبكاء والتحدي دفعوا الشاعر معاً إلى هذا النمط من التكرار "ففي هذا المجال ، مجال شعر الرثاء نلاحظ ظاهرة التكرار التي تتردد دائماً بين الحين والحين حتى لقد تقع في صدور الأبيات كميزة من ميزات الأسلوب الرثائي بجانب كونها ضرباً من الولولة والندب المثير"¹.

وعلى الرغم من أن صدور الأبيات متساوية ، لكن أعجازها يختلف بعضها عن بعض ، فكل منها يصور جانباً من الجوانب التي ارتضاها الشاعر حلاً لمشكلته ، وثأراً لقتل أخيه "ووظيفة هذا التكرار - كما يبدو من تأمل نماذجه - أن الشاعر يتخذ من العبارة المكررة مرتكزاً يبنى عليها في كل مرة معنى جديداً ، وبهذا يصبح التكرار وسيلة إلى إثراء الموقف وشحن الشعور إلى حدّ الامتلاء"².

لقد نجح المهلهل في اختيار جمل مشتركة في الشكل والدلالة ، كما نجح أيضاً في توحيد بعض الجمل في الترتيب والربط ، وقد تيسر له ذلك في جمل متصلة في الإسناد في مقام الوصف ، وهذا التماثل الشكلي والاشترك الدلالي ساهما في تماسك بنية النص الكلية ، وهما من وسائل الإقناع التي وظفها في التأثير في المتلقي لاستقطابه وإقناعه في جانب تكرار الأفعال والأسماء ساهم تكرار جملة (ذهب الصلح أو تردوا كليبا) ، في إحداث تماسك نصيٍّ وحّد المعنى العام للقصيدة ، ويكفي التركيز في بنية الأبيات (من 05 إلى 09) لنلاحظ أن التكرار فيها تشكّل من جزأين في صدور الأبيات ربط بينهما حرف الغاية (أو) ليتكرر ورود الحرف (أو) في أعجاز الأبيات وهذا يعني أن الجملة الثانية في صدر البيت (تردوا كليبا) تمثل المعنى المركزي الذي بُنيت عليه القصيدة ، بينما يمثل الجزء الثالث في أعجاز الأبيات المعنى الهامشي ، والذي أشرنا إليه سابقاً أنه يمثل الحل الثاني الذي يرتضيه المهلهل ثأراً لأخيه ويمكن تمثيل الترابط الذي ساهم فيه تكرار العبارة في هذه الجمل بالترسيمة الآتية:

¹ - مصطفى عبد الشافي شوري ، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية ، الدار الجامعية ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ص: 241.

² - شفيع السيد ، أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء ، مجلة إبداع ، العدد ، 6 السنة الثانية ، يونيو ، 1984 ص15.



إنَّ ما يثير الانتباه من تكرار هذه العبارة أنَّ **المهلل** قد استعان في الربط بين العبارات المكررة بالحرف (أو) فقد شكل حضوره النسبة الأعلى في القصيدة ، إذ كرره الشاعر 13 مرة ، محافظاً على دلالاته إذ جاء بمعنى الغاية (إلى أن) عكس فيه الشاعر غايته وبيَّن به الهدف الذي يسعى إليه ، وبتكراره لهذا الحرف يتبيَّن لنا انفعاله العميق ونسمع زفراته التي كان ينفثها لمقتل أخيه ، لأنَّ الصوت يمثل الإحساس ، ويجعل السامع يستشعر المعنى بطريقة مباشرة .

إنَّ هذه الأشكال التكرارية تقوم على علاقات لغوية ومعنوية تحكم كلَّ قطب من قطبي الإحالة بما بعده وإلى هذا يرجع انتظام المعاني ، واتصال الكلام ودلالته على الاستمرارية المعنوية ، وهذا ما يؤكد دور الترابط الإحالي الذي يضطلع به التكرار ، ولهذا لا يمكن أن نعتبر التكرار في قصيدة **المهلل** حشوًّا لأنه أضاف معنى جديد يرتبط بالمعاني السابقة ، مما يزيد قراءاً وثباتاً ومثلاً في ذهن المتلقي ، وفي هذا تنصيص على الوظيفة المزدوجة التي يقوم بها التكرير وهي الربط أولاً (الجمع بين الكلامين) ، والثانية الوظيفة التداولية المعبر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب أي لفت أسماع المتلقين إلى أنَّ لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها¹ .

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 179.

النموذج الرابع: قصيدة (للموت ما تلدون) لأبي العتاهية¹.

توزعت بنية التكرار في القصيدة على النحو الآتي :

نوع التكرار	اللفظ أو العبارة	عدد مرات التكرار
التكرار التام (تكرار الكلمة)	الله	02
	الموت	09 مرات
	الدنيا	06 مرات
	مالي	02
التكرار الاشتقائي	مادة (بدر)	02
	مادة (خاف)	02
	مادة (خلق)	02
	مادة (حبس)	02
	مادة (غمس)	02
	مادة (وصف)	02
تكرار الضمائر المنفصلة	إياك	02
	أنت	03
تكرار الحروف	لا (النافية)	05
	ما (النافية)	04
	إنَّ (التوكيد)	02
	إنَّ (الشرطية)	02
	هلا (التحضيض)	02
تكرار ألفاظ العموم	كل	02
تكرار العبارة تام	مالي رأيت بني الدنيا	02
تكرار عبارة جزئي	(إذا) (إن) وصفت لهم	02

¹ - ديوان أبو العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1986م ، ص : 224.

اللهو والمجون والشراب والترف صورة سلبية ، أرستها معالم امتزاج العرب بالعجم ، ولما طغى العبث ثارت الحمية الدينية لدى بعض الشعراء والمصلحين ، فحملوا لواء الزهد وانضموا إلى أصحاب اليمين في محاولة منهم للوقوف ضد التيار العابت ، الذي حمل لواءه أصحاب اليسار ، وأبو العتاهية هو شيخ شعراء الزهد وفي قصيدته (للموت ماتلدون) يظهر أدواته الفنية من ألفاظٍ وعباراتٍ ومعانٍ ليقرر المفاهيم الآتية :

- 1- الإقرار بحتمية الموت وأنَّ مآل كل شيء إلى زوال .
- 2- الدعوة للإعراض عن ملذات الدنيا والاستعداد للآخرة .

ما يميز النص الشعري أنه غني بأنماط التكرار المختلفة خاصة إذا هُيئت الأرضية الخصبة لهذا التكرار والمتعلقة بموضوع الزهد ، وعلى هذا الأساس اخترنا قصيدة (للموت ماتلدون) ، لشاعر حمل لواء الزهد في العصر العباسي وهو أبو العتاهية وارتأينا أن نقوم بتحليل قصيدته بغية اكتناه الجماليات التي يفجرها التكرار داخل القصيدة والوقوف على أثره في تشكيل الدلالات المعنوية والنفسية ، والدور الذي يؤديه على مستوى الربط والاتساق النصي ، خاصة وأنَّ الظاهرة المرصودة- التكرار- تتناسب وموضوع الزهد ، إضافة إلى اشتهاار الشاعر بالخوض في هذا الفن ، ثم الجؤ العام للقصيدة والذي كشف فيه الشاعر عن خلجات نفسه ومشاعر حسه . ثم إنَّ هناك أسبابا خاصة دفعتنا إلى اختيار هذا النص ومنها: التقارب بين موضوع الرثاء عند المهلهل وموضوع الزهد عند أبي العتاهية ، فالجو النفسي الذي يحيط بهما واحد ، يضاف إلى ذلك أن هاته القصيدة مقررة لتلاميذ السنة الثانية ثانوي (شعبة الآداب وفلسفة وشعبة العلوم التجريبية)¹ ، ومن خلال ذلك سنحاول الوقوف على البنى التكرارية داخل القصيدة لأنَّها تمثل أدوات فنية يتشكل منها النص ، كما أنَّها تعكس المواطن الجمالية في القصيدة ، إضافةً إلى دلالات هذه البنى التكرارية من خلال ربطها بالسياق ، لأنه الفاعل الأول في التحليل الفني ، وفهْم النص يرتكز على إدراك العلاقات والأنسجة والوشائج التي تشده إلى بعضه وتشكل معماره الفني الداخلي .

إنَّ أول ما يلاحظ في قصيدة أبي العتاهية ، أنَّ البنى التكرارية فيها جاءت على خلاف ما هو معروف في الشعر الجاهلي الذي يردد فيه الشاعر العبارات ويكررها إذ "لا يخفى أنَّ للتكرار في هذه المواضع كلها علاقة كبيرة بظروف الشاعر النفسية ، وطبيعة حياته البدوية ، ولاشك في أنه كان يلاحظ أنَّ التكرار يثير الحماسة في صدور المحيطين به ويستفزهم للقتال ومن ثم استعمله"² ، وعلى الرغم من التوافق الشكلي بينهما إلا أنَّ صور التكرار

¹ - أبو بكر الصادق سعد الله وكمال خلفي ومصطفى هوارى ، الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي ، شعبة آداب وفلسفة ، آداب ولغات أجنبية ، ووزارة التربية الوطنية ، ص: 66.67.

² - نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص: 233.

مختلفة فيهما وذلك راجع إلى الاختلاف في طبيعة الموضوع ، فالزهد ميدان شاسع وموضوع خاص في نفس الوقت تحكمه ظروف وملابسات نفسية ، وهو نتاج نظرة فلسفية للحياة يحاول الشاعر فيه أن يدافع عن مذهبه وأن يحث الناس على اتباعه ، لذلك فإنه يلجأ إلى تكرار كلمات وألفاظ يرى أنّ لها وقعاً وأثراً في نفس المتلقي ، فهو يلح "على جهة هامة في العبارة يُعنى بها أكثر من عنايته بغيرها... وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة"¹ ، لذلك فإننا سنلتزم في تحليلنا لمستويات التكرار بتتبع ما هو وراة في الجدول بدءاً بتكرار المفردات (الأسماء) ، وأهمها مفردة (الموت) التي تحمل معنى محوري داخل بنية القصيدة ، كما أنّ لها علاقة بالبعد النفسي للشاعر لذلك نجده قد ألح على تكرارها إضافة إلى تكرار الأفعال ، وتبيان إيجاباتها في النص ، ثم التطرق إلى تكرار الحروف والضمائر التي لها أثر كبير في إحداث الترابط من جهة ، وتبيان مقصدية الشاعر من جهة أخرى ، ثم نحاول الوقوف على تكرار نماذج من الجمل والعبارات المكررة وتتبع دلالاتها ودورها في إحداث التماسك والاتساق النصي .

1- تكرار الكلمة :

أ- الأسماء : ذكرنا سابقاً أنّ هناك فرقا بين تكرار العبارات ، وتكرار المفردات ، فالنوع الأول استشرت

نماذجه بكثرة في الشعر الجاهلي ، بينما قل ورود النوع الثاني ، ومرد ذلك يعود إلى طبيعة الموضوع والنوازع النفسية التي تعترى الشاعر وهو ينسج مفرداته وعباراته ، لذلك فإنّ ما يميز القصيدة الزهدية أنّها "تغرّف في تشكيلها الدلالي ، وفي بنيتها التحتية العميقة من جدلية كونية أزلية أبدية ، تنحاز إحدى أطرافها إلى الدنيا في ثنائية صارمة مع الآخرة بمفهومها الديني ، وتمحور اللغة حول هذه الثنائية، وتسهم آليات تشكيل القصيدة في مستوياتها المتعددة في خلق نسيج من العلاقات الصوتية والإيقاعية والنحوية والصرفية والدلالية ، داخل أبنية القصيدة المتنامية لتفعيل هذه الثنائية ، ويبرز التكرار كعاملٍ دمجٍ ومزجٍ يشد طرفي هاتين الثنائيتين ، ويسبغ عليها لباساً جميلاً من الإيقاع المناسب ، ويتركز ذلك اللباس بألوان من المتقابلات التي تبرز تلك الثنائية ، وتصبغها بلونٍ ساطعٍ يجذب المتلقي إلى الفكرة المقصودة من بناء النص، ويمنحها الشعرية الكافية لتبقى في دائرة النوع الأدبي الخاص بالشعر"² .

وفي نص (للموت ماتلدون) لأبي العتاهية نجده قد وظف أنماطا متعددة من التكرار ، تكشف لنا عن الجوانب النفسية التي كانت تسيطر عليه ، وتبين لنا الباعث من تكراره لكلمات دون غيرها لأنّ "الباعث النفسي من أهم العوامل المسببة للتكرار ويمتاز عن غيره بأنه الأكثر ظهوراً بينها ، لما يمثله من إعادة لما وقع في القلب

¹ نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص: 242.

² حسن فالح بكور وفؤاد فياض شتبات ، جماليات البنى التكرارية في شعر أبي العتاهية الزهدي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، المجلد 9 ، العدد 2 ، 2012م ، ص: 960.

واستقر في النفس فانشغلت به عمن سواه¹ ، فقد كرر الشاعر لفظ (الموت) تسع مرات ، ومرة واحدة بالترادف (المنية) إذ لا يكاد يخلو بيت من هذه المفردة ، هذا إضافة إلى الضمائر التي تحيل إليه ، ويكشف لنا تكثيف هذا اللفظ في النص بمحورية ثنائية بُنيت عليها القصيدة تمثلت في الصراع بين حتمية الموت ، والرغبة في البقاء والحياة فالموت هو الفاعلية الكبرى وهو موضوع لصيق بشعر **أبي العتاهية** يشكل عنده ركنا مركزيا يرتبط بالتحويلات الكبرى والمتناقضات التي عاينها الشاعر في مجتمعه ، كما أنه يعكس في الوقت نفسه صورة الزهد عند الذات الشاعرة لكن قبل كل هذا ثمة سؤال يلح علينا وهو: هل ذكر **أبي العتاهية** للموت يمثل وسيلة هروب من واقعه الاجتماعي أم أنه رغبة في الكشف عن حقيقة الدنيا الفانية ، ودعوة إلى الزهد والإعراض عن ملذاتها الزائلة ؟ ينسج الشاعر المعاني ويربط بين الأفكار متكئا على ترديد لفظ (الموت) ، فيكررها بداية في صدر البيت الأول وعجزه ليقر حقيقته ويبين سطوته وجبروته ، فهذا الموت القاهر لا يدفعه الرصد ولا العسس الذين يحيطون بالقصر وهذا الموت لا يغلبه جن ولا إنس ، فالجميع سواسية أمامه ملوكا كانوا أو سوقة أغنياء أو فقراء أقوياء أو ضعفاء أحرار أو عبيد كبار أو صغار ذكور أو إناث² ، وما دام الموت ييسط سطوته على الجميع ولا يستثنى أحدا ، فإن الشاعر يحوّل منحى الخطاب إلى نفسه في البيت الرابع ، ويجرد منها ذاتا أخرى يجب وعظها وتذكيرها بزوال الدنيا وفنائها ، يقول الشاعر:

هَلَّا أَبَادُرْ هَذَا الْمَوْتَ فِي مَهْلٍ هَلَّا أَبَادِرُهُ مَا دَامَ لِي نَفْسٌ

لذلك فإنّ الشاعر يحث نفسه للاستعداد للموت بصالح الأعمال ، ثم يكرر الشاعر ذكر لفظ الموت في البيت الخامس ويسبقه بأسلوب النداء لتنبه هذا الغافل الذي يدعي الخوف من الموت ، وهو في الحقيقة غير خائف يقول :

يَا خَائِفَ الْمَوْتِ لَوْ أَمْسَيْتَ خَائِفُهُ كَانَتْ دُمُوعُكَ طُولَ الدَّهْرِ تَنْجَسُ

عندئذٍ يلجأ الشاعر في البيت السادس إلى الرفع من مستوى الوعظ والتخويف ، فيذكر هذا الغافل الذي يدعي الخوف بلحظة فارقة وحتمية وهي لحظة الحشرجة وخروج الروح ، والتي لا يملك فيها أيُّ مخلوقٍ حولا ولا قوّة يقول الشاعر :

أَمَا يَهْوُوكَ يَوْمَ لَادْفَاعٍ لَهُ إِذْ أَنْتَ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ تَنْغَمَسُ

ويؤكد الشاعر تكراره للفظ الموت في البيت السابع فيجعلها كالوحش الكاسر الذي يفترس خلق الله ، ولن ينجو أي إنسان من برائته ، يقول:

إِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالدُّنْيَا وَلَدَّتْهَا فَاَلْمَوْتُ فِيهَا لِخَلْقِ اللَّهِ مُفْتَرَسُ

وفي ذكر الشاعر للدنيا والتحذير منها بتكرار الضمير المنفصل (إياك) تذكيرٌ بأنّ الموت محبوةٌ داخلها وهو يتربص بالشاعر وبالجميع ، وهذا ما يجعل من تكرار لفظ الموت "أداةً فاعلة تبرز ذلك التردد والاضطراب

¹ - عاشور فهد ناصر التكرار في شعر محمود درويش المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004م ص: 33.

² - ينظر: جاك شورون ، الموت في الفكر الغربي ، ترجمة: كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة الكويت ، 1984م ، ص: 05.

النفسي المحبوه لدى الشاعر وتحول خطاب النص من الخطاب التحذيري المباشر إلى خطاب شعري يحمل جماليات الشعر¹، ومن البيت 07 نجد أن الشاعر يدخل لفظاً جديداً ويكرره في بقية الأبيات التي تلي هذا البيت وهذا اللفظ هو (الدنيا) التي جعل منها الشاعر مصدراً للشورور ومتاعاً للغرور . هناك أيضاً تكرار لصيغ نحوية في البيت 08 والبيت 09 وفيها كرر الشاعر (إن واسمها وخبرها) وقد قرن الصيغة في البيت 08 — (لو) الشرطية لتبيان استحالة الخلق في دفع الموت ، كما قرن الصيغة في البيت 09 بالضمير المنفصل (أنت) لتبيان نظرة الإنسان للموت والتي يشوبها الخوف والكره ، خاصة عندما يعلم هذا الانسان أن الموت حوض ووردٌ لا بد أن ينغمس فيه ويشرب منه ، يقول:

إنَّ الخلائق في الدُّنيا لو اجتهدوا أنَّ يحبسوا عنك هذا الموت ما حبسوا
إنَّ المنية حوضٌ أنت تكرهه وأنتَ عمَّا قليلٍ فيه منغمسٌ

والشاعر في البيتين اعتمد أيضاً على تكرار لفظ الموت لكنه ذكر المرادف وهو (المنية) ، ويبلغ الخطاب بالشاعر في البيت 10 إلى مرحلة يبدو فيها متسائلاً ومتعجباً في الوقت ذاته ، ولتبيان ذلك يعتمد إلى تكرار لفظ (الدنيا) مرتين الأولى في الصدر والثانية في العجز ومبعث التكرار تعجبه من سماهم (أبناء الدنيا) ، وفي هذا الوصف دليل على أن الدنيا أمُّهم ، وهم أخلص الناس وأطوع الخلق لها ، وهم في الحقيقة لا يدركون مآلها وغرورها فيقتتلون على حطامها وكأنهم في عرس أو فرح ، يقول:

مالي رأيتُ بني الدُّنيا قد اقتتلوا كأنما هذه الدُّنيا لهم عُرس

ويواصل الشاعر ذكره للدنيا ويكرره في البيت 11 فيضيفها لأبنائها ويقرنها بهم فهم بمجرد ذكر محاسنها ومفاتها الخادعة يضحكون ويستبشرون ، وعلى الخلاف يحزنون ويعبسون إذا ذُكرت لهم الآخرة ، يقول:

إذا وصفتُ لهم دُنياهم ضحكوا وإنَّ وصفتُ لهم أخراهم عبسوا

ويختم الشاعر قصيدته باستفهام وتعجب ، ويكرر لفظ الدنيا متعجباً من أبنائها الذين بيّن الله لهم حقيقة أهمهم في القرآن ومع ذلك فهم متعلقون ومتشبثون بها ، ومن الطرافة أن يضيف الشاعر لأبناء الدنيا إخوة ليبين لنا أن الغالبية من الخلق قد انخدعوا بها وانساقوا وراءها ، والشاعر قد شاهد أن الجميع أقبل عليها فأراد أن يزهدهم بذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات ، وأن السعادة الدائمة ليست في الركون إلى الدنيا الدنية الفانية ، بل بالهروب إلى الأمام ، إذ الآخرة دار الثواب والبقاء ، ولربما كان تخوفه من الموت "تعبيراً عن تشبته بالحياة وتمسكه بها"²، لأنَّ الحديث عن الموت رمزٌ من رموز الهروب من الواقع ومن متاعب الحياة . وقد يكون حديث الموت مفضيلاً إلى اكتشاف الحياة على حقيقتها ، فالتجربة الإنسانيّة الوحيدة التي تتجاوز رمزياً مع الوحدة هي تجربة الموت .

وإلى جانب المعنى الذي أوصله الشاعر عن طريق لفظة الموت فإنَّ آلية التكرار بأشكالها المتعددة من دلالات وإيحاءات تعمل على ضخ الدماء في شرايين النص وتكسبه جمالية الشعر، وتزيح عنه الجفاف الذي يرافق

¹ - حسن فالج بكور وفؤاد فياض شتبات ، جماليات البنى التكرارية في شعر أبي العتاهية الزهدي ، ص: 961.962.

² - زكرياء إبراهيم ، مشكلة الحياة ، مكتبة مصر ، ص: 163.

المضمون الفكري الفلسفي والذي يتناسب والخطاب النثري ، ويرصُّ التكرار جزئيات النص إلى بعضه ويشكله قطعة فنية متماسكة ، فهو "يخلق رابطاً بين الأبيات يجعلها من خلاله تشكل بناءً متكاملًا"¹ .

ب- تكرار الأفعال:

لا يمكن الحكم بوجود التكرار لمعاني الأفعال في شعر أيِّ شاعر كان ، ذلك أنها ترد دائما وفق الحاجة إليها أو وفق ما يقتضيه السياق ، فالشاعر إذا ذكر فعلاً ما في قصائد مختلفة لا يعني أنَّ هذا الفعل يتكرر ، وأنَّ لهذا التكرار العفوي وغير المقصود دلالة ما² . إنَّ ما يثير الانتباه هو أنَّ يتكرر الفعل في البيت الواحد أو في القصيدة كلها فحتمًا هناك غرض أو معنى ما يؤديه التكرار ، لأنَّ الشاعر يكرر عن قصدٍ ووعيٍّ ويريد أن يربط بين الألفاظ والعبارات التي يجيل إليها هذا الفعل المكرر ، ويريد أيضًا أن يُوصل المعنى للقارئ ويؤثر فيه وهذا الذي نلمسه في شعر أبي العتاهية على العموم ، لأنه قصر-على الأغلب- شعره على الزهد ، فجعل من تكراره للأفعال تكتيفًا للمعنى إما في البيت أو في القصيدة عبر الماضي و المضارع و الأمر.

نجد الشاعر قد كرر الفعل المضارع (أبادر) مرتين الأولى في صدر البيت ، والثانية في عجزه وقد نسب الشاعر الفعل إلى نفسه رغبة منه في حثها على الاستعداد للموت ، كما كثف التكرار معنى التأهب والاستعداد من خلال تكرار حرف التحضيض مرتين ، وفي كل مرة يليه الفعل المضارع (أبادر) ثم يأتي بعده اللفظ المركزي وهو (الموت) ليتكرر ذكره مرة أخرى عن طريق الإحالة إليه بالضمير ، الذي اقترن بالفعل المكرر في العجز (أبادره) وهنا تتضح لنا شبكة من العلاقات القائمة بين الألفاظ والعبارات ، بواسطة الأفعال والأسماء التي تمثل عناصر إشارية والعناصر الأخرى المكررة تحيل بدورها عليها ، وهذا ما ساهم في ترابط أجزاء البيت أولاً وفي ترابط أجزاء القصيدة ثانياً يقول الشاعر:

هَلَّا أبادر هذا الموتَ في مهلٍ هَلَّا أبادرُه مادام لي نفسُ

ومن الجذور التي كررها الشاعر أيضا مادة (خاف) في البيت 05 وقد قرنها الشاعر بصيغة النداء لفتا للانتباه وإثارة لحس السامع ، وبقدر ما يحمل هذا الأسلوب جانبا من التعاطف والإشفاق على من يدعي الخوف يحمل أيضا جانبا من اللوم والعتاب على الخائف ، لأنَّ ما يدعيه خلاف ما يظهره وأبو العتاهية اكتفى في صدر هذا البيت بذكر اللفظ (خائف) ، وبين لنا سبب الخوف وهو الموت ثم أعاد ذكر اللفظ (خائف) في صدر البيت ذاته قارئاً إياه بضمير يعود أيضا على الموت وفي هذا دليل واضح على ما أحدثه التكرار والضمائر المحيلة من اتساق وسبك في النص . يقول في ذلك:

يا خائفَ الموتِ لو أمسيتَ خائفُهُ كانت دُموعك طول الدَّهر تنبجسُ

¹ - موسى رابعة ، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي ، دار جرير ، عمان ، الأردن ، 2010م ، ص: 42.

² - فهد ناصر عاشور ، التكرار في شعر محمود درويش ، ص: 88.

ج- تَكَرُّرُ الحُرُوفِ وَالضَّمَائِرِ:

يضاف إلى مظاهر التكرار التي تؤدي وظيفة دلالية في النص إضافة إلى الوظيفة الشكلية والممثلة في الربط والاتساق ، مظاهرٌ أخرى لا بدَّ من الإشارة إليها ، لأنَّ لها دورًا مهمًا وهي الحروف والضمائر و الشاعر لم يكررها عبثًا وإنما كررها عن قصد ووعي ، خدمة للغرض العام في القصيدة ، ومن ذلك حروف النفي (لا) وتكررت 05 مرات و(ما) تكررت 04 مرات ، وهذا النوع من التكرار يُدرس على أنه نمط أسلوبي صوتي يبدأ بجزئية صغيرة وربما يمتد إلى أن يشمل أجزاء كبيرة من النص ، وهذا ما لمسناه في قصيدة **أبي العتاهية** إذ كرر حرف النفي (ما) فبدأ به قصيدته بقوله (مايدفع الموت أرساد ولا حرس) ، وواصل تكريره إلى أن أنهى به أبياته في قوله (مادرسوا) ، وفي كل مرة يذكر فيها الشاعر النفي يجعله ملازمًا للموت (مايدفع الموت / ما يغلب الموت/ ما يُجسُّ الموت) ، وذلك لتأكيد حتمية الموت ولجعل هذا التكرار حجةً دامغةً على الذين انساقوا وراء ملذات الدنيا الفانية وفي تكراره لهذا الحرف في قوله (مادرسوا) تأكيد أيضا على إعراض الناس وغفلتهم عن كتاب الله عز وجل ، وتُعد دلالة التأكيد "من أشهر دلالات التكرار وأكثرها شيوعا وانتشارا بين أشكاله المختلفة"¹ ، وفي سياق التأكيد أيضًا نجد **أبا العتاهية** قد توسع فيه من خلال ذكر حروف أخرى حملت هي أيضا نفس الدلالة، ففي قوله: (لا حرس/ لاجن/ لأنس/ لادفاع..) تأكيدٌ على أنَّ الموت قاهر للجميع ، ومن التأكيد أيضا قوله: (إنَّ الخلائق/ إنَّ المنية) وتأكيد الشاعر يجعلنا نحس " أنَّ وعي الشَّاعر كان وراء هذا التكرار، وكأنَّه يتعمَّده من أجل أن يصل إلى غرضه فهو من خلال تكراره للحروف ، يتدع إلى جانب البحر العروضي إيقاعا موسيقيا داخليا وهذا الإيقاع الموسيقي الداخلي يُدليل - على الأقل - على النغمة الانفعالية التي يقصدها الشاعر"² ، وإذا أردنا أن نقف على تكرار الحروف في نص **أبي العتاهية** وتبيان دلالتها ودورها في الاتساق ، فإنَّ الحديث سيجعلنا نتوسع أكثر في بحثنا هذا لذلك جاء اقتصارنا على حروف تتردد أكثر من غيرها في النص ، ولا يمكن أن يكون تكرار هذه دون وظيفة تنسجم مع السياق العام للقصيدة ، فتركيز الشاعر على حرف السين الذي مثل روي النص (كره الشاعر 16 مرة) إضافة إلى وروده في بعض الألفاظ ويمتاز هذا الحرف بصفير عال يوحي بنفس قلقه ويدل على الحرقه والانحدار وهو "قريب الارتباط بالوضع النفسي الذي يعيشه الشاعر وهو وضع يشي بالأسى والحزن"³ ، ومن الحروف المكررة أيضا تكراره لحرف التحضيض مرتين في البيت 04 في الصدر والعجز ، وبه يحث الشاعر نفسه ويدفعها بقوة لترعوي عن غيها ، وتستعد للموت وقد ساهم هذا الحرف في الربط بين صدر البيت وعجزه .

¹ - فهد ناصر عاشور ، التكرار في شعر محمود درويش ، ص: 52.

² - موسى رابعة ، التكرار في الشعر الجاهلي ، دراسة أسلوبية ، مؤنة للبحوث والدراسات . جامعة اليرموك ، الأردن ، المجلد 05 ، العدد 01 1990 ص: 165.

³ - موسى رابعة ، التكرار في الشعر الجاهلي ، دراسة أسلوبية ، ص: 167.

ومن مظاهر التكرار التي ساهمت أيضا في اتساق النص الضمائر ، فقد كررها الشاعر خدمةً للغرض العام في القصيدة ، منها الضمير المنفصل (أيك) في البيت 07 فقد دل تكراره على معنى التحديز من الدنيا والاستعداد للآخرة ، ويبدو الشاعر من خلاله في مقام الناصح والمرشد ، يقول:

إيَّكَ إيَّكَ والدُّنيا ولدتها فالموتُ فيها لخلقِ الله مفترسُ

ومن ذلك أيضا تكرار الضمير المنفصل (أنت) في البيت 06 والبيت 09 وفيه أكد الشاعر على كره الانسان للموت ، يقول:

أما يهولُك يومٌ لادفاعٍ لهُ إذ أنت في عَمَراتِ الموتِ تنغمسُ

كما أكد أن للإنسان أجلا سييادته ولو بعد حين ويكشف تكرار الضمير (أنت) رغبة الشاعر في تخويف هذا الانسان الغافل . يقول:

إنَّ المنيَّةَ حوضٌ أنت تكرهُهُ وأنتَ عمَّا قليلٍ فيه منغمِسُ

د- تكرارُ العبارة:

إنَّ اعتماد الشاعر على هذا النوع من التكرار يثير في أنفسنا تساؤلات على المستوى الانفعالي ، كما أنَّ الزخم الذي يحدثه هذا التكرار ينبئ عن موقف الشاعر فأبو العتاهية استهل البيت 10 باستفهام مجازي ، لأنه يملك الإجابة عن تساؤله ، وقد استدعاه لذلك التعجب اقتتال الخلق على نعيم الدنيا الفاني كما استدعاه التساؤل والتعجب في الوقت ذاته من الخلق الذين لم يتدبروا ما في القرآن من كشف لحقيقة الدنيا ، فهي متاع الغرور وقد شكل تكرار العبارة بناء متماسكا عكس ترابط الأبيات بصورة واضحة ، فهذه التساءلات وتكرارها ماهي في الحقيقة إلا انعكاس لما يدور في خلد الشاعر من أمور تتعلق بحقيقة الموت والحياة ، أو الفناء والبقاء ولأنه يخضع لمثل هذا الصراع فإن التساؤلات جاءت لتدل على حقيقة الفناء التي كان الشاعر يؤمن بها . يقول الشاعر:

مالي رأيت بني الدنيا قد اقتتلوا كأنما هذه الدنيا لهم عرسُ

ومن العبارات المكررة ما ورد في البيت 11 فقد كرر الشاعر عبارة (إذا وصفت لهم) مع المغايرة في حرف الشرط في العبارة الثانية التي وردت في عجز البيت وهي قوله: (إن وصفت لهم) ، وقد أدى تكرارها بالدرجة الأولى المعنى كما زاد من الترابط والتلاحم بين أجزاء القصيدة وفق تركيب متناسق . يقول الشاعر:

إذاً وصفتُ لهم دنياهم ضحكوا وإن وصفتُ لهم أخراهم عبسوا

ومن خلال التكرار نحس بأنَّ القصيدة ذات وحدة متكاملة مترابطة ليس من ناحية الموضوع وحسب ، وإنما من ناحية البناء أيضا .

النموذج الخامس: قصيدة الرّمادي لمحمود درويش¹.

توزعت بنية التكرار في القصيدة على النحو الآتي :

نوع التكرار	الكلمة أو العبارة المكررة	مواضع التكرار	عدد مرات التكرار
التكرار التام (تكرار الكلمة)	الرمادي	الرمادي اعتراف والسماء(السطر 1) تسقط في الماء الرمادي (السطر 4) والرمادي اعتراف (السطر19) كي أبلغ الأفق الرمادي (السطر26) الرمادي اعتراف وشبابيك (السطر30) الرمادي هو البحر السطر (31) الرمادي هو الشعر السطر (32) الرمادي هو البحر السطر (33) الرمادي هو السائر السطر (39) والرمادي اعتراف السطر (61) إلى أول عصفور رمادي السطر (72) الرمادي من البحر السطر (75) كي أطأ الأفق الرمادي السطر (86)	13 مرة
	البحر	والبحر ولا تدخل..(السطر2) البحر (السطر31) البحر (السطر33) البحر (السطر75) البحر (السطر75)	05 مرات
	النهر	إلى النهر البعيد..(السطر10)	03 مرات

¹ - محمود درويش ، الاعمال الأولى 2 ، رياض الرئيس للكتب والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2005م ، ص: 184 إلى 189.

	يقف النهر..(السطر11)		
	يجف النهر..(السطر13)		
02	ذهب العمر.. (السطر7)	العمر	
	مع العمر..(السطر7)		
02	في أبا مننا..(السطر06)	الأيام	
	في أيامهم..(السطر09)		
02	الطعنة الأولى..(السطر17)	الأولى	
	الخطوة الأولى..(السطر17)		
03 مرات	أمام الطعنة..(السطر17)	أمام	
	أمام الخطوة..(السطر17)		
	عينك أمامي..(السطر77)		
02	أخرج الخنجر..(السطر21)	الخنجر	
	خبأ الخنجر..(السطر21)		
02	من أضلاعه..(السطر21)	أضلاع	
	في أضلاعه..(السطر22)		
02	ليس لي جبال الرمل..(السطر52)	الرمل	
	يمتصه الرمل..(السطر57)		
02	آبار من النفط..(السطر52)	النفط	
	يصبح سعر النفط..(السطر59)		
02	الحرب..لا..(السطر62)	الحرب	
	إلى الحرب..(السطر63)		
02	جندي على تاج..(السطر62)	التاج	
	لون التاج..(السطر63)		
02	في شيء..(السطر2)	شيء	
	شيء..(السطر3)		
04 مرات	(السطر93/91/88/27)	المرحلة	
03 مرات	(السطر50/49(2))	لا أغرق	
02	(السطر78/05)	زمن /الزمان	

02	(السطر 48(2))	تمتد	
02	(السطر 49(2))	تشتد	
02	(السطر 48/49)	تلتف	
02	(السطر 44/46)	أعبر	
04	(السطر 11/15/16/79)	يقف/تقفين/الواقف	
05	(السطر 31/40/67/68/70)	حلمي/الحلم	
05 مرات	(السطر 4/7(2)/91/92)	أذهب/ذهب/أذهب/اذهي اذهي	
02	(السطر 54)	اقرأ/قرأت	
02	(السطر 55/56)	محتزقة/احتزقت	
04	(السطر 01/19/30/61)	الرمادي اعتراف	
02	(السطر 15/16)	لماذا تقفين؟	تكرار العبارة
02	(السطر 06/09)	وأسمي حادثا يحدث	
03	(السطر 19/21/28)	من رأني	
02	(السطر 23/84)	حيث تكونين يمطر دمي أو يصعد في أي اتجاه	
03	(السطر 24/45/85)	كالنباتات البدائية	
03	(السطر 25/46/86)	كوني حائطي	
02	(السطر 31/33)	الرمادي هو البحر	
02	(السطر 32/34)	الرمادي هو الشعر	
04	(السطر 42/43/47/64)	لست أعمى لأرى	
02	(السطر 27/88)	كي أخرج لون المرحلة	
02	(السطر 65/71)	هل تركت الباب مفتوحا	
02	(السطر 82/89)	من رأنا	
04	(السطر 21/22/82/83)	أخرج الخنجر من أضلاعه أو خبأ الخنجر في أضلاعه	
02	(السطر 29/90)	في ثياب القتلة	
02	(السطر 03/18)	ولاعترفين	
03	(السطر 78/81(2))	الضوء السراب	

03 مرات	(السطر 70/68/67)	يدلي باعترافات	
02	(السطر 55/54)	كان لي	
02	(السطر 80/79)	مابين وداعين/مابين الوداعين	
02	(السطر 11/08)	في انتظارك/في انتظاري	
02	(السطر 87/26)	الأفق الرمادي	
02	(السطر 87/26)	كي أطأ /كي أبلغ	
02	(السطر 14/13)	يجف /يذبل	التكرار شبه
02	(السطر 35/19)	ورد/الزهر	المترادف
02	(السطر 80/11)	طويل/دائم	
03	(السطر 68/67/61)	الزنزين/المخفر/السجان	
09 مرات	(السطر 35/34/33/32/31 39/38/37/36)	هو	تكرار الضمير

قصيدة (الرمادي) لمحمود درويش تعكس لنا جانباً من تجربته الشعرية التي مزجها عبر مراحلها المتعددة والمتشعبة بمشاعر الغضب والثورة ، والتي ما انفكت بؤرةً ومركزاً لانطلاقه ضد " طوفانات ثلاثة حاصرته من جميع الجهات الأول طوفان الاحتلال وضياع الوطن ، والثاني طوفان العصر الذي اختلت موازينه وقيمه ونظمه ، والثالث طوفان الإنسان الجديد الذي ضل طريقه وأهدر قيمه وجرف في طريقه الأخضر واليابس وأغرق كل ما تبقى من قيم الحق والعدل والحرية والاستقرار في هذا العصر الممسوخ المتطاحن الدامي"¹ ، فدرويش إذاً شاعر القضايا الوطنية والسياسية والثقافية ، وقبل كل هذا هو شاعر القضية الإبداعية الشعرية وقضية اللغة والبنية الشعرية ، وقد استنفر في حياته كل طاقاته في سبيل تلك القضايا ..وبالعودة إلى قصيدة الرمادي فإن اختيارنا لها لم يكن عفويًا وإنما اخترناها عن قصدٍ ، لأنها غنية بالدلالات ، والإبجاءات التي ردها محمود درويش كشفًا عن حالاته النفسية وخدمةً للغرض العام في القصيدة ، إضافةً إلى ما تتميز به هذه القصيدة من مظاهر متنوعة للتكرار ، وسنحاول أن

¹ - أحمد الزغيبي الشاعر الغاضب محمود درويش دراسات في دلالات اللغة ورموزها ، دار أشجار ، ط1 ، 2009م ص : 9.8.

نقف - اختصاراً - على أهم مظاهر التكرار ، والتي بُني عليها النص لأنّ تحليل كل البنى المكررة في نص الرمادي وتبيان دلالتها والوقوف على دورها في إحداث التماسك الدلالي والشكلي سيستغرق مؤلفاً لوحده . لذلك فإننا سنقف على أهم لفظ ورد في النص وهو لفظ (الرمادي) من خلال تتبع تواتره في النص ، وتبيان دلالاته خاصة وأنّ عنوان القصيدة شكّل من هذا اللفظ ، إضافة إلى تتبع الضمير (هو) ، لأنه ورد مقرونًا بلفظ الرمادي ولاشك أنّ له دورًا في إحداث الاتساق والانسجام النصي في القصيدة ، يُضاف إلى ذلك الإشارة إلى الدلالة النفسية للون المكرر في النص ، والوقوف على الدواعي التي جعلت الشاعر درويش يختار هذا اللون ويجعله فضاءً لقصيدته ومتنفسًا لعواطفه ، ومواقفه ومشاعره .

تضم قصيدة الرمادي 93 سطرًا شعريًا من الشعر الحر ، يمكن تقسيها إلى ثلاثة مقاطع رئيسية بحسب إحالاتها المضمونية ، وتتشترك المقاطع الثلاث في وحدتها الشعورية التي تميز نفسية الشاعر ، وقد توزع عبر هذه المقاطع لفظ الرمادي محمليًا نحوياً بالألف واللام ويقدر ما يحمله اللفظ من دلالات ، فإنه يدفعنا للتفكير في هذا اللون المذكور على اعتبار أنّ هذا اللون يمثل صفة غاب عنها موصوفها في النص ، فالرمادي لونٌ داكنٌ لكنه ليس أسودًا لذلك فإنه يقف وسطًا بين الألوان ، واختيار درويش له جاء مقصودًا لتحقيق معانٍ وإقرارها ، إذ كان بإمكان درويش أن يسمي قصيدته هاته الأبيض أو الأسود ، ولكنه اختار الرمادي ، لأنّ هذا اللون ينطلق من النسق الثنائي داكن/فاتح للإحالة إلى ثنائية المدلولات (تحفظ و غموض و حزن و تشاؤم/ انفتاح ، و وضوح ، و ابتهاج و تفاؤل) ، و فهم العنوان بوساطة هذه الإحالة السّنية ، يلقي بظلال ثقيلة ، مسبقا على مضامين القصيدة ككل .

" فالعنوان حامل معنى و حمّال وجوه، مواز دلالي للنص، و عتبة قرائية مقابلة له، توجه المتلقي نحو فحوى الرسالة و مضمونها، و هو حامل معنى من حيث كونه يوجه إلى مقصد بذاته أو يلمح للمحتوى، ثم إنّ المادة اللغوية التي تشكّل منها تكوّن لدى المتلقي فروضًا استكشافية ، بناءً على ما تثير لديه من تخمينات و حدوس"¹ ولهذا فإنّ عنوان القصيدة والذي يتردد صداه داخلها يحمل قيمة سلبية، عبّر عنها مدلول اللون الداكن الرمادي والذي يعكس في النص لحظات الحضور ، ويقابل ذلك لحظات الغياب ، والتي تحيل على قيمٍ إيجابية وفق السنن

¹ محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية: التشكيل و مسالك التأويل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1 2011 ، ص :19.

اللويني و عنصره الغائب اللون الفاتح ، هذه القيم السلبية و الإيجابية التي تجد لها امتدادات نفسية و اجتماعية و حضارية يكشف عنها النص من خلال عتبته الأولى وهي العنوان.

إن قصيدة الشعر الحر تنأى عن مواجهة المتلقي بالقول المباشر ، لأنها تعتمد على الإيحاء في تعبيرها وهذا هو سر التأثير الذي تحدثه في المتلقي ، خاصةً إذا اعتمد فيها الشاعر على تكرير مبانٍ لغويةٍ يرغب من ورائها في إيصال صوته وإثبات رأيه وكشف واقعه ، لأنه " عند انفعالنا بالمواقف تحتجب بالخيال الحقائق الواقعة ، فإذا بها في مقام التفتيح أكبر مما هي ، وفي مقام التهوين أصغر مما هي ، فإذا انطلقنا نعبّر عنها تدخّل التكرار عنصرًا من عناصر التخيل، التي توهم أنّ الحقيقة هي ما نعبّر به لا ما يراه من يرى"¹.

1- التعريف بالاسم المكرر:

الملاحظ أنّ درويش يلجأ إلى تكرار اسم ما لتعريف القارئ به من جهة، ولتوسيع دلالة هذا الاسم المكرر داخل السياق من جهةٍ أخرى ، وعلى هذا الأساس فإنه يجعل منه نقطة ارتكازٍ يقوم عليها المقطع في كليته ، لأنّ "التكرير أسلوبٌ تعبيرى يصور انفعال النفس بمثيرٍ من أشباه ما سلف ، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان ، الملتكلم إنما يكرر ما يثير اهتمامه عنده ، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه ، أو من هم في حكم المخاطبين ، ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار فاللفظ المكرر - بوجه عام - مصدره الثورة وهدفه الإثارة ، حبًا أو بغضًا في أيّ غرضٍ من أغراض الكلام . هذه حقيقةٌ لامراء فيها فليس أثر دقة على مسمارٍ كأثر دقتين ، ولا رشفة ماءٍ على قلب صاكرشفتين ، هذا ما يحمل الشعراء ممن يريدون تقرير إحساسهم بمعاني الحياة على أن يتخذوا التكرار أداةً معبرةً بنجاح مرادهم"² ، لذلك فإننا نجد أنّ درويش قد نجح في تعريفنا بلفظ الرمادي ، الذي كرره في النص 13 مرة ونجح أيضًا في توسيع دلالة هذا اللفظ داخل السياق ، كما ساهم تكرار هذا اللفظ في الكشف عن مقصدية الشاعر وإحداث التماسك النصي وهنا سنسوق نماذج من مقاطع القصيدة لنرى ظاهرة التكرار فيها ألمع ما يبيث النشاط في جوانب الصورة ويعمل على نمو التأثير بها في المستمع ، يقول درويش :

الرّمادي اعترافٌ وشبايبكُ ، نساءٌ وصَعاليكُ

والرّمادي هو البحر الذي دَخَن حُلُمي زبدًا

¹ - عز الدين على السيد ، التكرير بين المثير والتأثير ، ص: 117.

² - المرجع نفسه ، ص: 136.137.

وَالرَّمَادِي هُوَ الشِّعْر الَّذِي أُجْرَ جُرْحِي بَلَدًا

الرَّمَادِي هُوَ الْبَحْرُ

هُوَ الشِّعْر

هُوَ الرَّهْر

هُوَ الطَّيْر

هُوَ اللَّيْل

هُوَ الْفَجْر

الرَّمَادِي هُوَ السَّائِر وَالْقَادِمُ

وَحُلْمُ الَّذِي قَرَّرَهُ الشَّاعِرُ وَالْحَاكِمُ

مُنْذُ اتَّحَدَا

في هذا المقطع الذي يزخر بالمعاني والدلالات ، يلجأ الشاعر فيه إلى التصنيف ، فيصنّف ثلاثة أشكال من الهيمنة الصهيونية على العالم المعاصر إجمالاً وعلى فلسطين تحديداً ، فيذكر الشاعر دليلاً على ذلك وهو لفظ (الصعاليك) والذي اتخذهُ درويش رمزاً للقوى العالمية المتآمرة والمتّحدة مع الصهاينة لأجل المكاسب والمصالح المادّية على حساب القضية الفلسطينية ، فهي قوى تعترف بإسرائيل ، وهذا الذي دلّ عليه لفظ (اعتراف) هناك أيضاً صنّف آخر ذكره الشاعر ورمز إليه (بالبحر) ، ويحمل هذا اللفظ دلالة الامتداد والاتّساع ، لذلك فالشاعر يقصد به القوى العالمية الممتدة والمنتشرة ، والتي لا تُعبر اهتماماً لحقوق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه على الرغم من ادّعاءها الوقوف ضد الاستبداد والطغيان ومناصرة حقوق الانسان ، لكن كل هذا مجرد كلام كالزبد يذهب جُفَاءً وقد عبر عنه الشاعر بقوله: (والرمادي هو البحر الذي دخن حلمي زبدا) ، يضاف إلى ذلك صنّف ثالثٌ ورمز إليه الشاعر برمز (الشعر) ، وهم في نظره أصحاب اللّغة السياسية المهادنة والمطبعة مع الصهاينة هم المحسوبون على العالم الاسلامي والذين من المفترض أن يناصروا القضية الفلسطينية ، ومن خلال التكرار الذي لجأ إليه الشاعر لكلمة الرّمادي يتضح لنا أن إحصاه يعكس لنا حجم الضغط المسلط على القضية الفلسطينية ، التي حاصرها الصعاليك وقوى العالم ، والمطبّعون ، في المقابل يتضح لنا التضييق على المقاومة الفلسطينية المحاصرة والمختنقة ، والتي دل عليها تكرار الشاعر للفظ (شيء) عندما قال :

لا تدخلُ في شيءٍ ولا تخرجُ من شيءٍ .

هذا الذي دفع الذات الشاعرة تتشظى مع قضية وطنها ، بسبب الضغط المسلط عليها لأنَّ "الفكر الصهيوني سوف يظل يدور في حلقة مفرغة ، اليهودي المتفوق أخلاقياً يقتلع شعباً من جذوره بالمذابح والإرهاب والتعذيب ويجب ألا يثير هذا أيَّ احتجاجٍ علمي"¹ .

قصيدة **الرمادي** قائمة على تكرار اسم واحد هو **الرمادي** ، وهو أيضا عنوان القصيدة كما أشرنا إليه وتكرر هذا اللفظ في عموم القصيدة ، وفي هذا المقطع بالتحديد يعكس لنا أنَّ الشاعر يفضل رؤية هذا اللون، لأنه الأقدر على وصف خلجات نفسه وفق فلسفته الخاصة "وكأنَّ الكلمة المكررة هنا قد حملت على عاتقها ما يقوم به المقطع حين يحمل أحد المعاني الفرعية لمعنى العنوان/الموضوع"² ، والدليل على أنَّ الشاعر يتخذ من هذا اللفظ نواةً للمعنى ، هو ورود هذا اللفظ 13 مرة إضافة إلى وروده عنصرا مشكلا لجملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر (**الرمادي اعتراف**) 04 مرات ، وفي كلِّ مرة يتكرر فيها لفظ **الرمادي** ، فإنه يُشكِّل مركزاً تلتقي فيه كلُّ المعاني الفرعية التي تزيد كلِّ مرة من التعريف بهذا الاسم .

الملاحظ أنَّ تكرير اسم **الرمادي** ، لم يساهم فقط في الكشف عن المعاني التي تحوم حوله أو أن يزيد من تعريفه بل إنَّ تكريره ساهم في نسج علاقاتٍ اتساقيةٍ في النص ، هذه العلاقات تقوم على شبكة من المفاهيم والمعاني التي أدَّت إلى وضوح المعنى وتبيان القصد ، خاصةً وأنَّ لفظ **الرمادي** مثل مركز المعنى المشكل للمحور الأفقي الذي يتميز بثباته ، لأنَّ الشاعر يُكرره في مقاطع النَّص بينما تمثل الألفاظ التي ترد بعد لفظ **الرمادي** معانٍ فرعية مُستبدلة تمثل المحور الرأسي الذي يتميز بالتغيير وعدم الثبات ، لأنها تتغير في كلِّ مرة تأتي فيها تابعةً للفظ **الرمادي**. ويمكننا أن نلاحظ التعالق بين المقاطع من خلال الاعتماد على تكرير لفظ **الرمادي** :

الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي
اعتراف	اعتراف	هو	هو	هو	هو	هو	هو	هو	هو	هو السائر
وشعر	البحر	الشعر	البحر	الشعر	البحر	الزهر	الطير	الليل	الفجر	والقادم

من خلال الجدول يتضح لنا :

أ- أنَّ تكرار كلمة **الرمادي** زاد من التعريف الكلي بها ، من خلال الألفاظ التي جاءت بعدها ، وقد

¹ - غالب هلسا ، نقد الأدب الصهيوني ، دراسة إيدولوجية نقدية لأعمال الكاتب الصهيوني عاموس عوز مع الترجمة العربية لروايته الحروب الصليبية دار التنوير ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1995م ، ص: 55.

² - فهد ناصر عاشور ، التكرار في شعر محمود درويش ، ص: 63.

ساهمت هذه الألفاظ في تبيان المقصود منها ، فكلمة الرمادي مثلت المركز الذي تحوم حوله كل المعاني التي تنطلق من عتبه لتعود إليها ، في شبكة متصلة ومتشابكة من المعاني.

ب- هناك نوع آخر من التكرار يمكن رصده من خلال تتبع الأسطر الشعرية التي احتوت على تعريفات

كلية للفظ الرمادي ، فقد احتوت هاته البنية التكرارية على تكرار جزئي ممثلا في تكرار ضمير الشأن (هو) فقد كرره الشاعر عن قصد في هاته الأسطر 09 مرات ، مثلت فيه كلمة الرمادي التكرار الكلي الرئيسي ، ومثل فيه ضمير الشأن (هو) التكرار الفرعي ، وقد ساهم التكرار الجزئي في تأكيد التعريف للتكرار الكلي ، لأن ضمير الشأن (هو) يعود بالإحالة على الاسم المكرر الرمادي ، ويمكن لنا تمثيل هذه الإحالة اعتمادًا على الجدول على النحو الآتي:

الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي	الرمادي
هو	هو	هو	هو	هو	هو	هو	هو	هو
البحر	الشعر	البحر	الشعر	الزهر	الطير	الليل	الفجر	السائر والقادم...

ج- إن كل ماتم رصده حول أنواع التكرار ، يبين لنا أن اللجوء إلى التكرار وراءه غرض من الأغراض

كما يكشف لنا أيضًا أن التكرار ظاهرة فنية تُسهّم في اتساق النصوص وانسجامها ، لأنّ "هذا التكرار فضلًا عن دلالاته النفسية يحمل دلالات فنية ، تكمن في تحقيق النغمية ، والخفة في الأسلوب مما يفضي على النص قدرة أكبر في التأثير على المتلقي ، وهذا يوضح لنا مدى أهمية عنصر الإيقاع الموسيقي في التجربة الشعرية ، وكيفية الاستفادة الشاعر المعاصر من هذا العنصر المهم في التشكيل الفني"¹.

ثانياً : الضمائر

1- مفهوم الضمائر:

تعد الضمائر أكثر وسائل الإحالة ورودًا في النص ، وقدرة على إقامة التآلف بين أجزائه ، والتماسك بين دلالاته ليس على الجمل والعبارات فحسب ، بله على مستوى النص بأكمله ، ذلك لأنها تقيم جدائل بين السابق واللاحق وتقرن بين الترابط المفهومي والترابط الرصفي ، أي بين ماهو لفظي وماهو معنوي، وبغير وجودها في النص

¹ عبد الحميد هيمة ،النبات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر شعر الشباب نموذجًا ، دار هومة ، الجزائر ، 1998م ، ص: 56.

يستحيل التماسك في بنيته¹، وقد أشار القدماء في كتبهم إلى مفهوم الضمائر، وتطرقوا إلى الدور الذي تؤديه في تحقيق التماسك النصي، فمن جهة المفهوم فالضمير اسمٌ وضع ليحيل إلى مُسمًى سبق ذكره وفي هذا يقول السكاكي: "اعلم أنّ الضمير عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم، أو إلى المخاطب، أو إلى غيرهما بعد سبق ذكره"²، وأما المرادي فقد عرفه بقوله: "هو الموضوع لتعيين مُسماه، مُشعرًا بتكلمه أو خطابه أو غيبته"³. وأما من جهة الدور "فهو تربط بين أجزاء النص المختلفة، نحوًا ودلالةً وتكمن أهمية الضمير في الإحالة والربط بين الأجزاء الداخلية من ناحية، وبين الداخلي والخارجي في النص من ناحية أخرى"⁴.

ويعني هذا أنّ الضمائر تحل محل الأسماء والصفات، وتعوضها تفاديًا للتكرار "ومن ثم كان الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار"⁵، ولا يقف دور الضمير عند هذا الحد، بل يتعداه إلى كونه يؤدي إلى الترابط الدلالي في النص، فلو أننا قلنا: ذهب محمد إلى بيته، وقلنا في جملة أخرى: ذهب محمد إلى بيت محمد، فإننا نلاحظ أنّ التركيب في الجملتين مختلفٌ، كما أنّ دلالة الجملتين مختلفة أيضاً، وذلك أننا لو سُئِلنا في الجملة الأولى وقيل لنا: بيت من، كان الجواب بيت محمد المذكور، فحلَّ محمد المذكور محل الضمير دالاً على ما دل عليه الضمير. وزيادة على الإحالة الشكلية التي أداها ضمير الهاء في بيته، فقد أدى دورًا آخر تمثل في الترابط الدلالي بين الضمير وما يحيل عليه وهو (محمد). وأما في الجملة الثانية فبالرغم من وجود الفاعل نفسه في تركيب الجملتين (محمد) إلا أنّ تكريره في الجملة الثانية أدى إلى تغير دلالتها، لأنه قد يُفهم من الجملة أنّ هناك محمدان. محمدًا الذهاب ومحمد صاحب البيت، وهذا يعني أنّ محمدًا الفاعل خلاف محمد الذي تمت زيارته.

ويظهر لنا من خلال المثالين الدور الذي أدّاه الضمير من ناحية الاختصار والوضوح والترابط. فالضمائر "تكتسب أهميتها بصفاتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحيل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل. ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلاً ودلالةً داخليًا (endophoric) وخارجيًا (exophoric)، وسابقة (anaphoric) ولاحقة (cataphoric)"⁶.

¹ ينظر: حمادة عبد الإله حامد، التماسك النصي بالإحالة، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرنا، جامعة الأزهر العدد 19، 2015م، ج5، ص: 5092.

² السكاكي أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ص: 66.

³ المرادي ابن ام قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة مصر ط1، 2001م، ص: 358.

⁴ أسماء رأفت شهاب، نحو النص بين النظرية والتطبيق، دار الوفاء للطباعة الاسكندرية، مصر، ط1، 2016م، ص: 41.

⁵ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص: 119.

⁶ صبحي إبراهيم الفقي علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص: 137.

وإذا استعرضنا جهود بعض من علماء اللغة القدماء حول الضمائر ، نجد أنهم قد اختلفوا في عددها من المبهمات فسيبويه حصر الإبهام في ضمائر الغياب فقط¹ ، في حين نجد أن المبرد لجأ إلى التعميم واعتبر جميع الضمائر من المبهمات ، لأنه يُكنى بها عن الظاهر من متكلم أو مخاطب أو غائب² ، وقد جمعت هاته الآراء بين مصطلح الضمير البصري ومصطلح الكناية الكوفي ، وكلاهما يدل على الإبهام ، لأنّ المضمّر أو الضمير اسم يكنى به عن الظاهر من متكلم أو مخاطب أو غائب "وذلك لأنك بالضمير تستر الاسم الصريح فلا تذكره، فإنك إذا قلت (أنا) فأنت لم تذكر اسمك وإنما سترته بهذه اللفظة"³ .

وبالعودة إلى رأي المبرد فإنّ تعميمه في جعل جميع الضمائر من الكنايات مسألة خلاف بينه وبين الرضي الاسترابادي ، وذلك لأنّ الرضي يحصر الكنايات في ضمائر الغياب فقط ، يقول في شرحه لكافية ابن الحاجب " أنا وأنت ليس بكناية لأنه تصريح بالمراد ، وضمير الغائب كناية ، إذ هو دال على المعنى بواسطة المرجوع إليه غير صريح بظاهره فيه"⁴ وهذا الرأي دليل على اعتبار ضمير المتكلم والمخاطب محل حضور في حين أنّ ضمائر الغياب تحتاج دائماً إلى مرجع يبيّن المقصود ، وزيادة في توضيح رأي الرضي نذكر ما أورده الدكتور حسين رأفت حسين يقول: " أود أن أشير إلى أنّ المقصود بالضمير هنا ، هو الضمير ذو المرجع أي ضمير الغيبة فقط ، وليس يدخل معنا ضمير المتكلم ولا ضمير المخاطب ، ذلك لأنّ ضمير المتكلم وضمير المخاطب فيهما من الحضور والمشاهدة ما يغني عن مرجع يوضح المقصود بهما في حين أنّ ضمير الغائب - دائماً- محتاج إلى مرجع يبين المقصود به"⁵ .

وهنا لا بُدّ من الإشارة إلى نقطة مهمّة جداً تتعلق بالدور الذي يؤديه الإضمار في تحقيق التماسك النصي وهذه النقطة تمثل شرطاً من شروط الإضمار وهو "أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد ، بحيث لو عُدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه"⁶ ، ولكن يحدث ألا تكون هناك مطابقة بين اللفظ والقصد ، أو أن يؤدي الإضمار إلى وقوع اللبس في التركيب ، وفي هذه الحالة "فإنّ العربية تعدل عن الربط بالإضمار إلى الربط بغيره من وسائل الإحالة"⁷ .

وإجمالاً فإنّ للضمير دوراً مهماً في إحداث التماسك النصي ، وفي تحقيق التماسك الداخلي والخارجي وربط أجزاء الكلام بعضها ببعض "فضمير الغائب (هو) - مثلاً- يتضمّن وظيفتين أولاهما الدلالة على الغياب

¹ - ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ج 2 ، ص: 78.77.

² - ينظر: المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتضب ، ج 4 ، ص: 277.

³ - فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2000م ، ج 1 ، ص: 42.

⁴ - الاسترابادي محمد بن الحسن السمنائي النجفي الرضي ، شرح الرضي لكافية بن الحاجب ، ج 2 ، ص: 375.374.

⁵ - حسين رأفت حسين ، الموقعية في النحو ، ص: 245.

⁶ - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص: 119.

⁷ - المرجع السابق ، ص: 246.

عن دائرة الخطاب ، والثانية الاستجابة على الاسناد مما يوهل الضمير لاكتساب أهميته الكبرى في دراسة تماسك النصوص¹.

إن ربط دلالة الغياب عن دائرة الخطاب للضمير ، يعني أن الإبهام الذي وُصف به يتعلق بالحالة التي يكون فيها الضمير معزولاً عن التركيب غير داخل فيه ، فإذا أُستعمل ودخل في التركيب أصبح من أشد الأسماء تعييناً وأخذ قيمة الاسم الذي عُوِّض به "فإذا قرأنا آية مثل قوله تعالى: ﴿... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ﴾ (ص ، الآية 24) ، فهما أن الفتنة وقعت على داوود ، وأن الضمير حل محل داوود² .

2- تقسيم الضمائر:

عندما نقف على تقسيمات الأنحاء التقليدية الغربية في نظام الضمائر ، ندرك يقينا أن العلماء العرب لم يعتمدوا في تقسيماتهم للضمائر على غيرهم ممن سبقوهم في الزمن ، على أن عدم الاعتماد والتأثر بالغير لا يعني أن العرب لم يطلعوا على ما وجد عند غيرهم ، ويكفي أن نطلع على تصنيفات الأفعال في النحو اليوناني والنحو الهندي لنذكر تميز العرب عن غيرهم في هذا الجانب ذلك " أن الأفعال تُصنّف في جميع اللغات التي تتضمن أفعالاً مصرفة بحسب الشخص (المسند إليه الفعل) ، وتوجد ثلاثة أصناف تتفرع بدورها حسب مقولة العدد مفردًا ومثنى وجمعا³ ، والجدول التالي يوضح تصنيف الضمائر في النحو اليوناني والهندي والعربي :

النحو اليوناني	النحو الهندي	النحو العربي
الشخص الأول	الشخص الأخير	المتكلم
الشخص الثاني	الشخص الأوسط	المخاطب
الشخص الثالث	الشخص الأول	الغائب

مانلاحظه في الجدول:

أ- أن التقسيم في النحو اليوناني ، والهندي ، والعربي ، يتعلق بالشخص المسند إليه الفعل ، وهذا يشمل جميع اللغات .

ب- أن الشخص الأول في النحو اليوناني ، يوافق الشخص الأخير في النحو الهندي ، ويقابله المتكلم في

¹ - مجموعة من الكتاب ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ترجمة : رضوان ظاظا ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1997م ، ص: 196.

² - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص: 119.

³ - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج2 ، ص: 1084.

النحو العربي .

ج- الشخص الثاني في النحو اليوناني ، يوافق الشخص الأوسط في النحو الهندي ، ويقابله المخاطب في

النحو العربي . .

د- الشخص الثالث في النحو اليوناني ، يوافق الشخص الأول في النحو الهندي ويقابله الغائب في النحو

العربي.

وما نلاحظه على وجه التخصيص أنَّ تصنيف النحاة العرب للضمائر ، اعتمد فيه على ما تدل عليه هذه الضمائر من دور في عملية التخاطب ، ولا وجود لأثر الأشخاص ، مثل ما هو موجود في النحو اليوناني والهندي وهنا يتبين لنا تفرد النحاة العرب في تقسيمهم للضمائر .

لقد اعتمد النحاة العرب في تقسيمهم للضمائر على حسب وجودها " في المقام أو الغياب (أي حسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلطف أو عدم مشاركتهم فيها) ، إلى فرعين كبيرين متقابلين هما ضمائر الحضور وضمائر الغياب ، ثم تنفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري ، وهو الباث وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه ، وهو المتقبل... أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد¹ ، وما يميز ضمائر الحضور أنها أكثر تفصيلاً من ضمائر الغياب ، لأنها ترتبط أساساً بأولوية الأشخاص المشاركة في عملية التلطف . وأهم ما يميز الضمائر جميعاً عن عنصر الافتقار ، فمن "المعروف أنَّ ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلمٍ وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطبٍ ، فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره ويكون المخاطب كذلك ، أمَّا ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكورٍ يُعد مرجع له ، فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع"² .

ومن النحاة من يعتمد في تقسيم الضمائر على حسب بروزها ، فإمَّا أن تكون ضمائر ظاهرة منفصلة ، أو متصلة أو تكون ضمائر مستترة ، فالضمائر المنفصلة هي: ضمائر الرفع: (هو ، هي ، هما ، هم ، هن ، أنت ، أنت أنتما أنتم ، أنتن ، أنا ، نحن) ، وضمائر النصب: هي : (إياه ، إياها ، إياهما ، إياهم ، إياهن ، إياك ، إياك ، إياكما إياكم ، إياكن ، إياي ، إيانا) ، أمَّا الضمائر المتصلة فهي: (:تاء الفاعل ، ألف الاثنين ، واو الجماعة ، نون النسوة ياء المخاطبة ، ياء المتكلم ، كاف الخطاب ، هاء الغيبة ، نا الفاعلين أو المفعولين)، أمَّا الضمائر المستترة تشتمل على

¹ - الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 117.

² - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص: 119.

الضمائر: (هو، هي، أنا، نحن)¹. والمعلوم أن تقسيم الضمائر إلى ضمائر رفع وضمائر نصب يقوم على حسب محلها الاعرابي ، كما تُقسّم أيضاً على حسب موضعها في التركيب إلى ضمائر الفصل وضمائر الشأن² . هذا ويقسم بعضهم الضمائر إلى ضمائر وجودية ، وضمائر ملكية ، وكلاهما ينقسم إلى متكلمٍ ومخاطبٍ وغائبٍ والوجودية هي الدالة على ذات ، نحو: أنا ونحن وأنت ... والملكية نحو كتابي وكتابك ، وسواء كانت الضمائر وجودية أو ملكية فإنّ ضمائر المتكلم أو المخاطب عناصر إشارية تحيل لعنصر إحالي خارج النص ، على حين أنّ ضمائر الغائب تحيل إلى عناصر إحالية داخل النص ، تدفع القارئ للبحث عن العنصر المحال إليه ، لذا يرى بعض العلماء النّصيين أنه لا يُعَوَّل كثيراً على الاتساق النصي إلا في ضمائر الغياب ، إذ إنها تدفع القارئ أن يكدّ ذهنه ليكتشف العنصر المحال إليه في السياق³ .

3- دورُ الضمائر في الربط والإحالة :

ذكرنا سابقاً أنّ الضمائر اعتبرت من المعارف ، وأشرنا إلى الاختلاف بين النّحة في عدّها من المبهمات فمنهم من اعتبر جميع الضمائر من المبهمات ، ومنهم من حصر الابهام في ضمائر الغياب فقط ، ولئن جمعت الضمائر بين التعريف والابهام ، فإنّ السؤال الذي يفرض نفسه الآن ، ماهو الدور الذي تؤديه الضمائر على مستوى الربط بين أجزاء النص والخطاب ؟

اعتبر النحويون العرب الضمير أصلاً في الربط، سواء كان المحال إليه موجوداً في السياق سابقاً أو لاحقاً أو لم يكن مذكوراً في السياق فيؤول. ويدل على أهميته قول الرضي في شرح الكافية " وإنما احتاجت الجملة الواقعة خبراً إلى الضمير ، لأنّ الجملة في الأصل كلام مستقلّ ، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلا بُدّ من رابطة تربطها بالجزء الآخر ، وتلك الرابطة هي الضمير إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض"⁴ ، يتّضح لنا من خلال قول الرضي الدور الذي يؤديه الضمير في تحقيق التماسك النصي على مستوى الجملة ، ويتعدى هذا الدور ليشمل مستوى النص كاملاً.

ويعمل الضمير على منع تجدد الدلالة واحتمالية المعنى ، فلو أنّ قائلاً قال : اجتهد محمد وكافأت محمداً لاحتمل المعنى أنّ يكون هناك محمداً واحد اجتهد وواحد تمت مكافأته ، أو أنّ يكون محمد المجتهد هو الذي تمت مكافأته ، فإذا أضمرنا محمداً الثاني ارتفع اللبس ، وذلك أنّ تكرار اللفظ المذكور يوهم أنه غير الأول. وعلى هذا الأساس نجد الجرجاني قد فصل في هذه الجزئية ، حين تحدث عن الدور الذي يؤديه الإضمار في الربط بين أجزاء الكلام ، فقد فرق الجرجاني بين الإظهار والإضمار معتبراً أنّ الإظهار يستعمل للقطع والاستئناف وفيه يوضع الكلام وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وبالتالي في الترابط والتسلسل لا يتوفر في الإظهار

¹ - ينظر: سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج2 ، ص: 351.350.

² - ينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 117.

³ - ينظر إحالة : أحمد عفيفي ، نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 24.

⁴ - الاسترايازي محمد بن الحسن السمنائي النجفي الرضي ، شرح الرضي لكافية بن الحاجب ، ج1 ، ص: 268.

بحكم تجدد الدلالة أمّا الإضمار فإنّ الكلام يوضع وضعًا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وهذا ما وضّحناه في المثال السابق¹ . ويعني هذا أنّ الربط بالضمير العائد في التركيب يتأسس على المعنى لا على الإعراب ، لأنّ الموضوع والمحل الذي يحتمله فيما يربطه متعدّد ومتنوع فقد يأتي في محل رفع أو نصب أو جر² ، وهذا الذي يزيد من دوره في الربط على مستوى الجملة الواحدة ، وأيضًا على مستوى الجمل المستقلة في النص على حسب تنوع البنية العاملة³ .

ويفرق الدكتور **مصطفى حميدة** في كتابه (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية) بين الضمير البارز والضمير المستتر إذ يرى أنّ الضمير البارز قرينةً لفظيةً تتعلق بالربط، أمّا الضمير المستتر فهو قرينة معنوية تؤدي إلى نشوء علاقة ارتباط لاربط، وأنّ الربط علاقة تصطنعها اللّغة بطريق الأداة، وحين يستخدم الضمير البارز للربط فإنه يصبح في حكم الأداة، فهو يؤدي وظيفته في الربط كما تؤديها أدوات المعاني الرابطة، وما يميز الضمير البارز عن الأداة أنه يعتمد على إعادة الدّكر في الوقت الذي تعتمد فيه أدوات الربط على معانيها الوظيفية⁴.

يتفق المعنيان اللغوي والاصطلاحي للضمير فأضمر الشيء أخفاه وغيبه⁵ ، والإضمار ينحصر عند النحاة في ثلاثة معانٍ ، أولها الحذف وهو ما عبر به جمهور البصريين وأروه مرادفًا للإضمار ، في حين عبر عنه الكوفيون بمصطلح الكناية ، وأمّا المعنى الثاني فيعني الإحالة إلى الأسماء ، حيث تقوم الضمائر مقام الاسم الظاهر وتطابقه نوعًا وعددًا وتحل محله في الموقعية النحوية ، يقوم فيها الإضمار على عنصرين مُعَوِّضٌ ومُعَوِّضٌ ، وأمّا المعنى الثالث من معاني الإضمار فيعني التقدير ، وعلى هذا فإنّ الضمائر تُعَوِّضُ العناصر المقالية ، وتحل محلها محققةً بذلك مبدأ الاقتصاد اللغوي فالضمير "بديل" لإعادة الذكر وأيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار ، بل إنّ الضمير إذا اتصل فلربما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصرًا ثالثًا هو الاختصار ، وهذه العناصر الثلاثة هي من مطالب الاستعمال اللغوي⁶ .

إذن فإنّ اللغات الطبيعية تميل إلى الاختصار⁷ ، والاقتصاد اللغوي ويعمدُ مستعمل اللغة إلى ذلك بواسطة اعتماده على الضمائر ، يتفادى من خلالها التكرار وإعادة الذكر ، وقد تفضن اللغويون القدامى إلى هذا الاستعمال منها ما أشار إليه **السّيرافي** في قوله: " اعلم أنّ الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكريره في جملة واحدة كان الاختيار ذكر ضميره ، نحو : زيدٌ ضربته وزيدٌ ضربت أباه وزيدٌ مرتت به"⁸ .

¹ - ينظر: الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الإعجاز ، ص: 163.

² - ينظر: الاسترأبادي محمد بن الحسن السمنائي النجفي رضي ، شرح الرضي لكافية بن الحاجب ، ج 2 ، ص: 120.

³ - ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 1 ، ص: 135. وج 2 ، ص: 129. وينظر: حصّة بنت زيد الرشود ، مصطلح

الإضمار عند سيبويه ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ص: 158.

⁴ - ينظر: مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 152.153.

⁵ - ابن منظور جمل الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ج 4 ، ص: 492.

⁶ - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص: 119.

⁷ - الاسترأبادي محمد بن الحسن السمنائي النجفي رضي ، شرح الرضي لكافية بن الحاجب ، ج 2 ، ص: 120.

⁸ - ينظر: إحالة سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 1 ، ص: 62.

وللمحدثين كلامٌ مفصل عن أهمية الضمير والدور الذي يلعبه من جهة الاتساق النصي ، ومن جهة تلافي التكرار فقد أشار **هاليداي ورقية حسن** إلى ذلك من خلال المثال الآتي : اغسل وانزع نوى ست تفاحات ضعها في صحن يقاوم النار " فالضمير (ها) في الجملة الثانية يحيل قبلها إلى (ست تفاحات) ، في الجملة الأولى وما جعل الجملتين متسقتين هو وظيفة الإحالة القبلية للضمير (ها) ، بحيث نؤولهما ككُل ، وبناءً عليه فإنَّ الجملتين تُشكّلان نصًّا أو بالأحرى جزءًا من نفس النص ، فعلاقة الاتساق القائمة بين الضمير (ها) وبين (ست تفاحات) هي التي هيأت النصية ¹ ، وللتوضيح أكثر وتبيان أهمية الضمير في الاختصار وتجنب التكرار ، يمكن صياغة الجملة بطريقة أخرى: اغسل وانزع نوى ست تفاحات ضع التفاحات في صحن يقاوم النار .

الملاحظ أنَّ التركيب في الجملة الثانية استُغني فيه عن الضمير الذي اقترن في الجملة الأولى بالفعل (ضع) وهذا يدل على أنَّ الضمير في الفعل (ضعها) ، أغنى عن إعادة ذكر المحال إليه (ست تفاحات) فناب عن اللفظ المكرر.

ويكشف لنا هذا عن الدور الذي يؤديه الضمير في أمن اللبس وإزالة التوهم والشك وتعدد الدلالة ، لأنَّ إعادة اللفظ تؤدي أحيانًا إلى الالتباس في فهم المقصود وقد أشار **الرضي** إلى ذلك بقوله : " ولو كُثر اللفظ المذكور مكان ضمير الغائب فرما توهم أنه غير الأول " ² ، ومن ذلك أيضا ما ذكره **الجرجاني** بقوله: " ألا ترى أنك لو قلت: أخواك قام أخواك ، ورجلان ضرب الرجلان ، جاز أن يُظن أن الثاني غير الأول " ³ ، ولكنَّ أمن اللبس الذي يحققه الضمير لا يُؤخذ على وجه الإطلاق ، إذ يحدث أن يُذكر الضمير في التركيب ويحدث مع ذكره التباسٌ وتعدُّدٌ في المعنى ، وفي هذه الحالة يجب على المتكلم الإظهار بدل الإضمار ، لإزالة اللبس والغموض فمثلاً لو قلنا: جاء إخوة محمد وهو . نجد أنَّ الضمير (هو) يوحي لنا بأنه شخص آخر غير محمد ، وإزالة الالتباس نعمل إلى التكرار وإعادة الذكر فنقول: جاء إخوة محمد ومحمد .

وعلى هذا فإنَّ الضمير يعني كل ما دل على حضورٍ أو غيبة ، ويشمل ذلك ضمائر الشخص (المتكلم والمخاطب والغائب) وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ⁴ ، وتعتبر هذه الضمائر من أدوات الإحالة لأنها تقوم على علاقة دلالية "ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية ، إلا أنها تخضع لقيود دلاليّ وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه " ⁵ ، هذا الذي يجعل الضمائر أفضل الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة ، ولإثبات ذلك نجد أنَّ الضمير المفرد الغائب " هو " ليس له معنى خاصًا يتفرد به إذا أُخذ منعزلاً بل يتضح معناه إذا ارتبط بلفظٍ آخر هو المرجع الذي يشير ويعود عليه، و " قد أدى هذا بالعديد من

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 14

² - الاسترابادي محمد بن الحسن السمنائي النجفي الرضي ، شرح الرضي لكافية بن الحاجب ، ج2 ، ص: 112.

³ - الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد ، دلائل الإعجاز ، ط5 ، ص: 175.

⁴ - ينظر: تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ، ط1 ، 2000م ، ص: 91.

⁵ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 17.

اللغويين إلى القول بأن صيغة اسمية مثل (هو) ليست في الواقع أداة محيلة ، وأنها لا تستعمل إلا في الإحالة داخل النص ، أي داخل نص يحتوي كذلك على صيغة اسمية كاملة ¹..

ذكرنا سابقاً أنّ ضمائر الشخص تساهم في الربط النصي ، وهي تشمل ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب لكنّ هناك من يرى أنّ الربط النصي يتحقّق بواسطة ضمائر الغائب دون ضمائر المتكلم والمخاطب ، لأنّ هذه الضمائر تلعب دوراً مباشراً في الإحالة ² ، وحتى يحقق الضمير دوره في الإحالة لا بدّ أن يكون له مرجع يعود ويحيل إليه ويكون ملفوظاً به سابقاً ومطابقاً له أو متضميناً له أو دالاً عليه بالالتزام ، أو متأخراً لفظاً لا رتبةً مطابقاً أو متأخراً دالاً بالالتزام ³ ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿.. وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ يَبْحَثُ أَزْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ (هود الآية 42) فالهاء في (ابنه) ضمير متصل بارزٌ يحيل على مرجع سابق ومطابق له من حيث العدد والجنس هو (نوح) ، وتنقسم الإحالة إلى عدة أشكال ذكرها الأزهر الزناد في كتابه (نسيج النص) وهي ⁴:

- من حيث العلاقة بالنص تنقسم إلى داخلية وخارجية .
- من حيث رتبة الضمير من المرجع تنقسم إلى قبلية وبعدية .
- من حيث قرب الضمير من المرجع تنقسم إلى قريبة وبعيدة .

وهذه العناصر تترابط بتوفر الروابط التركيبية والروابط الزمانية ، وكذلك الروابط الإحالية "فلا يكاد نصٌ يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول أو غيرها من المعوضات" ⁵ ، وتساهم هذه الروابط في تحقيق الاتساق والانسجام النصي إضافةً إلى ماتؤديه في الربط وأمن اللبس والاقتصاد اللغوي .

والملاحظ أنّ حديث النُّحاة عن الضمائر اقتزن بحديثهم عن شرط توفر المفسر له ، وهذا المفسر ينقسم إلى نوعين بحسب نوع المضمّر ⁶ :

- أ- مُفسِّرٌ مقامي حضورى بالنسبة إلى المتكلم والمخاطب .
- ب- مُفسِّرٌ مقالي ذكرى بالنسبة إلى الغائب .

تتحدّد رتبة المفسر وموقعه بناء على الضمير ، فيتقدم عليه أو يتأخر عنه " والأصل تقدّم المفسر لفظاً وأصلاً وقد يتقدم المضمّر لفظاً ورتبةً لا حكماً وتقديراً" ⁷ ، وله أربع حالات:

- أ- التقدم لفظاً وتحقيقاً ، مثال : ضرب زيد غلامه.
- ب- التقدم تقديراً ، مثال : ضرب غلامه زيد . حيث أُبدل المضمّر بالمظهر.

¹ - بروان ويول ، تحليل الخطاب ، ص: 256.

² - ينظر: محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 2 ، ص: 595.

³ - ينظر: جلال الدين السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ص: 399.

⁴ - ينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 119.118.

⁵ - المرجع نفسه ، ص: 121.

⁶ - ينظر: محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 2 ، ص: 1126.

⁷ - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص: 1127.

ج- التقدم معنى ، مثال : (اعدلوا هو أقرب للتقوى) ، فإنَّ مفسر الضمير هو العدل المفهوم من (اعدلوا).
 د- التقدم حكماً أي اعتباراً لكونه ثابتاً في الذهن كما في ضمير الشأن والقصة لأنه إنما جيء به من غير أن يتقدم ذكره قصدًا لتعظيم القصة بذكرها مبهمة ليعظم وقعها في النفس ثم يفسرها .
 وقد ربط النُّحاة بين الإضمار والمعرفة ، واعتبروا الإضمار معرفة مشترطين فيه عِلْمِ المخاطب بما أُضمر وبعلم المتكلم بعلم المخاطب بذلك ، لأنَّ في هذا انسجامًا للخطاب ، وقد عبر سيبويه عن هذا بقوله: " وإنما صار الإضمار معرفةً لأنك إنما تضمّر اسماً بعدما تعلم أنَّ مَنْ يُحَدِّثُ قد عرف مَنْ تعني وما تعني وأنت تريد شيئاً يعلمه"¹ ، يُفهم من هذا أننا لا نلجأ إلى الإضمار إلا بعد حصول التعريف ، والتعيين ، والتخصيص ، وقد اشترط ابن جني أنَّ الضمائر في حاجة إلى المفسر ، لتعيين الشخص وتخصيصه ، يقول في ذلك : "لا يُضمّر ما لا دليل عليه ولا تفسير له"² . والأصل في المفسر الذي يرفع الإبهام عن معنى المضمّر أن يكون مقامياً حضورياً ، قائماً على شهادة الحال في ضمائر المتكلم والمخاطب ومقالياً قائماً على التقدم في الذاكرة في ضمائر الغائب³ ، وحين يعتمد المتكلم إلى استعمال الإضمار في كلامه فإنه لا يستعمله بمعزلٍ عن المخاطب أو عن جهلٍ وعدم درايةٍ من مخاطبه لأنَّ للمخاطب دوراً أساسياً يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمّر ، وإنَّ عدم المخاطب سابق المعرفة خرج الكلام إلى الألباس والإبهام " وإنما صار الضمير معرفةً لأنك لا تضمّره إلا بعدما يعرفه السامع ، وذلك لأنك لاتقول : (مررت به) ، ولا (ضربته) ولا (ذهب) ولا شيئاً من ذلك حتى تعرفه وتدرى إلى مَنْ يرجع هذا الضمير"⁴ .
 ويحدث أن يُحيل الضمير إلى غير ماهو معتاد إليه تجاوزاً في النص ، بحيث تنعدم في التراكيب الصيغ الموافقة للمتكلم والمخاطب دون أن ينعدم مطلقاً من حيث الدور الذي تُؤديه هذه الصيغ الكلامية التي تتميز بقدرتها على التعدد والتشكيل والتنوع ، إضافةً إلى تعويض المتكلم والمخاطب بالغائب في عملية الخطاب تحقيماً لأغراض كلامية متعدّدة مثلما نلاحظه في الأمثلة التالية :

أ- قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥) ، (البقرة الآية 15) .

ب- هل يريد صاحب الجلالة أن يتفضل بالجلوس .

ج- العبد الحقير يطمع في عفو جلاله الملك .

في المثال الأول استعملت العبارة (الله) للدلالة على المتكلم ، وصيغتها صيغة الغائب لتحقيق غرض التحقير . وفي المثال الثاني استعملت العبارة (صاحب الجلالة) للدلالة على المخاطب وصيغتها صيغة الغائب لتحقيق غرض التعظيم . وفي المثال الثالث استعملت العبارة (العبد الحقير) للدلالة على المتكلم وصيغتها صيغة

1- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج2 ، ص: 06.

2- ابن جني، أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، 2002 ، ج1 ، ص104 .

3- ينظر: محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج2 ، ص: 1126.

4- المراد أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتضب ، ج4 ، ص: 280.

الغائب لتحقيق غرض الدعاء ، مع الإشارة إلى أن ضمير المتكلم يمكن أن يكون محددًا أو متحدثًا عنه، أمّا ضمير المخاطب فيكون محددًا أو متحدثًا عنه ، أمّا ضمير الغائب فيكون متحدثًا عنه فقط¹ .

إن تركيب النص لا يقتصر على توظيف الصيغ اللغوية الدالة على المتخاطبين فحسب ، وإنما يُضاف إلى ذلك ما يطرأ على هذه الصيغ من تغيير في أدوار التخاطب ، بحيث يصبح المتكلم مخاطبًا والمخاطب متكلمًا أو باختلاف ما تحيل عليه " ففي التخاطب ونقل الكلام ، يكون على الحكاية يكون المتكلم شخصين أو أكثر وكذا المخاطب² " فمثلاً في الجملة : (أنا جائع - وأنا أيضاً) نجد أن المخاطب والمتكلم يمكنهما تبادل الدور في الاتجاهين ، أمّا الانتقال من أحدهما إلى الغائب فلا يقوم على تبادل الأدوار إنما يقوم على تبديلها وتحويلها فينقل الكلام على الحكاية، مثال : (قلت لفاطمة ادخلي ولا تترددى) استطاع الغائب أن يفارق دوره ويصبح مخاطباً فيإمكان المتكلم أن يتوجه بالكلام إلى المخاطب مخبراً من الغائب³ .

وفي هذا السياق وجدنا أن الضمائر في سورة القصص تكشف عن الدور الذي يمكن للإحالة النصية (الداخلية) أن تقدمه لتحقيق تماسك النص وترابطه ، وكذا المحافظة على نسيجه من ناحية الشكل والمضمون خاصة وأن السورة الكريمة قد تضمنت أعداداً كبيرة من الضمائر ، وما يميز هذه الضمائر أنها تتفاعل فيما بينها لتكشف عن لونٍ خاصٍ من الترابط والانسجام ، ومن خلال تتبع هذه الضمائر سواء في سورة القصص أو في بقية المدونات وتحديد سماتها والكشف عن دورها في تحقيق التماسك النصي ، وفق العناوين الآتية التي تمثل أهم السمات الإحالية في سورة القصص .

1- كثافة الضمائر وتتابعها وقوة حضورها:

يبين لنا الجدول رقم (01) أعداد الضمائر في سورة القصص كما يكشف لنا عن أنواعها والنسبة المئوية لكل نوعٍ منها ، بحيث يتضح لنا كثافة الضمائر وتتابعها وقوة حضورها في السورة الكريمة ، فقد بلغ العدد الإجمالي للضمائر فيها خمسمئة واثنتين وأربعين ضميراً (542) ، تسيطر فيها ضمائر الغائب على النسبة الكبرى ، خاصة وأنها من أهم الروابط المحققة للتماسك النصي ، وقد بلغ عددها مئتين وثمانية وتسعين (298) ضميراً بنسبة مئوية وصلت إلى (54.98) من العدد الكلي للضمائر في السورة الكريمة .

جدول رقم (01) يبين أعداد الضمائر وأنواعها في سورة (القصص) .

نوع الضمير / التكرار	ضمائر المتكلم	ضمائر المخاطب	ضمائر الغائب	العدد الإجمالي
العدد	121	123	298	542
النسبة المئوية	%22.32	%22.69	%54.98	%100

¹ - ينظر: محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 2 ، ص: 1081.1082.

² - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص: 1077.

³ - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص: 1086.1087.

وبالعودة إلى ضمائر الغائب التي تسيطر على فضاء السورة ، فإننا نلاحظ وجود هذه الضمائر بأنواعها الثلاثة : منها المتصلة ومنها المنفصلة ومنها المستترة ، والملاحظ أن ضمائر الغائب المتصلة هي الأكثر انتشاراً وسيطرة على فضاء السورة ، ويُعتبر هذا النوع من الضمائر التي تؤدي الدور الأكبر في تحقيق التماسك النصي . كما أن هذه الضمائر تتظافر مع بقية أدوات الاتساق الانسجام الأخرى في تحقيق التلاحم والترابط النصي .

وبتوزيع ضمائر الغائب إجمالاً في الجدول (02) يتضح لنا أن الضمائر المتصلة تمثل النسبة المئوية الكبرى مقارنة بالأنواع الأخرى ، وتقدر نسبتها ب (53.84%) من العدد الإجمالي لضمائر الغائب في السورة الكريمة .

جدول رقم (02) يبين توزيع أعداد ضمائر الغائب وأنواعها في سورة (القصص) .

نوع الضمير	ضمائر الغائب المتصلة	ضمائر الغائب المستترة	ضمائر الغائب المنفصلة	العدد الإجمالي
التكرار	165	114	19	298
النسبة المئوية	55.36%	38.25%	6.37%	100%

يتضح لنا مما سبق أن من أهم الخصائص التي تتميز بها الضمائر في سورة القصص كثافتها وتتابعها بصورة تؤكد التماسك على مستويات متعددة ومتراصة فيما بينها على مستوى الجملة ، وعلى مستوى المقطع من السورة وعلى مستوى النص (السورة كاملة) ، وسنحاول أن نقدم مقاطع من السورة لتوضيح هذا الترابط وإن كانت هذه الميزة تتحقق في جميع مقاطع السورة الكريمة .

وللوقوف على الدور الذي تؤديه الضمائر المتتابعة في السورة نورد التمثيل من الآيات الآتية : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَاسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنَ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ ، (القصص الآية 14-15) .

تظهر لنا الضمائر الرابطة التي تضمناها الآيتان بكثافة وتتابع ، إذ تعكس لنا التدفق الأخاذ الذي تتميز به الضمائر فالضمير (هو) المستتر في الفعل (بلغ) ، والذي يحيل إلى ما قبله وهو (موسى) يتبعه أحد عشر ضميراً تحيل في عمومها إلى المرجع نفسه في وحدة نصية متكاملة تكشف لنا عن شدة التماسك والانسجام على النحو الآتي : بلغ (هو) ، استوى (هو) ، دخل (هو) ، وجد (هو) ، فقضى (هو) ، قال (هو) ، يضاف إلى ذلك (الهاء في أشده) ، و (الهاء في آتيناه) ، و (الهاء في شيعته) ، و (الهاء في عدوه) ، و (الهاء في استغاثته) ، و (الهاء في شيعته) و (الهاء في عدوه) ، وهنا نجد قارئ الآيتين أن الضمير المحيل لا يفارقه ، فالعنصر الإحالي (هو) يحيل إلى موسى الذي بلغ أشده واستوى ، وهو الذي آتاه الله الحكم والعلم ، وهو الذي دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، وهو الذي وجد في المدينة رجلين يقتتلان ، وهو الذي كان الرجل اليهودي من شيعته ، وهو الذي كان

الرجل المصري من عدوه ، وهو الذي استغاثه الرجل الذي من شيعته ، وهو الذي وكز الرجل ففضى عليه ، وهو الذي قال معترفاً أن فعله من عمل الشيطان ، هكذا يتضح لنا المشهد متكاملًا منذ بلوغ موسى أشده إلى لحظة قتله للقبطي في صورة متكاملة بفعل الترابط والانسجام النصي ، والذي أسهمت الضمائر في الكشف عنه وتقديمها في لوحة متكاملة أمام المتلقي .

وما يلفت الانتباه في الآيتين أن الضمائر الأحد عشر المتتابعة والمتتالية انقسمت إلى قسمين : نجد في المجموعة الأولى ستة ضمائر استتزت في الأفعال (بلغ ، استوى ، دخل ، وجد ، قضى ، قال) ، وفي المجموعة الثانية نجد سبعة منها جاءت متصلة بما يسبقها وهي: (أشده ، آتيناه ، شيعته ، عدوه ، استغاثه، شيعته ، عدوه) وقد كشف توزيع الضمائر المتقارب في النسبة عن الانسجام والترابط والإيقاع .
إذًا فإن كثافة الضمير وقوة تدفقه وتتابعه تؤدي دورًا مهمًا في تحقيق التماسك النصي .

2- الضمير في جملة الخبر :

في مثال آخر نجد أن الضمير يؤدي دورًا هامًا في الربط بين المسند والمسند إليه ، من خلال الموقع الذي يحتله الضمير في جملة المسند في النص ، غير أن الأصل في الجملة الاسمية أن يرد الخبر مفردًا يستغني عن الرابط الذي يربطه بالمتبدأ ، وفي حلة وجود الرابط (الضمير) يأتي الخبر جملة تأخذ محل المفرد الخبر المرتبط بالمتبدأ ، وقد عدها (ابن هشام) مبينا أنها لا تخرج عن واحد من عشرة روابط سماها (روابط الجملة بما هي خبر عنه) وهي : الضمير وهو الأصل في الربط ، الإشارة ، إعادة المتبدأ بمعناه ، عموم يشمل المتبدأ ، أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه ، أو العكس ، العطف بالواو ، شرط يشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر (أل) النائية عن الضمير ، أن يكون معنى الجملة هو ذاته معنى المتبدأ¹ ، ويؤكد الرضي "حاجة الجملة الواقعة خبرًا إلى الضمير الرابط بقوله : " وإنما احتاجت إلى الضمير لأن الجملة في الأصل كلامٌ مستقلٌ ، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام ، فلا بُد من رابطة تربطها بالجزء الآخر ، وتلك الرابطة هي الضمير ، إذ هو موضوع لمثل هذا الغرض"² . وقد ورد الضمير في جملة الخبر في السورة الكريمة في مواضع عدة ، ولبيان دوره في جملة الخبر في الاتساق سأمثل لنموذجين من السورة الكريمة : قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ أُمَّرَأْتٌ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٠ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتَشْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١١ ﴾ ، (القصص الآية 10.09) .

في الآية الكريمة وردت الجملة الاسمية (هم لا يشعرون) ، وجاء الضمير المنفصل (هم) ضمير الغائبين في محل رفع مبتدأ والجملة الفعلية (لا يشعرون) في محل رفع خبر ، وقد جاء الفعل المضارع محلى بواو الجماعة وهي ضمير متصل في محل رفع فاعل ، وهنا يتضح لنا التطابق بين الضميرين المنفصل (هم) ، والذي يدل على جماعة الغائبين وبين الضمير المتصل (الواو) في الفعل المضارع (يشعرون) ، وهذا التطابق في الدلالة على الجمع ساهم في ترابط

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج2 ، ص: 551 وما بعدها

² - الاسترابادي محمد بن الحسن السمنائي النجفي الرضي ، شرح الرضي لكافية بن الحاجب ، ج1 ، ص: 268.

الآية وفي إحداث التماسك النصي إضافة إلى الانسجام ، فهؤلاء الذين لا يشعرون لا يدركون "أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيّه لأنه سيكون سبب هلاكهم"¹ ، وأما في الآية الثانية جاءت الآية الكريمة مكونةً من الفعل الماضي الناقص أضمر فيها اسم كاد ، ثم جاءت الجملة الفعلية (لتبدي به) في محل نصب خبر كاد ، وهنا يتضح لنا الترابط من جهاتٍ متعددةٍ أولها تمثل في الضمير المستتر في الفعل الناقص كاد ، ويكشف عنه الضمير الغائب (هي) و يحيل على أم موسى إحالة قبلية ، ويزداد الترابط عن طريق الضمير المستتر في الجملة الخبرية (لتبدي به) وتحديدًا في الفعل (تبدي) ، ويحيل إحالة قبلية أيضًا بواسطة الضمير الغائب (هي) على أم موسى ويُضاف إلى ذلك الضمير المتصل في الجار والمجرور (به) متعلق بتبدي ويحيل إحالة قبلية على (موسى) ، وقد تضافرت هذه الضمائر في زيادة الترابط والتماسك النصي في الآيتين الكريمتين .

3- الضمير في جملة النعت:

ومن مظاهر الاتساق التي ساهم فيها الضمير أيضًا ، ماورد في جمل النعت في السورة الكريمة ، والمعروف أنّ النعت من التوابع الخمسة (النعت ، التوكيد ، البدل ، عطف البيان ، عطف النسق) ، والمقصود بالتابع هو (الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً)² ، والنعت إذا جاء مفردًا فإنه يستغني عن الرابط الذي يربطه بمنعوتة ، أمّا إذا وقع جملة فإنه يشبه الجملة الخبرية ، إذ لا بد أن تشتمل جملته على رابط لفظي يربطها بالمنعوت وهذا الرابط هو الضمير الذي يؤدي إلى ترابط الكلام وانسجام المعنى .

وقد أكد النُّحاة ضرورة وجود الضمير في جملة النعت قال المرادي : "الجملة المنعوت بها لا بد من اشتمالها على ضمير يربطها بالمنعوت"³ .

وكما مثلنا للضمير الواقع في جملة الخبر وبيننا دوره في إحداث الاتساق والانسجام النصي ، سنشير إلى الجمل التي وقعت نعتًا في المدونات على أنّ نكتفي بعرض مثال واحد في كل مدونة على سبيل التمثيل لا الحصر . قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَمْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (الفصص الآية 20) ، في الآية الكريمة جاءت كلمة (رجل) نكرة ، وقد نعتت بجملة فعلية (يسعى) والتي أضمر فيها ضمير الغائب (هو) ويعود على منعوتة وهو (رجل) ، وهي إحالة قبلية تطابق فيها الضمير المستتر مع منعوتة في الإفراد والتذكير ، وهي أيضًا إحالة داخلية لأنّ المرجع كان متواجدًا في النص ولم نحتج إلى أن نخرج خارجه ، وهي قبلية لأنّ المرجع سابق للضمير ، وقريبة لأنّ المرجع والضمير متواجدان في تركيب لغوي واحد وغير بعيدين عن بعضهما .

¹ - بحجت عبد الواحد صالح ، الاعراب المفصل لكتاب الله المنزل ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ج 8 ، ص: 364.

² - ابن عقيل بماء الدين عبد الله ، شرح ابن عقيل ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، ط 20 ، 1980م ، ج 3 ، ص: 190.

³ - المرادي ابن أم قاسم ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، ج 3 ، ص: 953.

4- الضمير في جملة الحال :

ومما يضاف إلى الدور الذي يؤديه الضمير ماورد في الجمل الحالية التي يعمل فيها الضمير على إحداث الترابط بين جملتين منفصلتين ، لأنَّ الحال الجملة تركيب لغوي يأتي بعد معرفة لبيان هياتها حين ملابسة الفعل ولا بدَّ للحال الجملة من رابط يربطها بصاحبها ، وربطها إما الواو أو الضمير أو كلاهما¹ ، ووظيفة هذا الرابط هو اتصال المعنى بين الجملتين وإلا كانتا منفصلتين لاصلة بينهما ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ فِجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّهُنَّ يَدْعُونَكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ، (القصص الآية 25) ، فالضمير المستتر في الفعل (تمشي) هو الرابط للحال بصاحبها (إحداها) وقد كان الضمير متأخرًا عن المرجع ليقوم بربط آخر التركيب بأوله ، ومن خلال هذا يتبين لنا كيف قام الضمير بارزًا ومستترًا بوظيفة الربط في النص .

5- الضمير في جملة الصلة :

يؤدي الضمير دورا بارزا في إحداث التماسك والترابط في جملة الصلة ، والمعلوم أنها جملة تقع بعد الاسم الموصول لإزالة الإبهام عنه قال المبرد: " واعلم أنَّ الصلة موضحة للاسم ، فلذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة وما شاكلها في المعنى ، ألا ترى أنك لو قلت : جاءني الذي ، أو مررت بالذي ، لم يدلُّك ذلك على شيءٍ حتى تقول : مررت بالذي قام ، أو مررت بالذي من حاله كذا وكذا ، أو بالذي أبوه منطلقٌ ، فإذا قلت هذا وما أشبهه وضعت اليد عليه"² ، ويعني هذا أنَّ الصلة هي التي تدل على الموصول الاسمي ، وتبين المعنى منه ولا بدَّ من وجود ضمير في جملة الصلة يحيل إلى الاسم الموصول وقد بيَّن المبرد ذلك فقال : " وقد أعلمتك أنَّ (الذي) يوصل بالفعل والفاعل وبالابتداء والخبر ، والظرف ، ولا بدَّ في صلة (الذي) من راجع إليه يوضحه ، فإذا قلت : رأيت الذي قام ، فاسمه في قام"³ ، فالراجع إلى الاسم الموصول الذي هو العائد في الجملة الفعلية قام (هو) على الاسم الموصول فيربطه بجملة الصلة .

وبين النحاة أنَّ الضمير في جملة الصلة غالبًا ما يكون ضميرا يقول ابن هشام " الجملة الموصول بها الأسماء ولا يربطها غالبًا إلا الضمير إمَّا مذكورًا نحو : ﴿الذين يؤمنون﴾ ونحو ﴿وما عملته أيديهم﴾ وفيها ما تشبهه الأنفس ﴿ ونحو ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ وإمَّا مقدرا نحو : ﴿أيهم أشد﴾ ونحو ﴿وما عملت أيديهم﴾ وفيها ما تشبهه الأنفس ﴿⁴ ، فالضمير العائد على الاسم الموصول في الآية الثانية هو (هؤلاء الغائب) المتصل بالفعل (عمل) ، والضمير الرابط صلة الموصول باسمها في الآية الثالثة هو (هؤلاء الغائب) المتصل بالفعل (تشبهه)

¹ - ينظر: جلال الدين السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق: عبد الإله نهان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سوريا ، ج1 ، ص: 248.

² - المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتضب ، ج3 ، ص: 197.

³ - المصدر نفسه ، ج3 ، ص: 130.

⁴ - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج2 ، ص: 557.

أما في الآية الخامسة فالضمير العائد محذوف على تقدير: أيهم هو أشد ، وقد يغني عن الضمير في الربط اسم ظاهر يقع موقع ذلك الضمير وهو قليل.

وقد أجاز سيبويه حذف الضمير العائد في جملة الصلة على أن يتم تقديره ، لأن الصلة عنده حشو يذكر فيها الضمير أو يُحذف يقول في ذلك : " وإن أردت الحشو قلت : مررت بمن صالح ، فيصير صالح خبراً لشيء مضمّر كأنك قلت : مررت بمن هو صالح "1 ، فهذا العائد هو الرابط الذي يجب أن يوجد في جملة الصلة "يجوز ذكره في الصلة ، كما يجوز حذفه بعد تحقق شرط عام هو وضوح المعنى بدونه وأمن اللبس ، ومن أهم مظاهر أمن اللبس ألا يكون الباقي بعد حذفه صالحاً صلة "2 .

ورد الضمير في جملة الصلة في سورة القصص في مواضع كثيرة ، اخترت منها النموذج التالي : قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (القصص الآية 15) ، في الآية الكريمة ورد الاسم الموصول (الذي) مرتين وصلته في الاسم الأول (من شيعته) وفي الاسم الثاني (من عدوه) وتركيب الصلة في الآية لا بد أن يقدر فيه ما حذف منه ، والمحذوف هو الضمير المنفصل (هو) لأن الجار والجرور (من شيعته ، من عدوه) متعلقان بمضمّر تقديره : (هو من شيعته، هو من عدوه) وهذا الضمير المحذوف في جملة الصلة هو العائد والمحيل إلى الموصول (الذي) إحالةً قبليةً قريبةً ، وبهذا الضمير فإن الإبهام يُرفع عن الاسم الموصول ، كما أننا نجد مطابقة الضمير المضمّر (هو) للاسم الموصول (الذي) في التذكير والإفراد ، وهي مطابقة كاملة لأنها تمت على مستوى لفظ الموصول ومعناه وهي مشترطة في الضمير العائد على الموصول المختص وفي هذا يقول الأستاذ عباس حسن : " والضمير العائد يجب أن تكون مطابقتها تامة ، بأن يوافق لفظ الموصول ومعناه ، وهذا حين يكون الموصول اسماً مختصاً ، فيطابقه الضمير في الإفراد والتأنيث وفروعهما... أما إن كان الاسم الموصول عاماً (أي مشتركاً) فلا يجب في الضمير مطابقتها لأن الاسم الموصول العام لفظه مفرد مذكر دائماً، مثل: (من، ما، ذو...). ولكن معناه قد يكون مقصوداً به المفردة أو المثني أو الجمع بنوعيهما، ولهذا يجوز في العائد ، أي الرابط عند أمن اللبس و في غير (أل) مراعاة اللفظ ، وهو الأكثر ، ومراعاة المعنى وهو كثير أيضاً "3 .

ومما يلاحظ أيضاً أن الآية الكريمة قد احتوت على اسم الإشارة (هذا) ، وقد تظافر هذا الاسم مع الاسم الموصول في تأكيد الربط وزيادة الاتساق ، لأن اسم الإشارة (هذا) قد أحال على الذي من شيعته موسى والذي من عدوه.

1- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 2 ، ص: 107.

2- عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص: 394.

3- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص: 376.377.

6- ضمير الفصل :

مَيَّرَ النُّحَاةَ هذا الضمير بتسميتهن فسماه البصريون (ضمير الفصل) وسماه الكوفين (العماد) ، وفي هذا يقول ابن يعيش : " ويقال له فصل وعماد ، فالفصل من عبارات البصريين كأنه فصل الاسم الأول عمًا بعده وأذن بتمامه وإن لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلا الخبر لاغير ، والعماد من عبارات الكوفيين كأنه عمد الاسم الأول وقواه بتحقيق الخبر بعده "1 ، وهو ضمير رفع منفصل يفصل بين ركني الجملة الاسمية ليفيد أنّ ما بعده خبر لا نعت للمبتدأ أو ما أصله مبتدأ . "لأنه يفصل في الأمر حين الشك واختفاء القرينة فيرفع الإجماع ويزيل اللبس بسبب دلالة على أنّ الاسم بعده هو الخبر لما قبله من مبتدأ ، أو ما أصله المبتدأ وليس صفةً ولا بدلا ولا غيرها من التوابع والمكملات التي ليست أصيلة في المعنى الأساسي... وهو يفيد في الكلام معنى الحصر والتخصيص "2 وهو يتوسط بين المبتدأ والخبر ، أو بين اسم كان وخبرها ، أو بين اسم إنّ وخبرها ، أو بين مفعولي ظن وأحواتها ، ولا بدّ من توفر شروطٍ فيه بأن يكون مطابقاً للاسم السابق في المعنى وفي التكلم والخطاب والغيبة وفي الإفراد والتثنية والجمع وفي التذكير والتأنيث .

وفي هذا الصدد لا يمكن أن نغفل ما تكلم فيه المحدثون عن ضمير الفصل ، فقد اعتبروه من الروابط لأنه يوافق ما قبله في المعنى وفي التكلم والخطاب والغيبة وفي النوع والعدد ، وهو يشير إلى ما بعده بأنه هو المقصود بالإخبار "فحين نقول: زيد هو العالم ، نلاحظ أنّ ضمير الفصل هنا استخدم لأمن اللبس في فهم الارتباط بين زيد والعالم على سبيل علاقة الوصفية فإذا قيل : زيد العالم ، وكان يراد إنشاء علاقة إسناد نشأ لبس في فهم علاقة الوصفية لأن كلا الاسمين معرفة وبينهما مطابقة ، ولذلك لجأت العربية إلى الربط بين الاسمين بضمير الفصل كي يزول احتمال فهم علاقة الوصفية ، فتظهر علاقة الإسناد واضحة³ ، فضمير الفصل من الأدوات الرابطة لأنه يحيل إحالةً بعديةً إلى الجزء الذي يليه وتتم الفائدة به — ومن الآيات التي ورد فيها ضمير الفصل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، (القصص الآية 16) .

ضمير الشأن (الماء) المتصل بالناسخ (إن) هو اسمها الذي أصله مبتدأ، وخبر الناسخ هو الغفور وماتوسط اسم (إن) وخبرها هو ضمير الفصل (هو) ، وقد أحال إلى خبر (إن) إحالةً بعديةً قريبة شكلت اتساق النص، كما جاء به لتأكيد معنى الإسناد في الجملة ، حيث ذكر الزمخشري بأن ضمير الفصل (هم) في الآية: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، (البقرة الآية 05) ، فائدته الدلالة على أنّ الوارد بعده خبر لا صفة ، والتوكيد وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره⁴ .

1- ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج3 ، ص: 110.

2- عباس حسن ، النحو الوافي ، ج1 ، ص: 244.

3- ينظر : مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية ، ص: 199.

4- ينظر: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تعليق: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص: 40.

7- ضمير الشأن:

هو من الضمائر التي أطلق عليها جمهور البصريين اسم ضمير الشأن ، وهو ضميرٌ يكون في صدر جملة بعده تفسر دلالاته وتوضح المراد منه ، ومعناها معناه وسمي ضمير الشأن لأنه يرمز للشأن أي للحال التي يراد الكلام عنها والتي سيدور الحديث فيها بعده مباشرة ، ومن التسميات المخالفة للبصريين ما أطلقه الكوفيون على هذا الضمير فسموه الضمير المجهول ، لأنه لم يسبقه المرجع الذي يعود إليه ، ويسمى عند بعض النحاة ضمير القصة لأنه يشير إلى القصة أي المسألة التي سيتناولها الكلام ويسمى ضمير الأمر ، وضمير الحديث أيضًا ويؤتى بهذا الضمير في أغراض التعظيم والتفخيم وإثارة انتباه المتلقي¹، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، (الإخلاص الآية 1)، نجد الضمير المنفصل "هو" هو ضمير الشأن، وقد تصدر الجملة الاسمية وهو في موضع الإشارة وتوجيه الأنظار إلى تعظيم المولى عز وجلّ، والجملة الاسمية ﴿الله أحد﴾، هي التي فسرتها ، وقد جاء في هذه الآية دالاً على المفرد المذكور.

ويؤدي ضمير الشأن دوراً مهماً في الربط كونه "يعود دائماً على متأخر في لفظاً ورتبة ولا يتقدم مرجعه أبداً لأن مرجعه جملة مفسرة له ولا يتقدم المفسر على المفسر"² ، ويتطابق تذكيراً وتأنيثاً في الغالب مع المسند إليه في الجملة المفسرة ، ومن ثم تتشكل علاقة الربط وهذا يعني أن ضمير الشأن يقوم بإحالة بعدية أو الإحالة إلى لاحق وهذه الإحالة داخلية لأن المرجع جملة مفسرة موجودة داخل النص وليس خارجه ، كما أن هذه الإحالة من حيث المدى تعدّ قريبة لعدم وجود فاصل بين هذا الضمير ومرجعته.

ومن الأمثلة التي ورد فيها ضمير الشأن في السورة الكريمة قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أُثْرِيْدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تَرْيِدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ، (القصص الآية 19) ، الضمير المنفصل للمفرد الغائب (هو) هو ضمير الشأن ، حيث وقع مبتدئاً خبره هو الجملة الواقعة بعده (عدو لهما) التي عملت على تفسيره ، فنلاحظ أن الضمير (هو) أحال إلى ما بعده إحالة بعدية داخلية قريبة وتطابق مع الحال إليه في الإفراد والتذكير ، فضمير الشأن بإحالته البعدية قد حقق نوعاً آخر من اتساق النص يختلف عن الذي تفعله معظم الضمائر التي تحيل في النص إحالات قبلية.

النموذج الثاني : حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿مَنْ كَانَ يَوْمَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيَقْلُ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ . وَمَنْ كَانَ يَوْمَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَكْرَمْ جَارَهُ . وَمَنْ كَانَ يَوْمَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَكْرَمْ ضَيْفَهُ﴾³.

¹ - ينظر: عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص: 252.

² - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص: 133.

³ - حسني عبد الجليل يوسف ، إعراب الأربعين حديثنا النووية ، ص: 109.

هذا الحديث عظيم تتفرع منه آداب الخير ، وقيل فيه: إنه نصف الإسلام ؛ لأن الأحكام تتعلق بالحق ، أو الخلق وهو من جوامع الكلم ، لأن القول كله إما خير وإما شر آيل إلى أحدهما ، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها ، فأذن فيه على اختلاف أنواعه ودخل فيه ما يؤول إليه وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت¹.

تقدم الضمائر في هذا الحديث مثلاً واضحاً للدور الذي تؤديه الإحالة النصية الداخلية في تماسك النص وارتباطه وتوزيع الضمائر في هذا الحديث إجمالاً منحصرة في ضمائر الغائب ، في حين تنعدم ضمائر المتكلم والمخاطب في نص الحديث ، ومرد ذلك طبيعة هذا الحديث لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحدث فيه عن نفسه كما لا يخاطب إنساناً بذاته ، وإنما يشمل حديثه هذا ، أي إنسان أراد أن تتوفر فيه صفة الإيمان بالله واليوم الآخر وقد دل على معنى التعميم لفظ (من) .

يبين الجدول عدد الضمائر التي وردت في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأنواعها ونسبتها المئوية إذ بلغ عددها اثني عشر ضميراً ، سيطرت فيها ضمائر الغائب إجمالاً لأنها من أكثر الضمائر المحققة للتماسك النصي في حين غابت في نص الحديث ضمائر الغائب المنفصلة .

جدول رقم (01) يبين توزيع ضمائر الغائب إلى أصنافها الحديث :

نوع الضمير	ضمائر الغائب	العدد الإجمالي	ضمائر الغائب	ضمائر الغائب المتصلة
التكرار	12	12	10	02
العدد	12	12	10	02
النسبة المئوية	%00.00	%00.00	%83.33	%16.66

إن المتأمل في نص الحديث يجده على درجة عالية ومتميزة من التماسك ، والترابط بكثافة وفاعلية ضمير الغائب المستتر الذي تكرر في الحديث عشر مرات في كل مرة يعود إلى المرجع نفسه في وحدة نصية متماسكة ومتسقة فالضمير المستتر (هو) في الفعل (كان) يحيل إل اسم الشرط الجازم (من) ، ويتبعه تعسة من الضمائر على النحو الآتي: يؤمن (هو) يقل (هو) يصمت (هو) كان (هو) يؤمن (هو) يكرم (هو) كان (هو) يؤمن (هو) يكرم (هو) يكرم (هو) فهذا الحضور المكثف لضمير الغائب المستتر يجعلنا نستحضر صورة (من)- وهو العنصر الإشاري- في أذهاننا فهو الذي يؤمن بالله واليوم الآخر ، وهو الذي يقول الخير ، وهو الذي يصمت ، وهو الذي يكرم جاره وهو الذي يكرم ضيفه...ومما يلفت النظر أيضاً في الحديث ما ميز الضميرين المتصلين في لفظ (جاره) وفي لفظ (ضيفه) إذ يحيلان إحالة قبلية على فاعل (يكرم) ، وهو الضمير المستتر (هو) فيتبين لنا تظافر ضمائر الغائب

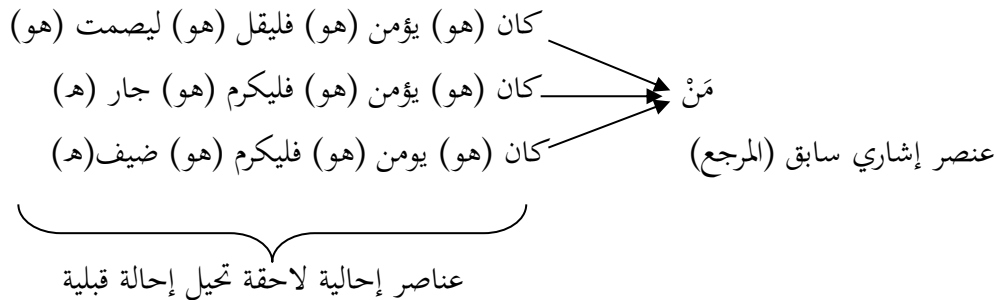
¹ - ينظر: ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ، الرسالة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2013م ، رقم الحديث 6019 ، ص: 374.

المستترة مع ضمائر الغائب المتصلة في العودة إلى مرجع واحد ، مما يجعل المعنى محددًا ومنسجمًا والنص متماسكًا ومتسقًا.

1- الضمير في جملة الخبر وفي الجملة التي سدت مسد الخبر:

تكرر في الحديث اسم الشرط الجازم (مَنْ) وفي كل مرة تكرر فيها جاء إعرابه مبتدأ وخبره جملة جواب الشرط الفعلية التي سدت مسد الخبر (فليقل) (فليكرم) (فليكرم) وهذه الجمل تتضمن ضميرًا مستترًا تقديره (هو) الذي يربط هذه الجمل الخبرية بمبتدئه أو يحيل إليه إحالة قبلية داخلية ثلاث مرات اتساق بفضلها النص ، ودل على معنى واحد هو فضل الإيمان وتأكيد حقيقته ، وبفضل هذه الإحالة الداخلية لم نحتاج إلى البحث خارج النص لمعرفة المراد بالضمير المستتر ، والإحالة من أهم العوامل المؤدية إلى الاتساق النصي.

وما يميز الحديث وجود إحالة قبيلة أخرى بين اسم كان المستتر وتقديره (هو) ، وبين اسم الشرط الجازم (مَنْ) ووجود إحالة أخرى في فاعل (يؤمن) المستتر (هو) ، وبين اسم الشرط الجازم (مَنْ) ووجود إحالة ثالثة تمثلت في الضمير المتصل في كلمة (جاره) و (ضيفه) وهي ضمير (الهاء) الذي يحيل إحالة داخلية قبلية على اسم الشرط الجازم فضمير الغائب هو الذي ساهم في تحقيق الإحالة ، ومن ثم كان دوره بارزًا في اتساق النص أكثر من بقية الضمائر وهو ما أكدته (هاليداي) و(حسن) في قولهما: " حين نتحدث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص (أي الضمير المحيل إلى الشخص أو الشيء) فإنَّ صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص"¹ والترسيمة التالية توضح ذلك :



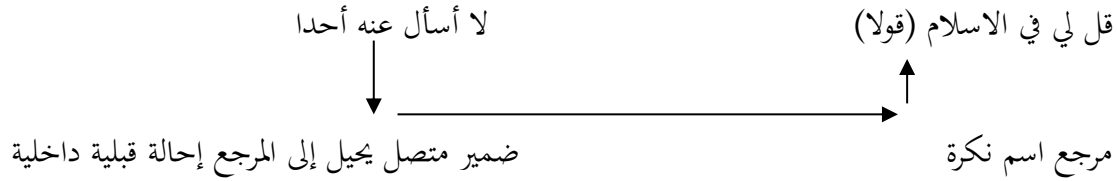
2- الضمير في جملة النعت :

عن أبي عمرو - وقيل أبي عمرة - سفيان بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك ، قال : ﴿ قل آمنتم بالله ثم استقم ﴾² .

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب ، ص: 18.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1991م ، ج 1 ، ص: 65 . (باب كتاب الإيمان) .

الشاهد في هذا الحديث أن لفظة (قولا) جاءت نكرة ، ونعتت بجملة (لا أسأل عنه أحدا) إذ هي في محل نصب نعت ، وقد اتصل بالجملة الضمير (الهاء) في (عنه) ، ويحيل إحالة قبلية داخلية على (قولا) واصلاً بذلك الجملة النعتية بمنعوتها وربطاً إياها به ومحيلاً بدوره على نوعه وعدده .



ولولا وجود الضمير لصار الكلام مفككا ولا معنى له ، فالضمير المتصل هنا عمل على تحقيق الربط عبر مستويات ثلاث ، الأول على المستوى التركيبي ، والثاني على المستوى الدلالي ، والثالث حقق فيه الانسجام على المستوى التداولي ببيان أن أعظم قول في الاسلام الإيمان والاستقامة .

3- الضمير في جملة الحال :

عن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ﴾¹ رواه مسلم . يكشف عليه الصلاة والسلام في حديثه أن البر هو حسن الخلق ، وأن الاثم هو ما اختلج في النفس وحالك أنك قد (كرهت أن يطلع عليه الناس) وهي جملة فعلية فعلها فعل ماض اقترن فيها الفعل (كره) بواو الحال بتاء المخاطب ، وهو الضمير الرابط لجملة الحال بصاحبها وهو ما دل عليه كاف الخطاب ، وهذه الإحالة قبلية من الضمير في جملة الحال على الحال دليل على أن من اختلج الاثم في نفسه هو نفسه من كره أن يطلع عليه الناس ، والمعنى يكشف وحدة النص وتماسكه بواسطة الضمير الذي شد ترابط أجزاء النص ومنعه من التفكك ، فالجملة الحالية تحتاج إلى رابط يربطها بالاسم المعرفة الذي هو صاحب الحال وهذا الرابط هو الضمير أو واو الحال أو الضمير وواو الحال معا ، قال ابن يعيش: " فإذا وقعت الجملة حالا فلا بد فيها مما يعلقها بما قبلها ويربطها به لئلا يتوهم أنها مستأنفة ، وذلك يكون بأحد أمرين إما الواو ، وإما ضمير يعود منها إلى ما قبلها "2 .

4- الضمير في جملة الصلة :

عن أبي هريرة عبد الرحمان بن صخر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ ما نهيتمكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ﴾³ ، رواه البخاري ومسلم .

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص: 1980 . (كتاب البر والصلة والآداب)

² - ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج2 ، ص: 66 .

³ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص: 1830 . (كتاب الفضائل) .

هذا النص مختصر ومقتصد أشد الاقتصاد اللغوي ، يدل على ذلك ورود الأسماء الموصولة فيه وهي أربعة (ما ، ما ، الذين) ، ذكرت (ما) ثلاث مرات و (الذين) مرة واحدة كما يلي :

(ما) لغير العاقل وردت في الحديث ثلاث مرات فجاءت صلتها في الجملة الأولى (نهيتمك عنه) ، وفي الجملة الثانية (أمرتكم به) ، وفي الجملة الثالثة (استطعتم) ، وقد رُبطت جملة الصلة بموصولها في جميع الحالات فالضمير في (عنه) والضمير في (فاجتنبوه) يعود على الاسم الموصول (ما) ، والضمير في (به) و (منه) يعود على الاسم الموصول (ما) والضمير المحذوف والمقدر في جملة (استطعتم) يعود على الاسم الموصول (ما) لأنَّ أصل الجملة (ما استطعتموه) ، وقد ساهمت هذه الروابط في ربط الصلة بموصولها ، وأحالت إلى مرجعها الأصلي وهو الشيء المنهي عنه والمأمور به والمستطاع الإتيان منه ، ويطابق هذا اسم الموصول (ما) الدال في لفظه على المفرد المذكور .

وأما في الجملة الرابعة فجاء الاسم الموصول (الذين) وصلته (من قبلكم كثرة مسائلهم) ، التي رفعت الإبهام عن الموصول واحتوت ضميراً متصلاً يتعلق بالجماعة ، وهو يحيل إلى اسم الموصول الذي سبق ذكره (الذين) ويطابقه في الجمع والتذكير ، وهي إحالة قبلية نصية قريبة جدا.

5- ضَمِيرُ الْفَصْلِ :

ونستشهد بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم ذكره مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو على المنبر يذكر الصدقة: ﴿اليدُّ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى ، واليدُّ العُلْيَا هي المنفِقة والسُّفْلَى هي السَّائِلَةُ﴾¹ .

ورد ما بعد ضمير الفصل خبر لمبتدأ في الحال وهو (المنفقة) ، و(السائلة) ، وقد ساهم ضمير الفصل (هي) في ربط الخبر بالمبتدأ فهو يحيل إلى المرجع المذكور بعده والذي يطابقه في الإفراد والتأنيث، وهي إحالة داخلية لأنَّ المرجع في النص ، كما أنها إحالة قريبة لأنَّ المرجع والضمير لم تطل المسافة بينهما ، وهي إحالة بعيدة عاد فيها الضمير على متأخر.

6- ضَمِيرُ الشَّانِ :

عن أنس رضي الله عنه قال : كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكَ هَذَا ، فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِرُهُ تَعْرُضُ فِي صَلَاتِي﴾² .

¹ - الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله ، موطأ مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المجلد 2 ، 1985م ، ص: 997. (كتاب الصدقة)

² - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2002م ، ص: 105. (كتاب الصلاة) .

الضمير المنصوب الهاء في قوله (فإنه) ضمير الشأن ، اسم إن وخبره الجملة التي بعده ، وهي مفسرة وقد أحال إليها إحالة بعدية قريبة ، وتطابق معها في الأفراد مما أدى إلى تحقيق الاتساق النصي .

النموذج الثالث :

قصيدة (تقوى الله والإحسان إلى الآخرين) لعبد بن الطيب¹.

ما يميز الشعر الجاهلي أنه منبع ثري وغزير، كونه يحمل في طياته الكثير من الإيحاءات الفنية والجمالية التي تنأى عن الإحصاء ، وقد دفع ذلك الكثير من النقاد والدارسين إلى الغوص في خباياه والخوض في غماره لاكتشاف عوالمه المجهولة ، والوقوف على الجمال الفني والأسلوب البياني الدقيق في لغته ، لأن هذه الدلالات مرآة عاكسة لصورة الشاعر في قصيدته ، وصوت مواز يعكس ذات الشاعر ، ومن بين الشعراء الذين وقع اختيارنا عليه هو الشاعر المتميز (عبد بن الطيب) الذي اتسمت قصائده بجزالة اللفظ ورصانة الأسلوب ، ما مكنها إلى أن ترقى إلى مراتب سامية في الشعر رغم قلتها ، ونحن باختيارنا لهذا الشاعر الفدّ حرصنا على أن نبقي سائرين -على الترتيب الزمني- بدءًا بالعصر الجاهلي ، ووصولًا إلى العصر الحديث، ومعلوم أن عبد بن الطيب شاعر مخضرم عاش الزمنين -الجاهلي و صدر الإسلام- على أن اختيارنا لقصيدته (تقوى الله والاحسان إلى الآخرين) كان لسبب آخر :

● أن هذه القصيدة مقررة في النصوص الأدبية لتلاميذ السنة الأولى ثانوي (جدع مشترك آداب وجدع

مشترك علوم) ، وبحكم عملي في التعليم الثانوي وتطريقي لهذا النص أردت أن أتوسع في دراسة متعلق بمظاهر الاتساق والانسجام ، وأفرد بالشرح والتحليل متعلق بالوقوف على الضمائر ودورها في تحقيق الترابط النصي والانسجام المعنوي .

مُناسِبَةُ الْقَصِيدَةِ:

تعكس القصيدة ملمحًا من ملامح تأثر الشعراء بالقيم التي جاء بها الإسلام ، والتي أتمت ما هو حسن من أخلاق العرب وقومت وأصلحت ما هو فاسد و(عبد بن الطيب) في نصه هذا يبدو متأثرًا بتلك القيم النبيلة فيقف مقام الناصح الأمين اتجاه أبنائه ليقدم لهم خلاصة تجربته في الحياة ، ويدلي عليهم هذه النصائح التي امتزجت بقيم الإسلام ، ويدعوهم إلى التمسك بها والسير على نهجها ليدركوا الفلاح والفوز في الدارين .

¹ - شعر عبد بن الطيب ، تحقيق يحيى الجبوري ، دار التربية ، بغداد ، العراق ، 1971 م ص : 43 . وينظر: المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، السنة الأولى جدع مشترك آداب ، تأليف: حسين شلوف ، أحسن تليلاني ، محمد القروي ، وزارة التربية الوطنية ، ص: 91.

ما يميز ضمائر قصيدة عبدة بن الطبيب (تقوى الله والاحسان إلى الآخرين) ، والتي بلغ عدد أبيتها ثلاثين بيتاً كثافة ضمائرها مع التنوع في توظيفها ، على أن هناك ضميرين سيطرا على فضاء القصيدة ، لأنّ مقام النصح الموجه من المتكلم إلى المخاطب يفرض ذلك ، ومن خلال الجدول رقم (01) تتضح لنا أعداد الضمائر في القصيدة وتتمايز أنواعها بنسبها المئوية ، مما يكشف لنا عن الدور الذي أدته هذه الضمائر في تحقيق التماسك النصي ، إذ بلغ العدد الإجمالي للضمائر فيها مئة وأربعة ضمير (104) سيطرت فيها ضمائر الغائب على النسبة الأكبر حيث بلغت نسبتها (70.19%) من العدد الإجمالي للضمائر .

جدول رقم (01) يبين أعداد الضمائر وأنواعها في قصيدة تقوى الله والإحسان إلى الآخرين.

نوع الضمير	ضمائر المتكلم	ضمائر المخاطب	ضمائر الغائب	العدد الإجمالي
التكرار				
العدد	15	16	73	104
النسبة المئوية	14.42%	15.38%	70.19%	100%

ما يلاحظ من خلال الجدول تقارب نسبة حضور ضمائر المتكلم وضمائر الغائب ، إذ بلغت نسبتها معاً (29.80%) ، بينما احتل حضور ضمائر الغائب في صورها المتصلة والمنفصلة والمستترة على النسبة الأعلى وقد تضافرت جميع الضمائر مع أدوات الربط الأخرى في تحقيق التماسك والترابط بين مكونات النص .
أمّا الجدول الثاني فإنه يبين نسبة حضور ضمائر الغائب بأنواعها في النص ، خاصة وأنّ ضمائر الغائب المتصلة مثلت النسبة الأعلى في الحضور ، لأنّ دورها في التماسك النصي واضح ، بإعادة كل واحد منها إلى المفسر المحال عليه ، وهو ما يؤكد قيمة الإحالة التي تحقق للنص التحامه وتماسكه ، وذلك بالوصل بين أوامر مقطع ما أو الوصل بين مختلف مقاطع النص .

جدول رقم (02) يبين توزيع أعداد ضمائر الغائب وأنواعها في قصيدة تقوى الله والإحسان إلى الآخرين.

نوع الضمير	ضمائر الغائب المتصلة	ضمائر الغائب المستترة	ضمائر الغائب المنفصلة	العدد الإجمالي
التكرار				
العدد	35	36	02	73
النسبة المئوية	47.94%	49.31%	2.73%	100%

بناءً على ما سبق يمكن القول أنّ الضمائر بأنواعها ساهمت في إحداث التماسك النصي في القصيدة على مستوى الجملة ، وعلى مستوى المقطع ، وعلى مستوى النص ، كما تميزت بتنوع العناصر المحيلة إليها وهذا الذي يميز النص الشعري الذي يحكمه خيط شعوري يؤكد ترابطه ووحدته المعنوية .

وللوقوف على مثال يعكس هذه السمة حول تتابع الضمائر في القصيدة ، والدور الذي تؤديه على مستوى الانسجام والتكامل النصي الذي يجعل قارئ النص متمسكاً بالفكرة ، والموضوع واعياً للرسالة المقصودة من الخطاب المترابط والمتماسك عن طريق كثافة الضمائر التي تشكل نسيجاً محكما ومتلاحماً ، ويمكن توضيح هذا في مقطع من مقاطع القصيدة¹ :

لا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيَّهُمْ بين القوابل بالعداوة يُشْعُ
فَصِلتْ عداوتُهُمْ على أحلامهم وأبت ضباب صدورهم لا تُنرَعُ
قَوْمٌ إذا دَمَسَ الظلُّمُ عليهم حُدِّجُوا قنَافِدَ بالْنَمِيمَةِ تَمزَعُ

إنَّ التأمل في هذا المقطع يجعلنا ندرك أنَّ النص على درجة عالية من التماسك والترابط ، بكثافة الضمير المتصل (هم) ، الذي تكرر في الأبيات خمس مرات عائداً على (القوم) ، وفق الترتيب الآتي: (صبيهم ، عداوتهم أحلامهم صدورهم ، عليهم) ، وبالنظر إلى الأبيات من ناحية اللفظ ومن ناحية المضمون والإيقاع ، نلمس شدة التماسك وسهولة الانسياب والترابط الذي فعَّله الضمير المحيل ، والحاضر بكثافة في المقطع ، وهذا الذي يجعل القارئ مستحضرًا الفكرة الرئيسية التي يريد الشاعر تأكيدها لأبنائه ، وهي تحذيرهم من (القوم) الذين يكبر طفلهم على البغضاء ، والذين يفضِّلون العداوة على الحلم ، والذين امتلئت صدورهم بالحقد ، فسهروا بالْنَمِيمَةِ والاحتيال في الشر.

ومما يلفت النظر في الأبيات الشعرية أنَّ الضمير الرابط (العنصر الإحالي : هم) ، توزع على الأسماء والحروف من حيث الاتصال ، ونجده في موطن آخر اتصل بالفعل (تروثهم) (البيت 18) ، وقد جاء هذا الاتصال وفق انتظام إيقاعي أضفى على توزيع هذا العنصر الإحالي المكرر إيقاعاً خاصاً ، وزيادة في التماسك والترابط النصي العميق.

بعد أن عرضنا إجمالاً توزيع الضمائر في قصيدة **عبد بن الطبيب** ، وبيَّنا نسبة حضورها في النص إضافةً إلى تقديم مثال أظهرنا فيه دور الضمائر في الإحالة وتقييد المعنى في مقطع من مقاطع القصيدة ، بقي لنا أن نعرض جوانب أخرى يعمل فيها الضمير على زيادة الترابط والتماسك النصي وذلك في :

1- الضمير في جملة الخبر :

وردت جملة الخبر - في النص - في مواضع متعددة وبأنماط متنوعة سيطرت فيها الجملة الخبرية الفعلية مقارنة بأنماط الجملة الخبرية الأخرى ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر في البيت الأول :

أبني إني قد كبرت وزابني بصري وفي لمصلحٍ مستمتعٌ

¹ - شعر عبد بن الطبيب ، ص: 48.47.

ومنها قوله في البيت السابع:

أوصيكم بتقى الإله فإنه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع

ومنها ماورد في البيت التاسع :

إنَّ الكبيرَ إذا عصاهُ أهله ضاقت يداهُ بأمره ما يصنعُ

ومنها ماورد أيضًا في البيت العاشر :

ودعوا الضَّعينة لا تكن من شأنكم إنَّ الضغائن للقرابة توضع

وسنقف على المثال الأول لنبين دور الضمير في إحداث الترابط النصي فالشاعر في هذا البيت يوجه نداءه لأبنائه مبيّنًا لهم أنه قد بلغ من الكبر عتيا ، وقد أحاله كبره هذا إلى ضعف بصره لكنه مع ذلك لا زال قادرًا على تقديم العون والنصيحة لهم ، وهو يؤكد ذلك بحرف التوكيد (إني) وأتبعها بجملة فعلية مسبوقه بحرف التحقيق (قد) ونجد في هذه الجملة الفاعل ضمير المفرد المتصل بالفعل (كبرت) وهو (التاء) هذا الضمير يعود إلى ضمير (الياء) المتصل بالحرف الناسخ (إنَّ) ، وهو اسمها وأصله مبتدأ قبل دخول الناسخ عليه (فالتاء) تحيل إلى طرف الحوار الأول وهو المتكلم (الشاعر) ، الذي دلت عليه الياء المتصلة بالحرف الناسخ ، وبوجود الضميرين وإحالة التاء إلى الياء تتحدد أطراف الخطاب ويتماسك النص بواسطة الضمائر المتصلة في جملة الخبر ، والتي تتميز بتطابقها في عددها وجنسها بحيث لا يمكن أن يتم الربط بالضمير مالم تكن هذه الضمائر متطابقة ، فهي تساهم في الربط إلى جانب أمن اللبس وجلاء المعنى.

كما أنَّ الجملة الفعلية الخبرية (كبرت) هي جملة مستقلة بذاتها ، وبتصالها (بالتاء) صحَّ أن تكون خبرا ل (إنَّ) وهذا يبين لنا قيمة هذا الضمير المتصل في الربط ، ووصل جملة الخبر بما كان في الأصل مبتدأ ولولا هذا الضمير لاعتُبرت الجملة أجنبية عما يسبقها بسبب غياب ما يربطها به، مما يؤدي إلى وجود خللٍ في التركيب وتنافر في المعنى ، والذي دلنا عليه هو سياق الحال ، فالشاعر يخبرنا بكبر سنه وضعف بصره (فالتاء والياء) أحوالا إلى المتكلم وهو الشاعر وهي إحالة داخل النص من حيث سبق الذكر.

2- الضمير في جملة النعت:

من الجمل التي وردت بكثرة في نص القصيدة ، نجد جملة النعت وهي أيضًا من الجمل التي لا بدَّ من أن تشمل "على ضمير يربطها بالمنعوت"¹ ، ومن أمثلتها في النص ماورد في البيت الثاني في جملة (تبقى لكم منها) وما ورد في البيت الرابع عشر في جملة (يشبُّ صبيهم) في قوله:

لا تأمنوا قوما يشب صبيهم بين القوابل بالعداوة يُنشع

وما ورد في البيت الخامس والعشرين في جملة (يكره وردها، تسفي علي) في قوله:

وتركت في غرباء يكره وردها تسفي علي الريح حين أودع

¹ - المرادي: ابن أم قاسم ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، ج3 ، ص953 .

والشاهد في الأبيات ورود الألفاظ (مساعيا) و (قوما) و (غبراء) نكرة ونُعتت بجمل فعلية ورد في كل منها ضمير الغائب المتصل (الهاء) و (هم) ، وقد اقترن الضميران المقترن في المثال الأول بحرف الجر (من) وفي المثال الثاني بالفاعل (صبيهم) وفي المثال الثالث بنائب الفاعل (وردھا) ، وقد عادت جميع الضمائر على منعوتها وهو في المثال الأول (مساعيا) وفي المثال الثاني (قوما) وفي المثال الثالث (غبراء) وقد أحالت هذه الضمائر على منعوتها إحالة داخلية ، لأنَّ المرجع موجود في النص وهو المنعوت ، وهي قبلية لأنَّ المرجع سابق للضمير وقد تطابقت الضمائر مع منعوتها في الإفراد والتأنيث (المثال الأول والمثال الثالث) ، وفي الجمع والتذكير (المثال الثاني) وهنا يتضح لنا الدور الذي أدته الضمائر في الربط بين السابق واللاحق ، والكشف عن المعنى ولولا وجود هذه الضمائر لانصرفت العلاقة بين النعت والمنعوت ، وأدى ذلك إلى الخلل في المعنى .

3- الضمير في جملة الحال :

لا بدَّ أيضا في الحال الجملة من رابط يربطها بصاحبها ، وربطها إمَّا الواو أو الضمير أو كلاهما ، ويؤدي هذا الربط إلى وصل المعنى بين الجملتين ، ومن الأمثلة التي ورد فيها الضمير في جملة الحال ما جاء في البيت الواحد والعشرين والبيت الرابع والعشرين ففي البيت 21 جاءت جملة الحال اسمية مكونة من (واو الحال) ، والضمير المنفصل (هم) في محل رفع مبتدأ وما بعده خبر ، يقول الشاعر:

أصدرتهم فيه أفومٌ درأهم عَضَّ الثِّقَافِ وَهُمْ ضِمَاءٌ جَوْعُ

وقد ربطت هذه الجملة (بواو الحال والضمير معا) وهذا الضمير يحيل إحالة إلى سابق وهو صاحب الحال الذي مهد الشاعر إلى ذكره في البيت 19 وهم (القوم) ، في قوله:

وَتَنِيَّةٍ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ عَزَّةٍ فَرَجَّتْ يَدَايَ فَكَانَ فِيهَا الْمَطْلَعُ

وما يميز هذه الإحالة أنها إحالة قبلية نصية. ومنها أيضا ماورد في البيت 24 يقول الشاعر :

فبكى بناتي شجوهنَّ وزوجتي والأقربونَ إليَّ ثمَّ تصدَّعوا

فقد جاءت الجملة الحالية فعلية معطوفة بحرف العطف (ثم) مكونة من الفعل الماضي (تصدع) و (واو الجماعة) الدالة على الفاعلين ، والذي يحيل إلى سابق وهم أصحاب الحال (بناتي، زوجتي الأقربون) فهذا الضمير أحال إحالة نصية قريبة ، مما يجعل من الضمير في الجملة الحالية ذا فائدة وهي ناتجة عن وحدة النص وتماسكه واتساقه والتي قامت بواسطة الضمير الذي شد ترابط أجزاء النص ومنعه من التفكك فالجملة الحالية تحتاج إلى رابط يربطها بالاسم المعرفة الذي هو صاحب الحال ، وهذا الرابط هو الضمير أو واو الحال أو الضمير وواو الحال معًا قال ابن يعيش: "إذا وقعت الجملة حالًا فلا بدَّ فيها مما يعلقها بما قبلها ويربطها به لئلا يُتوهم أنها مستأنفة وذلك يكون بأحد أمرين، إمَّا الواو، وإمَّا ضمير يعود منها إلى ما قبلها"¹ .

¹ - ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج2 ، ص:66.

4- الضمير في جملة الصلة:

الجملة الموصول بها الأسماء لا يربطها غالبًا إلا الضمير ويكون هذا الضمير مذكورًا أو مقدرًا ، وقد يُعني عن الضمير في الربط اسمٌ ظاهر يقع موقع ذلك الضمير وهو قليل وفي قصيدة عبدة بن الطبيب نجد بعض الأبيات قد احتوت على جملة الصلة وورد فيها الضمير مساهمًا في تماسك الأبيات واتساقها ومن نماذجها ماورد في البيت الخامس والبيت السابع والبيت الحادي عشر والبيت الثامن والعشرين وقد جاءت صلة الموصول في الأبيات على النحو الآتي : في البيت الخامس ورد الاسم الموصول (الذي) وصلته الجملة الفعلية (يغنيكم) في قوله:

ولهى من الكسب الذي يغنيكم يوما إذا احتضر النفوس المطمع

وكذلك ورد الاسم الموصول (الذي) في البيت الحادي عشر ، يقول:

واعصوا الذي يُزجي النمائم بينكم مُتَنَصِّحًا ذَاكَ السِّمَامُ المنقُع

وفي البيتين يُقدر فيهما الضمير (هو) العائد والمحيل إلى الموصول (الذي) إحالة قبلية قريبة وبواسطة هذا الضمير رُفِعَ الإبهام على الموصول .

وفي البيت السابع ورد الاسم الموصول (من) للعاقل وصلتها الجملة الفعلية (يشاء ، ويمنع) وأصلها (من يشاؤه ويمنعه) يقول الشاعر:

أوصيكم بتقى الإله فإنه يُعطي الرغائب من يشاء ويمنع

وبالتالي فإنَّ الضمير الرابط بين الصلة وموصولها هو (الماء) المحذوفة ، وبالتالي فإنَّ هذا الضمير ينسج خيوط التركيب ويحيل إلى الاسم الموصول (من) ، وهي إحالة قبلية نصية قريبة جدًا ، ولولا هذا الضمير المحيل لحدث انكسار على مستوى التركيب ، وانقطعت علاقة الاتساق بين جملة الصلة وموصولها .

وأما في البيت الثامن والعشرين فقد جاء الاسم الموصول (ما) لغير العاقل ، يقول الشاعر:

يسعى ويجمع جاهداً مُستهتراً جِداً وليس بأكلٍ ما يجمع

الملاحظ أنَّ الاسم الموصول (ما) تُبع بصلته في جملة (يجمع) وأصلها (يجمعه) وفيها حُذِفَ ضمير الغائب المتصل وهو (الماء) ، الذي بواسطته تم الربط بين الصلة وموصولها من جهةٍ وأحال إلى مرجعه الأصلي وهو (الشيء المجموع) ، وفي هذا تطابق بين الصلة وموصولها ، فالصلة تطابق الاسم الموصول المشترك (ما) والبدال في لفظه على المفرد المذكور .

5- ضمير الشأن :

ذكرنا سابقاً أنَّ ضمير الشأن يعود دائماً إلى ما بعده ، أي أنَّ مرجعه متأخرٌ عنه ، وهذا المرجع لا يكون إلا جملة مفسرة له ولا تتقدم عليه ، مما يجعل إحالته بعدية لاحقة ، ومن الشواهد التي وردت في قصيدة عبدة بن الطبيب ما ذكره في البيت السابع ، يقول عبدة:

أوصيكم بتقى الإله فإنه يُعطي الرغائب من يشاء ويمنع

إذُ إننا نجد في هذا البيت الضمير المتصل للمفرد الغائب (الهاء) الواقع اسماً للناسخ في (فإنه) ، هو ضمير شأن فسرته الجملة الفعلية بعده (يعطي الرغائب) ، وهي خبر للناسخ (إن) وضمير الشأن (الهاء) قد أحال إليها إحالة بعيدة قريبة وتطابق مع شأن الإعطاء والمنع ، فضمير الشأن بإحالاته البعيدة قد حقق نوعاً آخر من اتساق النص يختلف عن الذي تفعله معظم الضمائر التي تحيل في النص إحالات قبلية.

النموذج الرابع :

أ- قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة الأندلسي¹.

تعكس قصيدة وصف الجبل حالة نفسية منفردة ، ميزت شعر ابن خفاجة خاصة وأنه عُرف بشاعر الطبيعة المرح لكننا نجده في هذه القصيدة يتصل من مرحة وابتهاجه لبيث لنا لواعج نفسه ، وينفث عباراته الممزوجة بالأسى وهو إن بدأ قصيدته بوصف الجبل ، فإن وصفه مثل مرحلة البداية للدخول إلى عالم شعوري حزين ، وفي محاورته للجبل واستنطاقه إسقاطاً لما يعانیه ابن خفاجة وهو الذي كبر سنُّه ورق عظمه ، ومضى كلُّ أحبابه الذين طاحت بهم ريح النوى والنوائب ، وإن بدى للناس شامخاً كالجبل . لكنه تقهقر وتصدع ولم يبق له في الدنيا سوى أن يمد راحته لله داعياً ومترجياً أن يمضي إلى قدره كما مضى أحبابه وخلانه .

ومثلما وقع اختيارنا على قصيدة **عبد بن الطبيب** (تقوى الله) كونها مقررة لتلاميذ السنة الأولى ثانوي ، فإنَّ السبب ذاته دفعنا لاختيار قصيدة **(وصف الجبل) لابن خفاجة** -والتي تتكون من ستة وعشرين بيتاً- لأنها أيضاً مقررة لتلاميذ السنة الثانية (أدبي وعلمي) ، ورغبة منا في إثراء البحث والتوسع في دراسة مظهر من مظاهر الاتساق وهي (الضمائر) ، وتبيان دورها في إحداث التماسك والترابط النصي فإننا سنقوم بإحصائها ورصدها حسب ما يبينه الجدولان الآتيان:

جدول رقم (01) يبين أعداد الضمائر وأنواعها في قصيدة (وصف الجبل) .

العدد الإجمالي	ضمائر الغائب	ضمائر المخاطب	ضمائر المتكلم	نوع الضمير التكرار
72	38	04	30	العدد
%100	% 52.77	% 05.55	% 41.66	النسبة المئوية

يبين الجدول رقم (01) أعداد الضمائر وأنواعها ، وقد بلغ إجماليها 72 ضميراً سيطرت فيها ضمائر الغائب والتي بلغ عددها 38 ضميراً بنسبة قدرت بـ (52.77%) من العدد الإجمالي للضمائر في القصيدة .

¹ - ينظر: أبو بكر الصادق سعد الله وكمال خلفي و مصطفى هواري ، الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي ، شعبة آداب وفلسفة ، آداب ولغات أجنبية ، وزارة التربية الوطنية ، ص: 170.

وبما أنّ هذا النوع من الضمائر هو الذي سيطر على فضاء النصّ ، فإننا سنوزعه بحسب أصنافه الثلاثة :
المتصلة والمنفصلة ، والمستترة ، والجدول رقم (02) يبين توزيع أعداد ضمائر الغائب ونسبها المئوية وأنواعها .
جدول رقم (02) يبين توزيع أعداد ضمائر الغائب وأنواعها في قصيدة (وصف الجبل) .

نوع الضمير التكرار	ضمائر الغائب المتصلة	ضمائر الغائب المستترة	ضمائر الغائب المنفصلة	العدد الإجمالي
العدد	14	23	01	38
النسبة المئوية	36.84 %	60.52%	02.63 %	100%

يبدو واضحًا من خلال الجدول ، تصدر ضمائر الغائب المستترة على النوعين الآخرين ، بنسبة مئوية بلغت (60.52%) من العدد الإجمالي لضمائر الغائب في القصيدة .

للشاعر أدواته الفنية الخاصة والتي يعمد إلى استخدامها ليعبر عن تجربته الشعورية ، ولكي يبيث في آدائه الشعري حركية وحيوية ويكسر نمطية الرتبة في الأداء يعمد إلى توظيف الضمائر ومزجها في نصه الشعري ، ذلك لأنّ الضمير يعوض محل الاسم العائد له من حيث إنه "يغني عن ذكر الاسم ويقوم مقامه"¹ ، وهذا ما يجعل الكلام غير مباشر وبالاعتماد على آلية التعويض بالضمائر يتحول إلى المباشر ، ويسهم هذا التعويض في زيادة الإثارة والتشويق لما هو آتٍ ، خاصّةً عندما يجمع الشاعر في نصه أنواعا من الضمائر ، ويغايير بينها لأنّ الضمير يحمل دلالة الحضور ، كما يحمل أيضا دلالة الغياب فهو "لايستقل بالمعنى أبدا ، وإنما يقوم بأداء مهمته الإنتاجية عند حضور المرجع"².

وحين يقف المتلقي على ضمير في النص الشعري ، فإنه يندفع باحثًا في معنى النص ليجد ما هو غائب ويقف على المتكلم والمخاطب ، وهذا ما يزيد من القيمة اللغوية للنص الشعري وسنقف على ذلك من خلال:

ب- تنوع المجال الإحالي للضمائر:

إنّ ما تتميز به الروابط الإحالية في قصيدة (وصف الجبل) لابن خفاجة تنوع مداها ومجالها الإحالي وتتبع هذه الضمائر نقف على نماذج متعددة منها ، كما نقف على دورها في تحقيق التماسك النصي ، وذلك تأكيدًا لمبادئ لسانيات النص التي تقر "بأنّ الملفوظ يكتمل نصا عندما تترايط أجزاءه باعتماد الروابط الإحالية وهذه الروابط تختلف من حيث مداها ومجالها ، فبعضها يقف في حدود الجملة الواحدة يربط عناصرها الواحد منها بالآخر وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص"³ ، وهذا التنوع في المسافات الإشارية وعناصرها الإحالية إنّما قرّبًا أو بعدًا مُهم جدًا ، لأنه يكشف لنا عن الدور الذي تؤديه هذه العناصر في التماسك فكل رباط

¹ - حلمي محمد عبد الهادي الهادي ، في قواعد اللغة العربية . دار الفكر العربي ، 1987م ، ص : 37 .

² - محمد عبد المطلب ، مناورات شعرية ، دار الشروق ، ط1 ، 1996م ، ص : 16 .

³ - الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص : 124 .

من هذه الروابط "متصل بما يناسبه أشد الاتصال من حيث الدلالة والمعنى"¹ ، ويمتد هذا الترابط والتماسك ليشمل كلية النص بما فيها وحداته النصية .

وقد ذكرنا في ثنايا البحث- سابقاً- أن الإحالة ذات المدى القريب "تكون على مستوى الجملة الواحدة"²، وبالتالي فإنَّ الاتساق الذي تؤديه يكون على مستوى الجملة الواحدة ، لكن هذا لا يلغي دورها في تحقيق الترابط والتماسك النصي الكلي ، لأنها جزءٌ مهمٌّ في شبكة الروابط النصية المتماسكة ، وسنعرض مثلاً من القصيدة نقف فيه على المجال الإحالي للعناصر الإحالية والإشارية ، ونكشف عن قوة التماسك والترابط فيها ومن ذلك قول الشاعر :

وأرعن طمّاح الدُّوَابَةَ بِأَذخٍ يُطاولُ أعنانَ السَّماءِ بغارٍ
يسدُّ مهبَّ الرِّيحِ عن كلِّ وَجْهَةٍ ويَزحُمُ ليلاً شُهْبَهُ بالمناكبِ
وَقُوْرٌ على ظَهرِ الفِلاَةِ كأنَّه طوالُ اللَّيالي مُفكَّرٌ في العواقبِ
يلوْثُ عليه العَيْمُ سوْدَ عَمائِمٍ لها من وميضِ البرقِ حمْرُ دَوائبِ

نجد في هذه الأبيات الضمائر المستترة في الأفعال (يطاول ، يسد ، يزحم ، يزحم ، قال ، تبتل ، مر ، قال ، لاطم زاحم) والمتصلة في (شهبه ، كأنه ، عليه ، لها) ، تنتمي إلى الضمائر ذات الإحالة للمدى القريب على مستوى الجملة والجمل المجاورة ، وتحقق ترابطاً وانسجاماً لا يخفى ، وذلك لقرب المسافة بين المحيل والمحال عليه ، إذ لا تتجاوز الكلمات بينهما كلمات قليلة .

ومن مظاهر الاتساق في النص ما تم على مستوى الإحالة ذات المدى البعيد ، وهي التي "تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص"³ ، ويظهر دور هذا النوع من الإحالة في تحقيق الترابط النصي بشكل أوضح لأنها تعمل على ترتيب الأفكار والجمل ، وتربط المقاطع ببعضها لأن هذه الضمائر "أكبر من مجرد أدوات ربط تحيل على ماهو سابق أو ماهو لاحق ، إنها بنى لا ينفصل فيها الجزء عن الكل ولا الكل عن أجزائه المكونة له"⁴ . ومن أمثلتها في النص ما ورد ابتداء من (البيت 24) حيث نجد العناصر الإحالية بداية من هذا البيت ووصولاً إلى نهاية النص (البيت 26) ، ترجع إلى العنصر الإشاري (وأرعن طمّاح) وهي متتابعة ومتنوعة من القريب إلى البعيد .

ومن ذلك قول الشاعر :

فَأَسْمَعِي مِنْ وَعْظِهِ كُلَّ عِبْرَةٍ يُتْرَجِمُها عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ
فَسَلِّي بِمَا أَبْكِي وَسَرِّي بِمَا شَجَا وَكَانَ على عَهْدِ السُّرى خَيْرَ صَاحِبِ
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ نُكِّبْتُ لِطِيَّةٍ سَلامٌ فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ

1- الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص: 124.

2- أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 120.

3- المرجع السابق، ص: 124.

4- محمد عبد الباسط عيد ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2009م ، ص: 32.

إنَّ هذا المقطع النصي المكوّن من ثلاثة أبياتٍ ، يتضمن تسعة ضمائر تعود على مرجع واحد (أرعن طماح) على النحو الآتي: (أسمعني ، وعظه ، عنه ، سلى ، أبكى ، سرى ، شجا ، كان ، عنه) وبالوقوف على آخر ضمير متصل بحرف الجر (عن) نجد كلمات كثيرة جدا تفصل هذا الضمير عن مرجعه المحال إليه (العنصر الإشاري أرعن طماح) ، مما يعكس لنا دور الإحالة بعيدة المدى في تحقيق التماسك ، بحيث لا يجد القارئ صعوبة في ردّ هذه الضمائر إلى مرجعها ، وكذا الوقوف على الدور الذي تؤديه في تحقيق الاتساق والانسجام النصي .
ومن مظاهر الاتساق التي نضيفها على العناصر الإحالية ما توفرت عليه الجمل الخبرية والوصفية والإحالية إضافةً إلى جملة الصلة ، فهذه الضمائر ساهمت هي الأخرى في إحداث الترابط بين أجزاء النص ومنها على سبيل التمثيل:

1- الضمير في جملة الخبر :

من ذلك ما ورد في البيت العاشر ، يقول الشاعر:

وأرعن طمّاح الذوّابةِ باذخٍ يُطاولُ أعنانَ السّماءِ بغاربٍ

المبتدأ في هذا البيت كلمة (أرعن) المسبوقة (بواو رب) ، وهي حرف جرّ شبيه بالزائد و (أرعن) اسمٌ مجرورٌ لفظاً مرفوعٌ محلاً على أنه مبتدأ ، وجاء خبر المبتدأ جملةً فعليةً فعلها مضارع (يطاول) ، وهذه الجملة تتضمن ضميراً مستتراً تقديره (هو) الذي يربط الجملة الخبرية بمبتدئها ويحيل إليه إحالةً قبليةً داخليةً ، ودلّ على معنى الطول والشموخ الذي يتصف به الجبل ، وبفضل هذه الإحالة فإننا لم نحتاج إلى البحث خارج النص لمعرفة المراد بالضمير المستتر ، لأنّ هذه الإحالة حققت الاتساق النصي .

2- الضمير في جملة النعت:

من ذلك ما ورد في البيت الواحد والعشرين ، يقول الشاعر :

فحتّى متى أبقي ويطعنُ صاحبٌ أودّعَ منه راحلاً غير آيبٍ

في البيت جاءت لفظة (صاحب) نكرة ونعتت بجملة فعلية فعلها مضارع (أودع منه) ، تضمنت ضمير الغائب المتصل بحرف الجر (من) ، وهذا الضمير عاد على منعوته وهو (صاحب) ، وأحال إليه إحالةً قبليةً وقد تطابق هذا الضمير مع منعوته في الأفراد والتذكير ، كما أنّ هذه الإحالة داخلية لأنّ المرجع موجودٌ في النص وهو سابقٌ للضمير وقريبٌ منه لأنهما موجودان في تركيب لغوي واحد مما أحدث تماسكاً وترابطاً فيه .

3- الضمير في جملة الحال :

من ذلك ما ورد في البيت الرابع عشر يقول الشاعر :

أصحّتُ إليه وهو أحرصُ صامتٌ فحدّثني ليلُ السّرى بالعجائبِ

جاءت الجملة الحالية في البيت اسمية (وهو أحرص) ، وقد ارتبطت بصاحب الحال (الجبل) بواسطة رابطتين هما (الواو) والضمير المنفصل (هو) ، وهذا الضمير بارزٌ في النص يحيل إحالةً قبليةً داخليةً إلى مرجعه

(الجميل) ولو لم يكن هذا الضمير موجوداً لحدث تفكك في التركيب وفقدت اللغة اتساقها ، ونشير هنا إلى أن الضمير يجب أن يكون متأخراً عن المرجع ليؤدّي وظيفة الرّبط والسّبك بين أوصال التّركيب.

4- الضمير في جملة الصلة :

من ذلك ما ورد في البيت الخامس والعشرين ، يقول الشاعر:

فَسَلَىٰ بِمَا أَبْكَىٰ وَسَرَىٰ بِمَا شَجَا وَكَانَ عَلَىٰ عَهْدِ الشُّرَىٰ حَيْرِ صَاحِبِ

في هذا البيت ورد الاسم الموصول (ما) ، وهو لغير العاقل تبع بصلة جملتها فعلية (أبكى) و (شجا) وأصل الجملتين (أبكاه) و (شجاه) ، وفيهما حذف ضمير الغائب المتصل وهو (الهاء) ، وهذا الضمير هو الذي ربط بين الصلة وموصولها من جهة ، وأحال إلى المرجع الأصلي وهو (الشيء المبكي والمشجي)، وقد تطابق أيضاً مع الاسم الموصول (ما) في الإفراد والتذكير ، وقد ساهم الضمير في ترابط النص وتماسكه .

5- الرّبط بضمير الشأن:

من ذلك ماورد في البيت الثاني عشر قال الشاعر :

وَقُوِّرَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ طَوَالَ اللَّيَالِي مَفَكَّرَ فِي الْعَوَاقِبِ

الشاهد في هذا البيت ورود الحرف المشبه بالفعل (كأنه) ، وقد اتصل به ضمير المفرد الغائب (الهاء) الواقع اسماً للناسخ ، وهو ضمير الشأن فسرتة الجملة الواقعة بعده (طوال الليالي مفكر في العواقب) ، وقد وقعت هذه الجملة خيرا للحرف المشبه بالفعل ، وقد أحال ضمير الشأن (الهاء) إليها إحالة بعدية قريبة ، وتطابق مع شأن التفكير في العواقب في الإفراد والتذكير ، وهو بهذه الإحالة البعدية قد حقق نوعا مختلفا من اتساق النص والذي عهدنا في أن تحيل الاحالات إلى مراجعها إحالات قبلية .

النموذج الخامس:

أ- قصيدة (من وحي المنفى) ، لأحمد شوقي.

هذه القصيدة تتكون من ثلاثة وثمانين بيتا ، نظمها أمير الشعراء في منفاه بإسبانيا ، وفيها يحنُّ للوطن العزيز ويصف كثيراً من مشاهدته ومعاهده مميّاً النفس أن يؤوب إليه¹ ، وتدرج القصيدة ضمن أدب الغربة وهي مقررة لتلاميذ السنة الثالثة (آداب وفلسفة وآداب ولغات) ، وقد وقع اختيارنا عليها رغبةً منا في الوقوف على محاكاة الشاعر أحمد شوقي للشاعر الأندلسي ابن زيدون في نونيته المشهورة ، خاصةً وأنَّ أمير الشعراء قد تقمّص روح ابن زيدون في هذه القصيدة ، فشاكله إحساساً ومعنى ووزناً ، إضافةً إلى استنطاق الشعر (الإسباني الأندلسي) عند شاعرٍ من العصر الحديث ، حتى يتسنى لنا مقارنته بصنوه ابن خفاجة في قصيدته (وصف الجبل) زد على هذا رغبةً الوقوف على مواطن الترابط والاتساق والانسجام في هذا النص المميز وال جذاب ، وسنتتبع-

¹ - أحمد شوقي ، الشوقيات ، الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1988م ، ج2 ، ص: 104.

اختصاراً- هذه المظاهر في المقطع الشعري المقرر لتلاميذ السنة الثالثة في كتاب (اللغة العربية وآدابها) وعدد أبياته ثمانية عشر بيتاً شعرياً¹.

• جدول رقم (01) يبين أعداد الضمائر وأنواعها في قصيدة من وحي المنفى .

العدد الإجمالي	ضمائر الغائب	ضمائر المخاطب	ضمائر المتكلم	نوع الضمير التكرار
69	28	7	34	العدد
%100	% 40.57	% 10.14	% 49.27	النسبة المئوية

يبين الجدول رقم (01) أعداد الضمائر وأنواعها ، وقد بلغ عددها إجمالاً 69 ضميراً سيطرت فيها ضمائر المتكلم والتي بلغ عددها 34 ضميراً بنسبة قدرت بـ (49.27%) من العدد الإجمالي للضمائر في القصيدة.

والسبب وراء سيطرة هذا النوع من الضمير ، هو أنّ الشاعر أحمد شوقي يكشف عن حزنه وألمه ويصف معاناته في الغربة ، وهو يتذكر أيام الصبا بكثير من الألم والوجع ممناً النفس أن يعود إلى وطنه. وتأتي ضمائر الغائب في المرتبة الثانية من حيث توزيعها في فضاء القصيدة وعددها 28 ضميراً بنسبة مئوية بلغت (40.57%) ، وهي من الضمائر المحققة للترابط والاتساق ، لأننا نحيل بها إلى المرجع بواسطة عناصرها الإحالية وعناصرها الإشارية ، وتقسّم هذه الضمائر إلى أصنافها الثلاثة: المتصلة والمنفصلة والمستترة والجدول رقم (02) يبين توزيع أعداد ضمائر الغائب ونسبها المئوية وأنواعها .

• جدول رقم (02) يبين توزيع أعداد ضمائر الغائب وأنواعها في قصيدة من وحي المنفى .

العدد الإجمالي	ضمائر الغائب المنفصلة	ضمائر الغائب المستترة	ضمائر الغائب المتصلة	نوع الضمير التكرار
28	01	17	10	العدد
%100	% 03.84	% 57.69	% 38.46	النسبة المئوية

كما أشرنا سابقاً فإننا سنقتصر على تتبع ضمائر الغائب في القصيدة ، والتي لها الدور الأكبر في تحقيق التماسك النصي ، وذلك لأنّ الغائب لا بدّ أن يُفسر داخل النص ، فلا يتبعه المقام مفسراً خلافاً لضمائر المتكلم والمخاطب التي تحيل عادة إحالات مقامية نصية².

¹ - دراجي سعدي و سليمان بورنان ونجاة سليمان ومدني شحامي والشريف مربي ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة ثانوي للشعبتين آداب وفلسفة و أداب ولغات ، ووزارة التربية الوطنية ، ص: 60.59.

² - ينظر: سليمان بوراس ، الضمير ودوره في التشكيل الإحالي ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، ديسمبر 2014م ، ص: 32.

إنَّ ما يميز قصيدة (من وحي المنفى) لأحمد شوقي تعدد ضمائرها الإحالية ، التي ترجع لعنصرٍ إشاريٍّ واحدٍ ولا شك أنَّ هذه السِّمة تحقق تماسكًا نصيًّا كبيرًا ، كما تكشف عن الحالة الشعورية للشاعر الذي اضطرت في صدره أحاسيس ملتبهة وهو بعيد عن وطنه ، إذ إننا نجد في النص ضمائر (عناصر إحالية) ، تعود لمرجع واحد (عنصرٍ إشاري) متزاوغة ما بين أربعة ضمائر للمرجع الواحد ، وتقل لتصل إلى ضمير للمرجع الواحد في حالات أخرى ، وسنقف على هذه الخاصية للضمائر من خلال الجدول الآتي:

• جدول رقم (03) تعدد الضمائر الخيلة للمرجع الواحد .

التسلسل	أرقام الأبيات	المرجع(العنصر الإشاري)	عدد الضمائر الخيلة إليه	تحديد الضمائر الخيلة (العناصر الإحالية)
أ	02	غير أن يدا	02	قصت (هي) جالت (هي)
ب	04	إن يك الجنس	01	فرقنا (هو)
ج	05 06	لكن مصر	04	أغضت (هي) تسقيننا (هي) جوانبها حافاتها
د	07	لم نخل من روح وريحان	02	يراوحنا (هو) يغاديننا (هو)
هـ	08	كأم موسى	03	تكفلنا (هي) ذهبت (هي) تلقينا (هي) وباسمه
و	09 10	ساري البرق	03	يرمي (هو) يهمي (هو) ترقرق (هو)
ز	11	قف إلى النيل	01	خمائله
ح	12	آس من	03	بات (هو) يذوي (هو) يضي (هو)
ط	13	إلى الذين ودهم الصابي	03	غيرهم ودهم هو
ي	15	جئنا إلى الصبر	02	ندعوه يأخذ (هو)
ك	16	سعيًا إلى مصر	01	فيها

ل	17	لو غاب كل عزيز	03	عنه يأتيه
	18			له

من خلال استقراءنا للجدول نجد أن العدد الإجمالي للعناصر الإحالية المتمثلة بضمائر الغائب في المواضع المذكورة بلغ تسعة وعشرين ضميراً (29) ، في حين بلغ العدد الإجمالي للعناصر الإشارية (المراجع) التي تُفسّر هذه الضمائر المرتبطة بها أحد عشر عنصراً إشارياً (15) ، ويمكن التعبير عن ذلك بتقسيم العناصر الإحالية على العناصر الإشارية (15:29) ، والتي تساوي تقريباً (1:2) حيث يرجع للعنصر الإشاري الواحد ما يقارب الضميرين وهذا يدل على تعدد الضمائر الإحالية للمرجع الواحد ، مما يكشف عن الدور الذي تؤديه هذه الضمائر في إحداث التماسك النصي على امتداد القصيدة.

وبالنسبة لتصنيف الضمائر إلى منفصلة ومتصلة ومستترة ، فقد بيّن الجدول - السابق - ورودها بجميع أصنافها في القصيدة فقد رصدنا فيه الضمائر التي تختص بتعدد مرجع واحد في جميع أبيات القصيدة ، والجدول الرابع امتداداً للبيانات الإحصائية المذكورة - آنفاً - في الجدولين الأول والثاني ، اللذين تقدم ذكرهما في ثنايا البحث. وبناءً على ذلك فإننا سنبيّن دور ضمائر الغائب في إحداث الترابط والاتساق النصي ، وذلك من خلال الجدول الآتي :

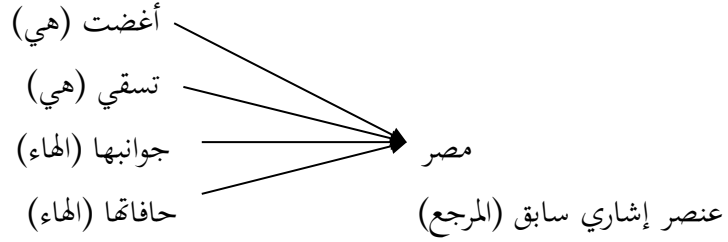
• جدول رقم (04) تصنيف الضمائر الواردة في الجدول الثالث من حيث النوع .

نوع الضمير	الضمائر المتصلة	الضمائر المستترة	الضمائر المنفصلة	العدد الإجمالي
التكرار				
العدد	11	17	01	29
النسبة المئوية	% 37.93	% 58.62	% 03.44	%100

ما نلاحظه من خلال الجدول ، أن الضمائر المستترة تتصدر الحضور في فضاء القصيدة انسجاماً مع ما ذُكر في الجدول الأول والثاني ، وهو ما يعزز فكرة التماسك النصي في القيدة ، ذلك أن الضمائر المستترة تتميز بقوة الربط لأنها تعمل على الإحالة إلى العناصر الإشارية من جهة ، وهي لاتشبه الضمائر المتصلة التي يسهل الكشف عنها كما أنها لاتشبه الضمائر المنفصلة التي يُضعف انفكاكها من شدة وصلها . وتكفي نظرة بسيطة على البيت الخامس والسادس لنلمس شدة الترابط والاتساق ، الذي تضافرت فيه ضمائر الغائب المستترة في الأفعال مع المتصلة في الأسماء ، التي أحالت إلى عنصر إشاري (المرجع) واحد وهي (مصر) يقول شوقي:

لكنّ مصر وإن أغضت على مِقّةٍ عينٍ من الخلدِ بالكافور تسقيننا
على جوانبها رفّت تمائمنا وحولَ خافاتها قامت رواقينا

والمخطَّط الآتي يبيِّن ذلك :



عناصر إحالية لاحقة تحيل إحالة قبلية

وزيادة منا في الوقوف على الدور الذي تؤديه الضمائر في الربط والاتساق سنتتبعها في الجمل الواردة في القصيدة

ومنها:

1- الضمير في جملة الخبر:

من ذلك ماورد في البيت الرابع قال الشاعر:

فإن يكَّ الجنسَّ يا ابن الطَّلح فرَّقنا إنَّ المصائب يجمعن المصابينا

ومنها أيضاً ما ورد في البيت الثاني عشر قال الشاعر:

وأس من بات يذوي من منازلنا بالحادثات ويضوى من مغاينا

الشاهد في البيتين هي جملة الخبر التي وردت جملة فعلية في البيتين (يجمعن المصابينا) و (يذوي من منازلنا) والضمير في جملة الخبر إن لم يكن مذكوراً في الجملة ، فهو محذوف مقدر ففي الجملة الفعلية (يجمعن المصابينا) خبر للحرف المشبه بالفعل (إنَّ) وفي الجملة الفعلية (يذوي من منازلنا) خبر للفعل الناسخ (بات) ، وتشتمل الجملتان على ضمير مستتر تقديره (هن) في الجملة الأولى وتقديره (هو) في الجملة الثانية ، والضميران يعودان على اسم إنَّ وعلى اسم الفعل الناسخ ، وهما في الأصل مبتدأ ، والملاحظ أنَّ الاسم ذُكر في الجملة الأولى بينما استتر في الجملة الثانية ، وبين الضمير في جملة الخبر ومرجعه تطابق في اللفظ والقصد ، فالضمير (هن) في (يجمعن) يتطابق مع المصائب ، والضمير (هو) في (يذوي) يتطابق مع الاسم المحذوف ، فالذي بات (هو) والذي يذوي (هو) وهذا التطابق من الشروط التي يجب أن تتوفر في الضمير الرابط ، وإلَّا وقع اللبس وبالنسبة للمستويات التي حققها الضمير العائد على مستوى الربط فقد تم ذلك على مستوى الجانب التركيبي ، من خلال ربطه الجملة المشتمل عليها بما قبلها ، ومن الجانب الدلالي من خلال المطابقة بين الضمير الرابط والمرجع يعود عليه داخل البنية اللغوية فجاء الترابط في النص متيناً والنسج مُحكماً.

2- الضمير في جملة النعت:

من ذلك ماورد في البيت الثاني قال الشاعر :

مَاذَا تَقْصُّ عَلَيْنَا غَيْرَ أَنْ يَدَا قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا

الشاهد في البيت هي جملة النعت الفعلية (قصت جناحك) ، وقد سُبِّقَتْ هذه الجملة بلفظ (يدا) وجاء هذا اللفظ نكرة وُصِفَ بالجملة التي تلتها ، والرابط في هذه الجملة هو ضمير الغائب المستتر وتقديره (هي) ، وقد دلت على هذا الضمير (تاء) التأنيث المتصلة بالفعل (قصت) ، تأكيداً لمبدأ المطابقة على مستوى اللفظ وعلى مستوى المعنى بين الضمير ومرجعه ، فالتى قصت هي اليد ، فطابق الضمير المحيل في جملة النعت منعوته في الأفراد والتأنيث وأحال إليه إحالةً قبليةً داخلية ، مما ساهم في اتساق النص وتماسكه .

3- الضمير في جملة الحال :

من ذلك ماورد في البيت الحادي عشر قال الشاعر:

فَقَفْ إِلَى النَّيْلِ وَاهْتَفْ فِي حَمَائِلِهِ وَانْزِلْ كَمَا نَزَلَ الطَّلُّ الرَّيَاحِينَا

الشاهد في هذا البيت ورودُ الحال جملة فعلية فعلها فعل أمر (اهتف) ، وفاعله ضمير مستترٌ تقديره (أنت) وهذا الضمير عنصرٌ محيلٌ في النص يتطابق مع الحال إليه ، وهو صاحب الحال (الفاعل) الذي أُضْمِرَ أيضاً في (قف) وتقديره (أنت) ، ويعني هذا أن الضمير في الجملة الحالية والضمير في جملة صاحب الحال تطابقاً في الأفراد والتذكير وقد تقدم صاحب الحال في الرتبة على الحال في الجملة الفعلية ، وأحال الضمير إليه إحالةً قبليةً داخلية ، واتضح لنا من خلال التركيب أن الذي يقف على النيل ويهتف في خمائله شخص واحد ، لذلك ندرك قيمة الضمير في الجملة الحالية لأن الضمير علق وربط الجملة بما قبلها وأزال التوهم بأنها جملة مستأنفة .

4- الضمير في جملة الصلة :

من ذلك ما ورد في البيت الثاني عشر والثالث عشر قال الشاعر :

وَأَسَى مَنْ بَاتَ يَذُوقِي مِنْ مَنَازِلِنَا بِالْحَادِثَاتِ وَيَضُوي مِنْ مَغَانِينَا
إِلَى الَّذِينَ وَجَدْنَا وَدَّ غَيْرِهِمْ دُنْيَا وَوَدُّهُمْ الصَّائِي هُوَ الدِّينَا

الشاهد في البيتين هو جملة الصلة ، وقد وردت في المثالين جملة فعلية (بات يذوي) و(وجدنا ود غيرهم)، والاسم الموصول في البيت الأول (من) ، وهي للعاقل وصلتها (بات يذوي) وهي تحتوي على رابط مستتر تمثل في الضمير (هو) ، الذي يحيل إحالةً قبليةً نصيةً قريبةً على الاسم الموصول (من) وينسج معه خيوط التركيب ، مما يجعل المعنى مرتبطاً بين جملة الصلة وموصولها ، والدور ذاته أداه الضمير في البيت الثاني ، فالاسم الموصول (الذين) وصلتها الجملة الفعلية (وجدنا ود غيرهم) التي رفعت الإبهام عن الموصول ، واحتوت هي الأخرى على ضمير متصل يتعلق بالغائب الجماعة ، ويحيل إلى الاسم الموصول الذي سبق ذكره (الذين) ويطابقه في الجمع والتذكير ، وهي مطابقة تمت على مستوى لفظ الموصول ومعناه ، وتُشترط المطابقة التامة في الضمير العائد على الموصول المختص وفي حالة ما إذا كان الموصول عامًّا فإنَّ المطابقة تكون على مستوى اللفظ أو المعنى أو عليهما

معًا ، ويُستثنى الموصول الاسمي المشترك (أل) لأنَّ المطابقة فيه تختص بالمعنى فقط ، وذلك لحفاء موصوليتها بغير المطابقة.

وعلى هذا فإنَّ الضمائر في جملة الصلة أحالت إحالة قبلية إلى مراجعها ، مما أحدث نوعًا من الاختصار في حجم النَّص وحقق على مستوى التركيب التماسك والاتساق وعلى مستوى المعنى والتأثير والانسجام .

5- الرِّبْط بِضَمِيرِ الْفَصْلِ :

من ذلك ماورد في البيت الثالث عشر قال الشاعر:

إلى الَّذِينَ وَجَدْنَا وَدَّ غَيْرِهِمْ دُنْيَا وَوُدُّهُمْ الصَّافِي هُوَ الدِّينَا

الشاهد في البيت ضمير الفصل (هو) ، وقد فصل بين المبتدأ (حبهم الصافي) وخبره (الدين) وقد ربط ضمير الفصل المبتدأ الذي ورد قبله بخبره (الدين) ، وهو يحيل إلى المرجع المذكور بعده ، والذي يطابقه في الأفراد والتذكير وهي إحالة داخلية ، لأنَّ المرجع المذكور في النَّص ، وكذلك عائدته ، وهي قريبةٌ من المرجع كما أنها بعدية عاد فيها الضمير على متأخر .

المتأمل لجهود علمائنا يجد أنهم قد تناولوا كلَّ القضايا المتعلقة بالربط والروابط ، وبيَّنوا دورها في إحداث التماسك النصي ومنهم على سبيل التمثيل ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) ، الذي تكلم عن الروابط التي تحيل إحالة بعدية في مبحث " المواضع التي يعود فيها الضمير على متأخر"¹ ، ويدل هذا على تميز علمائنا في حديثهم عن الدور الربطي للضمير ، من خلال مرجعه على متقدم أو متأخر وتميزهم أيضا في حديثهم عن الإحالة في إطار الجملة .

والنُّحاة العرب لما عالجوا أمر الإحالة والربط بالضمير في إطار نحو الجملة، لم يتحدثوا عن هذا الأمر بشكلٍ أكثر شمولية حتى يشمل النص ككلٍ بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى كما هو جارٍ في مباحث لسانيات النص، لأنَّ معظم دراساتهم النحوية كانت تدور في فلك الجملة، وانطلاق النحو العربي من نحو الجملة وانحصاره في هذا الإطار لا يعد عيبًا أو قصورًا ولا يُنقص من قيمة الدرس النحوي العربي، وإنما يُرَدُّ إلى الأسباب التي من أجلها تمَّ القيام بتقعيد اللغة، وكان من أهم هذه الأسباب الرغبة في تقويم اللسان في نطق الجملة، والاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة بمستوياتها المختلفة² .

ولا يدفعا الرأي الذي يحصر اهتمام العلماء العرب بقضايا الربط و الإحالة بالضمير في حدود الجملة إلى التقليل من جهودهم ، لأنَّ الظروف الزمنية التي عاشوا فيها تختلف جملةً وتفصيلاً عن الظروف الزمنية للعلماء المحدثين يُضاف إلى ذلك الأجواء التي تشكلت فيها النظرية النحوية العربية ، وما يركزي جهودهم أنهم قد حازوا قصب السبق ، كونهم مهدوا الطريق لمن أتوا بعدهم واشتغلوا في مجال علم اللغة النصي ، وهذا ما أقر به علماء اللغة النصيين حينما رأوا أنَّ نحو الجملة هو البذرة الأولى للسانيات النص ، ويؤكد هذا ما صرح به اللغويان

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 2 ، ص: 496.

² - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي :علماللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 49 .

(فولفجانج هاينه) و (جيترفيهفيجر) ، بقولهما: "نحن ننتقل من كون العلاقة تكاملية بين علم اللغة النصي وعلم اللغة الجملي حيث ينظر إلى دراسات علم اللغة الجملي ، على أنها تمهيدٌ ضروريٌّ لأبحاث علم اللغة النصي من جهة لكنها من جهة أخرى يمكن أن تتجاوز في علم اللغة النصي الأكثر شمولاً" ¹ .

وفي هذا القول دليل على أن الإشارات الأولى لعلمائنا العرب ، كانت فعلاً تمهيداً للانتقال من الجملة إلى النص كما أنه لا يمكن الجزم أن كل العلماء لم يتجاوزوا في دراساتهم للروابط حدود الجملة ، ولم يعتنوا بمرجعية الضمير على النص ، إذ يكفي الإطلاع على آرائهم في هذا المجال ، لنجد أنهم يتكلمون عن مرجعية الضمير ذاكرين المفهوم ، والفراء (207هـ) واحد منهم فهو يشير مثلاً إلى مرجعية الضمير (الهاء) في قوله تعالى :

﴿... يَا أَيُّكُمْ بِهِ ..﴾ (الأنعام الآية 46) ، إلى لفظ الهدى المذكور في الآية ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام الآية 35) ، والذي تقدم على الضمير بعشر آيات كاملة ، وهذا يعني أن الفراء تجاوز مرجعية الضمير في الجملة إلى مستوى النص مراعاة لنظم القرآن الكريم ، ويكشف لنا هذا عن إدراكه العميق لمدى مساهمة الإحالة بالضمير في إبراز محور الخطاب ، وإمكانية عودة الضمير إلى مرجعه الأول في النص التي تمثل غرض الخطاب أو ما يسمى بمبدأ التغيريض ، الذي يُعدُّ آلياً من آليات الانسجام النصي ، لذلك فإنَّ إسهامات علمائنا في هذا المجال قد أسَّست فعلاً لكثير من المفاهيم التي ارتكز عليها علم اللغة النصي .

ثالثاً: (أل) التعريف:

من الروابط الإحالية التي تؤدي دور الاتساق والانسجام النصي ، أداة التعريف (أل) ، وتختص بالدخول على الاسم النكرة ، فتجعله معرفةً ، وحتى تؤدي دلالة التعريف لا بدَّ أن يكون الاسم بعدها نكرةً ، محتاجاً إلى التعريف ² فهي إذًا من الأدوات المختصة "تتقدم العبارات الدالة على ماسبق ذكره ، كما ينسب إلى أداة التنكير أنها تسبق ما لم يذكر من قبل" ³ ، ويؤدي التعريف وظيفته الإشارات إلى توجيه كليات النص لدى السامع "حيث يبلغ المتلقي بواسطتها بالطريقة التي يجب عليه اتباعها في ملاحظة روابط معينة داخل النصوص ، وتشير أداة التعريف حسب هذا الإسهام إلى ما يسمى المعلومات السابقة ، بينما تعد أداة التنكير إشارة إلى معلومات لاحقة أي الوحدات اللغوية التي لم يوضحها المتكلم بعد" ⁴ .

تناول النحاة القدامى (أل) التعريف وتعددت آراؤهم حولها ، منهم سيبويه الذي أشار إليها في كتابه تحت باب (ما يتقدم أول الحروف وهي زائدة قدمت لإسكان أول الحروف) ، فهي عنده زائدة قدمت لإسكان

¹ - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر :مدخل إلى علم اللغة النصي ،ص: 8 .

² - صالح الكشو: مظاهر التعريف في العربية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، صفاقس ،تونس ، د.ط، 1997،ص 71.

³ - روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص: 307.

⁴ - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر :مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص: 29.28.

اللام¹، ورأي سيبويه حول (أل) التعريف خالف فيه شيخه الخليل الذي اعتبرها ثابتة²، وقد أشار السكاكي إلى هذا الخلاف بين الخليل وسيبويه فقال: " واللام على مذهب سيبويه تأتي للتعريف نحو: الغلام ، والهزمة عنده للوصل ولذلك لا تثبت فيه بخلاف الخليل ، فإن سقوطها عنده لمجرد التخفيف لكثرة دورها والتعريف بها³ .
وأما في الدراسات اللسانية الحديثة ، فقد عدت (أل التعريف) من صور الربط بالاحالة تؤدي وظيفة الترابط والاتساق في النص⁴ ، ويتأتى لها ذلك من خلال اتفاق الإحالة بين الاسم المعرف وعنصر آخر متقدم عليه أو متأخر . لذلك اعتبر كل من هاليداي ورقية حسن أداة التعريف (the) في الإنجليزية ضرباً من الإحالة بكونها إشارة لفظية ، وذكر أن لها نوعين من الإحالة هما : إحالة مقامية تتحدد بسياق الحال أو بإطلاق الجنس أو بالعرف (homophoric). وإحالة مقالية قبلية أو بعدية⁵ . وعلى هذا فإن الدور الأساسي لـ (أل التعريف) هو التقييد والتحديد الدلالي لأن "الإحالة علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية ، إلا أنها تخضع لقيود دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه⁶ ، وقد وردت (أل التعريف) في المدونات (ذكر العدد) بنوعيهما العهدية والجنسية نعرضهما كما يلي :

1- (أل) العهدية:

(أل) التعريف تكون مفيدة إما لمعنى العهد فتسمى عهدية ، وإما لمعنى الجنس فتسمى جنسية ، والعهدية كما يقول ابن هشام : " إما أن يكون مصحوبها معهوداً ذكرياً نحو ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ، (المزمل الآية 15)..وعبرة هذه أن يسد الضمير منها مع مصحوبها . أو معهوداً ذهنياً نحو ﴿... إِذْ هَمَّا فِي الْعَارِ ﴿٥﴾﴾ ، (التوبة الآية 40) ... أو معهوداً حضورياً ، والمثال الجيد للمسألة قوله تعالى: ﴿... أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. ﴿٣﴾ ﴾⁷ ، (المائدة الآية 3) ، يعني هذا أن (أل التعريف) تقيّد تحديد شيء في النص معهوداً عند التخاطب ، إذ تجعل المتلقي ينتقل ذهنياً من الاسم النكرة إلى الاسم المعرف بالألف واللام ، فحين نقول: كتاب يعني واحداً مما يقع عليه هذا الاسم ، وحين نقول الكتاب ، فكأننا نقول للمتلقي: " إنَّ المحتوى المفهومي المقصود (المضبوط) ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلوماتية الموجودة بالفعل ، أما النكرات فتتطلب من ناحية ثانية تنشيط مساحات معلوماتية أخرى ، أي أن التعريف يمكن أن يشمل أي عنصر من عناصر

¹ ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 4 ، ص: 144.

² ينظر: المصدر نفسه ، ج 4 ، ص: 148.

³ السكاكي أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر ابن محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، ص: 116.

⁴ ينظر: حسين رفعت حسين ،الموقعية في النحو ، ص: 286.

⁵ ينظر: محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 1 ، ص: 128.

⁶ محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 17.

⁷ ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 50 وما بعدها .

عالم النص في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط¹ ، وتنقسم (أل) العهدية إلى ثلاثة أقسام بحسب عهد المتكلم والسامع أو القارئ بمدخولها :

أ- (أل) ذات العهد الدكري:

أن يكون مدخولها معهودا - للقارئ أو السامع- ذكريا ، أي قد سبق ذكره في اللفظ إما صريحا ، وإما كناية ومثال اللفظ الصريح قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ ، (النور الآية 35) في البداية تقدم ذكر الاسم النكرة (مصباح) ذكرا حقيقيا في النص ، ثم جاء ذكرها معرفة بعد اقتراحها بأداة التعريف "أل" ولذا تسمى عهدية ذكورية ، لأن ما اتصلت به معهود بما سبق ذكره ، وأما مثال اللفظ المكنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ ، (آل عمران الآية 36) ، فالذكر تقدم ذكره في اللفظ مكنيا عنه بما في قولها : ﴿نذرت لك ما في بطني محررا﴾ ، فإن ذلك كان خاصا بالذكور² ، وقد ذكر ابن هشام في كتابه المغني ، أن دليل العهد الذكري أن يسد الضمير مسد (أل) مع مصحوبها³ ، نحو: اشتريت فرسا ثم بعته الفرس ، ففي هذا المثال جاء الاسم المقترن ب (أل) التعريف في درج الكلام لا في مفتتحه ، وقد اقتضى الحال هنا الإظهار بـ "أل" بدل الإضمار وهذا يكون لفائدة غرض من الأغراض كالتعظيم أو البيان أو تجنب اللبس ، ويجوز هنا تعويض مصحوب (أل) بضمير الغائب فتقول: اشتريت فرسا ثم بعته ، حيث سد الضمير المتصل هاء الغائب مسد (أل) مع مصحوبها ، وبذلك حققت (أل) ربط الجملة بما سبقها من الكلام ، وتعويض ضمير الغائب محل المعهود عهدا ذكريا يؤكد الدور الرباطي (أل) التعريف من جهة اقتراحها بالاسم ، ويؤكد من جهة أخرى دور الضمير الذي يسد مسدها لكونه هو أيضا من أسس الترابط ، مما يؤكد لنا أن (أل) التعريف لا تكفي بإفادة تعريف الشيء المعهود ذكره لدى المخاطب فحسب بل تضيف إلى ذلك فائدة أخرى وهي الربط بين نكرتين : النكرة الثانية هي الضمير والنكرة الأولى هي مرجع الضمير ، وما يميز هذا الربط أنه "ربط معنوي يجعل معنى الثانية فردا محدودا محصورا فيما دخلت عليه وحده والذي معناه ومدلوله هو النكرة السابقة ذاتها . وهذا التحديد والحصر هو الذي جعل الثانية معرفة ، لأنها صارت معهودة عهدا ذكريا ، أي معلومة المراد والدلالة بسبب ذكر لفظها في الكلام السابق ذكرا أدى إلى تعيين الغرض وتحديد عهد ذلك ، وأن المراد في الثانية فرد معين ، هو السابق ، وهذا هو ما يسمى العهد الذكري⁴ .

¹ - أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص: 114.

² - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1955م ، ص: 84.83.

³ - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 51.

⁴ - عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص : 424.

1- التَّمَوِذُجُ الْأَوَّلُ:

مادام حديثنا عن (أل) التعريف بأنواعها الثلاثة ، فإننا سنقدم مثلاً عن كل نوع في المدونات التي وقع اختيارنا عليها ، بحسب الاعتبار القيمي (القرآن ثم الحديث) وبحسب الترتيب الزمني (العصر الجاهلي ثم العباسي ثم الحديث) ، ومن أمثلة (أل) ذات العهد الذكري في سورة القصص ، ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيِّنَةٌ وَبَيِّنَاتٌ لِّأَيِّمَاءِ الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ، (القصص الآية 28.29) .

الشاهد في الآية الكريمة ورود كلمة (الأجل) مرتين ، وقد أحالت (أل) المعرفة في كلمة (الأجل) الثانية على مرجعها (أيما الأجلين) لترتبط به والربط بين الكلمتين في هذا الموضوع واضح ، لأنَّ رد كلمة الأجل الثانية المعرفة على لفظ (أيما الأجلين) صح لسببين: الأول منهما أن تركيب (أيما الأجلين) جاء على معنى النكرة لأنَّ شعيباً عليه السلام لم يعين مدة الأجل ، فكأنَّ المعنى في قوله : أيما الأجلين ثم جاء بعد هذا التركيب كلمة الأجل (معرفة) وبالتالي عادت على تركيب (أيما الأجلين) لتعرفها وترتبط بها ، والسبب الثاني ما ذكره النحاة حول صحة معاقبة هذه الأداة الرابطة (أل) والتعويض بالضمير ليصبح المعنى : (أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي فلما قضى موسى أجله سار بأهله) ، ومع التعويض لم يتأثر السياق بأي تغيير ولم يحدث خلل في المعنى والوارد في تركيب الآية الكريمة التعبير بالمظهر في مقام المضممر بالتأكيد والتقدير ، ولو رُبط بالضمير عوض (أل) لحصل نوعٌ من الإبهام في المعنى على خلاف الاسم الظاهر .

2- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

من الشواهد التي جاءت فيها (أل) ذات العهد الذكري في الحديث النبوي ما رُوِيَ عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول¹: ﴿ إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُّشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحْرَمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ﴾ .

وقع في الحديث الربط بـ (أل) المعرفة على العهد الذكري ، وذلك لأنَّ مصحوبها قد ذُكر قبلها وقد عادت (أل) على لفظ (مشتبهات) ، وهذه الأداة يمكن معاقبتها بالضمير دون تأثر السياق ، وهذا دليلٌ على صحة رابطها فيصير المعنى : وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه...

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص: 1219. (كتاب المساقاة) .

ونجد أن نظم الرسول صلى الله عليه وسلم أثر التعبير بـ (أل) المعرفة لأجل تعظيم أمر الشبهات والتحذير منها ، فالحيل في الأداة هو أداة التعريف مع مصحوبها (الشبهات) ، والمحال إليه هو المتقدم ذكره (مشبهات) وقد تقدم ذكر المحال إليه نكرة وجاء بعده مكررا معرفة ، وهكذا يتحقق الاتساق النصي مع مصحوبها إحالة قبلية داخلية .

والمتلقي حين يقرأ نص الحديث لا يذهب إلى تأويل الشبهات على أنها التماثل والتطابق في شيء ما ، مثلاً بل يبقى تأويله محلياً ، وهي الشُّبهة التي تثير الشك والريبة وقد تم هذا التأويل بواسطة الدور الذي أدته (أل) ومصحوبها ، التي قيدت هذا التأويل عن طريق الإحالة إلى ماتقدم ذكره في النص ، وهذا مما أشرنا إليه -سابقاً- في ثنايا هذا البحث بسمى (مبدأ التأويل المحلي) و " الذي يضمن عدم إنشاء سياقٍ أكبر مما هو ضروري لضمان الفهم الصحيح للخطاب وتحقيق انسجام النص "1 .

ب- (أل) ذات العهد الذهني :

القسم الثاني من أقسام (أل) العهدية أن يكون مدخولها معهوداً - للمتكلم أو السامع والقارئ- ذهنياً: أي معهوداً في ذهن كل منهما ، بحيث يتوفر في ذهن المخاطب معرفة سابقة أو خلفية عن مصحوبها ، ولا يشترط ذكرها في الكلام نحو: يكثر سقوط الأمطار في الغابات الاستوائية ، في هذا المثال نجد أسماء معرفة ب (أل) مصحوبها معهود ومعروف دون أن يتقدم له ذكر في سابق المقال ، لأنَّ الأمطار والغابات والاستوائية من الأشياء المعهودة المألوفة بالنسبة إلى المخاطبين عهداً يقوم على سابق المعارف والعرف.

ومن الأمثلة أيضاً ما ورد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ ، (النازعات الآية 16) وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ... ﴾ ، (الأحزاب الآية 6) ، وفي وقوله تعالى: ﴿... ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ... ﴾ ، (التوبة الآية 40) و "يلحظ أن (أل) التي يكون مدخولها معهوداً ذهنياً لا يصح أن يعاقبها الضمير ومدخولها في الموقع ، وإذا أردنا أن نبين ذلك ، فإنَّ أيًّا من الأمثلة السابقة في هذا القسم لا يستقيم إذا وُضع في موضع (أل) ومدخولها ضمير على سبيل المعاقبة بين الضمير و (أل) ومدخولها. ففي قوله تعالى: ﴿... إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ إذا قيل- في غير القرآن- إذ هما فيه ، لا يمكن أن يفهم المقصود من الضمير في (فيه) لا من ألفاظ النص القرآني قبل الكلمة موضع الشاهد (الغار) ولا من المقام ، إذ ليس في سياق النص القرآني قبل كلمة (الغار) ما يدل على أن المقصود من ضمير الغائب- إذا عاقب كلمة (الغار) - هو (الغار) ولا يفهم ذلك أيضاً من المقام فالسياق قبل هذه الكلمة هو قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ... ﴾ ، (التوبة الآية 40)"2

وقد فصل سيبويه ما تعلق ب (أل) التعريف ذات العهد الذهني بالنسبة للمخاطب بقوله : " وإذا أدخلت الألف واللام فإنَّ ماتذكَّره رجلاً قد عرفه ، فتقول : الرجل الذي من أمره كذا وكذا ، ليتوهم الذي كان

1- براون ويول :تحليل الخطاب، ص: 72.

2- حسين رفعت حسين ، الموقعية في النحو ، ص: 288.

عده ماتذكر من أمره¹، وأما المقصود بالمعهود في ذهن كل منهما فهو المعرفة السابقة التي تصلح لتعريف النكرة وهي تختص بالمتلقي لأنه هو الذي يحكم في النهاية على نجاح عملية التواصل من عدمها ، وهو ما أشرنا إليه سابقا في ثنايا هذا البحث، في لسانيات النص ب"المعرفة الخلفية للعالم" أي أن يكون للمخاطب سابق معرفة بالشيء تساعده على تأويل النص تأويلا مقبولا يحقق انسجامه².

وأغلب (أل) العهدية كانت في جميع المدونات من العهد الذهني ، لأن الألفاظ التي ارتبطت بها معروفة وقد تكررت كثيرا فيها ، ومن أمثلة ذلك ماورد في القرآن الكريم في سورة القصص قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٥١ ﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ٥٢ ﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ٥٣ ﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٥٤ ﴾، (القصص الآيات 21.22.23.24) في هذه الآيات نجد أن هناك ألفاظا معرفة بالألف واللام ، وردت كلها معهودة في ذهن المتلقي ومعروفة بحكم العرف منها: (القوم ، الظالمين، السبيل، الناس الرعاء، الظل) .

ومن نماذج ذلك أيضا ماورد في الأحاديث النبوية التي تطرقنا إليها في ثنايا البحث ، ومنها ما سنمثل له في هذا الحديث الجديد رغبة منا في إثراء البحث وتنويع الأمثلة والشواهد ، فقد جاء في كتاب المساقاة: باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا :عن عبادة بن الصامت ، قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم³: ﴿الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ الْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ ، وَالزُّبُرُ بِالزُّبُرِ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ ، وَالْمَلْحُ بِالمَلْحِ ، مَثَلًا بِمَثَلٍ ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ ، يَدًا بِيَدٍ فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ ﴾ .

في هذا الحديث نجد أن هناك ألفاظا وردت معهودة في ذهن المتلقي ، ومعروفة لدى المتلقي منها : (الذهب الفضة، البر، الشعير، التمر، الملح) ومنها أيضا ماورد في القصائد التي وقع اختيارنا عليها كقصيدة (إن تحت الأحجار) للمهلhel وقصيدة (تقوى الله والإحسان إلى الآخرين) لعبدة بن الطبيب وقصيدة (للموت ماتلدون) لأبي العتاهية وقصيدة (وصف الجبل) لابن خفاجة إضافة لقصيدة (من وحي المنفى) لأحمد شوقي وقصيدة (الرمادي) لمحمود درويش وفي النماذج الأخرى ، فقد ورد في قصيدة المهلهل ألفاظا اقتترنت بالألف واللام منها (الأحجار ، الحيين الحريق السيوف..). وفي قصيدة عبدة بن الطبيب وردت الألفاظ الآتية (الكرام الحسب الكسب النفوس..). وما جاء في قصيدة أبي العتاهية منها (الموت الصرع الخلس الأقوام ..). وأيضا ماورد في قصيدة ابن خفاجة الأندلسي منها الألفاظ الآتية (الدؤابة السماء الريح الفلاة الليالي العواقب..). ، إضافة إلى قصيدة أحمد شوقي التي وردت فيها ألفاظ معروفة ومعهودة منها (الطلح البين الغريب الجنس المصائب...) وكذلك الألفاظ المعرفة في قصيدة محمود درويش (الرمادي) منها قوله (الرمادي السماء الشارع البحر الماء...)

¹ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ج2 ، ص: 05.

² - براون ويول :تحليل الخطاب ، ص: 72.

³ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص: 1211. (كتاب المساقاة) .

وعلى هذا فإنّ جميع الألفاظ التي ذكرناها على سبيل التمثيل لا الحصر ، معهودة ومعروفة في ذهن المتلقي هذا ما يجعل أداة التعريف (أل) المقترنة بها هي (أل) العهدية الذهنية ، مما يجعلها تحيل إلى مراجع خارج النص — (أل) ومصحوبها يميلان إحالةً خارجيةً تفيد في انسجام النص وتفسيره وفهمه ، وهذا دليلٌ على تقدم مصحوبها دون أن يُذكر في الكلام ، أي أنّ المعنى استُحضر في ذهن المخاطَب بمجرد سماعه للفظ فصُرف نظره بواسطة (أل) ومصحوبها إلى ذلك المعهود في ذهن المخاطَب والمخاطَبُ على علم سابق بهذا الشيء (اللفظ) ، بالرغم من أنه لم يُمهّد له أو يُذكر في نص الكلام ، وهذا ما يجعل من (أل) ذات العهد الذهني شبيهة بضمائر المتكلم والمخاطب من حيث إنها تحيل في غالب الأحيان إحالةً إلى خارج النص.

ج- (أل) التعريف ذات العهد الحضوري :

القسم الثالث من (أل) العهدية أن يكون مدخولها معهوداً حضورياً ، أيّ مدخول (أل) هذه حاضر وموجود ويدركه المتكلم والقارئ أو السامع ، وهو حاصل من المقام الذي ينشأ فيه القول ، كقوله تعالى : ﴿.. أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ، (المائدة الآية 03) ، وكقولنا لرجل يقف أمامنا ولا نعرفه : من الرجل ؟ وذكر ابن هشام نقلاً عن ابن عصفور أنّ (أل) التعريف ذات العهد الحضوري لها مواقع محددة ترد فيها منها¹ :

- أنها تقع بعد أسماء الإشارة نحو: جاءني هذا الرجل .
- أنها تقع بعد (أي) في النداء نحو: يا أيها الرجل .
- أنها تقع بعد (إذا) الفجائية نحو: خرجت فإذا الأسد .
- أنها تقع بعد اسم الزمان الحاضر نحو: الآن، اليوم ، الساعة...

وهذه المواقع التي حددها العلماء تجعل (أل) العهدية الحضورية تختلف عن (أل) العهدية الذكرية ، لأنّ (أل) الذكرية يصح تعويضها بالضمير الذي يعود إلى مرجعها الذي ورد في أول الكلام ، وبواسطتها يتم الربط وأما (أل) العهدية الحضورية فيلاحظ فيها " أنّ الضمير لا يصح أن يعاقب (أل) ومدخولها المعهود حضورياً ، ففي قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) لا يستقيم الكلام إذا وضع ضمير الغائب محل (أل) ومدخولها (اليوم) ، وفي قولنا : من الرجل؟ لمن يقف أمامنا ولا نعرفه ، وفي عدم صحة معاقبة الضمير لـ (أل) ومدخولها في هذا القسم من أقسام (أل) العهدية دليلٌ على عدم كونها رابطةً فيه "2 .

وردت (أل) التعريف ذات العهد الحضوري في المدونات ، ومن نماذجها ما ورد في سورة القصص قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْلِكُنَّ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ ﴾ ، (القصص الآية 38) ، ومنها ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ ، (القصص الآية 42) ، ومنها قوله أيضاً: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، (القصص الآية 83)

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 50.

² - حسين رفعت حسين ،الموقعية في النحو ، ص: 289.

وقعت (أل) الحضورية العهدية بعد المنادى (أي) (يا أيها الملاء) فـ (أل) المقترنة بلفظ (الملاء) بعد أداة النداء (أي) من العهد الحضوري لأنها حاضرة في الخطاب ، وفي الآية الثانية بعد اسم الإشارة (هذه الدنيا) ، وفي الآية الثالثة بعد اسم الإشارة تلك (تلك الدار) فكلمة (الدنيا) وكلمة (الدار) جاءتا بعد اسمي الإشارة ، لأنهما معهود حضوري فالدنيا واقعٌ مُعَين ومُشَاهَد والدار الآخرة أمرٌ واقع لا محالة .

ومن الشواهد ماورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عبد الرحمان بن معمر عن أبي الحباب سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ بِجَلَالِي الْيَوْمِ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي﴾¹ ، نجد أنّ المعنى في الحديث مقيد من ناحية الزمن وإن ظهر فيه أنه متعلق بيوم القيامة وهو غير مُعَين ومُشَاهَد ، لكنه واقع لا محالة ، فالله يقول فيه أين المتحابون بجلالي؟ لذلك وقعت (أل) العهدية الحضورية في موضع اسم الزمان الحاضر (اليوم أظلمهم) ، وهي لفظ حصل من المقام الذي نشأ فيه القول (يوم القيامة) لأنه أمرٌ ثابتٌ الوقوع قاله الله عز وجل للمُخَاطَب في زمن محدد .

وأما في الشعر الجاهلي فقد وردت (أل) ذات العهد الحضوري في ديوان المهلهل في المقطوعة الشعرية (دعيني) التي قالها يوم قُتِل كليب وشاع خبره في الحي ، وكان المهلهل يعاقر الخمرة مع همام بن مرة فأعلمه بالخبر فأكب المهلهل على الشراب وهو يقول²:

دَعِينِي فَمَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لَشَارِبٍ وَلَا فِي غَدٍ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمِ مِنْ غَدٍ

في هذا البيت الشعري وردت (أل) العهدية الحضورية في موضع اسم الزمان الحاضر (اليوم) ، وقد كرره الشاعر مرة في الصدر ومرة في العجز ، وقد قالها الشاعر في مقام محدد وزمن معين للمُخَاطَب نشأ فيه قول (اليوم) وهو اليوم الذي قُتِل فيه أخوه كليب .

ومن أمثلة (أل) ذات العهد الحضوري ما ورد في قصيدة (للموت ماتلدون) لأبي العتاهية التي قال فيها³:

هَلَّا أَبَادِرُ هَذَا الْمَوْتِ فِي مَهْلٍ هَلَّا أَبَادِرُهُ مَا دَامَ لِي نَفْسُ
مَا لِي رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا قَدْ اقْتَتَلُوا كَأَنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُمْ عُرْسُ

وردت (أل) العهدية الحضورية في بيتي أبي العتاهية بعد اسمي الإشارة (هذا ، هذه) في كلمتي (الموت الدنيا) وقد قالهما الشاعر للمُخَاطَب في مقام معين نشأ فيه القول .

ونجد في قصيدة (الرمادي) لمحمود درويش ورود (أل) ذات العهد الحضوري وذلك في قوله⁴:

وَالسَّرَابُ الصَّوْءُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
الْوَاقِفُ الرَّاحِفُ مَابِينَ وَدَاعِينَ طَوِيلِينَ

¹ - مصطفى بن العدوي ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، ص: 82.

² - ديوان المهلهل ، ص: 25.

³ - ديوان أبو العتاهية ، ص: 224.

⁴ - محمود درويش ، الأعمال الأولى ، ج2 ، ص: 188.

وَنَحْنُ الْآنَ مَا بَيْنَ الْوَدَاعَيْنِ وَدَاعٍ دَائِمٌ

في هذه الأسطر نجد أن كلمة (الزمان) تعاقب باسم الإشارة (هذا) ، لأنها معهود حضوره المقام الذي نشأ فيه القول ، وفي السطر الثالث وردت (أل) الحضورية العهدية في موضع اسم الزمان الحاضر (الآن) ومن خلال تتبع المواقع التي وردت فيها (أل) العهدية الحضورية، نلاحظ أن (أل) في المنادى هي للعهد الحضوري ، كون المنادى في النداء الحقيقي هو المخاطب فهو حاضر في النداء ، و"أل" في اسم الزمان الدال على زمان التخاطب رغم أنك تحسب وجود صيغة الغائب فيها إلا أنه غلب عليها معنى التخاطب وصرف معهود (أل) إلى العهد الحضوري ، أما (أل) المقترنة باسم الإشارة وإذا الفجائية فإنها تحتمل العهد الحضوري مثلما تحتمل العهد الذكري وهذا بحسب سياقها. فماخلص للعهد الحضوري لـ (أل) في المنادى وأسماء الزمان الدالة على زمان التخاطب لا يمكن أن يكون لها دور رابطي ، أما (أل) بعد إذا الفجائية واسم الإشارة فإنها قد تقوم بدور الربط بين الجمل متى كان مصحوبها قائما على العهد الذكري .

د- (أل) الجنسية :

لاتؤدي (أل) الجنسية الربط ، لأنها تدخل على النكرة فتفيد معنى الجنس ، ولا يقصد بها واحد معين من أفراد الجنس كما في العهدية ، إذ ليس لها معهود وإنما لها مدخول وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، فهي:

1- إما أن تكون لاستغراق الأفراد الذين يدخلون تحت الجنس الواحد ، وعلامة دلالتها على استغراق أفراد الجنس الواحد أن تعوض ب (كل) حقيقة ، نحو قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28) والمعنى كل جنس الانسان دون استثناء .

ومن العلامات أيضا صحة الاستثناء من مدخولها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ١ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٢﴾ ، (العصر الآية 3.2) ، والمعنى كل جنس الانسان في خسر باستثناء الذين آمنوا . ومنها أيضا وصفه بالجمع كقوله تعالى: ﴿مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَمْ يَطَّهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ٣﴾ ، (النور الآية 31) ، والمعنى في الآية أن لفظ الطفل مفرد لكن اقترانه بـ (أل) الجنسية جعله يدل على الجمع ويستغرق جميع جنس الأطفال .

2- استغراق خصائص الأفراد ، وهي التي تخلفها (كل) مجازا لاحقيقة نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٤﴾ ، (البقرة الآية 2) ، والمعنى الكتاب الكامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب ، أو كقولنا: زيد الرجل علما ، والمعنى أي الكامل في هذه الصفة .

3- تعريف الماهية ، وهي التي لا تخلفها (كل) ، لاحقيقة ، ولا مجازاً ، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ٥﴾ ، (الأنبياء الآية 30) ، والمعنى تعلقها بنوع الجنس فلا يجوز قولنا : وجعلنا من كل ماء كل شيء حي 1 .

1- ينظر: الاسترأبادي محمد بن الحسن السمنائي النجفي رضي ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، ج 1 ، ص: 07 وما بعدها. وينظر: حسين رفعت حسين ،الموقعية في النحو ، ص: 290 وما بعدها (بتصرف) .

وما يميز (أل) الجنسية أنها تستعمل بضوابط ، وقد تناول النحاة المتقدمون هذه الضوابط وفصلوا حالات استعمال (أل) الجنسية ومنهم شيخ النحاة سيبويه يقول في كتابه: "...واعلم أنك لا يجوز أن تقول (قومك نعم صغارهم وكبارهم) إلا أن تقول (قومك نعم الصغار ونعم الكبار) و(قومك نعم القوم) وذلك إن أردت أن تجعلهم من جماعات ومن أمم كلهم صالح ، كما أنك إذا قلت عبد الله نعم الرجل ، فإنما تريد أن تجعله من أمة كلهم صالح ولم تُرد أن تعرف شيئاً بعينه بالصلاح بعد نعم... فالاسم الذي يظهر بعد نعم عاملة فيه الاسم الذي فيه الألف واللام ، نحو الرجل ، وما أضيف إليه وما أشبهه نحو غلام الرجل إذا لم ترد شيئاً بعينه"¹ ، ما يفهم من قول سيبويه أن هناك حكماً انتقل من المضاف إليه إلى المضاف ، فما أضيف إلى ما اتصلت به (أل) الجنسية يكتسب منه الإطلاق لا التعيين ، وبالتالي بالإضافة لاتكون ذات دور رابط إلا إذا كانت (أل) في المضاف إليه قائمة على العهد المقالي الذكري أو الذهني.

وما يميز المعرف ب (أل) الجنسية أن هناك فرق بينها وبين اسم الجنس ، فالمعرف بـ (أل) الجنسية يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن ، أما اسم الجنس يدل على مطلق الحقيقة نحو : (زيت حليب خيل...) لذلك فقد اعتبر بعض النحاة أن (أل) الجنسية "لتعريف العهد ، فإن الأجناس أمور معهودة في الأذهان متميز بعضها عن بعض"².

ذكرت (أل) الجنسية في المدونات ومن أمثلتها في القرآن الكريم ما ورد في سورة القصص قال تعالى:

﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴾^{١٢} ، (القصص الآية 12) ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^{١٣} ، (القصص الآية 26) ، ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾^{١٤} ، (القصص الآية 29).

الملاحظ أن الآية الأولى وردت فيها لفظة (المرضع) مقترنة ب (أل) الجنسية ، لأنها تفيد استغراق الكلام في خصائص الأفراد ، وهي في الآية (المرضعة) ، فالله حرم على موسى كل المرضع اللائي جئى بهن لإرضاعه والتحریم في الآية "مجاز عن المنع فإن من حرم عليه شيء فقد مُنعه ولا يصح إرادة التحريم الشرعي ، لأن الصبي ليس من أهل التكليف ولادليل على الخصوصية"³.

وفي الآية الثانية وردت اللفظتان (القوي الأمين) مقترنتان ب (أل) الجنسية ، وإن فهم من السياق أن الصفتان تخصان موسى عليه السلام ، لكن الصفتين تفيدان استغراق الكلام في خصائص الأفراد وقياس الصفتين

¹ - سيبويه ألو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 2 ، ص: 177.178.

² - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 51.

³ - الألوسي شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: ماهر حبوش ، مؤسسة الرسالة ، ج 20 ، ص: 123.

على معنى الاستغراق ، يعني أنّ موسى "قوي أمين وكل قوي أمين لائق بالاستئجار ينتج هو لائق بالاستئجار وهو المدعى المفهوم من الطلب"¹ ، وهذا يعني أنّ "الظاهر من (أل) في القوي الأمين للجنس"² .
 والمعنى ذاته في الآية الثالثة ، فقد وردت لفظة (الأجل) مقترنة ب (أل) الجنسية لأنها تُفيد الاستغراق فموسى عليه السلام قد قضى كلّ الأجل المتفق عليه وأتم المدة المضروبة لما أراد شعيب منه .
 ومن نماذج (أل) الجنسية ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ﴾³ .
 في الحديث جاءت لفظة (العبد) مقترنة بـ (أل) الجنسية ، لأنها تفيد استغراق الكلام في خصائص العباد لأنّ علامتها أنّ يخلفها (كل) مجازا لا حقيقة ، والواضح من خلال النماذج التي ذكرناها أنّ (أل) الجنسية لا تؤدي دور الربط النصي .

هـ - (أل) النائية عن الضمير:

هذا النوع من (أل) أجازه الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين منهم ابن مالك⁴ ، كما تحدث عنه ابن هشام حين فصل روابط الجملة بما هي خير عنه⁵ ، وفي هذا النوع تنوب (أل) عن الضمير المضاف إليه إذ "قد يتحقّق الربط ب(أل) التي يعاقبها الضمير وهي الدالة على الجنس المقيد بمضاف إليه مقدر أغنت عنه(أل) كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴾ ، (النازعات الآية 40.41) أي نهي نفسه عن هواها فإنّ الجنة مأواه"⁶ .

فتلاحظ أنّ مصحوب (أل) النائية عن الضمير لم يسبق له ذكر في النص، فهي ليست من العهد الذكري وتحتل أنّ تكون جنسية أو ذات عهد ذهني ، غير أنّ إمكانية تعويضها بالضمير هو ما يجعلها نائية عن الضمير .
 وفي هذا النوع نسوق شاهداً من سورة القصص وهو قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورٌ ۗ ﴾ ، (القصص الآية 12) ، الشاهد موجود في كلمة

¹ - الألويسي شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج20 ، ص: 66.

² - المصدر نفسه ، ج20 ، ص: 66.

³ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص: 2074. (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) .

⁴ - المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم الجني الداني في حروف المعاني ، تحقيق : فخرالدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1992م ، ص: 198.

⁵ - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج2 ، ص: 555.

⁶ - تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2000م ، ص: 94.

(المراضع) فقد اقترنت بـ (أل) وقد أغنت (أل) عن مضاف إليه مقدر ، ولذلك يصح أن يعقبها ضمير نقول فيه: (وحرمنا عليه مراضعه) ، والضمير المتصل عائد على نبي الله موسى وبذلك تكون (أل) المقترنة بلفظ (المراضع) نائبة عن الضمير ومؤدية وظيفته في الربط عن طريق الإحالة الداخلية القبلية أو إلى سابق ، فيتحقق الاتساق الدلالي للنص ، وهو تبيان مقادير وتصاريف الله عز وجل في إرجاع موسى إلى أمه كما وعدنا الله عز وجل .

رابعا : الاسمُ الموصُولُ:

ذكرنا سابقاً أن شرط الربط بالضمير "أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه"¹ ، غير أن تعدد الأغراض والمقاصد الكلامية تدفع المتكلم "لوصف المرجع بصفة تدل على مدحه أو ذمه ، فيلجأ عندئذ إلى الربط بلفظ غير الضمير إذ إن الربط بالضمير لا يؤدي هذا الغرض ، إذ الضمير لا يفيد مدحاً ولا ذمّاً للمرجع إلا في حالة كون الضمير للشأن أو القصة"² .

ومن وسائل الربط التي تفيد مدحا أو ذما للمرجع الربط بالاسم الموصول و الموصولات نوعان اسمية وحرفية فالموصول الاسمي "هو ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية معهودة أو بظرف أوجار ومجرور تامين أو وصف صريح وإلى عائد، وأما الموصول الحرفي فهو ما أول مع صلته بالمصدر، ولم يحتج إلى عائد"³ ، وسنركز في بحثنا هذا على الموصول الاسمي لما له من أهمية بالغة في اتساق النص ، فهو يقوم بوظيفتين أساسيتين في النص هما الربط والإحالة لأن فيه "طاقة للربط بين أوصال الجملة أو السياق القائم على أكثر من جملة"⁴ .

على الرغم من الابهام الذي يعتريه فهو "اسمٌ غامضٌ مبهم يحتاج دائما لتعيين مدلوله وإيضاح حال مراد منه إلى أحد شيئين إما جملة أو شبهها وكلاهما يُسمَّى صلة الموصول"⁵ ، والصلة تركيب لغوي تأتي بعد الاسم الموصول الذي "لا يتضح معناه إلا بتضامه مع صلته"⁶ ، وفي ذلك دليل -مزدوج- على الربط الذي يؤديه الاسم الموصول وهو "أن يصح لضمير الغيبة أن يعاقبه في موقعه"⁷ ، ودليل ثانٍ على الترابط الموجود بينه وبين صلته والتي "لا يجوز أن تتقدم على الموصول لأنها كبعضه ، ولا بد أن يكون في صلة الأسماء الموصولة ما يرجع إليها"⁸ ، ولا بد أن يكون

¹ - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، ص: 122.

² - حسين رفعت حسين ،الموقعية في النحو ، ص: 273.

³ - الفاكهي عبد الله بن أحمد النحوي المكي ، شرح كتاب الحدود ، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدميري ، 1988م ، ص: 153 إلى 156.

⁴ - المرجع السابق ، ص: 275.

⁵ - حسن عباس ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص: 341.

⁶ - المرجع نفسه، ص: 274.

⁷ - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، ص: 122.

⁸ - ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي ، الأصول في النحو ، تحقيق: عبد الحسين الفتيلي ، مؤسسة الرسالة ، ج 2 ، ص: 223.

في جملة الصلة ضمير يعود على الاسم الموصول ، أو ما يُغني عن الضمير - طبقاً للبيان الخاص بالصلة- وهذه الصلة هي التي تُفيد الموصول الاسمي التعريف¹ .

وللموصول الاسمي ألفاظ تنقسم إلى قسمين المختصة والعامة أو المشتركة "المختص ما كان نصاً في الدلالة على بعض الأنواع دون بعض ، مقصوداً عليه وحده ، فلنوع المذكر ألفاظ خاصة به ، ولنوع المفردة المؤنثة ألفاظ خاصة بها ، وكذلك للمثنى بنوعيه ، وللجمع بنوعيه .

والعام أو المشترك ما ليس نصاً في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض ، أي ليس مقصوداً على بعضها وإنما يصلح للأنواع كلها"² ، وأشهر الألفاظ الخاصة : الذي ، التي ، اللذان واللذين اللتان واللتين ، الألى ، الذين اللاتي ، اللاتي . وأشهر الألفاظ العامة والمشاركة : مَنْ ، ما ، أي .

فرضت علينا طبيعة البحث القيام بعملية إحصائية شملت المدونات واتضح لنا وجود ثمان وسبعين (78) مثالاً للأسماء الموصولة وهي تتوزع على النحو التالي:

الموصولات المختصة			الموصولات المشتركة	
التي	الذين	الذي	ما	من
03	14	11	27	23

ومن خلال الشواهد التي وقفنا عليها للأسماء الموصولة سنوضح الفائدة النصية التي أضفتها الموصولات الاسمية من خلال النماذج التالية :

1- النموذج الأول :

﴿ إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَعَاتَيْنَهُ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاحِيَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أُولُو الْعِلْمِ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَ هَذَا لَا يُفْلِحُ

1- حسن عباس ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص:342.

2- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص: 342.

الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٤﴾ ، (الفصص الآيات 76 إلى 83).

توفرت الآيات الكريمات على ثلاثة أنواع من الأسماء الموصولة هي : ما، مَنْ، الذين وقد توزعت ما في الآيات ثلاث مرات (03) وجاءت جملة صلتها في الشاهد الأول جملة اسمية مسبوقه بناسخ ﴿إن مفتاحه لتنوء﴾ وقد اختزلت جملة الصلة ما ملكه قارون من المفاتيح ، وهي "مقاليد الخزائن وقيل هي الخزائن نفسها وقيل هي الظروف والأوعية"¹ ، والاسم الموصول (ما) عائد على جملة ﴿إن مفتاحه لتنوء﴾ وجاءت جملة الصلة في الشاهد الثاني جملة فعلية ﴿آتاك الله الدار الآخرة﴾ وقد عاد الاسم الموصول (ما) على جملة ﴿آتاك الله الدار الآخرة﴾ وفي الشاهد الثالث جاءت جملة الصلة فعلية أيضا ﴿أوتي قارون﴾ عاد فيها الاسم الموصول (ما) على جملة ﴿أوتي قارون﴾ وقد اختزلت جملتنا الصلة في الشاهد الثاني والثالث كل ما وهبه الله عز وجل من نعم لقارون ، وأما الاسم الموصول (مَنْ) فقد ذُكر في الآيات ثلاث مرات ، وهذا لمناسبة اشتراكه وشموله كل العباد (المطيع ، الضال ، القوي الضعيف ..) ففي الشاهد الأول جاءت جملة صلته ﴿هو أشد منه﴾ ، وهي جملة اسمية ورد فيها الضمير المنفصل (هو) عائدا على الاسم الموصول (مَنْ) ، وفي الشاهد الثاني والثالث جاءت جملة الصلة جملة فعلية فعلها ماض في الآية ﴿آمن وعمل صالحا﴾ وفعلها مضارع في الآية ﴿يشاء من عباده﴾ وقد احتوت الآيتان على ضمير يعود على الاسم الموصول (مَنْ) ، فالضمير في الشاهد الثاني مستتر في الفعل ﴿آمن وعمل﴾ وتقديره (هو) ويعود على (مَنْ) ، والضمير في الشاهد الثاني جاء مستترا في الفعل (يشاء) وتقديره (هو) ، وجاء متصلا بالاسم (عباده) والضميران (المستتر والمتصل) يعودان على (من) .

وفي بيان أوصاف الذين غرتم الحياة الدنيا وتمنوا أن يكونوا مثل قارون ، ذكر الله عز وجل وصفهم في جملتين الأولى تتكون من الموصول (الذين) وصلته الجملة الفعلية ﴿يريدون الحياة الدنيا﴾ ، وفي الجملة الثانية جاء الموصول (الذين) وصلته الجملة الفعلية ﴿تمنوا مكانه﴾ ، وقد احتوت الجملتان على ضمير مقدر(هم) يعود على الاسم الموصول (الذين) ويرتبط به .

وفي بيان أوصاف الذين يعرفون حقيقة الدنيا ولهم من العلم ما جعلهم يدركون أن ثواب الله خير وأبقى نجد أن الله عز وجل قد خصهم بجملتين تتكون الأولى من الموصول (الذين) وصلته الجملة الفعلية ﴿أوتوا العلم﴾ وفي الجملة الثانية جاء الموصول (الذين) وصلته الجملة الفعلية ﴿لا يريدون﴾ ، وقد احتوت هاتان الجملتان أيضا على ضمير مقدر(هم) يعود على الاسم الموصول (الذين) ويرتبط به ، وما يميز الأسماء الموصولة في هاته الآيات الكريمات أنها توزعت على فضائين الأول يخص قارون ومَنْ تمنوا أن يكونوا مثله وهي: ﴿ما إن مفتاحه﴾ ﴿فيما آتاك﴾ ﴿مَنْ هو أشد﴾ ﴿الذين يريدون﴾ ﴿ما أوتي﴾ ﴿الذين تمنوا﴾ وأما الفضاء الثاني فيخص الذين حباهم

¹ - أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف الغرناطي ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، ج8 ، ص: 323.

الله من فضله فأدركوا أن الفضل بيده يؤتاه من يشاء وهي: ﴿الذين أوتوا العلم﴾ ﴿من يشاء﴾ ﴿للذين لا يريدون علوا﴾ وما ميز هذه الأسماء الموصولة أنها قد وُظِّفت بشكل تفاعلي لا يجعلنا نحس بأن هناك تفكك وانكسار بين أجزاء العناصر اللغوية ، لأنَّ الموصولات الاسمية قد حققت الاتساق الدلالي.

2- التَّمَوُّذُجُ الثَّانِي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم¹: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالْتَّوَّافِلِ حَتَّىٰ أَحْبَبَهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيدَنَّهٗ﴾ .

نجد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورود أربعة أنواع من الأسماء الموصولة ذُكرت وفق الترتيب الآتي : (مَنْ) وهي في الحديث اسم شرط جازم ، ولكنها شبيهة بالموصول الاسمي لأنَّ صلتها (عادى لي وليا لا محل لها من الاعراب) إضافة إلى الموصول (ما) و (الذي) و (التي) ، وقد توزعت هاته الأسماء الموصولة على فضاء الحديث فذكر الاسم الموصول (مَنْ) المشترك لمناسبة شموله لكل العباد ، ثم تلاه (مَنْ) حيث الرتبة الموصول (ما) ليدل بها الله على ما فرضه من فرائض على عباده من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وصوم ...

ونجد أنَّ الله تعالى في حديثه القدسي قد خص عباده الطائعين بأن وضع لهم الموصول المختص (الذي) (التي) ، والغاية من ذلك الكشف عن صفاتهم ومزاياهم التي تم بها حصول محبة الله عز وجل لهم ونالوا بذلك خصيصة دفاع الله عنهم وحصول الإجابة لدعواتهم وقد بيَّن الله ذلك بأربعة جمل وهي : الأولى تتكون من الموصول (الذي) وصلته الجملة الفعلية (يسمع به) والثانية تتكون من الموصول (الذي) وصلته الجملة الفعلية (يبصر به) والثالثة تتكون من الموصول (التي) وصلتها الجملة الفعلية (يبطش بها) ، والرابعة تتكون من الموصول (التي) وصلتها الجملة الفعلية (يمشي بها) ، وقد توفر في جمل الصلة ضمائر منها المستترة والتي يتم تقديرها ، ومنها المتصلة وكل الضمائر تعود على الأسماء الموصولة وترتبط بها .

3- التَّمَوُّذُجُ الثَّلَاثُ :

قصيدة تقوى الله والاحسان إلى الآخرين

في هذه القصيدة نجد أن الشاعر عبدة بن الطبيب قد اعتمد على بعض الأسماء الموصولة ، منها ثلاثة أسماء مختصة واسم مشترك (الذي) (02) الذين ، مَنْ) ، وذلك لتوضيح مقصده والكشف عن مشاعره لذلك استعمل إحالة خاصة بالمفرد المذكور ، وذلك في قوله في البيت الخامس:

وَهُي مِنَ الْكَسْبِ الَّذِي يُغْنِيكُمْ يَوْمًا إِذَا احْتَضَرَ النَّفْسَ الْمَطْمَعُ

¹ - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ص: 1617 . (كتاب الرقاق) .

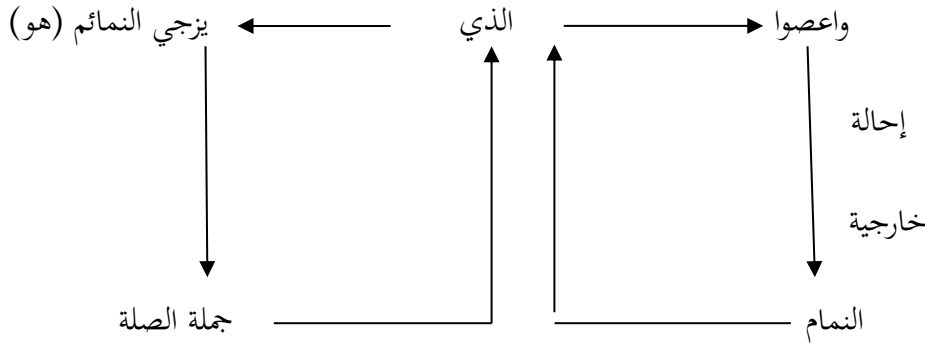
نجد أنّ الشاعر في هذا البيت استعمل الاسم الموصول (الذي) ، وهو عنصر إحالي جاء بصيغة المذكر وقد أحال على عنصر إشاري سابق هو (الكسب) ، محققاً بذلك إحالة قبلية أدت إلى اتساق هذا البيت وتماسكه بفضل الاسم الموصول (الذي) ، فالموصول مع صلته أزالا الغموض والإبهام و، كشفنا عن المعنى في هذا السطر الشعري ممّا أدى إلى تماسكه وانسجامه .

وفي البيت الحادي عشر نجد الشاعر قد اعتمد على الإحالة بالاسم الموصول المختص (الذي) ، ولكن عنصره الإشاري لم يُذكر في البيت على خلاف ما دُكر في البيت الخامس وذلك في قوله:

وَأَعْصُوا الَّذِي يُزْجِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحًا، ذَاكَ السِّمَامُ الْمُفْتَعُّ

نلاحظ أنّ الشاعر في هذا البيت استعمل الاسم الموصول (الذي) ، والذي أحال إلى عنصر إشاري قبله يُقدَّر بضمير المفرد الغائب (هو) ، وهذا الضمير بدوره أحال إحالة خارجية تعود على الرجل النمام الذي ينشر الفتنة والبغضاء بين الناس ، وهو الذي جعل الشاعر يحذر أبناءه منه بقوله (اعصوا النمام الذي...) وقد جاءت الصلة (يزجي النمام) لتوضح المعنى وتزيل الغموض إضافة إلى وجود الضمير المستتر والمقدر (هو) في جملة الصلة ليعود على الاسم الموصول ، ويتحقق الترابط في هذا البيت بين العنصر الإحالي (الذي) والعنصر الإشاري (هو) – النمام) والصلة (يزجي النمام) التي أزالته إبهام الموصول ووضحت المعنى وجعلت المتلقي متصلاً بالنص ومعناه والمخطط التالي يوضح ذلك¹ :

إحالة قبلية داخلية



¹ - يبين المخطط أن الإحالة تمت بواسطة الاسم الموصول المختص (الذي) المتوسط للفعلين (اعصوا) و (يزجي) وقد أحال إحالة خارجية إلى النمام مما أدى إلى تحقيق الربط بين أجزاء التركيب .

4- النموذج الرابع :

قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة الأندلسي .

استعمل الشاعر الاسم الموصول المشترك (ما) في البيت الخامس والعشرين حيث قال:

فَسَلَّى بِمَا أَبْكِي وَسَرَّى بِمَا شَجَا وَكَانَ عَلَى عَهْدِ السُّرَى خَيْرَ صَاحِبِ

أحال الاسم الموصول (ما) في هذا المقطع إحالةً بعديةً على جملة الصلة التي جاءت بعده بحكم ورود المرجع داخل النص ، إذ أحال العنصر الإحالي (ما) وهو العنصر المحيل على عنصر إشاريٍّ مفسَّر له وهو جملة الصلة (أبكي) وفي جملة الصلة الثانية (شجا) ، وقد احتوت الجملتان على ضمير مستتر تقديره (هو) ، وهذا الضمير يحيل إلى الجبل وقد تطابق هذا الضمير مع مُتَعَلِّقِ اسم الموصول وهما الفعلان (سَلَّى) و (سَرَّى) ليبدو تقدير الضمير موزعاً في البيت على هذا الشكل:

فَسَلَّى (هو) ← أبكي (هو) ← سَرَّى (هو) ← شجا (هو) ← كان (هو)

وقد ساهم هذا التوافق في توضيح المعنى والربط بين العناصر اللغوية في هذا البيت ، من خلال استحضر المرجع (الجبل) بواسطة الضمائر والأسماء الموصولة التي أحالت إليه .

5- النموذج الخامس:

قصيدة الرَّمادي للشاعر محمود درويش

نوع الشاعر في قصيدته (الرمادي) من استعمال الأسماء الموصولة (من ، الذي ، التي) ، وقد جاء ذلك للكشف عن مقصده والتعبير عن مشاعره حيث قال¹ :

وَالرَّمَادِي هُوَ الْبَحْرُ الَّذِي دَخَنَ حُلْمِي زَبَدًا

وَالرَّمَادِي هُوَ الشَّعْرُ الَّذِي أَجَّرَ جُرْحِي بَلَدًا

اشتمل السطران على اسمي موصول (الذي) ، وجاءت صلته في السطر الأول جملة فعلية (دخن حلمي) وفي السطر الثاني جملة فعلية (أجَّر جرحي) ، وهذا العنصر الإحالي (الذي) جاء بصيغة المذكر قد أحال على عنصر إشاري سابق هو (البحر) في السطر الأول ، و(الشعر) في السطر الثاني ، محققاً بذلك إحالة نصية قبلية أدت إلى اتساق السطرين الشعريين وتماسكهما بفضل الاسم الموصول (الذي) ، فالموصول مع صلته أزالا الغموض والإبهام وكشفاً عن المعنى .

وفي موضع آخر نجد إحالة بالاسم الموصول (التي) وذلك في قول الشاعر :

وَالرَّمَادِي اعْتِرَافٌ مِثْلَ جُدْرَانِ الزَّنَازِينِ الَّتِي تَكْتَرُّ بَعْدَ الْحَرْبِ

اعتمد الشاعر في هذا السطر على الاسم الموصول المختص (التي) ، الذي أحال به إلى العنصر الإشاري (جدران الزنازين) محققاً بذلك إحالة نصية قبلية ، وجاءت جملة الصلة جملة فعلية (تكثر) فُقدَر فيها الضمير المستتر (هي) الذي يعود على (جدران الزنازين) ، ويتطابق هذا الضمير مع الاسم الموصول المختص للمؤنث (التي)

1 - محمود درويش ، الأعمال الأولى، ج2 ، ص: 184.

وبالتالي فإنّ هذا الضمير يعود أيضاً على الاسم الموصول (التي) ويحقق معه الربط ، ولولا هذا التعالق بينهما لوجدنا تنافراً بين العناصر اللغوية .

من خلال كل النماذج التي عرضناها وجدنا أنّ الاتساق ارتكز على ثلاثة علاقات كان فيها الاسم الموصول هو المشكّل لارتباط محورها:

الأولى: تبينّ فيها أنّ كلّ الموصولات الاسمية ارتبطت وتمسكت لذاتها بجملة الصلة ، من أجل الكشف عن المقصود من الموصولات ، ذلك أنّ الصلات كشفت عن إبهام موصولاتها (من ، ما ، الذي ، الذين ، التي) ، وهذا يوضح جلياً طبيعة العلاقة بين الصلة وموصولها والقائمة على التماسك والترابط .

الثانية: نجد في النماذج المطبق عليها أنّ كلّ موصول قام بعملية ربط بين لاحقه وسابقه ، أي بين الجملة التي جاءت بعده (جملة الصلة) وبين الجملة التي سبقتة ، فمثلا في آيات سورة القصص نجد الموصول (ما) عائد على جملة (ابتغ) وربطها بالصلة (آتاك الله) ، والموصول (الذين) عائد جملة (يسط الرزق) ، وربطها بالصلة (يشاء من عباده) ويكشف هذا عن الدور المهم الذي أداه الاسم الموصول في الربط بين أجزاء الكلام ، وإذا أردنا أن نتبين قيمة الموصولات في الربط يكفي أن نحذفها من التركيب الذي وردت فيه لنرى كيف يفقد هذا التركيب أهم مواصفات صحته وجماله اللغوي ، ويفقد كامل النص اتساقه.

ولأهمية الموصولات في الربط اعتبرها النحاة شبيهة بالضمير ، من حيث كونه يربط بين ما قبله وما بعده ولأنّ الموصول الاسمي أيضا يربط بين المعارف والجمل الواصفة لها ، مما يجعل وظيفته في الربط بين العناصر اللغوية واضحة بحكم المعنى التام والكامل ، وهذا هو الذي جعل **المرجاني** يعتبر أنّ اسم الموصول (الذي) اجتلب ليكون وصلةً إلى وصف المعارف بالجملة¹ ، وهو نفسه الذي دفع الأستاذ **تمام حسان** إلى الإقرار بمشابهة الموصول للضمير بقوله: " ونحن نعلم أنّ الموصول يدل على مطلق غائب ، ومن ثم يشبه ضمير الغائب في مجال الشبه المعنوي ولا يكون له معنى إلاّ مع ذكر موصوفه أو تقديره في ضوء المقام ، وبهذا الدّكر أو التقدير يربط الموصول بين موصوفه وجملة الصلة وذلك بأصل وظيفته"² .

الثالثة: اتضح لنا أنّ جمل الصلة في النماذج تشتمل على ضمائر إما ظاهرة أو مستترة ، يتم تقديرها وهذه الضمائر تعود على الاسم الموصول من جهة وترتبط به ، كما ترتبط أيضا بما سبق الاسم الموصول ، ولولا هذا الضمير لوجدنا التنافر بين العناصر اللغوية ، ففي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أنّ الصلة اشتملت على ضمير متصل دال على المفرد (الهاء) في (به) يعود على الموصول (الذي) ، وكذلك في الصلة في الشاهد الشعري في قصيدة **عبدة بن الطبيب** وهو الضمير المستتر في الفعل (يغنيكم) والذي يعود على الموصول (الذي) فهذا الضمير الظاهر أو المقدر رابط يربط الثاني بالأول ، ويشد بين الاسم الموصول والصلة ولو غاب هذا الضمير

¹ - ينظر: إبراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2009م ، ص: 230.231.

² - تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، ص: 93

فإنَّ التركيب اللغوي يصيبه التفكك والانكسار ، لذلك فإنَّ جمل الصلات تتحد مع الموصولات وتعمل على زيادة الاتساق وتحقيق تماسك النسق اللغوي .

إنَّ وجود الضمير في جملة الصلة يجعل من الموصول محيلاً ومحالاً إليه في الوقت نفسه ، لأنَّ العناصر المحيلة هي الضمائر الواقعة في جمل الصلات ، والعناصر المرجعية المحال إليها هي الأسماء الموصولة (من ، ما ، الذي الذين التي) وبالتالي فإنَّ الإحالة تكون داخلية قريبة بحكم وجود المرجع داخل النص ، ولأنَّ العنصر المحيل والمرجع الذي عاد إليه يتواجدان أيضاً في تركيب لغوي واحد .

من خلال ما عرضناه يتضح لنا أنَّ الأسماء الموصولة من الأدوات اللغوية التي تساهم في الربط وتعمل على شد أواصر النص وتحقيق الاتساق النصي ، وهذا ما وقفنا عليه من خلال النماذج التي شملها التطبيق .

خامسا أسماء الإشارة:

الصورة الخامسة من صور الربط بالإحالة هي الربط باسم الإشارة " وهو لفظ مبهم يستعمله المتكلم للدلالة على الشخص المتحدث عنه أو المشار إليه ، وهو لا يدل على شيء معين مفصل مستقل إلاَّ بأمر خارج عن لفظه ولذلك يكثر بعده مجيء النعت أو البديل أو عطف البيان "1 .

تناول النحاة اسم الإشارة في مصنفاتهم ، وقد اعتبروه وسيلة من وسائل الربط ، منهم ابن هشام الذي فصل ما تعلق بروابط الجملة بما هي خبر عنه وهي عشرة ... والثاني منها الإشارة نحو ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الأعراف الآية 36) "2 ، ففي هذا النص يخبر ابن هشام أنَّ الربط باسم الإشارة هو أحد الروابط التي تربط الخبر الجملة بالمبتدأ ، ويستشهد بآيات كريمات تدل على ذلك .

وعلى هذا الأساس فإنَّ اسم الإشارة رابط من الروابط التي يتحقق بواسطتها الوصل ، يقول ابن يعيش في ذلك : " اسم الإشارة وصلة إلى نقل الاسم من تعريف العهد إلى تعريف الحضور والإشارة .. ويجوز أن يتوصل به (هذا) إلى نداء ما فيه الألف واللام فتقول : يا هذا الرجل كما تقول : يا أيها الرجل "3 .

ومن المحدثين نجد الأستاذ تمام حسان الذي يرى أنَّ الربط يكثر بالإشارة في القرآن الكريم ، ويجوز أن نعوض اسم الإشارة بضمير الغائب شرط أن يناسبه ويوافقه يقول في ذلك : " وينبغي أن نشير إلى أنه على الرغم من دلالة الإشارة على الحضور وإشارتها إلى مذكور سابق ، نرى أنه يطرد إمكان استبدال ضمير الغائب بها في كل موقع تربط فيه بين عناصر الجملة "4 ، ولإثبات ذلك يورد الأستاذ تمام حسان أمثلة كثيرة من القرآن الكريم

1- عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص: 339.

2- ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 2 ، ص: 553.

3- ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج 2 ، ص: 78.

4- تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، ص: 121.

يستدل بها على إمكانية تعويض الضمير لاسم الإشارة منها قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنَ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَآتِكَ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ، (الأعراف الآية 26) ، في هذه الآية يصلح الضمير (هو) أن يحل محل الإشارة .

ومايمز أسماء الإشارة أنها من أكمل الروابط تمييزا وتعيينا ، لأنها تزيل الإبهام والاشتباه إذا ذُكرت ويتعين مدلولها بالعقل مقرونا بإشارة حسية إليه¹ ، بخلاف اسم العلم والمضمر الذي يتعين لنا مدلولهما بقصد عقلي فقط لهذا فإن أسماء الإشارة تدل على معنى في ذاتها ، عكس الحروف التي تدل على معنى في غيرها ، وتنقسم أسماء الإشارة بحسب المشار إليه إلى قسمين : قسم يجب أن يُلاحظ فيه المشار إليه من ناحية أنه مفرد ، جمع مع مراعاة التذكير والتأنيث والعقل وعدمه في كل ذلك ، وقسم يجب أن يُلاحظ فيه المشار أيضا ولكن من ناحية قربه أو بعده أو توسطه بين القرب والبعد² . ومن أسماء الإشارة إجمالا: هذا ، هذان ، هذه ، هاتان ، هؤلاء ، ذلك ذانك تانك، تلك، تيك³

وفي حالة عزلها عن التركيب تصبح فارغة غير مشحونة بالمعنى الذي يُقصد منها ، فتكتفي بدلالاتها الوضعية فقط كدلالتها على الشخص في الخطاب في حالات التكلم والمخاطبة والغيبة ، ودلالة الجنس والعدد والمحل الإعرابي في حالات الرفع والنصب والجر . لذلك فإن الإبهام الذي تتميز به أسماء الإشارة من جانب الوضع المعزول يوجب أن يرد معها مُعين يخرجه من الإبهام إلى المعارف ، أي أن استعمالها يقتضي أن يتوفر معها ما يرفع ذلك الإبهام ويجعلها قادرة على الإحالة على الخارج .

وأسماء الإشارة تدل وضعا على الإشارة ، واستعمالا على انتقاء شيء (قد يخص بالصفة) ليحدث عنه أو به وهي في هذا تلتقي بوجهي التسمية بسائر الأسماء ، لكنها تختلف عنها في كون "الأسماء موضوعة للزوم مسمياتها"⁴ ، وهذا يعني أنها " غير مبهمة أما أسماء الإشارة فإنها ليست ملازمة لمسمياتها ، لأنك تشير بها إلى ماهو بحضرتك ، وقد يوجد بحضرتك أكثر من شيء فُتخصَّص بالصفة للتقليل من الاشتراك ، لذلك عُدَّت من المبهمات . و في هذا الفارق يكمن الاختلاف ، بينها وبين الأسماء في حصول المعنى ، وفي صورة التعلق بالخارج واسم الإشارة لا يحيل على مُسمى لكون دلالاته مبهمة ، وإنما يحيل على مشار إليه ، ووضع المشار إليه ليس وضع المسمى لقيام التسمية على الخصوص والإشارة على العموم وضعا ، لذلك فإن الإشارة لاتتحقق إلا متى توفر ما يعيّن المشار إليه"⁵ .

وردت أسماء الإشارة في المدونات خمسة وعشرين مرة (25) وهي من أقل الروابط حضورا في المدونات إذا ما تم مقارنتها ببقية الروابط، وقد توزعت الإشارات في نماذج التطبيق على النحو الآتي : هذا (16 مرة) ، تلك

¹ - عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 1 ، ص: 321.

² - المرجع نفسه ، ج 1 ، ص: 322.321.

³ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 1 ، ص: 78.77.

⁴ - ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج 3 ، ص: 126.

⁵ - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ج 2 ، ص: 1065.

(03 مرات) ، هذه (مرتان) هاتين (مرة واحدة) ، أولئك (مرة واحدة) ذلك (مرة واحدة) ذاك (مرة واحدة) وسنحاول الوقوف على الدور الذي أدته أسماء الإشارة في الربط وزيادة الاتساق النصي من خلال الأمثلة الآتية:

1- التَّمَوِّجُ الأوَّل:

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَقِّقًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمَنْ عِنْدَكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقِيَكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ (الفصص الآية 27) .

الشاهد في الآية الكريمة هو قول الله عز وجل: (إحدى ابنتي هاتين) إذ أننا نجد توفر جميع أركان الإشارة التي تتناسب وتتناسق مع أركان التخاطب والتواصل في الآية على النحو التالي :

أ- مشير = المتكلم = الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام

ب- مشار له = المخاطب = موسى عليه السلام

ج- مشار إليه = الشيء في الخارج = الابنتان

د- مشار به = أداة الإشارة = هاتين

نجد في هذه الآية الكريمة إحالة من اسم الإشارة (هاتين) ، الذي دُكر مرة واحدة حيث أحال إلى ابنتي شعيب عليه السلام وهي إشارة بدينية موجودة خارج النص ، لتنبه موسى عليه السلام إلى رغبة نبي الله شعيب في تزويج إحدى ابنتيه له ، وفيه اطمئنان شعيب لموسى لما سمعه من ابنتيه حول قوته وأمانته ، لذا رضي به صهرا له على أن يستأجره لأجل معلوم بينهما وفي قوله (هاتين) "دليل على حضورهما إذ ذاك"¹ ، وهذا من مقتضيات الإشارة الحسية لإحديهما ، لذلك فإنَّ رافع الإبهام في إشارة النص جاء من العهد المقامي الحضورى ، فينكشف لنا التلاحم والانسجام بين الإشارة اللفظية باسم الإشارة (هاتين) ، والإشارة البدنية الصادرة من شعيب عليه السلام وهذا الذي يجعلنا نحن-المتلقين- نستحضر المشهد الذي جمع بين شعيب وموسى وابنتيه وكأنه ماثل أمامنا أو كأننا شهود على هذا القران المبارك ، كما يصور لنا المخاطب وكأنه يتحدث أمامك فتتفاعل مع خطابه إلى درجة التأثير والإقتناع ، وهذا ما يثبت نجاح النص على المستوى اللساني.

2- النموذج الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ²: ﴿أَتَدْرُونَ مَنْ الْمَفْلِسُ؟﴾ «قَالُوا: الْمَفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أَقْتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

¹ - محمد حسين الطبطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج20 ، ص: 27.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص: 1997. (كتاب البر والصلة و الآداب) .

توزعت أسماء الإشارة في نص الحديث بنسبة معتبرة وقد توافقت كلُّ أركان الإشارة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتناسبت مع أركان التخاطب على النحو التالي:

- أ- مشير = المتكلم = الرسول صلى الله عليه وسلم
 ب- مشار له = المخاطب = الصحابة رضوان الله عليه
 ج- مشار إليه = الشيء في الخارج = المعتدى عليه (المقدوف المأكول ماله المسفوك دمه...)
 د- مشار به = أداة الإشارة = هذا

في هذا الحديث نجد إحالة خارجية من اسم الإشارة (هذا) ، الذي تكرر في نص الحديث سبعة (07) مرات والذي يحيل بعديا إلى المعتدى عليه بالسب والقذف ، والذي أُكِلَ ماله وسُفِكَ دمه وهي إشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم لتنبه الصحابة لحقيقة المفلس ، ويبدو المشار إليه قريبا من خلال سياق الحديث ، لأنَّ ما يدنو من المذكر نقول فيه (هذا) وما تراخى عنا من المذكر نقول فيه (ذاك) ، ونلاحظ في تركيب الحديث أنَّ لفظ الإشارة (هذا) قد استعمل قبل توفر المشار إليه ، وهذا جائز عندما يحيل لفظ الإشارة أحال إحالة بعدية إلى المفسر ويتأخر رافع الإبهام في الذكر ، وهنا نعتبر إحالة اسم الإشارة ذات علاقة دلالية بين المحيل والمحال إليه وهي "تخضع لقيود دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"¹ ، كما أننا نجدها قد ساهمت في الحديث في ترابط نسق النص وانسجام الخطاب ، وفي بناء عملية التواصل وإيصال المفهوم وتقريبه للصحابة الكرام .

3- التَّمَوِّجُ الثَّلَاثُ:

في قصيدة للموت ما تلدون لأبي العتاهية وردت ثلاثة أسماء إشارة (هذا مرتان (02) هذه) في الأبيات

التالية:

هَلَا أَبَادِرُ هَذَا الْمَوْتِ فِي مَهَلٍ هَلَا أَبَادِرُ هَذَا الْمَوْتِ فِي مَهَلٍ
 إِنَّ الْخَلَائِقَ فِي الدُّنْيَا لَوِ اجْتَهَدُوا أَنْ يَحْسُوا عَنْكَ هَذَا الْمَوْتِ مَا حَبَسُوا
 مَا لِي رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا قَدْ افْتَتَنُوا كَأَنَّمَا هَاتِهِ الدُّنْيَا لَهُمْ عُرْسٌ

نلاحظ في البيتين الأول والثاني أن الشاعر استعمل اسم الإشارة الخاص بالمفرد المذكر (هذا) ، والذي أحالنا إلى عنصر لاحق بعده (الموت) ، محققاً بذلك إحالة داخلية بعدية ، محدثا ترابطا في أجزاء البيتين الشعريين بعضها ببعض ، ويمكن الوقوف على التوافق بين أركان الإشارة في البيتين وتناسبها مع أركان التخاطب من خلال المخطط الآتي:

¹ - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 17.

أ- مشير = المتكلم = الشاعر.

ب- مشار له = المخاطب = القارئ ، ويمثل المتلقي الذي يوجه له الشاعر رسالته .

ج- مشار إليه = الشيء في الخارج = الموت.

د- مشار به = أداة الإشارة = هذا .

واستخدم الشاعر كذلك اسم الإشارة الخاص بالمفرد المؤنث (هذه) في البيت الثالث ، وقد أحالنا العنصر الإشاري (هذه) إلى مذكور بعده هو (الدنيا) على سبيل الإحالة البعدية ، ليحقق تماسكا وترابطا نصيا ولولا وجود العنصر المفسر الإشاري (الدنيا) لاختل المعنى وحدث فيه غموض ، فكان هذا العنصر الإشاري إجابة عن العنصر الإحالي المتمثل في اسم الإشارة (هذه) فأسهم بذلك في تحقيق اتساق النص وانسجام أجزائه .

من خلال عرضنا لهذه النماذج يتضح لنا الوقوف على الشبه بين أسماء الإشارة والضمير ، وقد أشرنا إلى نقطة التشابه بينهما ، إذ يمكن أن يعوض اسم الإشارة بالضمير في عملية الربط في النص "فالإشارة تستعمل في الربط في مواقع صالحة للربط بضمير الغيبة عند إرادة الفصل به"¹ .

ولتوضيح ذلك والوقوف على صورة تعويض الضمير لاسم الإشارة في عملية الربط ، نعرض المثال التالي من

قصيدة تقوى الله والإحسان للآخرين لعبد بن الطيب:

واعصُوا الَّذِي يَجْزِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحًا ذَاكَ السَّمَامُ الْمُنْقَعُ

نجد أنّ الشاعر في البيت استخدم اسم الإشارة (ذاك) ، وقد أحال إحالة بعدية إلى مذكور بعده (السمام المنقع) وقد حقق ذلك تماسكاً وترابطاً نصياً بين المحيل والمحال إليه ، فالمشير هو الشاعر والمشار له هم الأبناء والمشار إليه هو النمام الموصوف بالسمام المنقع ، والمشار به أداة الإشارة (ذاك) ، وقد تناسبت أركان الإشارة مع أركان التخاطب ، وفي البيت يمكننا حذف اسم الإشارة (ذاك) وتعويضه بالضمير المنفصل الدال على الغائب المذكر المفرد (هو) ليصبح تركيب البيت على النحو التالي:

واعصُوا الَّذِي يُرْجِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحًا هُوَ السَّمَامُ الْمُنْقَعُ

وتبدو لنا علمية الاستعاضة ناجحةً والربط صحيح وسليم بين عناصر التركيب في البيت ، وبالتالي فإنّ أسماء الإشارة يمكن تعويضها بالضمير لتحقيق الربط .

"وإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه ، فإنّ أسماء الإشارة تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري ، وهي مثلها تماماً لا تفهم إلا إذا ربطت بما تُشير إليه"² .

هذا يعني أنّ ألفاظ الإشارة إذا عُزلت من التركيب فهي تشبه ألفاظ الإضمار ، لأنها تكتفي بدلالاتها الوضعية فقط وتكتسب خاصية التعريف إذا استعملت في التركيب ، وهنا يتضح لنا أنّها تجمع بين الإبهام والتعريف

¹ - ينظر: تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، ص: 121.

² - الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص : 117.

في الآن ذاته وهذا ليس تناقضاً لأنَّ الإبهام يتحقق بعزلها عن التركيب ويَزول عنها بالاستعمال ، ويتضح لنا ذلك من خلال الشاهد الذي نسوقه من قصيدة الرمادي لمحمود درويش يقول:

قَدْ ذَهَبَ العَمْرُ ، ولم أَذْهَبْ مَعَ العُمَرِ إلى هَذَا المَسَاءِ

ويقول:

والسَّرَابُ الضَّوءُ في هَذَا الزَّمَانِ

واضحٌ من أنَّ اسم الإشارة يجري مجرى الربط كونه قد أحال إحالة بعدية إلى مذكور بعده ، وهو لفظ (المساء) ولفظ (الزمان) ، وقد فسر اللفظان (المشار إليهما) دلالة العنصر الإشاري ، وهي في الحقيقة إشارة إلى شيء موجود وحاصل في الذهن بعد التلفظ به ، وقد استعملت صيغة الإشارة للقريب (هذا) كون المحكي عنه حاضر في الذهن فاسم الإشارة (هذا) مبدل منه ومحيل ، والبديل الذي يشير إليه هو اللفظان (المساء ، الزمان) المتأخرين عنه والمحال إليهما والعود على متأخر هو إحالة بعدية أو إحالة إلى لاحق تسهم في اتساق النص.

وهذا يعني أنَّ ما بعد الإشارة (البديل أو عطف البيان) قد خصص العنصر الإشاري بتعيينه وتفسيره ورفع الإبهام عنه ، والذي يكون من العهد الحضوري المقامي أو المقالي ، لأنَّ المشار إليه قد يتقدم ذكره في التركيب وفي حالة ماورد المشار إليه معرفاً (بديل) ، فإنه يصنف في العهد الحضوري لا الذكري لأنَّ مايرفع الإبهام عن أسماء الإشارة عهدان، وهما العهد الحضوري المقامي (في الإشارة الحسية) والعهد الذكري المقالي القائم على التقدم في الذكر وقد قدم النحاة العهد الحضوري المقامي على العهد الذكري المقالي في رفع الإبهام عن اسم الإشارة ، لأنَّ "المشار إليه ما أشير إليه إشارة حسية أي بالجوارح لا عقلية"¹ ، وهذا ما وقفنا عليه من خلال استقراءنا للمدونات حين وقفنا على الإشارة الحسية والإشارة الذهنية ، والتي إن وردت في التركيب فإنها تحدث أثرًا حسيًّا وتحقق التعريف للمُخاطَب فكأنه يعرف المشار إليه بالعين كقوله تعالى : (إحدى ابنتي هاتين) وفي الحديث (وقد ضرب هذا) أو يعرفه بالقلب كقول الشاعر (هلا أبادر هذا الموت) فالإشارة إذاً موجَّهة للمخاطب لا للمشار إليه ، وبالتالي فهي عملية لغوية يحدثها المتكلم (المشير) للمُخاطَب (المشار له) وبالتالي فإنَّ مجال الإشارة لايتوقف عند المعنى المقصود من الجملة، وإنما يتعدى إلى المعنى الأساسي للنص ككل وهي بذلك (الإشارة) تعمل على سبك الجمل ونسج التراكيب ليصير النص كتلة متماسكة ومنسجمة ، وهذا الذي لمسنه في نصوص المدونات .

خُلاصة :

من خلال عرضنا لهذا الفصل ، يمكن أن نخلص إلى أنَّ الروابط الإحالية ، هي الأدوات التي تحيل إلى مراجعها الموجودة داخل النص أو خارجه ، وهي تختلف من حيث كثافة حضورها في مدونات التطبيق ، إذ تنصدر أداة التعريف (أل) نسبة الحضور ، وتعمل هذه الأداة على تحقيق الترابط النصي ، والذي يتضح لنا من خلال

¹ - الاسترابادي محمد بن الحسن السمنائي النجفي رضي ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، ج2 ، ص: 186.

اتفاق الإحالة بين الاسم المعرف وعنصر آخر متقدم أو متأخر عليه ، وهنا يبدو لنا الشبه بينها وبين الضمير من حيث إشارتهما إلى شيء سبق ذكره، و لابد من الإشارة أن وظيفة الربط لا تشمل (أل) التعريف في عمومها. إذ يقتصر الربط على (أل) العهدية عهدا ذكريا ، أو ذهنيا ، إضافة إلى (أل) النائبة عن الضمير ، أمّا (أل) الجنسية و(أل) العهدية الحضورية ، فلا تؤديان وظيفة الربط ، وهذا ما وقفنا عليه في نماذج التطبيق، على أن (أل) العهدية عموما تعمل على تحقيق آلية من آليات الانسجام ، وهو ما ذكره كل من براون ويول حين أشارا إلى مبدأ التأويل المحلي ، فعن طريق (أل) العهدية ينفي المتلقي كل تأويل لا ينسجم مع السياق النصي عن طريق حصر المفهوم في حدود السياق ، إضافة إلى استحضار المعرفة الخلفية للعالم ، وذلك باستدعاء سوابق المعرفة التي تهيم الوسط النصي للمتلقي ، الذي يسهم في تأويل النص والانسجام معه .

وتأتي الضمائر في المرتبة الثانية من حيث نسبة الحضور ، إذ تتوزع على مساحات النصوص المختارة لتعوض الأسماء والصفات ، تفادياً لتكرارها ، وقد أشرنا سابقا إلى قول الأستاذ تمام حسان ، حين أشار إلى أن الضمير بديل لإعادة الذكر في الاستعمال ، وأدعى إلى الخفة والاختصار ، لأنه يمنع التعدد الدلالي ، ويحقق أمن اللبس وما يميز الضمائر تنوع إحالاتها ، فقد تحيل داخل النص كضمائر الغائب ، أو تحيل خارج النص كضمائر المتكلم والمخاطب ، وقد تكون الإحالة قبلية ، أو تكون بعدية ، كما أن مداها يكون قريباً من المرجع أو يكون بعيداً عنه بين المحال الذي يُذكر في أول النص والمحيل إليه في آخر النص ، مما يدفع بالمتلقي بالعودة إلى بؤرة النص واستدعاء موضوع الخطاب ، عن طريق مبدأ التغيريض بالارتكاز على المعنى المعرّض ، وبالتالي تحقيق الانسجام النصي . ويعمل التكرار (إعادة الذكر) على زيادة الترابط النصي ، حيث يحيل بدوره إلى العنصر الإشاري المذكور أول الأمر في النص ، وإعادة ذكره مرة أخرى ، مما يزيد في النص في التماسك الشكلي والانسجام الدلالي عن طريق إحالة اللآحق على السّابق ، وزيادة التلاحم بين عناصر النص المتباعدة ، إضافة إلى ما يضيفه التكرار من أغراض تفهم من سياق الكلام منها التأكيد والتعظيم والتهويل والتنبيه ...

ثم تأتي الأسماء الموصولة ، التي تحيل بدورها إلى ما قبلها من الكلام ، فتظهر بديلاً لاستعمال الضمير ، وقد وقفنا في نماذج التطبيق على شدة التلاحم بين الأسماء الموصولة وما تحيل إليه من جهة ، ثم الترابط بينها وبين صلتها التي ترتبط هي أيضا بما قبلها . وفي الأخير تأتي أسماء الإشارة ، والتي تحيل إحالات خارجية في نصوص المدونات وذلك عندما تكون المراجع الأصلية المحال إليها موجودة خارج الحوار ، وهي بذلك تعمل على تجسيد التمثيل الحسي عند المخاطب فيتعرف على المشار إليه .

وهنا لا بد من الإشارة إلى جزئية مهمة ، وهي أن الروابط الإحالية لا تكفي لتحقيق الاتساق النصي ، إذ يجب أن تتوفر شروط لتحقيق الترابط النصي الكامل ، منها مبدأ المطابقة بين المحيل والمحال إليه ، لكي يتضح المعنى يُضاف إلى ذلك أن الاتساق والانسجام النصي لا يقتصر على رابط لوحده ، وإنما تجتمع الروابط جميعها في النص وتتفاعل فيما بينها لتحقيق للنص نصيته ، وتكتمل هذه النصية بإضافة عنصر آخر وهو المتلقي ، الذي يسهم هو أيضاً في تحقيق الانسجام ، عن طريق استغلال المقام وسابق المعارف والعلم بالمضمّر في النص .

الفصل الرابع

الروابط غير الإحالية ودورها في اتساق وأنسجام نصوص المدونات

- تمهيد
- المبحث الأول: أدوات الشرط
- المبحث الثاني: أدوات الاستفهام
- المبحث الثالث: أدوات النفي
- المبحث الرابع: أدوات النداء
- المبحث الخامس: أدوات القسم
- المبحث السادس: أدوات العطف
- خلاصة

تمهيد :

إنَّ ما يميز الروابط الإحالية الدور الذي تؤديه على مستوى النَّصِّ في إحداث الاتساق والانسجام ويتضح لنا هذا الدور من خلال إحالتها لعنصر لغوي إلى عناصر لغوية داخل النص ، أو عناصر غير لغوية خارج النص وهذا يعني أنَّ تحليلنا لهذه الروابط ووقوفنا على الدور الذي أدته في إحداث الاتساق النصي ، لا يقتصر على الإحالة التي أدتها هذه الروابط الإحالية على مستوى الاتساق في النص ، وإنما على المستويين معًا وهما الاتساق والانسجام، من خلال التداخل بين الروابط الإحالية والروابط غير الإحالية هذه الأخيرة تمثلها بقية الأدوات النحوية والبلاغية ، وهي على مستوى التمثيل لا الحصر : أدوات الشرط ، أدوات الاستفهام ، أدوات النفي أدوات النداء ، أدوات القسم ، أدوات العطف ... وهي كثيرة لا يمكن لبحثنا أن يسعها جميعا لذلك ، فإننا سنركز جهدنا على تناول ما ظهر منها في المدونات -مع التمثيل لذلك- والتي لها دورٌ فعَّالٌ وواضحٌ في إحداث الاتساق والانسجام على مستوى مدونات التطبيق .

أولاً- أدوات الشرط:

يقتضي منَّا الحديث عن أدوات الشرط التطرق إلى أنواعها باعتبارها أدوات غير إحالية تعمل على إحداث الاتساق والانسجام على مستوى النص ، فهي تنقسم إلى قسمين:

- أدوات شرط جازمة وتنفرع هذه الأدوات الجازمة بدورها إلى فرعين وهما: أدوات تجزم فعلا مضارعا

واحدا وهي أربع أدوات (اللام الطلبية ، لا الطلبية ، لم ، لما) .

- وفرعٌ لا بد أن يجزم فعلين مضارعين ، أو ما يحل محل كل منهما ، أو محل أحدهما وهي : (إنَّ ، إذما، من

ما ، مهما ، متى ، أيان ، أين ، أنى حيثما ، أي) وكلها أسماء ما عدا (إنَّ ، إذما) فهما حرفان¹ .

ولتدخل هذه الأدوات على اسم ، وإنما تحتاج إما إلى فعلين مضارعين تجزم لفظهما مباشرة إنَّ كانا معربين

ومحلها إنَّ كانا مبنيين ، وأولهما يُسمَّى فعل الشرط وثانيهما يسمى جواب الشرط وجزاءه وقد يرد فعل الشرط

وجوابه مثبتين وقد يرد جواب الشرط مقترناً باللام الموطئة أو بالفاء أو مؤكداً بـ(قد) وقد تقترن اللام بجواب الشرط

فتكون رابطة بين السابق واللاحق ، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ

وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُتَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ، (النحل الآية 93) ، في الآية نجد أن اللام المتصلة بالفعل (جعل)

إنما جاءت لتبين أنَّ ما بعدها يرتبط بما قبلها ارتباطاً متيناً، ومع إمكانية أن يرتبط فعل الشرط بجواب الشرط دون

وجود اللام، إلا أنَّ وجودها يصور قوة هذا الترابط، ومتانة الاتساق للتركيب اللغوي .

¹ - ينظر: عباس حسن ، النحو الوافي ، ج4 ، ص: 421. وينظر: ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، شرح

جمال الزجاجي ، تحقيق : علي محسن عيسى ، عالم الكتب ، ط1 ، 1985م ، ص: 292.

ومن الحروف التي تقتزن بجواب الشرط أيضا (الفاء) وتسمى الفاء الواقعة في جواب الجزاء أو فاء الجزاء¹ نحو: إن تأتي فأنا أكرمك ، فالفاء قبل أكرمك رابطة لجواب الشرط فبين فعل الشرط وجوابه ترابط أحدثه الشرط من جهة وأحدثه وجود الفاء الرابطة لهما من جهة أخرى ، وقد أطلق النحاة على الشرط اسم الجزاء منهم سيبويه الذي تحدث عنه في كتابه في باب الجزاء مفرقا بين أدوات الشرط (الحروف والظروف والأسماء) يقول: " فما يجازى به من الأسماء غير الظروف: من ، وما ، وأيهم ، وما يجازى به من الظروف :أي ، حين ، ومتى ، وأين ، وأنى وحيثما ومن غيرهما إن ، وإذما"² ، وقد يتحقق الربط في التركيب دون أداة الشرط على اعتبار أن المحل هو الجزم كقولنا: " اتني آتك، فتجزم على ماوصفنا، وإن شئت رفعت على أن لا تجعله معلقاً بالأول"³ .

وبالعودة إلى الأصل فإن أدوات الشرط تعمل على الربط بين الجملتين ، بين جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط وتمثل الجملة الأولى جزءا يحتاج إلى الجملة الثانية التي تسمى خبرا⁴ ، وتتحد الجملتان لتشكيل وحدة نصية تامة المعنى بحيث "تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثانيا منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك"⁵ ، وقد أشار الجرجاني إلى التلاحم والاتحاد بين جملتي الشرط (فعل الشرط والجزاء) لأن حكمهما حكم جملة واحدة يربط بينهما المعنى المشترك ، بحيث لاينم معنى الجملة الأولى إلا إذا ذكرت الجملة الثانية ، وفي هذه الحالة يقتضي أن تعامل الجملة الثانية على أساس أنها جملة معطوفة ، وترد هذه الجملة في أشكال متنوعة فقد تأتي خبرا أو حالا أو صفة يقول الجرجاني : "واعلم أن سبيل الجملتين في هذا، وجعلهما بمجموعهما بمتلة الجملة الواحدة سبيل الجزئين تعقد منهما الجملة ، ثم يجعل المجموع خبرا أو صفة أو حالا كقولك: زيد قام غلامه ، وزيد أبوه كريم ، ومررت برجل أبوه كريم ، وجاءني زيد يعدو به فرسه ، فكما يكون الخبر والصفة والحال لاحالة في مجموع الجزئين لاني إحداهما، كذلك يكون الشرط في مجموع الجملتين لا في إحداها . وإذا علمت ذلك في الشرط فاحتده في العطف ، فإنك تجده مثله سواء"⁶ .

يتضح لنا الدور الذي تؤديه أدوات الشرط من خلال ربط جزئي الكلام ، بحيث تجعل الجملة الأولى سببا (شرط) في حدوث الجملة الثانية (الجواب) ، فحروف الشرط هي "كل حرف دخل على جملتين فعليتين فجعل الأولى سببا للثانية"⁷ .

¹ - ينظر: شرف الدين علي الراجحي، الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1995م، ص: 66.67.

² - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج3، ص: 56.

³ - المصدر نفسه، ج3، ص: 96.95..

⁴ - المصدر نفسه، ج3، ص: 102.

⁵ - الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد أبو بكر النحوي، ص: 93.

⁶ - المصدر نفسه، ص: 247.246.

⁷ - ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليبي، ج2، ص: 241.

ومن خصائص أدوات الشرط أنها تنصدر الكلام في الجملة الشرطية "فلا يسبقها معمول معمولها أي لا يجوز تقديم شيء من معمولات فعل الشرط ولا فعل الجواب عليها ، لأنها عندهم كأداة الاستفهام وما النافية ونحوهما مما له الصدر"¹ ، ثم يلي الأداة فعل الشرط لأنه الممهّد لوجود الجملة الثانية ، وهي جملة الجواب وفي حالة توفر العناصر الثلاث (الأداة وفعل الشرط وجواب الشرط) تعتبر الجملة الشرطية محفوظة الرتبة ، أما إذا حُذِفَ الجواب ودل عليه السياق فتسمى الجملة غير محفوظة الرتبة ، ولا يعمل فعل الشرط ولا جوابه فيما قبل الأداة² .

وهناك من النحاة من جَوَّزَ تقديم فعل الشرط أو الجواب على الأداة ، وقد قال بهذا الرأي الكسائي ومثال ذلك قولنا: خيرا إنْ تفعل يثبك الله ، ومن الذين أجازوا التقديم أيضا على مذهب الكوفيين الأَخْفَشِ سواء كان معمول فعل الشرط أو الجواب ماضيا أو مضارعا نحو : قمتُ إنْ قمتَ ، والرأي الثالث للنحاة في الجواز أنه يجوز تقديم الجواب إنْ كان مضارعا ، ويمتنع إنْ كان ماضيا وذلك لأنَّ المضارع هو الأصل فلم يكثر فيه التجوز بخلاف الماضي ، فإنه يجوز فيه بأنْ عبر بصيغتيه عن المستقبل فإنَّ قدم وحقه التأخير كثر التجوز .

وأما الرأي الرابع في الجواز فإنه يجوز تقديم الجواب إنْ كانا أي الشرط والجواب ماضيين ، بخلاف ما إذا كان الشرط وحده ماضياً³ ، وعلى هذا فإنَّ المتقدم على الأداة وفعل الشرط دليل على الجواب مذكورا كان أو مقدرا أو محذوفا⁴ .

وبتبعنا لأدوات الشرط في المدونات ورصدها ، نجد أنها قد وردت بكثرة نظرا لطبيعة النصوص التي انتقيناها بدءًا بالقرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إضافةً إلى المدونات الشعرية والتي تتميز - جميعا- بوضوح الغرض والهدف ، وتبيان الحقيقة المجردة من الضغوط أو الإكراهات بغية إتاحة مساحة من الحرية والاستقلال في التفكير والاختيار المبني على تحمل المخاطب لمسؤوليته بعد أن يعرف الجزاء والجواب ، وعليه فإننا سنعمد إلى ترتيب هذه الأدوات حسب تواترها في النصوص المختارة .

1- أدوات الشرط الجازمة :

أ- إنْ الشرطية:

حين تحدث سيويه في كتابه (الكتاب) و السيوطي في كتابه (همع الهوامع) عن أدوات الشرط أشار إلى أنَّ أم الجوازم هي (إنْ)⁵ ، ولا يليها إلا فعل وتجزم فعل الشرط وجوابه أي "تجزم لفظ المضارع منهما وتجزم محل الماضي"⁶ لكن يحدث أنَّ يليها اسم مرفوع ، ويعتبر هذا الاسم فاعلا لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده لأنَّ

¹ السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 ، 1998م ، ج2 ، ص: 461.

² ينظر: سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج1 ، ص: 133.

³ ينظر: المصدر السابق ، ج2 ، ص: 462.

⁴ ينظر: المصدر السابق ، ج3 ، ص: 66.

⁵ ينظر: المصدر نفسه ، ج3 ، ص: 63.

⁶ عباس حسن ، النحو الوافي ، ج4 ، ص: 422.

الأداة لم تدخل على الاسم إنما دخلت على الفعل المقدر ، يقول الأستاذ حسن عباس : " فإذا وقع بعدها اسم –والغالب أن تكون الأداة هي (إن أو إذا) – وجب تقدير فعلٍ مناسبٍ يفصل بينهما ، بحيث تكون الأداة داخلة على الفعل المقدر . لا على الاسم الظاهر " ¹ ، ومن النحاة من لا يبيز تقدم الأسماء على الفعل في الجملة الشرطية ويرى ذلك قبيحا يقول سيبويه: " وقبح تقديم الاسم في سائر الحروف ، لأنها حروف تحدث قبل الفعل وقد يصير معنى حديثهن إلى الجزاء والجزاء لا يكون إلا خيرا ، وقد يكون فيهن الجزاء في الخبر ، وهي غير واجبة كحروف الجزاء فأجريت مجراها" ² .

ويناسب التركيب الشرطي السياق المتعلق بالقيام بعمل ما حتى تتحقق النتيجة، وهو ما وجدناه في المدونات التي وقع اختيارنا عليها، لأنَّ فيها من الأحكام العامة ما توضح للناس أمور دينهم في القرآن والحديث وما تعلق بالأحكام المتعلقة بالفعل وجزائه في المدونات الشعرية مما يطابق الأغراض التي نسج فيها الشاعر قصيدته ويترتب عن المعنى الذي تؤديه أداة الشرط علاقة سببية بين فعل الشرط وجوابه ، والحالات التي يرد فيها فعل الشرط وجوابه متعددة ، فقد يأتيان مثبتان ، وقد يُقترن جواب الشرط باللام أو الفاء ، وقد يُؤكَّد ب (قد) وذكر النحاة أموراً تتفق فيها أدوات الشرط منها " أن كل أداة منها لا تدخل على اسم وإنما تحتاج إلى فعلين مضارعين تجزم لفظهما مباشرة إن كانا معربين ، ومحلهما إن كانا مبنيين ... وإما إلى فعلين ماضيين يحلان محل المضارعين وتجزمهما الأداة محلا . وإما إلى فعلين مختلفين ، تجزم لفظ المضارع منهما وتجزم محل الماضي . وإما إلى جملة اسمية تحل محل المضارع الثاني ، وتجزمها الأداة محلا . ولا يمكن أن يحل محل الأول شيء ، لأنَّ الأول لابد أن يكون فعلا مضارعا أو ماضيا .

ومهما كانت صيغة فعل الشرط أو جوابه فإنَّ زمنهما لابد أن يتخلص للمستقبل المحض بسبب وجود أداة الشرط الجازمة ، بالرغم من أن صورتهما أو صورة أحدهما قد تكون – أحيانا – غير فعل المضارع إذ من المقرر أنَّ أداة الشرط الجازمة تجعل زمن شرطها وجوابها مستقبلا خالصا ، ومن المقرر كذلك أن تحقق الجواب ووقوعه متوقف على تحقق الشرط ووقوعه، ومعلق عليه فإذا حصل الشرط حصل ما تعلق عليه وهو الجواب " ³ .

وقد وردت (إن) في المدونات التي وقع الاختيار عليها تسعة عشر مرة بأنماط متعددة ، جاء في أكثرها فعل الشرط ماضيا وجوابه ماضيا أيضا إضافة إلى الصور الأخرى فعلها مضارع وجوابها مضارع أو أمر ، وفي حالات يرد الجواب مقدرا أو يسبق أداة الشرط أو يرد جملة اسمية أو طلبية مضارعا ، وفي هذه الحالات فإنَّ حرف الشرط يفقد تأثيره فيها فيؤتى بحرف الفاء ليقوى بها ويصل بها إلى العمل بالتقدير دون اللفظ ، والسبب في اقتران الجواب بالفاء دون الواو أو ثم ، لأنَّ الفاء يوجب التعقيب من غير تراخ ولا مهلة ⁴ ، وقد ورد مثل هذا التركيب في بعض المدونات والذي يأتي فيه الجواب مضارعا مقترنا بلام الأمر أو الفاء ، وهذا الذي يؤدي إلى اتساق النص

¹ - عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 4 ، ص : 425 .

² - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 1 ، ص : 144 .

³ - المرجع السابق ، ج 4 ، ص : 422.423 .

⁴ - ابن جني ، أبو الفتح عثمان اللمع في العربية ، تحقيق: حامد المؤمن ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1980م ، ص 195 .

حيث لا يوجه الأمر مباشرة إلى مقصود مخاطب بذاته ، بل يذكر الحكم مرتبطاً بالأداة (إن) ويأتي مباشرة الأمر باتباعه.

1- النموذج الأول:

وردت إن الشرطية في سورة القصص سبع مرات بأنماط متعددة ، يذكر فيها جواب الشرط أو يكون محذوفاً يتم تقديره ، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾¹ ، (القصص الآية 27) ، ذكر التركيب الشرطي في هذه الآية مرتين ، وقد ساهمت فيه الروابط الشرطية في الاتساق والانسجام النصي والتي لم تدع جزءاً من النص إلا وربطته بما سبقه وما لحقه في النص .

نجد أن الآية بدأت بالعرض الذي قدمه شعيب عليه السلام إلى موسى عليه السلام ، وتمثل في رغبة شعيب تزويج إحدى ابنتيه لموسى ، وقد علق شعيب هذا العرض - في البداية - بشرط لم تذكر فيه الأداة في التركيب وذلك في قوله ﴿ على أن تأجرني ثماني حجج ﴾ ، فكأن اشتراط شعيب جاء فعل شرطه على صيغة ﴿ إن تأجرني ثماني حجج ﴾ وجاء جوابه مقدماً وهو قوله ﴿ أنكحك إحدى ابنتي ﴾ ، وقد ورد القول بصيغة التأكيد إنى أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين ، بشرط أن تعمل أجيراً عندي لرعى غنمي ثماني حجج أى: ثماني سنين¹ . والملاحظ إتيان الجواب في الزمن المضارع مقدماً على الأداة المقدرّة في التركيب وعلى فعل الشرط معاً .

واختلف النحاة في كونه جواباً بشروط أو بدون شروط ، فهناك من يشترط إن كان فعل الشرط مضارعاً فالمتقدم هو جملة الجواب ، أما إذا كان فعل الشرط ماضياً فيمتنع تقدم الجواب عليه ، وهناك من يرى أنه يجوز أن يتقدم الجواب على فعل الشرط إن كان كلاهما ماضياً² ، وفي هذا القول تبين للرأي الذي ذكره النحاة في أن المتقدم على أداة الشرط والفعل دليل على الجواب المحذوف والمقدر³ ، وبالعودة إلى تركيب الآية الكريمة يتضح لنا الدور الذي أدته الأداة المقدرّة في التركيب من خلال الربط بين فعل الشرط ، ﴿ تأجرني ﴾ وجواب الشرط ﴿ أنكحك ﴾ كما يتضح لنا أن اشتراط شعيب في تأجير موسى بُني على ثماني حجج ، وهو صداق ابنته ، ويلى هذا التركيب تركيب شرطي أكثر وضوحاً لأن أداة الشرط قد ذكرت فيه ، وهو قوله تعالى على لسان شعيب ﴿ فإن أتممت عشراً فمن عندك ﴾ فقد جاء فعل الشرط ماضياً وهو في "محل جزم بإن" وجاءت جملة جواب الشرط الجازم مقترنة بالفاء في محل جزم أيضاً ﴿ فمن عندك ﴾ ، والجار والمجرور في محل رفع مبتدأ محذوف تقديره إتمام أو إحسان

¹ - ينظر: لجنة من العلماء ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مطبعة المصحف الشريف ، ط3 ، 1992م ، ج2 ، ص: 1760.

² - السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر ، مع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج4 ، ص: 333.

³ - ينظر: سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج3 ، ص: 66.

أو فضل من عندك"¹ وبالتدقيق في تركيب الآية نجد أن سؤالاً يُلحَّح علينا وهو : ماهو الشيء الذي أرادته شعيب من موسى أن يتمه عشرا؟ والجواب على هذا السؤال يفرض علينا العودة إلى ما ذكر قبل أداة الشرط (إن) ، وهي قوله تعالى ﴿تأجرتني ثماني حجج﴾ ثم إدخال ما اشترطه شعيب على موسى بعد أداة الشرط فيصير التركيب "إن أتممت الثماني الحجج عشرا التي شرطتها عليك بإنكاحي إياك إحدى ابنتي، فجعلتها عشر حجج ، فإحسان من عندك، وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتي ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾ ، باشتراط الثماني الحجج عشرا عليك

﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ في الوفاء بما قلت لك."² ، ويؤكد لنا هذا ما ذكرناه سابقا من أن الاشتراط عقد على ثماني حجج ولا تدخل العشر في هذا الاشتراط ، لأن إتمامها من موسى فضل منه وتكرم وهنا يتضح لنا الدور الذي أدته أداة الشرط في الآية .تخصيصاً وتؤديه أدوات الشرط تعميما في تحقيق العلاقات السببية في تراكيب النص ، والتي يمكن أن نعرض معادلتها في الآية الكريمة وهي :

• إن + تأجرتني ثماني حجج = أنكحك إحدى ابنتي هاتين

• إن + أتممت الثماني حجج عشرا = فهذا فضل وإحسان وإتمام منك

نلاحظ تكرار التركيب (ثماني حجج) وقد سبق في الحالتين معاً بأداة الشرط (إن) مقدرة ومذكورة وبالجمع بين التركيبيين يصبح القول: إن تأجرتني ثماني حجج وأتممتها عشرا أنكحك إحدى ابنتي ، وكل هذا فضل منك وإحسان وهنا يتضح لنا الدور الذي أدته أداة الشرط في الربط بين ماسبقها وبين ما جاء بعدها .

2- التَّمُودَجُ الثَّانِي :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول³: ﴿ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مِنْكُمْ مَنْكَرًا فَلْيَغْيِرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَوْعَى الْإِيمَانِ ﴾ .
ذكرنا سابقا أن الحذف قد يرد مع إن الشرطية ، إذ توجد فيه الجملة الشرطية غير محفوظة الرتبة حيث يحذف فعل الشرط ويبقى فاعله مع اختلاف النحاة في الاسم هل هو فاعل أم مبتدأ؟، فهو فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده على رأي جمهور البصريين ، أو للفعل المذكور على رأي الكوفيين أو مبتدأ على رأي الأخفش وقد يحذف فعل الشرط وجوابه مع وجود دليل عليه وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أكثر من موضع للحذف حيث اقترنت أداة الشرط إن بجملة (لم يستطع) وهي في محل جزم فعل الشرط وفعل الشرط يتعدى إلى فعل محذوف جوازا تقديره (التغيير أو تغييره) يفسره ماسبق وتلى ذلك جملة (فبلسانه) وجاءت الفاء واقعة في جواب الشرط وفعل الشرط محذوف أيضا تقديره (فليغيره) وما قبل عن هذه الجملة يقال عن جملة (فإن لم

¹ - بحجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ج8 ، ص: 388.

² - الطبري معروف الحرساني ، تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : بشار عواد معروف ، عصام فارس الحرساني مؤسسة الرسالة ، ج6 ، ص: 21.

³ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص: 69. (كتاب الإيمان) .

يستطع فبقبله) وحققت أداة الشرط في الحديث تماسك أجزاء النص من خلال تعالقها الشرطي مع ما هو محذوف في الجمل الشرطية السابقة عليها ودلالاتها عليه.

ويمكن إعادة التركيب الشرطي في الحديث كاملاً وفق المعادلة الآتية :

إن لم يستطع (التغيير محذوف) ← (فليغيره . محذوف) ← (بلسانه . سدت مسد جواب الشرط)

إن لم يستطع (التغيير . محذوف) ← (فليغيره . محذوف) ← (بقلبه . سدت مسد جواب الشرط)

وهنا نلاحظ أن ما زاد تماسك النص هو النمو الموضوعي و التدرج الطلي في تغيير المنكر، وقد دل على الطلب صيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر (فليغيره) ، والمذكورة في أول الحديث كما دل على هذا التدرج القيمي من الأعلى إلى الأقل أداة الشرط التي تصدرت الحديث وهي (من) ، فكان التغيير فيها باليد ثم تلتها (إن) الشرطية وجاء فيها التغيير باللسان ثم تلتها (إن) الشرطية مرة أخرى ، وجاء فيها التغيير بالقلب ، وهنا تتجلى حكمة الله في تقييم أعمال عباده التي تعكس رحمته وفضله عليهم إذ يكافؤهم على تغيير المنكر ولو اقتصر التغيير بالقلب .

3- النموذج الثالث:

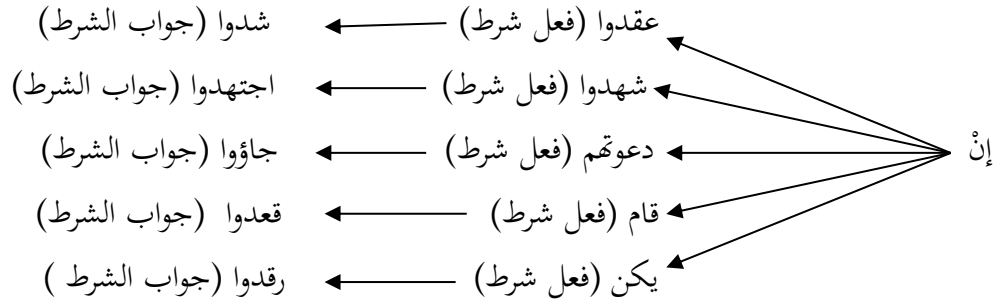
في آيات شعرية ذكرها المهلهل مفتخراً بقومه تغلب ، واصفاً إياهم بالشجاعة والأنفة ومكارم الأخلاق وقد تضمنت الأبيات الشعرية أداة الشرط (إن) وبلغ عددها خمسة تمثلت في قوله¹:

ببيضُ الوجوه إذا ما أفزَعَ البلدُ	إنَّابنوتغلب شُمَّ معاطسُنا
شدُّوا وإنَّ شهدُوا يومَ الوغى اجتهدُوا	قومٌ إذا عاهدُوا وفُوا وإنَّ عَقَدُوا
سِرَاعًا وإنَّ قامَ الحَـنـى فَعَدُوا	وإنَّ دعوتهم يوماً لمكزَمةً جاؤُوا
وإنَّ يكنْ عندهم وترُ العِدى رَقَدُوا	لا يرقُدون على وترٍ يكونُ لهم

في البيت الثاني وردت إذا الشرطية التي علقت فعل الشرط، وهو في الزمن الماضي بفعل الجواب ، وهو في نفس الزمن ثم جاءت إن الشرطية التي تربط بين فعل الشرط وجوابه ، والملاحظ أنَّ جُلَّ أفعال الشرط وجوابها تكررت على صورة واحدة ، إذ وردت في الزمن الماضي ماعدا التركيب الشرطي في البيت الأخير الذي ورد فيه فعل الشرط فعلاً مضارعاً ناقصاً (يكن) وجوابه فعل ماضٍ (رقدوا) ، وقد اتضح لنا من خلال المقاطع الشرطية مجيء النص كتلة متماسكة تصب في فكرة واحدة ، وهي تعداد مكارم (تغلب) وأداة الشرط إذا احتلت الصدارة في البيت الثاني والرتبة ذاتها احتلتها (إن) في كل شطر من النص ولا يمكن أن تترك مواضعها وتتأخر عن فعل الشرط وجوابه وهو مايلفت أنظارنا إلى الاتساق الذي تحدته في النص.

¹ - ديوان المهلهل ، ص: 25.

ويمكن تتبع الاتساق الذي أدته أداة الشرط (إن) من خلال علاقاتها السببية بواسطة المخطط الآتي:



4- النموذج الرابع والخامس:

ذكرنا سابقاً أنّ الحذف في التركيب الشرطي يمس فعل الشرط ، كما يمسُّ أيضاً جواب الشرط مع بقاء ما يدل على المحذوف منهما، ولكن لا يحسن أن يمس الحذف أداة الشرط في التركيب الذي يتضمن معنى الشرط والعلاقة السببية بين قضاياه، لما في ذلك من إضعافٍ لعلاقات الارتباط بين وحداته الجمالية والقضوية، ومن هنا يتبيّن دورها الهام في ربط العناصر اللغوية للنص وتناسق دلالاته، وجعله مكتمل التركيب شديد الاتساق.

لذلك فإننا وجدنا مثل أداة الشرط في قصيدة **أبي العتاهية** (دار خوانة) وفي قصيدة **ميخائيل نعيمة** (أخي) هذه الأخيرة كان سبب اختيارنا لها لأنها من النصوص المقترحة لتلاميذ السنة الثالثة علوم تجريبية¹ ، وقد لاحظنا أنّ القصيدتين قد حققت فيهما أداة الشرط التماسك بين فعل الشرط وبين جوابه في قول **أبي العتاهية**² :

إن لم تُعَن بِقِنَاعَةٍ ضَاقَت عَلَيْكَ بِرُحْبِهَا
مَاتَنقُضِي لَكَ لِدَّةً إِلَّا بِرُوعَةٍ خَطْبِهَا
إن أقبلت بغضارة سَخَّ النَّعْيُ بِجَنْبِهَا

في هذه الأبيات تصدرت أداة الشرط (إن) التركيب ، وقد ربطت بين فعل الشرط وهو الفعل المضارع (تُعَن) المبني للمجهول وبين جواب الشرط في الزمن الماضي (ضاقت) ، كما ربطت بين الفعل الماضي (أقبلت) وبين جوابه وهو الفعل الماضي (سَخَّ) ، والدور ذاته أدته الأداة في قصيدة الشاعر **ميخائيل نعيمة** وقد وردت في قوله³:

أخي، إن ضجَّ بعدَ الحربِ غربيُّ بأعمالِه

¹ - ينظر : حراجي سعيدي ، سليمان بورنان ، نجا بوزيان ، مدني شحامي ، الشريف مريعي ، اللغة العربية وآدابها ، للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعب رياضيات ، علوم تجريبية ، تسيير واقتصاد ، ص: 67.66.

² - ينظر: ديوان أبو العتاهية ، ص: 63.

³ - المرجع السابق ، ص: 67.66.

وقدسَ ذَكَرَ مَنْ مَاتُوا وَعَظَمَ بَطْشَ أَبْطَالِهِ
 فَلَا تَهْزِجَ لِمَنْ سَادُوا ، وَلَا تَشْمَتَ بِمَنْ دَانَ
 بَلِ ارْكَعْ صَامِتًا مِثْلِي بِقَلْبٍ خَاشِعٍ دَامٍ
 لِنَبْكِ حَظَّ مَوْتَانَا
 أَخِي ، إِنَّ عَادَ بَعْدَ الْحَرْبِ جُنْدِيٌّ لِأَوْطَانِهِ
 وَأَلْقَى جِسْمَهُ الْمَنْهُوكَ فِي أَحْضَانِ خِلَانِهِ
 فَلَا تَطْلُبْ إِذَا مَا عُدْتَ لِلْأَوْطَانِ خِلَانَا
 لِأَنَّ الْجُوعَ لَمْ يَتْرُكْ لَنَا صَحْبًا نُنَاجِيهِمْ
 سِوَى أَشْبَاحِ مَوْتَانَا
 أَخِي ، إِنَّ عَادَ يَحْرُثُ أَرْضَهُ الْفَلَاخُ أَوْ يَزْرَعُ
 وَيَبْنِي بَعْدَ طُولِ الْهَجْرِ كُوحَا هَذِهِ الْمَدْفَعِ
 فَقَدْ جَفَّتْ سَوَاقِينَا وَهَدَّ الدُّلُّ مَأْوَانَا
 وَلَمْ يَتْرِكْ لَنَا الْأَعْدَاءُ غَرْسًا فِي أَرْضِينَا
 سِوَى أَجْيَافِ مَوْتَانَا

تكررت (إن) الشرطية في المقاطع ثلاث مرات، وفي كل مرة ربطت بين فعل الشرط الذي ورد في الزمن الماضي في جميع المقاطع (ضحج ، عاد ، عاد) ، وبين جواب الشرط الذي ورد مقترنا بالفاء في جميع الحالات ، وورد فيه فعل الجواب في الزمن المضارع مسبقا (بلا النافية) ، (فلا تهزج ، فلا تطلب) ، ومرة في الزمن الماضي (جفت) ومن خلال الدور الذي أدته أداة الشرط على مستوى الربط التركيبي ، فإنها عكست حالة الشاعر بعد الحرب وحال الأمة العربية البائسة المهذمة ، من خلال النداء الذي تكرر في بداية المقاطع ثلاث مرات (أخي) وإثارة انتباه القارئ لطبيعة القضية السياسية المتعلقة بالحرب العالمية الأولى ، والتي فرح فيها الأعداء بانتصارهم على الدولة العثمانية ووقوع العرب تحت الانتداب . وتكمن أيضاً في عودة الأعداء للبناء ، و عودة العرب لدفن كبرياتهم الذي ضاع ، خاصة وأن هذا الغربي خلف في البلاد العربية الجثث الهامدة والجوع والفقر ومختلف الآفات الاجتماعية.

وقد حققت أداة الشرط العلاقات السببية في المقاطع بين أفعال الشرط وجوابها وهي :

إن ضحج ← فلا تهزج

إن عاد ← فلا تطلب

إن عاد ← فقد جفت (جواب شرط مقدر)

الملاحظ أن المقاطع الشرطية عكست نبرة اللوم والعتاب الذي يريد الشاعر أن يبلغه لكل عربي ، وقد حملت أجوبة الشرط هذا اللوم وعكسته من خلال طبيعة الأسلوب المعتمد فيها ، وهو أسلوب إنشائيٍ طلبى تمثل

في النهي بأداة النهي (لا) في المقطعين الأول والثاني ، وفي الأسلوب الخبري التقريبي (فقد جفت) وما يحمله من معاني الدمار والضياع ، الذي تسببت فيه الدول المستعمرة ، ومن هنا يتبين دورها الهام في ربط العناصر اللغوية للنص وتناسق دلالاته ، وجعله مكتمل التركيب شديد الاتساق .

ب- مَنْ الشَّرْطِيَّة :

من أدوات الشرط الجازمة (من) وهي اسم للعاقل يجازى به ، تربط بين فعلين في التركيب الشرطي فتجزمهما إن كانا مضارعين ، أو يكونا في محل جزم بها إن كانا ماضيين¹ ، وقد جاءت أنماطها الجمالية متنوعة في المدونات بحيث جاء فعلها ماض وجوابها مضارع ، أو يأتي الفعل ماض والجواب ماض أيضا ، أو يأتي الفعل مضارعا والجواب مضارع، ويرد جوابها مؤكدا ب (قد) ولا يقترن بالفاء في حالة ما إذا كان فعل الشرط وجوابه مثبتان لا منفيان .

1- التَّمَوِذُجُ الْأَوَّلُ:

وردت (مَنْ) الشرطية في الآية (84) من سورة القصص وقد تكررت مرتين في قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ حَيْرٌ مِّمَّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، نلاحظ أنَّ فعل (مَنْ) الشرطية جاء فعلا ماضيا (جاء) في حين ورد جواب شرطها في التركيب الأول والثاني غير ثابت ، ففي البداية جاء مركبا من جار ومجرور مقترنا بالفاء (فله) ، وفي التركيب الثاني ورد الجواب فعلا مضارعا (يجزى) مسبوقا بنفي (لا) ومقترنا بالفاء (فلا) ويحمل الجوابان في التركيب الشرطي نفس الدلالة كونهما يتحدثان عن جزاء الله لعباده بين الثواب لعباده المؤمنين والعقاب لعبادة المشركين ، "فمن جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد ، فله خير، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ، ومن جاء بالسيئة ، وهى الشرك بالله. فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة إلا جزاء ما كانوا يعملون"². فأداة الشرط في الآية الكريمة ربطت بين الفعل الصادر من العبد وبين الجزاء الذي ينتظره في المستقبل ، وفي هذا الربط اتساق حيث لا يتوجه الأمر مباشرة إلى مقصود بعينه ، لأنَّ الشرط يمس الجميع وفي هذه الحالة تحقق من الشرطية ذكر الحكم وتترك الحرية لمن يرغب في اتباع الأمر والقيام بواجبه .

2- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي:

مضمون هذا الحديث ينسجم دلاليا مع ماورد في الآية السابقة (84) من سورة القصص ، كونهما يتحدثان عن ثواب الله وعقابه لعباده الذين يأتون بالحسنات أو يجتريحون السيئات ، وقد كان موضوع الانسجام بين الآية

¹ - ينظر: ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، شرح جمل الزجاجي ، ص: 292. وينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج1 ، ص: 363.

² - الطبري محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط1 2001م ، ج18 ، ص: 345.

والحديث هو الدافع الذي جعل اختيارنا يقع على هذا الحديث الشريف ، فقد رُوِيَ عن أبي ذر أنه قال: قال النبي ﷺ¹: ﴿يَقُولُ اللَّهُ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي بِمِشْيِ أَتَيْتَهُ هَرُولَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِينَهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً﴾.

نلاحظ أنّ أداة الشرط (مَنْ) تكررت في الحديث ست مرات ، وحقق تكرارها فائدة تركيبية واتساقاً نصياً وبالوقوف على أجزاء الأتماط الشرطية نجد أنّ جميع أفعال الشرط وردت في الزمن الماضي (جاء تقرب أتى لقي) أمّا جواها فقد تعددت صوره ، إذ ورد في التركيب الأول جار ومجرور مقترنا بالفاء (فله) وفي التركيب الثاني ورد الجواب اسماً مقترنا بالفاء أيضاً (فجزاء) ، بينما ورد في بقية التراكيب فعلاً ماضياً (تقربت أتيت لقيته) ونلاحظ أنّ الأجوبة جميعاً يشملها حقل دلالي واحد ، لأنها تكشف عن ثواب الله لعبده المتقرب منه فإن أحسن ضاعف الله له أجره وإن أساء جزاه الله بمثل عمله ، ويبدو لنا جزاء الله لعباده وثوابه لهم متنامياً ، ويتصاعد هذا الثواب من الله بحسب تقرب العبد من ربه ، وهذا ما يكشف لنا عن شدة التلاحم بين فعل الشرط وجوابه ، كما يبيّن لنا تصاعد المنحني البياني للصيغ الشرطية من الأقل إلى الأكثر وهذا ما سنوضحه في الجدول الآتي:

فعل الشرط (يمثل القيمة الأدنى)	جواب الشرط (يمثل القيمة الأعلى)
مجيء العبد بحسنة	جزاء الله بعشر أمثالها أو أكثر
مجيء العبد بالسيئة	جزاء الله سيئة مثلها أو مغفرتها
تقرب العبد من ربه بشبر	تقرب الله من عبده بذراع
تقرب العبد من ربه بذراع	تقرب الله من عبده بباع
إتيان العبد مشياً	إتيان الله هرولة
لقاء العبد لربه بقراب الأرض خطايا لا يشرك به	لقاء الله لعبده بالمغفرة

من خلال نص الحديث والجدول ، نلاحظ أنّ أداة الشرط احتلت الصدارة في بداية التركيب ثم توسطت ببقية التراكيب مؤديّة وظيفة الربط بين السابق واللاحق ، ليس على مستوى التركيب فحسب بل على مستوى القضايا الموجودة في النص مما أدى إلى اتساق النص وانسجامه .

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص: 2068. (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) .

3- التَّمَوِذُجُ الثَّلَاثُ:

من القصائد التي وقع اختيارنا عليها - تطبيقاً - معلقة الشاعر الجاهلي زهير ابن أبي سلمى ، وقد كان وراء هذا الاختيار أسبابٌ لها علاقة بموضوع البحث ، ذلك أنَّ زهيراً من أكثر الشعراء استعمالاً ل (من) في معلقته إذ وردت اثنا عشر مرة ، ثم إنَّ تلاميذ السنة الأولى ثانوي جذع مشترك ، يدرسون في المقرر مجتزئاً من المعلقة يتحدث فيه زهير عن مدحه لهرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، ويحذر عبسا وذبيان من ويلات الحرب . وما يميز استعمال زهير ل (من) الشرطية ، أنه قد وظفها بأنماط وصور متعددة ، جاء فيها فعل الشرط غالباً مضارعاً وجوابه كذلك ، وسنعرض نماذج منها تمثيلاً لاحصاء ومنها قوله¹:

عَظِيمِينَ فِي غَلِيَا مَعَدِّ هُدَيْتِمَا وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَثْرًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ

ومن الشواهد في القصيدة والتي وردت فيها من الشرطية وقد دخلت (لا) على فعل شرطها ، قوله:

وَمَنْ لَا يَصَانَعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يَضُرُّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمِ

ومنها دخول (لا) على جواب شرطها ، وذلك في قوله :

وَمَنْ يُوْفَ لَا يَذْمَمُ وَمَنْ يَهْدِي قَلْبُهُ إِلَى مَطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّعُمُ

كما ترد (لا) قبل فعل الشرط وجوابه معاً ، وذلك في قوله:

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرَمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ

ومن الأنماط النادرة التي استعملها زهير ووظف فيها (من) الشرطية بحيث جاء فعل شرطها فعلاً ماضياً وجوابها فعلاً مضارعاً وذلك في قوله:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلُتُهُ وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ

من خلال هذه الشواهد نجد الشاعر يقدم بواسطة (من) الشرطية التي حققت الربط بين أفعال الشرط والأجوبة خلاصة تجربته في الحياة ، هذه التجربة التي صبغها بالحكمة والنصيحة ، ويكفي الوقوف على شاهد واحد لنذكر مدى الاتساق الذي حققته الأداة ، ففي الشاهد الرابع وردت (من) مرتين في صدر البيت وعجزه مما

¹ - ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988م ، ص: 102 إلى 112.

جعل اتساقها مزدوجاً على مستوى الصدر والعجز ، ثم على مستوى البيت كاملاً ، إذ جاء فعل الشرط مضارعاً (يعترب) وتلاه الجواب فعلاً مضارعاً أيضاً (يحسب) ربطت بينهما (من) ثم استمر الربط بـ (من) أيضاً في عجز البيت فجاء فعل الشرط مضارعاً مسبوفاً بنفي ، وتلاه الجواب مضارعاً مسبوفاً بنفي أيضاً ودخول (لا) على فعل الشرط وجوابه زيادة في التأكيد وتكرار (من) في صدر البيت وعجزه ، بان لنا شدة اتساق النص حتى لكأنه كلمة واحدة .

4- التَّمَوِذُجُ الرَّابِعُ وَالخَامِسُ :

من النماذج التي استشهدنا بها ماورد في قصيدة أبي العتاهية ، وهي أرجوزةٌ حكيمةٌ احتوت على أمثال كثيرة وقد تبعتها في جزءٍ من هذه الأرجوزة حضور (من) الشرطية ، والتي كررها الشاعر ثلاث مرات في قوله¹:

مَنْ لَمْ يَصِلْ ، فَارْضْ إِذَا جَفَاكَ لَا تَقْطَعَنَّ لِلْهَوَىٰ أَحَاكَ

مَنْ لَاحَ فِي عَارِضِهِ الْقَتِيرُ فَقَدْ أَتَاهُ بِالْبَلَىٰ النَّذِيرُ

مَنْ جَعَلَ النَّمَامَ عَيْنًا هَلَكَ مُبْلَغُكَ الشَّرَّ كِبَاغِيهِ لَكَ

في الشاهد الأول ورد فعل الشرط مضارعاً (يصل) وجاء الجواب فعل أمر (ارض) مقترباً بالفاء ، والملاحظ أنّ هذا الجواب مشتركٌ بين (من) الشرطية وبين (إذا) الشرطية ، فهو جواب لهما معاً ، لأنّ الشاعر يتحدث عن قاطع الوصال في صدر البيت ، وينصح غيره ألا يجافي أخاه في عجز البيت وتحليل التركيب الشرطي نقف على :

مَنْ (أداة الشرط يصل فعل الشرط) ← ارض جواب الشرط

إذا (أداة الشرط جفاك فعل الشرط) ← فارض جواب الشرط

وقد ساهم الاشتراك في جواب الشرط في ترابط البيت واتساقه ، كما أنّ أداة الشرط في الشاهد الثاني والثالث ساهمت في ربط فعل الشرط الذي ورد في الشاهدين فعلاً ماضياً بجواب الشرط ، الذي ورد أيضاً فعلاً ماضياً مؤكداً (بقد) في الشاهد الثاني وفعلاً صريحاً في الشاهد الثالث ، وقد أدى التعالق بين أفعال الشرط وأجوبتها إلى التعالق أيضاً في القضايا الموجودة في الأبيات ، فالرضى بالجفاء متعلقٌ بتحقيق قطع الوصال ، وإتيان النذير بالبلوى متعلقٌ بلوح القتير في العارض ، وتحققُ الهلاك متعلقٌ بجعل النمام مصدراً للخبر وعينا له .

¹ - ديوان أبو العتاهية ، ص : 493.494.

ومن الشواهد التي نذكرها في توظيف (مَنْ) الشرطية ما ورد في قصيدة التينة الحمقاء لإيليا أبو ماضي¹، حيث جسد فيها أخطار وأضرار الحرق المتحكم في نفوس بعض الناس في قصة شعرية تروي حكاية تينة حمقاء أنكرت وضعها واعتبرته مزرياً ، فهي تتعب وتبذل جهداً والخير لغيرها ، فقررت وضع حد لهذا الأمر. وعاد الربيع واكتست الأشجار بأجمل أثوابها لاستقباله ، إلا هي فبقيت جرداء فاجتثها البستاني ورمى بها في النار تستعر. والبيت الذي استشهدنا به هو قول الشاعر :

مَنْ لَيْسَ يَسْخُو بِمَا تَسْخُو الْحَيَاةُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحْمَقُّ بِالْحَرِصِ يَنْتَحِرُ

ربطت مَنْ الشرطية بين فعل الشرط المنفي بليس وهو الفعل المضارع (يسخو) ، وبين جواب الشرط الذي دُكر في آخر البيت وهو الفعل المضارع (ينتحر) ، فالعلاقة بين التركيبين واضحة ، لأنَّ الجواب متعلق بالشرط تركيباً إذ سبكت بينهما (مَنْ) ، كما أنَّ المعنى في الجواب معلق على المعنى في الشرط فالأحمق الحريص منتحرٌ لأنه لا يسخو بما تسخو الحياة به ، إذًا فإن البنية القضيوية للبيت متماسكة وهذا مظهر اتساق البيت وانسجامه .

2- أدوات الشرط غير الجازمة :

أ- إذا الشرطية :

ذكرنا سابقاً أنَّ أدوات الشرط تنقسم إلى قسمين منها الجازمة ومنها غير الجازمة ، وتعتبر (إذا) من أدوات الشرط غير الجازمة ، وهي ظرفٌ لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط "في أكثر استعمالاتها"² ، وفي هذا يقول سيبويه: "وأما إذا فلما يستقبل من الدهر ، وفيها مجازةٌ ، وهي ظرف ، وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها"³ وهي كغيرها من أدوات الشرط ، تحتاج إلى جملة شرطية ، وأخرى جوابية ، ولا بدَّ أن ينطبق عليهما كل الشروط والأحكام الخاصة بجملي الشرط والجواب ولاسيما دلالتهما الزمنية ويرى النحاة أنها تختص بالدخول على الجملة الفعلية حيث يكون فيها الفعل ماضياً كثيراً ومضارعاً دون ذلك فإذا جاء بعدها اسم مرفوع أو ضمير للغائب أعرب فاعلاً لفعل محذوف يفسره الفعل الذي يليه، أو نائباً عن الفاعل إذا كان الفعل بعدها مبنياً للمجهول خلافاً (للاخفش) الذي يعربه مبتدأ وخبره الجملة الواقعة بعده⁴ ، ومن النحاة مَنْ يرى أنها تشبه "إنَّ الشرطية في كثرة دخولها على الأسماء في الظاهر أمَّا في الحقيقة فهما داخلان على فعل مقدّر وجوباً ، لأنَّ أداة الشرط لا تدخل إلا على فعل ظاهر أو مقدر"⁵ ، وما يميز (إذا) -غالباً- أنها لا تجزم لأنها تستعمل للشرط البقيني

¹ - إيليا أبو ماضي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، جمع الشعر وقدم له عبد الكريم الأشتر ، الكويت 2008م ، ص: 587.

² - عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 4 ، ص: 440.

³ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 4 ، ص: 232.

⁴ - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 97.

⁵ - عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 4 ، ص: 442.

الذي لا بد أن يتحقق ، على خلاف (إن) الشرطية التي تجزم ما بعدها لدلالاتها على الشك والتوقع لكن هناك من أجاز الجزم لـ (إذا) وجعله مقصوراً على الشعر وحده¹ ، في حين أجاز الكوفيون الجزم بها مطلقاً² .
وقد وردت (إذا) في المدونات اثنين و ثلاثين مرة ، وقد دخلت في معظم الحالات على الفعل الماضي ومرة واحدة على الفعل المضارع في سورة القصص ، وهذا ما يجعل من (إذا) مختصة في الدخول على الأفعال بحسب ما ذكره النحاة عنها ، وفي الشواهد التي استشهدنا بها نجد أن أكثر الأنماط المكررة مع (إذا) أن يكون فعلها ماضياً وجوابها ماضياً ، ثم تأتي بقية الأنماط كأن يكون الفعل ماضي والجواب مضارع أو الفعل ماضي والجواب أمر ويلاحظ أن الفاء لازمت جواب الشرط عندما جاء جملة طلبية (أمر) ، أما إذا جاءت " ما " بعد " إذا " فهي زائدة تفيد توكيد معنى الشرط ، كما وردت " إذا " في بعض شواهد المدونات ظرفية لا تتضمن معنى الشرط .

النموذج الأول:

وردت (إذا) الشرطية في سورة القصص ثلاث مرات ، وفي كل مرة تعلق فعل الشرط بالجواب قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَنِ اضْطَجِعْ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَفِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧ ﴾ ، (القصص الآية 7) وفي قوله ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ٥٣ ﴾ ، (القصص الآية 53) ، وفي قوله أيضاً : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلُنَا وَكُنَّا أَعْمَلُكُمْ سَلَكُومًا عَلَيْهِمْ لَّا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ ٥٥ ﴾ ، (القصص الآية 55) ، دخلت (إذا) في الآية الأولى على الفعل الماضي (خفت) وجاء جوابها جملة طلبية فعلها فعل أمر اقترن بالفاء (فألقيه) ، وهذا ما ذكرناه سابقاً وفي الآية الثانية دخلت على الفعل المضارع المبني للمجهول (يتلى) وجاء جوابها ماضياً (قالوا) ، أما في الآية الثالثة فقد ورد فعل الشرط وجوابه ماضيين (سمعوا، قالوا) ، وفي جميع الحالات نجد أن (إذا) حافظت على رتبتهما وحقها في تصدر التركيب رابطة بين الشرط وجوابه ، وهذا دليل على وجود الاتساق بين عناصر التركيب الشرطية وكذا الانسجام بين قضايا النص ، وللوقوف على الاتساق والانسجام في الآيات التي وردت فيها (إذا) الشرطية فإننا سنكتفي بتحليل التركيب الشرطي في الآية السابعة من سورة القصص :

نجد أن الآية السابعة من سورة القصص قد ارتبطت بالآية الخامسة وهي قوله تعالى: ﴿ وَرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلْنَاهُمْ الْوَارِثِينَ ٥ ﴾ ، (القصص الآية 5) ، كما أن الآيتين ارتبطتا من ناحية المعنى بآية أخرى في سورة أخرى وهي سورة (طه) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ٣٧ ﴾ (طه الآية 37) ، فاتضح أن المن في الآية الخامسة من سورة القصص تشمل المستضعفين في الأرض بإرسال موسى إليهم ، لأن هلاك فرعون سيكون على يده ، واتضح أن المنّ تشمل موسى بالوحي الموجه إلى أمه من الله عز وجل

¹ - ينظر: المرجع نفسه ، ج4 ، ص: 441. وينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 367.

² - ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 368.

فبانت طبيعته في الآية السابعة من سورة القصص ، وبأن فضل الله فيه وتكرمه على موسى في الآية السابعة والثلاثين من سورة طه .

بدأ الله عز وجل بذكر أوائل نعمه بقوله وأوحينا إلى أم موسى ، وفي هذا إخبار فسرتة الجملة التفسيرية (أن ارضعيه) وهي جملة طلبية أمرية ثم عاد الله إلى الذكر والإخبار بأسلوب الشرط ، وهو قوله (فإذا خفت عليه) بأن يتفطن من حولك لصوته وجاء الجواب فعل أمر مقترن بالفاء ، لأن فيه طلبا ، وعطف الله على جملة الجواب نهيين (لاتخافي، لاتخزي) "والخوف غم يحصل بسبب مكروه ويتوقع حصوله في المستقبل ، والحزن غم يلحقه بسبب مكروه يلحقه حصل في الماضي، فكأنه قيل ولاتخافي من هلاكه ولاتخزي بسبب فراقه"¹ ، ثم لجأ الله إلى الإخبار مرة أخرى بتقديم بشارتين (إنا رادوه إليك) لتكويني أنت المرضعة له (وجاعلوه من المرسلين) إلى أهل مصر والشام وهذا يعني أن الآية بلغت كمال اتساقها وانسجامها ، لأنها احتوت على خبرين (وأوحينا ، فإذا خفت) وعلى أمرين (ارضعيه، ألقيه) وعلى نهيين (لاتخافي، لاتخزي) وعلى بشارتين (رادوه إليك ، جاعلوه من المرسلين) .

النموذج الثاني :

وردت (إذا) الشرطية في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، التي وقع اختيارنا عليها خمس مرات ومن النماذج التي استشهدنا بها حول ورود (إذا) الشرطية وتبيان دورها في الاتساق والانسجام النصي ، ماجاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله²:

﴿ إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنُهُمَا أُمُورٌ مُّشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحْرَمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ﴾ ، في هذا الحديث تكررت (إذا) الشرطية مرتين ، وجاء فعل شرطها وجوابه فعلاً ماضياً (صلحت ، صلح) (فسدت ، فسد) والكلام عن الصلاح والفساد متعلق بالمضغة الموجودة في الجسد هذه المضغة التي يتوقف صلاح الجسد وفساده على صلاحها أو فسادها ، وهذا هو المعنى الذي حققته (إذا) الشرطية بتعليق جواب الشرط بفعله فأداة الشرط (إذا) توزعت على قضيتين ، الأولى تمثل صلاح المضغة والتي تؤدي إلى صلاح الجسد كله ، والثانية تمثل فساد المضغة والتي تؤدي إلى فساد الجسد كله ، وهذا التعالق يكشف لنا الدور الذي أدته (إذا) الشرطية على مستوى التركيب ، وعلى مستوى المعنى ، خاصة وأن قضية المضغة في الجسد ابتدأت بألا الاستفتاحية (ألا وإن في الجسد...) ثم ختم الحديث بألا الاستفتاحية أيضا ، حين وضع الرسول ماهية المضغة فقال (ألا وهي القلب) .

¹ - الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، ط 1 ، 1981م ، ج 24 ، ص: 227.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص: 1219 . (كتاب المساقاة) .

النموذج الثالث:

من خلال تتبعنا — (إذا) الشرطية في القصائد الشعرية ، وجدنا أنها قد ذكرت أربعة وعشرين مرة ففي معلقة زهير ذكرت ثلاث مرات ، وفي قصيدة المهلهل ذكرت مرتين ، وفي قصيدتي أبي العتاهية ذكرت ست مرات بينما ذكرت عند ابن خفاجة مرة واحدة وكذلك في قصيدة أحمد شوقي وقصيدة ميخائيل نعيمة في حين كررها إيليا أبو ماضي في قصيدته ست مرات لذلك فإننا سنكتفي بالاختصار على الشواهد التي ذكرها إيليا أبو ماضي في قصيدته والموسومة بـ (أنا)¹.

بالاختصار على شواهد محددة في قصيدة شعرية وقع اختيارنا عليها لأنَّ الشاعر في هذه القصيدة وظف (إذا) الشرطية ستَّ مراتٍ بأنماط وصور مختلفة ومنها قوله:

وإذا بصرت به بصرت بأشمطٍ وإذا تحدّثه تكشّف عن صبي

ورد فعل الشرط وجوابه فعلاً ماضياً في صدر البيت ، في حين ورد فعل الشرط مضارعاً وجوابه ماضٍ في عجز البيت يقول الشاعر:

إني إذا نزل البلاء بصاحبي دافعت عنه بناجذي ومخلي

ورد فعل الشرط وجوابه فعلاً ماضياً (نزل ، دافعت) وهذا النمط ورد أيضاً في قوله :

وألوم نفسي قبله إن أخطأت وإذا أساء إليّ لم أعتب

من خلال الشواهد التي ذكرها الشاعر في أبياته نجد أنّ معانيها تدور حول رفض المظاهر الزائفة والحادعة في الشاهد الأول ، وحول مدد يد العون للصديق ومساعدته والتجاوز عن أخطائه وهفواته ، وهذا يعني أنّ القضايا المطروحة في الأبيات منسجمة مع بعضها إجمالاً ، أما على مستوى كل بيت فيبدو التعالق واضحاً بين أفعال الشرط والأجوبة بواسطة أداة الشرط التي حققت جزم الأمر بتحقيقه في الأجوبة .

ب- لو الشرطية:

من أدوات الشرط غير الجازمة (لو) وهي "حرف امتناع لامتناع ، أي تدل على امتناع الثاني لامتناع الأول أي امتناع جواب الشرط لامتناع فعل الشرط ، فهي حرف يدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى . فيلزم من تقدير حصول شرطها حصول جوابها ويلزم كون شرطها محكوماً بامتناعه إذ لو قدر حصوله لكان الجواب كذلك ، فهي بذلك أداة رابطة في التركيب بحيث تقتضي الربط بين امتناع جواب الشرط لامتناع فعل الشرط "لتعلق ماضٍ بماض كقولك لو زرتني لأكرمتك ، ولهذا لم تجزم إذا دخلت على مضارع ، لأنّ الوضع للماضي لفظاً ومعنى كقولك : لو يزروني زيد لأكرمته ، فهي في الشرط نظير إن في الربط بين الجملتين"² ، ويعني هذا أنّ "إفادتها الشرطية تقتضي تعليق شيء على آخر وهذا التعليق يستلزم - حتماً - أن يقع بعدها جملتان ، بينهما نوع ترابط واتصال معنوي يغلب أن يكون هو (السببية) في الجملة الأولى ، والمسببية في الجملة الثانية... وإفادتها

¹ - إيليا أبو ماضي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص: 620.619.

² - ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، بدائع الفوائد ، تحقيق: علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد ، المجلد 1 ، ص: 91.90.

امتناع المعنى الشرطي في الزمن الماضي تقتضي أن شرطها لم يقع فيما مضى ، أي لم يتحقق معناه في الزمن السابق عن الكلام فهي تفيد القطع بأن معناه لم يحصل ، كما تفيد أن تعليق الجواب عليه كان في الزمن الماضي أيضا ¹ ومن النحاة من اعتبر أن (لو) هي أصل لـ (لولا) وزيدت (اللام) فيها وهذا فيه "تسوية بين حذف اللام وإثباتها" ² على أن العمل الجامع بينهما- لو، لولا- هو الربط والتعليق بين الشرط والجواب . وما يميز جواب (لو) الشرطية أنه "لا يكون إلا فعلاً ماضياً ، مثبتاً أو منفيًا بـ (ما) ، أو مضارعاً مجزوماً بـ (لم) والأكثر في الماضي المثبت اقترانه باللام ، وقد يحذف ³ .

وقد وردت (لو) في المدونات بدءاً من سورة القصص ، ثم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ثم في قصائد الشعراء وسنمثل لها على الترتيب :

النموذج الأول:

ماورد في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ (القصص الآية 64) ، الفعل (قيل) في هذه الآية عطف على آيات سابقة بدءاً من الآية 61 وهي قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَلْقَيْهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ ، فهذه الآية الكريمة تتحدث عن المؤمن المصدق لله بما وعده الله على صالح أعماله من الذي هو صائر إليه لا محالة ، فهو لا يستوي مع الكافر المكذب ببقاء الله ووعدته ووعيده ، فهو ممتع في الحياة الدنيا أياما قلائل ، ثم هو يوم القيامة من المحضرين المعذبين. ثم ينتقل الله عز وجل في الآية 62 مخبراً عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة فيقول: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ، فهو يناديهم أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد ، هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا على سبيل التقرير والتهديد ، وتلي هذه الآية قوله عز وجل في الآية 63 ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَلْؤَلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ .

ويقصد الله عز وجل بالذين حق عليهم القول الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر يشهدون عليهم أنهم أغووههم فاتبعوهم ، ثم تبرءوا من عبادتهم ، وفي الآية 64 يأمرهم الله عز وجل بأن يدعوا شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه ، كما كانوا يرجون منهم ذلك في الدنيا فلما فعلوا ذلك لم يستجيبوا لهم وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة ودُّوا حين عابنوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا ، وقد جاءت جملة الشرط بعد لو مقترنة بـ

¹ - عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 4 ، ص : 491 .

² - المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص : 599 .

³ - المصدر نفسه ، ص : 283 .

(أنهم) فهي تعرب مبتدئاً خبره محذوف، أوفاعلاً لفعل محذوف تقديره (لو ثبت أن) أو (لو كان أن)¹ ، وما يميز أداة الشرط (لو) أنها حافظت على موقعها في النص لتزيد من اتساقه بالربط بين فعل الشرط وبين جوابه من جهةٍ والربط بين الآيات السابقة من حيث المعنى المشترك بين الآيات خاصة وأن كلمة الشركاء تكررت مرتين لتساهم هي أيضاً في وحدة النص وتماسك أجزائه .

النموذج الثاني :

من النماذج التي وردت فيها (لو) الشرطية بأنماط مختلفة ماجاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها: أن تأتي لو الشرطية ويأتي فعلها وجوابه ماضيان وقد ورد هذا النمط في أحاديث كثيرة، وتنقسم في عدة تراكيب لغوية حسب تنوع جواب الشرط ، فتارة يكون فعلا ماضيا ، وأحيانا يكون فعلا ماضيا مؤكدا باللام وأحيانا يكون مؤكدا بقد ، وأحيانا يكون مسبوqa بنفي . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَدَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ :أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ دَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ﴾² .

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُ لَوَحْدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَأْتُكُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي﴾³ .

ومنها أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، قَدْ أُعْطِيتُكَ هَكَذَا ، وَهَكَذَا وَهَكَذَا﴾⁴

وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿لَوْ دَخَلُوهَا مَاخَرَجُوا مِنْهَا، أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ﴾⁵ .

ومن أنماط (لو) الشرطية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يأتي فعلها فعل ماض مبني للمجهول وجوابها فعل ماض مقترن بلام التوكيد. وقد ورد هذا النمط قليلا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿لَوْ مُدَّ بِي الشَّهْرُ لَوَاصِلْتُ وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ، إِنِّي لَسْتُ مِثْلُكُمْ، إِنِّي أَظْلُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي﴾⁶ .

يبدو دور (لو) في التركيب اللغوي واضحا ، فقد ربطت بين فعل الشرط وجوابه وهذا يعني أنها استعملت للتعليق ولولا وجودها في التركيب لفقد هذا التركيب اتساقه وانسجامه ، ولربما نحى بنا المعنى إلى مقصد آخر ويكفي أن نقرأ حديثا دون أن نذكر فيه (لو) لنذكر قيمتها في تحقيق الاتساق والانسجام النصي .

¹ - ينظر: مجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل ، ج 8 ، ص:435. وينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص:281.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص:2015. (كتاب البر والصلة والآداب).

³ - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص: 400. (كتاب المساجد ومواضع الصلاة)

⁴ - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص:1807. (كتاب الفضائل)

⁵ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص: 1469. (كتاب الإمارة) .

⁶ - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص: 776. (كتاب الصيام) .

النموذج الثالث :

ارتأينا أن نعزز التمثيل بذكر الدور الذي تؤديه لو الشرطية بالاستشهاد بنماذج من الشعر في العصر الجاهلي والعباسي والحديث ، ورد فيها فعل الشرط وجوابه بأتماط مختلفة ، ومن ذلك ما قاله زهير ابن أبي سلمى¹:

فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخَلِّدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخَلِّدٍ

في هذا البيت ورد فعل الشرط فعلا ماضيا (كان) ، وجاء جواب الشرط (لم تمت) فعلا مضارعاً مجزوما بلم .

ومن الأتماط النادرة ل (لو) الشرطية ما ورد في شعر زهير أيضا ، وذلك في قوله² :

لَوْ يُوزَنُونَ عِيَارًا أَوْ مُكَائِلَةً مَالُوا بِرِضْوَى ، وَلَمْ يَعِدْهُمْ أَحَدٌ

في هذا البيت جاء فعل الشرط فعلا مضارعاً (يوزنون) ، وجاء جوابه فعلا ماضيا (مالوا). وتبدوا (لو) في البيتين رابطة بين فعل الشرط وجوابه على مستوى التركيب وعلى مستوى المعنى .

ومن الشواهد الشعرية التي وردت فيها (لو) الشرطية ما جاء في ديوان أبي العتاهية وسنشير إلى شاهد في قصيدته (الموت يترصد بالنفوس) ومن ذلك قوله³ :

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ لِلزَّمَانِ مَجْرِبًا لَوْ كَانَ يُحْكِمُ رَأْيِكَ التَّجْرِبُ

وَلَقَدْ يَكَلِّمُكَ الزَّمَانُ بِاللِّسَنِ عَرِيَّةً وَأَرَاكَ لَسْتَ بُحَيْبُ

لَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ عَنْ زَمَانِكَ قَوْلَهُ لَعَرَاكَ مِنْهُ تَفْجُوعٌ وَنَحْبُ

تكررت (لو) في هذه الأبيات مرتين وورد فعل الشرط فيها ماضيا وكذلك جوابه ، ويبدو الجواب مقدرًا في البيت الأول لأن العجز توفر فيه فعل الشرط (كان يحكم رأيك التجريب) ويقتضي ذكر الجواب أن نقول: عملت فيه وأمنت مكره ، أو نربطه بما ورد في صدر البيت فنقول: لرأيتك مجربا له وعارفا لتقلباته ، وأما فعل الشرط وجوابه فقد ذكرا في البيت الثالث ويبدو التلاحم بينهما واضحا وقد حققته أداة الشرط (لو) .

ويقتضي منا السياق أن نشير إلى شاهد من الشعر الحديث ، ذكره أمير الشعراء أحمد شوقي في ديوانه فقد قال في قصيدته (من وحي المنفى)⁴ :

لَوْ اسْتَطَعْنَا لِحُضْنِ الْجَوِّ صَاعِقَةً وَالْبِرِّ نَارًا وَعَى وَالْبَحْرِ غَسْلِينَا

في هذا الشاهد لا يوجد فاصل بين فعل الشرط وجوابه ، وقد وردا في التركيب فعلين ماضيين ، ويبدو التلاحم بينهما واضحا ، إذ يكشف التلاحم والتقارب بين فعل الشرط وجوابه عن الجو النفسي الذي يحس به

1- ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص: 41.

2- المصدر نفسه ، ص: 44.

3- ديوان أبو العتاهية ، ص: 40.

4- ديوان أحمد شوقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج2 ، ص: 108.

الشاعر وهو بعيد عن وطنه وكله شوق وتلهف للعودة إليه . ومن الشواهد التي وردت فيها لو الشرطية ما ذكره أيضا أحمد شوقي في قوله¹ :

لَوْ غَابَ كُلُّ عَزِيزٍ عَنْهُ غَيْبَتَنَا لَمْ يَأْتِهِ الشَّقُّ إِلَّا مِنْ نَوَاحِينَا

جاء فعل الشرط فعلا ماضيا (غاب) بينما ورد الجواب فعلا مضارعا (يأتته) ، مسبوقا بأداة جزم (لم) وبين الفعل الماضي والمضارع وبين الفعل المثبت والمنفي حققت (لو) الشرطية الربط بينهما ، وكشفت عن المعنى الذي يريد الشاعر أن يقره في بيته ، وهو أن كل إنسان بعيد عن وطنه يستلهم الشوق من الشاعر ويأخذه منه ، إذ لا يصدر الشوق إلا من نواحي الشاعر.

ج- لَمَّا الشَّرْطِيَّة:

وأما (لما) الشرطية " فهي للأمر الذي وقع لوقوع غيره ، وإنما تجيء بمنزلة لو ، فإنما هما لا ابتداء وجواب"² وما يميز (لما) أنها تختص بالماضي ، فتقتضي جملتين وجددت ثانيتهما عند وجود أولاهما ، نحو: لما جاءني أكرمته ويقال فيها: حرف وجود لوجود ، وبعضهم يقول: حرف وجود لوجود³ ، "وكثيرٌ من النحاة يجعلها ظرف زمان ويقول: إذا دخلت على الفعل الماضي فهي اسم ، وإن دخلت على المستقبل فهي حرف ، ونص سيبويه على خلاف ذلك ، وجعلها من أقسام الحروف التي تربط بين الجملتين"⁴، وقد وردت (لما) الشرطية في المدونات ومنها:

النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ:

وردت (لما) في سورة القصص تسع مرات ولم يقتزن الجواب بالفاء أو إذا الفجائية ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة القصص الآية 22.23) ، وقد ورد فعلها ماضيا وجوابها ماضيا، ويبدو لنا التعالق جليا بين فعل الشرط (توجه) وبين جوابه (قال) ، وكذلك بين فعل الشرط (ورد) وجوابه (وجد) ، إضافة إلى الدلالة الزمانية ل (لما) فهي في الآيتين بمعنى حين .

¹ - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص: 108.

² - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 4 ، ص: 234.

³ - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 310.

⁴ - ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، بدائع الفوائد ، ج 1 ، ص: 77.

النموذج الثاني :

من الشواهد التي ذكرت فيها (لما) الشرطية ما ورد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءت بأنماط متنوعة منها: أن يأتي فعل الشرط ماضيا ، وكذلك جوابه ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم¹:

﴿لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي﴾ .

ومن الأنماط أن يأتي فعل الشرط ماضيا وجوابه مقترن بإذا الفجائية. من ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام² ﴿ قَالَ جِبْرِيلُ لِحَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ ، قَالَ: مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ قَالَ: أُرْسِلْ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، إِذَا رَجُلٌ عَنِ يَمِينِهِ أَسْوَدٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدٌ ، وَفِي مُسْلِمٍ فَإِذَا رَجُلٌ عَنِ يَمِينِهِ﴾ .

نلاحظ أن فعل الشرط وجوابه في الحديث الأول وردا على منوال فعل الشرط وجوابه في آيتي سورة القصص، أما في الحديث الثاني فقد جاء الجواب مسبقا بإذا الفجائية ، وقد ساهمت (لما) الشرطية في تركيب الحديث بالربط بين فعل الشرط (علونا) وبين جواب الشرط ، وهو الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر (رجل عن يمينه أسودة) ولو استغني عن (لما) في التركيب لأصبح للجملة الأولى معنى ومقصد مخالف للجملة الثانية ، ولزال الربط والانسجام بينهما .

النموذج الثالث :

جمعنا في هذا النموذج ماورد في الشواهد الشعرية (الجاهلية والعباسية والحديثة) ، عند كل من عبدة بن الطبيب وابن خفاجة الأندلسي ، وأحمد شوقي وسنقتصر على ذكر شاهد لكل شاعر ، نبين فيه دور (لما) الشرطية في إحداث التماسك والتعلق النصي ، يقول عبدة بن الطبيب³ .

لَمَّا وَرَدْنَا رَفَعْنَا ظِلَّ أَرْدِيَّةٍ وَقَارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَوْمِ الْمَرَاجِيلُ
وَرَدًّا وَأَشْقَرُ لَمْ يُنْهَهُ طَاجِحُهُ مَاغَيْرَ الْعَلِيِّ مِنْهُ فَهُوَ مَاكُولُ
ثَمَّتْ قَمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيْلُ

هذه الأبيات من قصيدة طويلة لعبدة بن الطبيب بلغ عدد أبياتها واحداً وثمانين بيتاً ، وفي هذه الأبيات الشواهد يذكر الشاعر رحلته مع أصحابه وهم في أوبتهم وردوا فلم يجدوا بدا من أن يرتاحوا قليلا ، فخبوا أرديتهم عليهم وجعلوها مثل الخباء على الرماح يستظلون بها ، وقد أعدوا اللحم طعاما لهم وقد فارت به المراجيل ولكثرته فقد أصاب بعضه النضج وهو (الورد) في حين لم ينضج بعضه الآخر وهو (الأشقر) ، ولشدة جوع القوم فإنهم

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج2 ، ص: 2107. (كتاب التوبة) .

² - المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 148. (كتاب الإيمان) .

³ - ديوان عبدة بن الطبيب ، ص: 73.

يأكلون كل لحم غير الغلي منه ، فلما أتموا أكلهم ركبوا خيولهم المسومة وواصلوا سيرهم ، وهنا نجد عبدة بن الطيب قد صور لنا مشهداً في رحلته ممهداً له بأداة الشرط (لما) ، وقد جاء فعل شرطها وجوابه ماضيان وهذا الزمن مناسب للسرد إضافة للدور الذي حققته لما في الربط والاتساق النصي .

ومن النماذج الشعرية التي وجدنا فيها دور (لما) الشرطية مميّزًا ما ذكره الشاعر الأندلسي ابن خفاجة في قصيدته الموسومة بـ (منصور اللواء) ، وهي من القصائد التي مدح فيها نجل أمير المؤمنين القائد أبي الطاهر تميم يقول في ذلك¹:

ولما تجلّى ضوءُ صُبحٍ كأنّه مشيبٌ بفودِ اللَّيلِ طالعٍ من قطرٍ
وحطَّ رداءُ الغيمِ عن منكبِ الصِّبَا وثمَّ على ذيلِ الدُّجى نفسُ الزَّهرِ
صدرتْ ودون النَّجمِ سِتْرُ غمامةٍ يشُفُّ، كما شفَّ الرَّمادُ عن الجمرِ

ما يميز هذه الأبيات التي تصدرت فيها (لما) الشرطية التركيب أن المسافة بين فعل شرطها وجوابه بعيدة إذ جاء فعل الشرط فعلاً ماضياً في البيت الأول (تجلى) ، و جاء الجواب في البيت الثالث (صدرت) وهو أيضاً فعل ماض وهذا يعني أن الربط والتعلق تم على مستوى البيت الأول والثالث ، في حين عَطِقتْ أفعال ماضية في البيت الثاني وهما الفعلان (حط، نم) على فعل الشرط (تجلى) ، وهذا ما ساهم في دخول البيت الثاني في دائرة المعنى الجامع لهذه الأبيات مما ساهم في إحداث التماسك والاتساق بين الأبيات ، فابن خفاجة لما تجلّى له ضوء الصبح كأنه شيب شعر في سواد حالك ، ثم حط الغيم وانكشف ونم آخر الليل بالانبلاج ، صدر وهو يراني نجماً من وراء غيمة يلمع كما يلمع الجمر الذي يوشك ضرامه أن ينطفئ ، وبالوقوف على دور (لما) الشرطية نجد أنها قد نسجت الأفعال (تجلى ، حط ، نم) مع بعضها ، ثم ربطتها بالجواب صدرت ، لأن الشاعر لم يصدر بمجرد تجلي الصبح له وإنما صدر حين تجلى له الصبح وحط رداء الغيم ونم نفس الزهر ، وهذا ما جعل الأبيات كتلة متسقة ومنسجمة ومحكمة البناء .

ومن الأبيات التي ندعم فيها استشهادنا بدور (لما) الشرطية في زيادة الاتساق النصي ، ما ذكره أمير الشعراء أحمد شوقي في ديوانه يقول في قصيدته (من وحي المنفى)² :

ياساري البرق يرمي عن جوانحنا بعد الهدوء ويهمي عن مآقينا
لما ترقق في دمع السماء دمًا هاج البكا فخصبنا الأرض باكينًا

ورد فعل الشرط بعد لما فعلاً ماضياً (ترقق) وجاء جوابه أيضاً فعلاً ماضياً (هاج) ، وقد ربطت (لما) بين فعل الشرط وجوابه فاتسقت التركيب وانسجم معنى هذا البيت مع البيت الذي يسبقه ، لأن الشاعر ينادي ساري

¹ - ديوان ابن خفاجة ، شرحه عمر فاروق الطباع ، دار القلم للطباعة والنشر ، ص: 95.

² - ديوان أحمد شوقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج2 ، ص: 404.

البرق الذي يثير في نفس الشاعر العواطف الملهبة ، وهو بعيد عن وطنه فيذرف دموع العبرة وحين تهمي الغيوم بالغيث فهي ليست ماء بالنسبة للشاعر بل هي دموع دم تجعل الشاعر في هياج بكاء يخضب الأرض بسببه .

نتائج :

من خلال عرضنا لأدوات الشرط الجازمة وأدوات الشرط غير الجازمة يتضح لنا أن نسبة حضورها في نصوص التطبيق متقاربة ، على أن هناك تفاوتاً طفيفاً في ورود أدوات دون غيرها فمثلاً في سورة القصص وجدنا أن أداة الشرط (لما) انتشرت في فضاء السورة بنسبة كبيرة مقارنة بغيرها من الأدوات ، والسبب في ذلك مناسبة هاته الأداة لعملية السرد التي تميزت بها سورة القصص ، وهذا الذي جعلها تحقق الربط بين التراكيب اللغوية على مستوى النص ، إضافة إلى الربط بين الأحداث القصصية بدءاً من قصة فرعون وانتهاء بقصة قارون ، وما يقال عن السورة يقال عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

لم يحدث أن اجتمعت أداتا شرط في نصوص المدونات التي اخترناها ، كما أن هناك أدوات شرط غابت عن نصوص المدونات .

لاكتفي أدوات الشرط بالربط لوحدها إذ تساعدها أدوات أخرى مثل (الفاء) و (اللام) مما يزيد النصوص اتساقاً وترابطاً وتلاحماً .

تصدر أدوات الشرط التراكيب التي ترد فيها ، وفي حالة تقدم الجواب عليها فإنه يحذف ويتم تقديره ويحدث أن تحذف أداة الشرط من التركيب ويتم تقديرها هي أيضاً ، لأن التركيب يفرض وجود الشرط وقد أشرنا إلى ذلك في الآية التي عرض فيها شعيب على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه على أن يأجره ثماني حجج ، وتقدير الجواب أو الأداة يجعل من المتلقي مساهماً في بناء النص واتساقه وانسجامه .

من القواعد التي أقرها النحاة أن جعلوا الجزم قرينة الجزاء ، على أساس أن الأفعال مضارعة لكن يحدث أن تدخل أدوات الشرط على الأفعال الماضية والمضارعة سواءً في الشرط أو الجواب ، كما أن دلالة ورودها في التركيب متعددة فقد تدل على الماضي أو المستقبل أو الحال .

ثانياً- أدوات الاستفهام :

الاستفهام وهو السؤال والاستفسار عن شيء لا يعلمه السائل ، ويكون ذلك باستخدام أدوات الاستفهام ورد في لسان العرب " استفهمه سأله أن يقههه " ¹ ، وتنقسم أدوات الاستفهام إلى قسمين حسب الاعراب فهناك حرفان للاستفهام وهما (الهمزة و هل) ، وهناك أسماء للاستفهام وهي ليست دالة في الأصل على ذلك وإنما حملت على أحرف الاستفهام ، ومنها : مَنْ ، ما ، أين ، متى ، أنى ، أيان ، أيّ ، كم ، كيف ، هلا

¹ - ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ج 12 ، ص: 459.

... "وتتصدر أدوات الاستفهام جملتها ولا يعمل فيها ولا في أيّ جزءٍ من أجزاء جملتها ما قد يسبقها من أفعال وغير أفعال"¹.

وما يميزها عدم اختصاصها فهي تدخل على الفعل كما تدخل على الاسم ، ويفرض سياق استعمالها طلب المعرفة من المخاطب حقيقة أو مجازا لتحقيق دورها على مستوى النص من خلال تأكيد الترابط النصي .

إضافة إلى الكشف عن معانٍ متعددة في النص تساعد على انسجام المستفهم معه مع النص ، كالتقرير والإنكار والنفي والتهكم والتحسر .. وأدوات الاستفهام التي استشهدنا بها في نماذج التطبيق منها :

1- التَّمَوِذُجُ الْأَوَّلُ :

أ- هَمْزَةُ الْأَسْتِفْهَامِ :

من حروف المعاني (ألف الاستفهام أو همزة الاستفهام) وهي "حرف مشترك يدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق ، نحو: أزيد قائم؟ أو تصور ، نحو : أزيد عندك أم عمرو؟ ... وهي أصل أدوات الاستفهام ولأصلاتها استأثرت بأمور ، منها تمام التصدير بتقديمها على الفاء والواو وثم "²، ومن النحاة من أجاز أن يلي همزة الاستفهام اسم على أن الأصل أن يلي الفعل أدوات الاستفهام ، وإذا ما جاء بعدها اسم فهو من باب التوسع وهمزة الاستفهام في هذه الحالة تشبه (هلا) يقول سيبويه: " وأما الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز كما جاز ذلك في هلا "³ ، كما أن من أحكامها أن لا يعمل فيها ولا في أيّ جزءٍ من أجزاء جملتها ما قد يسبقها من أفعال وغير أفعال.

وقد وردت همزة الاستفهام في النماذج التي وقع اختيارنا عليها متنوعة التراكيب والاستخدامات والمعاني وقد دخلت في النص حسب قوة التردد على النحو التالي:

- على الجملة المنفية: وردت همزة الاستفهام في الآية 57 من سورة القصص ، وقد اقترن فيها الرابط

الاستفهامي برابط النفي مما أدى إلى إحكام الربط ، وجاءت أداة النفي في الآية (لم) والمعلوم أن الجملة المنفية حين تقترن بهمزة الاستفهام يصير النفي إيجاباً وإيجاباً نفيًا⁴، لأنّ همزة الاستفهام مع النفي تؤدي معنى التقرير أو الإنكار ، وهذا ما يجعلها تنفرد بهذه الخاصية دون غيرها من الأدوات ، ومن النماذج التي وردت فيها على هذه الشاكلة ما ورد في قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَتَحَدَّثُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَوْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا

¹ - شوقي ضيف ، تيسيرات لغوية ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص: 105.

² - المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 31.30.

³ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 1 ، ص: 99.98.

⁴ - النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد : إعراب القرآن ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1985 ، ج 5 ص 251.

يُجِبُّ إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ، (القصص الآية 57) ، ومعنى الآية أَنَّ الكافرين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم إنا لتعلم أَنَّ الذي تقوله حق ، ولكن يمنعنا من ذلك نخطفنا من أرضنا أي يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا من أرضنا فأجاب الله سبحانه وتعالى عنها من وجوه :

الأول: قوله ﴿ أَوْ لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾ أي أعطيناكم مسكنا لا خوف لكم فيه ، لأنَّ العرب كانوا يحترمون الحرم وما كانوا يتعرضون البتة لسكانه .

الثاني : قوله ﴿ يُجِبُّ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فهو تعالى كما بين كون ذلك الموضوع خاليا عن المخاوف والآفات بين كثرة النعم فيه ، وأداة الاستفهام في الآية فضلا على الدور التركيبي الجملي الذي أدته ، أدت دورًا نصيًا حمل معنى التقرير والإنكار والتذكير والتنبيه ، لأنَّ الله تعالى لما جعل الحرم آمنا وأكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الأوثان فلو آمنوا لكان بقاء هذه الحالة أولى¹ ، وفي الآية ما يدفع السامع إلى استحضار المشاهد جميعها ويجعله ذلك في حالة تفاعل مع الآية فيبني انسجامه .

- على الجملة الاسمية: يندر دخول همزة الاستفهام على الجملة الاسمية ، وقد استشهدنا في هذا النوع

بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أَنَّ أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحْلَتُهُ مِثْلَ هَذَا؟ فَقَالَ : لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْجِعْهُ﴾²، في تقديم المفعول به على الفعل دلالة على ما يقصده الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ إنَّ غايته عليه الصلاة والسلام أن يلفت الانتباه إلى ما يريد أن يقره ليعمل به الصحابي بعد ذلك ، وهذا ما أكده الرسول بالفعل (فأرجعه)، والاستفهام في هذا الحديث يدخل في دائرة التقرير والإنكار حيث ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الصحابي أنَّ يميز بين أبنائه في العطايا والهبات ، وهذا يعني أَنَّ هذا الاستفهام هو استفهام إنكاري رُبِطت فيه أداة الاستفهام بالاسم مباشرة ليفيد لفت الانتباه إلى ما يريد الرسول أن يُفعل ، وبالتالي فإنَّ أداة الاستفهام تجاوزت دلالتها إلى فائدة إقناع المخاطب بمضمون الرسالة ثم انسجامه معها .

¹-الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج25 ، ص: 04.

²- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج2 ، ص: 1241. (كتاب الهبات) .

ومن الشواهد الشعرية التي اقترنت فيها أداة الاستفهام بالجملة الاسمية، ماجاء في شعر ابن خفاجة

الاندلسي وذلك في قوله¹ :

أَمَقَّامٌ وَصَلِ أُمُّ مَقَامِ فِرَاقٍ فَالْقُضْبُ بَيْنَ تَصَافِحِ وَعِناقِ

فجاء الاستفهام ليشير إلى مكان يراود ابن خفاجة ، من القلق والخوف ، فهو دائم التوجس من فراق الحياة لذا نراه ينزع إلى الطبيعة يسألها ، لعله يجد ما يتوق إليه من الوصال .

- على الجملة الفعلية: كثيراً ما يقترن الرابط الاستفهامي بالجملة الفعلية ، ومن الشواهد التي وقع اختيارنا

عليها رغبة منا في التنوع وتوسيع دائرة الاستشهاد ، من ذلك ما جاء في ديوان المهلهل يقول في إحدى مراثياته لأخيه كليب والتي بلغ عدد أبياتها 31 بيتا يقول فيها²:

أَتَعْدُو يَا كَلِيبُ مَعِي إِذَا مَا جَبَانُ الْقَوْمِ انْجَاهُ الْفِرَارُ

أَتَعْدُو يَا كَلِيبُ مَعِي إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْحَذُهَا الشِّفَارُ

يعكس البيتان ما يحس به الشاعر تجاه أخيه خاصة وأنه نظم هذه القصيدة واقفا على قبر أخيه بعد أن فرغ من دفنه ، ويحمل الاستفهام (أتعدو) والنداء (ياكليب) والمعية (معي) رغبة الشاعر الجامحة في أن يكون كليب معه وهو على يقين أن هذه الرغبة لن تتحقق ، ومع ذلك يسأل في البيت الأول هل تكون معي يا كليب عندما أشعل الحرب لأتأثر لك حيث لا يجد الجبان السلامة إلا في الهرب ، ويتساءل في البيت الثاني هل تكون معي يا كليب عندما تجز شفار سيوفنا حلاقم القوم وتقطعها ، والملاحظ أن أداة الاستفهام دخلت على الفعل المضارع (تعدو) وتكررت مرتين في صدر البيت ، وفي كل مرة يخاطب الشاعر فيها أخاه كليب يدعوه فيها لأن يكون معه فالاستفهام بالهمزة في البيتين ليس حقيقيا ، لأن المهلهل على علم بالحال والمثال ولأنه يريد من استفهامه حصول رغبة يعلم أنها لن تتحقق على أرض الواقع ، لكن الاستفهام يجعلها تتجسد في خيال الشاعر والمتلقي فيتصور وجود كليب مع المهلهل وهما يقودان الحرب ضد الأعداء ، وبذلك يرتبط الطلب (الاستفهام) بالنتيجة فيكتمل اتساق النص وانسجامه .

¹ - ديوان ابن خفاجة ، ص: 161.

² - ديوان المهلهل ، ص: 31.

- على الجملة المعطوفة: تقترن أداة الاستفهام بنوعين من حروف العطف ، وهما (الواو والفاء) وللتمثيل

لذلك نعود إلى سورة القصص يقول عز وجل ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص الآية 78) ، الشاهد في الآية قوله عز وجل ﴿أولم يعلم﴾ وأصل هذا التركيب (لم يعلم) دخلت عليه أداة الاستفهام فأفضت عليه معنى الانكار والتعجب ورغم أن هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، إلا أن الهمزة خصت بالتقديم على العاطف تنبيهاً إلى أنها أصل أدوات الاستفهام التي لها صدر الكلام، وفي هذا الترتيب يبدو اتساق حروف وملفوظات النص دون إخلال بترابط معانيها.

- على الظرف : ارتائنا أن نستشهد بموضع آخر تقترن فيه همزة الاستفهام بالظرف في حالة الإثبات وقد

ورد هذا النوع في قصيدة للشاعر محمود درويش عنوانها (من فضة الموت الذي لاموت فيه) والشاهد هو قوله¹:

أهنأك ما يكفي من الأفكار كي أختار حُطواتي الأخيرة ؟

أهنأك ما يكفي من البلدان كي أضع الكلام على الرصيف وانصرف؟

أهنأك ما يكفي من الكلمات كي أبنّي نوافذ لا تُطلُّ على المذابح؟

أهنأك ما يكفي من التاريخ كي أجد ابتهالات الشعوب السابقة؟

أهنأك ما يكفي من النسيان كي أنسى ... و أنسى ؟

نجد في هذه الأسطر اقتران همزة الاستفهام بالظرف (هناك) ، ويعكس هذا الاقتران بينهما مدلولات نفسية تحمل من المعاني ما يجعل الشاعر في حيرة من أمره في السطر الأول ، وقد عجز عن التفكير ولم تسعفه أفكاره القليلة في اختيار ما يريد ولم تكفه البلدان على كثرتها من أن يجد بلدا يصغي إلى كلامه أو يعيره الاهتمام كما أن كلماته لا تكفي لتوقف الجرائم والمذابح في وطنه ، لذلك أصبح التاريخ عقيماً ، لأنه افتقر إلى دعوات وابتهالات الضعفاء والمظلومين وحتى النسيان غاب ، لأنّ الواقع المرقد هيمن علي فكر الشاعر وسيطر عليه

¹ - محمود درويش ، الاعمال الكاملة ، إعداد علي مولا ، منتدى مكتبة الاسكندرية ، ص: 974.973.

فالشاعر في استفهاماته لا يسأل حقيقةً لأنه مدرك لواقعه ، بل هو يسأل باحثاً عن (أفكار، وبلدان ، وكلمات وتاريخ ، ونسيان) لذلك فإنَّ أداة الاستفهام مع الظرف ساهمتا في بناء المتخيل عند المتلقي مما زاد في اتساق النص وانسجامه .

من خلال عرضنا للنماذج التي وردت فيها همزة الاستفهام ، وجدنا أنها قد ارتبطت بعناصر لغوية متنوعة فهي تقترن بالفعل ، وتسبق الاسم ، وتتصل بالجملة المنفية ، وفي كلِّ وضعٍ نجدها قد حققت أغراضها البلاغية ولم يحدث وجود تناقضٍ أو تباعدٍ بينها وبين ألفاظ التراكيب التي وردت فيها ، وبذلك حققت الاتساق النصي الذي تسعى إليه اللُّغة ولو حدث أن بدلنا موقعها تقديمًا أو تأخيرًا لها لوجدنا خللاً في التركيب النسقي للنص .

نجد أنَّ النحاة قد أشاروا إلى النصوص التي يُفهم من تراكيبها وجود الاستفهام في غياب أداة الاستفهام وحذفها دون سواها من الأدوات ، خاصة إذا وقعت قبل (أم) حيث يجوز حذف أداة الاستفهام لأمن اللبس¹، كما يجوز حذف أداة الاستفهام وإن لم يكن بعدها (أم) ، ومن ذلك ما ورد في قصيدة للشاعر الكميّ بن زيد يمدح فيها آل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم² يقول:

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مني وذو الشيبِ يلعبُ

فالشاعر أراد في بيته أن يقول : أذو الشيب يلعب ؟

ومن الشواهد التي حذف فيها همزة الاستفهام ، ما ورد في قصيدة الشاعر أحمد شوقي (من وحي المنفي)

يقول³:

يا نائحِ الطلحِ أشباهُ عوادينا نَشجى لُواديك أم نأسى لُوادينا ؟

نلاحظ ورود الأداة (أم) التي ربطت بين قول الشاعر في الفعل (نشجى) والفعل (نأسى) ، ويقتضي وجودها في التركيب تقدير همزة الاستفهام المحذوفة ، وموقع هذه الهمزة قبل الفعل (نشجى) ، والتقدير في قول الشاعر هو أنشجى لُواديك أم نأسى لُوادينا ؟ ويحمل هذا الاستفهام معاني الحزن والتحسر الذي يكتنف شعور الشاعر وهو ينادي نائح الطلح (المعتمد بن عباد) الذي نفي قبله في زمن ملوك الطوائف إلى المغرب وسجن في

¹ ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص:34. وينظر : سيويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج3 ، ص:174.

² أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، شرح هاشميات الكميّ ابن زيد الأسدي ، تحقيق: داود سلوم ، نورمحمدوي القيسي ، عالم الكتب ، ط2 ، 1986م ، ص: 43.

³ ديوان أحمد شوقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج2 ، ص: 104.

سجن أغمات وبين الشاعر وهو بعيد عن مصر وقد نفى إلى إسبانيا ، وهذا ما جعل الشاعر في حيرة من أمره هل يأسف لوادي المعتمد بن عباد في الأندلس أم يأسى لواديه في مصر ، وحين نقدر وجود أداة الاستفهام فإن ذلك مقرون بالمواقف الوجدانية والایماءات الموجودة في النص ، وهذا من خصائص اللغة المنطوقة إذ تُفسَّر بها كثيرٌ من القضايا اللغوية فيفهم المتلقي معنى الاستفهام ويتفاعل مع النص منسجما معه من خلال ذلك الموقف وتلك الإیماءات.

ب- هل الاستفهامية:

وهي حرف استفهام تدخل على الأسماء والأفعال ، لطلب التصديق الموجب ، لا غير ، نحو: هل قام زيد؟ وهل زيد قائم؟ فتساوي الهمزة في ذلك¹ . وقد فرق سيبويه بين هل وهمزة الاستفهام فقال : " هل ليست بمتزلة ألف الاستفهام ، لأنك إذا قلت : هل تضرب زيدا؟ فلا يكون أن تدعي أن الضرب واقع ، وقد تقول : أتضرب زيدا؟ وأنت تدعي أن الضرب واقع، ومما يدل ذلك على أن ألف الاستفهام ليست بمتزلة هل ، أنك تقول للرجل: أطربا؟ وأنت تعلم أنه طرب لتوجهه وتقرره ، ولا تقول هذا بعد هل "2 ، ومن الفوارق التي ذكرها النحاة أيضا بين همزة الاستفهام وهل أن الهمزة تنفرد "بأنها ترد لطلب التصور ، نحو : أزيد في الدار أم عمرو؟ ولذلك انفردت بمعادلة (أم) المتصلة ، لأنها يُطلب بها تعيين أحد الأمرين ، و(هل) لا يطلب بها ذلك . وانفردت الهمزة أيضا بأنها تدخل على المنفي نحو: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (36) ، ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (1) ، (الانشرح الآية 1) ولا تدخل (هل) على منفي "3 . وقد أفادت (هل) في المدونات التطبيقية معنى التقرير والاثبات ومن ذلك ما ورد في قوله عز وجل في سورة القصص:

1- التَّمَوِذُجُ الْأَوَّلُ :

قال تعالى: ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُمْ نَصِيبٌ ﴾ (12) ، نجد في هذه الآية الكريمة إخبارًا من الله عز وجل أنه قد حرم المراضع على سيدنا موسى ، وهذا "يقتضي تحريمها من قبله فإذا لم يصح بالتعبد والنهي لتعذر التمييز فلا بُدَّ من فعل سواه وذلك الفعل يحتمل أنه تعالى مع حاجته إلى اللبن أحدث فيه نفار الطبع عن سائر لبن النساء ، فلذلك لم يرضع أو أحدث في لبنهن من الطعام ما ينفّر عنه طبعه ، أو وضع في لبن أمه لذة فلما تعودها لاجرم كان يكره لبن غيرها"⁴ ، وفي الآية نجد أداة الاستفهام (هل) قد دخلت على الفعل المضارع (أدلكم) ، وفي هذه الحالة فإنها تلخصه

1- المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 341.

2- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج3 ، ص: 175.176.

3- المصدر السابق، ص: 341.342.

4- الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج24 ، ص: 230.

للاستقبال فهي كالسين وسوف ، وهذا يعني أن أخت موسى لما رأت أخاها قد امتنع عن الرضاعة تدخلت متكلمة وسط حيرة المحيطين بموسى وهو يبكي واستفهمت — (هل) مستعملة إياها بغرض الإخبار وهو يدخل ضمن طريق الإعلام غير المباشر .

2- التَّمُودِجُ الثَّانِي :

من الشواهد التي وقع اختيارنا عليها في تبيان دور (هل) الاستفهامية في الربط وتحقيق الاتساق ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد رُوِيَ عن أنس رضي الله عنه أنه قال ¹: ﴿جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ قَالَ: هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: قَدْ غُفِرَ لَكَ ۖ﴾.

نجد في هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد علم بأن الصحابي قد حضر الصلاة معه ، إلا أنه أراد باستفهامه هذا حمل الصحابي على الإقرار بذلك ، وأداة الاستفهام (هل) لم ينسلخ عنها معنى الاستفهام حين أفادت التقرير والتحقيق .

3- التَّمُودِجُ الثَّلَاثُ:

رغبةً منا في توسيع دائرة الاستشهاد حول الدور الذي تؤديه (هل) الاستفهامية ، ارتأينا أن نقف على ذلك في الشواهد الشعرية عند عبدة بن الطبيب وأبي العتاهية وابن خفاجة ومحمود درويش على أن نقدم شاهدا لكل شاعر وفي هذا يقول عبدة بن الطبيب²:

هَلْ حَبْلُ خَوْلَةٍ بَعْدَ الْهَجْرِ مَوْصُولٌ أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ الدَّارِ مَشْغُولٌ

أشرنا سابقاً أن الأصل في (هل) دخولها على الجملة الفعلية ، وفي هذا الشاهد الشعري نلاحظ دخولها على الجملة الاسمية، ومرد ذلك لنكتة بيانية وغرض بلاغي لأنَّ الجملة الاسمية كما هو معلوم تدل على الثبات والدوام كما أنها غير مقيدة ، والشاعر في البيت يتحدث عن حبل المودة بينه وبين من يحب وهي خولة محبوبته البعيدة عنه فيسأل نفسه هل تصلها أم تقطعها لشغلك وبعذك عنها ، ويكشف هذا الاستفهام عما يحس به الشاعر من حرقة واشتياق لمن يحب .

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج2 ، ص:2117. (كتاب التوبة).

² - ديوان عبدة بن الطبيب ، ص: 57.

وفي قصيدة للشاعر العباسي أبي العتاهية عنوانها (كرب الموت) نجده قد أورد أداة الاستفهام (هل) وقد خرج بها عن معنى الاثبات والتقريب إلى معنى النفي ، يقول في ذلك¹:

يَهْرُبُ المرءُ مِنَ الموتِ ، وَهَلْ يَنْفَعُ المرءَ مِنَ الموتِ الهَرْبُ

والمعنى لا ينفَعُ المرءُ مِنَ الموتِ الهَرْبُ ، ونلاحظ هنا أنَّ أداة الربط الاستفهامية (هل) تتجاوز معنى الاستفهام الجملي لتنقل الذهن عبر البيت لنكتشف أنَّ مراد الاستفهام بها هو ربط الأفكار ، وهو أنَّ الانسان لا ينفعه الهرب من الموت وهذا ما أدى إلى تماسك البيت واتساقه .

ومن الشواهد الشعريّة التي ألزمتنا السِّياقُ بذكرها ، ما ورد في قصيدة للشاعر الأندلسي ابن خفاجة كان قد أعدها لتكتب على قبره ، وهي ستُّ أبياتٍ انتقينا منها ما توفرت فيه أداة الاستفهام (هل) يقول الشاعر²:

خَلِيلِي هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ لَتَأْمُ عَلَى جَدثِي أَوْ نَظْرَةً لَتَرْحُمُ

خَلِيلِي هَلْ بَعْدَ الرَّدَى مِنْ ثَنِيَّةٍ وَهَلْ بَعْدَ بَطْنِ الأَرْضِ مِنْ مُخِيمِ

في هذين البيتين تكررت أداة الاستفهام (هل) ثلاث مرات وهي لطلب التصديق وهذا الوجود الكثيف لهذه الأداة لافت للنظر في عمليّة القراءة الأولى، وإذا أنعمنا النظرَ في البيتين وجدنا أنَّ هذه الأداة هي الحامل الفكري لهذين البيتين اللذين ينتميان لمقطوعةٍ عدُّها ستُّ أبيات ، وتختلفُ دلالة (هل) في البيت الأوّل عن أحواتها في البيت الثَّاني فهو يطلب من خلالها من العابرين والخلائن الوقوف لسببين :

الأوّل لاستشعارِ الألم على رحيله، والثَّاني لإلقاء نظرة الرِّحمة عليه، فقد خرج الاستفهامُ هنا عن أصلِ وضعه إلى أسلوبٍ مجازي هو (التمني) فزاده إيجاءً وجمالاً؛ لأنَّ المقصودَ هنا ليس الاستفهام الحقيقي، فالعبرةُ في هذا الاستخدامِ نجدها في التَّركيب الذي يجسِّدُ أمراً غير حاصلٍ وقت الطَّلَبِ بأسلوبِ الاستفهام، ولهذا يصبحُ التَّركيبُ كالكلمة الواحدة.

وعندما نمضي إلى البيت الثَّاني تتفجّرُ الأسئلةُ الكبرى التي شغلت بالَ الشَّاعر، هذه الأسئلةُ الوجوديةُ التي شغلت البشرَ على مرِّ الحياة ، هل بعد الموت عودة؟ وهل بعد دخول القبرِ حياةٌ في منازل جديدة؟ إنَّ (هل) هنا لطلب التَّصديق ، ولكنَّ الشَّاعرُ هنا يسأل ذاته أو يسأل البشرَ والخلائن العابرين قرب قبره؟ أو أنَّ سؤاله مطلقٌ يُترَكُ للحياة أن تجيب عليه.

¹ - ديوان أبو العتاهية ، ص: 43.

² - ديوان ابن خفاجة ، تحقيق: سيد غازي ، منشأة الاسكندرية ، مصر ، ط2 ، 1979م ، ص: 363.

ومن الشواهد الشعرية التي نختتم بها هذه الجزئية ، ما جاء في قصيدة (الرمادي) للشاعر الفلسطيني محمود درويش فقد كرر فيها (هل) مرتين بدالتين مختلفتين يقول في ذلك¹ :

هَلْ تَرَكْتِ الْبَابَ مَفْتُوحًا ؟

تَعُودِينَ بِلا جَدوى

ويقول أيضا:

هَلْ تَرَكْتِ الْبَابَ مَفْتُوحًا؟

لِكِي أَقْفِزَ مِنْ جِلْدِي إِلَى أَوَّلِ عُصْفُورِ رَمَادِيٍّ وَأَحْتَجُّ

عَلَى الْآفَاقِ

ما يثير الانتباه في السطرين أنّ الشاعر قد كرر أداة الاستفهام (هل) ، في مقطعين وقد أدت الجمل الواردة بعد التركيب الاستفهامي إلى اختلاف المعنى فأداة الاستفهام (هل) دخلت على الجملة الفعلية (تركت) ، وهذا هو الأصل فيها ، ويبدو الشاعر في الأسطر التي وردت فيها (هل) موجها كلامه إلى مخاطبة يرى عودتها بلا جدوى لأن حضورها وغياها سيان عنده ، ويحمل الاستفهام هنا معاني الأسى والحزن في حين يتغير المعنى والشعور في المقطع الثاني ، لأنّ الاستفهام فيه يحمل معنى التمني ورغبة الشاعر في القفز والتحرر والاحتجاج ، وهنا نجد أنّ (هل) قد تجاوزت دلالتها الاستفهامية إلى دلالة أخرى ، تكشف عن معانٍ ينسجم معها القارئ ويبنى على أساسها أفكاره المتخيلة .

ج- ما الاستفهامية :

ذكر النحاة أنّ (ما) الاسمية تتفرع إلى سبعة أقسام² ، ومن بين أقسامها أنها ترد استفهامية كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِبَيْتِكَ يَلْمُوسَىٰ﴾ ، (طه الآية 170) ، ويُستفهم بها عن جنس وصفة وعين غير العاقل وعن جنس وصفة العاقل دون عينه ، وهي عند سيبويه للسؤال عن كل شيء يقول عنها: " ما مبهمة تقع على كل شيء"³ كما أنها تكون لغير الآدميين⁴ ، وهناك من أجاز السؤال بها عن عين إذا جهل أنها من العاقل "فتقول ما زيد؟ فيقول: جواد أو بخيل أو نحو ذلك ، فإنما هو لسؤال عن نعت الآدميين"⁵ .

¹ - محمود درويش ، الاعمال الأولى ج2 ، ص: 188.

² - المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 336.

³ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج4 ، ص: 328.

⁴ - المرزد أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتضب ، ج2 ، ص: 51.

⁵ - المصدر نفسه ، ج2 ، ص: 51 . وينظر: السكاكي يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ص: 310.

وردت ما الاستفهامية في النماذج التي وقع اختيارنا عليها في تراكيبٍ متنوعةٍ ومنها :

1- **وَرُودُهَا فِي الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ** : جاء هذا التركيب في الآية 23 من سورة القصص ، يقول عز وجل : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۗ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣﴾ ، في الآية ورد اسم الاستفهام (ما) وتلاه الخبر (خطبكما) وسبب ذلك كونها للاستفهام عن حقيقة الشيء وماهيته ، فموسى عليه السلام استعمل استفهاما يبدو في ظاهره استشكل واسترشاد ، ولكن الغرض منه الرغبة في التوجيه ومد يد العون ، لذلك قال (ماخطبكما) "أي ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما من الزيادة فسمى المخطوب خطبًا كما يُسمَّى المشأون شأنًا"¹ وقد ساهمت أداة الشرط (لما) وأداة الاستفهام (ما) من خلال ورودها في الآية في إضفاء سمة التماسك والاتساق في الآية .

2- **مُبْتَدَأُ وَخَبْرُهُ الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ** :وردت (ما) مع الجملة الفعلية (الفعل الماضي) ، لتنفيذ الإنكار ، ومن

الشواهد التي وقع اختيارنا عليها ما رواه أبو العباس سهل بن سعيد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال² : ﴿يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ حِينَ أَشْرَثَ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ ، في الحديث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنكر على أبي بكر رضي الله عنه حين امتنع عن الصلاة بالناس ، وقد أشار له بأن يصلي فقال له مامنعك ؟ فالاستفهام في الحديث خرج عن حقيقته ليدل على غرض مقصود في سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بذلك استفهام إنكاري.

تحذف ألف (ما) إذا سبقها حرف جر ، وتبقى الفتحة دليلا عليها ، نحو: فيم ، إلام ، حتام ، علام ، عم ، مم ، بم ، لم³.

وفي هذا النوع مثلنا بذكر شاهدين أحدهما لابن خفاجة الأندلسي والثاني لحمود درويش ، يقول ابن خفاجة في قصيدة له عنوانها (دعوتُ كبارا)⁴.

فِيمِ التَّعَلُّلِ فِي هَوَاكَ، وَقَدْ طَوَى مِني الضَّنَى وَبِكَ النَّوَى أَسْرَارًا ؟

1- الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج24 ، ص: 239.

2- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ص: 294. (كتاب العمل في الصلاة) .

3- ينظر: سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ج4 ، ص: 164.

4- ديوان ابن خفاجة ، ص: 94.

ومن الشواهد التي وردت فيها (ما) مسبوقه بحرف جر ما ورد في قصيدة (مديح الظل العالي) لمحمود درويش يقول في ذلك¹ :

عَمَّ تَبَحْثُ يَا فَتَى فِي زُورِقِ الْأُودِيَةِ الْمَكْسُورِ ؟

عن جيشٍ يحارِبني ويهزمني فانطق بالحقيقةِ ثم أسأل : هل أكونُ مدينةَ الشعراءِ يوماً؟

عَمَّ تَبَحْثُ يَا فَتَى فِي زُورِقِ الْأُودِيَةِ الْمَكْسُورِ ؟

عَنْ جَيْشٍ أُحَارِبُهُ وَأَهْزِمُهُ

وَعَنْ جُزُرٍ تُسَمِّيها فتوحاتي ، وأسألُ : هل تكونُ مدينةَ الشعراءِ

وَهُمَا؟

عَمَّ تَبَحْثُ يَا فَتَى فِي زُورِقِ الْأُودِيَةِ الْمَكْسُورِ عَمَّ؟

عَنْ مَوْجَةٍ ضِيَعْتها فِي الْبَحْرِ

عَنْ خَاتَمٍ لِأَسْبِيحِ الْعَالَمِ بِمُحَمَّدٍ أُغْنِيْتِي

وَهَلْ يَجِدُ الْمُهَاجِرُ مَوْجَةً ؟

بتتبع ما قاله ابن خفاجة في بيته وما قاله محمود درويش في أسطره ، نجد أنّ كلاً من حرف الجر (في) و(عن) وأداة الاستفهام (ما) يعملان على الربط التركيبي ، والربط النصي ، ولهذا فإن اجتماعهما سبب عملية حذف الألف للتخفيف ، ولا يقتصر هذا التخفيف على مستوى التركيب فحسب بل يتعداه إلى مستوى المعنى أيضاً فابن خفاجة يتساءل عن جدوى التعلل الذي لا فائدة منه بالنسبة له ، وبالنسبة للممدوحه وقد طواهما الضنى والنوى معا ، وأمّا محمود درويش فيختزل إحساسه بتخفيف الاستفهام المسبوق بحرف الجر (عن) ويتساءل موجهاً كلامه إلى فتى يبحث عبثاً في زوق مكسور ، فلا يجد إلا الهزيمة والخذلان ثم يبحث في زورق آخر زورق أسطوريّ فلا يجد إلا الذي وجدته في بحثه الأول ، وهنا نلاحظ أنّ الاستفهامات عند الشاعرين (ابن خفاجة ودرويش) تحمل دلالات مكثفة عن معاني الضياع والحزن والقهر ، نتيجة ظروف وأزمات نفسية راودتهما وقد شكل حضور الاستفهامات رابطاً بين الأجزاء اللغوية محققاً بذلك تماسك النص وانسجامه .

وما يميز (ما) الاستفهامية اقتراحاً بـ (ذا) فتصبح (ماذا) وتقع ماذا في حكم (ما) وتأتي على أوجه منها² :

- أداة استفهام إذا سبقت بحرف جر، مثال: لماذا عدت؟.

¹ - محمود درويش ، الأعمال الأولى . ج 2 ، ص : 385.384.

² - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص : 333.332.

- ما "استفهامية" و"ذا" اسم إشارة، نحو: ماذا التواني؟.

خ- ما "استفهامية" و"ذا" اسم موصول ، نحو: ماذا يحاول المرء أن يفعل في الدنيا؟، ف"ما" مبتدأ ، و"ذا" اسم موصول صلته جملة (يحاول المرء) .

ومن النماذج التي استشهدنا بها ما ورد في **سورة القصص** في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٥) ، (القصص الآية 65) ، ومن ذلك أيضًا ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والذي رواه عمرو بن العاص قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له: ابسط يمينك لأبايعك ، فبسط يمينه فقبضت يدي فقال مالك يا عمرو؟ فقلت : أردت أن أشرط قال: تشرط ماذا؟...¹

ومن الشواهد الشعرية التي وردت فيها (ماذا) الاستفهامية ماجاء في قصيدة (من وحي المنفى) لأحمد شوقي يقول²:

ماذا تقصُّ علينا غير أنَّ يداً قصَّت جناحك جالت في حواشينا ؟

من خلال الشواهد التي ذكرناها نلاحظ أن (ماذا) قد ارتبطت بالجملة الفعلية (ماذا أجبتهم) (تشرط ماذا) (ماذا تقص) ، لكننا نجد أنها قد حافظت على ترتيبها في الآية وفي بيت الشاعر أحمد شوقي فتصدرت الكلام ، في حين نجد أنها قد تأخرت عن الفعل ، وهذا على حسب رأي الكوفيين الذي يرى أن (ماذا) لا تجب لها الصدارة في الكلام ، فيجوز أن يعمل فيها ما قبلها من العوامل وقد أدت (ماذا) في الأمثلة دورًا مهمًا على مستوى التركيب وعلى مستوى المعنى ، إذ لا يمكن حذفها من التركيب لأنَّ حذفها يؤدي إلى خلل في المعنى ، وهنا يتضح لنا دورها الرابطي في إحداث الاتساق والانسجام .

د- من الاستفهامية:

اسم استفهام يستعمل للسؤال عن الناس أو للسؤال عن كل ما يعقل³، وهي عند السكاكي للسؤال "عن الجنس من ذوي العلم تقول : من جبريل؟ بمعنى أبشَرُ هو أم ملك . أم جني؟ وكذا من إبليس؟ ومن فلان؟"⁴ وقد وردت (من) الاستفهامية في المدونات ، من ذلك ارتباطها بالجملة الاسمية في سورة القصص يقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُوتٌ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (القصص الآية 71.72) ، تكررت (من) الاستفهامية مرتين وقد وليها اسم (إله) طُلب منه تعيين العاقل ، لأنَّ السؤال عن العاقل يكون بـ (من) وهو يقتضي جوابا ثابتا لا متغيرا و (من) في الآيتين اسم استفهام

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ص: 112. (كتاب الإيمان)

² - ديوان أحمد شوقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج2 ، ص: 104.

³ - ينظر: المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتضب ، ج2 ، ص: 51.

⁴ - السكاكي يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ص: 311.

مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، و (إله) خبر (من) والله عز جل في الآيتين " نبه على أن الوجه في كون الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزمان ، لأن المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه ، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ، ولأجله يحصل الاجتماع فيمكن المعاملات ، ومعلوم أن ذلك لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل ، فلا بدّ منهما والحالة هذه"¹ .

لذلك نجد أن الله عز وجل استعمل صيغة الاستفهام — (من) شكلا ، لكنه لا ينتظر الجواب لأنّ استفهامه في الآيتين تنبيه منه للجاحدين والمنكرين على أن المتصرف بالليل والنهار هو الله وحده لا شريك له وفي تكرار أداة الاستفهام ملمح مهم ، وهو أن الله عز وجل يريد أن يُفحم هؤلاء المكذبين بأن يأتوا بأيّ إله يثبت قدرته على الليل والنهار ، وقد ناسب تكرار الأداة تكرار خواتم الآيتين فالله عز وجل قد غاير بينهما جاعلاً للضياء السمع ، وجاعلاً لليل البصر " وإنما قرن بالضياء أفلا تسمعون ، لأنّ السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منافعه ووصف فوائده ، وقرن بالليل أفلا تبصرون لأنّ غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه"² .

1- مُبتدأ وخبرها جُملة فعلية :

وردت من الاستفهامية وقد جاء بعدها فعل ، ومن الشواهد التي وقع اختيارنا عليها ما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن ثوبان قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿مَنْ تَكْفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكْفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا﴾³ ، في الحديث نجد أن (من) الاستفهامية تتضمن معنى الشرط ، فالسؤال جاء مقترنا بالجزاء والعرض ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يعرض طلباً على الصحابة رضوان الله عليهم بأن يتكفلوا بأن لا يسألوا الناس شيئاً ، ويكون جزاء ذلك أن يكفل لهم الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة ، ونلاحظ أن الحديث يبقى متماسكاً ومتسقاً حتى وإن لم يرد الجواب عن السؤال ، وقد تم هذا الاتساق بواسطة الرابط الاستفهامي ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يريد منّا ألا نسأل الناس شيئاً وأن نتوجه بذلك لله عز وجل ، وهذا ما يدفعنا إلى التأثر بالرسالة والانسجام مع مضمونها.

¹ - الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج25 ، ص: 12.

² - المصدر نفسه ، ج25 ، ص: 13.

³ - النووي محيي الدين يحيى بن شرف ، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين ، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ط1 ، 2000م ، ص: 247.

2- مَنْ الاستفهامية واسم الإشارة:

كما ترد (مَنْ) الاستفهامية مع اسم الإشارة ، وقد مثلنا لذلك بيت للشاعر إيليا أبو ماضي في قصيدته (كن بلسما) قال الشاعر¹:

مَنْ دَا يُكَافِي زَهْرَةً فَوَاحَةً أَوْ مَنْ يُثِيبُ الْبُلْبُلَ الْمَتْرَمًا

في ورود (مَنْ) الاستفهامية مع اسم الإشارة استنكاراً من الشاعر ، لوجود المتشائمين والمتجهمين الذي ينشرون البؤس بين الناس ، على الرغم من أنّ عناصر الطبيعة كلها توحى بالتفاؤل والبهجة ، ولا تنتظر أن يتم مكافأتها أو الثناء عليها ، وبوجود هذين الرابطين نلمس اتساقاً وتماسكاً في البيت .

من خلال عرضنا للنماذج التي وردت فيها (مَنْ) الاستفهامية ، وجدنا أنها تؤدي دوراً مهماً في زيادة الاتساق والترابط والتماسك النصي ، كما أنّ وجودها في التركيب مع الجمل التي تليها يؤدي معانٍ مختلفة منها العتاب والإغراء ، والاستنكار ، وكل هذه المعاني يدركها المتلقي من خلال البحث عن أغراض الاستفهام مما يجعله دائم الانسجام مع النصوص التي تحتوي على أدوات الاستفهام .

هـ - كيف الاستفهامية :

وأما (كيف) فللسؤال عن الحال ، إذا قيل : كيف زيد؟ فجوابه صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ أو شبح أو جدلان ، ينتظم الأحوال كلها²، والملاحظ أنّ (كيف) لم ترد في سورة القصص وقد دفعنا ذلك إلى البحث عن نماذج أخرى وردت فيها هذه الأداة ، فوجدنا أنّ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إضافة إلى المدونات الشعرية التي وقع اختيارنا عليها تحتوي - وبكثرة- على (كيف) الاستفهامية ، وما لاحظناه أنّ أغلبية الجمل التي تليها هي جمل فعلية ، ومن ذلك الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّمَّ الْقَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْعَى السَّمْعَ مَتَى يُؤْمَرُ؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾³. في هذا الحديث نجد أنّ (كيف) دخلت على الفعل المضارع (أنعم) الدال على

¹ - إيليا أبو ماضي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص:730.

² - السكاكي يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ص:313.

³ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، محمد رضوان العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1999م ج32 ، ص: 91.

استمرارية الحال دون الثبات عليه ، لأنَّ الاستفهام على الحال في الحديث جاء للتعجب ، فالرسول يريد أن يقول كيف أنعم والأمر كما ذكرت لكم ؟ وهذا يعني أنَّ الاستفهام في الحديث جاء للتعجب من استمتاعنا والحال قريب يوشك أن يقع . وهذا المعنى المستقَى من الحديث بينته أداة الاستفهام الواردة في أول الحديث ، إذ لولا وجودها لما اتضح لنا معنى التعجب في الحديث ، وهذا يعني أنها قد حققت دورين الأول على مستوى التركيب أيَّ الاتساق ، والثاني على مستوى المعنى أيَّ الانسجام .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

من الشواهد الشعرية التي اعتمدنا عليها في الكشف عن الدور الذي تؤديه (كيف) في الربط ماورد في ديوان المهلهل ، وكذلك ما ورد في قصيدة (الموت يرتصد النفوس) لأبي العتاهية ، وقصيدة (رسالة من المنفى) لمحمود درويش وسنكتفي بذكر شاهد لكل شاعر نبين فيه دور (كيف) في إحداث الترابط في التراكيب اللغوية التي وردت فيها ، يقول المهلهل في قصيدة يبكي فيها أخاه¹:

كَيْفَ أُنْسَاكَ يَا كَلِيبُ وَمَا أَقْضَى حُزْنَاً يُنُوبُنِي وَعَلِيلاً ؟

كَيْفَ يَبْكِي الطُّلُولا مَنْ هُوَ رَهْنٌ بِطِعَانِ الْأَنَامِ جِيلاً فَجِيلاً ؟

يكشف الاستفهام الوارد في البيتين عن الحالة النفسية التي يشعر بها الشاعر ، لأنَّ أداة الاستفهام لم تؤد الاستفهام الحقيقي الذي يُرَاد منه الجواب ، فالشاعر يسأل نفسه في البيت الأول مبيناً عجزه عن نسيان أخيه لأنَّ حزنه الدائم يجعل صورة أخية ثابتة في ذاكرته لاتزول ، ويسأل نفسه عن البكاء على الطلول مستنكراً ذلك وهو حبيس الحروب ، والنزال ، والطعان ، فالشاعر يجرّد من نفسه شخصا آخر يسأله ، ويحاول أن يجيب على هذه الأسئلة التي تورقه .

ومن النماذج الشعرية أيضاً ما قاله أبو العتاهية² :

زُغِ كَيْفَ شِئْتَ عَنِ الْبَلِي ، فَلَهُ عَلِي كُلِّ ابْنِ أُنْتَى حَافِظٌ وَرَقِيبُ

كَيْفَ اغْتَرَرْتَ بِصَرْفِ دَهْرِكَ يَا أَخِي كَيْفَ اغْتَرَرْتَ بِهِ ، وَأَنْتَ لَبِيبُ ؟

¹ - ديوان المهلهل ، ص: 65.

² - ديوان أبو العتاهية ، ص: 40.

من خلال البيتين نجد الشاعر قد كرر (كيف) ثلاث مرات، لكنه استعمل واحدة منها بدلالة مختلفة وهذا يكشف لنا عن براعة الشاعر في حسن توظيفه لهذه الأداة ، ففي البيت الأول يوجه الشاعر خطابه لهذا المغتر بالحياة فيقول له مل كيف شئت وعلى أية حال تريد واعمل ماشئت فالله رقيب وحفيظ على كل أعمالنا وقد دلت (كيف) في البيت على الحال ، وخرجت عن معناها الأصلي وهو الاستفهام ، في حين نجد الشاعر قد وظفها في البيت الثاني للاستفهام مستفهما عن اغترار أخيه بالدنيا في صدر البيت وعجزه ، وهو الذي حباه الله بالعقل الذي يميز به ما يضره وما ينفعه ، ويحمل الاستفهام في البيت الثاني إضافة إلى النداء معنى الاستنكار من جهة والتعجب من جهة أخرى .

ومن الشواهد الشعرية التي أثارت اهتمامنا ماجاء في قصيدة (رسالة من المنفى) لمحمود درويش وتحديداً في مقطعها الرابع ، إذ نجد الشاعر قد كرر (كيف) الاستفهامية أربع مرات ، وفي تكراره لها يسأل عن شخصيات تمثل له أعز ما يملك يقول في ذلك¹ :

سمعتُ في المدياعِ

تحيةَ المُشرِّدين.. لِلْمُشرِّدين

قال الجميعُ: كلُّنا بخيرٍ

لا أحدٌ حزينٌ ؛

فكيفَ حالِ والدي؟

ألم يزل كعهده ، يحبُّ ذِكرَ الله

والأبناء... والثُّرابُ.. والزيتون؟

وكيفَ حالِ إخوتي

هل أصبحوا مُوظَّفين؟

سمعتُ يوماً والدي يقولُ:

سَيَصْبِحُونَ كُلُّهم مُعلِّمين..

سمعتُهُ يقولُ:

1- محمود درويش ، الاعمال الأولى، ج 1 ، ص: 44.45.

(أجوعُ حتَّى أشتري لهم كتاب)
لا أحد في قريتي يفكُّ حرفاً في خطاب
وكيف حال أختنا
هل كبرت... وجاءها حُطاب؟
وكيف حال جدتي
ألم تزل كعهدها تقعد عند الباب؟
تدعُو لنا ...
بالخير .. والشباب .. والثواب!
وكيف حال بيتنا
والعتبة الملساء... والوجاق .. والأبواب؟
سمعتُ في المدياع
رسائل المشردين..للمشردين
جميعهم بخير!
لكنني حزين...
تكادُ أن تأكلني الظنون
لم يحمل المدياعُ عنكم خيراً..
ولو حزين
ولو حزين

تكررت (كيف) في هذا المقطع أربع مرات ، وفي كل مرة نجد أن لها علاقة بالكلام الذي يسبقها لذلك فهي حققت الربط على مستوى التركيب والمعنى بين السابق واللاحق ، فالشاعر يسأل عن والده لما سمع أن الجميع بخير وحين سُمح للمشردين بتبادل التحايا، فهو ووالده مشردان ، والشاعر يسأل عن إخوته حين سمع أباه يقول أنهم سيصبحون موظفين ، ويسأل عن أخته هل كبرت وجاءها الخطاب ، ويسأل عن جدته وعادتها في الوقوف عند عتبة الباب تودعهم وهي تدعو لهم بالخير والفلاح ، ويسأل أخيراً عن بيته ووطنه الصغير .

ما يميز هذا المقطع تراصف أدوات الاستفهام فيما بينها مؤدية دورها في اتساق النص وتماسكه ، فحين يذكر الشاعر الآداة (كيف) يذكر معها الآداة (ألم) والآداة (هل) وقد نحى الشاعر هذا المنحى في كل المقطع وبدل

تراكم الاستفهامات على الحالة الشعورية والنفسية ، كما يدلُّ على رغبة الشاعر التي يراها مستحيلة التحقق والتي لا يستطيع الشاعر البوح بها ، ولولا هذه الاستفهامات التي تخفف عنه تباريح الألم لأكلته الظنون .

و- أيُّ الاستفهامية:

تأتي (أيُّ) الاسمية على خمسة أوجه شرطا ، واستفهاما، وموصولا، وأن تكون دالة على معنى الكمال ، وأن تكون وصلة إلى نداء ما فيه (أل) نحو: يا أيها الرجل¹ ، وتأتي (أيُّ) الاستفهامية للسؤال "عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما ، يقول القائل: عندي ثياب ، فتقول : أيُّ الثياب هي؟ فتطلب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها في الثبوتية"² ، ولابدَّ من إضافة (أي) إلا في النداء والحكاية ، تقول : جاءني رجل ، فتقول : أيُّ هذا؟ وهي بمتزلة (من) أو (ما)³، قال سبويه: " اعلم أنَّ (أيُّ) مضاف أو غير مضاف بمتزلة مَن ، ألا ترى أنك تقول : أيُّ أفضل؟ وأيُّ القوم أفضل؟ فصار المضاف وغير المضاف يجريان مجرى مَن "⁴ .

من خلال النماذج التي وقع اختيارنا عليها للتمثيل لـ (أي) الاستفهامية ، وجدنا أنها قد ارتبطت بالجمل الاسمية ومن ذلك مارواه جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر ، ثم يقول : ﴿ أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ أَحَدُهُمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ ﴾⁵.

على مستوى التركيب الجملي فإنَّ أداة الاستفهام (أيُّ) جاءت مضافة إلى الضمير المتصل (هما)، وهي هنا ركن من أركان الجملة الاسمية ويحيل الضمير على مستوى البنية النصية إلى الرجلين اللذين سيدفنان كما يحيل السؤال الموجه من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جماعة الحاضرين مع رسول الله خارج التركيب النصي والأداة (أيُّ) تربط بين القضية المحمولة في القول السؤال الذي سأله الرسول أثناء دفنه للصحابة وبين المستفهم عنه كما تجاوزت ذلك إلى تعلق ذهن القارئ بكامل المستوى النصي لمتابعة جزاء ذلك القول ، وهو ما يؤكد تماسك هذا النص بواسطة الرابط الاستفهامي (أيُّ) . كما أنَّ صيغة التفضيل بعدها جاءت لتمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج1 ، ص: 82.

² - السكاكي يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ص: 312.

³ - ينظر: المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 83.

⁴ - سبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ج2 ، ص: 398.

⁵ - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ص: 324.323. (كتاب الجنائز) .

مثلاً — (أي) الاستفهامية بشواهد شعرية لكل من المهلهل ، وأبي العتاهية ، وأحمد شوقي في دواوينهم وسمثل في البداية بذكر شاهد المهلهل يقول في ذلك¹:

كُليب أيُّ فتى عَزَّ ومَكْرَمَةٌ تحتَ السَّقَائِفِ إذْ يعلُوك سَافِيها ؟

يحمل الاستفهام في البيت معاني الرثاء والتفجع الصادر من الشاعر اتجاه أخيه ، الذي فقدته فهو يوجه النداء إليه في بداية البيت ثم يستفهم عنه بذكر مكارمه وخصاله ، فأَيُّ فتى يمكن أن يبلغ ما بلغ كليب ، والجواب عند الشاعر معلومٌ إذ لا أحد سينال فضل أخيه ، وقد تحقق هذا المعنى بفضل أداة الاستفهام (أَيُّ) .

ومن ذلك أيضا ما ذكره الشاعر أبو العتاهية في قصيدته (متى تتوب) يقول في ذلك:

أَتَطْلُبُ صاحِبًا لَاعِيْبٍ فِيهِ وأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عُيُوبٌ ؟

في هذا الشاهد نجد الشاعر يوجه كلامه إلى مُحاطبه الذي يريد صاحبا لاعيوب فيه ، لذلك فإنَّ الشاعر يجيبه في صدر البيت متعجبًا من طلبه ومستعملًا في ذلك أداة الاستفهام الهمزة ، ثم نافيًا لتحقيق مراد هذا الذي يريد صاحبًا منزهاً عن العيوب مستعملًا أداة الاستفهام (أي) ، وبتظافر الأداتين نجد أنهما قد حققتا اتساق النص وكشفتا عن مراد الشاعر في رده ، مما جعل المتلقي ينسجم مع وجهة نظر الشاعر .

ونختتم هذه الجزئية بإيراد شاهد شعري لأمير الشعراء في قصيدته (من وحي المنفي) يقول في ذلك²:

إِذَا حَمَلْنَا لمَصْرَ أَوْ لَهُ شَجْنَا لمْ نَدْرِي أَيُّ هَوَى الأُمَيْنِ شَاجِنَا ؟

يرتبط هذا البيت من ناحية المعنى بالبيت الذي يسبقه والذي يقول فيه الشاعر:

لَوْ غَابَ كُلُّ عَزِيْزٍ عَنْهُ غَيْبَتْنَا لمْ يَأْتِهِ الشُّوقُ إِلَّا مِنْ نَوَاجِينَا

يبين الشاعر ما يكابده وهو بعيدٌ عن وطنه وقد بلغ به الشوق مبلغًا عظيمًا ، فصار كلُّ مشتاقٍ يستلهم من الشاعر هذا الشعور ، لأنَّ أحمد شوقي لم يخرج بمحض إرادته إنما نفي إلى إسبانيا قسرًا ، فهو يحن لكل عزيز على قلبه كما يحن لعزيز آخر وهي مصر ، لذلك فقد جعله هذا الشعور في حيرة من أمره فأَيُّ هوى جعله يشجى ويأسى هل هو هوى العزيز ، أم هو هوى الوطن؟ فالاستفهام في البيت يعكس معاني الحيرة كما يعكس في الآن

¹ - ديوان المهلهل ، ص: 91.

² - ديوان أحمد شوقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج2 ، ص: 108.

ذاته شدة الشوق والشغف للعزیز وللوطن ، وقد عكس معاني الحيرة والقلق أداة الاستفهام (أي) ففضلا عن دورها في الاتساق على مستوى مفاصل البيت ، فقد أدت إلى انسجام المعنى الذي جعل القارئ يحس بما يحس به الشاعر فيشاركه التجربة ويحاكيه الشعور .

ز- أين الاستفهامية:

تأتي (أين) للاستفهام عن الأماكن فإذا "قيل : أين زيدٌ؟ فجوابه في الدار أو في المسجد أو في السوق ينتظم الأماكن كلها¹ ، وقد وردت (أين) الاستفهامية في المدونات ومنها:

- التَّمَوِذُجُ الأوَّلُ:

مثلا لـ (أين) الاستفهامية في جميع المدونات التي اخترناها بدءًا بالقرآن الكريم ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومرورًا بالشعر الجاهلي ، ثم العباسي ، ووصولًا إلى الشعر الحديث ، وسنبداً بالتمثيل للدور الرابطي الذي تؤديه (أين) الاستفهامية ، من القرآن الكريم في سورة القصص، فقد تكررت هذه الأداة مرتين يقول الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّكُمْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾²، (القصص الآية 62)، وأعيدت الآية نفسها بنفس الصيغة والتركيب في الآية 74 من السورة ذاتها ، وقد ارتبطت أداة الاستفهام (أين) بجملة اسمية فوقعت خبرا واجب التقدم لأنَّ من موجبات تقديم الخبر على المبتدأ أن يكون الخبر مما له الصدارة كأسماء الاستفهام ، وسياق الآية يجعلنا ندرك أنَّ الاستفهام موجه للكافرين فالله "يسأل الكفار يوم القيامة على ثلاثة أشياء أحدها (أين شركائي الذين كنتم تزعمون) ، لما ثبت أنَّ الكفار يوم القيامة قد عرفوا بطلان ما كانوا عليه ، وعرفوا صحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقول لهم أين ما كنتم تعبدونه وتجعلونه شريكا في العبادة وتزعمون أنه يشفع؟ أين هو ليخلصكم من هذا الذي نزل بكم"²، وحين نتأمل هذا الاستفهام ندرك أنَّ الله عز وجل يريد أن يفحم هؤلاء الكفار ويقيم عليهم الحجة على كفرهم وخطئهم الذي وقعوا فيه في الدنيا ، وحين نتصور إجابة الكافرين وقد سُقِطَ بأيديهم نكون قد ساهمنا في اتساق النص وانسجامه .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

¹ - ينظر: السكاكي يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ص: 313.
² - الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج 25 ، ص: 08.

من الشواهد التي وقع اختيارنا عليها ، رغبة منا في توسيع دائرة الاستشهاد ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه فقال: ﴿بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يُحدِّثُ القومَ، جاءه أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يُحدِّثُ، فقال بعضُ القومِ: سمِعَ ما قالَ فكَّرَه ما قالَ. وقالَ بعضهم: بلَ لمَ يسمَعُ، حتَّى إذا قُضِحَ حديثُهُ قالَ: أينَ - أراه - السَّائلُ عنِ السَّاعةِ قالَ: ها أنا يا رسولَ اللهِ، قالَ: فإذا ضُيِّعتِ الأمانةُ فانتظِرِ السَّاعةَ، قالَ: كيفَ إضاعتُها؟ قالَ: إذا وسدَّ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ فانتظِرِ السَّاعةَ﴾¹.

في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، نجد أن أداة الاستفهام أين دخلت على اسم الفاعل (السائل) وفي سؤال الرسول عليه الصلاة والسلام ما يجعلنا ندرك اهتمامه بهذا السائل عن الساعة ، وهو عليه الصلاة والسلام جالس مع الصحابة والسائل معهم ، فكان بإمكان الرسول أن يأمر أحد الصحابة بأن يبلغه بما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغه لهذا الأعرابي ، خاصة وأن الاستفهام يوحي ظاهر المعنى منه أنه للإنكار لأن الصحابة قالوا سمع ما قال فكره ما قال ، وهذا يدل على أن دلالة (أين) قد تجاوزت معناها الأصلي الذي وضعت لأجله وهو الاستفهام عن المكان ، وفهم الدلالة من وراء هذا الاستفهام يجعلنا ندرك مدى الاتساق والانسجام الذي ساهمت فيه هذه الأداة .

- التَّمَوِذُجُ الثَّلَاثُ :

وردت (أين) الاستفهامية في ديوان المهلهل ، وقد اخترنا شاهدا يعكس فيه الاستفهام ، ما يحس به الشاعر اتجاه مايسأل عنه ، يقول المهلهل²:

يَالْبَكَرُ أَنْشِرُوا لِي كُليِّبًا يَالْبَكَرُ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ؟

يثير النداء في صدر البيت صورة للمستحيل الذي يطلبه الشاعر من أعدائه البكرين ، حين يأمرهم بإحياء أخيه كليب ، ويثير النداء والاستفهام المكرر رغبة الشاعر في تعجيز وتهديد البكرين ، لأنه من المستحيل على آل بكر إعادة كليب إلى الحياة فالشاعر يريد القول : إنكم لاتحيونه وأنا لا أعفيكم من القتل ، وهنا نجد أساليبًا تظافرت في الكشف عن رغبة الشاعر في بيته ، بدءًا بالنداء ، ثم الأمر ، ثم الاستفهام ، كما نجد رابط النداء (يا) ورباط الاستفهام (أين) ساهما في اتساق النص وانسجامه .

¹ - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ص: 26. (كتاب العلم) .

² - ديوان المهلهل ، ص: 32.

ومن النماذج الشعرية التي استشهدنا فيها بتبيان دور (أين) الاستفهامية ما ورد في قصيدة (من أحس أهل القبور) لأبي العتاهية يقول الشاعر¹:

أين الألى شادوا الحصون ، وجندوا
فيها الجنودَ تغزوا أين الألى ؟
أين الحماة الصّابرون ، حميّةً
يومَ الهياجِ لحرِّ مختلفِ القنا ؟

كرر الشاعر (أين) الاستفهامية في بيته ثلاث مرات ، ويعكس هذا التكرار مقصود الشاعر منه لأنه لايسأل حقيقة وينتظر الجواب وإنما يسأل لتقرير حقيقة في ذهن المتلقي ، الذي يجده الشاعر مولعا بالدنيا ومغترا بما فيقول له أين الذين شادوا القلاع والحصون وسادوا وأحاطوا أنفسهم بالجنود والعسس والرصد؟ أين الأبطال والشجعان الغطاريف؟ الذين عُرفوا ببأسهم وجروتهم كلهم أفناهم الموت وذهب بهم، وهذه المعاني قد دل عليها الاستفهام الذي اتخذها الشاعر كوسيلة إقناعية لتزويد هذا المغتر بالدنيا ، وبالتالي ساهم في اتساق النص وتحقيق استراتيجية الشاعر من وراء استفهامه وذلك بانسجام المتلقي مع مضمون النص .

وفي قصيدة للشاعر محمود درويش عنوانها (رسالة من المنفى) يكرر فيها أداة الاستفهام (أين) يقول فيها²:

تحيّة . وقبله وليس عندي ما أقول بعد
من أين أبتدي؟ .. وأين أنتهي؟
ودورة الزمان دون حد
وكل ما في عرّبي
زوّادة، فيها رغيّف يابس، وووجد
ودفترٌ يحمل عني بعض ما حملت
بصقت في صفحاته ما ضاق بي من حقد
من أين أبتدي؟

في هذه الأسطر نجد أنّ (أين) سُبقت بحرف الجر (من) فهي قد خالفت الأصل في استخدامها بأن تكون منصوبة على الظرفية ، والشاعر قد كررها في الأسطر ثلاث مرات ، ويبدو من خلال تساؤله أنه يتجاوز دلالة (أين) في استعمالها للسؤال عن المكان ويربطها بمعان نفسية ترتبط به ، فهو يريد أن يكتب رسالة إلى أهله لكنه تائه ومشتمت لايعرف من أين يبتدئ الكلام وأين ينتهي به ، لأن أيامه متشابهة ولا أمل في تغييرها وبؤسه

¹ - ديوان أبو العتاهية ، ص: 27.

² - محمود درويش ، الأعمال الأولى، ج1 ، ص: 41 .

يزداد يوماً بعد يوم وأوراقه التي يجمعها دفتره لاتحمل سوى البغض والحقد اتجاه من تسببوا له في ما يقاسيه ويعانيه وهنا نجد أنّ الشاعر استطاع أن يثير فينا ما يحس به وجعلنا نحمل إحساسه بالتيه والضياع أو نتعاطف معه ، وقد تم له نجاح رسالته من خلال التساؤلات التي حملتها أداة الاستفهام (أين) ، فهي التي أثارت فينا هذه العواطف والمشاعر اتجاه الشاعر وهذا جانبٌ من جوانب اتساق النص ومشاركة القارئ في انسجامه .

ح - أنى الاستفهامية:

وأما (أنى) فتستعمل تارة بمعنى : كيف ، قال تعالى: ﴿سَأَوْكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَيَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ ، (البقرة الآية 223) ، أنى : كيف شئتم وأخرى بمعنى من أين ، قال تعالى : ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ أي من أين ؟ وهي من أدوات الاستفهام ومن الظروف التي تفيد معنى الشرط ، يقول سيبويه: " وما يجازى به من الظروف : أي حين ، ومتى ، وأين وأنى وحيثما"¹ .

- التَّمَوِذُجُ الْأَوَّلُ:

مثلنا — (أنى) الاستفهامية بنموذجين ، أحدهما ورد في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم ، والثاني نموذج شعري ورد في قصيدة للشاعر الأندلسي ابن خفاجة ، وسنبداً بذكر شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة ، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾، (المؤمنون الآية 51) ، وقال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ، (البقرة الآية 172)، ثم ذكر الرجل يُطِيلُ السَّفْرَ، أَشْعَثَ، أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟!²، في هذا الحديث نلاحظ أنّ (أنى) قد دخلت على الجملة الفعلية ، وقد وافقت في ورودها في هذا الحديث ماذهب إليه الزجاجي في أنها تأتي بمعنى كيف³ ، وهنا نجد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمد على الاستفهام بـ (أنى) دون غيرها لأنها الوحيدة التي يمكن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يوصل بها المقصود من استفهامه ، وذلك أنّ الرسول قد قدم لنا حقيقة في بداية الحديث وهي أنّ الله لا يقبل إلا الطيب من عباده ، لأنه طيب وأنه عز وجل أمر عباده بذلك ثم يجيء هذا الرجل الأشعث الأغبر يدعوا الله أن يستجيب له ، وهو يخالف ما أمره الله به فيطعم الحرام ويلبس

¹ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ج3 ، ص: 56.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ص: 703. (كتاب الزكاة)

³ - ينظر: الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق، تحقيق: علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1986م ، إربد ، الأردن ، ص: 61.

الحرام فكيف سيستجيب الله له ، وبالتالي فإنَّ مراد الرسول صلى الله عليه وسلم من الاستفهام هو استبعاد المستفهم عنه والتشكيك في حدوثه ، وهذا ما حققته أداة الاستفهام (أنى) فبالإضافة إلى دورها في الاتساق النصي ساهمت أيضاً في انسجام مضمون النص

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي:

من الشواهد التي ذكر فيها الشاعر الاندلسي ابن خفاجة الأندلسي (أنى) الاستفهامية ما ورد في قصيدته (مكانتي أبعده) يقول فيها¹:

أنى تُطاولني ، ودؤوبي بَسْطَنا جَدَّ يساعدي وجدَّ يُسَعِدُ ؟

في هذا البيت نجد الشاعر معتدا بمناقبه وقيمه ومضاء عزمته ، وقد استهل بيته بأداة الاستفهام (أنى) ليخرج بهذا الاستفهام إلى معنى كيف ، حين ارتبطت بالفعل تطاولني ليعجز مخاطبه باستحالة بلوغ مكانته ، لأنَّ له من الحظ ما يساعده ومايسعده ، لذلك فإنَّ المغزى من هذا الاستفهام هو التعجيز ، كما يدل على الفخر والإشادة بالنفس والذي وفر هذه المعاني استعمال لأداة الاستفهام (أنى) ، إذ ساهم حضورها في التركيب في اتساق البيت وانسجامه .

ارتأينا في نهاية الحديث عن أدوات الاستفهام وتبيان دورها في الاتساق النصي ، أن نتقي حديثنا للرسول صلى الله عليه وسلم كُرِّرت فيه أدوات الاستفهام ، وقد كان الغرض من تكرارها تقرير معانٍ خفية وراء السياق سنحاول الكشف عنها ، وقد روى هذا الحديث أبو بكر نفيح بن الحارث رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: ﴿إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ: ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ مُضَرُّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْفُونَ رَبِّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا

¹ - ديوان ابن خفاجة ، ص: 86.

لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ¹.

تكررت أدوات الاستفهام في هذا الحديث وبلغ عددها ثمانية وهي: الهمزة، أي، هل، والسبب في تكرارها وتنوعها اعتماد الخطاب على الحوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الصحابة، فالرسول صلى الله عليه وسلم استهل حديثه بتأكيد حقيقة الزمان الذي أوجده الله عز وجل، ولإقرار المعاني التي يريد الرسول تبليغها بدأ بسؤال الصحابة عن الشهر الذي هم فيه، وعن البلد الذي يسكنونه، وعن يومهم الذي هو فيه، ثم يعود الرسول إلى إقرار حقائق تتعلق بالدماء والأموال والأعراض، ويؤكد خطابه بتوجيه مجموعة من النواهي ويحتم حديثه باستفهام يتعلق بتبليغه للصحابة الكرام، والملاحظ أننا نجد الرسول حين يسأل لا يجد الصحابة جواباً فيتكفل هو بالرد والجواب عن سؤاله، وهذا يعني أنّ الرسول في سؤاله لا ينتظر الجواب، لأنه يعلم وبالتالي فإنّ سؤاله يخرج من دائرة الاستفهام الحقيقي إلى دائرة الاستفهام البلاغي، وقد عمد عليه الصلاة والسلام إلى تقرير هذه المعاني عن طريق الاستفهام، لما فيه من إثارة ولما فيه من رغبة الرسول في انتزاع إقرارهم بألسنتهم وإقامة الحجة عليهم، وهذا أمكن من التقرير الخبري، وأبلغ في التوكيد، وقد ساهم تظافر أدوات الاستفهام في إحداث الاتساق النصي.

من خلال ما قدمناه من نماذج تتعلق بأدوات الاستفهام، لاحظنا أنها تتميز بمجموعة من الخصائص ومن بينها الوفرة الكمية، إذ تنتشر هذه الأدوات بكثرة في المدونات والنماذج التي مثلنا لها، إضافة إلى تصدرها في التراكيب التي ترد فيها يُضاف إلى ذلك الدور المهم الذي تؤديه في الربط بين أجزاء النص وإحداث التماسك والالتحام والانسجام من جانب القارئ، وفي الغالب الأعم وجدنا أنّ هذه الأدوات تجاوزت معانيها الحقيقية إلى معانٍ بلاغية تُفهم من سياق الكلام، وتجعل القارئ مساهماً في الكشف عنها وتبيان معانيها، وهذا الدور الذي يؤديه القارئ يكشف لنا عن الانسجام الذي يحدث بينه وبين النص نتيجة تفاعله معه، ونحن ركزنا على الروابط المهمة لأن هناك روابط أخرى لم نشر لها مثل: أمّا، متى، أيان... وقد حاولنا الوقوف في تتبع أصل هذه الأدوات في دخولها على الجملة الفعلية²، ثم توسعنا في ضرب الأمثلة فعرضنا نماذج في دخولها على الجملة الاسمية، وخلصنا إلى نتيجة مهمة وهي أنّ أدوات الاستفهام لا يُؤتي بها في التراكيب اللغوية دون فائدة، لأنّ التأمل فيها يجعلنا نقف على دورها ووظائفها في الربط بين أجزاء التراكيب، كما يجعلنا ندرك مدى الاتساق النصي الذي تحققه في أجزاء التراكيب، وتذوقنا للمعاني التي تؤديها يدفعنا إلى الوقوف على مدى انسجام النصوص التي ترد فيها.

¹ - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ص: 1078. (كتاب المغازي).

² - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج3، ص: 115.

ثالثاً- أدوات النَّفي :

حين تحدّث النُّحاة عن أدوات النَّفي لم يفردها بمصنفات خاصة أو أبواب مستقلة ، وإنما جاء حديثهم عنها في أبواب متفرقة ، على اعتبار أن هناك أبواباً أكثر أهمية شغلتهن عن ذلك ، إضافةً إلى أنّ هذه الأدوات تتداخل في التراكيب اللغوية لتدل على نفي حدوث الفعل أو الاسم نفيًا صريحًا ، والأدوات التي تدل على النفي إجمالاً هي :

1- لا ، ما ، لات ، إنّ وتعمل عمل ليس¹ .

2- ليس وهي من أخوات كان وتفيد غالباً نفي الحال .

3- لم ، لما وهما من جوازم المضارع .

4- لن ، وهي من نواصب المضارع .

ما يميز هذه الأدوات أنّ منها العاملة ومنها غير العاملة (المهملة) ، ومنها ما يعمل بشروط في حين أنّ هناك أدوات تعمل مرة ، وتهمل مرة أخرى ، لكنها تشترك في المعنى الجامع لها ، وهو النفي غير أنّ نفيها يتفرع إلى معان خاصة كنفي الوحدة والجنس والحدث .

ويعني النفي في اللغة التنحي "فنفي الشيء ينفي نفيًا : تنحى ، وانتفى شعر الانسان ونفى إذا تساقط"². ومن الملامح اللطيفة التي أشار إليها اللغويون أنّ هناك علاقة بين مخارج الحروف لأدوات النفي كونها من الأصوات الأنفية (اللام والميم والنون) ، وبين معنى النفي فكأن مستعملها يصر على الرفض مستغنيا عن الأصوات ذات المخارج الفموية ، ومعتمداً في رفضه بها على المخرج الأنفي ، ومعلوم أنّ الأنف رمز للشموخ والإباء عند العرب . وأشار الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات إلى معنى النفي فقال: "هو مالا ينجز بلا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل"³ ، وهناك فرق بين النفي ، وبين الجحود والنكران ، فالجحد " ما انجزم بلم لنفي الماضي وهو عبارة عن الاخبار عن ترك الفعل في الماضي فيكون النفي أعم ..والجحد عبارة عن الفعل المضارع المجزوم بلم التي وُضعت لنفي الماضي في المعنى ، وضد الماضي"⁴ .

¹ ابن عقيل بهاء الدين عبد الله ، شرح ابن عقيل ، ج1 ، ص: 301.

² ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ج15 ، ص: 336.

³ الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف ، معجم التعريفات ، تحقيق: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، ص: 205.206.

⁴ المصدر نفسه ، ص: 66.

أ- لا النافية:

حرفٌ يكون عاملاً وغير عامل ، وأصول أقسامه ثلاثة: لا النافية، ولا الناهية، ولا الزائدة¹ ، وما يهمننا في البحث هي (لا) النافية والتي تأتي على ثلاثة أوجه وهي: أن تكون نافية ، وأن تكون عاملة عمل ليس ، والوجه الثالث أن تكون عاطفة ولا بدَّ من توفر شروط في هذه الأوجه² ، وتختص (لا) النافية بتصديرها تركيب الجملة كما أنها تدخل على الماضي والمضارع والاسم .

ب- لا النافية للجنس:

تعمل عمل (إنّ) ويقتصر عملها على النكرة فقط "إنّ أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص وتسمى حينئذ تبرئة"³ ، ومن بين شروطها : ألا يتقدم خبرها على اسمها، ويكثر حذف خبرها إذا علم ، ويجوز إلغاء عملها إذا تكررت، وهي تنفي الجنس استغرافاً وتخصيصاً ، ويكون اسمها مبنياً إذا كان مفرداً، ومنصوباً إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف⁴ ، وتفيد (لا) النافية للجنس نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نفيًا نصياً، ويشترط لعملها أن لا تتكرر، وأن لا يفصل بينها وبين اسمها فاصل، وهي من أكثر أدوات النفي استعمالاً في المدونات ، وقد وردت لا النافية للجنس في سورة القصص ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (القصص الآية 28) ، ومن الآيات التي وردت فيها لا النافية للجنس في سورة القصص أيضاً ، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۗ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص الآية 70) ، تكررت أداة النفي للجنس (لا) في سورة القصص مرتين ، وقد عملت على تحقيق الربط بين أجزاء الكلام ليتشكّل لنا كتلة واحدة ، وهو نفي العدوان "أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة أراد بذلك تقرير أمر الخيار ، يعني إن شاء هذا وإن شاء هذا ويكون اختيار الأجل الزائد موكولاً إلى رأيه من غير أن يكون لأحد عليه إجبار"⁵ ، وفي الآية الثانية نجد أنّ لا النافية عملت على تحقيق الربط بين أجزاء الآية ، وفيها اتضح لنا فضل (لا إله إلا الله) واقترنت أداة النفي بأداة الاستثناء (إلا) الواردة في جملة خبر أداة النفي للحصول على معنى القصر فالإلهية تقتصر على الله فقط وهذا المعنى حققته أداة النفي للجنس ، فأدت إلى اتساق النص وانسجامه .

¹ ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 290.

² ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج1 ، ص: 262 إلى 266.

³ المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 262.

⁴ المصدر نفسه ، ج1 ، ص: 262. وينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 290. وينظر: محمد علي أبو العباس

الإعراب الميسر دراسة في القواعد والمعاني والإعراب ، دار الطلائع ، القاهرة ، مصر ، ص: 46.

⁵ الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج24 ، ص: 243.

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

من الشواهد التي وقع اختيارنا عليها في حديثنا عن الدور الذي تؤديه لا النافية للجنس ، ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، في قصة الرجل الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم أكذب امرأتى يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام : ﴿لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ﴾ فقال الرجل يارسول الله أعدها وأقول لها ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾¹ . تكررت (لا النافية للجنس) في هذا الحديث مرتين وعملت على إحداث الترابط والاتساق بين أجزاء الكلام ، فالرجل وجه خبر للرسول صلى الله عليه وسلم يبين له فيه أنه يكذب على زوجته ، وفي إخباره للرسول كأنه يستفتيه في عمله هذا ، وقد فهم الرسول كلام الرجل على أن مقصدًا وراءه لذلك جاء رده بقوله (لاخير في الكذب) ، وقد ربطت (لا النافية للجنس) بين الجملة التي وردت فيها وبين الكلام الذي يسبقها وهو الخبر الذي تقدم به الرجل ، ثم يتواصل الربط بذكر الرجل للخبر الثاني وهو قوله أنه يعدها ويقول لها ، وفي هذا أيضًا طلب الفتيا والرد ، فيجيب الرسول بقوله لا جناح عليك ، وبالتالي تربط (لا النافية للجنس) بين التركيب الثاني والجملة التي تسبقها ، وهنا يتضح لنا تغير رد الرسول بتغير خبر الرجل وفي هذا دليل على مرونة (لا النافية للجنس) وتغير المعاني التي ترد فيها بسبب تغير المواقف والأخبار ، وفي هذا تبيان للاتساق النصي الذي تحدته وللانسجام الذي تؤديه .

- التَّمَوِذُجُ الثَّلَاثُ :

رغبه منّا في تبيان الدور الربطي الذي تؤديه (لا النافية للجنس) ، ارتائنا أن نمثل لها من خلال نماذج مختلفة في الشعر العربي عند المهلهل وأبي العتاهية ، وأمل دنقل وسنقدم شاهداً واحداً لكل شاعر يقول المهلهل²:

كَلَيْبٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِنَّ أَنْتَ حَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُحَلِّيَهَا

يعكس النداء في بداية البيت ما يشعر به الشاعر من ألم وأسى وتفجع بسبب فقدانه لأخيه ، لذلك استحال نعيمه إلى شقاء وفرحه إلى بؤس ، ولكي ينفي كل معاني الهناء والنعيم في الدنيا يوظف لذلك (لا النافية للجنس) ويدخلها في تركيب البيت ، وقد أفادت هاته الأداة نفي كل الخير عن الدنيا بسبب غياب كليب عنها

¹ - مالك بن أنس ، الموطأ ، ص: 588 . (ما جاء في الصدق والكذب) .

² - ديوان المهلهل ، ص: 91 .

ويدلُّ هذا على أنَّ الحزن قد بلغ بالشاعر مبلغاً عظيماً ولم يجد من التراكيب اللغوية ما يحمل همه ويعكس ألمه سوى (لا النافية للجنس) وهذا ما يبين لنا دورها في الاتساق والانسجام .

ومن الشواهد الشعرية التي وردت فيها لا النافية للجنس ماجاء في قصيدة (ما كَرَّم المرء إلا التقى) لأبي العتاهية يقول فيها¹:

وَلَا شَيْءَ إِلَّا لَهُ آفَةٌ وَلَا شَيْءَ إِلَّا لَهُ مُنْتَهَى

يقرُّ الشاعر في هذا البيت حقيقة الفناء والزوال ، وأنَّ كل شيء وكلَّ الله له آفة فناءه ، ولا يُستثنى من ذلك أحد وقد اعتمد اشاعر في إقرار هذه الحقيقة بالأداة (لا النافية للجنس) فجاء البيت ككتلة واحدة عنوانها الفناء والزوال ونجد الشاعر محمود درويش يوظف أيضا هذه الأداة في قصائده خدمة لأغراض يريد إيصالها للمتلقى ، وقد وقع اختيارنا على قصيدة (حالة حصار) التي يقول في إحدى مقاطعها²:

بِلاَدٍ عَلَى أَهْبَةِ الْفَجْرِ صِرْنَا أَقْلَ ذِكَاةٍ

لِأَنَّنا نُحْمَلُ فِي سَاعَةِ النَّصْرِ

لَا لَيْلَ فِي لَيْلِنَا الْمَتَأَلِّيِّ بِالْمَدْفِعِيَّةِ

أَعْدَاؤُنَا يَسْهَرُونَ وَأَعْدَاؤُنَا يُشْعَلُونَ لَنَا التُّورَ

فِي حِلْكَةِ الْأَقْبِيَّةِ

فِي الْحِصَارِ تَكُونُ الْحَيَاةُ هِيَ الْوَقْتُ

بَيْنَ تَذَكُّرِ أَوْلِيَّهَا

وَنَسِيَانِ آخِرِهَا

الْحَيَاةُ

الْحَيَاةُ بِكَامِلِهَا ، الْحَيَاةُ بِنُقْصَانِهَا تَسْتَضِيفُ مُجُومًا مُجَاوِرَةً

¹ - ديوان أبو العتاهية ، ص: 20.

² - محمود درويش، ديوان حالة حصار، رياض الريس للنشر، ط2، بيروت ، لبنان، 2002 م ، ص: 10.11.12.13.

لَا زَمَانَ لَهَا

وَعُيُومُهَا مُهَاجِرَةٌ

لَا مَكَانَ لَهَا

كرر الشاعر في هذا المقطع (لا النافية للجنس) ثلاث مرات ، وقد ساهمت هذه الأداة في الربط بين أجزاء الأسطر الشعرية ، فشكلت النص على شكل كتلة واحدة هي معاناة الشعب الفلسطيني وهو محاصر من الصهاينة الذين حرموا الشعب من الحياة ، فحولوا لياليهم متلائيةً بالقنابل والقذائف ، فهم مَنْ يسهرون ويشعلون لهم النور بعد أن حَشَرُوا الشعب في الخنادق والأقبية ، فصارت حياة الفلسطينيين وهم تحت نير الحصار في سجن كبير بحجم الوطن وصارت الحياة بكل تفاصيلها مختزلةً في الوقت ، وصار هذا الوقت عدوًا لكل الفلسطينيين ، لأنهم لا يرون له نهاية فالنار والرصاص هي نجوم السماء في فلسطين ، هذه النجوم لازمان مقيد تبدو فيه ولا مكان محدد توجد فيه ، ومن خلال هذا الوصف استطاع الشاعر أن يثير فينا ما شعر به ، واستطاع أن يحفز عناصر الخيال فجعلنا نتصور حالة الشعب الفلسطيني وهو محاصر والقنابل والرصاص والقذائف موجودة في أيِّ مكان وفي كل وقت ، موجهة نحوه وهذا يكشف عن انسجام النص واتساق تراكيبه وعناصره اللغوية .

ج- العاملة عمل ليس :

تختص (لا) العاملة عمل ليس بدخولها على النكرات ، ولتتحقق عملها في رفع الاسم ونصب الخبر لابدَّ من توفر شروط في الجملة التي تدخل عليها ، وهي ألا يتقدم خبرها عليها أو على اسمها ، وألا يفصل بينها وبين اسمها فاصلاً ، ولا تزداد بعدها (إن) وألا ينتقض نفي خبرها بدخول (إلا) عليه وقد ذكر صاحب (المغني) أن (لا) العاملة عمل ليس تخالف ليس من ثلاث جهات¹ :

- 1- إحداهما أن عملها قليل ، حتى ادعى أنه ليس بوجود .
- 2- الثانية أن ذكر خبرها قليل ، حتى إن الزجاج لم يظفر به ، فادعى أنها تعمل في الاسم خاصةً وأنَّ خبرها مرفوع .

3- الثالثة أنها لا تعمل إلا في النكرات ، خلافاً لما قال به ابن جني وابن الشجري .

ومن النماذج التي وردت فيها (لا العاملة عمل ليس) الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَاعَيْنُ رَأَتْ وَلَا أَدُنُّ سَمِعَتْ وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ﴾²، نلاحظ في الحديث أنَّ (لا) عملت عمل ليس فرفعت الاسم وجاء خبرها جملة فعلية

¹ ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 264.

² البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ص: 1200. (كتاب التفسير) .

بَيَّنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة لا العاملة عمل ليس جزءاً ما أعده الله عز وجل لعباده الصالحين ، هذا الجزء لم تره عَيْنٌ ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر أبداً ، والرسول في عرضه لعظمة هذا الجزء يتدرج من العين إلى الأذن إلى التصور والخيال ، لذلك فإنَّ الجمل المنفية — (لا) مترابطة مع بعضها البعض لتشكِّل نسيجاً محكمًا ومتسقًا ، كما أنَّ هذا النسيج هو صلة للموصول (ما) ومن بين الجوانب التي تكشف لنا عن اتساق النص ما ورد في التركيب الأخير في الحديث (لا خطر على قلب رجل) ﴿٣١﴾ إذ نجد فيه دخول لا النافية على الفعل الماضي والمعلوم أنَّ الأصل فيها دخولها على الفعل المضارع ، فهي في هذه الحالة تشبه قوله عز وجل ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (القيامة الآية 31)، وهذا يعني أنَّ جمل الحديث التحمت مع بعضها واتسقت فيما بينها .

- التَّمَوُّجُ الثَّانِي:

من الشواهد الشعرية التي وردت فيها (لا العاملة عمل ليس) ماورد في ديوان أبي العتاهية في قصيدته (عيش الحريص لا يطيب) والتي يقول فيها¹:

إِنِّي رَأَيْتُ الشَّرِيفَ مُعْتَرِفًا مُصْطَبِرًا لِلْحَقُّوقِ إِذْ تَجِبُ

وَقَدْ عَرَفْتُ اللَّئِيمَ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا حَسَبُ

يعرض علينا أبو العتاهية حكمته ويكشف لنا عن فلسفته التي ميز فيها بين الشريف واللئيم ، هذا الشريف الذي يعرف ماله وماعليه ، ويقف على الواجبات فيؤديها وعلى الحقوق فيحفظها ، بينما اللئيم لا يهمه إلا صالح نفسه يخون ويغدر لأجل نفعه ، وفي البيتين تكررت (لا العاملة عمل ليس) مرتين في قوله (لاخله ولا حسب) وقد دلَّ عليها لفظ ليس الوارد في صدر البيت ، في حين نجد أنَّ خبرها محذوف دل عليه الجار والمجرور في لفظ (لهم) ويعكس هذا التركيب شدَّة التَّلاحم بين لا واسمها وخبرها كما يهكس لنا انسجام البيت .

وفي قصيدة للشاعر أمل دنقل عنوانها (الخيول) يوظف فيها أداة الربط (لا العاملة عمل ليس) ، لينقل لنا صورة تتفق مع وعي المتلقي ومعرفته الأولية ، لأنها تشير إلى موقف يداعب خيال الشاعر ويرسم به عالمه الخاص يقول²:

ارْكُضِي أَوْ قِنِّي الْآنَ.. أَيُّهَا الْخَيْلُ:

لَسْتَ الْمَغِيرَاتِ صُبْحًا

¹ - ديوان أبو العتاهية ، ص: 37.

² - أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1987م ، ص: 387.388.

وَلَا الْعَادِيَاتِ - كَمَا قِيلَ - ضُبْحًا
وَلَا خُضْرَةً فِي طَرِيقِكَ تَمْحِي
وَلَا طِفْلًا أَضْحِي
إِذَا مَا مَرَرْتَ بِهِ... يَتَنَحَّى
وَهَاهِي كَوَكْبَةُ الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ
بُجَاهِدُ أَنْ تَبْعَثَ الرُّوحَ فِي جَسَدِ الدِّكْرِيَاتِ
بِدَقِّ الطُّبُولِ

تشكل هذه الأبيات تحولاً في جبهة الخيول التي تصدم وعي المتلقي ، حين تتجاوز صورتها الحقيقية من خلال التساوي بين فعلين (اركضي ، اوقفي) وعندها تبدأ صورة الخيول تأخذ بعداً جديداً من خلال التحول الذي أصابها مما يكشف لنا عن أسلوب الشاعر الذي يتميز بغزارة الدلالات الشعرية وتكثيفها ، ولا يتأتى هذا التدفق الثر من الدلالات إلا بتوظيف روابط تؤدي إلى تلاحم مفاصل الجمل والعبارات ، مثل فيها تكرار نفي المعنى المركزي الذي يزيل عن الخيول طبعها وعادتها ، فالشاعر استخدم أسلوب النفي أربع ، فالخيول لست المغيرات صبحا ولا العاديات ضبحا ، ولا خضرة في طريقك تمحي ، ولا طفل يتنحى ، وبواسطة لا العاملة عمل ليس يعمق الشاعر مسح ما كنت عليه الخيول ليمنحها صفات جديدة تعكس الانهيار والانكسار الذي يحس به الشاعر ، ويدل هذا على الدور الرابطي الذي أدته هاته الأداة كما يكشف عن الانسجام الذي جعل القارئ يتخيل هاته الصورة الجديدة للخيول التي رسمها الشاعر في قصيدته ، ودليل ذلك أن يوري لوتمان يقول: " إنَّ أيَّ عملٍ شعريٍّ يسمح بطرح اثنين من وجهات النظر، فهو باعتباره نصًّا مصوغًا بلغةٍ طبيعيةٍ معينة، يمثل متوالية من العلامات المستقلة ، أي الكلمات ، المتوحدة طبقاً للأصول التركيبية المتبعة في مستوى ما من لغة ما، ثم هو باعتباره نصًّا شعريًّا ، يمكن أن ينظر إليه بحسب أنه علامة واحدة تشير إلى فكرة واحدة متكاملة"¹.

ذ- لا غير العاملة :

ولها ثلاثة أنواع² :

1- لا الجوابية: وهي نقيضة (نعم) . كقولك (لا) في جواب : هل قام زيد ؟ وهي نائبة مناب الجملة أي أن الجملة تحذف بعدها "لأنَّ أصل الجواب عن سؤال هل قام زيد؟ لا لم يقم"³ ، وقد وردت في المدونات ومنها:

¹ - يوري لوتمان ، تحليل النص الشعري ، بنية القصيدة ، ترجمة: محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص: 161.

² - ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 294.

³ - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 267.

- التَّمَوِذُجُ الْأَوَّلُ:

ومن ذلك ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي رواه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقول : ﴿جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ نَسَمَعَ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ : لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ : لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ : لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَفَلَحَ إِنْ صَدَقَ ﴿¹ ، في قوله صلى الله عليه وسلم ﴿لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ﴾ جاءت الأداة (لا) جوابية وتصدرت جملة جواب الاستفهام ، ولو حدث أن غيرنا مكانها من صدارة الكلام إلى موضع آخر لاختل نظام النص واتساقه ، لذلك فإنَّ الابتداء بها يربط بين ما سيأتي من الكلام بما سبقه من استفهامٍ وهذه هي القاعدة التي يركز عليها اتساق النص وانسجامه .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي:

من الشواهد الشعرية التي مثلنا بها للدور الذي تؤديه لا الجوابية ، ما ورد في قصيدة (الجنوبي) للشاعر أمل دنقل والتي يقول فيها² :

بَعْدَمَا لَمْ أَجِدْ صَاحِبِي
لَمْ يُعِدْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِي بِشَيْئٍ
هَلْ نُرِيدُ قَلِيلًا مِنَ الصَّبْرِ ؟
لَا ..
فَالْجَنُوبِي يَا سَيِّدِي يَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ الَّذِي لَمْ يَكُنْهُ
يَشْتَهِي أَنْ يُلَاقِي اثْنَتَيْنِ:
الْحَقِيقَةُ وَالْأَوْجُهُ الْعَابِئَةُ

¹ - مالك بن أنس ، الموطأ ، ص:248.249. (جامع التريغيب في الصلاة) .

² - أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص: 367.

تعكس هذه الأسطر العواطف التي يحس بها الشاعر الذي وصف نفسه في هذه القصيدة بالجنوبي ، والتي تمثل آخر عهد الشاعر بالشعر ، لأنها آخر ما خطته يد الشاعر الذي فقد كل شيء حتى رفيق عمره (والده) الذي ذهب ولم يعد ، حينها تخلى الشاعر عن الصبر ولما سئل عن حاجته إليه ولو قليلا أجاب بـ (لا) ، وقد تصدرت هاته الأداة جملة جواب الاستفهام ، وعلى الرغم من أنها حرفٌ لكنَّ دلالتها تتمد لتحيط بكل المعاني التي تختلج في نفس الشاعر ، مما يجعل من هذا الحرف نصًّا آخر ، ثم إنَّ الشاعر استأنف كلامه وبين ما يحتاج إليه اشتهاً وهو ملاقات الحقيقة والأوجه الغائبة ، وهذا الذي يبيِّن لنا قيمة الدور الذي أدته لا الجوابية وهي التي توسطت الأسطر الشعرية فكانت حلقة وصل ربطت بين السابق واللاحق .

2- لا العاطفة : وهي تشرك في الإعراب دون المعنى ، وتعطف بعد الإيجاب نحو: يقوم زيدٌ لاعمرو

وبعد الأمر نحو اضرب زيدًا لا عمرًا ، وبعد النداء نحو يا زيدا لاعمرو¹ ، ومن الشروط التي أضافها صاحب المغني على ما ذكره صاحب الجني الداني "ألا تقترن بعاطف فإذا قيل : جاءني زيد لابل عمرو ، فالعاطف بل ولا رد لما قبلها وليست عاطفة ... ومنها ألا يتعاند متعاطفاها ، فلا يجوز جاءني رجل لزيد لأنه يصدق على زيد اسم الرجل بخلاف جاءني رجل لامرأة"² ، وقد وردت لا العاطفة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي ذكر فيه فضل الذكر وهو الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسَلَّمَ ﴾³ ، في هذا الحديث وردت عبارة (ولا قوة إلا بالله) حيث وردت (لا) عاطفة ورابطة للكلام الذي قبلها (ولا حول) ، وهذا ما يجعل (لا) واصلة للجمل ، وهي بالتالي لا تكتفي بخاصية النفي فقط بل تتجاوز ذلك إلى الربط والتعليق لبناء تركيب نصي متماسك الحديث .

ومن الشواهد التي وقع اختيارنا عليها وبيننا فيها الدور الرابطي لـ (لا) العاطفة ما ورد في قصيدة

(أخي) لميخائيل نعيمة والتي يقول فيها⁴ :

أخي ! إنَّ ضَجَّ بعدَ الحربِ عَزِيٌّ بأعماله
وقَدَسَ دِكْرُ مَنْ مَاتُوا وَعَظَّمَ بَطْشَ أبطاله
فَلَا تَهْزُجْ لمن سَادُوا وَلَا تَشْمَتْ بِمَنْ دَانَا
بَلْ ارْكَعْ صَامِتًا مثلي بقلْبٍ خاشِعٍ دَامِ
لنَبْكي حَظًّا موتانا

¹ - ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 294.

² - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 266.267.

³ - مصطفى بن العدوي ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، دار الصحابة للتراث ، ط 1 ، 1989م ، ص: 188.

⁴ - حراجي سعدي ، سليمان بورنان ، نجا بوزيان ، مدني شحامي ، الشريف مربي ، اللغة العربية وآدابها ، ص: 67.66.

في هذه الأسطر الشعرية يوجه الشاعر لومه وسخطه إلى قوى الشر والدمار ، والتي عاثت فسادا في البلدان العربية فقدست ذكر أبطالها وعظمت أمجادهم ، وهذا لا يدعو إطلاقا للفخر والاعتزاز ، لذلك فإنَّ الشاعر يقف موقف المرشد لأخيه العربي المستضعف فينهاه بأن لا يفرح بانتصار الطغاة ، ولا يشمت لانحزام الضعفاء ، وقد اعتمد الشاعر على توظيف جملة من الروابط منها حروف العطف (الواو) (بل) للربط بين الأسطر إضافة إلى (لا) النافية العاطفة في السطر الثالث ، والتي ربطت بين الكلام الذي سبقها (فلا تخرج لمن سادوا) وبين الكلام الذي ورد بعدها مما كشف لنا عن دورها في زيادة تماسك النص واتساقه .

3- لا النافية: وهي غير العاطفة والجوابية "وتدخل على الأسماء والأفعال ، فإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يكون مضارعا" ¹ ، "وإن كان مابعدا جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها ، أو فعلا ماضيا لفظا وتقديرا ، وجب تكرارها" ² ، وقد وردت في المدونات ومنها :

- التَّمَوِذُجُ الْأَوَّلُ:

في النماذج التي اخترناها نجد أنَّ (لا النافية غير العاملة) ، نفت الفعل المضارع ومثال ذلك ما ورد في سورة القصص يقول الله عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، (القصص الآية 50) ، في الآية الكريمة نجد أن (لا) وردت في التركيب سابقة للفعل المضارع وأفادت النفي النصي ، لذلك يستحيل أن تتأخر عنه ، لأنَّ ذلك يؤدي إلى فساد المعنى والله عز وجل يوجه في الآية الكلام إلى رسوله الكريم ويقول له "إنَّ لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج فاعلم أنهم قد صاروا ملزمين ، ولم يبق لهم شيء إلا اتباع الهوى ثم زيف طريقهم بقوله ﴿ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد ، وأنه لا بدَّ من الحجَّة والاستدلال" ³ ، وفي ختام الآية يؤكد كلامه بأنه لا يهدي القوم الظالمين وفي هذا ربط بالكلام السابق ، لأنَّ الله لا يهدي من اتبع هواه بغير هدى ولا يهدي من اتبع هواه ولا يهدي من لم يستجب لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما يوضح لنا دور لا النافية في الربط والتماسك والاتساق .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

وردت (لا النافية) في الحديث الذي استشهدنا به ، وهو الحديث الذي رواه عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي يقول فيه : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ يَشْكُو

¹ - المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص:296.

² - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص:267.

³ - الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج 24 ، ص: 261.

أَحَدُهَا الْعَيْلَةُ وَيَشْكُو الْآخَرَ قَطَعَ السَّبِيلِ ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ أَمَا قَطَعَ السَّبِيلِ فَلَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعَيْرُ مِنَ الْحَبِيرَةِ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ حَفِيرٍ وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِصَدَقَةٍ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لَيَقْفَنَّ أَحَدَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ وَلَا تَرْجَمَانُ يُتْرَجَمُ لَهُ فَيَقُولَنَّ لَهُ : أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا ؟ فَيَقُولَنَّ : بلى فيقول : أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا ؟ فَيَقُولَنَّ : بلى ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِ النَّارَ فَالْيَتَّقِ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿¹.

تكررت (لا) النافية في هذا الحديث ست مرات ، ودخلت في الغالب على الفعل المضارع ماعدا مرة واحدة دخلت فيها على الاسم ، وقد ساهمت في كل مرة في الربط بين أجزاء الكلام ، وقد عمد الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة (لا) النافية إلى الرد عن شكوى الرجلين ، فطمأن الأول بقوله (لا ياتي عليك) ، إلا قليلاً من الزمن حتى تخرج العير - والمرادُ بها القافلةُ- إلى مكةَ بغيرِ حفيرٍ -وهو: المجيرُ الذي يكونُ القومُ في ضَمَانِهِ وَدَمَتِهِ- بسببِ انتشارِ الأمانِ، وهو ما حدثَ بانتشارِ الإسلامِ. وطمأن الثاني بقوله (إنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ) حتى يعم الغنى والثراء فهو من علاماتها وأشراتها ، وهذا التفصيل من الرسول صلى الله عليه وسلم ، والربط بواسطة (لا) النافية جعل الحديث متسق التكريب ومنسجم المعنى

- التَّمُودُجُ الثَّلَاثُ :

اخترنا - عن قصد- نموذجًا شعريًا وردت فيه (لا النافية) ، وقد دخلت على الفعل الماضي وهذا على خلاف الأصل فيها ، وفي هذا النوع أيضًا أدت دورها في الربط وتعليق الجمل ، يقول الشاعر أمل دنقل في قصيدته (الزيارة)² :

ظَلَلْتُ أَصْغِي لِلَّذِي يَشِيْعُ

حَتَّى تَهَدَّلَتْ عَلَيَّ أُذُنِي أَقَاوِيلُ الْوُشَاةِ

لَكِنِّي... حِينَ أُوَيْتُ فِي نِهَايَةِ الْمَسَاءِ

عَثَرْتُ فِي الرَّادِيُو عَلَيَّ مِحْطَةً تَغْدُقُ فَوْقَهُ الثَّنَاءِ

تَقُولُ عَنْهُ .. لَوْلَاهُ .. مَا تَسَاقَطَ الْمَطَرُ

¹ - مصطفى بن العدوي ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، ص: 174.

² - أمل دنقل ، قصائد أولى ، تقديم : أنس دنقل ، دار العنقاء ، مصر ، ط 1 ، 2022م ، ص: 120 .

وَلَا تَبْلُورَ النَّدى... وَلَا تَنْفَسَ الشَّجَر

وَلَا تَدْفَأُ عَصَافِيرُ الشِّتَاءِ

كَانَ المَذْبِغُ لِأبْنِي يَقُولُ

يَصِفُهُ بِأَنَّهُ حَامِي جَمِي الدِّينِ المَنِيعِ

وَأَنَّهُ يَنْهَجُ فِي حَيَاتِهِ نُهْجَ الرَّسُولِ

تُرى ... أَكَانَ صَادِقًا مَا تَتَنَاقَلُ الشِّفَاهُ؟

أَمْ كَانَ صِدْقًا مَا يَقُولُهُ المَذْبِغُ؟!

في هذه الأسطر الشعرية نجد أن (لا) النافية تكررت أربع مرات ، دخلت فيها على الماضي ثلاث مرات (لاتبلور ، لا تنفس ، لاتدفعات) ومرة واحدة على الفعل المضارع (لايني) ، ويعكس تكرارها إصرار الشاعر في تبليغه لمعانٍ يريد إيصالها إلى المتلقي فهو يصوّر لنا صورة هذا الزعيم – متهكما- الذي لولاه ما عاشت أو تنفست أو أكلت الأمة ، وتكرارها إنما جاء من قبل تأكيد النفي ، فالنفي يؤكد بالتكرار ، وهنا لم يقتصر دورها على التوكيد فقط بل ساهمت (لا) النافية في الربط بين جمل النص مما ساهم في اتساق النص ، كما دل تكرارها على تأكيد المعنى في ذهن المتلقي مما يجعله يتصور صورة هذا الزعيم المزيف وبالتالي فإنّ القارئ ينسجم مع معاني النص. من خلال عرضنا للنماذج التي وردت فيها (لا) ، وجدنا أنّها دخلت على الفعل المضارع وجاء نفيها في حالات للمستقبل ، كما وورد غير مقيد بزمن ، لأنّ دلالتها في بعض التراكيب التي وردت فيها أتت للزمن الماضي والمضارع والمستقبل ، ومن ذلك ماورد في قوله عز وجل ﴿ لا يهدي القوم الظالمين ﴾ والهداية تتعلق بالله عز وجل في مطلق الزمن .

كما وجدنا أنّها نفت الفعل الماضي في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي قصيدة الشاعر أمل دنقل وفي هذه الحالة تحمل معنى أداة النفي (لم) شرط أنّ يحوّل الماضي إلى مضارع وهذا النوع في استعمال (لا) يقوي تماسك النصوص ويزيد من انسجامها .

4- ما التَّأْفِيَةُ: تأتي على وجهين ، فهي لفظ مشترك يكون حرفا ويكون اسما¹ ، والذي يهمنا هو الوجه الذي تكون فيه (ما) حرفية ، ولها في هذه الحالة ثلاثة أقسام نافية ، ومصدرية ، وزائدة ، وقد اخترنا القسم الأول لأنه يدرج ضمن أدوات النفي ، وفيه تنقسم (لا) النافية إلى قسمين : عاملة ، وغير عاملة ، فالعاملة هي (ما)

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج1، ص:327. وينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجني الداني في حروف المعاني ، ص: 322.

الحجازية وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر عند أهل الحجاز ، وسبب إعمالها مشابقتها لـ (ليس) في النفي وفي كونها لنفي الحال غالباً ، وفي دخولها على الجملة الاسمية ثم إن هناك شروطاً لعملها عندهم وهي :

- تأخر خبرها فلو تقدم بطل عملها .

- بقاء النفي ، فلو انتقض النفي ب (إلا) بطل العمل ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَئِنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران الآية 144) .

- فقد (إن) ، فلو وجدت (إن) بعد (ما) بطل عملها نحو ما إن زيد قائم .

- ألا يتقدم غير ظرف أو جار ومجرور من معمول خبرها ، فإن تقدم غيرهما بطل العمل نحو: ما طعامك

زيد أكل¹ .

وأما (ما) النافية غير العاملة فهي الداخلة على الفعل نحو :ما قام زيد ، وهي إذا دخلت على الفعل الماضي بقي على ماضيه ، وإذا دخلت على المضارع خلصته للحال ، وقد يكون للمستقبل كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِرُءُوسِنَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِنَِّّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس الآية 15) .

وقد وجدنا أن (ما) النافية اقترنت بالجملة الفعلية كما اقترنت بالجملة الاسمية وسنقوم بالتمثيل للنموذجين كما يلي:

- النموذج الأول على الجملة الفعلية:

من الشواهد التي دخلت فيها (ما النافية) على الفعل ، ما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو بكر الصديق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ ما دُفِنَ نبيٌّ إِلَّا في مكانه الذي تُوفِّي فيه ﴾² في الحديث دخلت (ما) النافية على الفعل الماضي (دُفِنَ) ، وهي مهملة لأنها غير عاملة وقد غيرت المعنى كما أنها حققت الربط بالفعل الذي ورد بعدها مما جعل نص الحديث متسقاً ومعناه منسجماً .

- النموذج الثاني : اقترنت (ما) النافية بالجملة الفعلية ، من ذلك ما ورد في قصيدة الشاعر أبي العتاهية

(للموت ماتلدون) والتي يقول فيها³:

¹ - ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 322 إلى 328.

² - مالك بن أنس ، الموطأ ، ص: 316. (ما جاء في الدفن) .

³ - ديوان أبو العتاهية ، ص: 224.

مَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ أَرْصَادًا وَلَا حَرَسًا مَا يَغْلِبُ الْمَوْتَ لِاجْتِنُّ وَلَا أَنْسُ

وهنا نفت أداة النفي (ما) الفعل المضارع (يدفع ، يغلب) ، ووجدنا أن (ما) النافية سبقت الفعل لتدل على نفيه ولو حدث أن قمنا بتغيير موقع (ما) بخلاف رتبها التي وردت فيها ، لرفض مطلب اتساق النص ، ذلك لما يترتب عنه من نشاز وتنافر في اللغة ، فهذه الأداة النافية سواء وقعت سابقة للأسماء أو الأفعال ، فقد حققت الترابط مع العنصر اللغوي الذي دخلت عليه ، وجعلت المعنى تاماً مُتَّسِقاً بين أجزاء الكلام ، وأدت وظيفتها اللغوية النصية بعد أن قبلها النص الذي تواجدت فيه وتفاعلت مع عناصره ، فهذه الأداة تؤدي دور المضامة في النص إذ تعتبر سبيل كشف الاتساق.

التمودج الأول: على الجملة الاسمية:

دخلت (ما) النافية على الجملة الاسمية ، وذلك في الآيات (46.45.44) من سورة القصص ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۗ ﴾ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَسْلُوًا عَلَيْهِمْ ءَايَلَتْنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۗ ﴾ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ (القصص الآية 46.45.44) ، يرى نحاة البصرة أن جملة كان هي جملة اسمية ، لأن دلالتها تقتصر على تقييد الزمن لا غير ، وفي الآيات تكررت (ما) النافية أربع مرات ، واسمها هو الضمير المتصل بالفعل الناقص (كنت) والخطاب في الآيات وفي المواضع التي وردت فيها (ما) النافية موجه للرسول صلى الله عليه وسلم .

ونلاحظ التسلسل والترابط في الصيغ التي وردت فيها (ما) النافية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن بجانب الغربي ولم يكن من الشاهدين ، كما أنه لم يكن ثاوياً في أهل مدين ولم يكن بجانب الطور ، وهنا يتضح لنا شدة التلاحم بين الآيات المنفية ، حتى أن عطفها يحيل إلى أن الكلام مخصوص به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن القارئ قد انسجم مع هذه الآيات وهو يعلم أن سياق الحديث موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وليس إلى موسى عليه السلام .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

من الشواهد التي وردت فيها (ما) النافية وقد اقترنت بالجملة الاسمية ، ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصَى فِيهِ بَيْتٌ لَيْتَيْنِ ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ﴾¹ نجد في الحديث أنَّ (ما) النافية اقترنت بالجملة الاسمية ، وقد أهملت لاتقاض نفي خبرها بإلَّا ، لكنَّ ورودها في التركيب مهمٌ جداً لأنها أدت إلى ترابط وتعالق الجملة الأولى بالجملة الثانية ، ولو قمنا بحذفها فإنَّ النص يفقد اتساقه والمعنى يزول انسجامه ، لذلك فإنَّ لها دوراً مهماً في الربط وفي اتساق النص وانسجامه .

5- لَيْسَ النَّافِيَةُ: كلمة دالة على نفي الحال وتنفي غيره بالقرينة² ، وهي فعل لا يتصرف ، ودليل فعليتها اتصال الضمائر المرفوعة البارزة بها واتصال تاء التأنيث³ ، وذهب ابن السراج والفارسي وجماعة من أصحابه إلى أنها حرف بمنزلة (ما)⁴ ، وقد وردت في المدونات ومنها:

- التَّمَوِذُجُ الأوَّل :

من الشواهد التي وردت فيها (ليس) ، ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذي رواه أبو ذر قال سمعت رسول الله يقول: ﴿لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ ، وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلَيْتَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ﴾⁵.

في هذا الحديث وعيد شديد وإنذار أكيد ، لمن ارتكب عملاً من هذه الثلاثة ، فما بالك بمن عملها كلها؟ أولها: أن يكون عالماً بأباه، مثبتاً نسبه فينكره ويتجاهله، مدعياً النسب إلى غير أبيه، أو إلى غير قبيلته. وثانيها: أن يدعي "وهو عالم" ما ليس له من نسب ، أو مال ، أو حق من الحقوق ، أو عمل من الأعمال أو علم من العلوم ، أو يزعم صفة فيه يستغلها ويصرف بها وجوه الناس إليه ، وهو كاذب فهذا عذابه عظيم ، إذ تبرأ منه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يختار له مقراً في النار ؛ لأنه من أهلها . وثالثها: أن يرمي بريئاً بالكفر أو اليهودية ، أو النصرانية ، أو بأنه من أعداء الله. فمثل هذا يرجع عليه ما قال ؛ لأنه أحق بهذه الصفات القبيحة من المسلم الغافل عن أعمال السوء وأقواله. والرسول صلى الله عليه وسلم في وعيده وإنذاره نجده يفصل هذه القضايا الثلاث بواسطة (ليس النافية) ، التي تصدرت الحديث ، وقد تكررت هذه الأداة في نص الحديث أربع

¹ - مالك بن أنس ، الموطأ ، ص: 309. (كتاب الوصية) .

² - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 325.

³ - ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 493.

⁴ - ينظر: المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 325. وينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 494.

⁵ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص: 80.79. (كتاب الإيمان).

مرات ربط بها الرسول عليه الصلاة والسلام بين القضايا الثلاث ، ويبدو لنا نسيج النص محكما ومتسقا كما يبدو لنا المعنى منسجما لأن فكرته العامة إنذار ووعيد لطائفة محددة من الناس .

- النموذج الثاني :

من الشواهد الشعرية التي شكل فيها تكرار (ليس) ملمحا أسلوبيا مثيرا ، ما ورد في قصيدة المهلهل بن ربيعة (على أن ليس عدلا من كليب) التي يقول فيها¹ :

على أن ليسَ عدلاً من كليبٍ إذا تخاف المعازُ من المخيرِ
على أن ليسَ عدلاً من كليبٍ إذا طردَ اليتيمَ عن الجزورِ
على أن ليسَ عدلاً من كليبٍ إذا ما ضيمَ جار المستجيرِ

كرر الشاعر في قصيدته هاته صدر البيت عشرين مرة ، وقد شكل هذا التكرار ملمحا أسلوبيا كشف عن مكنونات الشاعر وما يحس به من ألم وحزن ، فارتكز على صدر البيت المكرر ليرثي أخاه كليباً ، وفي كل مرة يؤكد بأنه لا يوجد عدل وكفو يماثل أو يقارب أخاه في مكارمه وفضائله ، فهو الذي يغير ولا يُغَار عليه ، وهو الذي ينصر المظلوم ويعطي اليتيم ويدنيه منه ، وهو الذي يغيث الملهوف ويجير المستجير ، فالمهلهل صاغ هذه المعاني بواسطة النفي الذي حققته (ليس) في صدر البيت ، وبواسطة الشرط الذي حققته (إذا) في عجز البيت ، وقد نحى الشاعر هذا التلازم بين (ليس) وبين (إذا) في كل الأبيات التي حملت هذا المعنى ، مما جعل الأبيات محكمة البناء ومتلاحمة الأجزاء ومتسقة الأعضاء ، كما حملت المعاني فكرة واحدة منسجمة وهي تفرد وتميز كليب في الفضائل والمكارم .

6- لم النَّافِيَة: وهي حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضيا² ، وقد يلغى عملها فيرتفع الفعل المضارع بعدها ، وقد يأتي الفعل بعدها منصوباً ، ويرى سيبويه أنها تدخل على مضارع اللفظ ، فتصرف معناه إلى الماضي ومنهم من رأى أنها تدخل على ماضي اللفظ ، فتصرف لفظه إلى المبهم دون معناه³ ، وقد وردت لم في المدونات ومنها :

¹- ديوان المهلهل ، ص: 40.

²- ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 307.

³- ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 268.

- التَّمَوِذُجُ الأَوَّلُ :

وقد وردت (لم) النافية في سورة القصص أربع مرات ، اقترنت في جميعها بالفعل المضارع و تضافرت فيها مع أدوات أخرى في تعزيز الاتساق النصي كأدوات الشرط ، والعطف ، ومن الآيات التي وردت فيها (لم) النافية قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَلَيْكَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكْفُؤُا مُخِيفًا فَلَمَّا تَخَفَ شَفَّعَ لَكَ مِنَ الْأَمَانَاتِ ﴿٣١﴾ (القصص الآية 31) ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَهْلِكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلِكَ مَسْلُكُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ، (القصص الآية 58) ، نجد في الآيتين أنَّ (لم) اقترنت بالفعل المضارع (يعقب) (تسكن) وفي الحالتين أدت دورها في الربط والاتساق ، ففي الآية الأولى نجد أنَّ الأمر موجه من الله عز وجل إلى نبيه موسى عليه السلام بإلقاء عصاه ، وقد امتثل موسى لأمر الله ثم جاء بعد هذا التركيب أداة الشرط (لما) وساهم فعل شرطها (رأها) وجوابه (ولى) في زيادة اتساق الآية ، وتلى هذا التركيب النفي بـ (لم) والذي كشف عن حالة موسى عليه السلام وهو يشاهد بعينه العصا وكأنها جان تلقف كل ما يحيط بها ، فلم يعقب ولم يرجع وختم الله عز وجل هذا الموقف بالنداء (يا موسى) ثم بالأمر لنيبه (أقبل) والنهي (لا تخف) و الطمأنة ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ وكلُّ هذه الصيغ والأساليب والروابط ساهمت في اتساق الآية وانسجامها .

والأمر ذاته نجده في الآية الثانية ، وفيها إخبارٌ من الله عز وجل بإهلاكه لأصحاب القرى الكافرة ، وهذا وعده لهم في القرآن الكريم ، وقد بيَّن الله ذلك بـ (كم) التكميرية فالكثرة في الإهلاك شملت القرى التي بطرت معيشتها وطغى أهلها وكفروا بأنعم الله عز وجل ، وجاء بعد هذا التركيب اسم الإشارة (تلك) والمشار إليه (مساكنهم) ثم النفي بـ (لم) والذي دل على أنَّ مساكن الظالمين لم تؤهل ، وأنَّ أهلها كأنَّ لم يغنوا فيها ، وأنَّ الله هو خير الوارثين فهذه التركيب تعاضدت وتلاحمت فيما بينها لتكشف لنا عن اتساق الآية الكريمة وانسجامها .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

وردت (لم) النافية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومن شواهد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، فيقول: دعوتُ فلم يُسْتَجَبْ لي﴾¹ .

يبين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه هذا آداب الدعاء ، وهو أنَّ الإنسان حريٌّ أن يستجيب الله دعاءه إلا إذا عجل ، ومعنى العجلة فسرها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه يقول: ﴿دَعْوَةٌ وَدَعْوَةٌ فَلَمْ

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج2 ، ص:2095. (كتاب الذكر والدعاء التوبة والاستغفار).

أَر مَنْ يَسْتَجِيبُ لِي ﴿﴾ فحينئذ يستحسر ويدع الدعاء ، وهذا من جهل الإنسان ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يمنعك ما دعوته به إلا لحكمة أو لوجود مانع يمنع من إجابة الدعاء ، ولكنَّ إذا دعوت الله فادع الله تعالى وأنت مغلَّب للرجاء على اليأس حتى يحقق الله لك ما تريد ، ثم إن أعطاك الله ما سألت فهذا مطلوبك ، وإن لم يعطك ما سألت فإنه يدفع عنك من البلاء أكثر وأنت لا تدري ، أو يدخر ذلك لك عند الله يوم القيامة ، وفي الحديث نجد أن (لم) النافية وقعت في جملة مقول القول ، وتلاها فعل مضارع مبني للمجهول ، وقد دلت على معنى (يعجل) وفي هذا ربط بما سبقها في التركيب مما يدل على الاتساق الذي أدته (لم) على مستوى نسيج النص وعلى مستوى المعنى والانسجام .

- التَّمُودُجُ الثَّلَاثُ :

وجدنا أنَّ (لم النافية) تعكس دلالات متعددة ومتنوعة في قصيدة الشاعر أمل دنقل والموسومة بـ (لاتصالح) فقد شكل تكرارها في المقطع السابع من القصيدة ظاهرة أسلوبية تستدعي منا الإشارة إليها والوقوف على دورها في التراكيب التي وردت فيها يقول أمل دنقل¹ :

لَا تَصَالِحْ ، وَلَوْ حَذَّرْتِكَ النُّجُومُ
وَرَمَى لَكَ كُفَّهَا تُهَا بِالنَّبَأِ ..
كَنْتُ أَغْفِرُ لَوْ أَنَّنِي مِتُّ ..
مَا بَيْنَ حَيْطِ الصَّوَابِ وَحَيْطِ الْخَطَا .
لَمْ أَكُنْ غَارِبًا
لَمْ أَكُنْ أَتَسَلَّلُ قَرَبَ مَضَارِبِهِمْ
لَمْ أَمُدَّ يَدًا لِثِمَارِ الْكُرُومِ
أَرْضَ بُسْتَانِهِمْ لَمْ أَطَا
لَمْ يَصِحْ قَاتِلِي بِي : " انْتَبِهْ !"
كَانَ يَمْشِي مَعِي ..
ثُمَّ صَافَحَنِي ..
ثُمَّ سَارَ قَلِيلًا
وَلَكِنَّهُ فِي الْعُصُونِ اخْتَبَأَ !
فجأةً:

¹ - أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص: 332.333.

تَقْبَتْنِي فُشْعَرِيَّةٌ بَيْنَ ضِلْعَيْنِ ..
 واهْتَرَّ قَلْبِي كَفَقَاعَةٍ وَاِنْفَتَأُ!
 وَتَحَامَلْتُ، حَتَّى احْتَمَلْتُ عَلَى سَاعِدَيَّ
 فرأيتُ: ابنَ عَمِّي الزَّئِيمِ
 واقفًا يتشقى بوجهٍ لئيمٍ
 لم يكن في يدي حربةً
 أو سلاحٍ قديمٍ
 لم يكن غيرَ غَيْظِي الَّذِي يَتَشَكَّى الظَّمَا

يتخذ الشاعر من الموروث التاريخي مادةً يستجلب منها المعاني والأحداث ليسقطها على واقعه الذي رضي فيه الحكام العرب بأن يصلحوا المحتل ويتهادنوا معه ، وهم يعلمون ما حدث لكليب الذي اغتاله -غدرًا- ابن عمه فأوصى قبل أن يموت أن يبلغوا أخاه المهلهل بألا يصلح أبناء عمومته ، وأن يشمر لأخذ الثأر ، فالعدو هو الذي اغتال كليباً ، والعدو هو الذي يقتل الأبرياء ويسلب وطنهم ، وتعكس الأسطر الوصايا التي كتبها كليب بدمه فهو يذكر بواسطة تكرار لاتصال أخاه المهلهل بألا يتراجع خائفاً ولو حذر الكهنة ، ويقول أن الموت لم يكن خطأ وإنما هو اغتيال غدر ، وليربط الشاعر بين هذه الأقوال التي قالها كليب وبين تأكيدها يعمد إلى أداة النفي (لم) فيوسع من دلالتها ، ويجعلها مؤكدةً لحدثين أحدهما هو ماضي كليب والمهلهل ، والثاني هو حاضر الشاعر وهو تأكيد إجرام الظالمين المحتلين (جساس ، اليهود) ، والذين يقتلون غدرًا وغيلة ، فكليب ومعه الشعب المقهور لم يكن غازياً ، لم يتسلل إلى مضارب القوم ، لم يعتد على ثمارهم لم يظأ بساتينهم .. ولذلك فإن قتله ظلمٌ وهذا ما أكدته أداة النفي (لم) من تكثيفٍ للمعنى وربط للصور المتلاحقة التي تثبت عدم التعدي على قوم القاتل (جساس اليهود) ، وفي ذلك نفي لتبرير أخطائهم في القتل واحتلال الأرض .

7- لن النافية: حرف نفي ينصب الفعل المضارع ويخلصه للاستقبال ، ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبداً واختلف النحويون في (لن) فذهب سيبويه والجمهور إلى أنها بسيطة ، وذهب الخليل والكسائي إلى أنها مركبة وأصلها (لا أن) حذفت همزة (أن) تخفيفاً ثم حذف الألف لالتقاء الساكنين¹ ، وجاءت في المدونات تطبيقاً في:
 - التَّمَوِذُجُ الأوَّلُ :

وقد وردت لن النافية في سورة القصص ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾^٧ ، (القصص الآية 17) ، هذه الآية الكريمة قول صدر من موسى عليه السلام بعد ندمه على قتل القبطي وإقراره بأن هذا العمل من الشيطان ، لذلك دعى الله أن يغفر له واستجاب الله لدعائه قال

¹ - ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 270.271 . وينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 314.

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ وهذا "يدل على أنه قال إنك لما أنعمت علي بهذا الإنعام فلن أكون معاوناً لأحد من المجرمين بل أكون معاوناً للمسلمين"¹، وفي ورود (لن) في تركيب الآية ربط بما يسبقها من الآيات ، لأنَّ موسى نفى بـ (لن) أن يكون ظهيراً ومدافعاً عن المجرمين في المستقبل ، لأنَّ الله أنعم عليه بالمغفرة وهذا يدل على أنَّ الماضي كان فيه موسى ظهيراً وتسبب ذلك في ارتكابه لجريمة قتل ندم عليها ، فدعى الله أن يغفرها له فلما استجاب الله له نفى أن يكون ظهيراً للمجرمين ، وهكذا فإنَّ التراكيب في الآية تعالقت فيما بينها كما أنَّ معنى الآية انسجم مع الآيات السابقة .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

وردت (لن) النافية في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الشَّيْءَ يَكْرَهُهُ ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِذَا اسْتَيْقَظَ ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، فَإِنَّمَا لَنْ تَضُرَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾²، في هذا الحديث اقترنت لن بالفعل المضارع (تضره) وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم بما نتيجة ما أمر به في الحديث ، وذلك أنَّ المؤمن إذا رأى ما يكرهه في منامه فإنَّ عليه أن ينفث عن يساره ثلاث مرات ، وأن يتعوذ بالله عز وجل فإن فعل ذلك فإنَّ ما رآه لن يضره وهنا نجد أنَّ (لن) ربطت بين ما يعمله الذي رأى في منامه ما يكرهه (النفث والتعوذ) ، وربطت بين فعل الشرط (رأى) وفي هذا الربط دليل على اتساق النص وانسجام معانيه .

- التَّمَوِذُجُ الثَّلَاثُ :

ارتأينا أن نوسع دائرة التمثيل للدور الذي تؤديه (لن) في الربط بين أجزاء النص ، فوقع اختيارنا على شاهد شعري في قصيدة المهلهل والتي يقول فيها³:

بَاتَ لَيْلِي بِالْأَنْعَمِينَ طَوِيلاً أَرْقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا لَنْ يُزُولَا
إِنَّ فِي الصَّدْرِ حَاجَةً لَنْ تَقْضَى مَادَعَا فِي الْعُصُونِ دَاعٍ هَدِيلاً

يعكس الشاعر في بيتيه ما يحس به بعد أن أصابه السهاد ، وهو في الوادي يراقب النجوم كأنَّ هذا الليل وهاته النجوم لن يزولا ، لأنَّ بنات الدهر يشغلن باله ويملأن صدره غيظاً وهما ، وهو يعلم أنَّ رغبته لن تتحقق

¹ - الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج 24 ، ص: 235.

² - مالك بن أنس ، الموطأ ، ص: 547. (ما جاء في الرؤيا) .

³ - ديوان المهلهل ، ص: 65.64.

هذه الرغبة زالت بزوال أخيه كليب فاستحال همه إلى هم سرمدي ، وانقطع رجاؤه فلن يتحقق أبدا ، وقد عبر الشاعر عن هذه المعاني بواسطة النفي الذي حققته (لن) في البيتين ، ففهم منهما ما يقصده الشاعر وسمع منهما صوت البكاء والرتاء لأخيه ، وبالتالي فإنَّ الشاعر بواسطة هذا النفي استطاع أن يؤثر في القارئ ويستميل عطفه مما حقق الانسجام النصي .

من خلال عرضنا لأدوات النفي اتضح لنا الدور الذي تؤديه من خلال ربط الجمل المنفية بالتص وجعلها أحوالا أو أخبارا أو صفات أو أجوبة للشرط ، مما يوسع دورها في زيادة اتساق النص والتحام أجزائه ، ثم إنَّ أدوات النفي يسيطر عليها في الغالب زمن معين ، إلا أنَّ بعضها وبحسب السياق الذي ترد فيه تتجاوز أصل الزمن الذي تتصف به والذي يغلب عليها في الاستعمال ، وهذا ما أشرنا إليه ، ومثلنا له ، بخصوص ما تعلق بأداة النفي (ما) ، على أننا ركزنا في نماذج التطبيق على أدوات النفي ، التي تتميز بالكثرة في الاستعمال ، خاصة في سورة القصص وفي الأحاديث النبوية ، ولم نشر إلى أدوات نفي أخرى ، لقلة ورودها في نماذج التطبيق مثل : لات ، إنَّ وقد أثار انتباهنا كثرة انتشار واستعمال أدوات نافية على حساب أخرى من مثل : لا ، ولم ، وارتباطهما بالفعل المضارع مما يبعث في الصيغ التركيبية التي احتوت عليهما حركية واستمرارية في الزمن ، للدلالة الفعل المضارع على ذلك مما يربط هاته الدلالة باتساق النصوص وانسجامها .

رابعاً- أدوات النداء :

النداء هو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبهه للإصغاء وسماع ما يريد المتكلم¹ ، والنداء والنداء في اللغة هو الصوت مثل الدعاء والرجاء ، وقد ناداه ونادى به مناداةً ونداءً ، أي صاحبه ، والنداء ممدود الدعاء بأرفع صوت² . وأشهر حروفه : يا ، أيا ، هيا ، أي ، وا ، الهزمة والأصل في النداء أن يكون حقيقياً أي: يكون فيه المنادى اسماً لعاقل كي يكون في استدعائه وإسماعه فائدة ، وقد ينادى اسم غير العاقل لداع بلاغي فيكون النداء مجازياً كقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلَعِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود الآية 44) ، والأصل في أدوات النداء دخولها على الاسم لكن "قد يقتضي السبب البلاغي دخول حرف النداء على غير الاسم ، كأن يدخل على حرف أو جملة فعلية"³ ، فمثال دخوله على الحرف قوله تعالى: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس الآية 26) والغرض هنا هو التمني ومثال دخوله على الجملة الفعلية قول شاعر:

قُلْ لِمَنْ حَصَّلَ مَالًا وَاقْتَنَى أقرض الله ، فَيَا نِعَمَ الْمَدِينِ

¹ - حسن عباس ، النحو الوافي ، ج4 ، ص : 01.

² - ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ص : 316.315.

³ - المرجع السابق ، ج4 ، ص : 06.

ويعتبر النحاة حرف النداء مع المنادى جملة فعلية إنشائية للطلب ، برغم أنها قبل النداء خبرية فهي تتحول معه إلى إنشاء طلي جملته فعلية فالأصل في مثل : يا صالح ، هو أنادي أو أدعو صالحا حذف الفعل مع فاعله الضمير المستتر ، وناب عنهما حرف النداء وبقي المفعول به وصار منادى واجب الذكر، لذلك قيل أن أصل المنادى هو مفعول به¹ ، ومادام أن النداء هو دعوة المخاطب للإقبال بأحد أحرف النداء² ، إمّا بذكر اسمه أو بذكر صفة من صفاته للفت انتباهه ودعوته للإقبال ، والملاحظ أن اللغة العربية لغة نداء يطرد فيها استعمال النداء ويكثر في كلام العرب ، إذ أننا نجد الشعراء ينادون الملوك والأبطال والإخوان ، وينادون الحبيب والقريب كما ينادون الجماد والحيوان من شجر وجبل وطير ، وهذا الذي يفسر سر تركيزهم على أسلوب النداء كونهم قد اختاروا الجملة الفعلية على الجملة الاسمية ، على اعتبار أن جملة النداء هي جملة فعلية ، وهم حالة النداء يقصدون التأثير في المتلقي فيتحول خطابهم إلى إثارة العواطف في مواقف وجدانية تثير الاهتمام وتستميل المخاطب ، وهذا الذي يجعل من المتلقي منسجما شعوريا أو لا شعوريا مع النصوص التي يكثر فيها النداء .

وفي دراستنا لنماذج المدونات التي مثلنا فيها لأدوات النداء ، وجدنا فيها استعمال الربط بأدوات النداء واقتصرنا في التمثيل على (يا وأي والهمزة) ، وقد وردت كما يلي :

أ- يا :

حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكما ، وقد ينادى بها القريب توكيدا ، وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد ، وقيل بينهما وبين التوسط وهي أكثر أحرف النداء استعمالا ، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو: قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾، (يوسف الآية 29) ولا ينادى اسم الله عز وجل والاسم المستغاث وأبها وأيتها إلا بها ولا المندوب إلا بها أو بوا³، لذلك فإنها "مشتركة في المنادى والمندوب جميعا"⁴ ، وبما أنها أم باب النداء فلا بد من الاستشهاد بدورها ، وعن الربط بالأداة (يا) نورد ثلاث أمثلة أولها ما ورد في سورة القصص ، والتي تكرر فيها النداء بهاته الأداة أربع مرات ، وفي كل مرة كان المنادى فيها موسى عليه السلام يقول الله عز وجل : ﴿فَلَمَّا آتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنَّ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأٰمِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾، (القصص الآية 30.31) ، تتسق الآياتان بارتباط حرف النداء (يا) بالاسم موسى ، ليتضح لنا من خلالها أن الله عز وجل نادى موسى عليه السلام بأسلوب إنشائي مستخدما أداة النداء (يا للبعيد) والتي كررها مرتين ، وهذا التكرار له علاقة بما حدث لموسى

1- عباس حسن ، النحو الوافي ، ج4 ، ص: 07.

2- ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر النحو ، الإيضاح في شرح المفصل ، ج2 ، ص: 220.

3- ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج1 ، ص: 413.

4- ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر النحو ، الإيضاح في شرح المفصل ، ج2 ، ص: 220.

وأهله عليه السلام ، فهو يمشي مع أهله وأولاده في الصحراء ليلاً وما تثيره هذه الصحراء من رهبة وخوف في النفوس وما تثيره الرياح من القلق والاضطراب ، فيشعر موسى ومَن معه بالهواجس فيرى من بعيد نارا وتثير فيه هذه النار أملاً في النجاة ، حينها يقول لأهله أمكنوا إني آنست نارا لعلني آتيكم منها بجذوة تصطلون بها وحين يقترب من النار يسمع صوت الله عز وجل متوجهاً إليه بالنداء ، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يأمره بإلقاء عصاه لتتحول إلى ثعبان مبین ، فيفزع موسى ويهرب من غير التفات فيوجه الله إليه النداء الثاني ، بأن يرجع ولا يخف لأن الله آمنه ورعاه ، وفي نداء الله لموسى تطمين له بقربه منه وحمایته له ، وهذا يعني أن القرب اثنان قرب أحدثته أداة النداء بربطها لأجزاء النص ليبدو أكثر تماسكا ، وقرب الله من موسى حين ناداه فزال خوفه وهلعته ونبهه الله عز وجل وطمأنه ، وهذا ما يزيد من انسجام المخاطب مع النص من خلال التأثير بمعانيه .

- التَّمَوِذُجُ الثَّانِي :

ومن الشواهد التي وردت فيها أداة النداء (يا) ، ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يقول فيه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا فَاغْتَسِلُوا وَمَنْ عِنْدَهُ طَيْبٌ فَلَا يَضُرُّهُ أَنْ يَمَسَّ مِنْهُ وَعَلَيْكُمْ بِالسُّوَاكِ﴾¹.

إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتوجه بالنداء إلى الله عز وجل ، طالبا منه العون فإنه يلتفت إلى أصحابه ليخصهم بالنداء ويوجههم إلى ما ينبغي فعله في مناسبات معينة ، ومنها المناسبة التي خصها بهذا الحديث وهو يوم الجمعة الذي يمثل عيداً للمسلمين ، فهو غرة أيام الأسبوع فيه خلق الله آدم وأدخله الجنة وأخرجه منها وفيه تقوم الساعة ، كما أن فيه ساعة من وافقها ودعى فيها استجاب له الله عز وجل ، وما دام هذا اليوم مهما فإن التذكير بأهميته يحتاج تنبيها للمسلمين ، ولا يتم ذلك إلا بواسطة أداة النداء (يا) التي دلت على قرب الرسول عليه الصلاة والسلام بالمسلمين فالنداء في هذا الحديث موجه للمسلمين دون غيرهم من عباد الله لذا فإن غرضه الرئيس هو الاختصاص .

- التَّمَوِذُجُ الثَّلَاثُ :

في موضع آخر نجد أن النداء بـ (يا) يأخذ منحى مغاير يتوافق مع الحالة الشعورية والجو النفسي ، وذلك في قصيدة للمهلل في ديوانه يقول فيها² :

¹ - مالك بن أنس ، الموطأ ، ص: 111 . (ما جاء في السواك) .

² - ديوان المهلهل ، ص: 29 .

دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تُجِبْنِي وَكَيْفَ يَجِيبُنِي الْبَلْدُ الْقِفَارِ

أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَاكَ ذُمَّ ضَنْبِنَاثُ النَّفُوسِ لَهَا مَزَارُ

أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَاكَ ذُمَّ لَقَدْ فُجِّعَتْ بِفَارِسِهَا نَزَارُ

ارتبطت أداة النداء في الأبيات بالاسم ، وقد كررت ثلاث مرات اقترنت فيها بلفظ (كليب) وهو المنادى الذي يمثل نواة المعنى وموضوع الأبيات ، فالشاعر يفتقد كليباً ويريد إرجاعه بواسطة النداء ، على الرغم من أنه يعلم بأنه لن يعود لذلك يكرر نداءه الذي يشبه البكاء والعيول ، وفي هذا التكرار فائدة إذ أننا كلما قرأنا جملة من الأبيات ورد فيها حرف النداء والمنادى ، أدركنا مدى اتساقها مع بقية الجمل ، ووقفنا على مدى ترابط أجزاء النص وتوحد فكرته وأحسنا في كل مرة بمدى قرب الشاعر من المنادى ، وهذا ما يجعلنا متأثرين ومتواصلين ومنسجمين مع الخطاب كما أن أداة النداء في هذا النص كانت تحقق في كل مرة فعلاً كلامياً هو نداء المخاطب وهو من مبادئ انسجام النص.

ب- أي :

حرف لنداء البعيد أو القريب أو المتوسط¹ ، كقولك : أي زيد ، وفي الحديث أي رب.. وقد تمد فيقال: أي . حكاها الكسائي ، وقال بعضهم يجوز مدها ، إذا بعدت المسافة ، فيكون الند فيها دليلاً على البعد² ، وما يميز أداة النداء (أي) أنها إذا وظفت في سياق خاص ومعين يختلف عن سياق أدوات النداء الأخرى ، فيتوفر لنا في النص أكثر من أداة نداء كل واحدة منها وُظِّفَتْ للمنادى المناسب لها ، ومن ذلك ماورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذي روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿وَكَلَّ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فيقول: أَي رَبِّ نُطْفَةٍ، أَي رَبِّ عَلَقَةٍ، أَي رَبِّ مُضْغَةٍ، فإذا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَي رَبِّ، أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه﴾³.

في هذا الحديث تكررت أداة النداء (أي) أربع مرات ، وقد ارتبطت بالملك المؤكل بالرحم حينما ينادي خالقه عز وجل وكأنه يحمل مع ندائه التعجب مما يخلق الله عز وجل الخلق مكتملاً في أحسن صورة من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ، ويتواصل النداء من الملك إلى العزيز الجبار حين يقضي الخلق ويُقَرُّه في الأرحام ، وهنا يزداد اتساق النص من خلال روابط الاستفهام الهمزة (أ) و (ما) ، حين يسأل الملك خالقه عن هذا الخلق ذكر أم

¹ ينظر : ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص : 80.

² ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص : 233.

³ البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ص : 1635. (كتاب القدر) .

أنتى شقي أم سعيد ما رزقه ما أجله ؟ وكل رابطة من الروابط التزمت بأحد طرفي هذا الحوار المقدس ، فلم يكن استعمالها عشوائيا بل كان مُنظَّمًا مما يجعل النص في اتساق وانسجام كبيرين .

ج- يا أيُّها:

ما يميز أداة النداء (أي) أنها إذا وظفت في سياق خاص ومعين يختلف عن سياق أدوات النداء الأخرى فيتوفر لنا في النص أكثر من أداة نداء ، كل واحدة منها وُظِّفَت للمنادى المناسب لها ، بحيث تصير أداة النداء في حد ذاتها منادى ، وهذا في تركيب (يا أيها) ومن ذلك ماورد في سورة القصص يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْتَمُنَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ، (القصص الآية 38).

في هذه الآية جاء الكلام على لسان فرعون ردا على ما يروجه موسى عليه السلام ، بأنَّ هناك خالقا للسموات والأرض وهو الله عز وجل ، حينها توجه فرعون بالنداء مستعملا أداة (يا) وجاعلا المنادى (أيها الملأ) على وجه التعميم قاصدا لفت انتباههم لحقيقة ألا إله غيره ، ومناديا هامان بنفس الأداة على وجه التخصيص ليبيني له بناءً عاليا لعله يطلع إلى إله موسى ، وهو متيقنٌ من كذب موسى فرعون "كانت عادته متى ظهرت حجة موسى أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أعمار قومه ، وذكر ههنا شيئين الأولى قوله ما علمت لكم من إله غيري وهذا في الحقيقة يشتمل على كلامين أحدهما نفي إله غيره والثاني إثبات إلهية نفسه"¹، ثم ذكر فرعون الشبهة الثانية مستعملا فيها أيضا أداة النداء (يا) ، وذلك في قوله : ﴿ فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ وقد حُقِّقَت هذه المعاني تنبيها للملأ وهامان بأداة النداء مما زاد النص اتساقا والمعنى انسجاما .

د- همزة النداء :

حرف من حروف النداء المتفق عليها ، وهي للبعيد ومن خصائصها أنه لا يجوز حذفها وإبقاء المنادى وإذا وجدنا منادى ، دون حرف نداء ، حكمنا بالحدف ل (يا) لأنها أم الباب² ، وقد وردت في النماذج التي وقع اختيارنا عليها في قصيدة المهلهل وقصيدة عبدة بن الطبيب وفي قصيدة أبي العتاهية وسنمثل لها بدءاً بالمهلهل في قصيدته التي يقول فيها³:

أَكْلِبُ إِنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُخِجِدَتْ وَنَسِيْتُ بَعْدَكَ طَيِّبَاتِ الْمَجْلِسِ

¹ - الرازي محمد فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج24 ، ص: 252.

² - ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 419.

³ - ديوان المهلهل ، ص : 48.

أَكْلِيْبُ مَنْ يَحْمِي الْعَشِيْرَةَ كُلَّهَا أَوْ مَنْ يَكْرُهُ عَلَى الْحَمِيْسِ الْأَشْوَسِ

البيتان من قصيدة قالها المهلهل في رثاء أخيه كليب ، وفيهما يبدو الشاعر متحسرا بسبب فقدان أخيه فقد استحال كل شيء بعده إلى حزن وأسى فالنار انطفأت ، وقرى الأضياف زال ، وذهبت أيام الأُنس والسمر وغاب عن العشيرة حاميتها وسيدها ، وقد دل النداء بالهمزة على شدة قرب المَنَادَى (كليب) من الشاعر والكشف عما يشعر به الشاعر اتجاه المَنَادَى ، وفي تكراره دليل على استمرار هذا الشعور ، لذا فإنَّ همزة النداء حققت قريبن الأول تمثل في تلاحم التراكيب مع بعضها مما دل على اتساق البيتين ، والثاني دل على قرب المَنَادِي من المَنَادَى وشعور القارئ بذلك وبالتالي انسجامه مع المعاني الواردة في النص .

ومن النماذج التي وردت فيها همزة النداء دالة على قرب المَنَادَى ما ورد في قصيدة (تقوى الله والإحسان إلى الآخرين) للشاعر عبد بن الطبيب والتي يقول في مطلعها¹:

أَبْنِي إِنِّي قَدْ كَبْرْتُ وَرَأْبِي بَصْرِي وَفِي لِمَصْلِحٍ مُسْتَمْتَعٌ

يوجه الشاعر نداءه في البيت لأبنائه مستعملا (همزة النداء) ، للكشف عن شدة قريهم منه وشدة حبه لهم لأنه يريد أن يقدم لهم خلاصة تجربته في الحياة ، وأن يرسم لهم الطريق الذي إنَّ تحجوه نالوا الفلاح في الدنيا وفي الآخرة فغرض الشاعر من النداء النصيح والإرشاد ، لذا فإنَّ همزة النداء رسمت لنا صورة الشيخ الشاعر مع أبنائه وكشفت لنا عن شدة قرب أبنائه منه .

والغرض من النداء ذاته نجده عند الشاعر العبَّاسي أبي العتاهية في قصيدته (من أحس أهل القبور) التي يقول فيها²:

أَخِيَّ لَمْ يَقْلِكَ الْمَيِّتَةُ ، إِذْ أَتَا مَا كَانَ أَطْعَمَكَ الطَّبِيبُ وَمَا سَقَى

أَخِيَّ لَمْ تُعْنِ التَّمَائِمُ عَنْكَ مَا قَدْ كُنْتُ أَحَدَرَهُ عَلَيْكَ وَلَا الرَّقَى

أَخِيَّ كَيْفَ وَجَدْتَ مَسَّ حُسُونَةِ ال مَاوَى وَكَيْفَ وَجَدْتَ ضَيْقَ الْمُتَكَيِّ

¹ - ديوان عبدة بن الطبيب ، ص: 43.

² - ديوان أبو العتاهية ، ص: 28.

يكثّر الشاعر في الأبيات همزة النداء ، وفي كل مرة يكون المِنَادَى (أُخَيّ) وقد ساهم ذلك في الكشف عن متطلبات الحالة الشعورية ، إذ إنّ النداء هنا يعد ملمحاً لطيفاً يعكس ملامح القرب الشديد والحضور القوي للشاعر بجانب (أخيه) ، وقد فتح النداء بالهمزة المجال أمام الشاعر ليوجه نصحه ووعظه لأخيه ، فيذكره بالموت الذي يترصد الجميع حتى لا يعتر بالدنيا ، فكانت همزة النداء بمثابة صرخة موجهة من الشاعر لأخيه صرخة لا بد أن يسمعها أخوه ويتعظ بها ، وهذا ما يكشف لنا دور هذه الأداة في التركيب اللغوي من خلال زيادة الاتساق والانسجام النصي .

من خلال عرضنا للنماذج التي وردت فيها أدوات النداء ، لاحظنا أنّ دلالة الربط بهاته الأدوات تختلف باختلاف السياقات التي ترد فيها من جهة ، وتختلف بحسب ما اقترنت به (المِنَادَى) من جهة أخرى ، فإذا ارتبطت هذه الحروف ببشر تشكلت أهداف الخطاب في فعل كلامي هو بث الإطمئنان في نفس المِنَادَى ، أولفت الانتباه لتقرير حقيقة ما، أو تبيان نوع العلاقة أو النصح والإرشاد أو الوعظ والتوجيه أو التخصيص ، وفي حالة ارتباط حروف النداء بالله عز وجل تحول النداء من المخلوق إلى الخالق عز وجل ، وكان الهدف من الخطاب حكماً كتعظيم الله عز وجل وبيان التعجب من قدرته ، وهو ما وقفنا عليه في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومثلاً فيه لأداة النداء (أي) ، وقد جاءت كل صيغ النداء في نماذج التطبيق أفعالاً كلامية دلّت على انسجام هاته النماذج وذلك بمثل هاته الأدوات في التراكيب اللغوية التي وردت فيها ، مما يدل على أنّ وجودها ضروري في اتساق النصوص وانسجامها ، كما أنّ حذفها يحدث خللاً في التركيب وفي الأسلوب مما يشتم فهم المتلقي ويبيعه عن الانسجام.

في ختام الإشارة إلى الدور الذي أدته أدوات النداء في الربط ارتأينا أنّ نشير إلى مبحث مهم يتعلق بحذف أداة النداء من التركيب ، وهو حذف لفظي يمكن تقديره حيث يؤتى بالمنادى فقط مثل (رب ، ربنا) وفي الغالب تقدر (يا) دون غيرها من الحروف ، لأنّه ينادى بها للقريب والبعيد ولأنّها "أكثر احرف النداء استعمالاً"¹.
ومن الشواهد التي حُذفت فيها أداة النداء ، ما ورد في سورة القصص يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ (القصص الآية 16، 17)، في الآيتين نجد المِنَادَى (رب) وقد حذفت من التركيب أداة النداء (يا) وحرف النداء لا يحذف إلا إذا كان المِنَادَى معرفةً أو مضافاً ولا يجوز حذفه عند النكرات وفي الآيتين نسجل هنا تواجد حرف النداء (يا) سابقاً للاسم ربّ، غير أنه لم يظهر ظهوراً فعلياً، بل قدر لأن المقام مقامه، وأنعم اكتمال أركان النداء بحذف أداة النداء القصد منه توجيه اهتمام المتلقي إلى المعاني الكامنة داخل المنادى، وهذا ما يشير إلى أن العناصر

¹ - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 2 ، ص : 488.

اللغوية متموضعة بما يناسب اللغة وهو مظهر نستدل به على ظاهرة الاتساق في الآيتين الكريميتين ، أو في النصوص التي لا ترد فيها أداة النداء في التركيب ، وأنت بعد ذلك تشعر حين تقرأ التركيب الذي حذفته منه أداة النداء بمدى قرب المخاطب من المخاطب، وتحس بانسجامك مع النص تماماً وأنت تتأثر بهذا الاقتراب .

وتجدر الإشارة إلى أننا لم نذكر كل أدوات النداء ، وإنما اقتصرنا على بعض منها والتي ذُكرت في النماذج التي طبقنا عليها كما أن المبدأ جاء في أغلبه مفرداً وجاء مضافاً ، أمّا الأنواع الأخرى منه لم ترد في النماذج المطبقة عليها إضافة إلى غياب نداء الندية والاستغاثة ، ومرد ذلك أن ما اخترناه من شواهد غلبت عليه معاني التقرب أو التعظيم أو التخصيص أو النصح والإرشاد ، وهذا ما أكسب الأدوات التي اخترناها دقة في التعبير وقوة في المعنى وبراعة في التصوير وقد ساهم ذلك في تفاعل المتلقي واندماجه مع النصوص المتسقة والمنسجمة .

خامساً - أدوات القسم :

حين تكلم سيبويه عن أدوات القسم فصل ذلك في باب حروف الإضافة إلى المحلوف به ، وسقوطها وذكر أن "للقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر وأكثرها الواو ، ثم الباء ، يدخلان على كل محلوف به ، ثم التاء ولا تدخل إلا في واحد وذلك قولك والله لأفعلن وبالله لأفعلن ﴿٥٧﴾ ، (الأنبياء الآية 57)"¹ ، ومما أضافه سيبويه في هذا الباب أن هناك ألفاظاً عاملة تحمل معنى القسم "وذلك قولك لعمر الله لأفعلن ، وأيم الله لأفعلن . وبعض العرب يقول : أيم الكعبة لأفعلن ، كأنه قال لعمر الله المقسم به"² ، وحروف القسم "خافضة للقسم ، ولا بد له من جواب وجوابه في الإيجاب (إن) واللام وفي النفي لا وما وذلك قولك في الإيجاب والله لأخرجن"³ .

وقد انتقينا من المدونات ما توفر فيها القسم ، ووجدنا في القرآن الكريم حضور القسم بكثرة ويدرجه القسم ضمن "الجملة الإنشائية التي تؤكد بها جملة أخرى"⁴ ، ويتم التوكيد بواسطة أدوات القسم على اعتبار أنها روابط توكيدية لذلك عرفه النحاة "يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد ، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى ، فالجملة المؤكدة هي المقسم عليه والجملة المؤكدة هي القسم ، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسم به"⁵ ، وهو الذي يعظم نحو أقسم أو احلف بالله أو قسمًا أو بالله⁶ ، وترتبط جملة جواب القسم بما قبلها فهي متعلقة بحرف القسم "ومن شأنهما أن ينزلا منزلة جملة واحدة لأنهما كالشرط والجزاء"⁷ ، ويحدث

¹ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، ج 3 ، ص : 496.

² - المصدر نفسه ، ج 3 ، ص : 502.

³ - ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري ، شرح جمل الزجاجي ، ص : 158.

⁴ - ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر ، ج 2 ، ص : 322.

⁵ - عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحاحين ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1991م ، ص : 490.489.

⁶ - ينظر : محمد علي أبو العباس ، الإعراب المبسر دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ص : 139.

⁷ - ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر النحو ، الإيضاح في شرح المفصل ، ج 2 ، ص : 322.

أن تحذف جملة القسم "وهو لازم مع غير الباء من حروف القسم ، وحيث قيل لأفعلن أو لقد فعل أو لئن فعل"¹ وتقدر جملة القسم² ، كما يحذف جواب القسم وجوبا "إذا تقدّم عليه أو اكتنّفه ما يُغني عن الجواب ، فالأول نحو : زيدٌ قائمٌ والله ومنه إن جاءني زيد والله أكرمته والثاني نحو زيد والله قائم ، فإن قلت زيد والله إنه قائم ، أو لقائم احتمال كون المتأخر عنه خيرا عن المتقدم عليه ، واحتمل كونه جواباً وجملة القسم وجوابه الخبر"³ .

وقد جاءت صيغ القسم في النماذج التي اخترناها متعددة وعلى أشكال مختلفة ، بأدوات القسم التالية: والله وأيم الله ، والذي نفسي بيده ، ورب ... خاصّة في الأحاديث النبوية ، لأننا لم نعثر على رابط القسم في سورة القصص فالترمنا بالتمثيل لهذا الرابط في الحديث الشريف ، وفي الشعر الجاهلي ، واقتصرنا على صيغتي قسم وهما: والله ، بالله . وعموماً فإنّ أدوات القسم ساهمت في اتساق نصوص التطبيق من خلال دورها في تحقيق الربط والوصل كما ساهمت أيضاً في الانسجام من خلال تحقيق أفعال كلامية هي القسم والتوكيد .

أ- واو القسم :

هي من أدوات القسم يجر الظاهر دون المضمّر وهو فرع الباء⁴ ، ولا تتعلق إلا بمحذوف⁵ ، والمقسم به مجرور بحرف القسم لأنها من حروف الجر والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أقسم⁶ ، وقد تم الربط بها في المدونات إذ ارتبطت واو القسم بلفظ الجلالة (الله) ، ومن الشواهد التي ورد فيها القسم بهذه الصيغة ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي بيّن فيه حقيقة الدنيا ، فعن المستورد بن شداد أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: ﴿والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثلما يجعل أحدكم إصبعة هذه-وأشار يحيى بالسبابة- في اليوم فلينظر بما ترجع﴾⁷ .

في هذا الحديث أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبيّن للمسلمين منزلة الدنيا وضآلة شأنها عند الله تعالى والناس ما رأوا غير دنياهم ، وهم يرونها واسعة شاسعة ، ولم يروا الآخرة ، في قسم مؤكداً خبره ليلفتهم إليه ، حتى لا تفتنهم سعة حاضرهم ، إذ إنّ ما يملك منها الناس جميعاً ، يعادل لضآلته ما يصيب من البلبل إصبعا غُمست في اليم ، بينما اليمُّ كله تشبّه الآخرة لبقائها واتساع أرجائها⁸ ، ومادام هذا الأمر مجهولاً عند الناس وهم في عمية عنه ، فقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم القسم والقصر لتأكيد هذا الأمر وإثباته في أذهان السامعين وإزالة

¹ ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 2 ، ص: 718.

² ينظر: محمد علي أبو العباس ، الإعراب الميسر دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 140.

³ المصدر السابق ، ج 2 ، ص: 718 . وينظر: محمد علي أبو العباس ، الإعراب الميسر دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 140.

⁴ ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 154.

⁵ ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 400.

⁶ ينظر: محمد علي أبو العباس ، الإعراب الميسر دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 139.

⁷ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ص: 2193. (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) .

⁸ ينظر: كمال عز الدين ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار اقرأ ، ط 1 ، 1984م ، ص: 104.

ما يمكن أن يعلق في نفوسهم من التردد في إعطاء الدنيا هذه المنزلة والنظر إليها بهذا المنظور، ويشفع ذلك بالإشارة ليكون المعنى أوضح والصورة أثبت ، وفي الحديث ربطت أداة القسم الواو بين جملتين جملة القسم التي تتضمن المقسم به وهو الله وجملة جواب القسم (ما الدنيا في الآخرة إلامثلا يجعل أحدكم إصبعة هذه في اليم) ، أمّا جملة (فلينظر بما ترجع) فهي جملة تابع لجواب القسم ، ونلاحظ أنه فضلا عن الربط بأداة القسم فقد توفر النص على روابط أخرى هي (ما) النافية العاملة عمل ليس و (إلا) التي أفادت القصر ، والفاء ولام الأمر المرتبطان بالفعل المضارع (ينظر) فتوفر هذه الروابط كلها جعل النص كلاً متماسكاً متسقاً، ثم إن اجتماع الفعلين الكلاميين القسم مع الفعل الذي ورد بعد القصر ، والذي أفاد التمثيل لتوضيح صورة حقيقة الدنيا والفعل المضارع الذي جاء على صيغة الأمر للوقوف على حقيقة الدنيا تمثيلاً ، كل ذلك يجعل القارئ يتفاعل مع محتوى الخطاب وينسجم معه.

- النموذج الثاني :

من الشواهد الشعرية التي ارتبطت فيها واو القسم بعبارة (رب) ما ورد في قصيدة للشاعر المهلهل بن ربيعة التي يقول فيها¹ :

قَتَلُوا كَلْبِيًّا ثُمَّ قَالُوا ارْتَعُوا كَذَبُوا وَرَبِّ الْحَلِّ وَالْإِحْرَامِ
حَتَّى تَلَفَتْ كَتِيبَةٌ بِكَتِيبَةٍ وَيُحِلُّ أَصْرَامٌ عَلَى أَصْرَامِ

يبين لنا الشاعر في البيتين ما اقترفه البكريون بفعلهم الشنيع والمتمثل في قتل كليب ، وهم مع جرمهم هذا كأنهم لم يفعلوا شيئاً ، وقد عكس ردهم على التغلبيين عدم مبالاتهم حين قالوا لهم ارتعوا أي سرّحوا خيولكم ترتع في مراعيها فكأنهم يستهزأون بالتغلبيين ، ويرون أنهم أجبن من أن يأخذوا بالثأر لذلك جاء رد المهلهل التغلبي عليهم عنيفاً في عجز البيت الأول ، فوصفهم بالكذب ثم أقسم برب الحل والإحرام ، فجاءت صيغة القسم مكونة من واو القسم وتلاها المقسم به (رب الحل والإحرام) ، وأما جواب القسم فقد ورد في البيت الثاني (حتى تلف كتبية بكتبية...) وبقية الأبيات التي تليه لأنها تصلح أيضاً أن تكون أجوبة لصيغة القسم الواردة في البيت الأول ويكشف جواب القسم عموماً رد الشاعر على البكريين ، إذ لن يهدأ له بال حتى تعركهم رحي حرب لا تبقي ولا تذر ، وقد ساهم التكرار في البيت الثاني في زيادة تماسك النص واتساقه كما ساهم تظافر الأفعال الماضية والمضارعة في جعل القارئ يتفاعل مع انسجام النص .

ب- باء القسم :

وهي من أحرف القسم "وهو أصل أحرفه ، ولذلك خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو: أقسم بالله لتفعلن ودخولها على الضمير نحو: بك لأفعلن ، واستعمالها في القسم الاستعطافي نحو: بالله هل قام زيد أي أسألك بالله مستحلفاً"² ، من الحروف التي تستعمل في القسم (الباء) ، ومن الشواهد التي وقع اختيارنا عليها ما ورد في

¹ - ديوان المهلهل ، ص: 80.

² - ابن هشام الأنصاري جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1 ، ص: 112.

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ إِنَّ إبليسَ قَالَ لِرَبِّهِ بَعَزْتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرُحُ أَغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ فَبِعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرُحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي ﴾¹.

في الحديث حوارٌ بين الله عز وجل وهو الخالق ، وبين إبليس - لعنة الله عليه- وهو المخلوق ، وقد بدأ إبليس حديثه مقسمًا بعزة الله عز وجل أنه لن يتوانى في إغواء بني آدم ودفعهم لفعل المحرمات ، وهو الذي صرح بذلك لما طرده الله عز وجل من الجنة وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعَزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(ص الآية 82) فجاء رد الله عز وجل عليه مُفحماً له مقسماً فيه الله عز وجل بعزته وجلاله ، بأنه لن يتوانى في مغفرة ذنوبهم ما داموا يستغفرون الله عز وجل ، وقد ربطت باء القسم بين جملة القسم التي تضمنت المقسم به (عزة الله وجلاله) وبين جملة جواب القسم مرتين في الحديث ، فساهمت في ربط تراكيب النص وزيادة اتساقه إضافة إلى تأكيد المعنى ومما زاد في انسجام النص أن المقسم به واحد في قول رب العزة والجبروت ، وفي قول إبليس لعنة الله وأن أطراف الحوار تنحصر في الإغواء لبني آدم من إبليس والمغفرة من الله عز وجل لعباده .

من خلال عرضنا لأدوات القسم والكشف عن الدور الذي تؤديه في الربط والاتساق ، وجدنا أن هذه الأدوات وردت في سور أخرى في القرآن الكريم وجاءت على أشكال متنوعة لكنها لم تُذكر في سورة القصص كما وجدنا أنها تطرد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحتى في الشعر العربي لكننا اقتصرنا - تمثيلاً - على أشهر أدوات القسم (الواو) (الباء) ، لأن هذه الأدوات تتميز بالمباشرة والمكاشفة والرغبة في التأكيد وتغيب عنها مناحي العواطف والأحاسيس ، وهذا ما لمسناه في لغة الحديث وفي لغة الشعر ثم إن الذي يميز صيغ القسم أنها تتظافر مع روابط أخرى مما يجعل النصوص التي ترد فيها من أكثر النصوص اتساقاً وانسجاماً .

سادسا - أدوات العطف :

العطف قسمان: عطف البيان وعطف النسق ، فعطف البيان هو التابع الجامد المشبه للصفة في توضيح متبوعه وعدم استقلاله تقول: نجح علي أخوك ، فأخوك عطف بيان موضح لعلي ، ويوافق متبوعه في أوجه الإعراب وفي الأفراد والتنثية والجمع وفي التذكير والتأنيث وفي التعريف والتنكير² ، وأما عطف النسق فهو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من حروف عشرة كل منها يسمى حرف العطف ويؤدي معنى خاصا ، وتدخل حروف العطف على الأفعال كما تدخل على الأسماء ، وتعمل على ربط ما بعدها على ما قبلها فهي "حروف تجتمع كلها في

¹ - مصطفى بن العدوي ، صحيح الأحاديث القدسية ، ص: 98.

² - ينظر: محمد علي أبو العباس ، الإعراب المبسر دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 122.

إدخال الثاني في إعراب الأول¹ ، هذا الذي يجعلها عاملة ، وغير مختصة بتوسط المعطوف والمعطوف عليه وعددها عشرة وهي : الواو والفاء و ثم أو ولا ويل ولكن الخفيفة وأم وإمّا مكسورة مكررة وحتى وتنقسم هذه الحروف إلى قسمين :

- ما يقتضي التشريك المطلق في اللفظ والمعنى ، أي في الإعراب والحكم وهي ستة: الواو ، الفاء ، ثم ، حتى أم ، إمّا ، أو . وتكون أم وأو للتشريك المطلق ، في غير إفادتهما الإضراب وإلا كانتا للتشريك في اللفظ فقط .
- ما يقتضي التشريك في اللفظ فقط ، أي الإعراب فقط دون الحكم وهي ثلاثة: بل ، لا ، لكن².
وفي بحثنا لا بدّ من البدء بأم باب حروف العطف وهي (الواو) ، ويجب أن يتوفر فيها شرط حتى تؤدي دورها في الربط ، وهو وجود جامع بين الجملتين ، يعني وجود جهة جامعة تصل الجملة الثانية بالأولى ، كما لا يمكن إغفال الحالات الأخرى التي يرد فيها حرف (الواو) ، ويؤدي وظيفته في الربط ، والتي بينها العلماء في مصنفاتهم ومنها : واوالحال ، واو المفعول معه، واوالمعية ، وعلى كثرة أدوات العطف فإننا سنركز في بحثنا على الأهم منها وأكثرها تداولاً في كتب العلماء والباحثين ، مثل: الواو ، الفاء ، ثم ، لكن ، أم ، أو، وسنحيز مجال الدراسة على هذه الأحرف ، وتبيين الدور الربطي الذي تؤديه على مستوى المدونات .

أ- الواو: ومعناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول ، وليس فيها دليل على أيهما كان أولاً نحو: قولك مررت بالكوفة والبصرة ، فجائز أن تكون البصرة أولاً ، وجائز أن تكون الكوفة أولاً³ ، ولا بدّ أن تتوسط بين الأول والثاني ، ولا يهم من يكون الأول أو الثاني ولو العطف أحوال واو المعية وواو الحال .

ب- واو الحال : وقدرها النحويون ب (إذ) من جهة أن الحال في المعنى ظرف للعامل ، وتدخل على الجملة الاسمية وعلى الجملة الفعلية إذا تصدرت بماض ، والأكثر اقترانه ب (قد)⁴ ، ويشترط في الجملة الواقعة حالاً أن تكون خبرية غير تعجبية ، وأن تكون مشتملة على رابط يربطها بصاحبها ليكون المعنى متصلًا بين الجملتين فيتحقق الغرض من مجيء الحال جملة ، ولولا الرابط لكانت الجملتان منفصلتين لا صلة بينهما والكلام مفككا ، والرابط قد يكون واوا مجردة تسمى واو الحال ، وقد يكون الضمير وحده ، وقد يكون الواو والضمير معاً وقد يستغنى عن الرابط أحياناً⁵ ، ولكي يتحقق الربط لا بد من وجود الواو ولو نعدم هذا الضمير أساساً أو افتقد شرط المطابقة بينه وبين صاحب الحال لانشلت عرى التركيب وأصبح مفكك الأجزاء غير مفهوم⁶ ، لذلك فإنّ الواو تغني "عن ذلك يربطها ما بعدها بما قبلها فلم تحتج إلى ضمير مع وجودها"⁷.

¹ - ابن جني أبو الفتح عثمان ، اللع في العربية ، ص: 28.

² - ينظر: محمد علي أبو العباس ، الإعراب الميسر دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 123.

³ - ينظر: ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي ، الأصول في النحو ، ج 2 ، ص: 55.

⁴ - ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 164.

⁵ - ينظر: عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 2 ، ص: 396.395.

⁶ - ينظر: عاشور المنصف :بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ، جامعة تونس، تونس، د.ط، 1991م ، ص 62.

⁷ - ينظر: ابن يعيش موفق الدين ابن علي ، شرح المفصل ، ج 2 ، ص: 65.

ج- واو المعية: تكون بمعنى (مع) كقولك: استوى الماء والخشبة أي استوى الماء مع الخشبة¹. وتربط واو المعية صاحبان بمصحوب لا يستقيم عطفه على الأول لعدم صحة المشاركة في الحدث .

د- الفاء : فهي من الحروف التي تشرك في الإعراب والحكم ، ومعناها التعقيب فإذا قلت قام زيد فعمرو دلت على أن قيام عمرو بعد زيد بلامهلة² ، فهي تُوجب أن بعد الأول وإن الأمر بينهما قريب³ ، وتتعدد معانيها وأقسامها التي فصلها النحاة في كتبهم . فهي أيضاً من الحروف التي تتوسط اثنين ولا يجوز أن يتقدم أو يتأخر ماتوسطته الفاء ، فإذا قلت: قام زيد فعمرو ، فإن الاثنان هما زيد وعمرو والفاء قد توسطت بينهما ، ولا يجوز أن نقول فزيد عمرو قام ولا نقول أيضاً قام زيد عمرو ف ، لذلك لا تجوز كل التراكيب التي لا تحفظ رتبة (الفاء) .

ومن خصائص (الفاء) أنها تربط بين المبتدأ والخبر "وسواء أكان خبر الواقع بعدها مفرداً مثل : أما زيد فمنطلق أم جملة ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْنَا لَهُمْ صَِعَقَةً الْعَذَابِ أَلْهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت الآية 17) ، فإنه لا بد من وجود هذه الفاء الرابطة بين المبتدأ والخبر⁴ ، وهناك أيضاً روابط إضافية بين المبتدأ والخبر يدخل ضمنها الربط الإضافي بالفاء التي تدخل على خبر المبتدأ إذا كان باقياً على كونه مبتدأ ، إذ لم يدخل عليه أحد النواسخ وكان هذا المبتدأ اسماً موصولاً صلته فعل ، وليس معه حرف شرط مثل: الذي يأتيه فله درهم ، أو اسماً موصولاً صلته ظرف ، أو جار ومجرور مثل: الذي عندك فله درهم ، أو الاسم المنكر المنعوت بالفعل الذي لا شرط فيه ، أو المنعوت بالظرف أو الجار والمجرور ، مثل: رجل يأتيه فله درهم أو الاسم المضاف إلى الموصول السابق ، مثل : كل الذي تفعل فلك أو عليك ، ومنه أيضاً كلمة (كل) المضافة إلى المنكر المنعوت السابق مثل: كل رجل يتقي الله فسهل⁵ .

هـ- ثم : حرف عطف يشرك في الحكم ويفيد الترتيب بمهلة فإذا قلت قام زيد ثم عمرو . آذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة⁶ ، وتأتي ثم في الكلام على موضعين⁷ :

الأول: أن تكون حرف عطف يعطف مفرداً على مفرد وجملة على جملة .

الثاني: أن تكون حرف ابتداء .

و- لكن : وهي من حروف العطف تأتي للاستدراك بعد النفي ، ولا يجوز أن تدخل بعد واجب إلا لتترك

¹ ينظر: علي بن محمد النحوي الهروي ، الأزهية في علم الحروف ، ص: 232.

² ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 61.

³ ينظر: ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي ، الأصول في النحو ، ج2 ، ص: 55.

⁴ محمد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، ص: 112.

⁵ المرجع نفسه ، ص: 114.115.

⁶ ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 426.

⁷ ينظر: المصدر نفسه ، ص: 431.

قصة إلى قصة تامة ، فأتمَّ مجيئها للاستدراك بعد النفي فنحو قولك :ما جاءني زيد لكنْ عمرو¹ ، وفي الوقت ذاته فإنْ لكنْ من أخوات (إنَّ) تفيد معنى الاستدراك ، وتختصُّ بالدُّخول على الأسماء والضمائر التي هي واحدة من باب الأسماء ، ويتحدد عملها بنصب الأول وهو اسم لها ورفعالثاني وهو خبر لها .

ر- أم : وهي نوعان : متصلة ، ومنقطعة (منفصلة) ، فالمتصلة هي المسبوقة بكلام مشتمل على همزة التسوية أو على همزة استفهام يراد منها ومن (أم) التعيين ، ومن علاماتها أن تكون متوسطة بين جملتين خبريتين² وأما (أم) المنقطعة المنفصلة فهي التي تقع - في الغالب- بين جملتين مستقلتين في معناها لكل منهما معنى خاص يخالف معنى الأخرى ، ومن علاماتها أنها لاتقع مطلقاً بعد همزة التسوية ولا بعد همزة الاستفهام³ .

ح- أو : حرف وظيفته العطف ، يعطف مفرداً على مفرد أو جملة على جملة ، وذهب الجمهور أنها تشترك في الإعراب لا في المعنى⁴ ، والحاصل في العطف أنه يعمل على الكشف عن التابع الدلالي في فضاء النص ، فتأتي التراكيب اللغوية بواسطته متسلسلة يحكمها الترابط والتماسك من ناحية الشكل ، ومن ناحية أخرى فإنَّ هذه التراكيب تدور حول فكرة محورية واحدة ، أو دلالة كلية ثابتة وفق مبدأ الانسجام مما يعكس الإمكانيات الذهنية المنتظمة داخل البنية النصية الكبرى ، وهذا ما اتضح لنا من خلال تتبع المدونات التي شملها التطبيق ومن خلال المثال الذي نستشهد به في الكشف عن الدور الذي تؤديه حروف العطف .

وقد وجدنا أن خير ما نختم به بحثنا أن نمثّل لحروف العطف بنصٍ من نصوص (فن المقامة) ، هذا الفن الذي مثّل العصر العباسي زمن ولادته على يد أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ، وقد وقع اختيارنا على المقامة (القريضية)⁵ وكان السبب من وراء اختيارنا للمقامة هو ما تتميز به من وفرة روابط العطف وتنوعها ، إضافة إلى أن فن المقامات من الدروس المقررة في برنامج اللغة العربية للسنوات الثانية من التعليم الثانوي ، وقد لفت انتباهنا ملمحٌ مهمٌّ وهو أن المقامات عمومًا عند الهمداني أو الحريري أو السرقسطي ، يميزها نوعٌ من الربط وهو الربط الإضافي الذي تعبر عنه الأدوات الواو ، الفاء ، ثم ، أم ، أو ، لكن ، حيث يتم الربط بين الجمل عبر إضافة معنى جديد ، إذ تضيف كلُّ جملةٍ لاحقةٍ إلى سابقتها عنصراً إخبارياً جديداً ، سواءً عبر التابع من خلال الأدوات (الواو ، الفاء ، ثم) أو عبر التخيير بإضافة أحد المعنيين من خلال الأدوات (أم ، أو) أو عبر الاستدراك أو الإضراب بالأداة (لكن) فيسهم تراكم الدلالة في بناء معنى النص .

¹ ينظر: ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي ، الأصول في النحو ، ج2 ، ص: 57.

² ينظر: عباس حسن ، النحو الوافي ، ج3 ، ص: 585.

³ ينظر: المرجع نفسه ، ج3 ، ص: 597.

⁴ ينظر: المرادي الحسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص: 227.

⁵ مقامات أبو الفضل بديع الزمان الهمداني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة الأسرة ، 2002م ، ص: 17.

إن ما يميز نصوص المقامة أنها من النصوص القصصية التي تعتمد في بنائها على تراكم الأحداث ، وإضافة حدث إلى آخر لبناء الحدث الأساسي أو الحدث المركزي ، وهو حدث الإحتيال الذي يرويه الراوي ، وهذا المنحى مشترك في المقامات جميعها ، لكنه يختلف من مقامة إلى أخرى ، ولذا فإن الربط الإضافي يعدُّ ربطاً مفصلياً على مستوى المقامة الواحدة على نحو ما وجدناه في المقامة القريضية في قول البديع: (حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: طَرَحْتَنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ الْأَفْصَى. فَاسْتَظْهَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ الْعِمَارَةِ، وَأَمْوَالٍ وَفَقْتُهَا عَلَى التَّجَارَةِ... وَزُفْقَةَ اتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً... فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَكَّرُ الْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ، وَتَلَقَّاءَنَا شَابٌ... قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُدَيْقَهُ، وَوَأَفَيْتُمْ جُدَيْلَهُ... فَقُلْتُ: يَا فَاضِلُ أَدُنْ فَقَدْ مَنَيْتَ ، وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ، فُقلْنَا: مَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ؟ قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالْبَيْتِ وَعَرَصَاتِهِ... قُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ؟ قَالَ: يَتَلَبُّ إِذَا حَنَقَ، وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ... قُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي طَرْفَةِ؟ قَالَ: هُوَ مَاءُ الْأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا، وَكَنَزُ الْقَوَائِي... قُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي جَرِيرِ وَالْفَرَزْدَقِ؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرْقَى شِعْرًا، وَأَعَزُّ عَزْرًا وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتٌ صَحْرًا، وَأَكْتَرُ فَحْرًا... قُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي الْمُحَدَّثِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا، وَأَكْتَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا، وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَطْفُ صُنْعًا... قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ، فَأَنْتَلْتُهُ مَا تَأَخ... فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأَثْبَتُهُ ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَائِي، فَقُلْتُ: الْإِسْكَندَرِيُّ وَاللَّهِ، فَقَدْ كَانَ فَارِقَنَا خَشْفًا، وَوَأَفَانَا جِلْفًا، وَهَضُّتْ عَلَى إِثْرِهِ، ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى حَصْرِهِ، وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ؟ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ؟ فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى فَصْحَكَ إِلَيَّ وَقَالَ:

وَيُحْكُ هَذَا الزَّمَانَ زُورٌ فَلَا يَعْرِتُكَ الْعُرُورُ

لَا تَلْتَرِمُ حَالَهُ، وَلَكِنْ دُرٌّ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

يتم الربط بين الجمل في هذه المقامة من خلال أدوات الربط (الواو، الفاء ، ثم) التي تعمل على تتابع الأحداث التي تصور احتيال الشيخ أبي الفتح الإسكندري بالاستجداء ، وتبيان مكانته العلمية بالاجابة على أسئلة جلسائه ويسهم في بناء هذا الربط على مستوى المقامة الواحدة ، وحدة الراوي حيث تصدر رواية هذه الأحداث على لسان شخصية واحدة هي شخصية عيسى بن هشام¹ .

وبتتبعنا لأحداث المقامة فإننا نجد أنَّ دور الربط الإضافي لا يقتصر على بناء الحدث الرئيسي عبر تتابع الأحداث وإنما يعمل الربط أيضا على بناء الوصف داخل المقامة ، لأنَّ نصوص المقامة نصوص حكاية يتخللها كثير من الوصف الذي يقطع تتابع الأحداث ، وفي هذه الحالة يأتي دور الربط الإضافي في تقديم معلومات عن المراجع المستخدمة في بناء النص عبر مجموعة من الجمل المتتابعة ، على نحو ما نجد في وصف المراجع الآتية في

¹ - ينظر: عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 163.

المقامة القريضية (الراوي ، الشيخ المحتال ، وصف ضيق الحال وكثرة العيال) عبر تتابع إضافي للجمل فالراوي (عيسى بن هشام) يصف نفسه بقوله : (طرحني النوى مطارحها حتى إذا وطئت جرجان الأقصى فاستظهرت على الأيام بضياح أجلت فيها يد العمارة) ثم يصف الشيخ المحتال بقوله: (...وتلقاها شاب قد جلس غير بعيد يُنصت وكأنه لا يعلم) ، ثم يصف ضيق الحال وكثرة العيال بقوله : (أما تروني أتغشى طمرا ممتطيا في الضر أمرا مرا لولا عجز لي بسُرِّ من را وأفئخ دون جبال بُصرى) ، وبذلك يعد الربط الإضافي وسيلة بناء المقامة الواحدة سواء من خلال إضافة حدث إلى حدث لبناء الحدث الرئيسي ، أو من خلال إضافة خبر إلى خبر لبناء الوصف داخل المقامة . وعبر فضاء المقامة تتوزع روابط العطف بين الجمل المتعاقبة ، مما يشكل كلا واحدا متماسكا .

إنَّ العطف من أهم الوسائل التي تربط التراكيب بطريقة ظاهرة فهو "إحدى الوسائل الأساسية للربط النحوي في النصوص ، وتتمثل في مجموعة من الأدوات التي تظهر في سطح النص وتربط بين الجمل ، فتشير إلى أنواع العلاقات الدلالية بين الجمل على مستوى النص"¹ ، لأنَّ الجمل والتراكيب المعطوفة والمتتابعة تأخذ حكم ودلالة التراكيب المعطوفة عليها مما يجعل دلالة حروف العطف متعددة ، بحسب الاستعمالات الوظيفية التي تحددها ولا بدَّ من الإشارة إلى ملامح مهم يتعلق بحروف العطف وهي أنها من أكثر الروابط حضوراً في النصوص كما أنَّ تحديدها والوقوف على دورها ومعانيها أمر يسير .

وقد سجلنا في النصوص التي اعتمدها في التمثيل اقتران حرف العطف (الفاء) بالأفعال عموماً ، وبفعل القول خصوصاً على نحو (فقال فقلت فقلنا...) وهذا راجع إلى طبيعة المقامة التي يكثر فيها الحوار الذي يعتمد على التصوير والوصف ، وأما الأفعال التي اقترنت بحرف الفاء على نحو (فاستظهرت ، فدنا ، ففضل ، فأنلته فجعلت...) فإنها توحى بالحركية والنشاط الذي يميز جَوَّ المقامة ، مما يجعل حروف العطف قرائن دالة على انعدام الانفصال بين الجمل المتعاطفة مما ينشأ عنها دلالات من خلال العلاقات السياقية التي يحققها كل حرف حسب معناه الوظيفي ، وقرائن السياق ، مما يمنح كل حرف معانٍ وظيفية داخل التركيب الواحد ، فيجعل (الواو) دالة على مطلق الجمع ، (والفاء) دالة على الترتيب والتعقيب ، (والم) على الترتيب والتراخي ، ومعنى التخيير والتسوية في (أم) و(أو) وتتوسع المعاني الدلالية كالإشراك والإباحة والتخيير والتعميم أو التفصيل ، وثُمَّ المعاني من خلال التراكيب التي يرد فيها العطف فيتحدّد معناه الوظيفي اعتماداً على السياق والقرائن المقالية والحالية ، فيتحدد بذلك المغزى من تتابع الجمل داخل النصوص " لأنَّ العطف يوجه نظرنا إلى طبيعة تعاقب الجمل داخل النص"²

¹ - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص: 162.

² - جون كوهن :بنية اللغة الشعرية،ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب، ط1 1986 ، ص157 .

" فالتوسع بالعطف قد يشمل في تحليل الجملة العربية بالدلالات المنتظمة داخل وحدة كلامية قائمة برأسها ، حتى يلتقي الشكل التركيبي بالشكل المعنوي " ¹.

خُلاصة :

أتضح لنا في هذا الفصل أنّ أهم الروابط غير الإحالية تمثلت في أدوات العطف / النفي / الشرط/ النداء/ الاستفهام/ القسم ، وقد سجلنا سيطرة أدوات العطف على النماذج التطبيقية التي اخترناها ، جاء أغلبها ممثلاً في حرف العطف (الواو) وتلاه حرف (الفاء) وجاء حرف (ثم) ثالثاً ، وهي أدوات منحت نصوص التطبيق مع دلالية متعددة ومتنوعة ، وحققت انسجامه من خلال تفاعل معانيها الوظيفية المحققة لاتساق النصوص مع السياق المقالي والحالي ، ولم تكتف أدوات العطف في عطف المفردات على بعضها بل تجاوزتها إلى عطف التراكيب المشتركة في الحكم ، وهذا ما حقق الاتساق النصي ، وفي حالة غياب التشريك بين التراكيب فإنّ هناك مبادئ يجب أن تُراعى ، وأهمها مبدأ المناسبة بين المتعاطفين ، وهو من أهم المبادئ السياقية التي تندرج ضمن آليات الانسجام .

وقد جاءت أدوات النفي في المرتبة الثانية من حيث نسبة وجودها في نماذج التطبيق ، وغلب عليها (ما) النافية خاصة في سورة القصص ، ثم جاءت بقية أدوات النفي في المرتبة الثانية بنسب متقاربة ، وقد وقفنا على نوع النفي الذي أدته هذه الأدوات فهي تفيد النفي الصريح للفعل أو الاسم كما أنّ نفيها لا يتعلق بزمن المستقبل فقط بل يتجاوز ذلك إلى الدلالة على مطلق الزمن في الماضي والمضارع والمستقبل ، وهذا ما لمسناه في نماذج من سورة القصص خاصّة ، لأنّ الله عز وجل يورد الفعل دالاً وشاملاً على الأزمنة جميعها ، كما أنّ الدلالة الوظيفية للنفي لا تقتصر على النفي فقط ، بل تتجاوز أدوات النفي دلالتها هذه إلى معان دلالية تفهم من سياق الكلام وهي التي نعرفها باسم الأغراض البلاغية كالرفض ، والتأكيد ، والمدح ، وهذا ما يجعل النصوص أكثر انسجاماً .

ثم جاءت أدوات الشرط في المرتبة الثالثة تصدرت فيها الأداة (لما) التي وردت بمعنى (حين) ، إذ وجدنا أنّها تحتل المرتبة الأولى في سورة القصص ، وهي من أدوات الشرط غير الجازمة ، لأنّ دلالتها على الجزم المتحقق بمعنى اليقينية في حدوث الفعل ، وذلك بخلاف أدوات الشرط الجازمة — (إن) التي تعمل الجزم لكنها تدل على الشك وعدم اليقين ، وقد وقفنا على الدالتين معا في نماذج التطبيق ، وعموماً فإننا لمسنا الدور الذي أدته أدوات الشرط في نماذج التطبيق من خلال ربطها بين التراكيب اللغوية والوحدات الجمالية والقضوية التي تتعلق فيها أجوبة

¹ - عاشور المنصف ، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ، ص 70 .

الشرط بأفعال الشرط ، ولا تتحقق الأجوبة إلى بتحقق الأفعال وهذا ما يدل على أن النصوص التي تتوفر على التراكيب الشرطية هي نصوص مكتملة التركيب وشديدة التلاحم والاتساق ، كما أن التعلق الشرطي من موجبات الانسجام النصي .

ثم جاء بعد أدوات الشرط من ناحية نسبة الحضور في نماذج التطبيق أدوات النداء ، التي مثلنا لها بثلاث أدوات تصدرت فيها الأداة (يا) ثم (أي) ثم (أ) ، والسبب في تصدر الأداة (يا) كونها أم باب النداء ، ولأنها تصلح لنداء البعيد حقيقة أو حكما والقريب توكيدا ، وقد أدت أدوات الربط دورها في زيادة الاتساق النصي وتحقيق أفعال كلامية كالتنبيه ، والتخصيص ، والتمني ، والنصح ، والتوجيه ، والإرشاد ، إضافة إلى تنوع الاقتران في أدوات النداء ، إذ وجدنا أنها تقترن أحيانا بنداء إنسان لإنسان ، وأحيانا بنداء الله عز وجل للإنسان وهذا ما يجعل المتلقي يبحث عن مقاصد هذا النداء مما يجعله منسجما مع الخطاب .

وجاءت أدوات الاستفهام في المرتبة الخامسة حضوريا في نماذج التطبيق ، وأكثر الأدوات ورودا همزة الاستفهام ويعمد المتكلم بواسطة أدوات الاستفهام إلى طلب المعرفة من المخاطب لشيء مجهول عند السائل ، ومن خلال النماذج التي اعتمدها في التمثيل اتضح لنا دورها الرابطي في النص ، من خلال زيادة الاتساق والجمع بين أجزاء النص إضافة إلى المعاني التي تتجاوزها هذه الأدوات في التراكيب بناءً على السياق ، فيفهم المتلقي أن دلالتها في هذه الحالة ليست حقيقية ويعمد المتلقي حينها إلى استنباط الأغراض البلاغية لها مما يجعله منسجما مع التصوص التي ترد فيها الصيغ الاستفهامية ومن معانيها التقرير والاستبعاد والتهديد ..

وأما أدوات القسم فهي من أقل الأدوات حضورا في نماذج التطبيق ، وقد اقتصرنا في التمثيل لها بأداتين هما (الواو الباء) أقسم فيهما الرسول صلى الله عليه وسلم ، باسم الله في الحديث الذي ذكرناه في نموذج التطبيق ثم ذكرنا صيغة أخرى استعملها المهلهل في قصيدته وهي (ورب الحل والإحرام) ومثلنا للقسم بحرف (الباء) في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والذي ذكر فيه الحوار بين الله عز وجل وبين الشيطان ، وسواء كان القسم من الإنسان أم من الله فإن هذه الصيغة تعمل على زيادة الاتساق النصي والربط بين أجزاء النص ، إضافة إلى المعاني التي تحققها والتي يستنبطها القارئ مما يجعله منسجما مع هذا النوع الأسلوبي الذي يعمل على إشاعة أفعال كلامية كالتأكيد ، والتقرير ، في النصوص التبليغية التعليمية التوجيهية .

خاتمة

بعد انتهاء البحث النظري والتطبيقي الذي حاولنا من خلاله الوقوف على الجوانب المشكّلة لموضوع الروابط النصية وأثرها في الاتساق والانسجام الخطابي في نماذج التطبيق ، تبين لنا جملة من النتائج وهي على النحو الآتي:

1- لقد مهد العلماء العرب الطريق أمام الباحثين المحدثين في مجال علم اللغة الجُملي والنصي ، خاصة ما تعلق بالروابط النصية التي اعتبرتها لسانيات النص القاعدة التي تُبنى عليها ثنائية الاتساق والانسجام كونها مؤشر تُقاس به نصية النص .

2- إنَّ الدور الذي تؤديه الروابط النصية يمس النص في جزئياته الأولى ، والتي تتعلّق بالاتساق والثانية تتعلّق بالانسجام ويتحقّق الاتساق في ظاهر النص من خلال الأدوات الشكلية والروابط النصية ، التي تساهم في تعالق الأجزاء والوحدات اللغوية المختلفة للنص ، حيث تمنح النص نوعاً من التلاحم والتماسك عن طريق أدوات معينة تُسمى الروابط النصية ، وأما الانسجام فإنَّ تحقّقه مشروطٌ بتحقيق الاتساق ، لأنه لا يمكن الحكم على انسجام النص ما لم يكن متّسقاً ، ويقوم الانسجام على مجموع العلاقات الخفية التي تحقق مبادئ التماسك الدلالي ك (مبدأ التّغريض ومبدأ التّأويل المحلي ، والمعرفة الخلفية للعالم ، والسِّياق والأفعال الكلامية .)

3- تعمل الروابط الإحالية على تحقيق نوعين من الإحالة ، الأولى إحالة داخلية والثانية إحالة خارجية ومنها: التكرار ، الضمائر ، أل التعريف ، الأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة ، وتتنوع هذه الروابط بناء إلى ما تحيل إليه ، فالتكرار يحيل إلى سابق ، وضمير الشأن وضمير القصة مثلاً يحيلان إلى لاحق ، وضمائر الغائب تحيل إلى إحالة داخل النص ، وضمائر المتكلم والمخاطب تحيل إلى إحالة خارج النص ، ولا بدّ من توفر شروط في هذه الروابط حتى تحقق الاتساق والانسجام في النص ، وهو أن تتطابق العناصر المحيلة مع العناصر المحال إليها ، من أجل أمن اللبس ووضوح المعنى ، إضافة إلى التكامل بين جميع الروابط النصية الشكلية لتحقيق اتساق النص ، وهذا ما يؤدي إلى التفاعل بين هذه الروابط دلالياً وتداولياً مما يفضي إلى انسجام النص .

4- يتعلّق مفهوم التّغريض بالارتباط الوثيق بين ما يدور في النص ، وبين عنصر من عناصره وتعمل بعض الروابط الإحالية بواسطة إحالاتها النصية على تغريض هذه العناصر ، ممّا يجعلها بؤرة الخطاب ، وموضوع النص مما يسهم في ضبط انسجام النص وفهم غوامضه .

5- إنَّ ربط دلالة الغياب بالضمير في دائرة الخطاب ، يعني أن الإبهام الذي وُصف به يتعلق بالحالة التي يكون فيها الضمير معزولاً عن التركيب غير داخل فيه ، فإذا أستعمل ودخل في التركيب أصبح من أشد الأسماء تعييناً ، وأخذ قيمة الاسم الذي عُوض به ، ويعني هذا أن الضمائر تحل محل الأسماء والصفات وتعوضها تفادياً للتكرار ، ومن ثم كان الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار ولا يقف دور الضمير عند هذا الحد بل يتعداه إلى كونه يؤدي إلى الترابط الدلالي ، ويعمل على منع تجدد الدلالة

واحتمالية المعنى ، فإذا أضمرنا ارتفع اللبس ، لأنَّ الضمير يحيل إلى مراجع موجودة داخل النص وخارجه وهذا ما يحقق للنص اتساقه .

6- هناك علاقة بين الإضمار الذي يعتمد إليه المتكلم أثناء العملية التواصلية ، والمخاطب الذي ينبغي أن

يكون على علم بالشيء المضمر ، وقد ربط النحاة بين الإضمار والمعرفة ، واعتبروا الإضمار معرفةً مشترطين فيه علم المخاطب بما أضمر ، وأن يعلم المتكلم بأنَّ المخاطب على علم بالمضمر ، لأنَّ في هذا انسجام للخطاب .

7- يحدث أن يحيل الضمير إلى غير ماهو معتاد إليه تجاوزاً في النص ، بحيث تنعدم في التراكيب الصيغ

الموافقة للمتكلم والمخاطب دون أن ينعدم مطلقاً من حيث الدور الذي تؤديه هذه الصيغ الكلامية التي تتميز بقدرتها على التعدد ، والتشكيل ، والتنوع إلى تعويض المتكلم والمخاطب بالغايب في عملية الخطاب من خلال تبادل الأدوار ، وذلك تحقيقاً لأغراضٍ كلامية متعددة ، مما يمنح اللغة العربية سمة المرونة التي تزيد نصوصها اتساقاً وانسجاماً.

8- من الروابط الإحالية التي تؤدي دور الاتساق والانسجام النصي أداة التعريف (أل) إذ تؤدي وظيفة

الترابط والاتساق في النص ، ويتأتى لها ذلك من خلال اتفاق الإحالة بين الاسم المعرف وعنصر آخر متقدم عليه أو متأخر ، وهي بذلك تشبه الضمير من حيث إشارتها إلى شيء سبق ذكره ، ولا تحقق كل أنواعها الربط وإنما يقتصر دورها الرباطي على (أل) العهدية عهداً ذكرياً أو ذهنياً ، إضافة إلى (أل) النائبة عن الضمير أما (أل) الجنسية وذات العهد الحضورى فليستا من أدوات الربط المباشرة ، وتؤدي (أل) العهدية دوراً مهماً في تحقيق آلية من آليات الانسجام ، وهو ما يُعرفُ بمبدأ التأويل المحلي ، ويرتبط هذا المبدأ بما يمكن أن يُعتبر تقييداً للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق ، وذلك بإقصاء كل التأويلات التي لا تنسجم مع السياق النصي وتعمل (أل) ذات العهد الذهني على تفعيل شبكة العلاقات التي تربط معاني الوحدات اللغوية في النص ، وهي ما يعرف بالمعرفة الخلفية للعالم ، إذ تتأسس انطلاقاً من كون المستمع / القارئ حين يواجه خطاباً ما ، لا يواجهه وهو خالي الوفاض ، وإنما يستعين بتجاربه السابقة ، بمعنى أنه لا يواجهه وهو خالي الذهن ويساعده هذا على التأويل الصحيح والانسجام مع النص .

9- يعمل التكرار بأشكاله المختلفة (حرفاً ، أو لفظاً ، مفرداً ، أو جملة) ، على زيادة التماسك النصي

والانسجام الدلالي ، ويكشف عن ذلك المعاني والأغراض البلاغية المستنبطة منه كالتأكيد والإلحاح والوصف والتنبيه والتعظيم.

10- من وسائل الربط التي تفيد مدحا أو ذما للمرجع ، الربط بالاسم الموصول وله أهمية بالغة في اتساق النص ، فهو يقوم بوظيفتين أساسيتين في النص هما الربط ، والإحالة إلى ما قبله من الكلام ، وتكمن أهميته و دوره أنّ فيه طاقة للربط بين أوصال الجملة أو السياق القائم على أكثر من جملة.

11- ما يميز أسماء الإشارة ، أنّها من أكمل الروابط تمييزاً وتعييناً ، لأنها تزيل الإبهام والاشتباه إذا ذُكرت

ويتعين مدلولها بالعقل مقرونا بإشارة حسية إليه ، ويحيل اسم الإشارة في الغالب إلى خارج النص ، وذلك عندما تكون المراجع الأصلية المحال إليها خارج دائرة الحوار .

12- جاءت الروابط غير الإحالية في هذا البحث ، ممثلةً في مختلف الروابط التي تؤدي دور الوصل في التراكيب اللغوية ، وهي أدوات تنتشر في ثنايا النصوص منها أدوات العطف ، والجر ، وأدوات ، القسم ، وأدوات النداء ، وأدوات الشرط ، وأدوات الاستفهام ، وأدوات النفي، وقد أشرنا إلى دورها في تأكيد اتساق النص إضافة إلى ضبط المعنى ، وبالتالي فإنّ دورها لا يقتصر على الربط التركيبي بين الجمل ، بل تتجاوز هذا المنحى النحوي إلى منحى يشمل كل النص ، من خلال التأثير في المتلقي من خلال تحقيق أفعال كلامية كالاستفهام والشرط والنفي والقسم ... مما يجعل النص منسجما ، وهذا ما تطرقنا إليه من خلال النماذج التي مثلنا لها وقمنا بتحليلها ومما يميز هذه الروابط أنّها قد تخرج عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ تُفهم من سياق الكلام ، وذلك حسب طبيعة استعمالها وقد وقفنا على ذلك في نماذج التطبيق ، فوجدنا في سورة القصص وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قصائد الشعراء أنّ النداء ليس الغرض منه لفت الانتباه ، وأنّ غرض الاستفهام ليس انتظار الجواب ، وأنّ القسم لا يراد به الإلزام ، وهذا يعود إلى طبيعة اللغة في القرآن الكريم ، والحديث النبوي والشعر العربي، وقد جاءت نصوص التطبيق مختصرة تمثلت في نماذج من آيات سورة القصص وأحاديث ليست بالطويلة وشواهد شعرية احتوت على روابط غير إحالية ، في حين ذكرنا نماذج تطبيقية أخرى غابت فيها هذه الروابط كحذف أداة النداء أو حذف أداة الاستفهام ، والغرض من هذا الحذف تحقيق معنى بلاغي وتأثيري ، ومن خلال تتبعنا لهذه الروابط التركيبية في نماذج التطبيق وجدنا أنّها لا تحدد الزمن ، إنّما يتدخل في ذلك السياق والاستعمال ، وهذا ما لمسناه في سورة القصص عندما وجدنا أنّ هناك أفعالا تدل على مطلق الزمن ، كما أنّ هناك أفعالا في نماذج أخرى قيّد زمنها السياق والاستعمال ، أمّا من حيث نسبة الحضور في المدونات فقد وجدنا أنّ هناك روابط انتشرت بكثرة في نصوص التطبيق مثل العطف / النفي / الشرط / النداء / الاستفهام / القسم .

13- اتضح لنا الدور الذي تؤديه أدوات الشرط من خلال ربط جزئي الكلام بحيث تجعل الجملة الأولى

سببا (شرط) في حدوث الجملة الثانية (الجواب) ، ويُسمى هذا بالوصل السببي بين فعل الشرط وجوابه وعلى الخلاف وجدنا أنّ أدوات الاستثناء تؤدي الوصل العكسي ، لأنّ وصلها متعلق بما بعدها كما تعمل على إستثناء الشيء وإخراجه مما دخل فيه غيره ، أو إدخاله فيما خرج منه ، غيره ويدل هذا على أنّ هذه الأدوات هي الضابطة لترتيب أجزاء النص وتوجيه معانيه وبالتالي فإنّها من مظاهر اتساق النص .

14- تنصدر أدوات الاستفهام جملتها ، ولا يعمل فيها ولا في أيّ جزءٍ من أجزاء جملتها ما قد يسبقها من

أفعال وغير أفعال ، وما يميزها عدم اختصاصها ، فهي تدخل على الفعل ، كما تدخل على الاسم ، ويفرض سياق استعمالها طلب المعرفة من المخاطب حقيقة أو مجازا ، لتحقق دورها على مستوى النص من خلال تأكيد الترابط النصي ، إضافة إلى الكشف عن معانٍ متعددة في النص تساعد على انسجام المستفهم معه مع النص كالتقرير والإنكار والنفي والتهكم والتحسر.

15- من خلال عرضنا لأدوات النفي اتضح لنا الدور الذي تؤديه من خلال ربط الجمل المنفية بالنص

وجعلها أحوالا أو اخبارا أو صفات أو أجوبة للشرط ، مما يوسع دورها في زيادة اتساق النص والتحام أجزائه .

16- اتضح لنا الدور الرابطي الذي تؤديه أدوات النداء في التراكيب اللغوية التي ترد فيها ، مما يدل على

أنّ وجودها ضروريٌّ في اتساق النصوص وانسجامها ، كما أن حذفها يحدث خللا في التركيب وفي الأسلوب مما يشتت فهم المتلقي ويبعده عن الانسجام.

17- تقوم أدوات العطف بربط التراكيب بطريقة ظاهرة ، وتتجلى فائدتها النصية من خلال تجاوز عطف

المفردات إلى عطف الجمل والتراكيب المشتركة في الحكم ، وهذا ما يعمل على تحقيق الاتساق النصي ، فهي إحدى الوسائل الأساسية للربط النحوي في النصوص ، وتتمثل في مجموعة من الأدوات التي تظهر في سطح النص وترتبط بين الجمل ، فتشير إلى أنواع العلاقات الدلالية بين الجمل على مستوى النص ، وتعدد هذه العلاقات باعتبار وجود التشريك بين الجمل أو عدم وجوده ، ففي حالة غياب الجمع على المستوى السطحي بين الجمل يُراعى مبدأ المناسبة بين المتعاطفين ، ويحدد هذا المبدأ سياق النص مما يحقق للنص انسجامه ، وقد عالج البلاغيون هذا الملمح الذي يستغني فيه المتكلم عن أدوات الربط الشكلية ، ويلجأ إلى الربط بنوع آخر وهو الربط المعنوي

المسمى بالفصل ، وتراعى فيه العلاقات الدلالية بين الجمل التي تبدو منفصلة ، ويعتبر هذا أيضا آلية من آليات الانسجام .

18- جاء توزيع الروابط في نصوص المدونات عفويا لا تكلف فيه ، في النصوص الشعرية مما جعل هذه النصوص متسقة ومحكمة البناء شكلا ، وجعل المعاني قوية ومؤثرة في المتلقي ، كما منحها درجة عالية من الانسجام ، وقد اتضح لنا دور هذه الروابط في العملية التواصلية في نصوص المدونات من جهة ، كما اتضح لنا دورها في حالة حذفها من التراكيب ، إذ تبدو التراكيب في غيابها مختلفة التركيب وفسادة المعاني من جهة أخرى وهذا يدل على أنّ هذه الروابط جزء أساسي في بناء أي نص من النصوص ، وكل ما كان النص محكم البناء ورسين الأجزاء ساهم في التأثير في المتلقي وجعله ينسجم مع هذه النصوص ، ولا يخفى علينا فصاحة القرآن وإعجاز بيانه ، كما لا يخفى علينا إحكام الأحاديث النبوية ودقة معانيها وسحر عباراتها ، يضاف إلى ذلك شعر العرب وديوانهم الذي تفننوا في سبك عبارته ونسج أبياته والربط بين أغراضه ومعانيه ، وهاهو الإمام جار الله **الزمخشري** يصف في مقدمة كتابه (الفائق في غريب الحديث) فصاحة الحديث النبوي الشريف والذي استلهم منه الفصحاء سحر البيان وروعة الأسلوب يقول : " ثم إنّ هذا البيان العربي كأن الله عزت قدرته مخضه ، وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام ، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرّجل ، وما من مصقع يناهزه ، إلا رجع فارغ السجل ، وما قرن بمنطقه منطقٌ إلا كان كالبرذون مع الحصان المطهّم ، ولا وقع في كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبهه الوضح في نّبة الأدهم " .

19- حاولت في هذا البحث الإجابة على أسئلة طرحت في مواطن كثيرة ومواقف متعددة مؤداها استحالة تطبيق المنهج اللساني النصي على النصوص المقدسة والنصوص الشعرية ، والكشف عن الدور الذي تؤديه الروابط في الاتساق والانسجام النصي ، كون أنّ هذه الروابط تمثّل أهمّ جزئية في نظرية الاتساق والانسجام ، ووقفنا عند جزئية من هذه الروابط وإسقاطها على نصوص التطبيق يجعلنا متيقنين ، ليس لأننا عرب ولغتنا الأم هي العربية بل لما تتميز به هذه اللغة الساحرة والأسرة من خصائص جعلتها تتفرد عن بقية اللغات ، ويزيدنا هذا قناعة بأنّ كلام الله عز وجل ثم كلام نبيه صلى الله عليه وسلم ثم كلام الشعراء ، له نسق خاص ونظام معين وخصائص مستمرة وحوادث مرتبطة بواقع اجتماعي محدد ، أو مرتبطة بغبييات في علم الله ستحدث ، وهذا ما يجعل أيّ إنسان عاجزا على أن يأتي بتركيب يشبه القرآن الكريم أو أسلوب يداني فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم ، أمّا قصائد الشعر فإنّ سر تميزها يكمن في دقة التعبير ومتانة التركيب وجودة الأسلوب ، فقد نقل بها الشعراء لحظات شعورية اختلجت بها أنفسهم وعبروا بها عن رغباتهم وآلامهم وآمالهم ، وجاءت هذه المشاهد في قصائدهم منسجمة مع أفكار الناس وعواطفهم وإنفعالاتهم ، وكيفية انتقاء وتردد الروابط في نصوص التطبيق أكسبتها الوحدة والتماسك ، والحياة والحركة ، والإيجاز وعمق الدلالة ، والإقناع والتأثير في المتلقي .

20- لم تتعرض هذه الدراسة لجميع الروابط النصية الإحالية وغير الاحالية ، فقد حاولت استخراج الأهم

منها في نماذج التطبيق وتبيان دورها في الاتساق النصي ، لكن هذا لا يعني أنني لم أتوسع في تناول بقية الروابط وتبيان دورها في اتساق وانسجام سور القرآن أو الحديث أو الشعر العربي ، بحيث يصبح استخراجها والوقوف على دورها الربطي سهلاً ، مما يسهل للمتلقي فهم النصوص ويكشف له عن جوانب الاتساق والانسجام فيها .

21- إنَّ دراسة مظاهر الاتساق والانسجام هي إحدى المحطات التي يدرسها تلميذ الطور الثانوي ، وتأتي هذه المحطة بعد أن يقف التلميذ على تعريف صاحب النص ، ومناسبة النص ، ثم ينتقل إلى إثراء الرصيد اللغوي ثم يقوم باكتشاف معطيات النص ، ثم يناقش معطيات النص ، وبعد ذلك ينتقل إلى تحديد بناء النص ، لكن تطرق التلميذ إلى هذه المحطات سطحي ومختصر جداً ، لا يتجاوز العشر دقائق بما في ذلك الوقوف على مظاهر الاتساق والانسجام ، والمعلوم أنها نظرية قائمة بذاتها ، لذلك فقد وجه السادة الأساتذة عن طريق السادة المفتشين نداءً إلى الوصاية من أجل تخصيص وقت أكبر فيما تعلق بدراسة مظاهر الاتساق والانسجام ، حتى يتمكن التلميذ من تحصيل كفاءات بخصوصها .

22- هناك جزئية مهمة وقفنا عليها ونحن نرصد مختلف الروابط النصية الإحالية وغير الإحالية في نماذج التطبيق فضلاً عن الدور الذي تؤديه في الربط وزيادة الاتساق والانسجام النصي ، وجدنا أن هذه الروابط تثير في ذهن المتلقي صوراً متخيلةً ، فتجعله يتصوّر المشاهد ، وكأنها ماثلة أمامه بمجرد قراءته أو سماعه لصيغ الروابط وهذا ما يحيلنا إلى علم قائم بذاته وهو علم اللُّغة الحركي ، من خلال المواقف الإشارية ، والحركية ودلالاتها على المعاني ، ولنا أن نتصوّر أخت موسى عليه السلام وهي واقفة منفعلة تنظر إلى أخيها يكي ، وتقول لمن حولها هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه ، ولنا أن نتصور شعيب وهو يشير إلى ابنته ويقول لموسى إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ، ولنا أن نتصور الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول لعائشة رضي الله عنها أميطي عنا قرامك هذا ، فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي... وقد أشرنا إلى أن مثل هذه الإشارات يُربط فيها النص بسياق المقام ويبقى مجال البحث فيها جزءاً مهماً في حقل الدراسات اللسانية النصية المعاصرة .



فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكرم بربابة حفص عن عاصم. والنسخة الرقمية لمصحف المدينة .
- أولاً: المصادر العربية :

- 1- الألوסי شهاب الدين أبو الشاء محمود بن عبد الله البغدادي (ت1270هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: ماهر حبوش ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ط1 2010 م .
- 2- الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله (179هـ) ، موطأ مالك ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، 1985م.د.ط
- 3- الأمدى علي بن محمد (ت631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق: سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1986م.
- 4- الإسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت686هـ)، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط2 ، 1998م.
- 5- أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي (ت476هـ) ، شرح اللمع ، تحقيق: عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1، 1988م.
- 6- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت395هـ) ، مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر ، د.ط.ت.
- 7- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف الغرناطي (745هـ) ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 2010م ، د . ط .
- 8- أبو علي الفارسي (ت377هـ) ، الإيضاح العضدي تحقيق: حسن شاذلي فرهود ط1 1969م.
- 9- أبو هلال العسكري (ت395هـ) ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار عيسى البابي الحلبي ، 1952م ، د. ط .
- 10- ابن الأثير ضياء الدين (ت637هـ) ، المثل السائر ، تعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر الفجالة ، القاهرة ، مصر ، د.ط.ت .
- 11- ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر (ت646هـ) ، الإيضاح في شرح المفصل ، تحقيق: موسى بناي العليلي دار إحياء التراث الإسلامي . بغداد ، العراق ، د.ط.ت .
- 12- ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر(ت646هـ) ، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
- 13- ابن الزمكاني(ت727هـ) ، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، تحقيق: أحمد

- مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1964م.
- 14- ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل (ت316هـ) ، الأصول في النحو ، تحقيق: عبد الحسين الفتيلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1996م.
- 15- ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت728هـ)، مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق: عدنان زرزور ، ط2 ، 1972م .
- 16- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت792هـ) ، سر صناعة الاعراب ، تحقيق: حسن هندراوي. دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط2 م ، 1993 م .
- 17- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت792هـ) ، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط2 ، 2002م .
- 18- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت792هـ) ، اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن ، عالم الكتب بيروت، لبنان، ط2 ، 1980م.
- 19- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت852هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ، الرسالة العالمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 2013م .
- 20- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (ت595هـ)، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م.
- 21- ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، د.ط.ت .
- 22- ابن عصفور الإشبيلي أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (ت669هـ) ، شرح جمل الزجاجي ، قدم له فواز الشعار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان. ط1 ، 1998م .
- 23- ابن عقيل بهاء الدين عبد الله ، شرح ابن عقيل. دار التراث القاهرة ، مصر ، ط20 ، 1980م
- 24- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية. د.ط.ت .
- 25- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت751هـ) ، بدائع الفوائد ، تحقيق: علي بن محمد العمران دار عالم الفوائد. د.ط.ت .
- 26- ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت761هـ) ، شرح جمل الزجاجي ، تحقيق: علي محسن عيسى مال الله ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985م.
- 27- ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب تحقيق : سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1. د.ت .
- 28- ابن يعيش موفق الدين ابن علي (ت643هـ) ، شرح المفصل ، تعليق: حواشي نفيسة، إدارة

- الطباعة المنيرية ، د.ط.ت.
- 29- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ) ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت لبنان ، ط1 2002م.
- 30- البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت885هـ) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر.د.ط.ت.
- 31- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، مصر ، ط7 ، 1998م.
- 32- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ) ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط2 ، 1965م.
- 33- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد(ت471هـ) ، أسرار البلاغة ، علق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، السعودية.د.ط.ت.
- 34- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد (ت471هـ) ، دلائل الاعجاز ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي.د.ط.ت.
- 35- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد(ت471هـ) ، الجمل، تحقيق: علي حيدر دمشق 1972م د.ط.
- 36- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف (ت816هـ) ، معجم التعريفات ، تحقيق: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة القاهرة ، مصر.د.ط.ت.
- 37- الجويني (ت478هـ)، الكافية في الجدل ، تحقيق: فوقية حسين محمود ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، 1979 م ، د. ط .
- 38- الرازي محمد فخر الدين (ت606هـ) ، تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب دار الفكر، ط1 ، 1981م.
- 39- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ) ، تاج العروس ، تحقيق: عبد الكريم العزباوي مطبعة حكومة الكويت ، 1989م.د.ط.
- 40- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت340هـ) ، الجمل في النحو ، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل، إربد ، الأردن ، ط1 ، 1984م
- 41- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (794هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث ، القاهرة ، مصر ط3 ، 1984م.
- 42- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت538هـ) ، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تعليق: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

- ط3 ، 2009م
- 43- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت538هـ) ، المفصل في علم العربية ، تحقيق: فخر صالح قدارة ، دار عمار ، الأردن ط1 ، 2004م.
- 44- السيوطي جلال الدين (ت911هـ) ، الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق: عبد الإله نبهان مجمع اللغة العربية دمشق ، سوريا. 1987م ، د.ط.
- 45- السيوطي جلال الدين(ت911هـ)، الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق:غازي مختار طليمات مجمع اللغة العربية دمشق ، سوريا. 1987م ، د.ط.
- 46- السيوطي جلال الدين (ت911هـ) ، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ، ط1، 2008م.
- 47- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998م.
- 48- السيوطي جلال الدين (ت911هـ) ، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1، 1986م .
- 49- السجلماسي أبو محمد القاسم (ت704هـ) ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق: علاال الغازي مكتبة العارف ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 1980م.
- 50- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ) ، مفتاح العلوم ، تحقيق: نعيم زرزور دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983م.
- 51- الطبري محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر (ت310هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق: عبد الله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر ، ط1 ، 2001م.
- 52- الفاكهي عبد الله بن أحمد النحوي المكي (ت972هـ) ، شرح كتاب الحدود ، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدميري ، 1988 م ، د . ط .
- 53- الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد (ت206هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2. د.ت.
- 54- القرزويني الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمان (ت739هـ)، التلخيص في علوم البلاغة ضبط عبد الرحمان البرقوقي ، دار الفكر العربي، ط1 ، 1904م.
- 55- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ) ، المستصفي من علم الأصول ، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ ، شركة المدينة المنورة للطباعة ، 2008 م .د.ط.
- 56- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد(ت286هـ) ، المقتضب، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمــــــــة القاهرة ، مصر ط3 1994م.

- 57- المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم (ت749هـ)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك تحقيق: عبد الرحمان علي سليمان ، دار الفكر العربي ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2001م.
- 58- المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم (ت749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1992م.
- 59- النووي محيي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ) ، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ، ط1 ، 2000م .
- 60- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد : إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهر، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط1 1985 م .
- 61- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1095هـ) ، الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ط1 1998م.
- 62- حازم القرطاجني أبو الحسن ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق: محمد الحبيب بن الخرجة ، دار الغرب الإسلامي. د. ط. ت.
- 63- سيويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، الكتاب تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر، ط3، 1988م .
- 64- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991م.
- 65- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، محمد رضوان العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1999م.
- 66- مقامات أبو الفضل بديع الزمان الهمداني ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة الأسرة، 2002 م ، د. ط.

● ثانيا: المراجع العربية :

- 1- إبراهيم السامرائي ، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني ، بغداد ، العراق ، 1966م ، د. ط .
- 2- إبراهيم أنيس ، وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط4، 2004م.
- 3- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط3، 1966م.
- 4- إبراهيم خليل ، الأسلوبية ونظرية النص ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 1997م .

- 5- أبو بكر الصادق سعد الله وآخرون ، الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي ، شعبة آداب وفلسفة آداب ولغات أجنبية ، وزارة التربية الوطنية 2008م.
- 6- أحمد الزغيبي ، الشاعر الغاضب محمود درويش ، دراسات في دلالات اللغة ورموزها ، دار أشجار ط1 ، 2009م .
- 7- أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط المغرب ، 2001م ، د.ط.
- 8- أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة مصر.د.ط.ت.
- 9- أحمد عبد الغفار ، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية مصر ، 1996م ، د.ط.
- 10- أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ط1 ، 2001م.
- 11- أحمد عمارة خليل، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ، مكتبة لسان العرب ، جدة ،السعودية ط1، 1984م.
- 12- أحمد محمد عبد الراضي ، المعايير النصية في القرآن الكريم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ط1 ، 2011م.
- 13- أحمد مداس ، لسانيات النص نحو منهج جديد لتحليل الخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط2، 2009م.
- 14- أحمد مطلوب ، معجم لنقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ج1 ، 1989م.
- 15- الأزهر الزناد ، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط1، 1993م.
- 16- أسماء رأفت شهاب ، نحو النص بين النظرية والتطبيق ، دار الوفاء للطباعة الاسكندرية ، مصر ط1، 2016م.
- 17- الخوالدة، فتحى رزق،تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان " .أحد عشر كوكبا"، ط1 ، أزمنا للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006 م.
- 18- المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، السنة الأولى جذع مشترك آداب ، تأليف حسين شلوف، أحسن تليلاني ، محمد القروي ، وزارة التربية الوطنية.2008م

- 19- بن الدين بخولة ، الاتساق والانسجام النصي الآليات والروابط ، دار التنوير ، الجزائر ، ط1
2014م
- 20- بهجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، دار الفكر للنشر والتوزيع
عمان الأردن ط1 ، 1993 م .
- 21- بسام موسى قطوس ، سيمياء العنـوان ، وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن
ط1 ، 2001م.
- 22- تامر سلوم ، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا
ط1، 1983م.
- 23- تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب القاهرة
مصر ، ط1 ، 1993 م .
- 24- تمام حسان ، الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2000م.
- 25- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، المغرب ، طبعة 1994م.
- 26- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990م.د.ط.
- 27- تمام حسان ، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو فقه اللغة البلاغة) ، عالم
الكتب القاهرة ، مصر، 2000م.د.ط.
- 28- جمعان بن عبد الكريم ، إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، النادي الأدبي بالرياض ، ط1
2009م.
- 29- جميل حمداوي ، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق ، ط1 ، 2019 م .
- 30- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
1998م ، د . ط .
- 31- حاتم الصكر ، ترويض النص ، دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، إجراءات ومنهجيات الهيئة
العامة المصرية للكتاب ، 1998م.د.ط.
- 30-حراجي سعدي ، وآخرون ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعب
رياضيات ، علوم تجريبية ، تسيير واقتصاد. وزارة التربية الوطنية 2008 م .
- 31- حسام أحمد فرج ، نظرية علم النص ، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة
مصر، ط1 ، 2007 م .
- 32- حسام البهنساوي ، أنظمة الربط في العربية ، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية
التوليدية التحويلية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر ، ط1.د.ت.

- 33- حسام البهنساوي ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث
مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، 1994م.د.ت.
- 34- حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان
الأردن ، ط1 ، 2002 م .
- 35- حسن عباس ، النحو الوائى ، دار المعارف مصر ، ط3.د.ت.
- 36- حسن عبد الغنى جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سيوييه، دار الكتب العلمية ، بيروت
لبنان، ط1 ، 2007 م .
- 37- حسني عبد الجليل يوسف ، إعراب الأربعين حديثا النووية ، مؤسسة المختار، القاهرة ، مصر
ط1 ، 2003 م .
- 38- حسين الراميني، الكتابة العلمية مهارات أساسية في البناء واللغة، مطبعة كنعان، إربد ، الأردن
ط1 ، 2000م.
- 39- حسين رفعت حسين ،الموقعية في النحو العربي ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط1
2005م.
- 40- حلمي خليل ، الكلمة دراسة لغوية معجمية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر
1998م.د.ط.
- 41- حلمي محمد عبد الهادي الهادي ، في قواعد اللغة العربية ، دار الفكر العربي
1987م.د.ط.
- 42- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو، الجزائر
ط2 ، 2012 م .
- 43- خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت
الحكمة، الجزائر ، ط1 ، 2009م.
- 44- خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر
والتوزيع، ط1 ، 2009م .
- 45- خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، ط2.د.ت.
- 46- دراجي سعدي و آخرون ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة ثانوي للشعبتين آداب وفلسفة و آداب
ولغات ،وزارة التربية الوطنية. 2012م.
- 47- رايح بوحوش ، الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية على ضوء اللسانيات وعلم النص
جامعة عنابة ، الجزائر ، 1999م.د.ط.

- 48- رايح دوب البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع هجري ، دار الفجر القاهرة مصر 1997م د.ط.
- 49- ريمون طحان ، الألسنية العربية ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، 1981م.د.ط.
- 50- زكريا ميشال ، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان ، 1985 م ، د.ط .
- 51- زكريا ميشال بحوث ألسنية عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،لبنان ط1 1992م.
- 52- زكريا ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان،ط2 ، 1986م.
- 53- زكرياء إبراهيم ، مشكلة الحياة ، مكتبة مصر.د.ط.ت.
- 54- سعد عبد العزيز مصلوح ، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ، مجلس النشر العلمي الكويت ، ط1، 2003م.
- 55- سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2005م.
- 56- سعيد حسن بحيري،علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات،مكتبة لبنان ، دار توبار للطباعة،1997م.د.ط.
- 57- سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط2 ، 2001 م .
- 58- سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، 1997 م.
- 59- سعيد يقطين ، من النص إلى النص المترابط ، مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 ، 2005م.
- 60- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مكتبة نور ، تاريخ الإنشاء ، 18 مارس 2018م.د.ط.
- 61- شرف الدين علي الراجحي ،الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، مصر ، 1995م .د.ط.
- 62- شوقي ضيف ،تيسير لغوية ، دار المعارف ، القاهرة مصر.د.ط.ت.
- 63- شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، ط1 2004م.

- 78- عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، مطابع الوطن ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، 2001م . د.ط.
- 79- عبد الفتاح الحموز ، نحو اللغة العربية الوظيفي في مقارنة أحمد المتسوكل ، دار جرير للنشر والتوزيع 2012م . د.ط.
- 80- عبدالفتاح الحموز، المبتدأ والخبر في القرآن الكريم، دارعمار، عمان، الأردن، ط1 1986م.
- 81- عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية ، دار توبقال الدار البيضاء المغرب ، ط1، 1985م.
- 82- عبد الله الغدّامي ، الخطيئة والتكفير من البنية إلى التشريحية نظرية وتطبيقية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط6 ، 2006.
- 83- عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، دار هومة ، الجزائر ، ط2 2010 م .
- 84- عبد المجيد جميل البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م . د.ط.
- 85- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004م.
- 86- عبده الراجحي، في التطبيق النحوي والصرفي، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية 1992م. د.ط.
- 87- عدنان بن ذريل ، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000م . د.ط.
- 88- عز الدين على السيد ، التكريس بين المثير والتأثير ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط1 1978م.
- 89- عزة شبل محمد ، علم لغوية النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط2 2009م.
- 90- عفت الشرفاوي بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، 1981م ، د.ط.
- 91- علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ط1 ، 2000م .
- 92- علي بن محمد النحوي الهروي، الأزهية في علم الحروف ، تحقيق: عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية دمشق ، سوريا ، 1993م. د.ط.

- 93- علي محمود حجي الصراف ، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2010 م .
- 94- عمر أبو خرمة ، نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن 2004م.د.ط.
- 95- عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين ، دار البشير ، عمان الأردن ، ط1 ، 1991م.
- 96- غالب هلسا ، نقد الأدب الصهيوني ، دراسة إيدولوجية نقدية لأعمال الكاتب الصهيوني عاموس عوز مع الترجمة العربية لروايته الحروب الصليبية ، دار التنوير ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995م.
- 97- فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، ط1 2000م.
- 98- فرح أنطون ، فلسفة ابن رشد ، الهيئة المصرية للكتاب ، الاسكندرية ، مصر 1993م.د.ط.
- 99- فريد عوض حيدر ، اتساق النص في سورة الكهف ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر، ط1 2004 م .
- 100- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، دراسات في علوم القرآن الكريم مكتبة الملك فهد ، الرياض السعودية ، مكتبة الملك فهد ، ط14 ، 2005م .
- 101- فوزي حسن الشايب ، محاضرات في اللسانيات ، عالم الكتب الحديث ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، 1999م ، د.ط .
- 102- كمال عز الدين ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار اقرأ ، بيروت ، لبنان ، ط1 1984 م .
- 103- كيوان عبد العاطي ،التناص القرآني في شعر أمل دنقل ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة مصر، ط1 ، 1998 م .
- 104- مجموعة من الكُتَّاب ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ترجمة رضوان ظاظا ، عالم المعرفة الكويت ، 1997م ، د. ط .
- 105- محاولات ابن رشد لتعريب الأفكار النقدية والبلاغية لأرسطو ، المجمع الثقافي ، (عن مؤتمر ابن رشد) ، ط1 ، تونس ، 1999م .
- 106- محمد أديب صالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط4 1993 م .

- 107- محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، المؤسسة العربية للتوزيع تونس ، ط 1 ، 2001م.
- 108- محمد العبد ، العبارة والإشارة ، دراسة في نظرية الاتصال ، مكتبة الأداب، القاهرة ، مصر ، ط 1 2007م.
- 109- محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر 2014م ، د.ط.
- 110- محمد العبد ، اللغة والإبداع الأدبي ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ، مصر ، ط 2 2007م .
- 111- محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامــــــتداداتها ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان 1999م. د.ط.
- 112- محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية: التشكيل و مسالك التأويل، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2011م .
- 113- محمد حسين أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية دار الفكر العربي.د.ط.ت.
- 114- محمد حسين الطبطباي ، الميزان في تفسير القرآن ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم إيران.د.ط.ت.
- 115- محمد حماسة عبد اللطيف ، الإبداع الموازي ، التحليل النصي للشعر ، دار غريب ، القاهرة ، مصر 2001م د.ط.
- 116- محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر ، مكتبة الزهراء القاهرة ، مصر ، ط 1 1992 م .
- 117- محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق القاهرة ، مصر ، ط 1، 2000م.
- 118- محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر 2003م ، د.ط.
- 119- محمد حماسة عبد اللطيف، لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1 1996م .
- 120- محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ، 1991 م .

- 121- محمد عبد الباسط عيـد ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، مكتبة الآداب القاهرة مصر ، ط 1 ، 2009م.
- 122- محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، دارالمعارف، مصر، ط1 1983م.
- 123- محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحدائث التكوين البديعي ، دار المعارف ، القاهرة 1995 م .
- 124- محمد عبد المطلب ، قضايا الحدائث عند عبد القاهر الجرجاني ، مطابع المكتب المصري الحديث القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1995 م.
- 125- محمد عزام ، النص الغائب ، تجليات التناس في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، سوريا ، 2001م.
- 126- محمد علي أبو العباس ، الإعراب الميسر ، دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، دار الطلائع ، القاهرة ، مصر ، د.ط.ت
- 127- محمد علي التهنائي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان ، ط 1 ، 1996م.
- 128- محمد فكري الجزائر ، العنوان وسيميوطيقا الاتصال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م.د.ط.
- 129- محمد محمد يونس علي ، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك والغايات ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ط1، 2016م.
- 130- محمد مفتاح ، التشابه والاختلاف ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 1996م.
- 131- محمد مفتاح ، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 2 ، 2010 م .
- 132- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 3 ، 1992م.
- 133- محمد مفتاح ، مساءلة مفهوم النص ، منشورات كلية الآداب والعلوم ، جامعة محمد الخامس وجدة المغرب، 1997م ، د.ط.
- 134- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ، 1985 م .
- 135- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 ، 1985م.
- 136- محمد مفتاح ، دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، ط 2 1990م.

- 137- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء، القاهرة مصر.د.ط.ت .
- 138- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة ، بيروت لبنان.د.ط.ت.
- 139- مصطفى بن العدوي ، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية ، دار الصحابة للتراث، ط1 1989م.
- 140- مصطفى جمال الدين ، البحث النحوي عند الأصوليين ، دار الهجرة ، قم ، إيران 1985م ط2.
- 141- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مكتبة لبنان ، ط1 1997م.
- 142- مصطفى عبد الشافي شوري ، شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية ،الدار الجامعية ، بيروت لبنان ، 1983 م ، د. ط .
- 143- مفتاح بن عروس الاتساق والانسجام في القرآن ، دار نور حوران ، دمشق ، سوريا، ط1 2018م.
- 144- منذر عياشي ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضاري ، ط1 2002م.
- 145- منذر عياشي ،العلاماتية وعلم النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 2004م.
- 146- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط2 1986م.
- 147- موسى ربابعة ، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي ، دار جرير، عمان ، الأردن 2010م.د.ط.
- 148- موسى بن مصطفى العبيدان، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين،الأوئل للنشر والتوزيع ، دمشق سوريا ، ط1 ، 2002 م .
- 149- ليندة قياس ، لسانيات النص النظرية والتطبيق ، مقامات الهمداني أتمودجا ، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2009م.
- 150- نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، ط1 ، 1962م.
- 151- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية عالم الكتب الحديث ، ط1 ، 2009م .
- 152- نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب ، مباحث في التأسيس والإجراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2012م .
- 153- نهلة فيصل الأحمد ، التفاعل النصي التناسية النظرية والمنهج ، شركة الأمل للطباعة والنشر القاهرة، مصر ، ط1، 2010م .
- 154- نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر 1997م .د.ط.
- 155- هشام عبد الله الخليفة ، نظرية الفعل الكلاميين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الاسلامي ، مكتبة لبنان ، ط1، 2007م .

- 156- يعقوب حسن، استخدام أدوات الربط بين الجمل في اللغة العربية، المعلم - الطالب، معهد التربية التابع للأنروا/ اليونيسكو، دائرة التربية والتعليم، الأردن، 1998. د. ط.
- ثالثا المراجع الأجنبية المترجمة :
- 1- إليزابيت درو ، الشعر كيف نفهمه وتذوقه . ترجمة: محمد إبراهيم الشوش ، مكتبة منيمنة ، بيروت لبنان. ط1 1961م .
 - 2- أوزوالديكور، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ترجمة : منذر عياشي المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب د. ط. ت.
 - 3- أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ترجمة: عبد القادر قينيبي إفريقيا الشرق 1991 م ، د . ط .
 - 4- براون ويول ، تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليطني ، منير التريكي ، النشر العلمي جامعة الملك سعود ، 1997م ، د. ط.
 - 5- برند شبلنر ، علم اللغة والدراسات الأدبية ، دراسة الأسلوب البلاغة علم اللغة النصي، ترجمة: محمود جاد الرب ، ط1، 1987م.
 - 6- بول ريكور ، من النص إلى الفعل ، أبحاث التأويل ، ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر ط1 ، 2001م.
 - 7- توماس كارليل ، محمد المثل الأعلى ، ترجمة: محمد السباعي ، مكتبة الناظفة ، ط1 ، 2008م.
 - 8- تون فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر، ط1 ، 2001م.
 - 9- جاك شورون ، الموت في الفكر الغربي ، ترجمة: كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة الكويت 1984م. د. ط.
 - 10- جوليا كرسيفا ، علم النص ، ترجمة: فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب ط1 ، 1991 م .
 - 11- جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، ترجمة: سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2006م.
 - 12- جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1 ، 1986 م ..
 - 13- جون كوين ، بناء لغة الشعر ، ترجمة: أحمد درويش ، كتابات نقدية الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ، مصر ، 1990 م ، د . ط .
 - 14- جيرالد برنس ، المصطلح السردي ، ترجمة: عابد خزندار ، المشروع القومي للترجمة ، ط1 2003م.

- 15- جيمس مونرو ، النظم الشفوي في شعر ما قبل الاسلام مشكلة الموثوقية ، ترجمة: إبراهيم السنجلوي ويوسف الطراونة ، مكتبة الكتاني ، إربد الأردن ، 1987م.د.ط.
- 16- دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب ، ترجمة: محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2008م.
- 17- ر.ليفينسموبل، البنيات اللسانية في الشعر، ترجمة: محمد الوالي والتوزاني خالد، منشورات الحوار الأكاديمي ، دارالخطاب، مطبعة فضالة 1989.د.ط.
- 18- روبرت دي يوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان ، عالم الكتب القاهرة ط 1 1998م.
- 19- روبرت ديوجراند وولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلى خليل حمد ، مركز نابلس للكمبيوتر، ط 1، 1992م .
- 20- روبرت شولز، السيمياء والتأويل ، ترجمة: سعيد الغانمي ، دار الفارس للنشر ، الأردن ، ط 1 1994م.
- 21- روجر فاوولر ، اللسانيات والرواية ، ترجمة: أحمد صبرة ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية مصر، 2009 م ، د.ط.
- 22- رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، ترجمة: بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب.ط3 ، 1993 م .
- 23- رولان بارت ، لذة النص ، ترجمة: منذر عياشي ، دار لوسوي . باريس ، فرنسا ، ط 1 1992م.
- 24- زتسيسلاف واورزنيك ، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2003م.
- 25- سارة ميلز، الخطاب ، ترجمة: عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، ط 1 2016م .
- 26- غراهم هاف ، الأسلوب والأسلوبية . ترجمة: كاظم سعد الدين دار آفاق عربية ، العراق بغداد ، 1985م .
- 27- فان دايك ، النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص ، ترجمة: محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1996م .د.ط.
- 28- فان دايك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة: عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان، 2000م ، د.ط.
- 29- فرانسوا راسيتي ، فنون النص وعلومه ، ترجمة: إدريس الخطاب ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب ، ط 1، 2010م .

- 30- فردينان دي سوسور ، علم اللغة العام ، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية ، بغداد العراق. 1985م ، د.ط.
- 31- فولفجانج هاينه من و ديترفيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة: فالخ بن شبيب العجمي النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية ، 1999م. د.ط.
- 32- فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة: صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2007م .
- 33- كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، ترجمة: سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2010م.
- 34- ميشال أرفيه وآخرون ، السيميائية الأدبية ، ترجمة: رشيد بن مالك ، ضمن كتاب السيميائية أصولها وقواعدها ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2002م.د.ط.
- 35- ميلكا إيفيتش اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000م ، د. ط .
- 36- ياكسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال الدار البيضاء 1981.د.ط.
- 37- يوري لوتمان ، تحليل النص الشعري ، بنية القصيدة ، ترجمة: محمد فتوح أحمد ، دار المعارف، القاهرة مصر 1995م ، د.ط.
- رابعا : الدواوين الشعرية :
- 1- أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، شرح هاشميات الكميست ابن زيد الأسدي ، تحقيق: داود سلوم ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، ط 2 ، 1986م ، د.ط .
- 2- أحمد شوقي، الشوقيات ، الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان 1988م ، د.ط .
- 3- أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1987م.
- 4- إيليا أبو ماضي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، جمع الشعر وقدم له عبد الكريم الأشتر ، الكويت 2008م. د.ط.
- 5- ديوان ابن خفاجة ، تحقيق : سيد غازي ، منشأة الاسكندرية ، مصر ، ط2 ، 1979م.
- 6- ديوان أبو العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1986م.د.ط.
- 7- ديوان أحمد شوقي ، الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان 1988م ، د.ط.
- 8- ديوان المهلهل ، شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوال ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، ط1 1995م.

- 9- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1
198م.
- 10- شعر عبدة بن الطبيب ، تحقيق: يحيى الجبوري ، دار التربية ، بغداد ، العراق ، 1971م
م. د. ط.
- 11- محمود درويش ، الأعمال الأولى 2 ، رياض الرئيس للكتيب والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1
2005م.

• خامسا : المعاجم اللغوية :

- 1- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، تحقيق: عامر
أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. د. ط. ت .
- 2- إلياس انطوان إلياس وإدوار إلياس ، قاموس إلياس العصري ، عربي إنجليزي ، دار الجيل ، بيروت
لبنان ، 1972م ، د ، ط ، ت .
- 3- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) ، كتاب العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم
السامرائي ، سلسلة المعاجم والفهارس. د. ط. ت.
- 4- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ) ، القاموس المحيط ، راجعه: أنس
محمد الشامسي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2008م. د. ط.
- 5- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ) ، تاج العروس ، تحقيق: عبد الكريم العزباوي مطبعة
حكومة الكويت 1989م. د. ط.

• سادسا : المراجع باللغة الأجنبية :

- 1- Adam Jean Michel, *Linguistique textuelle: des genres de discours aux textes*, Nathan Paris, 1999.
- 2- Jean Dubois, *Dictionnaire de linguistique et des science du langage*, Larousse, Paris, 2001.
- 3- Halliday Michael Alexander Kirwood and Ruqaiya Hassan, *Cohesion in English*, Longman, London, 1987.
- 4- Robert Alain De Beaugrand and Wolfgang Dresslar, *Introduction to text linguistics*, longman, London, 1st published, 1981.
- 5- à l'analyse de la poésie, *Introduction Molino-Joëlle, Tamine, Jean presses universitaires de France Paris 1982.*
- 6- emile benveniste *problemes de linguistique generale. t1 edceres. 1995. tunis.*
- 7- robert alain de beaugrand and wolfgang dresslar. *introduction to linguistics text longman. london. 1981 .*
- 8- *the shorter oxford english dictionary on historical principles .*

• سابعاً : الرسائل الجامعية :

- 1- أحمد حسين حبال ، السبك النصي في القرآن الكريم ، دراسة تطبيقية في سورة الأنعام ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، العراق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، 2011م.
- 2- جمعة عوض عبد الله الخصاص ، نظام الربط في النص العربي، أطروحة دكتوراه ، جامعة الأردن ، 2000م.
- 3- رابح بومعزة ، تصنيف لصور الجملة والوحدة الاسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها في المرحلة الثانوية من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري رسالة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر، 2004 م ، 2005 م .
- 4- نوال لخلف ، الانسجام في القرآن الكريم . سورة النور أمودجا . أطروحة دكتوراه . جامعة الجزائر ، 2006 م .
- 5- عادل زغير، الربط في الجملة العربية ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، العراق ، 1988 م .
- 6- حامد علي منيفي، الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن ، 1999 م .

• ثامناً: المجالات المتخصصة :

- 1- تيون فان ديك ، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي ترجمة أحمد صديق الواحي ، مجلة فصول ، 2010م العدد 77.
- 2- جميل حمداوي ، المقاربة التداولية في الأدب والنقد ، المنظمة العربية للترجمة ، المجلد 4 ، العدد 09 2012م ، موقع: [./https://www.diwanalarab.com](https://www.diwanalarab.com)
- 3- جيل بلان، عندما يكون الكلام هو الفعل، ترجمة: جورج كنورة، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت لبنان، العدد5 ، 1989 م .
- 4- بشير إبرير ، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة التوصل ، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر العدد14، جوان ، 2005م
- 5- عبد الرحمان حاج صالح ، الجملة في كتاب سيوييه، مجلة المبرز الجزائر العدد 2 1993م.
- 6- عبد الرحمان حاج صالح ، الجملة في كتاب سيوييه ، مجمع اللغة العربية ، بحوث الدورة الستين ، 1996م.

- 7- نعيمة سعديّة ، الاتساق النصي في التراث العربي ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية
جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر العدد5 ، جوان 2009م.
- 8- موسى ربابعة ، التكرار في الشعر الجاهلي ، دراسة أسلوبية ، مؤتة للبحوث
والدراسات ، جامعة اليرموك ، الأردن ، المجلد05 ، العدد01 ، 1990.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	العناوين
	- الاهداء
	- شكر وتقدير
أ - ط	- مقدمة
25 -1	مدخل : البحث اللساني من إطار الجملة إلى إطار النص قراءة في دواعي التحول
2	الكلام والجملة في النظرية النحوية العربية القديمة
2	- الكلام
5	- الجملة
7	- من قالوا بالتزادف بين الجملة والكلام
9	- من فرقوا بين الجملة والكلام
10	- صورة الكلام والجملة عند الدارسين العرب المحدثين
12	- الفرق بين الكلام والجملة
13	- الجملة في المدرسة النحوية
15	- الجملة في النحو التوليدي التحليلي
18	- التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص الضرورة والمسوغات
20	- بين نحو الجملة ونحو النص
21	- من ناحية الموضوع
21	- من ناحية المنهج
22	- من ناحية الغاية
101 -26	الفصل الأول : مقاربات نظرية حول لسانيات النص
27	- ماهية لسانيات النص
27	- مفهوم لسانيات النص
28	- هدف لسانيات النص
29	- تطور لسانيات النص
33	- إسهامات العلماء العرب القدامى في علم اللغة النصي
34	- مفهوم النص في إطار اللغة

38	- مفهوم النص في إطار الاصطلاح
39	- مفهوم النص في الدراسات القرآنية
39	- علماء التفسير
43	- النص وعلوم القرآن
49	- النص والنظرة البلاغية
52	- النص والنظرة النحوية
57	- النص والنظرة النقدية
62	- النص والنظرة الفلسفية
66	- مفهوم النص عند اللسانيين المحدثين
66	- الدراسات الغربية
71	- مفهوم النص من الناحية النحوية
73	- مفهوم النص من الناحية الدلالية
76	- الوصف النصي عند بيتوفي
77	- مفهوم النص من الناحية الاتصالية
79	- مفهوم النص عند هاليداي ورقية حسن
79	- مفهوم النص من الناحية التداولية
81	- مفهوم النص عند العلماء العرب المحدثين
86	- الخطاب في إطار المعجم والاصطلاح والوظيفة
87	- مفهوم الخطاب في إطار اللغة
87	- مفهوم الخطاب في إطار الاصطلاح
87	- الخطاب في الثقافة العربية
89	- الخطاب في الثقافة الغربية
92	- بين النص والخطاب
102 - 201	الفصل الثاني : الاتساق والانسجام ودور الروابط فيهما
104	- مفهوم الاتساق لغة واصطلاحا
110	- أدوات الاتساق النصي
111	- نظام هاليداي ورقية حسن في تصنيف أدوات الربط
111	- المعايير النصية السبعة عند روبرت ألان دي بوجراند وولفجانج دريسلر

112	- وسائل الاتساق عند دي بوجراند و دريسلر.....
113	- أشكال التكرار عند مايكل أوي
113	- وظيفة الربط في التفاعل الاجتماعي عند جونانثن فاين.....
115	- الإحالة
117	- شرط الإحالة
117	- أهمية ووظيفة الإحالة
118	- أنواع الإحالة
121	- وسائل الاتساق الإحالية
123	- الاستبدال.....
124	- أنواع الاستبدال
125	- الحذف
126	- أنواع الحذف
127	- الوصل
129	- أنواع الوصل
131	- التوازي التركيبي
133	- الاتساق المعجمي.....
134	- التكرار ودوره في النص
134	- أنواع التكرار
135	- الترادف أو شبه الترادف
136	- الكلمة الشاملة.....
136	- الكلمة العامة
136	- التضام.....
137	- التقابل أو التضاد.....
138	- الانسجام النصي وأدواته
139	- الانسجام في إطار اللغة
139	- الانسجام في إطار الاصطلاح
143	- بين الاتساق والانسجام.....
146	- آليات الانسجام.....

146	- موضوع الخطاب
148	- البنية الكلية.....
150	- التغيريض والعنوان.....
152	- مبدأ الإشارك والربط الدلالي بين القضايا.....
155	- العلاقات.....
155	- السياق.....
157	- المعرفة الخلفية
159	- دور المتلقي
161	- المستوى التداولي.....
161	- نظرية الأفعال الكلامية وانسجام النص
165	- التناص
166	- كيفية التعالق النصي
167	- البنية الموضوعاتية
168	- عدم التناقض والتعارض
169	- طبيعة العلاقة بين الاتساق والانسجام
173	- الروابط وتصنيفها
174	- مفهوم الربط لغة واصطلاحا
175	- تعريف الروابط
176	- تصنيفُ الرّوابط في النّظرية العربيّة.....
176	- مفهومُ الرّبط عندَ العلماء العرب القُدامى.....
187	- تصنيف المحدثين للروابط.....
191	- الرابط اللفظي.....
192	- الربط بالضمير البارز.....
192	- الربط بالأدوات.....
194	- الروابط الاحالية
194	- الروابط اللاإحالية
194	- الروابط البيانية
195	- دورُ الرّوابط في اتّساق النّص وانسجامه.....

312 - 202	الفصل الثالث : دور الروابط الإحالية في اتساق وانسجام نصوص النماذج المختارة
204	- مفهوم التكرار لغة واصطلاحاً
207	- إعادة أو تكرار اللفظ بذاته.....
212	- دور التكرار في الربط.....
220	- إعادة ذكر صدر الكلام.....
227	- تكرار الكلمة.....
227	- الأفعال.....
229	- الأسماء.....
230	- تكرار البداية.....
239	- تكرار الحروف والضمائر.....
240	- تكرار العبارة
246	- التعريف بالاسم المكرر.....
249	- الضمائر
249	- مفهوم الضمائر.....
252	- تقسيم الضمائر
254	- دورُ الضمائر في الرّبط والإحالة.....
288	- أل التعريف
289	- أل العهدية
290	- أل ذات العهد الذكري
292	- أل ذات العهد الذهني
294	- أل ذات العهد الحضوري.....
296	- أل الجنسية
298	- أل النائية عن الضمير
299	- الاسم الموصول
306	- أسماء الإشارة.....
400 - 313	الفصل الرابع: الروابط غير الإحالية ودورها في اتساق وانسجام نصوص المدونات المختارة
314	- أدوات الشرط.....
337	- أدوات الاستفهام.....

362	أدوات النفي.....	-
383	أدوات النداء.....	-
389	أدوات القسم.....	-
393	أدوات العطف.....	-
407 - 401	خاتمة	-
429 - 408	فهرس المصادر والمراجع.....	-
436 - 430	فهرس الموضوعات.....	-
	ملخص الرسالة باللغة الانجليزية.....	-

ملخص :

يهدفُ هذا البحثُ إلى إظهار الروابط النصية وتبيان دورها في الاتساق والانسجام الخطابي ، خاصةً وأنَّ هذا الموضوعَ جذبَ انتباهَ علمائنا الأوائل ، وشكَّلَ جزءًا من اهتماماتهم على المستوى النحوي والبلاغي ، ولقد تعدَّدت أشكال تناولهم للروابط النصية ، غير أنَّ الملمح الجامع في دراساتهم ، أنها لم تبلغ العمق والشمولية وإنما اقتصرَت على تبيان دور هذه الروابط على مستوى الجملة فقط .

وقد أعادت الأبحاث اللغوية الحديثة إحياء هذا الموضوع من جديدٍ ، فكانت من جملة الانشغالات التي شملها مجال اللسانيات النصية من خلال الحديث عن آليات الترابط والتماسك النصي ، والذي أتضح من خلال العديد من الأعمال منها ما فصَّله (هاليداي ورقية حسن) في كتابهما (الاتساق في الإنجليزية) ومنها ما قدَّمه (روبيرت دي بوجراندي) في كتابه (النص والخطاب والإجراء) .

حاولتُ في هذا البحث الكشف عن الدور الذي تؤدِّيه الروابط النصية في إحداث الاتساق والانسجام الخطابي من خلال التطبيق على مدوناتٍ عدَّة ، بدءًا بالقرآن الكريم في سورة (القصص) ثمَّ حديث الرسول صلَّى الله عليه وسلم ثمَّ في الشعر الجاهلي والشعر العباسي وفي فنِّ المقامة وفي الشعر الحديث ، فما هي أنواع الروابط النصية ؟ وما هو الدور الذي تؤدِّيه على مستوى الاتساق والانسجام الخطابي ؟

الكلمات المفتاحية: الروابط النصية ، الاتساق ، الانسجام ، النص ، الخطاب ، الربط ، الترابط .

Summary:

The present study aims at investigating the effect of linking words in textual cohesion and coherence a subject that has been discussed profusely by early scholars due to its significance on the syntactic and rhetorical level , this issue were tackled in several ways however scholars unanimously neglected contextual depth and dimension of linking words in favor of highlighting their role strictly on a sentence level.

Contemporary linguists revived , this discussion to be included in linguistics of text by approaching from different perspectives such as that of (halliday and r.hassan) in their pioneering work (cohesion in English) , in addition to (Robert de beaugrandes) (text discourse and process) .

This research is an attempt at investigating the function of linking words, as a medium in achieving coherence and cohesion in texts through examining different pieces of writing starting with the holy Qur'an specifically surah el (qassas), the hadiths of the prophet peace be upon him followed by agnostic poetry Abbasid , the maqamat literature and modern poetry. So what are the types of linking word in a text and what is their role on the level of coherence and cohesion.

key words: linking words, coherence, cohesion, text, discourse, conjunction, correlation.